٤١٢ ح
مكتبة الأوقاف الكوسية

فتح الحميد في شرح التوحيد

ومعه خط مؤلفه وجامعه

الفقير إلى ربه الغفور عثمان بن عبد العزيز
بن منصور الناصري المعروف بالعمري التميمي
النجدي الحنبلي عبده ومولاه المتبوع
والعفو عن الخطأ والزلل
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم وحسبنا الله
ونعم الوكيل

في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
لجنه فرأيت عامة من دخلها
قال الزهري الأبله الذي
وهو غافل عن الشر وشره
في حق الصبي هم الذين
سلام عليه وعلى آله وصحبه

وقد اطلعت على هذا التعليق بخط مؤلفه وهو يظهر فيه سوداء لكل أحد
ولا يعاند وقوله طاوس فاوس فاوس قال النووي إنما ذكر الثاني لأنه قد يشفع اثنان فيشفع
فيهما الأول

تأملت هذا الشرح فرأيته شرحا [illegible] فأجاد فيه مؤلفه وأوضح وأفاد كان الله له
غير أنه ذكر أن شيخه محمد بن سلوم وحاله في الاعتقاد معلوم فلو أعرض عن ذكره لأساء الظن به
عندنا وفاق عند أهل الثقة كما قاله كاتبه عبد الرحمن بن حسن عفا الله عنه ونفعه من خصه سيدنا محمد
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته والوهيته وبذكره يشهد الموحدون وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه على فترة من الرسل ودروس من السبل فأحيا به دينه القويم وهدى به إلى الصراط المستقيم فجعله محجة للسالكين وحجة على المعاندين فأوضح به المنار وأنجاه من عذاب النار صلى عليه وعلى آله وذريته وأهل بيته وأصحابه والمهاجرين والأنصار صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما تعاقبت الدهور والأعصار وسلم تسليما أما بعد فإن الاعتناء بالتوحيد من أهم الأمور إذ بمعرفته تنشرح الصدور وبكماله عليه دعوة الرسل لأنهم تدرجوا فيه فلما كان الأمر كذلك بمعرفته والدعوة إليه أول الواجبات عقلا وشرعا إذ عليه الأعمال تدور أصلا وفرعا وقد ألف في ذلك شيخنا شيخ الإسلام وقدوة الأنام محمد بن عبد الوهاب التميمي ثم الحنبلي العدواني المضري يلتقي نسبه قدس الله روحه ونور ضريحه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في إلياس بن مضر كتابا حافلا وافيا كافيا لم يصنف ولم يعتسف وميز فيه ذكر ولم يتكلف فرأيت أنه أعلق عليه شيئا لنفسي ولمن شاء الله بعدي يحل معانيه ويشيد مبانيه ويظهر فوائده ويرد شوارده وإن لم أكن لذكر أهلا ولا في ذلك العلم بمحل رجاء أن يدخلني الله في زمرة الداعين إلى دينه القويم وصراطه المستقيم فطلب حينئذ نسخة صحيحة ليتفيأ ذلك عن القريحة ثم أجد الانسياق عندي قد قابلتها على خط المصنف رحمه الله بيده وجدتها عند بعض مشايخنا وهو الشيخ عبد العزيز الحصين قدس الله روحه ونور ضريحه وجزاه عنا وجميع مشايخنا أحسن الجزاء فعمدت لأجل ذلك عليها وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم الهداية والتسديد والتوفيق والتأييد في هذا المصنف على حسنه وسميته بما أخذ كتاب التوحيد وهذا فهرس

الباب الأول في فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

الباب الثاني في تحقيق التوحيد ودخل الجنة بغير حساب ولا عذاب

الباب الثالث في الخوف من الشرك

الباب الرابع من الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

الباب الخامس في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

الباب السادس من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

الباب السابع في الرقى والتمائم

الباب الثامن في من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

الباب التاسع في الذبح لغير الله تعالى

الباب العاشر لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى

الباب الحادي عشر من الشرك النذر لغير الله تعالى

الباب الثاني عشر من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى

الباب الثالث عشر من الشرك أن لا يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

الباب الرابع عشر في قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون

الباب الخامس عشر في قوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم

الباب السادس عشر في الشفاعة

الباب السابع عشر في قوله إنك لا تهدي من أحببت

الباب الثامن عشر في أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الغلو في الصالحين

الباب التاسع عشر التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبد القبر

الباب العشرون ما جاء من الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

الباب الحادي والعشرون في حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

الباب الثاني والعشرون ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

الباب الثالث والعشرون فيما جاء في السحر

الباب الرابع والعشرون في بيان شيء من أنواع السحر

الباب الخامس والعشرون ما جاء في الكهان ونحوهم

الباب السادس والعشرون في النشرة

الباب السابع والعشرون ما جاء في التطير

الباب الثامن والعشرون في التنجيم

الباب التاسع والعشرون في الاستسقاء بالأنواء

الباب الثلاثون في قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ومن سورة إذا الآية

الباب الحادي والثلاثون في قول الله تعالى أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون

الباب الثاني والثلاثون في قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون

الباب الثالث والثلاثون في قوله تعالى فلا أمنوا مكر الله الآية

الباب الرابع والثلاثون في الأمر بالصبر على أقدار الله تعالى

الباب الخامس والثلاثون في الرياء

الباب السادس والثلاثون في الآيات المشتركة الدالة على ذم الدنيا

الباب السابع والثلاثون فيما ورد في اطلاع العلماء والأولياء على بعض أحوال الناس

الباب الثامن والثلاثون في قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية

الباب التاسع والثلاثون فيما ورد في مذمة الأسماء والصفات

الباب الأربعون في قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات

الباب الحادي والأربعون في قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا الآية

الباب الثاني والأربعون فيما لم يقع به التكليف بالنسبة

الباب الثالث والأربعون في قول ما شاء الله وشئت

الباب الرابع والأربعون في النهي عن سب الدهر فقد أذى الله تعالى

الباب الخامس والأربعون النهي عن تقاضي القضاة ومن في معناه

الباب السادس والأربعون احترام أسماء الله الخ

الباب السابع والأربعون فيما ورد في ذكر الشيء فيه ذكر الله

الباب الثامن والأربعون في قول الله تعالى وإذا قيل لهم الآية

الباب التاسع والأربعون في قول الله تعالى أتأمرون الناس بالبر الآية

الباب الخمسون في قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك الآية

الباب الحادي والخمسون في أنه لا يقال السلام على الله

الباب الثاني والخمسون في قول اللهم اغفر لي إن شئت

الباب الثالث والخمسون لا يقول عبدي وأمتي

الباب الرابع والخمسون لا يرد من سأل بالله تعالى

الباب الخامس والخمسون لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

الباب السادس والخمسون ما جاء في لو

الباب السابع والخمسون النهي عن سب الريح

الباب الثامن والخمسون

الباب الخامس والخمسون في قوله الله تعالى يطفون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية
الباب السابع والخمسون في منكري القدر
الباب الثامن والخمسون في المصورين
الباب التاسع والخمسون في كثرة الحلف
الباب الستون ويستون في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم
الباب الحادي والستون ويستون في الاقسام على الله تعالى
الباب الثاني والستون لا يستشفع بالله على خلقه
الباب الثالث والستون ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسد طرق الشرك
الباب الرابع والستون ويستون في قوله الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته الآية

شرح بعضها بحذا وهو كتاب مصطفى الذهبي المدني عدد ابواب التوحيد وما اورد فيه من الآيات
والاحاديث والمسائل في اثنتين وستين بابا فيها قصور ولعل هذا الاختلاف في اصل النسخ منها قوله
ثلاث وستون الابواب قبلها كتاب بتوحيد تفرد جامعا
ومجموع ابوابه حوت نشرها ثمانون زائد مع ثمان معا
احاديث خمسين مع ثلاثة بعدها كذا مئة ستف بذاك اسما معا
ثلاثون مع خمسي مسائل كلها وخمس من فاظر الكل لامعا
لخاطري ابياتي ذلك حين وصولي الى هذا المحل انتهاؤها فلا علي ان اذكرها وهي هذه
اقول كلاما يرتضيه ذوو البصر وما كنت قولا لا لزور من الوحر
حلفت يمينا بالمهيمن قائلا لقد اوضح التوحيد للخلق وانتشر
امام هدى يهدي الى الحق بالهدى مجدد الدين للعلم مفتخر
صنف هذا للانام منبها لما غاب عنهم في العلوم وما ظهر
وبوبه ستين بابا وانها تزيد على ستين سنا وما اقتصر
واتبعها الآيات سردا يحفها تراجم فيها للمفيد مدكر
وعقبها بالاحاديث موردا عن الكتب الغر الصحاح وما اشتهر
فجاءت وافية للعقول وانها كالدر في عقد من العلى منتثر
فسل مولانا الكريم بان يمن علينا بعفو لمن غاب او حضر
ويلهمه التوفيق والرشد والهدى عسى ان ينجي جنة الخلد محتضر
ويطرد عنا الزيغ والكفر والهوى وحسدا هوى بالحاسدين الى سقر
ويوزع شكر المنعم عيسى الذي الان لداود الحديد من الصخر
فيهدي لهدانا ويحيينا على سنة الغر الاولى بعفوه ينعم

السلام وأبا سبحانه من أن يقع لأحد منهم الا على يديه ويقبل من أحدهم سعيا الا أن يكون مبتدئا ومنتهيا
أي بالطرق كلها الا طريقه صلى الله عليه وسلم وسدوده والقلوب ناسها الا قلوب اتباعه المنقادة اليه عن الله
بجميعه مصدوده فحق على من كان يدعي سعادة نفسه ساعيا وكاتبا جاهدا عن الله وعيانا ان يجعل
على هذه الأصلية وهذا راقوله وأعماله ويصيرها الخيمة التي اليها مفزعه في حياته ومماته فلا جرم اذ
كان وضع هذا الكتاب سوسا على هاتين القاعدتين ومقصوده التعريف والتوضيح لهذين الأصلين ان لقي
اذ بمعرفتهما والعمل بهما تتم للعبد سعادة الدارين ثم ليعلم انه ليس لقايل ان يقول قد اطلعت في هذا
الكتاب على التوحيد الذي هو المقصود بوضع هذا الكتاب والا فاعترض على المصنف رحمه الله تعالى بذلك اذ ليس من
قول ولا فعل طيب صالح الا وهو بالتوحيد وكل خالص خالص صالح وكل قول وعمل عام فيه ذكر وهو مضمحل
طالح وهل يطلب التوحيد والاخلاص الا لتحصيل الاقوال والاعمال الصالحة من عمل القلب الذي هو بذكر الخاص
من الثواب اذ الاعمال من الايمان وعلى ذلك مضى اهل السنة من الائمة وصالح سلف الامة قال تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم ولذلك نظائر من الكتاب والسنة ذكرنا طرفا منها في ذكر الايمان والكلام عليه عند قوله تعالى
انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآيات فالايمان يزيد وينقص اذ الايمان والاسلام جملة اعمال القلوب
والابدان يوضح ذلك جريانهما على معانيهما في العربية من الايمان والسلامة حقيقة ويعبر بهما عن العمل
الصالح به عنهما لما يكونان من ابتنائهما عليه فلما كانا مقدمة لها سميا به فيما ذكرنا ولما
كان الاعتراض المذكور مزالا لا بقية معه على مذهب اهل السنة والجماعة حتى يعلم ان المعترض بذلك
قد انحرف باعتراضه عنهم والله ولي الهداية والتوفيق وهذا اوان الشروع في المقصود قاصدا
بذلك الرب المعبود واسئل الله تعالى ان يعفو فيما قصدنا عن الخطا والزلل وان ينفع به كما نفع باصله
وان يجعله خالصا لوجهه الكريم انتقيته من كلام العلماء المعتبرين وداوين المحدثين المشهورين
والمخرجين من الائمة المرضيين ومن نقل ان أقربه من اهل الحديث وذكر من كان صحيح قانون
والمسانيد وقد اتصل سندنا بالاجازة الى بارع المسند المسمى بالامداد في علو الاسناد
منهما الشيخ العالم العلامة المحدث وقدوة من بعده من المسندين عبد الله بن سالم البصري
المكي رحمه الله تعالى من طريق شيخنا الاوحد والامام المفرد الشيخ عبد الرحمن بن
الشيخ محمد عبد الوهاب حفيد مصنف هذا الكتاب نفع الله بجاه وبارك له في جميع اوقاته فاجازني
عن شيخه حسن العويسي وهو عن شيخه داود القلعي بفتح القاف واللام وهو
عن المسند الجليل احمد الجوهري واخيه المولى وهما عن المصنف عبد الله بن سالم البصري
المذكور واجازني شيخنا عبد الرحمن عن المذكور باجازة شيخه له الشيخ عبد الله سويدان
والله عن شيخه محمد بن احمد الجوهر عن ابيه احمد عن شيخه المصنف عبد الله
بن سالم وكذا روى شيخنا عبد الرحمن ذلك فيما اجازني عن شيخه عبد الرحمن الكبري وهو
عن شيخه مرتضى الزبيدي وهو عن شيخه محمد بن احمد بن عقيل وعن الجوهري
كلاهما عن عبد الله بن سالم وقد اتصل لنا مسندا بالاجداد وهو الامام الجهبذ
الفهامة المحقق المدقق من هذه مشايخه منهم محمد بن علي بن سلوم عن شيخه
احمد بن عبد الله عن الزواوي عن الشرقاوي المالكي صاحب الجدول عن عدة مشايخ منهم علاء
الدين البصري عن شيخ شيوخه حياة السندي المدني عن المولى عبد الله بن سالم المذكور
وعن السيد علي العيدروس عن محمد بن سليمان المدني الكافي عن المولى عبد الله
بن سالم المذكور واجازني محمد بن عبد الله المذكور مسندا الامام النخلي عن شيخه السيد
عبد الرحمن الزواوي عن عبد الله الجوهري الزبيدي عن بن عقيل عن العلامة

بن عبد الله الهروي الفرغاني وكان عمره مئة سنة واربعين سنة واجاز لعموم في سنة عشرين وسبعمئة وقد
قرأ صحيح البخاري على ابي عبد الرحيم محمد بن شاه بخت الفرغاني بسماعه لجميعه على شيخ اجل الاسلام
بسمرقند ابي الهمام يحيى بن عمار بن حقبل بن شاهان الختلاني وكان عمره مئة وثلاثة واربعين
سنة وقد سمعه جميعه عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري محمد بن اسمعيل والكتاب
الثاني عن قطب الدين الكيذري والي غزنة عن ابي الفتوح الطاووسي عن المعمر بابا يوسف
الهروي المشهور بشيخ الحرم سألته ابا المعمر تلميذه عن محمد شاه بخت الفرغاني الى آخر
السند المتقدم برجاله المذكور الى البخاري رحمه الله تعالى وارى الصحيحين ايضا من طرق شيخنا
احمد بن عبد الحنبلي ومحمد بن علي وعبد الله بن حمود الصرر وعثمان بن جمعة جميعهم عن شيخهم محمد بن محمد الله
عن العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الحسائي عن شيخ عبد الله بن سالم البصري صاحب الامداد
المذكور عن شيخ علاء الدين البابلي عن ابي النجا سالم بن محمد السنهوري والشيخ محمد بجازي
الواعظ عن النجم محمد بن احمد الغيطي عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري عن الحافظ ابي الفضل
احمد بن علي بن حجر العسقلاني عن الاستاذ برهان بن احمد التنوخي عن ابي العباس احمد بن ابي
طالب الحجار عن ابي عبد الله محمد بن المبارك السجزي عن ابي الوقت عبد الاول بن عيسى
السجزي الهروي عن ابي الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي عن ابي محمد عبد الله بن احمد السرخسي عن
ابي عبد الله محمد بن يوسف عن امير المؤمنين في الحديث ابي عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم
بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري وارى عاليا من طرق البصري والنخلي عن
صاحبنا عيسى بن محمد عن السيد يوسف بن محمد البطاح الزبيدي الاهدل عن الشيخ عبد الله
ابو هري عن البصري والنخلي به وعن شيخنا ايضا عبد الله بن حمود الصرر الفقيه
وعثمان بن جمعة وصاحبنا عيسى بن محمد الثمالي عن شيخهم ابرهيم بن ناصر عن
شيخه احمد البعلي عن الشيخ عبد القادر التغلبي عن شيخ الاسلام عبد
الباقي الحنبلي صاحب المنتهى عن بجازي الواعظ عن ابن اركماس عن الحافظ
ابن حجر به وتقدم روايتي له بالاجازة عاليا عن شيخنا عثمان بن جمعة عن شيخه
مصطفى بن سعد السيوطي شارح الغاية عن شيخه علي الشلبي ومحمد السفاريني
الحنبلي عن شيخهما ابي المواهب عن ابيه شيخ الاسلام عبد الباقي الحنبلي
المذكور عن بجازي الواعظ به قال النخلي ووقع لنا مسندا عاليا عن الشيخ محمد بن علي بن علاء الدين
الصديقي الشافعي المكي عن بجازي الواعظ عن ابن اركماس عن الحافظ ابن حجر به وارويه ايضا عن
صاحبنا عيسى بن محمد المذكور عن السيد عن الشيخ مصطفى بن محمد الانصاري الايوني الدمشقي ثم المدني
والعلامة بن محمد الكزبري والواحد بن عبد العطار فالاول عن عبد الغني النابلسي والاخيران
عن شهاب احمد المنيني عن شيخ عبد الغني النابلسي عن النجم الغزي عن ابي الفتح
المزي وجلال السيوطي والقاضي زكريا الانصاري عن الحافظ ابن حجر به وارويه ايضا من
مسند النخلي والعيدروس البصري عن صاحبنا عيسى بن محمد عن السيد عمر والشيخ حمزة والشيخ
عبد الحفيظ العجيمي والشيخ محمد الكبباني الثلاثة عن المفتي عبد الملك القلعي عن ابيه
عن جده عن البصري عبد الله بن سالم والواحد بن محمد النخلي المذكور بالي طرقه غير هذه واجازا

هذه كراسات في أثنيت منها اجازات في سلسلة المذهب الأحمد واوليات من جهة مشائخنا المدنيين
وغيرهم وسماه آخر والمنة والى الآن جولنا وجميع مشائخنا والمسلمين اجمعين فله يعالى الحمد وحده

وقد سميته فتح الحميد في شرح التوحيد

قال المصنف رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
اي ابتدي او اولي مبتدئا ان كل فاعل يبدئ في فعله بسم الله ونحوه حاذفين ما افتتح اولى فالباء مع مجرورها
متعلق بما ذكر وذلك لان كل فاعل يبدئ في فعله بسم الله ونحوه حاذفين ما افتتح اولى فالباء مع مجرورها
للاستعانة كما في كتبت بالقلم او للملابسة اي المصاحبة كما في اهبط بسلام اي معه قال بعضهم وهو
الاولى اذ في جعل اسمه تعالى متبركا به من التعظيم ما ليس في جعله كالة والاول اصح وهو اختيار
شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من اهل العربية ومن معانيها ايضا الالصاق كما مسكت بزيد
والمجاوزة كمر به والتعدية كذهب الله بنورهم والسببية نحو فكلا اخذنا بذنبه وادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون والمقابلة لن يدخل الجنة احد بعمله وهي المعاوضة وجعل المتعلق اسما شاملا
كما في بسم الله مجراها ومرساها اوقع في النفس لما في اقتضاء المقام فيزيد اهتمام بتقديم اسمه تعالى مع كونه
ادخل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود او تقديرها كما قراءة باسم ربك والاسم مشتق
من السمو وهو العلو وهذا مذهب البصريين يقال سما يسمو اي علا ومنه سميت السماء لعلوها
ومذهب الكوفيين انه مشتق من السمة وهي العلامة لان الاسم وسم على المسمى اي علامة
يعرف بها والمذهب الاول اولى عندهم لوجوه منها تصغيره على سمي دون وسيم وتكسيره
على اسماء دون اوسام وقد نقل الاتفاق على ان الاسم هو عين المسمى او غيره وعزي
الاول للجمهور ورجحه تاج الدين السبكي وجعل مسئلتهما لا يضر جهله ولا ينفع علمه اذ
الخلاف في هذه المسئلة كما قال بعضهم طويل الذيل قليل الطيل والذي ذهب اليه شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان الاسم هو عين المسمى وان التسمية في اسماء الله
الحسنى مثل التكلم في كلامه تعالى توقيفا عن الهلاك في تلك المهالك وقد حاذر الكساف عن التعمق في
شاذ ذكر كما اشار اليه امام المفسرين محمد بن جرير الطبري في جزء له في الاعتقاد حيث قال
واما القول في الاسم اهو المسمى ام هو غير المسمى فانه من احمقها احاذيه التي لا اثر
فيها فيتبع ولا قول من امام فيستمع فالخوض فيه شين والصمت عنه زين وحسب المرء من
العلم به والقول فيه ان يتلى القول باسجل سناؤه الصادق وهو قوله عز وعلا قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى
فادعوه وقال ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المعروف بابن الفراء عن الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري رضي الله عنه
انه قال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ونقله ابن الجوزي
في التلبيس عن الامام ابي الحسن الاشعري رضي الله عنه وزاد ولا دين له وانما ذكرنا ذلك للتنبيه على ما فيه
وانه الموفق وقال شمس الدين ابن قيم الجوزية في قوله تعالى سبح اسم ربك واذكر اسم ربك
وغيرهما اي سبح ربك بقلبك ولسانك واذكر اسم ربك بقلبك ولسانك فلا تسوي بين الالفاظ هو
المسبح دون ما يدل عليه من المعنى قال وعن شيخنا ابو العباس ابن تيمية عن هذا المعنى
بعبارة وجيزة فقال رحمه الله المعنى مسبح ناطقا باسم ربك متكلما به وكذلك اذكر اسم ربك المعنى اذكره

ابن القيم

القيم وهذه العبارة فائدتها تساوي رحله قلت وهذا كثير في كلام العرب يقحمون
المضاف ويكون دخوله وخروجه عندهم سواء وهو يعطي ان الاسم عندهم هو المسمى لا يقصدون غيره
كقول لبيد بن ربيعة رضي الله عنه الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولا كاملا فقد اعتذر
وقول غلام ذي الرمة لا ينعش الطرف الا من تخونه داع يناديه باسم الماء مبغوم
ويقولون قال حي فلان كذا وكذا وفعل حي فلان كذا وكذا يعنون فلانا نفسه فيقحمون حيا ثم يكنون عن
في ذلك باقر ان اباك حي وقد ياسر وقد كنت خائفة على الاملاق
وقال الاخفش سمعنا من العرب من يقول في ابيات قالها حي ربا يعني قالها ربا ومعنى قوله باقر يقول باقرة
ان اباك حويلدا قد كنت اخافه ان يحمق ولدي بحوقة بذبح وغلام في بجيه وصف بغلام الصبي اذا
قارب في نغانيه اذا بلغ بها ناغيا وقول لبيد من هذا المعنى وقال الآخر
وداعن باسم ربيب في مكلمه
فيفعل ذلك لان الاسم عندهم هو المسمى نفسه لا يقصدون غيره قالوا هو على الذات المنزهة
هو الله المستحق لكل كمال الذات وفي تعريف الجرجاني الله علم دال على الذات الاحدية الجامعة لمعاني الاسماء
كلها واطبق محققو المتاخرين بعده على التعبير بذلك ولم يعتبروا قول الاستاذ القشيري رحمه الله تعالى في
قوله لا يطلق في وصف الله تعالى العلم لعدم التوقيف وان كان الواجب قد اشار اليه وقد اختلف
في اشتقاقه على قولين احدهما هو مشتق وهو قول سيبويه وغيره وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الله ذو
الالوهية والعبودية فهذا يدل على صفة الالهية والقول الثاني ان اشتقاقه يستلزم مادة يشتق منها
باطل لان اسم الله تعالى قديم ازلي لا مادة له فالملزوم باطل والمشهور عند اهل الاصول ان اللازم القول
لا يلزم وقد استدل على اشتقاقه من كلام العرب بقول رؤبة بن العجاج
لله در الغانيات المدع سبحن واسترجعن من تألهي
صرح في هذا بلفظ المصدر وهو التأله من اله يأله تألها اذا فزع ولاذ اعترف بعجزه وانكساره
علما وهو لم يسم به احد غير الله تعالى ولمزيد الاعتناء ذكر في القرآن العظيم الفي مرة وخمسمائة مرة
انتهى وقد ذكر معنى ذلك النووي رحمه الله تعالى الرحمن الرحيم صفتان مشتقتان من الرحمة و
ان كانت مصدر رحم وهو متعد وحكى بعضهم قول بعض المحققين ان اشتقاقهما من الرحم بمعنى الرحمة قال تعالى
واقرب رحما وهو مصدر رحم بالضم اذ اشتقاقهما من اللازم لا يحتاج الى تكلف قال البخاري رحمان الرحم وهي
اشد مبالغة من الرحمة ونظن انه من الرحم بمعنى بالضم قال وتدعى مكة ام رحم اي الرحمة تنزل بها قال الأعشى
وانا في صاحب ذو حاجة واحث اكفي قريب رحمه
وقيل هما اسمان بنيا للمبالغة لان فعلان ابلغ من فعيل ومن لم يسم به غير الله تعالى اجرى عليه ما جرى عليه في
تسمية الكذاب وانت غيث الورى لازلت رحمانا وذلك التعنت في الكفر
نعوذ بالله كسميع العليم من ذكر وقيل ان الممنوع التسمية بالرحمن اذا كان معرفا وهو عزي خلافا للعلت حيث
قال اجمع الخلق على اطلاق الرحمن على مفيض جلائل النعم والرحيم على دقائقها ولهذا قدم الرحمن لانه ابلغ اذ الزيادة
في البناء تدل على زيادة المعنى كخرق وقطع وقطع قال شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى اسماء الرب
تبارك وتعالى هي اسماء ونعوت فهي دالة على صفات كماله محمودة وتقدست اسماؤه فلا تتناقض فيها
بين العلمية والوصفية له سبحانه فالرحمن اسم الله تعالى ووصف وثناء في اسمائه وصفته فمن حيث هو
صفة جرى تابعا على اسم الله تعالى في نحو هذا ومن حيث هو اسم ورد في القرآن العظيم غير تابع

بعد التوطئة فالوقف ظاهر قال الزمخشري ويجيء أيضا مجموع الأسمين فضل تأكيد وتبيين لا يكون
في الإفراد وقال سيبويه وقولهم انه من كلم تحية الأول ابتدأ به منهم باسقلا له بنفسه ومقا
رفقه التأكيد والصفة في كونهما غير المايتبعانه لان يعود الضمير الأول واطراحه وقد تبين بهذا
ان قول من استدل بالجملة تابعة لغيره على الصفة لتبعها بهذه الآية قول واه لا تعلق له بهذا الأمر
سند الا الجملة وذلك لا يخفى من كلامهم كما تقدم لكن علم بذلك قول شمس الدين بن القيم الجوزية رحمه
ان الضمير لله يجوز كونه دالا على صفة الالوهية لم يجيء قط تابعا لغيره بل متبوعا بخلاف نحو العالم والقدير والسميع
والبصير ونحوها قال رحمه الله تعالى ولهذا لم يجيء هذا مفردة بل تابعة فتامل هذه النكتة البديعة
يظهر بها ان الرحيم وصفة وقد قرر لي هذا المعنى شيخنا مسند الانصار المدني وبرهم
الضرير اليماني رحمهما الله تعالى على هذا المنوال كما قرأته عليهما قال شمس الدين بن القيم ولا ينافي احدهما
الآخر وجاء تعالى القرآن بالامرين جميعا وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى احدهما ذكره وهو
ان الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الاول للوصف والثاني
للفعل فالاول دال على ان الرحمة صفته والثاني دال على انه رحم خلقه رحمة فاذا اردت فهم هذا فتامل قوله
تعالى وكان بالمؤمنين رحيما انه بهم رؤوف رحيم ولم يجيء قط رحمان بهم فعلم ان رحمان هو الموصوف بالرحمة
ورحيم هو الراحم رحمته وهذه النكتة لاكاد تجدها في كتاب قال ابو البقاء الرحمن بعنى الرزق
للخلق في الدنيا على العموم والرحيم بمعنى العافر عنهم في الآخرة ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمانا فالرحمن
عام المعنى خاص اللفظ والرحيم عام اللفظ خاص المعنى اذا علمت ذلك فاطلاق الرحيم منكرا على
غير الله تعالى كما في قوله عز اسمه وانا بكم رحيم الغلب وقد نطق القرآن بذلك في قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية
بالمؤمنين رؤوف رحيم بخلاف الرحمن كما تقدم وجرها على الصفة والعامل في الصفة هو العامل في الموصوف وقال
الاخفش العامل فيها معنوي وهو كونها تابعة قلت وكان شيخنا برهم الفاسي المغربي يميل الى ذكر
يجوز نصبهما على اضمار اعني ورفعهما على تقدير هو وفيهما اوجه غير ذلك منعتها وجهان وذكر في قول الشاعر
ان ينصب الرحمن او يرتفعا ش فالجر في الرحيم قطعا منعا
وروى الاصفهاني في الترغيب بسند صحيح عن علي رضي الله عنه انه قال اللهم اني اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وذكر النسفي في
تفسيره عن علي رضي الله عنه قال بسم الله الرحمن الرحيم سهام للشرور منجنية للشرور شفاء لداء الصدور اما سمعت في
النشور انتهى وفيها من الفضائل ورد في كتب طرد عن الاذى والخطر او الوساوس كما ورد ذلك فيما تضمنته ازاحة
الصحيحة الى هيئة المنيرة ما لا يحصى كثرة ففي ما عند الامام احمد والترمذي وابي داود وابن ماجه بسند حسن وصححه
صحيح عن علي رضي الله عنه من قرأ ستر ما بينه وبين عورات بني آدم اذا دخل الخلاء ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم
وهو عند الطبراني في الاوسط وفيه اذا وضع احدكم ثوبه بدأ اذا دخل احدكم الخلاء ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم
احدهما فيه عبد الحميد بن سلمة الثوري ضعفه النجاري وغيره ووثقه رجال وبقية رجاله موثقون قال الحكيم الترمذي وانما يمتنع
الشيطان من هذا العمل وما شاكله لذكر الله وفي عدم الغفلة عنه فان للجن اختلاطا بالادميين في نائم وطعامهم
واحوالهم فاذا اصاب الانسان طرف من ذلك فليقل بسم الله فان كل شيء طائع لاسم الله طائع لما جمع فارزق الله من ادم فلا تستطيع
فكان ذكر الطابع والمقصود ان المصنف اراد استفتاح كتابه بكونه مبدوءا بالكتاب العزيز وعمل بقول صلى الله
عليه وسلم فيما رواه ابو داود وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه كل كلام لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم وفي رواية بالحمد لله
قال الخطابي معناه المنقطع الذي لا انتظام له وهو بمعنى مقطوع اليد قال الاعشى
اثرك غانية ام لم ترك ام اجبل واه بها منجذم
وفسر ابو عبيد في قوله لقي الله وهو اجذم بالمجذوم المقطوع اليد وكنى بها عن العاري من الخير وروى عن ابن مسعود انه قال
يبعثه الله يوم القيمة اجذم ليست له يد وقول المتلمس
وهل كنت الا مثل قاطع كفه ش بكف له اخرى فاصبح اجذما

على العالمين يحتمل جميع اصناف المخلوقات ففيه تفضيل بني آدم على الملائكة ويحتمل ان يكون المراد على بني آدم فقط
فيكون فيه تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام بجهة انه بأنه هو المختار من الله لهم علم كذا اذا علمت
انه سبحانه الذي ابدأ الموجودات وهو بارئها وفاطرها فاعلم انه الذي يعيدها ثم يعيد العالمين خلقا جديدا فاليه
يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه واشهد انه علم الحقق وفي قوله فاعلم انه لا اله الا الله اي تيقن ان
لا اله حق اولنا لا اله الا الله وحده اي لا اضد له ولا اند له بل هو منفرد بالذات والصفات والافعال فهو المعبود
وحده لا شريك له ونقل الكفوي انه وحده منصوب عند الكوفيين على الظرف وعند البصريين على الحال وردوه في محرر
باب الفريقين اتفقا على انه على الحال اي حالة كونه منفردا وقال في شرح زكريا الانصاري في تحفة القاري على صحيح
البخاري وحده حال تأويله بنكرة اي واحدا او مصدر وحد يحد كوعد يعد فحقه ان يكون مفعولا مطلقا اي
اي والتحقق وحقيقة الشهادة الاخبار بما علم ليبنى على ذلك العلم ان علم هو علم منقول من اسم مفعول موضوع لمن كرت
خصاله الحميدة كما قال زهير بن ابي سلمى مادحا لهرم بن سنان

ليس بفياض يداه غمامة ... طمثان الى سنة وفي سنين محلد

وقال الاعشى

البكر ابيت اللعن كان وفيها ... الى الماجد القرم الجواد المحمد

سمي به نبينا باللهام لذكر وقيل لرؤيا راها جد عبد المطلب ذكر حديثها ابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى
القبر واني في البستان له وذكرها السهيلي وغيره وقيل لرؤيا امه آمنة وقيل غير ذلك وقد سمت به العرب قبل المبعث
من اهل الكتاب والكهان بانه منهم وان امة تحمده طعلى النبوة ذكره رعد وجمع الحافظ بحر بن كوم قبل صلى الله
عليه وسلم محمد صلى الله عليه وسلم اثنان وخمسون على الصحيح انهم ثلاثة محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق عن المسهول التميمي
وهو المشهور ومحمد بن حمران من ربيعة بن نزار ومحمد بن اخيحة من الاوس وقال ابن الجوزي في الوفا انهم
ثلاثون نفسا ذكرهم وباسمه وانه من العرب وكانوا كلهم واحد منهم خلف انه استحالا فنذر كل واحد منهم ان ولد له
ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك وقد قال شاعره حاير بابت رضي الله عنه في قصيدة له

وقد قرن المحمود احمد باسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن اشهدا

وشق له من اسمه كي يجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وعند البخاري في تاريخه الصغير ان القائل له ابو طالب رواه عن علي بن زيد فلعله من تواردا الخواطر او ضمنا قصيدة
وانما سماه صلى الله عليه وسلم ولهذا لا يذكر سماه الا ويذكر معه كما في الاذان والتشهد والخطب وقد ذكر ابن سرد اس
مسلم رضي الله عنه ان الا له يغاير عبد محسنة ... من خلقه ومحمد اسماكا

والبناء تركيب اسكن له سبحانه قد ما كتبوه منها تسمية محمد واحمد قبل ان يولدا ثم ذكر تبارك وتعالى ايذانا برفع محامد
الاخلاق وما يحبه الخلق من كريم حتى بلغ الى العلا المحامد برتبة وتكامله له المجد من الخالق والخليقة وظاهر معنى
اسمه صلى الله عليه وسلم على الحقيقي فهو اللذي قام بها البناء كما فسره صلى الله عليه وسلم وقال
سبعة عشر ذكرا في بعض الحفاظ واعلم وامـا احمد فلم يسم به احد قبل صلى الله عليه وسلم صيانة له عما كهي
وعي الالباس لانه اشهى اسمائه عند اهل الكتاب وهذا قال عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد واول من سمي به والد الخليل احمد الا ان ذكر ابو بكر فحو لاني ذيله على المستغاث ان الواقدي زعم انه كان كعوف
ابي عبد الله احمد وقيل اسم ابي حذيفة الصحابي احمد وحكاه ايضا ابو القاسم بهذا وحكى ابو زرعة ان عثمان ابا هاشم
المخزومي وكان علابا نسابهم عن اسم ابي عمرو حذيفة بن قيس رضي الله عنهما فقال اسمه احمد وحكى ابن حبان ان اسم
ابي محمد الذي يقول ان الوتر واجب احمد وقد سمي محمدا قبل مولده صلى الله عليه وسلم عبد هذه الاضافة
هي احض الاضافات للعبودية وشرفها واجبها الى صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى ينوها بذكره ﷺ في مقام التقريب بالاسرى بعبده
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وقال في مقام الامتنان بتنزيل القرآن الذي هو اعظم
المقامات الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

فاسئل

وقال في مقام الدعوى وانما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا

فصل العبودية هي اشرف مقامات الرسل عليهم الصلاة والسلام واجلها وهي العبودية الخاصة ولهذا قال تعالى اذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار فوصفهم بالقوة في الدين والبصائر وقال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبدنا داود وقد نوه ذكرهم بالعبودية في غير موضع كيف ونبينا صلى الله عليه وسلم انما قام على هذا المعنى حين دعي الى الاسلام فوقف لجبريل فقال له جبريل يا محمد يا بني عبد المطلب ان الله قد اعطاكم بحر ضمم يدركم على ما يقتضيه اسم العبودية ثم حقيقة العبودية التذلل والخضوع والتجرد لخالق العبد وهي طاعة مع ذلة في المأمور وتجنب المحظور قال بعضهم

واذا تذللت الرقاب تذللا ... منا اليك فعزها في ذلها

قال ابو علي الدقاق رحمه الله ليس للمرء صفة اتم ولا اعلا ولا اشرف من العبودية كما قيل

لا تدعني الا بيا عبدها ... فانه اشرف اسمائي

وفي التعريفات الجرجانية العبادة فعل المكلف على خلاف هواه تعظيما لربه والعبودية الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضى بالموجود والصبر على المفقود وهو وله وهذه اضافة اخرى شريفة ايضا فعبد رسول خبر ان لان مرفوعان بها والواو عاطفة على الاول وانا هو في تعريف الرسول انا نبأ وحي اليه بشرع واثر بتبليغ والنبي انا وحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فكل رسول نبي ولا عكس فمحمد صلى الله عليه وسلم ارسل الى الجن والانس كافة بالاجماع وبالكتاب قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس من الانس والجن اجماعا وذكر تاج الدين السبكي ومن تبعه من ائمة الشافعية وجها ان الملائكة داخلون في عموم رسالته واستدل بقوله ليكون للعالمين نذيرا اذ العالم بفتح اللام ما سوى الله تعالى وبخبر وما ارسلت الى الخلق كافة وهذا وان كان الدليل صحيحا فليس بصريح فقد لكذا وزاد السيوطي ارساله الى نفسه ذكره في كتابه التنزيل الابريز في ارسال النبي صلى الله عليه وسلم الى الملائكة والرسول فعول بمعنى مفعل بفتح العين قالوا وهو بابه هذه اللغة الا نادرا قال ركوزي اثرك بخط ابي العباس عقيد فوق من دون ما تقولون في قوله وبعثت الى الخلق كافة والنظر والتامل عند هذا لانه لو كان النبي مبعوثا الى القوم فقط من تقدمه الى غيرهم لان صيغة التخصيص في الارسال لا تقتضي العموم فلو كان موسى صلى الله عليه وسلم انما بعث خصوصا ببني اسرائيل لم يجز له ان يقول لامته ان منكم من الامم ما لو نعما جاءهم لم يجز له كما انه لا يجوز له ان يخبر هؤلاء اذا كان مبعوثا الى بني اسرائيل خاصة فان قلت انه منع من ارسال من شيء شيء من انواع الخلق لم يجز لك فاد بطل هذا بان كل رسول انما بعث الى جميع الخلق وكيف تقول ان الرسل الى بني اسرائيل خاصة والناس الجبارية اتباعه وتركه قال **وطريقة اخرى** وهو ان الله تعالى رفع العذاب عن الخلق مع عدم المرسل بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولبث على الخلق بعد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين واهلك الله بالطوفان جميع اهل الارض لمخالفة نوح عليه الصلاة والسلام فلو لم يرسل الى جماعتهم لما اهلكهم على انه دعاء **فاجاب** بان عقيل رحمه الله تعالى فقال خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم خاصة من وجه خفيت على كثير من العلماء وذكر ان شريعته جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها فلم يبق دين من الاديان التي جاءت بها الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الا امر بتركها ودعى الى شريعته ومعنى قوله كل نبي بعث الى قومه المراد انه كان يجتمع بالعصر الواحد نبيان يدعو كل منهما الى شريعته تخصه ولا يدعو الا الى شريعته بعث فيها غيره الى شريعته ولا يصرف عنه ولا ينسخ ما جاء به الآخر فهذه خصوصية له لم تكن لاحد قبله حتى ان نوحا عليه السلام لم ينقل عنه انه كان معه نبي قد بعث الى امته يعني علة ذكر النبي ولم يوضح هذا قوله صلى الله عليه وسلم لو ادركني موسى لما وسعه الا اتباعي فهذه خصوصية التي لم تكن لاحد من جميع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فقد تبين بهذا ان العموم الذي في رسالته نوح عليه السلام انكر في اصل البعثة ولهذا قال تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه وانما وضع العموم لغير الذي ادعاه وهو اختصاص الخلق الموجودين بعثه بهلاك سائر الكفار وبنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

في اصل البعثة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال ليكون للعالمين نذيرا وقوله صلى الله عليه وسلم
انما انا رحمة مهداة وارسلت الى الخلق كافة وقد ورد خبر نزول عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة
والسلام واردنا ذكره للمناسبة فروى ابن مردويه في تفسيره والخطابي في غريبه عن ابي ذر رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال
ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا ورواه الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتاب الانواع والتقاسيم له وصححه لكن
خالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات وقال الامام احمد حدثنا وكيع ثنا المسعودي
عن ابي عمرو الدمشقي عن عبد الله بن عبيد الله الدوسي عن ابي امامة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
كم كان الرسل قال ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا او قال جما غفيرا وقال مرة خمسة عشر رواه النسائي
ايضا من حديث ابي عمرو الدمشقي به قال ابن بري المسمى الانبياء انبياء لانهم قد ارتفعت عن تلبس
وتعلق رجلهم على سائر الخلق وقال غيره ايضا انما سموا انبياء لانهم طرق الى الله سبحانه وتعالى
ويشهد للقول الاول قول اوس بن حجر التميمي سعدي

لاصبح رمادا قاحلا احصى ... مكان النبا من الكاتب

يريد بالنبا هنا من احصى اذا دق فيندرج الكاتب بالجامع لما ذكرته ويقال ان النبا والكاتب هو ضغاث
وقيل هو بالهمز من النباء يجمع على نباء قال عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه

يا خاتم النباء انك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا

فهو اذا من اخبر كما قاله في التوشيح لان فعيلا وهو صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين
جملة فعلية دعائية فاني بها المصنف رحمه الله تعالى لادائها على اكمل وجه واتم عدد والصلاة لغة الدعاء بخير
ولاستعمال العبادة المخصوصة وهي ذات الركوع والسجود على الدعاء اوشبه فاعملها الخضوع والذل بالدعاء سميت
بها شرعا على القول باعتبار المناسبة بينهما كما علم محققو الاصوليين وجمهور الفقهاء لكنها هنا
دعاء مخصوص اذ هي الماذون بها مع الكلام في ان الله وملائكته يصلون على النبي وقد ثبت كما
في صحيحة الصريحة انها الدعاء بلفظها وقد مر الكلام على قول الاعشى

تقول ابنتي وقد قربت من ... رحلنا يا جنب ابي الاوصاب والوجعاك

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فان لجنب المرء مضطجعا

يقول عليك مثل دعائي الذي دعوت لابيك واتى المصنف رحمه الله تعالى بلفظ الماضي تحققا لوقوعها له صلى الله عليه وسلم
ولعله رحمه الله اقتصر على افراده بالصلاة عليه عن آله واصحابه تأدبا مع الآية الكريمة فلم يذكر آله واصحابه مع
الاتفاق اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا ووردت به السنة الصحيحة الصريحة في آله
كما في التشهد وجوزها بعضهم على غيرهم مع افرادهم بشعار او الاله مطلقا هرة بذكر خصوصا وعموما
كما صح في صلاة ابراهيم انه قال اللهم صل على ابي اوفى ثم اتوه بصدقتهم وهذا اصح الروايتين عن الامام احمد واختاره
شيخ الاسلام ابن تيمية والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين
التضرع والدعاء هذا معنى ما قاله الازهري عن علماء اللغة وفي مذيب في جامعه عن سفيان الثوري وغير
واحد من اهل العلم وعلى جريان المحققون من العلماء وتقييدها بما ذكر كونها اخص من مطلق الرحمة وعطفها عليها
في آية اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة عطف عام على خاص وهو صحيح مقيد قال السيوطي رحمه الله تعالى عطف
العام على الخاص لنكت بعضهم وجوده فاخطأ والفائدة فيه واضحة وهي التعميم وافراد الاول بالذكر اهتماما
بشأنه وذكر اعدادا من امثلة في القرآن واتى بها المصنف رحمه الله تعالى بما تضمنه قوله ورغما لكل من كرر اذ عنا
كما ورد الا اذكروا الله وتذكر معي رواه ابن حبان في صحيحه واتى بالكلام جذرا من كراهة افراد احدهما على ما نقله
النووي عن العلماء رحمهم الله وحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هو الامر في الآية الكريمة بها للوجوب فيه خلاف

عند العلماء رحمهم الله والتسليم هو التعظيم والتسليم ومعناها الاخبار بالسلامة من كل مكروه والجمع بينه و
بين الصلاة مستحب وافرادها عن الاخر مكروه كما مر قريبا

كتاب

الكتاب مصدر سمي به المكتوب كالخلق بمعنى المخلوق قال صاحب المطلع يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة والكتب
جمع وقد يقال كتب البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة او سير قال سالم بن دارة يهجو فزارة

لانا بنى فزارة خلوت به ... على قلوصك واكتبها باسيار

وبنه الكبسة وهو يكبش وهو خبر مبتدا محذوف اى هذا كتاب التوحيد اى الجامع للاصول والاحكام و
التوحيد مجرور بالاضافة وهو مصدر وحد يوحد توحيدا فهو موحد وهو لغة العلم بوحدانية الشيء ثم حكم بها في متعارف
من حيث الاطلاق ما قولك في وحد فلان فلانا اذا علم وحدانيته بالعقل وفي هذا العلم اذ لم يواسه بالعقل فيه ونبه بقيد صلى الله عليه وسلم ان سافر
الرجل وصدق كذا اذا افرد الرجل شاء على اى قال افردته ووحدته فلما كانت العرب تعرف ذلك في لغتها وكانوا
يوحدون الله سبحانه في ربوبيته كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقوله
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون وقوله قل
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون وقوله قل
اجهموا وانباعهم ينكروا ذلك ويقولوا لا نعرف الا ان الله خلقنا ورزقنا واماتنا واحيانا ولا يكون الا ما شاء وقدر فاثبت بعد عجز
فيما يفعل العقول ثم قال تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانا
تسحرون فاثبت في الربوبية الرزق والاحياء والاماتة وتدبير الامر قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون وكانوا مقرين
لوهية تلبيتهم كما نبه عنه في الصحيح لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكان قد الف
هذه التلبية من بقايا دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ولما جاءهم بالتوحيد الذي لا يتم الا بالبراءة من الشرك
يلبون تلبيتهم مع عملهم الشرك فاذا قالوا ذلك لبطلان ما هم فيه قال قد قد اي حسبي قد بلغت كما تقدم
الله الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ان يعبدوا الله وحده فلما دعاهم الى ذلك عجبوا وقالوا اجعل الالهة الها
واحدا ان هذا لشيء عجاب وهذا كان ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ومع ذلك عاندوا
ويتعجبون مما دعاهم اليه الرضى الله عنهم ودعت اليه الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام وقال تعالى له واسئل من
ارسلنا من قبلك اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فلم يبعث الله رسولا الى قومه الا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره وقال بعض العلماء رحمهم الله التوحيد من الالفاظ التي عرفت ونقلت بالاغراض الى معنى الى معنى
غير ما اراده السلف الصالح وذلك ان الله جعل الآن عامة من ضناعة الكلام ومعرفة طرقه الى دلالة وعلى المكلف
به العلم بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصة هذه الضناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول وكان التوحيد
عندهم عبارة عن امر لا يفهمه الا المتكلمون ولا يفهمون بتصفحه وهو ان يعرف الانسان ان الامور كلها من الله كما
مر وبه يقطع بالتفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الا الله وان شرط الامن والتوحيد جوهر نفيس وله
قشران احدهما ابعد عن اللب الا وهو خصوص اسم الاسلام بالقلب وبصفة الكراسة للقرطاس اهل اللب بالكلمة
فالقشر الاول ان تقول لا اله الا الله والثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا
القول الذي معناه الايمان بالله والكفر بالطاغوت والمتكلمون لحراسة هذا العلم عن شوب البدعة وهذا العلم
هو المراد هنا بعلم التوحيد اذ هو اهم واعضد سائر العلوم عند سلف الامة وسائر الائمة لتوقف
اصل الايمان واكماله عليه وذلك لاشتماله على معرفة توحيد الله بما هو الذي هو اول المكلف وضد وجبني
سائر الواجبات فالقدر الذي يتوقف عليه صحة ايمان المكلف من هذا العلم واجب التقديم وما سواه صمانيو
قف عليه كمال الايمان تقدم بهم ومن العلم الاول يعلم لفظ الشهادتين وتفهم معناهما وتفصيلها
اجمل فيهما وشرائطها تحتهما وحاصل معناها ان لا معبود بحق العبادة الا الله وان محمدا صلى الله عليه وسلم
صادق فيما اخبر به عن ربه فاذا حصل هذا سهل عليه توحيد الباري جل وعلا في افعاله وصفاته بما وصف به نفسه
ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدق من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بخلق

تليق بجلاله وكماله لا يعلم كيفيتها الا هو كما قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال في سياق النفي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ومن صفاته الاحدية ويكفي في ذلك دلالة على توحيد القول والعمل ونفي النقائص عنه كما مر وانه ليس كمثله ولا عديل ولا نظير ولا ظهير سوى ما لا اخلاص من قالها الكافرون وقال هو الحق

اذا فهمت ذلك فاعلم بان التقليد في الاعتقاد ممتنع على الصحيح عند علماء الائمة الاعلام المطلعين فيها اليقيني ولهذا قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله اي تحقق ويقن ذلك قالوا فيجب على كل مكلف معرفة الله تعالى بالدليل لا على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها كما ذهب اليه الاشعرية والمعتزلة من انه لا يصح الايمان الا بذلك وهذا مذهب المعتزلة وبعض اقوام على الاشعري وطايفة بانه يلزم على هذا الذي وافق المعتزلة تكفير عوام المسلمين وهو غالب المؤمنين حيث لم تعلم ارادة ان ايمان كان التقليد اخذ القول الغير بغير حجة فهو حسن كما شكوه وهم والا يكفي في ذلك طريق العامة كما هو مذهب اهل السنة والجماعة كما ياتي الاخبار الى الاصمعي وقد سئل الاصمعي بما عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والاثر القدم يدل على المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج الا يدلان على اللطيف الخبير والقصد صدور من قال وهو ابو العتاهية

ومن شر وفي كل شيء له اية ... تدل على انه واحد

على ان ثم وعلى صفاته وان طريق المتكلمين في ذلك غير متعين هذا هو الصحيح الذي عليه الائمة وسلف الامة من المحدثين والفقهاء الراسخين فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يطالب الاعرابي سوى التصديق الجازم مع التلفظ بالشهادتين والعمل بمقتضاها وكذلك الخلفاء الراشدون وسائر من تبعهم من الصحابة في عهدهم من صدر الاول قال النووي رحمه الله هذا هو الظاهر من مذهب السلف وكافة الخلف ان من اعتقد دين الاسلام اعتقادا جازما خاليا عن الشك ونطق بالشهادتين [redacted] فهو مؤمن موحد ولا يجب عليه ادلة المتكلمين وما اوجب ذلك من المعتزلة وغيرهم من اصحابنا فقد اخطأ وقال ابو محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري يسلم من اعتقد الايمان بقلبه ونطق به بلسانه فقد وفق سواء استدل او لم يستدل هو مؤمن عند الله تعالى وعند المسلمين قال تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وفي الاية الاخرى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ولم يشترط عز وجل في ذلك سوى هذا الاول ولم يزد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بعثه اياه تعالى الى ان توفاه الله الا على ان يقولوا لا اله الا الله ويلتزموه ولم يكلفهم قط سوى هذا الاول ولا اسلم احد قط الا على هذا ثم استدلوا او لم يستدلوا وعلى هذا جميع اهل الاسلم الى اليوم وبالله التوفيق **قلت** ولهذا قال بعض اهل السنة والجماعة كتبت الكلام بيميني ان اول الواجبات على عباده الله وحده وهي التوحيد لاطباق الرسل عليهم كذلك على انه اول ما تدعوا اليه كما شهد بذلك القرآن العظيم المعجزة ويعلم ذلك ضرورة ما قرر صحابة على المركوز من علم الربوبية التي اقروا بها فعلم بذلك ضرورة انه هو المعبود وصح كما تقدم عن ابي مطيع الاصمعي فتبين للطالب ان التقصير في علم التوحيد ومقام الالوهية والربوبية على المعتقد القديم الموجود في عصر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من اهل السنة والجماعة وانه والحدث فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وعليه بالطريق الاولى والمقصد الاسنى **فقد قال** عبد البر اجمع اهل الفقه والاثر من جميع الامصار ان اهل الكلام اهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء وانما العلماء اهل الفقه والاثر **وقال** بشر توحيد اهل البدع طرس المجوس لكونه خاليا من الاغراض والاحكام وانما بعث عيسى عليه السلام بانكار ذلك **وقال** ايضا اجمع ائمة الهدى المحكوم بكفر من خالفهم على ان الكلام في الكلام بدعة والخوض فيه حرام وانه افحش من ان يرد به **فصل** واول من احدث الكلام في الملة الاسلامية والكلمة المحمدية معبد الجهني وغيلان الدمشقي وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وزرعة وغيرهم من رجال المعتزلة والقدرية والجهمية والمرجئة والجبرية والقدرية وتابعت بعدهم الاحداث فنبغ العلماء عليهم وهجروهم وهدوا على ذلك وكان قبل ذلك ضرب من ذلك في المتشابه كما جرى من الفاروق عمر رضي الله عنه

ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس
به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن
قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا هو الذي من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم
خذها إليك يا أعور وفي رواية عن الأعور علي رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله إن ابنك ستفتن من بعدك قال
فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سئل ما المخرج منها قال كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد فذكره وقال فيه ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه فالحارث الأعور هو
ابن عبد الله الهمداني من كبار علماء التابعين مع ضعف فيه قال ابن حبان كان غاليا في التشيع واهيا في الحديث
وضعفه في كل من الأربعة والنسائي في سننه الكبرى مع تعنته في الرجال فقد احتج به وقوى أمره قال
والجمهور على توهين أمره مع روايتهم لحديثه إذ هو حديث يشهد له لفظا بالصحة فأما ما
اشتهر على الألسنة من أن معاوية رضي الله عنه قال إنما هي أحاديث كنا نحدث بها في ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكذب على معاوية رضي الله عنه وما علمت أحدا من الصحابة قال ذلك ولا نقل صحيح
ولا سقيم وإنما معناه على تقدير صحته أن ما ذكر معاوية في مسند الدارمي أيضا عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة
فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت فقال أنا صبيغ فأخذ عمر عرجونا
من تلك العراجين فضربه به وقال أنا عبد الله عمر فجعل له ضربا حتى دمي رأسه فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب
الذي أجد في رأسي وفي رواية الدارمي أيضا بسنده عن نافع مولى عمر أن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من
القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث عمر ومن الغاشية عمرو بن العاص إلى عمر وبكتاب فلما أتاه الرسول بالكتاب قرأه فقال
أين الرجل فقال في الرحل قال عمر أما إنه سيكون ذهر فيصيب بمعنى العقوبة أموجعة فأتاه به فقال عمر من أنت قال أنا عبد الله
فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له بمثل ما صنع به فقال
يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك
على الرجل فكتب أبو موسى أنه قد حسنت هيئته وكتب عمر أن ائذن للناس في مجالسته وفيه الضحاك بن سفيان عن
واصل عن امرأة يقال لها عائذة قالت رأيت عبد الله بن مسعود يوصي الهار والغاد ويقول إن أدركتكم من هذا
وأمثاله فالسمت الأول فإنا على الفطرة قال عبد الله بن عبد الرحمن شيخ الدارمي راوي هذا الحديث عن عبد الرحيم بن سليمان
عن هشام بن السمت الطريق قلت وأظنه قول أبي موسى على الصلاة والسمت لا تشبه على الكلام كما في
صحيح وأرينيه السمت يعني الطريق وفيه أيضا عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن جاره رجل فقال
إن فلانا يقرأ عليك السلام فقال عمر بلغني أنه قد أحدث فإن كان قد أحدث فلا تقرأ عليه السلام قلت
وكان السلف الصالح رضي الله عنهم من الأئمة وغيرهم يعيبون على أهل الكلام خوضهم في الكلام في صفات
الله تعالى جل الإله واقتداء بالنبي صلى رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وأخزى عنهم وأخزى عليهم
بدين العجائز قال عالم قرشي الإمام الشافعي رضي الله عنه لئن يلقى الله العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام وكذلك قال إمام السنة وقامع البدعة أحمد بن حنبل
فإنه كان شديدا على المبتدعين ولهذا الأهواء وقد دخل في الكلام من دخل من أكابر العلماء
رحمهم الله قال بعض الأئمة الذين هجروا في آخر أمرهم قال الإمام أبو المعالي الجويني إمام الحرمين
رحمه الله لقد خلطت في مذاهب أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه
كل ذلك في طلب الحق وأنا الآن قد رجعت عن الكلام إلى كلمة أكتفي عليكم بدين
العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز وختم عمره بكلمة الإخلاص في الويل

يصلح الله تعالى في ليلة وهو عند ابن ماجة بهذا اللفظ وعند ابي داود وغيره انه من ولد فاطمة لكن الاكثرين على الاول
الخاصة في هذه الامة على الخصوص على قيم لله تعالى وعند ابي نعيم ليبعثن الله من عترتي رجلا افرق الثنايا اجلى
الجبهة يملأ الارض عدلا وعند الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة رفعه المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون
لون عربي وجسمه اسرائيلي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض وعند الطبراني في
يلتقط المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأنما يقطر من ثنيته الماء فيقول المهدي تقدم صل بنا فيقول عيسى عليه
الصلاة والسلام انما اقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي وعند احمد في صحيحه في ذكر المهدي نحوه
ولا عجب في عمل جمع اخبار المهدي على محمد بن عبد الله المنصور العباسي وسمى الحديث رواه ابن عدي ولفظ المهدي
من ولد العباس فقد رأى الذهبي وناهيك به تقدمه محمد المولود مولى بني هاشم وكان يضع الحديث وفي كذبه
صاحب هذا القول ايضا ما رواه الامام احمد عن ثوبان رضي الله عنه قوله اذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان
فالحقوها ولو حبوا فانه فيها خليفة الله المهدي فقد قالوا انه في اسناده مقال لا على تقدير صحته فليس المهدي
ذكر بصريح وفي رواية في معجمه وسنده نحوه وعند الطبراني والبزار والحاكم في صحيحه في مدة حكم المهدي بسبع
او ثمان او تسع يعيش فيكم وفي رواية تمكث فيكم سبعا او ثمانا قال الراوي لا ادري اسبع سنين او ثمان او تسع
سنين وفي اخرى المهدي خير امتي يعيش خمسا او سبعا او تسعا الحديث واغلب الروايات ان ملكه سبع سنين بلا شك وعند
الامام احمد وسلم في صحيحه ولن يخلف احدكم في امته الى ان يلقى ربه خليفة نبيه الا ما خلف فيهم نبيهم
نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف انتم اذا نزل
ابن مريم فيكم وامامكم منكم وهو في صحيح مسلم بهذا اللفظ وعند البخاري صلى امامكم العرب لان الامر
لهم خصوصا قريش بني اسمعيل على كماله كما يروي الامام احمد ومسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وعند البخاري
قال الناس تبع لقريش في الخير والشر وعند الطبراني عن عثمان رضي الله عنه مرفوعا من اهان قريشا اهانه الله تعالى وقال
لم يسلم وكافرهم لكافرهم وعند الامام احمد بسند صحيح والحاكم عن عثمان رضي الله عنه مرفوعا من اهان قريشا اهانه الله تعالى وقال
ابو داود وشاهده ما رواه عن قتادة عن انس الطفيل قال انطلقت انا وعمر بن ابي بن كعب
صبيح حتى اتينا حذيفة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الحي من قريش لا يدع شيئا في الارض عبدا صالحا
الا افتنه واهلكه حتى يدركها الله بخونة من خلل فوزها حتى لا يمنع ذنب تلعة وعند الامام
احمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما بعد يا معشر قريش انكم اهل هذا الامر ما لم تعصوا
الله فاذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب كان في يده وعند الامام احمد
عن معاوية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين
وهذا رواه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ في باب الامراء من قريش وعند احمد ايضا عن ابي اليمان ما شعيب عن الزهري
قال كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث ان بلغ معاوية وهو عند وفد من قريش فذكر عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث
انه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية رضي الله عنه فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال بعد فانه بلغني
ان رجالا منكم يحدثون احاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك جهالكم فإياكم والأ
ماني تضل اهلها فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الامر في قريش ورواه مسلم بهذا اللفظ ايضا وفي
البخاري ايضا في هذا الباب عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان وفي
عند الامام احمد والنسائي والضياء عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش ولهم عليكم حقوق مثل
ذلك ان حكموا عدلوا واذا عاهدوا اوفوا واذا استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفي معجم الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا امركم امركم حتى
فان اولى من سلبتني ملككم وحولوه الله بنو قنطورا وفي سنده مروان ساء ضعفوه ولكن يقوي هذا لمعنى
قوله مخاطبا لقريش فيما تقدم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي عند الامام احمد فاذا عصيتموه بعث الله عليكم
من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب في يده وقنطورا اسم جارية لابراهيم عليه السلام منها الترك وقيل انهم بنو عم يأجوج ومأجوج

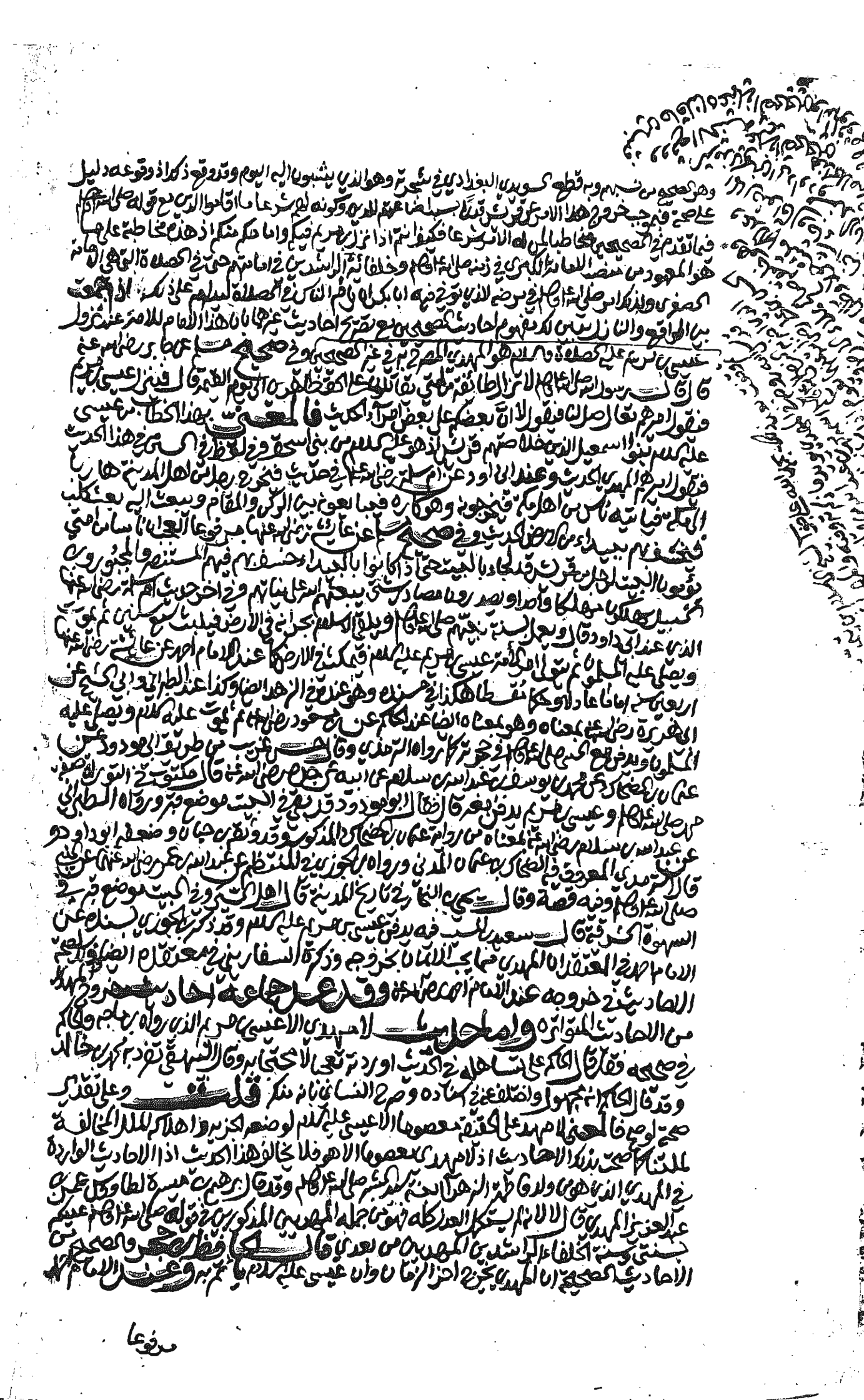

مرفوعا ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض الحديث

وقد ذكرنا هنا في الحاديث

التي في خروج المهدي وبعضها موقوف على علي رضي الله عنه بحديث عبد الله بن الحارث بن جزء الذي أوردناه في أول هذا الفصل والله الموفق وله الفضل والمنة فمن مرق واتبع الكذابة الذين أمروا بسبها وحث رسوله صلى الله عليه وسلم على الاهتداء بهما وقد اهتدى بهما فاعتدى إليهما صار مرتدا بهذا وباهدا بما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه بقوله اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به وفي حصر له ذلك في عمله

المهديين صاحب هذا الكتاب والمهدي الهادي بإرشاد الله تعالى خلصه لرسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام في سورة الأنعام قال وممن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وقال تعالى نظرا لله تعالى إلى الكافة من العرب والعجم عموم سعيهم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعلمه من مخالفة آبائهم وبخروجهم على طريق الهدى مقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب كما في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه الذي في صحيح مسلم وغيره إن قال صلى الله عليه وسلم إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ان كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وقال الله تعالى نظر إلى أهل الأرض ومقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب وهذا تصديق قوله تعالى في قوله في إبراهيم عليه السلام وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ومصداق أيضا إجابة لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين دعا لأهل مكة ان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين فبعث الله تعالى فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت حاجة البشر وقت الله تعالى أهل الأرض عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب يعني بقايا بني إسرائيل ممن تمسك بدين عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت العرب قديما تمسك بدين إبراهيم وإسمعيل عليهما السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه وكانوا أول من غير دين الله عز وجل كما سيأتي ان شاء الله تعالى في موضعه توضيحه فاستبدلوا بالتوحيد شركا وبالقرآن كفرا وابتدعوا أشياء ما أنزل الله بها وكذلك أهل الكتاب قبلهم بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها على غير تأويلها فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق فيه هداية لهم وللبشر جميع ما يحتاجون إليه من معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الله ورضاه عنهم والنهي عما يقربهم إلى النار وما يسخط عليهم إجمالا في كتاب حاكم فاصل لجميع الشتات كالكوز والدبس في الأصول والفروع وجمع الله تعالى ولله الحمد جميع المحاسن بجميع القبائل وأعطاه ذلك كله أجمعين العالمين فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أخيائه ورسله ما تعاقب الليل والنهار إلى يوم الدين ولهذا قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقال ليكون للعالمين نذيرا فلما ان هدى الله من هدى منهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم صار أمام المهديين فلا مهدي الا من كان على طريقته من كل من بعد حتى عيسى عليه السلام مر بعد صلاته معه ثم بعد توليه إذ هو لا يعدل الا شرعه حتى يكون لا يقبل من أهل الكتاب الا الإسلام أو القتل إذ لا يقبل الله في شرعه صلى الله عليه وسلم ما لا يعدل به الا بعد نزول عيسى بن مريم عليه السلام فيما بلغنا وكان صلى الله عليه وسلم

قد بعث والخلق أصناف شتى في أديانهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئون وعبدة الأصنام والملاسفة فأما العرب الذين بعث منهم فكانوا أيضا أصنافا شتى

منهم معطلة ومنهم معطلة فمنهم من ينكر الخالق والبعث والإعادة كما قال الله عنهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فجعلوا الذي يميتهم ويحييهم هو الدهر وسيأتي النهي عن سب الدهر في موضعه إن شاء الله تعالى وبعضهم أعتى وأبى فأنكر الخالق فقط وأنكر البعث أيضا كما قال الله عنهم في قوله وقالوا من يحيي العظام وهي رميم وقد نطق شعر زيد بن عمرو بن نفيل في صلاته يوم بدر قول بعضهم

الى قال

فماذا بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والقوم الكرام
اخبرنا بكبشة ان سنحيا ... وكيف حياة اصداء وهام
ايقذفني اذا ما مت قومي ... وبعدي اذا رمت عظامي

وكان منهم من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح من جسد الى جسد وقيل ان اكثرهم كان يعتقد ذلك ومنهم من ارباب الهامة الذي قال عنهم صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وسيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

ومنهم من انكر البعث من الاعادة وانكر الرسل عليهم السلام وعبد الاصنام وزعم انها شفعاء عند الله تعالى في الارض وحجوا لها ونحروا لها وقربوا لها القرابين وحللوا وحرموا تحليلها تحريما من عند انفسهم وهم جمهور العرب الذين قال الله عنهم وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله تعالى وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا الى قوله فلا يستطيعون سبيلا وكقول زهير بن ابي سلمى المزني

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم حساب او يعجل فينقم

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي المطلب

يا عين وابكي ابا السعطاء شيبان ... يبكينه حسر امثل البلايات

والبلية ناقة تعقل عند قبر صاحبها وتعلف وتسقى عندها الى ان تموت او هي البراذع ويشد عليها الاوعية وتربط عند القبر قال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه يرثي رجلا

تأوي الى الاطناب كل مذرية ... مثل البلية قالص اهدامها

يقول انها سمنت وارتفع ما على البلية من الاهدام وهي الخلقان البالية التي تجعل عليها لانها تترك على قبر صاحبها حتى تموت جوعا وعطشا يقولون اذا جعل عليها راكبا وسافر فعل معروفا كثيرا عندهم خير راجل وعلى هذا مذهب من كان يقول بالبعث منهم مع اتخاذهم الشفعاء كما قال الله عنهم حاكيا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى واوصى جرهم ابنه عمرا لما حضره الموت بذلك فقال

لا تتركن ابا كبكر مرة ... عدوا يجر على اليدين ويثكب

في ابيات ذكرها ابو علي القالي في امالي وخاطبني بها الله تعالى في غريبه وقال شاعرهم الاخر

ذو البلايا رؤسها في الولايا ... ما خلا السوم حر الخدود

وفي المثل جاءت البلايا تحمل الولايا فكان عباد الاصنام في عبادتها مختلفين فمنهم من يتخذها شركة للباري جل وعلا كقولهم في تلبيتهم وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في محله لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشركة بل يجعلها وسائل ووسائط وذرائع الى الخالق وهذه الوسايط والوسائل قد تنقل عندهم وقد تكرر وهم الذين قال الله عنهم فيما حكاه عن العزيز والذي اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وانما خلق لعبادة الواحد القهار الذي خلقهم من العدم ورزقهم من الطيبات وركبيهم العقول والاسماع والابصار وارفقهم واعظم فاسبغ عليهم نعمة الرسل عليهم السلام اليهم ليدلوهم على دوام ما يصلح به امر دنياهم وليعدل لما بعث الله جل ثناؤه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا اليه باذنه وسراجا منيرا انزل عليه بيانا ما خلق الا لجله وهو ما ذكره سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال فما قاتلهم ما خلقتهم الا لامرهم بالعبادة ولو انهم خلقوا للعبادة ما عصوا الله طرفة عين وقال مجاهد يعني ما خلقتهم الا لآمرهم وانهاهم وقال البخاري عند تفسير هذه الآية الا ليعبدون ما خلقت اهل السعادة من اهل الفريقين الا ليوحدون وذكر ليلا يعارض قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال بعضهم خلقتهم ليفعل بعضهم ويترك بعضهم قال البخاري وليس فيه حجة لاهل القدر فمعنى الآية عندنا على ما قاله مقاتل ومجاهد وعلى ما قدمه البخاري رحمه الله ان العبادة فيها هي توحيد الالوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بان يعبد وحده لا شريك

له

له العبادة التي تجمع غاية الحب والذل والانقياد وأثبت نعوت الكمال لله تعالى والاخلاص له فهي على هذا القول كقوله تعالى
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واللام في قوله إلا ليعبدوا لام التعليل خلافا لمن أنكر ذلك
على البيضاوي وغيره فقولهم إن الكون للتعليل وجعلوها لام العاقبة وقالوا ليس في القرآن لام تعليل قال شيخ
الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وقد جمع الله تعالى وصوفي بكذا فقالت طائفة معناه
راجع إلى العلم بأفعال العباد وإلقائها على الوجه الذي أراده تعالى وهذا قول الأشعري وسائر مثبتي
أهل السنة والجماعة بل هو حكيم في خلقه وأمره وكل ليس مطلق الفعل إذ لو كان كذلك لكان يريد حكيما ويعلم
أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة بل الحكمة ملازمة لأمره وخلقه من العواقب المحمودة
كما الأشعري ومن وافقه من الفقهاء يقولون ليس في القرآن لام التعليل في أفعال الله تعالى بل ليس فيه إلا لام العاقبة
وأما الجهمية فيقولون بلام التعليل داخلة في أفعاله تعالى وأحكامه فأكثر أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل
فالقائلون بالتعليل يقولون إن الله يرضى ويحب لذاته ويريد لذاته وأكثر الأشعرية فيقولون
المحبة والرضى والإرادة سواء ويقولون لا يحب الكفر ولا يرضاه وإن كان داخلا في مراده الكوني القدري
كما دخلت سائر المخلوقات مما لا يذكر لحكمة وهو وإن كان شرا بالنسبة إلى الفاعل فليس كذلك شرا بالنسبة إلى الفاعل
بل يكون عدم الحكمة بالنسبة إليه شرا فإن الله تعالى في خلوقاته بحكم تخفى قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن
عملا وما عليها الموت ذوات ثم قال وإنا لصعيدا جرزا وفي قوله أيام أقام يوم لكم يحبه لعمر رضي الله عنه كما في صحيح البخاري وغيره
بعد قوله الشماء على أكتوعدونا على النطاق فلم نعط الدنية في ديننا أني عبد الله ولست أعصيه وهو ناصري
أقر النبي صلى الله عليه وسلم الربوبية بأنه مملوك له يفعل به ما شاء وبالوهية بأنه متعبد له طاعته فلا
يعطيه وفي قوله وهو ناصري وفي لفظ آخر ولن يضيعني بيان الحكمة تعالى وأن الفعل لحكمة إذ قد علمت
بأنه سبحانه هو القادر على كل شيء وبيده خزائن السموات والأرض وقد نال الكفار من رسوله ما نالوا وقد ذكر الآمر بحكمة
منه تعالى وما خفيه على الفاروق رضي الله عنه صلى الله عليهم بهذا الكلام فاعله على الصديق رضي الله عنه فدل ذلك
على التسليم لأمر الله تعالى وأن الله تعالى الحكمة في ذلك وإن لم نعلمها إنه لا يفعل شيئا ولا يأمر بأمر عبثا ولا بأمر لا حكمة له أما يقوله من
نفى عنه سبحانه الحكمة وعطله عن صفة كونه حكيما تعالى الله عما قالوا ومع قولهم هذا ونفيهم التعليل في أفعال الله سبحانه
لا نفكون عن التعليل البتة فلا بد أن يحدثوا منهم أنفسهم قصدا في الآية على هذا التأويل يرد على الكبرية الذين هم بتسمية
القدرية أولى وأحرى وقد قال بعضهم إن قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس يعارض ظاهرا قوله
إلا ليعبدون إذا جعلت اللام فيها لام التعليل حتى حملوها على لام العاقبة وليس كذلك لما مر من أن اللام في قوله لجهنم
هي لام العاقبة على ما حكاه جمهور المفسرين أي كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وانتصاب قوله قال عمر

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال القضاعي

الأكل مولود فللموت نلده ... ولستم حتى نكل

وقال الآخر

فلم نعذ والآباء مثل لها ... كما لخذ الدهر من بني المتألن

والمعنى أن الله خلق كثيرا من الإنس والجن لما علم أنهم اللذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ومن خلقه
الله جهنم فلا حيلة في إخلاصهم وسبب ذلك أعراضهم عما خلقوا له من عبادة ربهم جل وعلا وهذا كما تقدم في قوله
وهان الذي هم في قوله تعالى قل أمر ربي بالقسط الآية قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال المشركون بلا إله إلا الله وقال الطبري بالتوحيد وقال
مجاهد وابن زيد بالعدل والعدل التوحيد كما أن الظلم الشرك بالله سبحانه ثم قال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد
قال مجاهد وابن زيد وجهوا وجوهكم حيثما كنتم إلى الكعبة وقيل معناه اجعلوا سجودكم خالصا وادعوه مخلصين له
الدين أي في الطاعة والعبادة كما بدأكم تعودون قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا
ولهذا قال فريقا هدى أي هداهم لصراطه المستقيم وفريقا حق عليهم الضلالة بالإرادة الكونية القدرية
أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى
فيه دليل أن الكافر الذي ظاهره في دينه على الكفر والجاهل المعاند سواء فجميع من كفر بدين الله [illegible]

قال وقد قال عباد يدفع مواضع من كتابهم قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاضاف الى
نفسه بما وهبهم من الحفظ والعصمة فلا يضرهم الوسواس الخناس بهم بالله تعالى فاذا قرب شيطان من قلوبهم احرقته
نور العلم واذا دنا من الغافلين عباده المؤمنين احرقه بتجديد الذكر واحضار التوحيد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما
عنه في الصحيح ان الشيطان يأتي احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا فيقول الله فيقول من خلق الله فاذا وجد
ذلك احدكم فليقل آمنت بالله لا اله الا الله **فالحاصل** ان الله تعالى محاط بكل شيء قدرة وعلما وحكمة
وحكما ووسع كل شيء رحمة وعلما خالق كل ذرة في السموات والارض ولا معزب عن المعالي الا وهو شاهده سبحانه تعالى تمام
العلم والرحمة وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلا ولا افعاله عبثا بل هو الحكيم في افعاله واقواله
سبحانه وتعالى وتقدس ثم ان من حكمته ما اطلع خلقه عليه ومنها ما استأثر به بعلمه سبحانه **ومما**
يقوي الفهم على ما قدمنا ان تعلم ان ارادة الله جل وعلا قسمان ارادة امر ورضى به وارادة قضاء
وتقدير فالقسم الاول انما يتعلق بالطاعات والمعاصي سواء وقعت او لم تقع كما في قوله تعالى يريد الله
ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم وقوله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الآية **واما**
القسم الثاني وهو ارادة التقدير التي شاملة لجميع الكائنات تحيط بجميع احادثها وقد اراد من العالم والملائكة ما
هم فاعلون بهذا المعنى لا بالمعنى الاول كما في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا وفي قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم
وفي قول المسلمين الدائر في السنتهم على قلوبهم ما شاء الله كان وما لم يكن ونظائره كثيرة في الكتاب والسنة
والعقل الصحيح يشهد به **وهذه** الارادة تحتاوي ملحدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما ان
الاول يتناول كل طاعة احدثها ولم يحدث وكل سعيد من اراد الله به شرعا ما اراد به تقدير او العبد
الشقي من اراد به تقديرا ما اراد به شرعا ولكل يجري على وفق ما بين الارادتين **فمن نظر الى الاعمال**
بهذين المعنيين كان بصيرا ومن نظر القدر دون الشرع او الشرع دون القدر كان اعور مثل كفار
قريش ومن سلك سبيلهم من كفار العرب الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
قال الله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون
فان هؤلاء اعتقدوا ان كل شيء بمشيئة الله وجوده وكونه وهو الارادة للقدرة فقد امر به ورضيه وجعلوا ذلك
ارادة شرعية ثم رأوا انهم لم يفعلوا ما شرع الله تعالى لهم فقد شاء وجوده عبادة له قد رضيه لهم بحسب
قدرها قالوا فنكون قد رضينا ذلك وامرنا به كما اوهم الباطل على ذلك قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه
فقال الله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني بالشرائع من الامر والنهي حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وهو توهمكم ان كل ما قدره الله فقد شرعه اذ هو لم يخرج عن عباده
القسم الثاني انتم الا تخرصون اي تكذبون وتقولون باطلا ثم اقام الحجة فلله الحجة البالغة ان شاء لهداكم اجمعين
ارسل الرسل اليهم فدعوهم الى التوحيد وشرائعه ومع هذا فلو شاء لهدى الناس جميعا الى متابعة شرائعه
لكنه يمن على من شاء من عباده فيهديه تفضلا منه واحسانا ويحرم من يشاء لان لله ان يتفضل
وله الا يتفضل فيترك تفضله على من هو غير اهل منه وقد حكم في محاجة ابي موسى وعمرو العاصي رضي الله عنهما
في امر القدر واتفاقهما على اذ كروله سبحانه وتعالى فذكر حكمته بالغة وهو يعاقب الخلق على مخالفة امره
وارادته الشرعية وان كان ذلك بمشيئته القدرية فان القدر كما جرى بالمعصية جرى ايضا بعقابها كما انه سبحانه
قد يقدر على العبد امراضا يعقبه الاقلاع فالمرض بقدر والالم بقدر فاذا اقلع العبد قد تقدمت
الارادة بالذنب فلما اقلع كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الارادة بالمرض فلا الم او تقدمت الارادة
باكل الحار فلا يجد حرا جا وقد تقدمت بالضرب فلا يتالم المضروب وهذا مع انه عمل وهذا بان فانه لا ينفع
صاحبه الا المتعال به بل اعتلاله بالقدر ذنب اخر ثاني يعاقب عليه ايضا وانما اعتل بالقدر ابليس
حيث قال فبما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين **واما** ادم عليه الصلاة والسلام

فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين مع ايمانه بالقدر في محاجة الله موسى كليم الرحمن
عليهما الصلاة والسلام من اراد الله تعالى سعادته الهمه ان يقول كما قال آدم عليه السلام ونحوه ومن اراد شقاوته اعتل بعلم
ابليس ونحوها فيكون كما لم يحتج به الرضا بالنار قال شيخ الاسلام حتى يتمه قدس الله روحه
في بيان هذا مثل صبي طار الى الدار شرارة نار فقال له العقلاء اطفها لئلا تحرق المنزل فاذا قيل له من اين كانت
هذه الريح القوية وانا لا اذنب لي في هذه النار وما زال يعلل بهذه العلل حتى انتشرت واحرقت الدار وما فيها
فهم صالح من شرع يحمل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير كما قد فعل آدم عليه صلاة
والسلام حيث ربط ذنبه بالقدر هذا السؤ من زلات المذنب وفعله والا كان الله سبحانه خلاقا للشرور فاعلا لكل
له فيها بكر العبد الفاعل لها والذنب عليه والا كانت بقضاء الله وقدره ونسأل الله تعالى ان يوفقنا وسائر
اخواننا المسلمين لما يحب ويرضى فانه لا ينال طاعته الا بمعونته ولا يترك معصيته الا بعصمته واطنبنا الكلام
في هذا المقام لبيان ما يتعلق بالآية كل رفيه للاختلاف في تأويلها لانها من المتشابه ولتعلم الفرق
بين الارادتين والعادتين والطاعتين الكونية والامرية **وهم التنبيه** على
العباد هو الارادة الكونية **وبيانه** ذكر لتعلم ان قول الحافظ بن العربي المالكي المذكور رحمه الله تعالى
في هذه الآية اقرب التأويلات الى الصواب وهو البعد عن كتابه فانه كما اجل وعلا لا ينافض بعضه بعضا بل
تصدق بعضه بعضا وحمل الآية على المعنى القريب الواضح اولى من حملها على ما فيه تشابه وقد يحصل به على من
يحكم نوع زيغ وهذا المعنى ظاهر احق به على ما عرف في اللغة العربية وسعتها **فهم العبادة**
الخاصة فهو على ما ذكرنا قد ذكرها الله تعالى في مواضع من كتابه **منها** قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون الذين امنوا بآياتنا وكانوا مسلمين وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والآيات
في ذكر كثيرة جدا وانما يكون العبد خاصا من خاطب بهذه الخاطبة الشريفة وهو من لم يكن لغير الله فيه
وامن **من استعبد هواه** وامكنه الطمع وسارقته كل خسيسة ونقيصة فلا يكون منهم ولا يدعون بل يدعى عليهم
كما قال عيسى عليه السلام فيما حكى عنه وسابق في هذا الكتاب ان الارادة تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس
عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وقد سئل الخليل عليه السلام ربه ان يجنبه
عبادة غيره فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام **والمقصود** ان المعبود العبادة الكريمة هو الذي
تجعل له قلبك وعمدك من قولك وفعلك فمن جعله للحجر فهو عابد صنم ومن جعل للذهب والفضة والاكسية
فعبد افرواح وعمال له وسعى وركاب المقصود الاوفى فهو عابد من عبادة غير الله تعالى ولذلك دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث **وهذا** قال تعالى لا اله الا انا فاعبدوه **والمعنى** لذلك اللوا لكل الكريم واستسلم الامر
وانقادوا لامتثاله واخضعوا السلطاني وذكره بالحاجة لصلاة لذكري يعني اذا ذكرتها لكم وخلقت لكم العلم
بها والصلاة العبادة كلها فانها تشتمل على فعل القلب واللسان والجوارح وهي اجل الادية المتوجه لها
امتثالا بالامر والنهي والوظائف كلها التي اولها اخلاص القلب واخرها السجود بتمريغ الوجه لله تعالى
وامت بالخبت ضد الاتفاقة من التذلل والتواضع لربه والسكنة وصار اسم العبد في حقيقة رفعه
الله تعالى الى بسيط المعنى واوصله الى موضع يسمع فيه صرف الاقلام باسم العبد فقال سبحان الذي اسرى
بعبده الى قدر سبحان الذي رفع العبد المذلل الى العز موضع عنده وقال له فاعبدوه واصطبر لعبادته و
كذلك فعل فلقد قام حتى تفطرت قدماه وكان نهاره في عبادة مولاه حتى اذا طراء على الغفلات الادمية
بمعافسة الاهل والذرية تاب الى الله في اليوم والليلة مئة مرة ووذر الزينة اولا عد اليها عفيا
ولم يخرق نفسه اذ لا يتم الصبر على العبادة الا بترك الدنيا **وقوله** ما يريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون الآية كقوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوى قال ابو الدرداء رضي الله عنه فيما رواه عن الامام احمد كنت تاجرا قبل الاسلام فلما اسلمت جمعت التجارة والعبادة فاخذ العبادة

وتركه التجارة وتمدح الله اهل هذه الصفة فقال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وقال تعالى مخاطبا للمؤمنين
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فاما من قدر
من نفسه على عبادة ربه فمع التجارة ولم تلهه فذاك كما لو جاهد في سبيل الله الا ان فضل ذلك يتفاوت الى غير ذلك من صلة
الارحام والافضال على الفقراء والمساكين والايتام كما فعل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير
رضي الله عنهم وارضاهم وجعلنا ممن يتعلم ويعلم والا هم وعنه ايضا ان رجلا دخل على عمر في ابي طالب حائطا
فاذا هو جمل فجعل يسح الماء الى نخله فمر على ابي موضع فقال لعله عندك عن يكفيك هذا قال انه
لا بد للمرء من ثلاث قوته في دينه وتدبير معيشته ومعاشرة الناس بالمعروف وفي دعائه صلى الله عليه وسلم كان
كثيرا اللهم اصلح لي ديني الذي فيه عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي اليها معادي وعنه ايضا الطير الذي لا مروءة له
معاذ جبل رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس اتجروا وتقووا اليه بتجارة يا معشر التجار فبلا بضاعة
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية وهو عند الحاكم في صحيحه
وعند البيهقي في شعب عن ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا معناه وعند البيهقي ايضا في الشعب وحكيم الترمذي
غيرها بسند فيه ضعف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اني ولي من لا لان في بناء عظيم لخلق وبعد غير
وارزقوني غير رزقه تعالى قد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يقول تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا كما بعثنا في هذه الامة محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا بان يعبدوا الله ويوحدوه فلما كان
ذكر لا يحصل الا بالكفر بالطاغوت والبراءة مما سوى الله تعالى قال واجتنبوا الطاغوت ثم وصف لكل ما عبد من
دون الله تعالى او اضل عن صراط المستقيم فكل من تحاكم الى غير الله ورسوله فهو طاغوت قال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم
يا ايها الآية فامر تعالى ان يكفر بالطاغوت ونهى ان يتحاكم اليه وهو يظن انه يحل له ذلك قوله فمنهم من هدى الله
ومنهم من حقت عليه الضلالة اي فكل قرن وجيل من الناس وطائفة رسولا وكلهم يدعوا الى عبادة الله
وينهى عن عبادة ما سواه فلم يزل تعالى يرسل الى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح عليه السلام
الذين بعثه الله اليهم وكانوا اول رسول ارسله الله الى اهل الارض الى اهل الارض كلهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الانس والجن
في المشارق والمغارب حتى جوبت دعاتها الى الله سبحانه ليلة المعراج وكل رسول كما قال الله تعالى عنهم مخبرا
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقد عرفنا بهم اسماءهم عباد الله
وصلى الله على محمد وآله وسلم وقوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال في هذه
الآية الكريمة ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهذه الآية محكمة ليس لمبطل فيها
شبهة تتعلق بها فكيف يجوز لمسلم بعد هذا او جبري يقول لنا شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء فمنهم من ذكر عنهم منتفيه لانهم هم ذكر على انه رسل عليهم الصلاة والسلام وقطع بذلك معذرة كل امة
اما مشيئته الكونية وهي تعلقه بما يكون من ذلك قدرا فلا حجة لهم فيها على بعد الرسل فلهذا قال فمنهم من هدى الله ومنهم
من حقت عليه الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون وذكر بعد ذلك
لهم طريق الهدى وطريق الضلال فامرهم بالهدى ووعدهم عليه الجزاء ونهاهم عن الضلال وتوعدهم عليه بالعذاب
بعد ارسال الرسل بالامر والنهي والبلاغ لهم فقامت على الرسل البلاغ المبين ولهذا قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى
يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين يشركون ويحرمون ما رزقهم الله افتراء عليه كما ذكر عنهم في الآيات التي قبل هذه
يقول ائتوني بكتاب قبل هذا القرآن او اثارة من علم تؤثرونها عن الذين خلوا من قبلكم تدل على ما تدعونه من ذلك
ان كنتم صادقين في دعواكم ان الله امركم بذلك فان هذا لا سبيل لكم الى اقامة حجة على ذلك بوجه من الوجوه
الا ان تكونوا بهتانا كاذبا فيه حذف دل عليه السياق وتقديره وصاكم الا تشركوا به شيئا ولهذا قال في آخرها
ذلكم وصاكم به ولقول العرب امرتك الا تقوم قال الزجاج ويجوز ان يكون بهذا محمولا على المعنى اي انما
عليكم تحريم الشرك وقيل تم الكلام عند قوله ربكم ثم قال عليكم الا تشركوا به شيئا على الاغراء وشيئا عند الخليل
انكر النكرات واعمها فقد اثبت هذه الآية على جميع الشرك صغيره وكبيره بهذا المعنى وهو كذلك وهذه
الآيات محكمات فعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان ظن ان نعام آيات محكمات هن ام الكتاب ثم قرأ قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم الآيات رواه الحاكم في صحيحه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي الصحيحين

في هذا ان يقال هو عرض كالنور يقذف في القلب متصلا بالدماغ فيستعد به لادراك الاشياء فيصح جواز الخاء
ويستحيل ان يعلم عواقب الامور فيذكر النور فيقال نور بكر وقاله بكر بن محمد وغيره وسيأتي قول الاكثرين
التميمي بما يوافق ذلك **وقيل في محله** انه القلب روي عن العامين اكثر من قول واحد
واستدل له بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله الخ ذكره الرازي قال لما كان له قلب قيل المراد انه عقل فعبر
بالقلب عن العقل لان محله فصار الدال على الحال دالا على الحال ذكره الدماغ والله اعلم زاد غيره ام
احمد وهو اختيار ابي حنيفة وابن حامد واختار شيخنا الامام احمد الاول **وقال ابو الحسن التميمي** الذي نقول به
ان العقل في القلب يعلم ونور العقل في الدماغ فيقضي الحواس ما جرى في العقل واختصر ابن حامد فقال يوسف بن حبيب العقل
سراج في باطن وملاك في ما على وساس يسدد وزينة كل احد والاصل في الانبياء الاب والاب والاخوة الاعلى وكفى في ذلك
ان الدين وشرف التكليف يتعلقان حيث كان ان هذا رد عليه قال القاضي ابو يعلى ومعنى قول الامام احمد انه غريزة يعني
انه خلق الله تعالى ابتداء وليس باكتساب **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن** يقول الا بما اله الا بما فيه صلاح
ونمية قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يبتغي له فيه ولا يأكل من ربحه شيئا **واوفوا بالعهد** ان العهد
فرض قد علم وهو ما امر الله تعالى عباده به اذا اسلموا لاعلى قول من لا يراه حتى يبلغ اشده قال الشعبي ومالك اشده احتلامه حتى
تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال ابو العالية حتى يعقل ويحسن وقال الكلبي اشده ما بين ثمان عشرة
الى ثلاثين وقيل عشرون سنة فالاشد جمع شد نحو فلس واقد وهو مصدر كما ان الرشد مصدر الرشاد وهو ارتفاع
وقيل بلوغ الاشد ان يؤنس رشده بعد البلوغ كما في الآية الاخرى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقدر
الآية هنا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى يبلغ اشده فيدفع اليه ماله ان كان رشيدا وهذا القول الاول
خير هو المتعين هنا فهو كقوله تعالى فاما ان يمنن بعد واما فداء اشدد وثاقها وتحرجا كتوفي ربه وهو الكيل والميزان
بالقسط اي بالعدل قال ابو طالب يعني ان قسط الكيل شعيرة **لا نكلف نفسا الا وسعها** له شاهد من نفسه غير عائل
وقال تعالى واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فامرهم بالعدل فخذوا وان لا يطففوا وذكرهم ان يحفظوا العدل في جميع
الامور في حقوقهم بعضهم من توفيه واداء ما افترض عليهم وفي حقوق الادميين بترك الحيف والمجاوزة اكد في كل شيء وغير
في الاعمال الاخلاص وفي الاقوال الصدق وفي الانفاس التحقيق ومساواة الظاهر والباطن وترك المراءاة والخداع و
المكر ودقائق الشرك وخفايا النفاق وغوامض الخيانات وسوء الاخلاق ولهذا قال تعالى واقيموا الوزن بالقسط
اي بالمكيال الذي يحسن بكما تحب ان يعاملوك به بكما تدين تدان لا تكلف نفسا الا
اي طاقتها في ايفاء الكيل والميزان لان التكليف المطلق كما مر واجب عليه ولم يكلف صاحب الكرم الا ما قل ما يحفظ حتى
لا ينضيق عنه نفسه بل امر كل واحد بما يسعه فما لا حرج عليه فيه ممن اجتهد في اداء الحق ولم يفرط فاخطأ بعد
استفراغ وسعه فلا حرج عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما انكم وليتم امر هلكت فيه الامم السالفة فيكم قاله الاصبغ
المكيال والميزان **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** يعني فاصدقوا في الحكم والشهادة ولو كان المحكوم والمشهود
عليه ذا قرابة لكم وهذه الآية كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط الآية اي مواظبين على العدل مجتهدين في اقامة
شهداء بالحق تقيمونها لوجه الله تعالى ولو على انفسكم بان تقروا عليها ان اكذبه بان الحق سواء كان
الحق عليه على غيره او الوالدين والاقربين ان تكن المشهود له او عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا او لوا تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكم العدل او تعرضوا عن اداءها قال ابن كيسان
مما تحملون خبرا فيما بينكم وبينه وقوله وبعهد الله اوفوا قال جبير بوصية الله التي وصاكم بها وفرائضه
في الجملة ان تعملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله تعالى الذي عهد الى عباده بان يعبدوه بما
شرع على السنة رسله عليهم السلام ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون والمعنى ذكركم لو هلكتم فصار ولذكر بقيتها واذكر
عهد وزيد اذ لو كتب الامور وتاله واذكر كاتب العدل في القول والفعل فاعدل في حق غيرك كما تود ان تعدل في حقك
عهد كرر واذكر فلان بهذا الشيء الذي ذكر فقال العدل تذكروا ان تتعظوا قال ابن عباس رضي الله عنهما
هذه الآيات جمع الكتاب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل
النار وبهذا كلام ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك وان هذا اي الذي وصاكم به في هاتين الآيتين
التوحيد والتوبة وبناء الكعبة قرئ بكسر ان على الاستئناف وقرئ بالفتح قال الفراء

بمعنى وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال ابن طلحة
عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية وفي قوله تعالى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه امر الله سبحانه المومنين بالجماعة
والائتلاف ونهاهم عن الفرقة والاختلاف واخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا
قاله مجاهد وغير واحد من السلف ووصف الله سبحانه صراطه بانه واحد وجمع سبيل التفرقة وعن عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبايعني على هؤلاء الآيات ثم تلا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
حتى فرغ منهن ثم قال من وفى بهن فاجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن
اخره الى الآخرة كان امره الى الله ان شاء اخذه وان شاء عفى عنه وقوله فتفرق بكم عن سبيله اي تميل
بكم وتشتت بكم عن سبيله اي عن طريقه ودينه التي ارتضى به اوصى قال البخاري في صحيحه ثنا ابو نعيم
ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن همام عن حذيفة قال يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا فان
اخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وفي الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق وفي رواية لهما ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا
تعصوا في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له
وطهور ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه فبايعناه على
على ذلك وفي بعض الفاظه في السنن وفي ذكر حديث ابن مسعود والنواس بن سمعان وهما يعلمان فلا نطيل
بذكرهما والمعنى ان الصراط المستقيم المامور باتباعه في هذه الآية هو الاسلام والقرآن والدين والملة
يقول فاسلكوا ذلك اي اتبعوا الاسلام وهو الدين والملة واتبعوا القرآن فهو الهدى والنور وهو السبيل التي لا
عوج فيها دليله بين وكلام قديم وفصيح عزيز بين وهدى للمتقين ولا تتبعوا السبل وهي بنيات الطريق
فتفرق بكم عن سبيله اي تعوجوا عنه في اديان العدل الحكيم الذي نهى كل عنها حتى قامت عليهم الحجة قدرها عليهم
وقضاها فيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عنه افترقت اليهود والنصارى على احدى وفي رواية على اثنتين
وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة فوقع ذلك وهو من
معجزاته صلى الله عليه وسلم هذا امر الله لنا وعهده عندنا ووصيته قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ثم اخبر تعالى في كل موضع عن
الامم انهم ما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وعاينوا الادلة وعلموا الحق لينفذ عليهم القدر
فلما كان هذا الداء واقعا لا محالة نبه على الدواء فقام بالحجة علينا في هذه الآية وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليكم على اللزوم وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور وفي ذلك سلامة من البدع وحسم لمادتها والله اعلم ذلكم الذي ذكرت وصاكم به
لعلكم تتقون الا قال وان هذا صراطي مستقيما الا ختمه بالتقوى لانها اتقاء الزلل قال لعلكم تتقون وقوله تعالى في سورة
النساء واعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه في جميع ما يامركم به وينهاكم عنه ولا تشركوا به شيئا اي شيئا لا
شركا جليا او خفيا دقيقا او جليلا فامر سبحانه وتعالى بعبادته وحده لا شريك له لما كان سبحانه هو الخالق
المنعم المتفضل على خلقه في جميع الاوقات والاحوال هو المستحق منهم ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من المخلوقات
ثم اوصى بالاحسان الى الوالدين فانه سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم الى الوجود ولهذا كثيرا ما يقرن بحقه حقهما
كقوله ان اشكر لي ولوالديك ثم اخبر سبحانه ترغيبا للبار وتخويفا لاهل العقوق بان المصير اليه فقال الي المصير
وقوله وبالوالدين احسانا اي احسنوا اليهما احسانا ثم عطف على الاحسان اليهما الاحسان الى القرابة
من الرجال والنساء فقال وبذي القربى وقد صح في الحديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة
وصلة وهذا اللفظ يقتضي شموله لكل قريب من جهة اب وام من ذكر وانثى غنيا او فقيرا لانهم جنس مضاف
فيشمل كل قريب له حتى ولده ولهذا لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين خصص صلى الله عليه وسلم
في قريش وعمم حتى نادى يا فاطمة بنت محمد ولما نزل قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابو

طلحة

١٩

طلحة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم وغيره فقال يا رسول الله ان ربنا يسألنا من اموالنا وان اطيب اموالي الي بيرحاء واشهد انها لله فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال اجعلها في قرابتك فجعلها في حسان بن ثابت وابي بن كعب وبين حسان وبين طلحة ثلاثة اباء وبين طلحة وابي بن كعب ستة اباء ولما نزل قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى يعني قرابته صلى الله عليه وسلم قسمه في بني هاشم واعطى بني المطلب بن عبد مناف كما صح ذلك في الصحيحين وغيرهما وقد حد ذلك بعضهم باربعة اباء وقصة ابي طلحة وهي صحيحة صريحة لا تقبل التاويل ثم قال تعالى واليتامى وذلك انهم قد عدموا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فامر الله بالاحسان اليهم ولهذا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين انه قال انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى واليتيم من هلك ابوه ما لم يبلغ الحلم والمساكين وهم المحاويج الذين لا يجدون من يقوم بكفايتهم فامر الله بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم والفقير داخل في اسم المسكين الا انه ... واحد يدل عليه قوله فكانت لمساكين يعملون في البحر وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم استعاذ بالله من الفقر كما في حديث ابي هريرة عند ابي داود والنسائي وابن ماجه بسند صحيح وعند عبد بن حميد عن ابي سعيد الخدري وعند الضياء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو ايضا عند الطبراني من حديث ابي سعيد كلهم مرفوعا ولفظ اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فهي الفرق بينهما الغير ... الا ان العرب قد تستعمل الفقر مكان المسكنة وذلك نادر وانشد الحاكم له كما قال الراعي

اما الفقير الذي كانت حلوبته ... وفق العيال فلم يترك له سبد

فسماه فقيرا مع ان له حلوبة وفق العيال فيتبين لك ان المسكين والفقير قد يشتد العدام فقد يظهر فهو فقير لا يقدر شيئا ولهذا سمي الفقراء قال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض وفي صحيح اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء والمساكين له سفينة يعمل عليها في البحر ... والجار ذي القربى والجار الجنب قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الجار ذي القربى الذي بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وقيل الجار ذي القربى المسلم والجار الجنب اليهودي والنصراني قاله نوف البكالي وقيل غير ذلك والصاحب بالجنب يعني الرفيق في السفر قاله ابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال علي وعبد الله بن عمر والنخعي هو المراة تكون معه الى جنبه وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي يصحبك رجاء نفعك وابن السبيل قيل هو المسافر لانه لازم سبيله والاكثرون قالوا انه الضيف وقد صح من حديث ابي شريح الكعبي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه وفيه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وما ملكت ايمانكم اي المماليك احسنوا اليهم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم جعل يوصي امته في مرض موته يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم يرددها حتى ما يفيض بها لسانه صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو انه قال لقهرمان له هل اعطيت الرقيق قوتهم قال لا قال انطلق فاعطهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفى بالمرء اثما ان يحبس عمن يملك قوتهم ولمسلم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق وعنه رضي الله عنه مرفوعا اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة او لقمتين او اكلة او اكلتين اخرجاه في الصحيحين وفيهما عن ابي ذر مرفوعا هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي مختالا في نفسه معجبا بها متكبرا فخورا على الناس يرى انه خير منهم فهو في نفسه كبير وعند الناس بغيض وعند الله حقير قال مجاهد في الاية يعني يعد ما اعطي وهو لا يشكر الله عز وجل يعني يفخر على الناس بما اعطاه الله من نعمه وهو قليل الشكر لله تعالى وروى ابن جرير عن عبد الله ... الهروي ... المخيلة ... مختالا فخورا وتلا وما ملكت ايمانكم ولعلها الاوجه ... في المختال الفخور في الاية وعند الامام احمد في المسند والبخاري في الادب المفرد والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعاظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ثم قال الله تعالى الذين يبخلون ...

قال

الذين امنوا وكانوا يتقون الاية وامثال ذلك **واما نقصان** مرتبته في لا يكون شاهدا دنيا ولا آخرة
ولا يكون اماما ولا امينا **واما نقصان** عمله والعاقبة فبنقص حاله في الحال من سوء التقصير وقد تختبئ السكوك في
القلب وتعترض العوارض حتى يأتي الله بالبقين **قال** ابو يوسف بن حبيش سألت هرثمة عن علي رضي الله عنهم وصفاته
وحفاله ورجوعه هرثمة فذكر ذلك بأطول من هذا وأخرجه البخاري **قال** ابو يوسف فما زالت موقنا
ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر فلما كان ليلة الفتح وقعت الوسن على عبد المطلب الاذاخر وحاديه ووقف بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران قد تبعتم لتقتلوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد ان لا اله الا الله فقال له
ابو يوسف اما هذه فقد علمت انه لو كان غير الله لاغنى عني قال له اما ان تشهد انك رسول الله قال له ابو يوسف اما
هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اشهد قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق وسلم
يكن يخفى على ابي سفيان منزلته ولا فضله على تعجزه ولكنه كانت انفة دينية وحمية جاهلية وصالا اقتضتهما العصبية
وحسن بعد ذلك اسلامه واسلام الفاضلة زوجته هند بنت عتبة كما في صحيح البخاري وغيره **وقد جاء**
الى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله واسمعا كان على ظهر الارض اهل خباء احب الي من ان يذلوا من اهل خبائك
وما اصبح اليوم على ظهر الارض اهل خباء احب الي من ان يعزوا من اهل خبائك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وانا كذلك
وناهيك بهذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم منقبة وشرفا وانها لاكبر فضائلها والاهل خبائها الا بفضيلة التوحيد
وتحقيقه وان الله تعالى ارسل رسوله امره ونهيه وعزمه وما ابتلاه به من ذلك بطاعة يمتثلها و
معصية يجتنبها ووعد بالثواب لمن اطاع وأوعد بالعقاب من عصى **قال** صلى الله عليه وسلم ما رأيت اسهل هذا الذي
ترى في امر مزموع من امر امتي فقال له رجل من اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ ربكم قالوا ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق
له اما اهل السعادة فكانوا من اهل السعادة واما اهل الشقاوة فكانوا من اهل الشقاوة فسيصير لعمل اهل السعادة
ثم قرأ اما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله للعسرى فانقاد وارضى بهم وفهموا ان الامر به والحكم له وان
هذه الاعمال امارة على الجوارح من خلق عملا فالعمل عند اسبابه **فان خطر بالك** ان العمل عن
عندك وانه قد خطف جسمك خاطف وحطر رحله من الدار حيث حط فاجتهد في التخلي عن العمل والاستسلام
لسابق القدر والتحلي بغير هذين فتلك علامة الهلكة **وان غلب على الكاط الاستسلام** للعمل والقدر
وجرى على الجوارح الامتثال لأمر المكلف المعان فذلك دليل الله للعباد على الفوز في المعاد **اذا فهمت**
ذلك فاعلم ان الباري سبحانه هو الذي دبر الامور وقدر المقادير وحكمها وابتلا بها عباده واختبرهم عزا وحكم
فاختبرهم وضاهم ليس في فعله سبحانه عبث ولا في حكمه سفه ولا في خبره كذب ولا في اقواله تناقض
ولا في افعاله تعارض كما قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين
قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم
الراشدون الاية فذكرهم بصفة الفاعل وجعلهم بما فيهم صفة مفعول وذكر كلا بنعمته وفضله وحكمته وحجته
واما لفظ الجبر فمعارض للشرع فان الله سبحانه خلق المشية في العبد وابتلاه لفظا ونقلها
عنه خلقا فالقول بالجبر تكذيب لله والقول بخلق الله لفعله شرك بصنع الله سبحانه والاعتقاد لما قال الله تعالى
واجب به ورب علم قوله وسر بعلم حيث امر الله وهو سبحانه قد سلك بكل فريق على طريق واختار لاوليائه
لفضله ورحمته عادة التحقيق والتوفيق ونصب التسديد والهداية والتثبيت على صراط المستقيم ودينه
القويم **وحقق نظر هذه المقدمة فهذا اليسير كافيه اليها وبيانه**
وقول الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا اي اخلصوا العمل لله فصدقوه ولم يلبسوا يخلطوا ومنه قول جرير
ترى رضف الامام عليك حقا اذا لبس العبيد بهم ارتيابا ومنه قوله
ارتيابا ومن ذكر قوله تعالى ولا تلبسوا الكوب بالباطل ومن التشبيه قال تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون
وهو التلبيس قال تعالى وليلبسوا عليهم دينهم وقوله ايمانهم اي عبادتهم يدل عليه قوله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس بطل اي شرك يدل عليه قول تعالى ان الشرك لظلم عظيم
وفي الخبر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ان
الشرك لظلم عظيم وفي لفظ له قالوا ايننا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الذي تعنون الم تسمعوا ما قال
العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك رواه ابن ابي حاتم عن عبد الله

تكون اضافة الى سبحانه اضافة تخصص وتشريف كناقة الله وبيت الله والارض لله جميعها سبحانه قال الامام احمد
رد الله تعالى ان عيسى بالكلمة كان ليس عيسى هو الكلمة وانما الكلمة قول الله تعالى وقوله وروح منه يقول من القرن كان كروح فيه
كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يقول من امره ففي روح الله انما معناها انها روح كانت
بكلمة الله خلق الله تعالى كما يقال عبد الله وسماء الله وارض الله انتهى **اذا فهمت** ذكر فاعلم ان نفخ عيسى
عليه الصلاة والسلام في الطين فيكون طيرا باذن الله واحياءه الموتى باذن الله واخراجه الاكمه والابرص وكلامه في المهد
كل ذلك يدل على انه مخلوق من نفخة روح القدس بامر الله تعالى في جيب مريم فلم يخلق من بني آدم فكان معنى الروح فيه
اقوى من نفخ غيره فكانت معجزة روحانية دالة على قوة المناسب بعضه وبين روح الحياة **وحين** ذكر قوله عليه الصلاة
والسلام حيا الصوت اي ساعة فذلك ايذان بحدوث فيه تثبت له العبودية وتنفي عنه الربوبية والالوهية وخصا
نص معجزات على الكلام تنفي عنه الربوبية وتثبت له النبوة ولها الصديقية **ولهذا** قال تعالى لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا وقال المسيح
بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف بين لك الايات انظر انظر
اني يؤفكون فالذان يأكلان الطعام مربوبان يبولان ويغوطان فيهما لاصحان للربوبية ولا للوهية وانما
سياتهما العبودية ولهذا انظر انبين لك الايات انظر اني يؤفكون اي يصرفون عن الحق بعد تبيانه وقد ثبت سبق
لزم الصديقية دون النبوة وحكى امام الحرمين الجويني اجماع العلماء على عدم نبوتها **فهذا قول اهل**
الصراط المستقيم في عبده ورسوله وكلمته عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام الذي هم وسط بين طرفين فالنصارى
جعلوه وامه الهين من دون الله واليهود قالوا فيه وفي امه بهتانا عظيما **والجهمي** جعل كلام الله مخلوقا تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وان لفظه حق وانه غير
مخلوق فان موجودا ان الان لا يفنيان ولا فيهما من النعيم والبؤس ولا من يدخلها من الانس والجان ادخله الله الجنة
لا بعمل الجنة على ما كان عليه من العمل ما خلا ما ذكرنا لكن لا بد من عمل يكون سببا لدخول الجنة لانه كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون الاية معنى الباء في قول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته قد استدل في هذا الحديث بشطر الآية الكريمة شريف على بعض العلماء رحمهم الله وسيأتي ذكر بعضهم فقال
ليس بينهما بحمد الله اختلاف ولا اشكال فان صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فلا يخالف قوله قول رسوله
فان الباء في الآية باء السبب وفي الحديث باء المقابلة التي هي للعوض والمقابلة **والمعنى** لا يدخل احد منكم
عمله وانما هو برحمة الله تعالى وهدايته لذلك العمل الذي كان سببا لدخول الجنة **وعند الطبراني** بسند رجاله كلهم ثقات
عن ثعلبة بن حكيم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعلماء يوم القيمة اذا قعد على كرسيه لفصل عباده اني
لم اجعل علمي وحلمي فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم على ما كان فيكم ولا ابالي وروى نحوه عن ابي عاصم والاصبهاني مرفوعا عن
ابي موسى رضي الله عنه **قال المنذري** انظر الى قوله على ما كان فيكم يتضح لك ما ضاقت اليه انه ليس المراد به علم اكثر اهل الزمان المجرد عن العمل به والاخلاص وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الاية هم امة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم ورثهم
الله كل كتاب انزله فظالمهم مغفور لهم ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب
رواه عنه البيهقي ورجاله ثقات **وعند الطبراني** الامام احمد والترمذي وحسنه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
مرفوعا في هذه الاية انه قال صلى الله عليه وسلم هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة **وقال** الامام احمد حدثنا
هدبة وروح المعنى قالا حدثنا ابو عاصم حدثنا ربعي بن راشد عن حذيفة ان رجلا اتى ربه عز وجل فقال اذا عملت في الناس فقال
له الرجل ما عملت شيئا من خير فقال له ثلاثا اذكر وقال في الثالثة اني كنت اعطيني فضلا من المال في
الدنيا فكنت ابايع الناس فكنت ايسر على الموسر وانظر المعسر فقال الله تبارك وتعالى نحن اولى بذلك منك تجاوزوا
عن عبدي فقوله قال ابو مسعود البدري رضي الله عنه وعقبة بن عامر وهكذا سمعناه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه مسلم من حديث ابي عاصم وسعد بن طارق به وقد اخرجه البخاري ومسلم
من حديث عن ربعي عن حذيفة وابي مسعود البدري وعقبة بن عامر وابي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وسلم

كيف ص

بنحوه

روحا والوجيد وقالا به حياة القلوب فقال تعالى ومن كان ميتا فاحييناه وقال في النفس ان النفس لامارة
بالسوء لان الروح التي هي سبب الحياة لا تأمر بالسوء فلا تسمى الروح نفسا حتى تكتسب ما تحمد
او تذم فالمذكور في قلم النازعات هي النفس واحدة فاذا مازجت اجساد البشر حصل فيها ما يحصل
من الكدورة والمرارة والحموضة وغير ذلك كما هو مشاهد واختلفت انواعه وكذلك الروح الباطنة
اذا مازجت الجسد الذي قد خلق من طين والطين فيه طيب وخبيث فينتزع كل فرع الى اصله
وذلك بتدبير العزيز العليم وقد ذكر تنافر النفوس او تقاربها وتحابها او تباغضها
على حسب التناسب في اصل الخلقة وذلك بمعنى قوله الارواح جنود مجندة الحديث وقد يعبر بالنفس
عن جملة الانسان روحه وجسده فيقول عندي ثلاثة انفس ولا يقول ثلاثة ارواح ولا يقال
في الروح هي النفس الا قليلا في المعنى هو الانسان ولا يقال للانسان له نفسان نفس كريمة
ونفس لئيمة ولا يقال له روحان وقد قال ذلك الفرزدق التميمي

لكل ابن نفسان نفس كريمة ... واخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تسعى للذي ... اذا قلت احرارها هي شفيعها

وقال غيلان ذو الرمة حين احتضر

يا قابض الروح مني نفسي اذا احتضرت ... وغافر الذنب زحزحني عن النار

وكما قال بلال رضي الله عنه اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك فذكر النفس لانه معتذر من ترك عمل البر به
والاعمال مضافة الى النفس لان الاعمال حسية ونية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا
فذكر الروح التي هي الاصل فانبههم على غرضهم واعلمهم ان خالق الارواح يقبضها اذا شاء فلا
تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وان وصفت بالقبض فلا يدل لفظ القبض على انتزاعها
بالكلية كما لا يدل قوله في الظل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا على اعدام الظل بالكلية وقوله
تعالى الله يتوفى الانفس ولم يقل سبحانه الارواح لانه وعظ العباد وهم الغافلون عنه فاخبر
سبحانه انه يتوفى انفسهم حين يعيدها حتى يتوفاها ولا يعيدها الكفار فزجر النفوس
بهذه العظة عن سوء اعمالها اذ الاية مكية والخطاب للكفار فهذا تنزيل الالفاظ
منازلها من الحديث والقرآن الكريم يعبر الحديث قد يروى بالمعنى فيختلف على الرواة
واما القرآن فهو محفوظ الالفاظ فالرجوع اليه في المعنى واللغة العرب اصح في البيو
وما تقدم هو معنى الفصاحة وسر البلاغة في الفرق بين الروح والنفس والله اعلم

وبعدها اذا انهيت ذلك في الورقة التي عليها الخط المتصل بهذه الورقة

في مسند انس بن مالك قال ابو علي الجياني هكذا الرخيم بضم الدال وسكون الخاء المعجمة وضم الياء المعجمة وتقال بالنون وتقال ادخن بكسر الدال وبالنون ويقال امضغ الدخيس قال ابو عمر عبد البر وقد اختلف في شهوده بدرا فقال ابن عبد البر الذي ذكره بالسوء هو عتبان يعني مالكا وفي رواية قال انا كرهته منذ ايام لسبه المنافقين وعودهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم الا تراه قد قال لا اله الا الله يريد بذلك وجه الله دليل قوي على غلاة المرجئة القائلين بانه يكفي في الايمان النطق فقط وان لم يصدقه قلب ومن تابعهم في جزمهم القاطع نعوذ بالله من ضلالات البدع وسيأتي الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث اخر الباب وفي قوله الزهري او عتبان فيما تقدم قال المحققون العلماء رحمهم الله تعالى قالوا ان ذكر عتبان اصح لان الصلاة وسهما فرضت بمكة شرفها الله وهذا الحديث عندهم واضح في ان صوم رمضان وفي ان الحج فرض اجماعا في عتبان وكذا الزكاة مع زكاة الفطر قبل العيد بيومين تقريبا وقيل فرض الزكاة بمكة وبعث السعاة في المدينة لقبضها وقيل فرض بعد فرض زكاة الفطر هكذا رواه الدارقطني وغيره عن ابي عمار واسمه عريب بفتح العين المهملة عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل نزول الزكاة فلما نزلت لم يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله وهذا يدل على ان بعض الفرائض مفروض قبل هذا الحديث قطعا وقد مر ان الاله هو المالوه الذي تالهه القلوب محبة واجلالا وتعظيما وتوجها اليه والمالوه يذكر ويؤنث حسب عبارات اهل اللغة وغيرهم وقال العلامة الفيومي في المصباح المنير الاله المعبود وهو كل ما اتخذ معبودا فهو اله عند متخذه وقد تقدم تقديم صحة اعتقاده ثم قال وكل ما عبد من دون الله تعالى فهو اله عند عابده والجمع الآلهة بمعنى عبد يعبد عبادة وتاله تعبد والاله المعبود وهو الله عز وجل ثم استعير لكل من اتخذه معبودا حقا كان او باطلا فالله اسم علم لمعبود بحق والاله اسم لكل معبود بحق او باطل وقد نفى سبحانه وتعالى عن نفسه الالهية بما يدل على نفي الالهية عن كل ما سواه من الاصنام والانداد بطريق الالتزام كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وفي المعنى الاخر ان الاله هو المالوه المحبوب والمحبة تستلزم الطاعة للمحبوب فيما امر والانتهاء عما عنه زجر ولهذا لما ادعى من ادعى محبة الله تعالى جعل على دعواه ما قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فمتابعته صلى الله عليه وسلم تحصل من الله سبحانه لمتابعه المحبة بوعد ان الذنوب والمحبة لا تعذب محبوبه ولا بد من شرط اخر وهو ان تكون هذه المحبة خالصة لوجه الله سبحانه لا لحب المرء يحبوبه انداد هم كحبه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يبتغي بذلك وجه الله فحسبك بهذا شاهدا على ما قلناه وهذا قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وصاحب هذا العمل لا يرضى بعذاب النار ابدا فمن ذكر مع ما في حديث المقداد المتقدم الى ان قال انه ادخل الله احب علي كما ان العمل خرجت بذلك من مذهب الخوارج في الايمان وقوله فان الله حرم على النار الخ المراد ما تقدم في هذا الحديث وغيره قصد تعذيبها واما ورودها للمرور على الصراط فهو حتم لا بد منه كما قال في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان تنكر الاوارد ها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اذ الصحيح ان المرور على متنها مع الصراط لا الاشراف عليها كما تقوله بعضهم وسيأتي القول العزور ورد الماء فلما اشرب فيه وعن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الخدري الانصاري رضي الله عنه له ولابيه صحبة واستصغر باحد يوم استشهد وما بعدها وروى الكثير منه في المدينة توفي سنة اربع وستين وقيل اثنتين وقيل ثلاث وسبعين وقيل غير ذلك انه قال قال موسى يا رب علمني شيئا اذكرك به وادعوك به فقال قل لا اله الا الله قال الله سبحانه قل يا موسى لا اله الا الله سميت دعاء لانها تتضمن نوعي الدعاء الاقول لا اله الا الله اعتراف بتوحيد الالوهية وهو يتضمن احد نوعي الدعاء فان الاله هو المستحق ان يدعى دعاء عبادة ودعاء مسئلة بل يتضمن دعاء المسئلة ايضا ولهذا المسئول عنه عينه بقوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير انشد قول ابن الصلت

ما حال جدعان الخ ... اذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياؤه ثم اعتراكني كباء

اذا ع ٥ اذا اثنى عليك المرء يوما ٥ كفاه من تعرضه الثناء ٥ وفي الصحيحين انه كان يعلم اصحابه ان يقولوا عند الكرب لا اله الا الله العظيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم **فهذا** دليل على ان العبد كلما حقق الاخلاص في قول لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه من كل ما سوى الله وصفاته عنه بذكره العاصي والذنوب وفر ج عنه جميع الكروب كما قال تعالى كذلك نصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين وهو الذي قال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى اليس الله بكاف عبده قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب كل عبادك يقولون هذا وهذا الحديث عند النسائي من طريق عبد الله بن وهب قال اخبرني عمرو هو ابن الحارث ان دراجا ابا السمح حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى فذكره بمعناه وزاد فيه بعد قوله كل عبادك يقولون هذا قال فقال موسى لا الا الله قال لا الا انت انما اردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري بنصب الراء على العطف او الكار والعامر عند العرب من قال حي رب اخطبي ٥ هذا يعرف كنت بها اذ الربع عامرة ٥ فاليوم اصبح قفرا غير ميثور ٥ وقال طهفا بن قيس الطهفاني وهذا من باب الصفات والارض بنصب الراء وقد تسكن كقول الاخر عن سلمى بن ربيعة عن كرام ضين اذ تنكر اعلامها ٥ فقد نصر في هذا على ان السموات وكذا الارض وشهد لذلك قول الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وصح ان الله كتب في الذكر على السموات بعضا فوق بعض قوله الله الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وقال اولم يتفكروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وكذلك الارض لقوله تعالى ومن الارض مثلهن لكن بعضها اسفل من بعض كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين يوم القيمة **وقد** روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ومن الارض مثلهن قال في كل ارض مثل ابراهيم ونحو ذلك الارض بعضها اسفل من بعض **قال** الحافظ ابو عمرو وسنده صحيح وساق زيادة ذكر عن قرب ان شاء الله عند ذكر هذه المادة **في** مضمون قول موسى على كلهم وجواب رب العالمين الآتي له بيان لتباين القائلين لا اله الا الله والقائل **وفي** ذكر ذلك انما هو التحقيق لها اذ ليس كل من قالها محققا لها كتحقيقا يجعله له بالمثابة التي اخبر الله بها موسى بهذا جوابه له ولهذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا ولفظ خالصا من قلبه حرمه الله على النار فجعل صلى الله عليه وسلم الاخلاص مانعا لصاحبه دخول النار فمن دخل النار من القائلين لها فهو لعدم تحقق اخلاص المحل له على النار كما مر فيقلع فيه نوع من الشرك والشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل على الصخرة السوداء في الليلة المظلمة **ولهذا** كان العبد مأمورا في كل صلاة ان يقول اياك نعبد واياك نستعين واكثر ما امر به ان يشرك والنفي تطيعه فلا تزال النفس تلتفت الى ان الله تعالى اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيده من سوائب الشرك فصاحب الهوى الذي قد اتبع هواه له نصيب مما اتخذ الهه هواه فصار فيه شرك بحسبه من الاستغفار وان من حقق التوحيد فلا بد ان يرفع عنه كثيرا ولهذا يقرن الله تعالى بين التوحيد والاستغفار كقوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وقال ثم استقيموا اليه واستغفروه وقال سفيان الثوري في قول تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال ليس له عليهم سلطان ان يحملهم على ذنب لا يستغفرون منه رواه عنه ابو نعيم في الحلية **اذا تبصر هذا** فالمسلمون وان اشركوا في الاقرار بلا اله الا الله فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلا لا يقدر احد ان يضبطه وهذا المقام حقيق بزيادة الايمان ونقصانه لما يظنه بعض الناس من ان التوحيد المفروض انما هو الاقرار والتصديق بالله تعالى بانه خالق كل شيء وربه ولا يعرف ما بين توحيد الربوبية الذي اقر المشركون به من توحيد الالوهية الذي دعت اليه الرسل عليهم الصلاة والسلام ولا يجعلون بين التوحيد العلمي القولي والتوحيد العملي كما في سورة الاخلاص وفي مسند الامام احمد بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا جددوا ايمانكم قيل

يا رسول الله كيف نجد ٥ قال اكم وما من قول الا الله الا الله ورواه الحاكم ايضا وقال صحيح الاسناد قال الذهبي وفي
سند الحاكم صدقة بن موسى ضعفوه ورجال الامام احمد كلهم ثقات قاله الهيثمي وغيره فالحديث به حسن ومعنى
ها وتحقق معناها يجرد الاتباع القلب ويملاه نورا ويزيده يقينا ويفتح اسرار يدركها اهل البصائر ولا ينكر
هذا الا كل ملحد جاهل **وقد ذكر شيخنا** عبد العزيز الحصين رحمه الله ان شيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب
مصنف هذا الكتاب رحمه الله كان كثيرا ما يلهج بقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذ عند بما جاء
بسند حسن انه يحط عن قائلها بكل حرف منها عشر سيئات ورواه الحاكم ايضا وصححه ورفعها اخرج عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا ما قال عبد قط
قال ابن القيم كلمة الاخلاص التي هي كلمة الحق وقطب دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام فهي تنفي النقائص عن ذاته
جلا وعلا بحمده اثبات الكمالات الاضافية على معنى الفضل والافضال من الصفات الذاتية الاضافية
كما يتضمن اثبات الالوهية ونفيها عن كل ما سواه ففيه توحيد الذات ونفي الضد والند والمثل من الحول والقوة
والابتداء المذكور يدل عليه بكلمة التوحيد **ثم اثنى** الله تبارك وتعالى والاعتراف بالعجز عن القيام بما
يليق به من الثناء لعجز سائر الخلق عن ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك **فهذه الكلمات الاربع** هي ايات الصافات في الاية الكريمة كما رواه النسائي والحاكم من حديث
عن ابي هريرة رضي الله عنه **وعند الامام** احمد والنسائي والحاكم وصححه في حديث البطاقة ان لا اله الا الله لا يوضع لها
شيء في الميزان قال كطيبي لا اله الا الله هي الكلمة العليا وهي القطب التي تدور عليها رحى الاسلام والقاعدة
التي بني عليها اركانه الدين وهي اعلى شعب الايمان ولهذا قال الله لموسى على كما ورد في هذا الحديث القدسي لو ان السموات
السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله **وهذا يدل** على سعة
كفة الميزان وانها حقيقة لا مجاز كما يقوله من حرف عن حقائق الشريعة بتحريف الكلم عن مواضعه وان السموات المفتوقة
بعضها فوق بعض والارضين السبع بعضها اسفل من بعض كما صح بذلك الخبر والوقوف على ذلك لعلم العلم بالأثر فيما
ما تقدم ذكره **وعند الحاكم** والبيهقي عن صلى الله عليه وسلم في كل ارض نبي من نسل آدم كادم كم ونوح كنوح كم وابراهيم
كابراهيم كم وعيسى كعيسى كم ونبي كنبي كم قال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ **وعن ابن** سبع الارضين على الاقاليم السبعة فقد
بعد النجعة ولم يدر ما يقول **قرن في الصحيحين** في طبقاته من رواية ابي العباس احمد بن جعفر بن يعقوب
الاصطخري قال قال ابو عبد الله احمد بن حنبل **هذه** مذاهب اهل العلم واصح الاثر واهل الكتب المسكة
بوعورتها المعروفة بها المقتدى بهم فيها من لدن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وادركت من ادركت من علماء اهل
الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئا من ذلك او طعن فيها او عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة
زايل عن منهج السبيل كفر وساق اقوالهم الى ان قال ونؤمن بذلك وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع ارضين
بعضها اسفل من بعض وبين الارض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء الى سماء
مسيرة خمسمائة عام والماء فوق كل سماء ان بعده وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش
والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والارضين السبع وما بينهن وما تحت الثرى وما في قعر البحر
ومنبت كل شجرة وموضع كل شعرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل و
الحصى والتراب وما تيل الجبال واعمال العباد وانفاسهم وكلامهم وانفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك
شيء وهو على العرش فوق كل شيء وان بعده دون حجب من نار ونور وظلمة وما هو اعلم بها **قال**
فان احتج محتج بما خالف مبتدع بقوله تعالى وهو اقرب اليه من حبل الوريد وقوله وهو معكم اينما كنتم
وقوله الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية ونحو هذا من متشابه القرآن
قيل له انما يعني بذلك العلم لانه سبحانه على العرش فوق السماء السابعة بعده عن العباد يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه
لا يخلو من علمه مكان سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء

الا يسبح

الا يبيع بحمد وهكذا ذكر حرب الكرماني صاحب الامام احمد هذا عن بلفظه فاياكم وبنيات الطريق التي تنكب عن صراط المستقيم بالتعويق فالذنب انما يؤخذ القاصية من الغنم فبين تبارك وتعالى في هذا الحديث القدسي لكليمه موسى على لسان رسوله محمد صلى الله عليهما انه لو كانت السماوات السبع وعامرهن غيره لانحنى جلاله وتقدس اسنابهه شيء ولا يعادله والارضين السبع وما فيهن وضعتا في كفة الميزان كما يأتي مصرحا به في الحديث الآخر ولا اله الا الله في كفة الميزان الاخرى والكفة بالكسر وقيل بكل مثلثة الكفة واللغة ذلك

وقالوا الكفة بالكسر جاءت ... وغير الكسر بها الفصيح
وقلب الفا جاء عن الكسائي ... وبابه الفصيح به يصيح
وجاء عن الخليل الضم فيها ... فسبعوا فالمحل بها فسيح
وروي المد فيه فقر قا ... لتعلب فالمقام به جنوح
وان هو طال فالضم الفصيح ... وفرع تعلبع الا

ستدارة الكسر قال لا اله الا الله الميزان هنا الرجحان يقال لهذا الميزان اذا ارجح بما فيه وقال غيره في الزيادة تقاضا وهو تعديد القدر واصل النقصان وهو من الخس والبخس والخسران قال تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم وقال ولا تخسروا والميزان فالميزان هنا الرجحان على كفة الميزان الاخرى فاما من قال تعدد بتعدد الالة ووقال ابو طالب البرخ النقصان ميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

ففرق بين الخس والعول فجعل الخس من النقصان والعول من الزيادة على المدعى رواه حبان والحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب التاريخ وعلوم الحديث فالمستدرك وغيرها توفي سنة خمس واربعمائة بنيسابور قال الازهري وعبد الغافر وغيرهما توفي بخركرد من اعمال صفر وكان مولده بنيسابور في ربيع الاول سنة احدى وخمسين ومائتين وصححه في المستدرك على شرط الصحيحين ورواه ايضا النسائي وابو نعيم هو عند الجميع من طريق دراج ابي السمح عن ابي الهيثم عن ابي سعيد به ورواه ايضا ابو يعلى الموصلي في مسنده وصححه البطاقة في درج اعمال وهو عند الترمذي وابن حبان والبيهقي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا وكذا هو عند الامام احمد في مسنده وميزان على سعة المرء ما عند الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن سلمان رضي الله عنه مرفوعا يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعت فتقول الملائكة لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ورواه البيهقي موقوفا على سلمان وهو عند ابن ابي شيبة مرفوعا عن عائشة رضي الله عنها وقال رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وهو خفيف بمثقال حبة وزن حمال بمثقال ذرة خراز بالراء وقال ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها الآية ورواه البزار في صحيحه وقال صحيح الاسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال آمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهما لو وضعتا في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح بهما ورواه الطبراني ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان السموات والارض ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة الميزان ووضعت شهادة لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج حدثني عبد الله بن ابي سعيد المقبري عن زيد بن ابي عمار عن عطاء بن ابي رباح عن عمر رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي عليه جبة طيالسة مكفوفة بديباج او مزرورة بديباج فقال يعني اصحابه ان صاحبكم هذا يريد ان يرفع كل مراع برعاء ويضع كل راس برأس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فاخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال الا ارى عليك ثياب من لا يعقل ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال اني قاص عليكما الوصية آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين آمركما بالله والبر وانهاكما عن الكبر والشرك بالله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت

في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى لمالت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات والارض حلقة فوضعت
لا اله الا الله عليها لقصمتها وان كا لتسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ورواه ايضا
من طريق آخر عن سفيان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير باطول من هذا وروى بن جرير
بسنده عن جابر وعبد الله رضي الله عنهما مرفوعا الا اخبركم بشيء امر به نوح عليه السلام ابنه ان نوحا قال لابنه
يا بني اني آمرك ان تقول لا اله الا الله وسبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده واسناده ضعيف عند الاكثرين يعني بسنادي بن جرير والصعب بن زهير
هو الازدي الكوفي ثقة وزيد بن ابي العدوس مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدني ثقة عالم وعطاء بن يسار الهلالي
هو ابو محمد المدني مولى ميمونة رضي الله عنها ثقة فاضل تابعي وجرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الازدي ابو النضر
البصري ثقة الا ان له اوهاما اذا حدث عن حفظه رحمه الله تعالى واختلط اخر عمره ولم يحدث حال اختلاطه
وزيد هو عبد الله صاحب الامام مالك رحمه الله تعالى **وهذا الحديث** فيه شاهد لحديث ابي سعيد
الخدري وحديث عبد الله بن عمرو عند النسائي مرفوعا من طريق سفيان بن عيينة عن رجل عن الانصار والبزار عن ابي
موسى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نوح لابنه اقلل لي من الاثر الا الله وسبحان الله والحمد لله الا كبر والولد الصالح
يتوفى المرء المسلم فيحتسبه رواه الحاكم وابن حبان والحاكم عن ابي سعيد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاصم ان يعرف بكنيته
ولم اقف على اسمه وقد اسمه حريث قال في اسد الغابة في اسماء الصحابة وذكر حديثه هذا وقال الحاكم عن هذا الحديث انه صحيح
الاسناد واقره عليه الذهبي في مختصره المستدرك ورواه الامام احمد عن ابي امامة ورواه الطبراني عن سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المنذري ان رجاله رجال الصحيح وقال البزار في اسناده ابن حسن **وقد اختلف**
العلماء رحمهم الله ايما افضل قول لا اله الا الله او قول الحمد لله رب العالمين فذهبت طائفة الى ان الاول افضل
لانه يتضمن التوحيد الذي هو لا اله الا الله ففيه توحيد ووحد **وذهبت طائفة** بالاول لان لا اله الا
الله تدفع الكفر والشرك وعليها يقاتل الكفار قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا
الله الحديث **قلت** والحاكم قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا
اله الا الله وحده لا شريك له الحديث الا ان قوما قالوا الحمد لله افضل ما يقال في مقام التحميد ولا اله الا
الله افضل ما يقال في مقام التوحيد وتمسكوا بالحديث الذي رواه النسائي وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه
مرفوعا افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ورواه الترمذي وقال حسن غريب ورواه ايضا
ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد وهو عند الجميع مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا دليل قوي للقول الاخير وفيه
جمع بين الادلة الا ان له صلى الله عليه وسلم افضل قول ايوب عليه الصلاة والسلام في موضوع الدعاء في قوله لا الم الا انت
الاية وهو يتضمن الدعائين دعاء المسئلة ودعاء العبادة ايضا والله اعلم وفي جامعه وحسنه عن ابي هاشم
بن عتبة الانصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين وكتبه اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وفي جاوز
المئة رضي الله عنه وارضاه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا بن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا بن آدم
لو لقيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة والحديث رواه الترمذي بمعناه
وقال حسن صحيح وقراب الارض بضم القاف وكسرها لغتان والضم اشهر
ايرادها يقارب ملأها قال في مختصر النهاية وقد يعبر بالضم عن الملأ وبالكسر عن القدر مصدر قارب اذا دنا منه وما يقارب
ملأها وقوله عنان السماء بفتح العين المهملة نواحيها وقيل ما عن لك منها اي ظهر لك اذا رفعت رأسك في
قيل هو كسحاب والاول اصح نسبيا وكذلك ولذكر اقتصر عليه في مختصر النهاية ورجحه الرواية الاخرى لو خطيتم
حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتموني لغفرت لكم ثم لقيتني لا اشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة والعنان عند العرب في لسانهم لا تكون الا

قال الخطابي
من العرق الماء
نضر الله وجهه

مع الروية

مع الرؤية الا ان يكون المعنى فيه تدل على المنع من الرؤية كقوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما
اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون **وقد اجمع اهل** السنة باجمعهم على رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة
وانها غير مستحيلة عقلا وانكرت ذلك طوائف من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة من المبتدعة قال
اهل السنة واجماعة وهذا خطأ صريح وجهل قبيح **وقد ظاهرت** ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن
بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو عشرين صحابيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وايات القرآن وذكر بعضهم وأعتراضات المبتدعة عليها بالنسبة اهل السنة مدحضة مفلولة ثم
بين حاله وجزاءه فقال **ان تشرك به** ولا تتب عنه **يغفر** ان شاء **ما دون ذلك** من الذنوب **لمن يشاء** معفرة وهذا بيان لكثرة مغفرته كيلا
يأس المذنبون عن كثرة الخطيئة ولا يجوز للمرء ان يعتمد على مغفرة الله تعالى عفوه سدا لباب المعاصي لان الله تعالى عفو شديد العقاب لبعض
المذنبين فينبغي ان يخاف منه ويرجو المغفرة ولذلك يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال **احمد** بن حنبل رحمه الله اكثروا من
الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي مجالسكم وفي كل مكان فانكم لا تدرون متى تنزل المغفرة
فقد علمت بهذا الحديث ان من اسباب المغفرة تحريد التوحيد عن شرك وهو اكبر الذنوب واعظمها في غفران الذنوب
ومن فقد فقد المغفرة ومن جاء به فقد جاء باعظم اسباب المغفرة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **وقد قال** الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن ابي البختري
عن عبيد عن عبد الله بن الزبير عن كعب بن مالك رضي الله عنهم ان رجلا حلف بالله الذي لا اله الا هو كاذبا فغفر له قال شعبة
من قبل التوحيد **وعند** ابي داود عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من اصل الايمان
الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل
الى ان يقاتل اخر امتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار الا ان في حديث يزيد بن سنينة نضيم
النون اخرجه له الستة قال بن حجر والمناوي اسناده مجهول **وقد صح الحديث** ان من جاء مع التوحيد بقراب الارض
وهو ملؤها او ما يقاربه خطايا لقي الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشيئة الله سبحانه فان شاء غفر له وان شاء
واخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة فان كمال توحيد العبد واخلاصه
لله سبحانه وقيامه بشروطه كما يقوله ولسانه وجوارحه او يقولون ثم عملوا بحسب الامكان العمل الجوارح
اوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية الا تحلة القسم كما تقدم فمن تحقق بكلمة
التوحيد قلبا اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا وخشع قلبه وخضع وذل لربه
وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وان قابلتها احسنت كما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما **فهذا كتوحيد** هرقل اكبر اعظم الذنوب ولو وضع بمن ذنوب على جبال الذنوب وخطاياه
لقلبته احسنات كما في المسند وغيره عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا الله الا الله لا تترك ذنبا ولا تبقي معها عمل
وفي المسند ومعجم الطبراني بسند حسن عن معاذ بن انس الجهني عن ابيه رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاصحابه رضي الله عنهم
ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم انك
بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم
واخرج الامام احمد الضياء في المختارة عن ابي رضي الله عنه من طريق لا باس به نحو حديث انس الذي اورده المصنف في المتن **و**
في صحيح مسلم عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له تقوم
لا يلقى بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة **وفيه** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له تقوم
من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة **والاحاديث** في هذا المعنى كثيرة جدا
ولكن قال بعض العلماء ان كلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار لكن لا بد من شروط وفي الاتيان
بالفرائض وموانع وهي اتيان الكبائر قال **وهب** بن منبه كما في البخاري عنه لما قيل له اليس مفتاح الجنة
لا اله الا الله قال بلى ولكن ليس من مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك وفي البخاري

صدق واخلاص واخلاص وصدق يمنع الاصرار عليها معصية وجاء من غير وجه الكبير عن ابي الدرداء
من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصه قال ان تحجزه عما حرم الله وروى ابن ابي عاصم
ضعيف مسندا ومعضدا بطبراني وغيره الا وسطا عن زيد ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة قيل وما اخلاصه قال ان تحجزه عن محارم الله عز وجل ورواه الضياء الكبير بلفظ الا انه قال فيه ان تحجزه
عما حرم الله عليه ولعل كسر اشارة بكلامه المتقدم الى هذا فان تحقيق القلب لمعنى لا اله الا الله وصدقه
فيها واخلاصه لا يتم هنا عليه عند حديث عتبان يقتضي ان يرسخ فيه تأله الله وحده اجلالا وهيبة
ومحبة ورجاء وتعظيما وتوكلا ويتخلى عنه بذكر تأله كل ما سواه وهي كما لا يخفى كذلك يصفيه محبة
ولا ارادة ولا طلب لغير ما يرضي الله ويحبه ويطلبه وينفي عن بذكر جميع هوى النفوس وارادتها
ووساوس الشيطان من حب شيء واطاعته ولصقه به وبغض عليه وهو الهه فمن كان لا يحب الا الله ولا يبغض
الا الله ولا يوالي ولا يعادي الا لله فقد اله حقا ومن احب لهواه وابغض له وعادى عليه ووالى عليه فقد
اتخذ الهه هواه قال ابن عباس في قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه هو الذي لا يهوى شيئا الا ارتكبه وقال
قتادة هو الذي كلما هوى شيئا فعله وكلما اشتهى شيئا اتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ويعوذ بالله
من ذلك وروى ابن ابي حاتم عن ابي امامة مرفوعا ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع
وكذلك من اطاع الشيطان في معصية الله فقد عبده كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وتبين بهذا التحقيق ان لا معنى لتحقيق قول لا اله
الا الله الا لمن لم يكن قلبه اصر على محبة غير الله ولا على ارادة ما لا يريده الله شرعا وصنعا كما مر في القلب
شيء من ذلك كما مر نقصان في التوحيد وهو نوع من الشرك الخفي فاتضح بذلك معنى قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار وما شاكله من الاحاديث المتقدم
ذكرها وغيرها مما في معناها فان من دخل النار من اهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها فان هذه
الكلمة اذا صدقت ظهرت من القلب كما سوى الله سبحانه فمن صدق في قول لا اله الا الله لم يحب سواه ولم يرج
الا اياه ولم يخش الا هو ولم يتوكل الا عليه ولم يبق له بقية من ان يرتقه وهواه ولهذا قال
سفيان بن عيينة كما رواه ابن ابي الدنيا عنه فما انعم الله على العباد نعمة افضل من ان عرفهم لا اله الا الله فعند ذلك
علم ذي عينه عن عثمان رضي الله عنه مرفوعا من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وفي مسند الامام
احمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى بعدي ولا قاجر الا دخلها يعني النار فتكون على المؤمنين بردا وسلاما
كما كانت النار على ابراهيم ويشهد لما تقدم حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان آخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة وهو صحيح قال الخطابي على هذا اكثر شيخ متصف لفضل التوحيد فان المحتضر لا يكاد
يقولها الا باخلاص وتوبة وندم على ما مضى وعزم على ان لا يعود الى مثله نقله عن بعض العلماء ورجحه
قلت وبشاهد لما قال الخطابي حديث البراء رواه ابو بكر بن ابي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان
وابن لال والديلمي في الفردوس عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال حضر موت رجل الموت فشق عليه اعضائه
فلم يجد عملا خيرا قط ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا قط ففكر فيه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول
لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص فقد بين بهذا ان اوجز الخلص لو لقي به يقرب الارض
خطايا قابله مولاه الغفور الرحيم بقرابها مغفرة فان خاتمة الذنوب عارضة والدافع لها قوي ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وثبت الاسلام يجب ما قبله قال الفخر الرازي وانما سميت كلمة الاخلاص
بذلك لان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره اذا صفى عن شوب غيره وخلص منه كمي خالص رزقنا الله والمسلمين
الخاتمة عليه والله سبحانه ولي التوفيق

الباب الثاني في بيان ما
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب لما ذكره رحمه الله تعالى من فضل التوحيد وشوق اليه

اعقبه بذكر حقيقة هذا الشوق اليه ليعرف حتى يكون المتصف به على حقيقة من فضله فيزداد فيه رغبة قال وقوله تعالى

ان ابرهيم هو خليل الرحمن امام الحنفاء وو الد الانبياء عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام كان امة اي اماما يقتدى
به قال ابن مسعود رضي الله عنه الامة معلم الخير وعن ابن عمر الامة الذي يعلم الناس دينهم قانتا لله اي خاشعا
مطيعا منقادا للمولاه هذا الجمع الاوصاف المذكورة حنيفا اي مخرفا قاصدا عن كل دين الى التوحيد فالقاصد
الى التوحيد لابد ان يكون منحرفا عن جميع ما سواه من الاديان قال الخطيب مدح سعيد بن العاص وهو من اهل المدينة

ولم يقولوا ان اهل مكة كانوا على التوحيد ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث الا الى وجه الا الله حنيف

واصل الحنف الميل والانحراف ومنه قالت ام الاحنف بها قيس الفهمي سيد بني تميم وهي من قصة صغيرا
والله لو احنف رجله ما كان ذلك صبيانكم من مثله فقال عليه الصلاة و
السلام ما يدريك ذكرنا الى التوحيد عن جميع الاديان ما سواه ولهذا قال تعالى ولم يك من المشركين قال
ابن جرير حدثني فروة بن ابي قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا
فقلت ونسي غلط ابو عبد الرحمن انما قال الله ان ابرهيم كان امة فما الامة وما القانت فقلت الله اعلم
قال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله ولهذا اثنى الله على ابرهيم عليه الصلاة والسلام
فقال شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم فانه عليه السلام قد بذل ماله للضيفان وبذل نفسه للنيران
وقلبه للرحمن فاتخذه الله بذلك خليلا واصطفاه دون الخلق وليا وكان ابدا حنيفا ووهب له اسحق
ويعقوب ومن ذريته وجعل النبوة في نسله حتى ختم محمد صلى الله عليه وسلم ابن ابنه الزبيح الذي من اتباعه عيسى بن
رسول الله المسيح وبوجل قدر الخليل عليه السلام ذكره الله عز وجل في القرآن حيث قال انني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال صلى الله عليه وسلم اتاني آت من ربي فقال
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين يعني من قومك وذلك قال تعالى واذ بنا
قيما ملة ابرهيم وهو صراط المستقيم الذي لا تميل فيه ولا تعطيل ولا حيف فيه ولا ميل وتقريبه هو
ان الله تعالى لما ذكر ابرهيم بما ذكره تعالى مما هذا قال لخاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم امرا له
ان يتبع ملته فيما اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وقد قال ابن مسعود
رضي الله عنه سوكا على الكف فهو جماعة واما وصف الله تعالى ابرهيم كان امة فقد ذكرت من كان الا
نسيان اذا ذكر هذه الصفة فقد ذكر تحقيق التوحيد وحقه ان يحرم على النار كل من يتصف به على ابرهيم
حتى ان الدنيا قال لها كوني بردا وسلاما على ابرهيم ولن يدخل النار بغير حساب ولا عذاب وقال تعالى
يعني لم يكونوا ان لا يعبدوا معه غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا هو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد وهذا ما وصفهم قال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون فبسبقهم الى الكرامة
في الدنيا برضوا عنهم في الاخرة ورضاهم فهم ممن يقول الى الجنة جزاء بما كانوا يعملون وهذا
جزاء الاحسان وهذا على قراءة الجماعة في قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ظاهر
وهذه الآية كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا الآية فهذا قولها وهما
يرفعان قواعد بيت ربهما وافضل عملها فما قد خشيا الا يقبل منهما عملهما فما ظنك عن
هذا اخلاصهم وشفقتهم على قبوله منهم ان الله يجزي على الحسنة الحسنى ويدخل الجنة من يشاء بغير حساب
الكتاب فانه الصادق وعده وهو لا يخلف الميعاد واما الخوف فانا اخوف على انا اجتهد جهدنا به الامر ونقصر
فنسأل من يأخذ بالنواصي ان يأخذ بنواصينا الى الكتاب والسنة حيث قلوبنا عليهم فقد نجا الله سبحانه خليله
ابرهيم من نار الدنيا التي اراد ان يعذبه بها اعداؤه فجعلها الذي خلقها على ابرهيم برد وسلاما وهذه عادة
الله مع اوليائه وهذا ان حرية الاخلاص عقبة كؤود صعبة المرتقى
ومن تأمل احوال الصحابة رضي الله عنهم وسلف الصالح وجدهم مع غاية العمل في غاية الخوف مع حسن
ظنهم بربهم غاية التقصير والتفريط فنسأل الله اللطف والعفو فان يرحمنا ضعفنا ويجبر كسرنا انه كريم وهاب ولي الصالحين

والسلام

ان رد القدر شيء اذا القدر عبارة عن سابق علم الله سبحانه وهو الراد لامره ولهذا قال يعقوب عليه السلام
وما اغني عنكم من الله من شيء الاية فجمع بين نفس يعقوب قضاها وهي استعمال الاسباب مع التسليم لقضاء الله
وقدره في سابق علمه ولهذا قالوا تداووا مما علمتم ما علمنا وتركوا كثير الاسباب يتعللون والقدر اذا رأى طبيب
انه لو فرض ان سواد له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين لكنها لا تسبقه فكيف نحوها قال
الغوري فيه انبأ القدر وصح ان العين واردة القدر وفي امره صلى الله عليه وسلم اهل العائن بالاغتسال
عند طلب المعيون منه ذكر اشارة الى ان ذلك معلوم عندهم فامرهم صلى الله عليه وسلم الا يمتنعوا منه اذا اريد
منهم وادنى ما في ذلك ان يكون رفع الوهم الحاصل عند ذكره وظاهر الامر الوجوب مطلقا وقيل اذا خشي الهلاك كما يجب على
بذل الطعام للمضطر واولى وصفة الاغتسال ما خرجه الامام احمد والنسائي وصححه
ابن حبان عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان ابا ه رضي الله عنه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخرج وسار معه
نحو ماء حتى اذا كان بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر
بن ربيعة فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخباة فلدع به ان صرع فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون به من احد قالوا
عامر بن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رأيت ما يعجبه بركت ثم قال
اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم امر ان يصب ذلك
الماء على رجل من خلفه على راسه وظهره ثم يكفي القدح ففعل ذلك به فراح سهل مع الناس ليس به باس لفظ رواية
ابي داود وليس عن الزهري بهذا السند ولفظ رواية النسائي من رواية ابي اويس عن الزهري بهذا السند فنداخ صبة
صبة على رأسه ووجهه بيده اليمنى وكذلك سائر اعضائه صبة صبة على القدح وقال في آخره ثم يكفي القدح وراءه
على الارض واختلفوا في كيفية غسل ازاره وكمامهم يدعون على ما يلي الجسد قال ابو عبيد القاسم
بن سلام اختلف الناس في معناه وكان بعضهم يذهب وجهه الى المذاكير وبعضهم الى الاليتين والوركين قال وليس هو عندي
في هذا في شيء انما اراد بداخلة ازاره وطرف ازاره الداخل الذي يلي جسده وهو يلي الجانب الايمن من الرجل لان المؤتزر
انما يبدأ اذا ائتزر بجانبه الايمن فذكر الطرف بأسره جسده فهو الذي يغسل قال والاعلم الا وقتادة قد فسر في
بعض الحديث هكذا اورده ابو داود في صفة الغسل عن الزهري فقال احد شيوخه عجلان عن ابي امامة عن الزهري
قال يؤتى كل العائن بقدح فيدخل كفه فيمضمض فيه في القدح ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى ثم يدخل
يده اليمنى فيصب على كفه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه اليسرى
ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على
ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم
يصب على راس الرجل الذي يصاب بالعين من خلفه صبة واحدة وقال من قبل ان يرفع رأسه تعالى وهذه
الكيفية لا ينتفع بها سائر الناس ولا من سخرناها ولا من شكك في اوفعل محرما غير معتقد واذا كان في
طبيعة خواص لا يعلم الاطباء على ما يلي عندهم خارجة عن القياس وانما تفعل بالخاصية فالذي ينكر جهلهم
من اكوص لكن غيبة هذا مع انا في المعالجة بالاغتسال مشبهة لانا باها العقول الصحيحة فهذا ما وقع لكتبه
يوخذ من كلامه وهذا على النفس الغضبية توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن وكان ان تلك العلة
كشعلة من نار وقعت على جسد ففي الاغتسال اطفاء لتلك الشعلة ثم لما كانت
هذه الكيفية لخبية تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لسرعة نفوذها فيها والشيء ارق من العين فكان بغسلها
ابطال لعملها وربما ان للارواح كيفية في تلك المواضع اختصاصا ولصل العين من الجسد المنبع من القلب
وعند ابي داود الطيالسي والبخاري في تاريخه والضياء المقدسي في المختارة والحكيم الترمذي والبزار بسند حسن
عن جابر رضي الله عنه مرفوعا اكثر من يموت من امتي بعد قضاء الله وقدره بالعين فحصر الله صلى الله عليه وسلم من بين
سائر الامم لانها فضلت عن غيرها بالبقين قلت عجبوا انفسهم بالشهوات فوقعوا باصابة العين وذكر القضاء
والقدر في ذكره مع انا كما بينا انما هو رد على العرب الزاعمين ان العين توثر بذاتها استقلالا
قال العلماء رحمهم الله في العائن اذا عزم منه الضرر على المعين ندبا كما ذكرنا ان لولي الامر ان يلزمه
بلزوم بيته فان كان فقيرا ورزقه في بيت المال وفي تضمينه ما يتلف بعينه خلاف عندهم

صحيح

صحيح تضمنه حتى قال بعضهم القصاص فيمن يقتل بعينه وقال سعيد فد احسن من انتهى الى ما سمع
فيه دليل على ان العباد امتحنوا على التوقيف وان الخطب في باب الاسباب باب العبادة حيث قال قد احسن من انتهى
الى ما سمع اذ فعل الاسباب من اباح لغير قوى العباد وتوكل عليه وبهذا يتبين فضل العلم والا انتهى الله
والتأدب بعده ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاين اذا نزال العلم استوى عند صاحب
ذكر الحق والباطل والضار والنافع والغي والرشاد فلم ينتفع بشئ قال الشاعر

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوى عنده الانوار والظلم

وكحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرض علي الامم فرأيت النبي
وهو انسان او حي اليه شرع او امر بتبليغه والظاهر انه الى بالغ النبي في هذا الموضع دون الرسول
لانه لم يدخل فيه النبي غير الرسول ويعلم هذا مما بعد من ذكر موسى عليه الصلاة والسلام مع الرجل
والرجلان وكنبي ليس معه احد وهذا يدل على قلة اهل الحق فلا ينبغي ان يغتر الانسان بكثرة اهل الباطل ولا
فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه فيما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ما اظنهم الا كما يعد
هذا الدين ما ترى من كثرة عددهم وقلة عدد هم الحديث وقد قال تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله وقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين اذ زين لهم السواد العظيم
فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى هو وقومه فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك يعني امة الاجابة من كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام وهم يقولون ما رؤيا لانه
لم يتبع لانه لم يدرك به لانه لم يكن معه رسول ولم تقم الساعة اذ حصلت بها القهار وعلى الصلاة والسلام الرسالة والقوم
الذين اتبعوه وقبلوا منه ما ارسل به اليهم من بني اسرائيل ومن تبعهم من القبط وغيرهم ممن اتبعه في ذلك الزمن
من بني آدم فنظرت فاذا سواد عظيم قيل لي هذه امتك يعني امة الاجابة من المخلصين والمتقين وهم سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض صلى الله عليه وسلم فدخل منزله فخاض الناس
في اوليك واخوض الخليط في الامر والدوري اوليك يعني عما علم الذي يستحقون به ان يدخلوا الجنة
بغير حساب ولا عذاب لاهتمامهم بالحرص رضي الله عنهم على ذلك العمل المتصفوا به والمعنى انهم تكلموا او تنا
ظروا فيهم وفيه اباحة ذكر ما يتعلق بالعلم والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة والاظهار لكونه الى
جوع في ذلك عند الاختلاف والاختلاف لاتهام الى الاعلم فذكر كان في المستفاد منه وان قد تقف
المتباحثون على الخطا حتى يكشف لهم من هو اعلم منهم بالعلم الواضح في ذلك الاوان يقال كان المتكلمون بعض اصحابه
من الخاطرين الاكلهم فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا
في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا اشياء واكوا وخاطوا فيها بما قال فتوافقوا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في خوضهم فاخبروه بما خاضوا فيه فقال اوليك فقال لهم عند
ذكر كما شفاهم ما خاضوا فيه هم الذين لا يسترقون ولم يقل في هذا لا يرقون ولا يكتوون ولم يقل لا يكتوون
ولا يتطيرون خرج من هذا ان الفال فانه في الحقيقة لا يسمى طيرة فانه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفال الحسن
كما في الصحيحين والشرح موضحا باوضح بيان وعلى ربهم يتوكلون امتثالا لامرهم لقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مسلمين وطبقا لما يتضمنه قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شئ قدرا وقد قال الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي الان اذا قصد بالطب ادامة الصحة
او دفع السقم وعلم ان سبب وعلامة لا يوجب استقلالا لدفع الالم او دفع السقم فهو من الذين لا يسترقون
ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون على احد الاقوال وقيل يستحب بجواز التداوي قال بعضهم وهذا
لا يصح لان الاخبار في الفضائل لا يدخلها النسخ وانما يدخل النسخ في الاحكام قال بعضهم
وهذه غفلة فان جواز التداوي من الاحكام ولكن النسخ انما يتوجه الى ما كان حكما شرعيا قد كلف
بهم في الاخرة وترى احوالهم في الجنة واعلم بصفتهم وعددهم وخصائصهم وتحقيق القول في المحل انك
ان ظاهره يقتضي حال الصديق رضي الله عنه لما قيل له في الاذعوا لك طبيبا قال الطبيب امرضني فلو قد سئلتم

فقال إني فعال لما أريد فأخذه سري السقطي لما قال له الجنيد رحمه الله كيف تجدك فقال مجيبا له
كيف أشكو إلى طبيبي دائي والذي بي أصابني من طبيبي
وهذا معنى قول أبي علي الدقاق رحمه الله واظهر منه قول الآخر
هما نقدم ان التوكل لا ينافي الكسب ولا ترك التداوي اذا تحقق العبد انه لا يدفع البلاء النازل الا بالتوجه الى المقدر وانها مسخرة له بحكمه من التقدير ولمباشرتها لا ينافي حقيقة التوكل ولا تحقه لان التوكل من كلها جائز وانه افضل لمن قدر عليه مع جواز استعمالها وفي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ما انزل الله داء الا انزل له شفاء وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى وقد اخذ بعض اصحابنا رضي الله عنهم على الرقية كما مر واستدل على ذلك بما في الصحيحين وغيرهما في قصة لديغ الحي فقام عكاشة رضي الله عنه وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة هكذا الحديث في الصحيحين وزاد بن اسحق ورد الدعوة وزاد مسلم هم الذين لا يرقون ولا يسترقون الخ قال شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه نفى الوصف ان هذه الالفاظ يعني قوله لا يرقون مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة فان النبي صلى الله عليه وسلم انما حمد القوم الذين يستحقهم هؤلاء دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب بتحقيقهم التوحيد بحيث لا يسألون غيرهم ان يرقيهم وذكر عبد الحق ان بعض اهل العلم قال لان الرجل الذي قال له سبقك بها عكاشة كان منافقا ولذلك لم يدع له صلى الله عليه وسلم فاقام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة وهذا لا يصح لان في سنده من طريق ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث فاقام رجل من خيار المهاجرين فقال ادع الله ان يجعلني منهم وقد ذكر الخطيب ابن سعد بن عبادة رضي الله عنه فاعلم ايها الذاكر ان ما ذكرناه في حديث عكاشة رضي الله عنه في صحيح الا مصلة اذ ليس في معرفتهم ولا في قائل هذا الكلام ما يمنع صحبة ابن سعد رضي الله عنه ولهذا لم يعد عكاشة في حديث واحد من هذه القصة ولم يختلف اهل السير ان عكاشة شهد بدرا وقتل يوم مرداس طليحة بن خويلد الاسدي الوالبي الذي ارتد في زمن ابي بكر رضي الله عنه فمن زعم انه قتل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني اسد وليس كما زعم وقد ذكر بعض اهل العلم ان قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة ان سبقك بهذه الصفة التي هي صفة السبعين الفا وهو ترك الرقية ونحوه ولم يقل لست منهم ولا على لفظ انك لست منهم وبلطافة في الكلام لا تمنع اصحاب الكرام وقال سهيلي عند ذكره في هذا الحديث انها كانت ساعة اجابة علمها صلى الله عليه وسلم فلما انقضت قال لعكاشة لست من هذا حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال فيه بعد ذكر عكاشة فقام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام الثالث فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وصاحبه ولو قلت لقلت ولو قلت لوجبت وفي سند ابن السكن في مسند البزار ايضا ويقوي هذا المعنى ايضا رواية ابن اسحق المتقدمة وقد زاد فيها كما تقدم ذكره سبقك بها عكاشة وردت الدعوة **وقوله** ولا يتطيرون الطيرة نوع من الشرك نحو صفتهم انهم يتوكلون على الله سبحانه وهذه لا تكمل الا لمن توكل على الله حق توكله والتطير هو عدم تمام التوكل والله سبحانه وتعالى اعلم وقد جاء في حديث الطيرة شرك قال ابن مسعود رضي الله عنه وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل لان التوكل ينافي الطيرة ويستأنى في ذلك **وأما رقية العين** فهي احسان من الراقي وقد رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما السلام لما لدغ من السحر واذن صلى الله عليه وسلم في الرقى وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك وامتناعه فيها قال ليستطع منكم ان ينفع اخاه فليفعل فهذا يدل على انها نفع واحسان وذكر مستحب مطلوب سبحانه ولرسوله قال الراقي نحن والمرقي سائل مطلوب نفع الغير وتحقيق التوكل ينافي ذلك فان فعل فعلا ينافيه

رضي الله عنهما

رضي الله عنها قد رقت العين صلى الله عليه وسلم وحين مات ولده وبكاء فقال اجل ولكن هو رحمة وهو صلى الله عليه وسلم لم يقل الا ما فهم راقوا انما قال الا ما يطلبون من احوال من فهم ~~وقال صلى الله عليه وسلم~~ ~~رحمة الله عليه وسلم~~ ~~وقال صلى الله عليه وسلم~~ وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعيد عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب قبل لهم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وقال احمد في مسنده ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن ابي حازم عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما كان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي الامم فرأيت علي ابي من امتي رهطا رأيتهم فاعجبني كثرتهم وهيئتهم قد ملؤا السهل والجبل فقال ارضيت يا محمد فقلت نعم قال فانه مع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت منهم فقام رجل اخر فقال سبقك بها عكاشة وسناده على شرط مسلم وفي حديث حصين بن عبد الرحمن المتقدم زيادات ونقص بعض عنها لان ما اورده المصنف هو اتم سياقة وانبه عند الحفاظ فاقتصرنا عليه وفي حديث سهل بن سعد الساعدي عند الطبراني رضي الله عنه في الصحيح سبعون الفا وسبعة الف وعند الامام احمد في مسنده وابي يعلى الموصلي في مسنده من طريق ابي نوبان عن شهر بن حوشب عن ابي امامة سبعون الفا او سبعمائة الف ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا ورواه الامام احمد البزار وابو يعلى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه فاستزيده ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا وعند الامام احمد عن انس رضي الله عنه وفيه فقال ابو بكر يا رسول الله زدنا قال هكذا واشار بيده قال يا نبي الله زدنا قال هكذا قال له عمر حسبك يا ابا بكر قال ابو بكر حالتا ولكن دنيا الخطاب قال عمر والله قادرا ان يدخل الناس الجنة بكفة ولصدقة قال الصادق صلى الله عليه وسلم صدق عمر ورواه هو ايضا من وجه اخر عن عبد الرحمن ابي بكر عن ابيه وفيه فقال عمر يا رسول الله هلا استزدته قال قد استزدته فاعطاني مع كل واحد سبعين الفا فقال عمر فهل استزدت قال قد استزدته فاعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط ذراعيه وحنا قال هشام هذا من الله ما يدري ما عدده وفي حديث ابي امامة ايضا بسند حسن عن حذيفة رضي الله عنه ورواه ابو داود الطيالسي عن ابي امامة سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب وفي هذه الاحاديث دليل على ان المقصود انه اعلم واتم الكي فقد ترجم عن الحفاظ من اهل الحديث منهم البخاري في صحيحه فقال باب من اكتوى او كوى غيره وفضل من لم يكتو او اراد بالرقية الرخصة ان الكي جائز للحاجة وان الاولى تركه اذا لم تتعين وانه اذا جاز كان فعل غيره كذلك به احق من ان يباشر الشخص ذلك بنفسه او بغيره لنفسه وعموم مجوز ماخوذ من حديث جابر الذي اورده البخاري في هذا الباب عن صلى الله عليه وسلم انه قال ان كان في شيء مما تداوون به خير ففي شرطة محجم او لذعة بنار وما احب ان اكتوي وفي اخر له عند مسلم من طريق ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فجربنا فما اغنى وفي حديث معاذ على الكاهل فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي طريق ابي سفيان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه وفي حديث عطاء ومحمد بن علي والحاكم وصححه عن انس رضي الله عنه قال كويت ابو طلحة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم واصابه في البخاري وانه كوى سعد من شوكة وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين انه قال كان مسلم علي يحيى اكتويت فبرئت ثم تركت الكي فعادوا وله عنه من وجه اخر الذي كان انقطع عني وجع الى الان يعني مسلم الملائكة وفي لفظ له انه كان يسلم علي فما اكتويت اسكن عني فما تركته عاد الوجع وفي حديث ابي هريرة رواه احمد وابو داود والترمذي عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا وفي لفظ فلم نفلح ولم ينجح وذلك انه صلى الله عليه وسلم استشفى بطنه فبقي على ذلك على ظاهره ثلاثة ايام ثم توفي وقد نقب له في سرر من جريد فكان عليه موضع القضاء جاثم فوضع على مطن رجل عبد الله الشخير واخوه العلاء فجعل مطرف يبكي لما يرى من حاله فقال عمران رضي الله عنه ما يبكيك فقال الاني اراك على هذه الحالة

وهو في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
وعند البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
انهما سبعون الفا سبعون الفا
وعند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
سبعون الفا سبعون الفا وعدد
انهما سبعون الفا سبعون الفا
حسنه الترمذي وصححه الحاكم

العظيمة قال لا تبكي فان احنكه الى الله احبه الى ثم قال احدثكم حديثا لعل الله ينفعكم به والكم على حتى اموت
ان الملائكة تزورني فأنزلها وسلمي على قال بحجر وله يرفع ان صح ان الحسن صلى عليه اذا لم الكتوي
وذكره الحاكم بلفظ روى انه الكتوى الجرح الذي اصابه باحد وقال بت في الصحيح في غزوة احد ان فاطمة رضي
الله عنها حصنا فحنك به جرحه ولبس هذا الكي المعهود وجزم بذلك ابن القيم بان الكتوى وعكسه ابن حجر
بل قيم الكوز بتخ الهدي فعلم مما تقدم ان الكي مستعمل في هذا الباب وهو من العلاج الذي يعتريه اخذا
صحة والعافية والعزيمة في كتابه فيما يعرض لها من الادواء وتقول في انها اخر الدواء الكي قال شاعرهم في ذكره وهو مما
يتمثل به اذا اكويت كية فانضجي ولا تنفخي بها الداء ولا تفوحي
فانكي داخل في جملة العلاج والتداوي المأذون فيه المذكور فحديث اسامة بن شريك اذ قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كأنما
على رؤوسهم الطير فسلمت عليهم فقعدت فجاء الاعراب من ههنا وههنا فقالوا يا رسول الله نتداوى قال نعم تداووا فان
الله لم يضع داء الا وضع له دواء غير الهرم رواه ابو داود بسند صحيح فقال احمد ما حض على التداوي بهذا الحديث
على زيادة على اقتضى اسامة بن شريك فذكره ورواه غيره بمعناه لفظ فما حدث عمران
بن حصين رضي الله عنه في الكي المتقدم فقال العلماء منهم ابو سليمان الخطابي يحتمل وجوها
احدها ان يكون ذلك مما اعلم انه يخطئ ولا من ويقولون آخر الدواء الكي وروى ان يجتمع الداء ويتعين فاذا لم ينفع
ذلك عدل صاحبه وهكذا نهى عن ذلك اذا كان العلاج على هذا الوجه ولهذا قال في حديث ابن عباس رضي الله عنهما
عند البخاري والصحيح رفعه الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية بنار واني انهى امتي عن الكي ذكره في
باب الطب فابان لهم استعماله على معنى التوكل على الله سبحانه وطلب الشفاء والبرء مما احدث الله من صنعه
وجعله من الشفاء على اثره لما جعل الله سبحانه في ذلك من الاسباب فيكون الكي والدواء سببا لا علة وهو ان
يكون سلوك الناس فيه وتخطيهم فيه طفوفهم ولوعهم به فيما اكثر ما سمعت يقولون لو اقام فلان بارضه ولم
يرحل لم يهلك ولو شرب الدواء لم يسقم وفي ذلك من تجريد اضافة الامور الى الاسباب وتعليق الحوادث بها دونه تسليط
القضاء عليها وتغليب المقادير فيها فكون الاسباب حاجزة لتلك الكوائن لا موجبة لها وقد بين
الله ذلك في كتابه في قوله انما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال عن الكفار
وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
وقد سلك بعض الحكماء في هذا طريقا لطيفا وقيد كلامهم فيما قال ابو ذؤيب العذلي يذكر ابنا له
يرد على نبيه يقولون لو كان الرقى لم يمت نبيشة والكهان يكذب قولها
ولو انني استودعت الشمس لارتقت اليه الى ان تستقر شعاعها
يريد ابو ذؤيب بالكهان في هذا الاطباء والعرب تدعو الاطباء كهانا وكل متعاط علما مغيبا فهو عندهم كاهن و
عن اياس قال لعروة بن حزام وقد مر بطبيب يجد فعالجه فلم يصح شفا فقال له عروة ياهناه هل عند طبيبك
دواء او رقية فقال الا والله فانصرف وهو يقول حتى مر باصحابه حتى مر بابطيب يجد لكما وهو العرق فاكلوه فبرأ
فعلم وصنع به مثل ذلك فلم يصنع شيئا فانشأ يقول فيما رواه مهرب داود الظاهري كنا آمن هذا غير
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني
وقد رواه وعراف حجر هما شفياني وقال ابو بكر له ولو وفاه لوفاه الوافي
حتى ان يكون فوض قدره فقال على ثم وكيع بوقاما الملاقي لا قي وقال زهير بن ابي سلمى
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام انبا كما باسباب سلم ومثل هذا في كلامهم كثير
وفيه وجه آخر وهو ان يكون نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكي هو ان يفعل احتراما من الدليل
قبل وقوع الضرورة ونزول البلية وذكرنا ايجاب العلاج والتداوي عند وقوع الحاجة ودعاء الضرورة
اليه لانه انما كوى سعد لحبي حاق عليها لهذا كان ذلك الخوف وقد يحتمل ان يكون انما نهى عن

خاصة عن الكبر في علة بعينها لعلمه انه لا ينجي الأنف فيه الاتراه يقول رضي الله عنه فما خلصنا ولا النجاء وقد كان به النا صور ولعله انما نهاه عن استعمال الكبر في موضعه من الدين والله اذا كان في الخطر العظيم كان محظورا والكبر في بعض الاعضاء بعظم خطره وليس كذلك في بعض الاعضاء فيشبه ان يكون النهي منصرفا الى النوع الذي

ف قالوا وهذا الاحتمال رده حديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم الذي خرجه البخاري وانه نهى عن الكبر وهو عام وسيأتي باقي الكلام على هذا في حديث البزار في ابواب اسماء الله تعالى كالطبراني

الباب الثالث باب الخوف من الشرك

حقيقة التوحيد

لما ذكر رحمه الله تعالى ان من دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب اعقبه بالخوف من الشرك ليكون محصل التوحيد على حذر من زواله او نقصانه وليدل بذلك على الرجاء في فضله بل يجمع بين الخوف والرجاء في ذلك ولهذا استشهد بعض الائمة الاكرمين فقال وقول الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وينبغي ان نقدم

قاعدة في ذكر ما يتعلق بالآية الكريمة وهذه الترجمة مما قرر العلماء رضي الله عنهم في هذا المقام بان تقول ان الشرك شركان شرك يتعلق بذات المعبود سبحانه وبصفاته وافعاله وشرك في عبادته وهما ملتان وان كان صاحب هذا يعتقد ان الله سبحانه لا شريك له في ذاته وافعاله وصفاته فالاول نوعان

احدهما شرك التعطيل وهو اقبح كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين وقال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى فالوا فان الشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك الا ان الشرك قد يستلزم اصل التعطيل بل قد يكون اشد كشرك من يجعل لله ولدا او صاحبة او شريكا في ملكه او عبادته وكل ذلك تعطيل لحق التوحيد واصل الشرك وقاعدته ترجع الى التعطيل فهو اقسام

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الكمال عن كمال المقدس بتعطيل اسمائه واوصافه وافعاله وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وتعطيل معاملة العبد ربه على العبد من حقيقة التوحيد وشرك اهل وحدة الوجود في قولهم ما ثم خالق ومخلوق قبل كفرهم المنزه عيني الخلق تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا بل له اسماء الكمال والاوصاف ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته وانه لم يزل معدوما اصلا الى غير ذلك من اقوالهم الكفرية التي هضموا فيها انكار الرب سبحانه ومن هذا الضرب شرك من عطل الرب سبحانه عن صفاته وافعاله كغلاة الجهمية والقرامطة

النوع الثاني

من جعل معه سبحانه الهة اخرى كالنصارى في جعلهم ثالث ثلاثة وكالمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة وشرك القدرية القائلين بان الحيوان هو الذي يخلق افعال نفسه وانما تحدث بمشيئته وقدرته ولا دخل لمشيئة الله وقدرته وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله ولهذا كانوا بالمجوس اشبه ومنه شرك الذين جعلوا نفسه ند الله تعالى بان قالوا ما شاء الله وشئت لا حاجة لها الى الفاء وواو الا بتباء وهم خلق كثير في الارض والى هذا يرجع قول من قال لما قال له ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت

[redacted]

وشرك من يجعل الكواكب العلوية ارباما مدبرة لامر هذا العالم استقلالا او غير مستقل كما هو مذهب طائفة من الصابئة وابتاعهم من الكلدانيين وشرك عباد الشمس وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده هو الله على الحقيقة ومنهم من يزعم انه اكبر الالهة ومنهم من يزعم انه الهة من جملة الالهة

ومنهم من زعم ان معبوده الادنى يقربه
الى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقربه الى من هو فوق حتى يقربه ذلك الى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط و
تارة تقل كما اخبر الله عنهم في قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا الذي قال الله فيه ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وقد جمعهم الجحيم بالنصارى في ضلال
مبين اذ شبهوهم برب العالمين ويعلم ضرورة ما سووهم به من كل وجه لخلقه الرزق والاماتة والاحياء والملك
والقدرة وانما سووهم به في الحب والتأله والتضرع لهم والتذلل وهذا غاية الضلال والجهل فكيف بسوي رب الخلق
من غير خلق فاي ظلم اقبح من هذا وايّ حكم اجور منه حيث عدل من لا عدل له ولا مثل يخلقه كما سمعت الحق
الذي خلق السموات والارض ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدلهم الشيء بخلقه والغوه ما اذ رفع السموات
والارض فيالك من عدل يقضي بالظلم وافحه ولفسه وقد قال بعض سلف
ان الله النار هذه التي صدر بها الشيخ هذا الباب احكم الله في الشرك واخوفهم في جانبه وقد جاء
هذا في جانب التوحيد فقد روى ابن ابي الدنيا عن علي رضي الله عنه قال احب اية في القرآن الى ان الله لا
يغفر الشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي صحيح مسلم من طريق مرة عن عبد الله قال لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب
قال ونعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك
بالله من امته شيئا المقحمات كيف احكم الله في الشرك في قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به فوضح تحت ذلك جميع الشرك كبيره وصغيره فلا يغفر من ذلك الا بالتوبة منه وكيف ينقض التوحيد
ويخرج من الملة ولا يعتبر صاحبه عمل ما قام على ذكره فنسبحان من نزه كتابه من ذكر وصفه كالرياء والسمعة
يبطل العمل اذا انضم الى شيء عليه فان كان عارضا فقد اختلف السلف في ابطاله وصحح
ان ازال العارض بتجديد النية عند صدوره سلم العمل كله وان لم يزل نقصانه وامّا كونه
اخوف له في جانب الشرك فهو ظاهر من هذا القدر لان وجود الشرك دائر بين ما ذكرنا وبين ان لا يكون
ان اخوف في هذا المقام ما رزق من الله سبحانه الهداية كما قال تعالى عن الواح موسى عليه الصلاة والسلام
التي كتبها له تبارك وتعالى بيده وفي نسخة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال في
كتاب الذي انزل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين وبذلك وصى كل من اوتي حظا من الذكر بالخوف فقال
تعالى سيذكر من يخشى واهل خشيته هم اهل العلم به كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهم يخشونه له
برهبة سبحانه ويسألونه عند ما اشكل عليهم وامّا كون اية المذكور في الباب ارجا في جانب
التوحيد فهو في قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا عام يغفر الله جميع الذنوب كلها المتعلقة
من غير توبة ما عدا الشرك وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اية هو
اهل التقوى واهل المغفرة فقال ربكم انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله غيري فمن اتقى ان يجعل معي الها كان
اهلا ان اغفر له وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث
طويل وفيه حتى اذا فرغ الله من قضايا بين العباد واراد ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار امر
الملائكة ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن اراد ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله قال
ابن محمد علي بن حزم الظاهري عند هذا الحديث مع ضيع الاعمال كلها فهو مؤمن ناقص الايمان لا يكفر
وذكر الحديث وقد ذكر جماهير العلماء رحمهم الله تعالى في ترك الصلاة تهاونا وكسلا لا جحودا او
وقد قال بعض السلف انها ارجا من قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الله يغفر الذنوب جميعا فلا بد في هذه الاية من التوجيه كما قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به

ولو

ولو اشترط التوبة فيها لدخل الكبائر فتدبر هذا الاعتبار ان اية النساء ارجامنها في جانب التوحيد
اذا تقرر ذلك فمذهب اهل السنة والجماعة باجمعهم سلف الصالح وخلف واهل الحديث والفقهاء
والمتكلمين على مذهبهم ان اهل الكبائر في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم بالنار ثم يخلصهم منها
بالشفاعة ثم مآله يدخل الجنة فان كان تائبا او سليما من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحوم على النار بكلمة وان
كان من المخلطين بتضييع حقوق الله تعالى عليه او بفعل ما حرم عليه فبحسب ما قدر الله في هذه الاية
الكريمة لا يقطع في امره بتحريمه على النار ولا باستحقاقه الجنة لاول وهلة بل يوقف بانه لابد من دخول الجنة
اخرا ولا خلود في النار وصاله قيل لذكر حظ المشيئة لان الله تعالى يعذبه ولو شاء على غير فضله قال
عبد الله بن الامام احمد بن ابي سريج قال سفين النور ان الناس عندنا موقوفون ثلاثة
الاخبار والمواريث ونرجو ان تكون كذلك ولا ندري ما حالنا عند الله وقال الخليل عليه الصلاة والسلام
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يقول عليه الصلاة والسلام ابعدني وبني ان نعبد الاصنام قال اسحاق ان يجنبه
وبنيه عبادتها وكان بعض هم النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قصصه من يأمن من البلاء بعد خليل الله ابرهيم حيث يقول واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وهذا ابدل ظاهر على ان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بتوفيق الله تعالى
وحفظه اياهم وانه بظاهر دعائه صلى الله عليه وسلم لابنائه واحفاده وجميع ذريته وانما بنائه ليجوعهم خلافا لما
زعم بعض من عيبه فيما روى عن ابن عباس ان اول من اتخذ الصنم ابو الاصنام عمرو بن لحي فان هذا مكابرة للحس والمشاهدة
محتجا بهذه الاية والظاهر ان ضمير اعبادة بني اسمعيل عليه السلام للاصنام حين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرد ذلك ابلغ عبدوه وعكفوا عليه حتى عبدوا الله من اجلها ويدل عليه قول ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
الى اخره على ان اضافة الاضلال اليهن باعتبار اكثر من ضل منهم وقوله تعالى واجعل من ذريتي امة مسلمة لك
المنة والكرامة وقال بعض السلف عهده الذي عهده الى ذريته الا تركوا دينه الذي ارتضى لعباده ودينه الاسلام قال تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب
قال الربيع بن انس عهد الله الذي عهد الى عباده دينه الذي ارتضى لهم قال اوبارنا علينا وعلى اسحق ومن ذريته
ربنا محمد وظالم النفس مبين يقول السكوت عنه ليك يا ابرهيم على اكره وكذا روى عن عطاء وابي العالية
ومقاتل بن حيان وغيرهم وفي هذا دليل واضح على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح من لا يجوز خلفه ولا
شهادته ولا طاعته ولا خبره واذا كان ظالما لحاء الملك الذي يرثه من ابيه على الذبح الغنم ظلم الا اهانة عند
السلف في الامانة الكبرى اذا قهر الناس واحدث ذكر الوصف عليه في اثناء ولايته لا يجوز الخروج
عليه لذلك لانه يؤدي الى سفك دماء المسلمين وافناء اهلهم والمطلوب الاعظم منها عدم ذكرها اقام تعالى
الاسلام كظاهره وزيد المعنى اول توضيحا انه لما دعى عليه السلام لاهل البلد الحرام في قوله
تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال تعالى
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير خص عليه السلام في دعائه المؤمنين في الرزق حتى
وقع عليه الرد بكلام الله تعالى يقول على قراءة الجمهور ان من كلام الله لابرهيم عليه السلام ومن كفر لا عهد لي عليه ولا نرزقه فكيف
الرزق على الامامة فعرفه الله سبحانه الفرق بينهما بان الاستخلاف يستدعي شخصا من نصه للرعية وابعد
الناس عن النصيحة الظالم والرزق يكون استدراجا المرزوق والزامه بالحجة عليه فلم يسوي الله بين الرزق
الدنيا ورزق الامامة بل فرق بينهما لهوان الدنيا على الله وانه يعطيها من يحب ومن لا يحب واما
كلمة التوحيد فلا يعطيها ويولي رعايتها الا من يحب ولهذا كان اولياؤه وكاملوا اهل اخصها واهلها
وظاهر سياق ما بعد هذا الدعاء من قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انه سبب ما ذكر عليه السلام ما كثرت
من ضل بعبادتها لقوله بعد رب انهن اضللن كثيرا من الناس المعنى فلا ذنب لي فيما سلكت منك العصمة واستعذت
بك من اضلالهن وسياط اضلال النهي باعتبار اكثر من ضل بعبادتها كما قال تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ثم قال عليه
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم اي لا ينفك عني في امور الدين كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
منا اهل البيت وقال في الحديث الصحيح من رغب عن سنتي

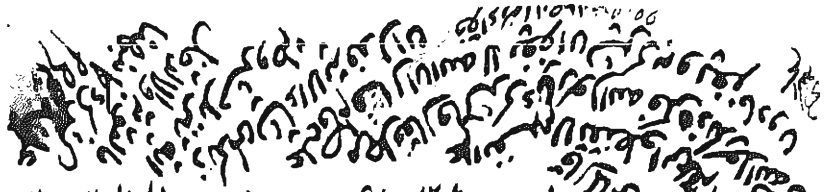

فليس بني ثم بتراد عليه الكلام فمن عصاه ورده الى مشيئة الله لان طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام طاعة لله مطلقا وعصيانهم
معصية لله سبحانه كذلك ولما كانت المغفرة في ذكر الرحمة والهداية من الله وصف نفسه بقوله عليه السلام ومن عصاني فانك
غفور رحيم اي بانك تقدر ان تغفر للعاصي وترحمه ابتداء اذا اجتنب كبائر الاية التي قبلها او بعد التوفيق
للتوبة **وفيه** دليل على ان الكافر يعذب فيه ان يغفر حتى ذكر الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره
في قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه
النار وما للظالمين من انصار **وقد بين** ذلك الملك الموفق هاتين الايتين الكريمتين في المعنى ويستدل
بهذا السيد ايضا ان يجتنب الداعي اذا دعا ان يبدأ بنفسه ويدعو لوالديه وذريته **فصل** ثم
ذكر عليهم الصلاة والسلام كقوله ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح
لي في ذريتي وقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكقوله رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات **ولما علم** عليه السلام من ذريته بالاعلام السابقة او من استقراء عادته في الامم
ضيقة ان يكون فيهم كفار بعد دعائه بانا يجنبهم عبادة الاصنام وتعجب قال رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي فعطف بمن للتبعيض **فعلم** بهذا ان الدعاء الاول بتجنب عبادة الاصنام خاص
بجنبه لصلبه عليه السلام وقد فعل بانا جنبه وجنبه عبادتها **واما ذريته** فلم يدع لهم الا بعض
ذلك تمرى والله اعلم **وفي** الحديث الذي رواه الامام احمد في مسنده صحيح قال حدثنا يونس قال ليث عن عزيز بن الهادي عن
عن عمرو عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم شرك الاصغر فسئل عنه وفي رواية قالوا وما
الشرك الاصغر يا رسول الله فقال الرياء قال الامام احمد ايضا حدثنا ابو المغيرة ثنا عبد الحميد بن بهرام قال شهر بن
حوشب قال ربما غم لما دخلت مسجد الجابية انا وابو الدرداء لاتينا عبادة بن الصامت واخذ عبادة بيدي بشماله وبشمال
ابي الدرداء بيمينه فخرج بنا حتى بنينا وعشينا جاء الله اعلم بما تنتاجا فقال عبادة ان طائفة من امتي او قال
او كلمة نحوها لو تكاثرت ان ترى الرجل من تبحح قراءة المسلمين يعني من نشاطها قراءة القرآن على لسان نبي صلى الله عليه وسلم ما عاد
وابداه واحلالا له وحرموا حرامه وزرا عند منازلهم لا يخوفهم الا كما يخوف صاحب الحمار الميت وفي لفظ كما يخور راعي الحمار
الميت قال فبينا نحن كذلك اذ طلع علينا شداد بن اوس وعوف بن مالك فجلسا الينا فقال شداد ان ابغض ما اخوف
فعليكم ايها الناس كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشهر قواي شركه فقال عبادة وابو الدرداء اللهم غفرا
البريء رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقنا ان الشيطان قد يئس ان يعبد في جزيرة العرب **واما الشهوة** الخفية
فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد فقال شداد ارايتم
لو رايتم رجلا يصلي لرجل او يصوم لرجل او يتصدق لرجل وقد اشرك فقالوا بئس والله ان هو صلى لرجل او صام او تصدق
قد اشرك فقال شداد انما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد
اشرك قال عوف بن مالك عند ذلك فما لابد لنا ان نبعد الى ربنا ابتغي به وجهه ونذكر له العمل فنقبل ما اخلص له ويدع ما اشرك
به فقال شداد عند ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي
من اشرك بي فان عمله قليله وكثيره لشركه الذي اشرك به انا غني عنه **وقوله** في هذا الحديث من تبحح قراءة
المسلمين عمله ثم وصف جسيم يعني من شرهم وعلتهم والتبحح بفتح اوله وثانيه اعلامتي الكثرة ومنه بحبوحة
البحر معظمه وقوله لا يخوفكم بالجاء والراء المهملتين ما يخور صدق الكور يقول لا يرجع فيكم بخير ولا ينتفع
فيكم بما حفظ من القرآن الا كما ينتفع بالحمار الميت صاحبه وذكر الامانة مع القرآن منهم يقال خار الشيء يخور
بمعنى رجع وكرهه ايرد بالخور الرجوع الى النقص ومنه قوله اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور ويدل
على ان خار بمعنى رجع قولهم عسى وقلب له اهلا وسهلا اخر بكذا الليل الا بجمل من الاقرب وان بمعنى
النقص والخسران قولهم اذا خسر الدم بقي وزاد القوم في خوره قال يعقوب في نقصان **وقد روى**
بعضهم ذلك الامام احمد من طريق اخر فقال حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زيد انا
عبادة بن نسي عن شداد ابي عمار عن ابي اسماء الرحبي عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخوف على

اخفى من دبيب النمل والشهوة الخفية قال قلت يا رسول الله اتشرك امتك بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا
ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن باعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما فتعرض له الشهوة من شهوات
فيترك صومه ويواقعها حدث الحسن عن عبادة بن نسي فاما حديث شهر بن حوشب المتقدم فله
شواهد وحاله كما ترى فاما حديث صالح ابو النضر شيخ الامام احمد وهو اسحق بن ابراهيم الدمشقي الفراديسي مولى
عمر بن عبد العزيز وضعفه بالاسناد كيف وقد حدث عنه الامام احمد وعبد الحميد بن ابراهيم هو الفزاري الحمائي
صاحب شهر بن حوشب وشهر بن حوشب الاشعري الكوفي مولى اسماء بنت يزيد بن السكن فقيل له اوهام وهو
كثير الارسال وهذا الحديث متصل وبن عنم بفتح المعجمة وسكون النون هو عبد الرحمن بن عنم الاشعري مختلف في صحبته
وذكره العجلي في كبار التابعين فالحديث صالح الاسناد **وقد حصلت المناظرة** بين شداد بن
اوس وعبادة بن الصامت وابي الدرداء رضي الله عنهم في وقوع الشرك الاصغر وقرر عليهما شداد فمع
صحة حديث ابي الدرداء وعبادة **يجب الجمع بينه وبين** الاحاديث الصحيحة الصريحة
بوقوع الشرك في جزيرة العرب وغيرها من الاماكن خصوصا وعموما فاما الخصوص فقد اخبر صلى الله عليه وسلم بعبادة
ذي الخلصة كما في الصحيحين وغيرهما ولا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس على ذي الخلصة
واما العموم فقوله صلى الله عليه وسلم وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وقوله فيما استدل به هذا الامر لا يستقيم ما اخذت الرقوة قبلها
وانها تتبع من كان قبلها فهذا حديث صحيح صريح في وقوع عبادة الاوثان في هذه الامة لا تقبل
التاويل وحديث ابي الدرداء وعبادة رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ولفظه ان الشيطان قد يئس ان يعبد
المصلون في جزيرة العرب ورواه احمد بسند صحيح قال حدثنا ابو نعيم حدثنا سفيان عن ابي الزبير عن
جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس قد يئس ان يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم **فمعنى**
ذكر والله اعلم ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون كلهم لا جزء منهم اذ الالف واللام في المصلين للاستغراق
وعليه يحمل حديث ابي الدرداء وعبادة رضي الله عنهما لان الله قد عصم هذه الامة ان تجتمع على ضلالة ولا تزال
طائفة منهم على الحق حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وبهذا لا ينافي الحديث وقوع عبادة الاوثان في هذه الامة
واكثر من ادعى عدم وقوع ذلك وقصة اهل الردة بطاعتهم للشيطان التي يطلق عليها
العبادة مشهورة مع انه قد قال الاوساعاد واذ الخلصة ايام الردة ذكره غير واحد من اهل العلم منهم
ابو القاسم السهيلي **او يكون معنى الحديث** حينئذ لم تكن ردة العرب من جهة عبادة
الاوثان بل من جهة النبوة في مسيلمة وقد يئس من عود عبادة الاوثان ان يعبد في جزيرة العرب وكذا قوله
المصلون اي في الزمن الذي قبل الغاية التي في الحديث الصحيح بوقوع عبادة الاوثان قبل صلى الله عليه وسلم الى
حتى الغاية وايضا انما اخبر صلى الله عليه وسلم عن ابليس بانه لم يقل هو لا يعبد الا صنم في جزيرة العرب بعد هذا
اليوم في حديث صحيح وحديث ان الشيطان الذي اخبر صلى الله عليه وسلم صحيح ولكن لا ينافي وقوع عبادة
الاوثان لانه انما اخبر صلى الله عليه وسلم عن ابليس الشيطان وذكر انه ما يئس عدو الله من زوال عبادته بالجزيرة وقوة
الاسلام واهله فيها بعد حرصهم على زوال عبادته بهدم الاوثان التي هو الداعي الى عبادتها اذ عابدوا
الاوثان لا بد ان يكون عابدين له بدعائهم اياها بطاعته كما قال تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا وان
يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله فعند ذكر ابليس من عبادة العرب له في جزيرتهم لانه علم انهم اولاد بني آدم عقلاء وانهم
اذا عقلوا عن الله امروا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فمحاولة صرفهم في تلك الحال عن عبادة الله سبحانه الى عبادة الشيطان اصعب
شيء عليه وابغضه ولذلك كانت ردة العرب بعد موته صلى الله عليه وسلم من جهة النبوة كما سيأتي ايضاحه موضعا بعد اثر ذكره
عند ذكر ادعاء النبوة فانه فتنهم في دينهم كما هو صنعا ومن حولها بالاسود العنسي وثقيف بالمختار وبني
حنيفة بمسيلمة الكذاب وبني اسد وغطفان بطليحة بن اسد وبعض بني
دارم ومن تبعهم من تميم بسجاح العقفانية الدارمية **وبعلم ذلك** من اقامة بني
اسمعيل على دين ابراهيم دهرا طويلا لم يغيروه **وبنوا عامر** بنوا اسرائيل فيهم

فهم الرسل والانبياء ثم ان الكفر بعد الاصرار منهم فمنهم من لدن ابيهم آدم عليه السلام وابنه اسحق وحفيده
يعقوب وبنيه يوسف واخوته الى عيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام فلما علم الشيطان من ذلك اذ هو
منظر ايئس من عبادة العرب له فجند لهم جنودا مع تسعى منهم في محاولتهم على ما يوقعهم في ذلك فاخبر صلى الله عليه وسلم
عن ايئاسه ذلك فلم تزل الشيطان على ايئاسه من ذلك حتى ذهبت الاوس والخزرج وضعف حكم الاسلام
في العرب وفي جنودهم وتزايدت الاهواء والفتن فدخل عليهم بذلك حتى ضعف ياسه وقوي طمعه فيهم فا
دخل عليهم من احداث حتى ادركهم ادرك ليقضي الله امرا كان مفعولا ولتتم معجزة سيد البشر صلى الله عليه وسلم
بوقوع عبادة الاوثان في امته حتى يصير الله عبدا من عباده فيكسرها بحول الله بسيفه في يوم واحد
وقد جند الشيطان بحذه وحديه وهو شيخ الاسلام مصنف هذا الكتاب جزاه الله عن الاسلام واهله
خيرا فلم يزل بهم بحجج التوحيد وصطع واخذ الله به ناكثهم وقطع قاطعهم بيده على هذه المنة وانا لنرجو بفضله
لكبته عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار رواه
البخاري هذا داخل في معنى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والند والضد والعدل الكفو ولهذا قال حسان
بن ثابت رضي الله عنه لكعب ابا سفين يكايد عبد المطلب قبل ان يسلم واسلم يوم الفتح وحسن اسلامه

أتهجوه ولست له بند ... فشركما لخيركما الفداء ... وقال حسان ايضا لبني تميم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تلبسوا زيا كزي الاعاجم ... وقال حبن بن الخطفى

أتيم تجعلون الى سواء ... وهل يسوى بالند الند ... وقال لبيد رضي الله عنه

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند البخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يشرك بالله شيئا دخل النار وقلت انا من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقوله وقلت انا اي من نفسي وكانه رضي الله عنه ما بلغه هذا اللفظ مرفوعا وقد صح
كما ترى في هذا الكتاب من حديث جابر رضي الله عنه الآتي ولعل ابن مسعود اخذ هذا من مفهوم الخلاف بناء على الخصائص
والمدرس بين الجنة والنار وقيل اخذه من كون الشرك سببا لدخول النار وانتفاء السبب يوجب انتفاء
المسبب وعند انتفاء النار تتعين دخول الجنة لانتفاء دار اخرى ولا يخفى ان الحديث لا يفيد الخصائص بهذا
الشرك فيجوز ان يكون سببا لدخول النار وقيل لعله اخذ هما علمه من ان الله سبحانه ووعدا واخذ
من مقتضاهما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم **قلت** وعلى كل تقدير فلا بد من جعل الشرك فيه كناية
عن الكفر والا لزم ان يدخل جاحد النبوة وغيرها الجنة وليس كذلك فليتأمل والمراد دخول الجنة مطلقا
لا الدخول ابتداء فانه غير لازم عند اهل السنة واجماعة **فهذا** الحديث والبيان بينهما لكمال فضيلة
التوحيد وكمال صحته من الشرك **وفي صحيح** مسلم عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار فهذا الحديث والذي قبله تعلم ان
هذا هو مذهب اهل السنة واجماعة وما عليه اهل الكوس السلف وخلف انه من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال فان
كان سالما من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره
من المعاصي اذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذي لم يبتل بمعصية اصلا فكل هذا الصنف يدخل
الجنة ولا يدخل النار اصلا لكنهم ردوا هذا على خلاف المعروف في الورود والصحيح كما مر انه المرور على
الصراط المنصوب على متنها فانا نؤمن به والمسلم منها وسائر المكروه **واما** من كان
معصية كبيرة ومات غير تائب فهو في مشيئة الله تعالى فان شاء عفى عنه وادخله الجنة اولا وجعله كالقسم الاول
وان شاء عذبه القدر الذي يريد ثم يدخله الجنة فلا خلود في النار لاحد مات على التوحيد ولو عمل من
المعاصي غير الشرك فما عمل كما انه لا يدخل الجنة احد مات على الكفر او الشرك ولو عمل من اعمال البر ما عمل **هذا**
مختصر جامع لمذهب اهل الكوس في هذه المسئلة **وقد** تظاهرت الادلة الكتابية والاجماع من
يعتد به من علماء الامة على هذه القاعدة وعمل عليها جميع ما ورد من هذا النوع **فعند البخاري** عن ابي ذر

رضي الله عنه

رضي الله عنه قال خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه انسان قلت فظننت انه
كره ان يمشي معه احد قال فجعلت اتضي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا فقلت ابوذر جعلني الله
فداك قال يا اباذر تعال فمشيت معه ساعة فقال ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الا من اعطاه
الله خيرا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا قال فمشيت معه ساعة فقال لي اجلس
ههنا قال فاجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي اجلس ههنا حتى ارجع اليك فانطلق في الحرة حتى لا اراه
فلبث عني فاطال اللبث ثم اني سمعته وهو منصرف يقول وان سرق وان زنا قال فلما جاء لم اصبر حتى قلت يا نبي الله
جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت احدا يراجع اليك شيئا قال ذاك جبريل عليه السلام عرض لي في
جانب الحرة قال بشر امتك ان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت يا جبريل وان سرق وان زنا قال نعم
وان شرب الخمر ثم روى لي في غير هذا الموضع عن ابي ذر ايضا هذا الحديث وفيه فخصمني وان رغم انف ابي ذر **وقد ذكرنا في هذا الكتاب**
وهذا مما يجب ان قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من ارجا يته في جانب التوحيد كما هو بيانه واضح فانه في جانب
الشرك اعاذنا الله والمسلمين منه ومن اهله وقيل ان ارجا يته في جانب التوحيد قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وستاتي الاشارة اليها ان شاء الله تعالى في باب الشفاعة نعم انه اذا اجتمعت هي وبين قوله
تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وجدت ايات الشفاعة ارجا منها لان الله
ضمن المرتضى والمجوز للشفاعة حق المشفوع له والله الموفق

باب الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله وقول الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين

لما ذكر المصنف رحمه الله تعالى فضل التوحيد وتحقيقه وذكر الخوف من زواله او نقصانه تحذيرا عن ذلك اذا كان
المصراط المستقيم بالتوحيد اذ كان به الخوف والرجا يكونا مهديا فحينئذ يصلح للدعوة فيكون هاديا مهديا
اعقبه بباب الدعوة الى شهادة ان لا اله الا الله ولهذا استشهد بقوله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه قل هذه
سبيلي الآية يقول تعالى مخاطبا لنبيه وخليله وامينه على وحيه محمد صلى الله عليه وسلم قل هذه سبيلي ادعو الى الله
على بصيرة كما قال في الآية الاخرى ادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى ادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وقال ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن الآية **وقد علم بالاضطرار** انه صلى الله عليه وسلم قد
امتثل امر ربه وبلغ ما ارسل به البلاغ المبين فيلزم الداعي الى الله سبحانه من امته صلى الله عليه وسلم ان يلزم في
دعوته ما لزم هذه الامة اذ دعوة كل نبي تختلف بحسب شريعة ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان خلقه القرآن كما قالت
عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها **وفي هذا** حديث البخاري ومسلم وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل
وابا موسى رضي الله عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا قال البخاري رحمه الله تعالى في
صحيحه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف ويأمر به ويرغب فيه **وعذر من لم** يعلم الامر عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا وعندهما من حديث ابي هريرة
في قصة بول الاعرابي في المسجد فاما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين فالجدير الانسان اكثر ما يخرج في دعوته
عن قانون دعوة سيد البشر فانه خير الدنيا والآخرة في هديه صلى الله عليه وسلم والتأدب بآداب الله له في قوله
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين وليست هذه الآية منسوخة كما ذكر بعضهم فان فيها من الادب في دعوة الخلق الى الله
بالتي هي احسن والصبر والعفو عند الجهل والايذاء ما هو من اقوى الادلة على ان الداعي الى الله
ينبغي ان يستعمل هذه الآية في كل باب بحسبه فانها محكمة غير منسوخة وهي قوية الامكان نافية للشرع والبدع والاهواء

ظل القمر

وجب له الجنة

الموجود على الصفحة في اية النساء هو

والبرهان فاصرف بحثك عنه وبغيته ورسوله واحمله على وجه ان يقول للثقلين الانس والجان المبعوث
اليهم [illegible] هذه سبيلي اي طريقي وسنتي التي بعثني الله بها اليكم [illegible] صلى عليه الصلاة والسلام
شهادة الا اله الا الله وهي الطريق القاصد المعتدل الذي يوصل الى الله سبحانه ويوصل اليه ادعو كما دعا الى الله
واني بادأة الى التي هي للانتباه ثم عقبها بعلا الرسول لان وجوب [illegible] اعلاه سر لطيف وهو استعمار بان
يكون في كل خطوة من خطوات السير والداعي على هدى وحق مع وصوله الى الله سبحانه فغايته الوصول الى الله
سبحانه وهو حال المستقيم على هدى وعلى حق كما قال في حق المؤمنين اولئك على هدى من ربهم وقال الرسول
فتوكل على الله انك على الحق المبين قال اهل المعاني ومن فوائد ذكر علي
في هذا المحل استعلاء المؤمن وعلوه بالحق والهدى مع تنبيه على انه طريق الحق فاخذ علواً صاعداً
الى العالم المبين وطريق الضلال ياخذ سفلاً هاوياً في اسفل سافلين وهذا بخلاف الضلال والريب في
الدين فانه يادي الى الحيرة في الدين بحيث لا يتاسس صاحبه وانقياعه وتردسيه فيه كقوله تعالى فهم في ريبهم يترددون
وكقوله والذين كذبوا بايتنا صم وبكم في الظلمات وقوله فذرهم في غمرتهم حتى حين وقوله وانهم لفي شك منه مريب
وتامل قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقال ههنا ادعو الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعني المعنى على علم من الله سبحانه وهو يوصي الذي امر به عباده ان يعبدوه به ويرسل
به رسله وانزل به كتبه ففي هذين المعنيين من قوله ادعو الى الله على بصيرة الاخلاص في الاول
والمتابعة في الثاني والبصيرة حقيقة ما يقوم في قلب العبد به حقيقة
ما اخبر به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين عن الله سبحانه كانه شاهد له رأي عين فتحقق مع ذلك
انتفاعه بما دعت اليه وتضرره بخلافه وهذا معنى قول بعضهم البصيرة تحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به
وقال بعضهم هي خلاصة مراكزة اعلاها بيان او بعيان فهذا يعرف ان مقام التوحيد او
اول المقامات ابتدأ به كما هو اول دعوة الرسل كلهم كما في حديث معاذ الاتي ولانه لا يصح مقام من المقامات ولا
حال من الاحوال الا به فلذا وصفه بكونه اخراً وهو مفتاح دعوة الرسل واول فرض فرضه الله تعالى
على العباد وما عداه اذكر من الاقوال لا يظهر وجهها الا من قول اول الفروض النظر قال الاستاذ
القشيري والقاضي ومن وافقهما وبعضهم من اصحابنا ذكره المرداوي في اصوله وقيل المعرفة
او ذكر الذي يوجب حفظها كقوله بعد كسلم من اي فعله وكذا هذه الاقوال فيما قال
عند المحققين من اهل السنة والجماعة بل اول واجب دعوة الرسل كلهم الجمعين
وهي اول ما دعى اليه فاتحهم نوح عليه الكلام بقوله يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره واول ما دعا
اليه خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمداً رسول الله الحديث ولهذا قدمنا ان اول واجب على المكلف شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله لا المعرفة ولا النظر ولا القصد الى النظر ولا الشك الذي اقول البعض اهل العلم لهم اسلاماً تخلو من هذا
رضي عند التحصيل لقواعد السلف رحمهم الله تعالى هو الذي يجب المصير اليه وقد اشار الى ذكر
مشايخ الاسلام من بعض الائمة ورقم الجوزية وغيرها وتضاعيفه وعزيا ما قدمنا للمعتزلة
واهل الكلام وما سئل النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث عمرو بن عنبسة حين قيل له باي شيء ارسلك
يعني الله تعالى قال ارسلني بصلة الارحام وكسر الاوثان وان يوحد الله لا يشرك به شيء فالتوحيد اول
ما يدخل به في الاسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كان آخر قوله في لفظ كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة فهو اول واجب واخر واجب اول الامر واخره والجميع لدعوة الرسل عليهم الصلاة
والسلام واتباعهم الى الساعة على بصيرة وهو تحقيق شهادة الا اله الا الله علماً ومعرفة وعملاً
حالاً وقصداً وحقيقة وهذا النفي الذي اتى به المصنف هذه الشهادة هو تقطيع العبد العلائق
عن آلهة ما سوى الله تعالى علماً واقراراً وتعبداً فيبني بالله له وحده فهذا هو حقيقة التوحيد

الذي

الذي اتفقت عليه كرسل وانزلت به الكتب وخلق لأجله الخلق وشرعت له الشرائع وقامت عليه السوق
الجنة وأسست عليه الخلق والأمر والنهي **ومن حقيقته البراءة والولاء**
البراءة من عبادة غير الله والولاء لله سبحانه كما قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ
قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده وقال واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اني برآء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه
سيهدين وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا
من المشركين فارسله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون **وهذه اضافة تبرئة منهم و**
معبوداتهم وسماها براءة من الكل **وهي حقيقة النفي والاباء وهي اصح حقيقة التجريد للتوحيد**
والتفريد للمعبود فيتجرد العبد عن عبادة ما سوى الله سبحانه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد نفي والتفريد اثبات
ويجمع عليه الوكن وحيد وهو النافع المضر وذلك البصير في الامر والنهي وهو الخبر
بدين العارض بتاويل او تقليد او هوى فلا تقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بامر الله ونهيه ولا شهوة تمنعه
عن تنفيذه وامتثاله والاخذ به ولا تقليد يركنه من بذل الجهد في تلقي الاحكام من معدنها **وقد جعلت**
هذا اهل البصائر من العلماء وغيرهم فالبصيرة امر نوراني يقذفه الله في القلب يفرق به بين الحق والباطل و
الصادق والكاذب قال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين قال مجاهد للمتفرسين وقال قتادة للمعتبرين
وقال ابن زيد للمعتبرين وقال الزجاج حقيقته في اللغة النظر الذي يشفي في نظم حتى يعرفها
حقيقة سمة الشيء قال طرفة يصف العبد في ذكره

اذا ما ورد ت عكاظ قبيلة ٭ بعثوا الي عريفهم يتوسم

٭ فتوسموني انني انا ذاكم ٭ شاك سلاحي في الحوادث معلم

وهذا الذي ذكرناه لصاحب الفقه الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وله اذا روى الحديث
وبهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وفي رواية
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت ولا فقه في الدين
ومن التفرس ما يكون بالعين قال ابو صعيرة البولاني

٭ باطيب من فيها وما ذقت طعمها ٭ ولكنني فيما ترى العين فارس ٭

وغيره عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك لآيات
للمتوسمين والتوسم تفعل من الوسم وهي العلامة فالمتفرس هو متوسما فخص بعض اهل البصيرة بالفراسة
الصادقة ومن لم يقبل هدى الله ولم يرفع به راسا ويتبع رسوله دخل قلبه في الغلاف ولكنه ظاهر وسر
القلب مظلم فهو عن البصيرة وجميع حقائق الامور اعمى فيرى الباطل حقا والحق باطلا وانى طار حقا والرشد غيا والغي
رشدا قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فالاكحل الاهدى هذه الصفة من الفراسة الا الشقية التي تتلقى
بها عن الشيطان وقد يكون للفاجر فراسة تصدق كما تقرس ابليس فيما تابعه من بني آدم فصدقت فراسته
كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين **واما فراسة**
اولياء الرحمن فهي نور البصيرة صاعدا مع اعمالهم الخالصة الصالحة وكذا ارواحهم وقت خروجها
فتستقر تحت العرش وكذا ارواحهم بعد موتهم فهم صادقون العارفون بامر الله تعالى وبطريقه المفرقون بين اعداء
الله واوليائه فاما هم لما تعلقت محبة الله ومعرفته وعبوديته ودعوة الخلق اليه على البصيرة كانت
فراستهم في الدين متصلة بالله سبحانه متعلقة بنور اسمه النور الاعلى فميزت بين ما يحبه الله وما يبغضه
من الاعيان والاوصاف والاعمال والاحوال وميزت بينه الخبيث والطيب والمحق والمبطل الصادق والكاذب
ففراسة هؤلاء دائما حائمة حول كشف سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفتها وتخليصها من بين سائر الطرق

وبه يكشف عيوب النفس وآفات الأعمال العائقة عن سلوك سبيل المرسلين فهذا أشرف أنواع البصيرة وأنفعها للعبد
في معاشه ومعاده وهو سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ولهذا قال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى
الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين وقال في هذه الآية وسبحان الله وما أنا من المشركين فنزه نفسه سبحانه
عن كل ما لا يليق به وتبرأ من الشرك لأنه مسبة لله سبحانه فقد علمت بذلك أن سر الخلق والكتب
والرسل والأمر والنهي والشرائع والثواب والعقاب قد انتهى إلى هاتين الكلمتين في قوله تعالى ادعوا إلى الله
على بصيرة أنا ومن اتبعني ولهذا قال الشيخ رحمه الله تعالى في الباب الذي بعد هذا الذي هو معقود
لتفسير هذه الدعوة وشرح هذه الترجمة ما بعدها فهمه الله قوله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو ترجمان
القرآن بفهم النبي صلى الله عليه وسلم له فضائله كثيرة مشهورة وكتب علماء الأمة بعلومه معمورة إذ هو حبر هذه الأمة بلا مدافع
قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا هو ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن
المشهور من أعيان الصحابة رضي الله عنهم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام
والقرآن وفضائله لا تحصى كثرة إلى اليمن وهي الناحية التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة كما رواه البخاري في صحيحه
حيث قال في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة من قبل المشرق حدثنا علي بن عبد الله يعني ابن المديني حدثنا أزهر بن سعد عن
ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا
يا رسول الله وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في
الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وهو عند الإمام أحمد وغيره بهذا اللفظ قيل سميت
اليمن بيمن بن قيدار بن نبت بن إسمعيل وقال ابن هشام يمن هو يعرب بن قحطان سمي بذلك لأن هودا عليه السلام
قال له أنت أيمن ولدي وقيل سميت بذلك لأنها عن يمين الكعبة وهي الناحية المعروفة بذلك اليوم قال إنك ستأتي
قوما من أهل الكتاب وفي سبب حدوث اليهودية والنصرانية في اليمن حتى يطول ذكره ويخرج بنا عن المقصود فقد
كنا ذكرناه فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وفي رواية أن لا إله إلا الله وفي رواية أخرى إلى أن يوحدوا الله و
في رواية إلى عبادة الله وكل هذه الألفاظ في الصحيح وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا بني الإسلام
على خمس على أن يوحد الله وذكر باقيها فجعل صلى الله عليه وسلم التوحيد في هذا الحديث أصل الدين وجليه وظاهر
حديث معاذ رضي الله عنه وجوب دعوة من لم تبلغه الدعوة وحرم في الفروع وغيره قتال من لم تبلغه قبلها
وفي حق من بلغته سنة وعن الإمام أحمد أنه قال قد بلغت الدعوة كل أحد فإن دعا فلا بأس وظاهر هذا
أن أول واجب على الإنسان كان من شهادة أن لا إله إلا الله وليعلم أن الوجه التي تقتضيها شهادة أن لا إله إلا الله و
هو التوحيد وأصل العبادة وقد قال شيخ الطائفة والفقهاء عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه
في غنيته أول ما أمر الله المؤمنين به قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وضمن لهم إذا قالوها الجنة فسمعوا
وأطاعوا ثم ذكر باقي المفروضات ذكره رحمه الله تعالى في قوله عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم الآية فإنهم أطاعوا كلهم
وفي بعض طرق البخاري فإذا عرفوا الله وبه استدل من قال إن المعرفة أول واجب وليس هذا الاستدلال بشيء إذ المعرفة
لا تنفع إبليس ولا فرعون حين قال له موسى عليه السلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر
فإذا خلا العلم والمعرفة من عمل القلب وعزيمته لم ينفعا صاحبهما ولهذا أصل السلف على ذلك الإيمان فقالوا
هو عقد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان وهو بذلك يزيد وينقص فأعلمهم وفي لفظ فأ
خبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وذكر الافتراض عليهم ليلة المعراج حين عرج به
صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى وإلى ما يشاء أمر حتى سمع صلى الله عليه وسلم صريف الأقلام في قصة قد ثبتت بالكتاب
والسنة وإجماع الصحابة يجب بها الإيمان وإن بقاه قبل الهجرة ليلة سبع عشرة ليلة خلت من رمضان
في السنة الثانية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا قاله الواقدي وروى أيضا عنه أيضا
له أنه أسري به صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة قال ابن الجوزي وهذا
قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما قال وسمعت شيخنا أبا الفضل بن ناصر يقول قال قوم كان
الإسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون كان قبل الهجرة بثمانية أشهر وقال آخرون بستة

أشهر

بسنة اشهر قال فمن قال سنة فيكون ذلك في ربيع الأول ومن قال بثمانية اشهر قال فيكون ذلك في رجب ومن قال
بستة اشهر فيكون ذلك في رمضان هذا كلام ابن عمر قال ابن حجر وقد قيل كان في ليلة سبع وعشرين من
رجب **وقوله** فاعلمهم ان الله افترض عليهم ذليل ظاهر ان الكفار مخاطبون بالفروع وانهم يعاقبون على تركها
وان كانت لا تصح منهم الا بتقدم الايمان الذي هو فرعه وانهم اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ ٣٩
من اغنيائهم وترد على فقرائهم هذا نص صلى الله عليه وسلم تعليم على الترتيب لا على الترتيب فيما هم اولا بشرط الاعمال الذي هو التوحيد
حيث كذبوك لا يصح من الانسان عمل الا بتقدم عليه نيته ثم اسلامه ثم صلاته ثم صيامه ثم حجه فاذا جاء بعد التوحيد الذي هو افرض الفرائض بعد
التوحيد الواجب على الانسان في الايسار والاعسار والصحة والمرض والخوف والامن بحسب الطاقة ولو لم تحصل الا اكرة
سارق في شدة المرض بالطرف ثم عقبه بالفرض في المال لانه اذا صلح بالتوحيد وما فرض عليه من الصلاة سمح
ببذل المال الذي تعمد له لانه حينئذ يكون ماذ للانقياد اليسير منه فلا يؤثر على طاعته شيئا ثم حض صلى الله عليه وسلم ان
ذلك الفرض المأخوذ من اموالهم مردود على فقرائهم وهذه نكتة اخرى وهو دليل ظاهر على ان الدين يمنع وجوب الزكاة منفاد
لان من عليه مال وعليه من الدين ما يستغرقه لا يسمى غنيا عرفا ولا شرعا ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه فاعلمهم
اطاعوك لذلك فاياك وكرائم اموالهم فاعرفا لعدل في ذلك وهو الوسط بين الطرفين بين الكرعة والرذيلة ويؤخذ من
تحذيره صلى الله عليه وسلم ان اخذ المصدق من الكرائم ظلم ولهذا قال واتق دعوة المظلوم فاحذر كل الحذر ان تعتمد ذلك فانه ليس
بينها وبين الله حجاب دونه **وقد استعاذ** صلى الله عليه وسلم من دعوة المظلوم فدعا السفر الذي هو اصعب
من حديث عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاذا كان صلى الله عليه وسلم انما يدعو الى الاسلام بالتدريج لانه اقرب
الى الطاعة والقبول بخلاف ما لو عرض عليهم دينا يخالف ما هم عليه فيه اشياء كثيرة دفعة واحدة فانه ذكر منفرهم في
اول دعوته وبعدهم عن القبول فلا دلالة في الحديث على ان الكافر اصلي الاكون مخاطبا بالفروع معاقبا على
تركها الا بعد الايمان بل هي مسمى الايمان ولكن لا يصح منه شيء الا بتقدم اصل الايمان الذي هو شرط لصحة اعمالهم تدبجام
وقد اخر الدعوة الى الزكاة عن الدعوة الى الصلاة مع ان التكليف بالزكاة لا يتأخر عن التكليف بالصلاة كما تقدم
الاشارة الى ذلك **وقوله** فانهم اطاعوك لذلك كطاعة مواقفة الامر والانقياد مع التذلل والخضوع
بالحج واجتناب المحظور **وقال القاضي عياض** في قوله صلى الله عليه وسلم فاذا عرفوا الله بدل هذا على انهم ليسوا
بعارفين الله وهذه حذاق المتكلمين في اليهود والنصارى وان كانوا يعبدونه ويظهرون معرفته لدلالة السمع
عندهم على هذا والعقل لامنع ان يعرف الله من كذب رسولا قلت **وقد تقدمت** الاشارة
منا الى هذا المعنى باختصار **قال** واعرف الله تعالى من شبهه وجسمه من اليهود او اخبار النداء واضاف الولد اليه
منهم او اضاف الى الصاحبة والولد او لجاز اكلوا عليه والاعتراض من النصارى او وصفه بما لا يليق به او اضاف اليه
شريك والمعاند في حلقه من المجوس والثنوية لمعبودهم الذي عبده ليس هو الله سبحانه وان سموه به اذ ليس هو وصفا
بصفات الكمال الواجبة له فاذا عرفوا الله سبحانه **قال** فتحقق هذه النكتة واعتمد عليها وقد رأيت بعض
ها المتقدمين صحانا وفي الرواية الاخرى فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة فتأكيد بدل على وجوب رد الزكاة الى الفقراء
قوله واجتنب كرائم اموالهم الى غرضهم فوقه مسافة القصر الا انه ان فعل اجزأت مع التحريم الا لضرورة كعدم
من اخذت منهم وانه لا يجوز اخراجها الى غيرهم فقير منهم الا ان يجعل الضمير للمسلمين مطلقا وهو بعيد وانه لا ناخذ المصدق كرائم المال كما مر المكنية عليه
وهو خيار وافضله فان اضر بعد اكد ودخل في الظلم ولهذا قال واتق دعوة المظلوم والمراد اتق الظلم
خوفا من دعوة من تظلم عليك وهذا الزيادة التاكيد والا فلا بد من اتقاء الظلم مطلقا لكون حراما والعالم
يكفر من دعوة صاحبه **وقوله** فانه ليس بينها وبين الله حجاب قد جاء في بعض الاحاديث ولو
كان كافرا فعند الامام احمد وابي يعلى الموصلي والضياء المقدسي باسناد صحيح عن انس رفعه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وعند الامام احمد من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن وقوله تعالى
وما دعاء الكافرين الا في ضلال المراد دعاؤهم للنجاة من النار او حرة وان دعاؤهم للطلب لانصاف ممن
ظلمهم في الدنيا كما في الحديث فلا يشمله الآية **قال** فرفع عن دعوة المظلوم فليتحجبها دونه بشيء فاذا
اتجب حصلت الاجابة وتحققت فعند الامام احمد وابن ماجه والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه وحسنه

لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا
اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد
لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه واخذ على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليتبعنه ولينصرنه
وقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقال ادعوا الله يعلم انك لرسوله وقال محمد رسول الله فهذا كله
شهادة من الله سبحانه لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها وضمانها غاية الايضاح بحيث قطع العذر
بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم وهو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا فاظهره بمجامع ظهور ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى ظهر على كل
لغة فكان منصورا مؤيدا وفي هذا من تعريف الله الذي لا يعلمه غيره من اعظم الشهادة بانه هو الذي
انزله تعالى ومن شهادته ايضا ما اودعه سبحانه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين
الثابت والطمانينة بكلامه ووحيه وبذلك احتج هرقل على ابي سفيان حيث قال اترتد احد منهم
سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فقال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وقد
اشار سبحانه الى هذا المعنى بقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقوله ويرى الذين اوتوا
العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق وقال افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما
تنهم سبحانه على اعظم آياته واجلها وهي طمانينة قلوب المؤمنين بذكره الذي انزله فقال الذين امنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب فطمانينة القلوب الصحيحة والفطرة السليمة
وسكونها اليه من اعظم الآيات والادلة على صحته اذ يستحيل في العادة ان تطمئن القلوب وتسكن الى الكذب
والافتراء والباطل قالوا وان قيل فلم لا ذكر سبحانه شهادة رسله مع الملائكة في قوله شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم والرسل هم اعظم شهادة
من اولي العلم **فصل في ذكر عدة فوائد** احدها ان اولي العلم اعم من الرسل والانبياء فيدخلون
هم وابتاعهم **وثانيها** انه ذكر اولي العلم في هذه الشهادة وتعليقها بهم ما يدل على انها من موجبات
العلم ومقتضياته وان كل من كان من اولي العلم فانه يشهد بهذه الشهادة كما يقال اذا طلع الهلال وانضح
كل من كان من اهل النظر شاهد كقوله ورزت الجحيم لمن يرى اي كل من كان له رؤية يراها حينئذ عيانا ففي
هذا بيان ان من لم يشهد له بهذه الشهادة فهو من اعظم الجهال لا من اولي العلم **وفي قوله قائما بالقسط**
لكن بهذا انه لا يقوم بهذه الشهادة ويؤديها على وجهها الا اتباع الرسل من اهل الايمان منهم وهم اولوا العلم
وسائر من عداهم اولو الجهل وان وسعوا القول واكثروا الجدل **وفي شهادة الله** سبحانه لاهل هذه الشهادة انهم اولوا العلم وشهادته لهم عدل وصدق فهي شهادة من شهادة العطاء
والمكرمة والمبتدعة بانهم جهال وكفاهم بشهادة رب العالمين وهو اصدق القائلين في كتابه المبين
بانهم من اولي العلم وقد شهد الله بحقيقة ما شهد به لنفسه واعطى سبحانه حقه من التوحيد والاخلاص
في القول والعمل فهو الذي ولى بعدله اهل هذه الشهادة واستشهدهم على الخلق فشهدوا به وجعلهم حجة
على من انكر هذه الشهادة من اهل الكفر والانكار والمبتدعة يطلبون حجة من غير
رب العالمين وهو اصدق القائلين **فقد علمت بهذا** ان الحجة قامت للرسل عليهم الصلاة
والسلام على الخلق وهؤلاء الذين هم اولوا العلم من الرسل عليهم السلام وخلفائهم في اقامة حجج الله على
العباد لاهل الظلم والفساد **ولهذا** قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عند قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال
طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم الى يوم القيمة اوصى بانهم اهل العلم **ولهذا**
ايضا فسر شهادتهم بالاقرار وفسرت بالتبيين والاظهار وهي تتضمن الامرين جميعا فشهادتهم
اقرار واظهار واعلام وهم شهداء الله على الناس يوم القيمة كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فاخبر بما انعم به عليهم من جعلهم عدولا اخيارا ليقوم بذلكم

قبل ان يوجدهم لما سبق في علمه من ايجادهم شهداء يشهدون على الامم يوم القيمة فلم يقبل منهم هذه الشهادة
علما وعملا ومعرفة واقرارا ودعوة وتعليما وارشادا فليس من شهداء الله وفي حديث
معاذ رضي الله عنه عند الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن لئن يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من الدنيا وما فيها وفي صحيح مسلم مرفوعا من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه
لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وفي الصحيحين ايضا من حديث سهل
وقبل بعدها وقد جاوز المئة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح خيبر لاعطين الراية
قال العلامة السمين سميت خيبر خيبر حصن بن رجل من العماليق واسم خيبر لاعطين الراية هي علم يحمل في عامل مرج وهي اللواء ايضا
قال في مجمع البحار في غريب الآثار والمطالع وغيرها اللواء راية الجيش الاصاحب الحرب او صاحب دعوة كالسيد
ويكون اللواء له تبعا قال في الجوهري وغيره الراية العلم وقيل الراية اللواء فيكون على هذا مترادفان وقال في
مجمع البحار ايضا على قوله الكراع والراية يعرف بها قاله علم يهتدي وكانوا اذا غدر رجل في الجاهلية رفعوا له
لواء ليعرفوه فيجتنبوه وفي مختصر النهاية اللواء الراية وفيها ايضا الراية العلم فتبين بهذا
ان هذه اسماء مترادفة عند العرب في العادة وقيل اللواء عصابة طويلة والغالب كونها بيضاء والراية
علم مربع وقد يدل على ذلك عبارة ابن حجر ولكم وفاق صحيح الخ لما ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت راية
صلى الله عليه وسلم سوداء ولواءه ابيض غاير ظرف منصوب على الظرفية وهو بكرة ما بعد يوم فتح رجلا بالنصب على
اسم كان عليهم ليس صواعا التقدم في الدعوة الى الله ورسوله ولينا فسوغ ذلك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
فاريد كل الاصفية في الحج اذ لا يكون تركيبا للعبادة الشريفة الاعليها بحيث اذا خلت العبادة من الحج لم تكن شيئا
عنه وذكر قال عن ابن عباس رضي الله عنهما فما صح عنه فانما قطعا او يومئذ لتشمله الحج المذكور وان يكون رضي الله
عنه قاريا الى الله ورسوله وحبه الله ورسوله هذا الحج الذي تحصل بها العبادة الشريفة
فلا يخالف الوحي المحبوب بل يكون مرادا خاصا له تحت امره ونهيه باطنا وظاهرا اذ هذا الحج له وقع
وبها تابعا رسوله صلى الله عليه وسلم وكتبه ولما ادعاه محبة الله حتم سبحانه على ذلك بما قال
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فلا بد ان يكون الله ورسوله احب الى المرء مما سواهما حتى من نفسه
ولهذا في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به فاذا استكمل العبد
محبة الله ورسوله على الحقيقة وقد ادى حق الله سبحانه وهو ان يعبده ولا يشرك به شيئا ويطيع رسوله لانها الاثر
عبادة سمي الاثر جهة فحينئذ يكون محبوبا لله ورسوله ولعبادة المؤمنين كما قال تعالى ان الذين امنوا و
عملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقد اثبت صلى الله عليه وسلم لهذه المحبة لعلي رضي الله عنه لما كان سببا لمتابعة رسوله
صلى الله عليه وسلم فانه كان اول من اسلم صبيا ان اسلام الصديق رضي الله عنه اول البالغين من الرجال الاحرار وام المو
من خديجة او النساء وزيد اول الموالي ففتح الله على يديه هذه معجزة له صلى الله عليه وسلم وكرامة وفضيلة لعلي
رضي الله عنه وهكذا ينبغي لولي امر المسلمين الاقدم الامر هو بهذه المثابة لانه اقرب للتوفيق والتسديد والتا
يد والنصر ويعتبر فيذكر الانسان في الديانة والشجاعة والامانة والمكيدة للعدو وليجتنب ذلك
اهل المعاصي والمجون فانهم عند الله وعند اولياء الرجال من اهل الشجاعة ورعاة فانهم اهل فسق
واضاعة ولم يقرن الله نصره الا بخير وجند اهل السمع والطاعة فيا الناس تلك الليلة يوم كون
ليلتهم الدوري اختلاط الاصوات واختلافها اي يعطاها فهذا جواز ابهامه وفي الغير بعض فاريد الفا
زه اذا راه في ذكره مصلحة للرعية واكرب من غير سورة فما اصوا من ليلة تلك غدوا الغدو وعا
يكون اول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم تاكيد لغدوهم جميعهم يرجوا او ارجاضه الناس انه
يعطاها اي بضمير الاختصاص في قوله انه يعطاها اي كلهم رجوا انه يخص باعطائها لا غيره وفيه
جواز الحرص والاستشراف للامر الكبير دعوا الى الخير ويكون صاحبها قائدا اليه ولهذا قال ابو يوسف عليه

الباب الخامس باب تفسير التوحيد

لفظ التوحيد مصدر الكلام على اشتقاقه من اللغة في بابه ومعنى ذكره ان توحيد سبحانه ذاتا وصفة وفعلا وبتكليفه عقدا وقولا وفعلا
وحقيقة ذكره بالايجاز ان لا تعتقد خالقا الا الله ولا معبودا سواه وانه فعال لما يريد وانه قد كتب العدد شقيا
او سعيدا صحيحا او معوقا مقدرا على رزقه او موسعا طائعا او عاصيا معصوما او معتصما وانه قد نهى الى رسوله
صلى الله عليه وسلم امره ونهيه وعرفه ما استلاه به من ذكر طاعة يمتثلها او معصية يجتنبها ووعد بالثواب
لمن اطاع ووعد بالعقاب لمن عصى وان الله سبحانه خلق الميت للعدد وابتدأ له لفظا وتقاها عن خلقا فالقول
بالجبر تكذيب لله والقول بخلق المرء لفعله تشريك مع الله تعالى قال جل ثناؤه والله خلقكم وما تعملون وقال
عقيب ذلك الله سبحانه واخبر به ورتب عليه قوله وشريعة حتم من الله تعالى وهو نبي قد سلك بكل
فريق على طريق واختار للمؤمنين اهل توحيد جادة التحقيق والله هو الهادي للتوفيق وشهادة ان لا اله
حق اولنا الا الله التي هي العروة الوثقى لما ذكر رحمه الله تعالى الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ذكر تفسيرها
ليكون الداعي من دعوته اليها على جلية وجعل ما بعد هذه الكلمة جزءا من الترجمة شرحا لها لتعلقها كلها بالدين بكلمة
بذلك قال الكوهري الشهادة خبر قاطع والمشاهدة المعاينة فقول الموحد اشهد ان لا اله الا الله بمعنى
اخبر بانى قاطع بالوحدانية قالوا القطع من فعل القلب واللسان مخبر عن ذلك والاركان مطلوبة منها مضمون
ما عقد الجنان ونطق به اللسان والله جل اسمه مرفوع على البدل من موضع لا اله الا الله موضع لا مع اسمها
رفع بالابتداء ولا يجوز نصبه حملا على ابدال من اسم لا المنصوب لان لا لا تعمل النصب الا في نكرة منفية والله
معرفة محض **وهذه الكلمة** واما كان ابتداؤها نفيا فالمراد بها غاية الابتاء ونهاية التحقيق فان
قول القائل لا اخ لي يسوءك ولا معين لي غيرك اكد وابلغ من قوله انت اخي وانت معيني قالوا ومن خواصها ان حروفها
كلها مهملة ليس فيها حرف معجم تنبيها على التجرد من كل معبود سوى الله تعالى وان جميع حروفها جوفية ليس فيها
شيء من السفلية **وخبرها** محذوف تقديره حق اولنا كما قدره الكردي وغيره وهي متضمنة قوله تعالى
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها وسيأتي تذكر من يد على حديث طارق
رضي الله عنه وقول الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا الآية
سبحانه بكتبه ورسوله وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة طريقة ان يقول المشرك على سبيل التبكيت عليهم
اللهم حيث عبد واهل غيره ادعوا الذين زعمتم من دونه اي من الاندادفادعوهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا اي للضر الى المعافاة او استطيعون تحويل الضر اليكم اولئك الذين يدعون الهة كالملائكة وعيسى وعزير
روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وكان كثير منهم يعبدونهم ويقولون بنا ان الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا تبا له اكسوت
كيف وكان هو رب من عبد ومن سمي الاله بحقه وقال الكلبي في تفسير هذه الآية كان عيسى وعزير عبدا وقال
ان قوما من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن كفارا وهم لم يكن وطلبت القربة الى الله سبحانه وبقي الذم على عباد
الجن قاله ابن مسعود واختاره الزجاج لقوله يبتغون وهذا لا يعبر به عن الماضي فلا يدخل عيسى وعزير والملائكة
فقوله يبتغون الى ربهم الوسيلة يطلبون القربة الى ربهم قال الزجاج ايهم اولئك ابتداء والذين صفة يدعون
ويدعون صلة الذين ويبتغون خبر اولئك ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من واو يبتغون اي يبتغي اولئك ايهم اقرب
الوسيلة الى الله سبحانه وكل ما قرب الى شيء فهو وسيلة اليه وقد وسل اليه يسل اذا تقرب بما يرضاه واسل قال لبيد
ربيعة رضي الله عنه ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم ؛ بلى كل ذي عقل الى الله واسل
والمعنى هؤلاء الذين تعبدونهم من دوني هم عبادي يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلما ذا تعبدونهم من دوني
وهم مع ذلك لا يملكون كشف ضر عنكم ولا تحويلا فكيف تعبدونهم من دوني لا يضر ولا ينفع ولا توحدونني بعبادتي
الضر والنفع ولا الخلق والامر **وهذه** الكلمة تحال تعالى لخاتم رسله معلنا انه لا يملك لهم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني
من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا وقال ولا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله فمن لا يملك لنفسه
ضرا ولا نفعا يمتنع ان يملك ذلك لغيره فمن اجاز انه يطلب من المخلوق الا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى فقد اجاز ان يترك

دون الله سبحانه قال الفراء في قوله اني براء هذه مصدر صرفت اسما وكل مصدر صرف الى الاسم
فانه لواحد والاثنين والذكر والانثى فيه سواء ثم ذكر سبحانه استثناء منهم حيث قال الا الذي فطرني يعني الا الذي
خلقني فاني لا اعبده فانه سيهدين ويقال الا اعني الله الذي فطرني اي الذي خلقني فانه سيهدين يعني
يثبتني على ديني وجعلها كلمة باقية في عقبه ليجعل تلك الكلمة ثابتة في نسلهم وذريته وهي كلمة التوحيد
لا اله الا الله لعلهم يرجعون عن كفرهم الى الايمان قال قتادة هو كلمة الاخلاص لا زالت في
ذريته يعني صلاة وملة من يوحد الله ويعبده وقال مجاهد هي كلمة لا اله الا الله في عقبه وولده وكذلك
فعل سبحانه وتعالى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه باقية في عقبه فهم عن الكفر يتوارثونها الى
مجيء من ذريته كما قال سبحانه وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فتوارثوها هم وأتباعهم بعضهم عن بعض
التي هي كلمة لا اله الا الله وتراها اماما لكفاءة والدلالة على اتباعه كلام لاتباعه الى يوم القيمة يتبرأ
نجباء والرسل من ذريته الى ايام حتى ختمهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم خلاصة ولده اسمعيل عليه الصلاة والسلام
والذين هم خلاصة بني آدم في الكلمة التي قامت بها السموات والارض ووضع عليها جميع الخلق وهي
وعليها اسست الملة ونصبت القبلة وحرمت سلوفها دوهي حق الله على جميع العباد وهي الكلمة الباقية
مها للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر والنار وهي المشهود الذي لا يدخل احد الجنة الا به
ولكل الذي يصل اهل الله بجنانه الامن تعلق بسببه وهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها ينقسم الخلق
الى شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان وتميزت دار النعيم من
دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرض والسنن ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة

وروح هذه الكلمة وسرها

افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه وتبارك اسمه وتعالى
جده ولا الرغبة بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة
فلا يحب سواه وكل محبة غيره فانما هو تبع لمحبته او وسيلة الى زيادتها فلا يخاف ولا يرجى سواه ولا يتوكل الا
عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يحلف الا باسمه ولا ينذر الا له ولا ينيب الا اليه ولا يطاع الا امره ولا
يحب الا به ولا يستغاث الا به ولا يتقى الا اياه ولا يعبد الا اياه انواع العبادة كلها امره

فهذا هو تحقيق وتجمع كلمة

وهو لا اله الا الله وهو اصل دين الاسلام وعليه بعث جميع الرسل كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
شهادة ان لا اله الا الله وتفسيرها على الناس شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
يقال رجل عدل ورجال عدل اي ذو عدل وقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اتخذ احبار اليهود والنصارى
حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها والرهبان من النصارى ما صح انهم اتبعوا واهل الاجتهاد في دينهم يقال راهب
ورهبان كما يقال فارس وفرسان كانوا يترهبون بالتخلي عن اشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة
عن اهلها او تعبدوا ساقوا ويجمع ايضا على رهابين ورهابنة والرهبنة فعلى وقوله اربابا اي سادة من دون
الله يطيعونهم في معاصي الله سبحانه قال ابو البختري اما انهم لم يصلوا لهم ولم امروهم ان يعبدوهم
من دون الله ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرام الله حلاله فاطاعوهم وقال الربيع
بن انس قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية قال كانت الربوبية انهم وضعوا كتاب الله تعالى لهم
امروا به وما نهوا عنه فقالوا لن نسبق احبارنا بشيء فما امرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا وبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم وقال اهل المعاني معناه اتخذوا احبارهم ورهبانهم كالارباب حيث
اطاعوهم في كل شيء كقوله تعالى قال الذين حق عليهم قولك ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
فاذا كان هذا قولهم لمعبودهم فكيف لو عبدوهم فاجابت الله سبحانه انهم اتخذوهم اربابا من دون الله بذلك

قد روى

الامام احمد والترمذي وغيرهما من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه لما بلغته دعوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الكتاب فكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته سفانة وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله
على أخته فأعطاها فرجعت إلى أخيها ورغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم صدر المدينة وكان
رئيسا في قومه طي وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال
هذا ورهبانهم أربابا من دون الله قال أجل فقلت إنهم لم يعبدوهم فقال بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم
فتلك عبادتهم إياهم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عدي ما يفرك أن يقال الله أكبر فهل تعلم شيئا أكبر من الله فما يفرك
يفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم من إله إلا الله ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وقال عدي كنت من أمة مذكورة
وترك كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أي كذلك إذا أحرم الشيء فهو حرام ومحلله
حلال وما شرعه اتبع وحاكمه نافذ لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون وقدس تعالى نفسه عن الشركاء والنظراء والأعوان
والأنداد والأولاد لا إله إلا هو فلا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وفي هذا وضع دليل أن جملة الشرك العرب مقرون بأن لا
إله إلا الله ولا خالق سواه وأنهم وصفوا المشركين بالخلق والربوبية وذكر أمر معلوم عند جملتهم وقد تظاهرت به الأدلة
من الكتاب عنهم كما مر تقريره ولم يكونوا يقرون بتوحيد الإلهية وهو المحبة والتعظيم والخضوع والتذلل بالتعبد
تحت أمره ونهيه بل كانوا آتيا لهم مع الله غيره وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى فقد اتخذ
سبحانه من اتخذ شيئا من دون الله كما يجب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا وهذا يدفع العبادة لا
في الخلق والربوبية ثم قال تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وقد كانوا يقدرون أن أحدهم
والذين آمنوا أشد حبا لله من محبي المشركين الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله قال
ابن عباس رضي الله عنهما ثبت وادوم ولأن المؤمنين لا يعدلون بمحبة الله غيره فلا يجورون في المحبة فإنهم يعدلون
من أندادهم إلى الله عند الشدائد ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ويعبدون الصنم ثم يرضون بالله ولكن كما سنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه والذين
آمنوا أشد حبا لله من محبي المشركين لأندادهم لأن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهب أنداد
هم بقسط منها وخالصة أشد من المشركة والقول الأول هو الراجح على القولين يحبونهم كحب الله أي
يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله وتلك محبة شركوا فيها مع الله سبحانه أندادهم في
الثاني المعنى يحبونهم كما يحب المؤمنون الله سبحانه ثم بين أن محبي المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد
أندادهم ورجح بعض العلماء رحمهم الله تعالى القول الأول لأنهم إنما ذموا بأنهم شركوا بين الله وبين أندادهم
في المحبة ولم يخلصوها لله بما تحبه المؤمنون وهذا هو التسوية المذكورة في قوله تعالى عنهم في النار تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ومعلوم
أنهم لم يسووهم به في الخلق والرزق وجميع مقام الربوبية وإنما سووهم به في الألوهية كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون أي يعدلون به غيره في العبادة وهذا أصح القولين وقيل إن الباء بمعنى عن والمعنى ثم الذين كفروا
عن ربهم يعدلون إلى عبادة غيره ولمسلم في الصحيح له من حديث أبي مالك سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي الكوفي الفقيه في حدود الأربعين بعد المئة عن أبيه طارق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عنه غير ابنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ولفظ مسلم قال طارق رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من حلف بشرط جازم يلزم فعليه الأول فعل كفر والثاني جوابه وجزاؤه قال فعل الكفر طلا إله إلا الله
جملة المقول وكفر بما يعبد من دون الله أي من الأنداد والأصنام والأوثان وهذا عطف جملة على مفرد معنى
المعطوف عليه فهو من باب عطف الخاص على العام زيادة بيان للمعطوف واهتماما بشأنه وتعميما للنفي
كل ما سوى الله تعالى لأنه شرط زيد على الأول إذ لا إله إلا الله مستلزم للكفر بما يعبد من دون الله وقد منهم
ذكر كفار قريش بحضرة أبي طالب حين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اجتمع ملأهم عنده أن يقولوا
لا إله إلا الله فصفقوا بأيديهم وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فاجتمع في هذا الحديث

خطأ الوضع والتكليف فالايمان واجب وهو سبب لعصمة الدم والمال والكفر محرم وهو سبب لاستباحتهما اه
تكون الواو في هذا الموضع واو الحال **وقد قال عون بن عبد الله** رحمه الله تعالى
هذه الكلمة تشتمل على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فاما معنى لا اله الا الله فانه كلام هو دليل نفسه
ودليل غيره وقول لا اله الا الله يقتضي الاقرار بها وان تعلم ان كل ما فيه امارة اكل شيء فانه لا يكون الها فاذا
قلت لا اله الا الله فقد تحمل بنفي هذا على ان ما سوى الله ليس بالله فيلزمك افراده سبحانه وتعالى بذلك
وحده وهو السموات والارض وما فيهما وما بينهما مخلوق له لان بعضها اشارة لبعض وبناه اذ لا يمكن ان
يكون له مثل ولا يكون هو مثلا لغيره لان المثلية تطلق في الاشياء وليس يمكن ان يعرف شيء من بين
الاشياء الا بان يثبت بها ولان تشبهه فينفرد الله عز وجل بانه لا شبيه له قال تعالى والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم وكان اسم الله تعالى مرتفعا بعد ان ترجمنا ان الواجب له الالهية ولا تحق
فيما نراه ويقتضي ايضا هذا القائل ان يكون عالما ان لا اله الا الله كما قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله
والعلم يقتضي العمل انه مطلوب من مقتضاه اذ هو المالوه المطاع امره المجتنب نهيه مجلا واجلالا وتعظيما وتنزيها
وتركه حرم ماله ودمه اجله من ذلك جنى فعل الكفر وجزاؤه وحسابه على الله عز وجل وهو
عند الامام احمد من طريق يزيد بن هارون قال انبأنا ابو مالك الاشجعي عن ابيه انه سمع كسيبا يحدث عن ابي هريرة
وهو يقول القوم سمعت رسول الله وكفى بعبد شرا ان يحرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل قال الامام
احمد حدثنا به يزيد بواسط وببغداد قال سمع كسيبا من ابي هريرة وهذا اشارة الى ما تلفظ القلب وتنطوي عليه
الضمائر الى الله عز وجل وان كان بعيدا من ذلك جنى فعل الكفر وجزاؤه وحسابه على الله عز وجل عملا بما اقتضاها وفي
انبي لم اعرف ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم رواه البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وعن ابن
الدنيا حدثني احمد بن مالك رضي الله عنه مرفوعا لا تزال لا اله الا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يؤثروا
دينهم على صفقة دينهم فاذا اثروا صفقة دينهم على دينهم ثم قالوا لا اله الا الله ردت عليهم وقال الله كذبتم
وعند الترمذي وقال حسن غريب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال عبد لا اله الا الله
قط مخلصا الا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنب الكبائر **قد يحتمل** ان المراد
العمل بمقتضاها لا مجرد لفظها واختصر صلى الله عليه وسلم هنا على كلمة الاخلاص تتضمنه شهادة ان محمدا رسول
الله لانه لا يعلم ما يستلزمه الامر حتى صلى الله عليه وسلم فهي متضمنة ايضا للرسالة ويعلم ذلك من قوله تعالى فاعلم
بينكم بني هذه وهذا الهدى هو ما تضمنته لا اله الا الله **فرع** قال الامام احمد في مسنده عن ابي المنتفق رضي الله
عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فقلت اتيتك اسألك عنها ما يجيئني عن النار ويدخلني الجنة
فقال ان كنت اوجزت في المسألة لقد اعظمت واطولت فاعقل عني اذا اعبد الله ولا تشرك به شيئا واقم
الصلاة المكتوبة واد الزكاة المفروضة وصم رمضان ولم يزد على ذلك ورواه بمعناه ابو نعيم بنحو هذا
اللفظ وفي لفظ للامام احمد ايضا عن قال اتق الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتحج البيت وتصوم
رمضان وكم يزد على ذلك وفي لفظ واحب ان يفعل الناس كلهم فيما تفعل انت وما تكره ان يأتي الناس اليك فدع
الناس منه وقد قيل ان هذا الصحابي هو وافد بني المنتفق واسمه لقيط صاحب حديث الطويل المشهور
وفي الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول
يا ايها الناس اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيتكم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا امركم
تدخلوا جنة ربكم وقال حديث حسن صحيح ورواه الامام احمد ولفظه اعبدوا ربكم بدل قوله اتقوا الله
وعند مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد امرنا على الاخلاص لله وحده
دون ما سواه ان نشهد ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فاذا فعلنا ذلك فنحن مسلمون وهو دين الله الذي
جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل ظهور الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى
في اخر ما نزل الله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا الاوثان وعبادتها واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وقال في اية
اخرى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين انتهى ما ذكره ابن حجر عن انس رضي الله عنه

و قد قال تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وفي مسند الامام احمد
ايضا عن قيس بن الحارث الصدائي رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابايعه فشرط علي شهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان اقيم الصلاة وان اوتي الزكاة وان احج حجة الاسلام وان اصوم رمضان
وان اجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما اثنتان فوالله لا اطيقهما الجهاد والصدقة فقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذا قلت يا رسول الله انا ابايعك
فبايعه عليهن كلهن فقوله صلى الله عليه وسلم احرم ماله ودمه يدل على انه حافظ ويقاتل عن عبد محمد الله
عزه وهو واضح فلا وجه لما قاله صلى الله عليه وسلم قال هذا اول الاسلام قبل فرض الفرائض والحدود ولكن
وجهه كما قاله جمهور العلماء رحمهم الله تعالى انه من المعلوم بالضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاء
يريد الدخول في الاسلام كشهادتين فقط ويعصم دمه وماله بذلك واذ شهادة ان لا اله الا الله متضمنة للكفر بما يعبد من
دون الله وعابديها بل ومتضمنة لشهادة ان محمدا رسول الله بل ولجميع ما امر الله به او نهى عنه فيجعل اذا قالها عاصما
لذلك حرام الدم والمال لتضمنها لجميع ذلك وقد انكر على اسامة بن زيد رضي الله عنه قتله
من قال لا اله الا الله لما رفع عليه السيف وقتله صلى الله عليه وسلم قوله انما قالها تعوذا عن قتل وهذا قاله كذب
وحسابه على الله عز وجل وانكر صلى الله عليه وسلم شرط على من جاء يريد الدخول في الاسلام ان يلتزم الصلاة والزكاة ونحو
بخلاف من جاء ليبايعه على اوبئا عن بلاد قد روي ان قوما دخلوا في الاسلام وشرطوا الا يركعوا وفي مسند
احمد عن جابر رضي الله عنه قال اشترط ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا صدقة عليها ولا جهاد وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سيصدقون ويجاهدون وفيه ايضا عن مضرب بن عاصم الليثي عن رجل منهم انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على ان
لا يصلي الا صلاتين فقبل منه واخذ له بهذه الاحاديث وقال يصح اسلام على الشرط الفاسد ويلزم
بالتزام الاسلام كله وقد ذكر ايضا ان حكيم بن حزام الاسدي ابن اخي خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها قال بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما وكان بعد ذلك يختار اصحابه ويأمرهم وهو الذي ولد زيد حوفزا الكعبي وليست هذه
الخصيصة لاصرغ قال الامام معناه ان يسجد بغير ركوع ويرفع هذا لم يكن يقر احدا دخل في الاسلام
على ترك الصلاة والزكاة ولهذا امر ضمام الكافر اسلم واخذ الفاسلم ولم يعط سيادة في الاسلام يقتل وينهب
ان بقي قال واما على صلاتين قبلته وامر بالحمس فعن غالب القطان عن رجل عن ابن عباس ان رسل ابن
الحنفي اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابي جعل لقومه شيئة ان لا يأبى على ان يسلموا وخمس اموالهم ثم بدا له ان يرجعها منهم افله ذلك
فيها قال ان بدا له ان يسلمها اليهم فليسلمها وان بدا له ان يرجعها فهو احق بها منهم فان اسلموا لهم اسلامهم وان
لم يسلموا قوتلوا على الاسلام وقال ان ابي شيخ كبير وهو عريف على الماء وانه يسأل ان يجعل له العرافة بعده
فقال ان العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء في النار رواه ابو داود وكذا لا يحتج به قال الخطابي
فيه ان من اعطى جعلا على ان يفعل امرا مفروضا عليه فان للمعطي ارتجاعه منه وليس بشارط النبي صلى الله عليه وسلم الموفد
على ان يسلموا فيعطيهم جعلا على الاسلام وانما اعطاهم عطايا تألفهم بها وان العرافة مصلحة للناس وفيه
التحذير من التعرض للرياسة وان قرعلى الناس كان في الفتنة وانه اذا لم يحفه ولم يوكل اليه خانه فيه
امر عظيم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ كما تقدم لما بعثه الى اليمن انك تدعو قوما اهل كتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وقال فان هم اطاعوا لذلك فاعلمهم ان الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فاذا فعلوا فاخبرهم
ان الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فاذا اقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم اموال الناس
واتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب متفق عليه وفي لفظ فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة في اموالهم
تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم فاذا اطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم اموالهم وفي لفظ فاياك وكرائم اموالهم
ان من كان مسلما يدخل في الاسلام بشهادة ان لا اله الا الله يحرم دمه وماله بذلك ويصير بعد ذلك مسلما يقام
الصلاة ويؤتى الزكاة ويلزم بشرائع الاسلام ويجتنب المحارم فما نهى عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا
من شاء صلى الله عليه وسلم عن الاسلام يذكر له مع الشهادتين بقية اركان الاسلام كما في حديث ابن عمر وضمام
الذي في الصحيح المعروف وكذا في حديث جبير بن علقمة وحديث وفد عبد القيس وحديث ضمام بن
ثعلبة من بني سعد بن بكر الذي قال في آخر حديث ابن عباس رضي الله عنهما فما سمعنا بوافد قدم كان افضل من ضمام بن ثعلبة
وغير ذلك مما هو مشهور وفي كتاب الحديث عند مسلم وكما في حديث لقيط رضي الله عنه وافد بني المنتفق
المشهور وقد خرجت طرقه في ولهذا ترى الكل في جميع هذا

الحديث

وتسلط بالاغواء وان ذلك لا ينقطع ما دام الانسان في هذه الحياة نطقت بها كتب الله سبحانه بتحذير الناس ارتكاب
سبيله ومتابعة خطواته ولا غرو ان ربانا قد قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر يعني من يتبع صار مثل امره مثل ما يأمر به ابليس من الفحشاء
والمنكر وقال ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي لما طهر احدا منكم من متابعة وقال عقيب
ذكره ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يعني لارتكبتم سننه في الحكم على الله تعالى بما
اجراه على المخالفة والاصرار على متابعة الهوى ونصب النفس لمعارضة من اوجد كل شيء من العدم وعلم ما يجهل
وانعم بما لا يجب عليه لحق سابق ولا لاحق ولكن تفضلا ورحمة ولطفا رحم في العظة التي لا تراع ولا
تدرك الافهام فافهم هو النبي وارسل الرسل وانزل الكتب واوضح الهدى وبين الضلال وفي ذكر
دليل قاطع وبرهان ساطع على ان من لم يرض بما رضي الله به من الترام ما انزل في كتابه ووجه و
طرق ان يصير بدعة نظرة الى ما لا يرضاه الله تعالى في كتابه او على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فضلا له
متبعض وهلا كه متحقق وقد قال الله تعالى لابليس اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ف
لم يعلم ابليس رتبة على النبي عليه السلام لا قرب دربا لغلو عند المخالفة الى دعوى ان لا يسجد كما
لله وتوهم ان تعلقه بهذه الشبهة يمنعه بها على الملائكة عليهم الصلاة والتسليم وجهل ان لله على الخلائق
ومن شذ منهم الناز وقوع على الانكار بنقيض قصده في بيان ان السجود لادم عليه السلام لم يكن لاستحقاق
آدم بموجب كرمه انما هو مجرد طاعة لامر فقال تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك فجاد على اظهار العلة
اذ لم يقنعوه الا فاظ الحاضرة التي لا تقصر فانزل درجة الخلق بقوله في امره بالسجود لادم عن درجة نفسه في رايه
فان قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فحرم حضوع العبد الكريم الباري بالمجاورة الخصمه بالجدال
فزال المسامحة بحد العداوة وانقلبت معاتبته الود الى التقاطه من العود بالرجم فقال اخرج منها فانك
مذكر رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون واخطأ عدو الله في تفضيله النار على الطين
لان الطين افضل منها من وجوه كثيرة من الرزانة والكمون والوقار والحلم والاناة
والحياء والصبر وذلك بسبب قوة الاتم وتواضعه وتضرعه فاورثه المعرفة والاحكام والهداية وهو
هو ان النار خفة واطيش وحدة والارتفاع والاضطراب وذلك بسبب استكبار ابليس فاورثه
اللعنة والابعاد من الرحمة واليأس منها والهلاك والثاني ان آدم موصوفة بانها تأتي بها مسكوم
يتقال فيها نارا الثالث ان سبب العذاب بخلاف الطين الرابع ان الطين مستغن عن النار
وهي محتاجة الى الحكاك وهو التراب الخامس ان الطين جمع الاشياء وهي سبب تفرقها الشاش
انها تطفيء او اوقدها النار السابع ان الماء حياة كل شيء كما قال وجعلنا من الماء كل شيء حي والنار لا
تلابس شيئا الا احرقته واهلكته وخرقه الوجه السادس فمن آثر فيه على كتاب الله وسنة رسوله
وحكم عقله على خالقه اضطره الامر الى ما وقع فيه ابليس فان الامم انما ابوطاعة رسول الشر وغلو به
عنهم تعظيم الله تعالى فانكروا ان يقوم بحجة الله تعالى دونهم بشرا كانكر ابليس الامر بالسجود
لبشر فاضطرهم ذلك الى الرجوع من الغلو في تعظيم الله الله تعالى الى الافراط والتقصير بعبادة غيره فمنهم
من حاد عن انكار رسالة البشر الى التكبر تطلبوا وجه الله تعالى بما واسطة فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولو
يكلمنا الله او تاتينا اية لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم سقط الى عبادة البشر كما حاد ابليس عن غلو دعوى
لا اسجد الا لك الى التكبر بانا خير منه ثم سقط الى تزيين المعاصي للبشر وذكر مضرة الطرد وقسم
من حاد الى تعليل مشيئة الله تعالى فقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء لو
شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما حرمنا من شيء ثم سقط الى العبادة اوثان لا تضر ولا تنفع
كما حاد ابليس الى الاقرار بالقدر لمعترضه بالاسوة وقطع عن لوم الملامة ثم سقط الى طلب الصد عن عبادة الله

ومنهم من غره رأيه فجرى في عنانه حتى جرى يدعو الى الله حيث ما قال ما علمت لكم من اله غيري كما اغتر ابليس
حين رأى نفسه اخبر بالمصلحة من باريه فجرى بالانكار عليه في قوله أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا
الذي كرمت علي فسقط ادعى الربوبية الى ان انتصر بجند من الحشرات على من كان يحمله كما سقط ابليس من العلا
لا علا الى ان انتصر بذرية الى اغواء من يدخل به النار فكذلك اهل العقل حكموا العقل على الله فهم وقد واعلى
على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اسماء ائمتهم وابو حامد ثم منهم على خلاف هؤلاء فالتبس الامر عليهم كما
التبس على كفار الامم واضطرهم الى اباء وقباحة وتكذيب في السقوط الى نقيض ما زعموه فان المعتزلة غلوا في التو
حيد حتى انكروا ما وصف الله به نفسه وكذب به وعلى ان نفيه من الكلام والرؤية والاستوا و
النزول والوجه واليدين والقدم والعلم السابق وغير ذلك كما انكر الكفار ما جاءت به الرسل عليهم
السلام فخطم غلوهم الى انهم اجروا عليه تعالى احكام العباد في اباحة ما حرم منهم حسن منه وحاجة منهم قبح منه بل
رفعوه عليه تعالى من القدر عن بانهم يفعلون في سلطانه ما يشاؤون لا ما يشاء في الحكم كحال من قال انا الذي
احيي واميت وانتفى عنه صفة الجهل بالجزئيات وتفصيل المجملات وما يقبل العباد من المعاصي والطاعات
وردوا النصوص الصحيحة الصريحة في اثبات الكلام والصفات فهم اشبه بحال الذين قالوا لرسولهم ائتنا بجنة
وما من تبارك الهتنا ان نؤمن لك ونتبعك وغلت الكرامية في اضافة حكم الى الرسي حتى نفوا
عن العباد مطلق الاستطاعة والاختيار واحتاطوا اعتبار نهيه وامره فهم اشبه حالا بالذين قالوا لو شاء الله ما
اشركنا وقريب منهم الجبرية فانهم غلوا في التوحيد حتى قالوا لا ينفع مع المعصية طاعة كما لا ينفع مع الكفر
طاعة وغلا قوم في القول في اثبات ذاته حتى اخرجوا منهم من اكفر مخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كالمجسمة
والمشبهة ومنهم من اكفر الخلق به واجرئهم على خلقه كغلاة الرافضة وهم اقربهم الى عبد العزيز والملح
والملائكة عليهم صلاة الله وسلامه وغيرهم من اصناف وافاضل ان كل مريض بمرض يعرض لعباده من متابعة
غير رسوله وكتابه فقد ضل ضلالا مبينا كيف وقد قال الله تعالى انا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا وما على رسولنا الا البلاغ المبين
وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الآية وقال قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم الآية وقال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية و
قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم فكل هذا ونحوه حكم ونص
واضح في وجوب امتثال امر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا انقياد له هو وان انقياد طاعة الله تعالى
وانما توجه الحجة بالامر ان سبق وان التوقف في التسليم لحكم ما ثبوت الايمان وان مخالفة امره موجبة لحلول
الفتنة والعذاب وانه ليس لمؤمن ولا مؤمنة مع امره اختيار حتى صرح بانه اولى بالمؤمنين من انفسهم فاذا ثبت
ان الايمان بالله تعالى لا يقبل بدون الايمان بشرعه وان حكم الشرع باق على وجه العموم كما
كان في وجوب الاخذ بالكتاب في وجوب التوحيد والاعراض عن تعرضا لتكذيب القرآن المجيد والتجه
حال من اقر بالاسلام واعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورضي بعلم ما ابتدع لم ينقل عن نبيه الا امنه ولم يرو
عن صحابته ولا التابعين وما اقر بهم بالذين تلقوا عنهم حالهم وصدرنا انقلابهم وما لهم اذ نقل
عن قائل فما جاء تهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فسوف اذا علمت ذكر ففي قتل
الواحد الممتنع من اداء الزكاة من غير تحيز قولان مشهوران للعلماء رحمهم الله تعالى احدهما يقتل وهو المشهور
من مذهب احمد الا كفار لان الصحابة رضي الله عنهم لا يرون سباء تركه كفرا غير الصلاة وكلامهم عن ابي عنهم في
قتال الممتنع من الزكاة واتفاقهم على ذلك من غير تكفير له عام في الواحد والجماعة فانهم لم يتركوا الغلول
الممتنعين من اداء الزكاة الا اذا دانها الى الامام فلا تستطاع الكلام على هذا الباب وعلى هذا الكتاب
فانه قد غلط فيه بعض من ليس عنده بصيرة بكلام الائمة وصالح سلف الامة فاجراه على ظاهره
مطلقا ومن نظر الى نصوص الكتاب والسنة المحكمة وكلام سلف الصالح كما يجب ذكر علم انه لا يخالفها بل يجاريها

فان كلام

قال كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم الصدق بعضه بعضا والله الموفق للهادي الى سواء السبيل ولهذا
قال الشيخ رحمه الله تعالى وشرح هذا الكتاب فيما بعد وفي غير هذا الكتاب من هذه التراجم بعدها من الابواب
وقد اشرنا الى تفصيل بعضها اجمالا فيه

الباب السادس باب

من اشرك في لبس لحلقه وخيط ونحوهما لدفع البلاء ونحوه

بعد نزوله بالابس وهذا شيء لا يقدر عليه احد من جميع المخلوقات دون جماداتها فلا يطلب دفع البلاء ورفعه كله
ممن يملك كل شيء الذي يجير ولا يجار عليه فيكون مدعا جاهلا ومعتديا والذي يدفع ذكره فعند الحاكم وقال
صحيح على شرط الشيخين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعا الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء الا انه
من حديث عبد الرحمن بن ابي الزناد عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر وقد قال الذهبي في عبد الرحمن انه واهٍ وقال
في محل اسناده لين ومع ذلك صححه الحاكم فلعل جهة هو لهذا يدفع البلاء وينفعه ورفعه وهو تعالى هو الذي
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقد روى هذا الحديث ايضا الامام احمد في مسنده بسند حسن
عن معاذ رجل على شرط مرفوعا وهو عند ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير عن الصامت مرفوعا ولفظه لن ينفع
حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء عباد الله ثم اصل جميع ما
شرع في تفصيلها اجمالا الادنى فالادنى دون الاعلى من ذلك الطبيب الحاذق يتحامى الادنى الى الاعلا
ولشدة البلوى وكثرة وقوع الاصغر قد يقع الاكبر بداء به بحيث اذا عمل ذكر سبب وقع فيه ويحقق
عظمه عند الله فانه اكبر من كبائر المعاصي كالزنا وقتل النفس وعقوق الوالدين وقذف المحصنات الغافلات صغره
في الشرك بنحو ذكره على الاكبر الخارج من الملة وكان معرفة الاصغر يجر بها على الاكبر من باب الاولى وهذا من
كشيخ رحمه الله سر لطيف وبهذه الفراسة والسياسة نفع الله به العباد وعمر به البلاد ودون نصره وبتعريف ذلك
رأس وساد قال وقول الله عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون يامر تبارك وتعالى رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين قل ارايتم ما تدعون من دون الله يعني ما تعبدون من دون الله يعني الاصنام ان ارادني الله
بضر اي اصابني ببلاء او مرض في جسدي وضيق في معيشتي او عذاب في الاخرة هل هن كاشفات ضره اي هل تقدر الالهة
صنام دفع ذلك عني قرئ كاشفات وممسكات بالاضافة وبالتنوين وما بعدها مفعول قل حسبي الله اي يكفيني الله من شر
الهتكم ويقال يغني بالله كما يغني بالله ودفع الضر اذ قد تقرر بهذا ان القادر على دفع الضار وجلب المنافع هو
الله الذي لا نافع ولا ضار غيره وعليه يتوكل المتوكلون اي يثق الواثقون بالله الذي لا اله الا هو النافع
الضار الذي بيده ملكوت السموات والارض ففوض امرك اليه وتوكل في جميع امورك وانابتك عليه وما ربك بغافل
عما يعملون فلا تجعل لاحد من دونه شيئا طرفة او جماد في عباد كذلك قال سعيد منصور حدثنا
هشيم اخبرنا منصور عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا في يده
حلقة من صفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا رواه جميعا الامام احمد في مسنده بسند
رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث والواهنة عرق
يأخذ في العضو وفي البدن يقال به وهن بضم الهاء وهنا ووهنا وهنا ووهنا بفتحهما ووهنا بضمها ووهنا بضم فسكون
الذي هو تخفيف وايجاده سبحانه يقال وهن بضم الهاء وهنا ووهنا بفتحهما ووهنا بضم فسكون ووهنا بضم فسكون
ضعيف في رأيي وقال الفراء الواهنة القصيرة وهي اسفل الاضلاع وقال غيره ايضا الواهنة
عرق مستبطن حبل العاتق الى الكتف اذا اصابه على الانسان او وجعه فقال عند ذكره هي يلوح لي اسمها
هذا من قول العرب لها وانما انكر عليه صلى الله عليه وسلم كما قال الخطابي اتخاذ الحلقة من الصفر لانه انما كان اتخذها
على انها تعصمه بزعمه بان العرق كما ذكر عندهم في معنى التمائم التي ورد النهي عن تعلقها لاعتقادهم فيها
استقلالا النفع والضر ورد بان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من حديد فقال مالي ارى عليك حلية

ظل او ثمرة وهذا القطع لدفع المضرة الدينية التي غاية بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام لازالة ما كان
من هذا القبيل ومحوه من الارض وقد سئل ابو داود السجستاني عن هذا الحديث فقال هو حديث
مختصر ومعناه سارق قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل عنا وظلها بغير حق يكون له فيها
صوب الله رأسه في النار اي نكسه والضابط قال الامام احمد في رواية ابي داود ليس فيه حديث صحيح
وما يعجبني قطعه قال قلت له فلم لم يكن فيه حديث فلم لا يعجبك قطعه قال على كل حال قد جاء فيه كراهة
وعلى تقدير صحته وثبوته فهو محمول على المصلحة الدينية **واما الدنيوية** فقد قطع الملهم المحدث
الفاروق عمر رضي الله عنه خطاه امير المؤمنين الخليفة الراشد احد الذين امرنا باتباعهم والاهتداء بهديهم رضي الله عنهم
الشجرة التي بايع اصحاب بيعة الرضوان النبي صلى الله عليه وسلم تحتها مخافة الفتنة في الدين وقد ظللت اعصارا
خير الخلق وعبدوها واصحابه الذين بايعوه تحتها من ارسله بالاخلاص والتفويض على نصرة الله ورسوله
ببذل المهج حتى بايعوه في تلك المبايعة على الموت او الا يفروا او حصل مجموع ذلك منهم وعن حذيفة رضي الله عنه
واسم اليمان حسيل مصغر العبسي هو حليف الانصار صحابي جليل من السابقين الاولين اسلم صح في صحيح
مسلم عن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي ايضا قتل باحد خطأ
فتصدق حذيفة رضي الله عنه بديته على المسلمين وشكر له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وما حسن فعله هذا واخلاقه على رضي الله
سنة ولا ان امرا رجلا في يده خطام بعير قطعه ولا قوله وما يؤمن اكرمهم الله وهم مشركون
رواه الحافظ الفقيه ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي وغيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية من امنا نمم اذا
قتل لم يخلق السموات والارض ومن خلقهن اجبارا قالوا الله وهم مشركون به وقال جمع من التابعين وفي الصحيح
ان المشركين يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وفيه ايضا انهم كانوا اذا قالوا
لبيك لا شريك لك يقول صلى الله عليه وسلم قد قد اي حسب لا تزيدوا على هذا فيعقبونها بذكر اصنامهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله تعالى فيوحدونه في اول تلبيتهم ويشركون في آخرها ولهذا قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
وقال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهو شرك في الالهية يعني كما قال تعالى و
اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وشرك في الالهية به غالبا فاعلم
كالذي استدل على حذيفة رضي الله عنه بهذه الآية وهذا من فقه الصحابة رضي الله عنهم ودقة فهمهم بمعاني
القرآن العظيم والشرك الاكبر الاصغر لدخول ذلك بالمعنى فيه وان لم يخرج من الملة **وليعلم** بذلك كلام
السلف رضي الله عنهم في الآية ليس اختلافا باختلاف تضاد وانما هو اختلاف تنوع **وقول** رويحب
حذيفة هذا سر وبه آخر كما روى حماد بن سلمة عن ابي نجيح عن عروة قال دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده
سيرا فقطعه او انتزعه ثم قال وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالشرك في هذه الآية كما قال رجمان
القرآن ابن عباس اخفى من دبيب النمل على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء فليحذر الانسان كل الحذر من ذلك
والله الهادي الموفق

الباب السابع باب

ما جاء في الكرة والنمائم في الصحيحين للبخاري ومسلم عن عبد الله بن يوسف ومسلم

يحيى وابو داود عن القعنبي كلهم عن مالك بن انس وهو في الموطأ عن عبد الله بن ابي بكر يعني بن محمد بن عمرو بن
حزم الانصاري عن عباد بن تميم يعني المازني التابعي وقد قيل له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الصحيح عن
ابي بكر الانصاري بفتح اوله وكسر الجيم الصحابي المدني قيل اسمه قيس بن عبيد قال الدارقطني كما عند ابن منده
اختلف في اسمه فيقال لا يعرف واسمه وذكر بعضهم ان اسمه قيس بن عبد الحرير بن عمرو بن مصعب بن عجرة
قيل الانصاري الى عدي وقيل الانصاري الحارثي وقيل الانصاري المازني روى عن ابيه عن اولاده وعباد بن تميم وغيرهما
بن فضالة وعمارة بن غزية عاش رضي الله عنه الى بعد الستين وشهد الحرة وجرح بها وما مات بعد ذلك قال خليفة الليثي
في تاريخه فيما اظن توفي بعد الحرة وكان قد عمر طويلا وقيل مات سنة اربعين والاول اصح الا ان ادرك الحرة
قال ولا اعلم فيهم من يكنى ابا بشير الا الحارث بن عمرو بن الانصاري قال عباد الذي ابا بشير اخبرني

ان كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره قال فجعل اقف على بعيرها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وعند مالك في رواية روح بن عبادة فارسل زيد مولاه قال بن عبد البر وهو زيد بن حارثة فيما يظهر لي قال عبد الله بن ابي بكر يعني الامام مالك حسبت انه ابن عباد بن تميم قال والناس في عقبهم وقال الاثبتي الصحيح بغير عقبة هذه وقال عقد حسن في جميع الروايات الصحيح لحنهما موصولة سائرة الحزة بغير توكيد وفي رواية ابي عمر قلادة رفع على الفاعلية من وتر بفتح الواو والمثناة الفوقية في جميع الروايات قال بن بجوز بن نصر ربما صحف من لا علم له بالحديث فقال وتر بضم الواو وسكون المثناة وهو جزم بالوصل وقال هو ما يتخذ من اوتار العيدان قال الهروي ما يتخذ من اوتار العيدان كالعود والكنارة والمزمار او للتنويع وفي رواية القعنبي عند ابي داود ولا قلادة وهو من عطف العام على الخاص وبه جزم المهلب ويؤيد الشك ما روى عن الامام مالك ايضا عن القلادة وقد اسمعت بكراهتها الا اني لم ار وقال مالك بعد روايته لهذا الحديث ارى ذلك من العين قلت وقد كانت العرب تقلد الاوتار حتى الكلاب من العين قال الجوهري الخطي بالجوشن الطي

ثم خرجت خرزة التي اذا عكست به مقلدة الاوتار من عين سمان

يقول اخرجت خرزة التي اذا عكست به اي لزمته وعلقته فلا تفارقها ركضا ولهذا قال عن سمان وكانت العرب اذا سبق لها سابق في حلبة او غيرها قلدوها الاوتار من العين او هذا معلوم عندهم فقوله قلادة او قلادة الا قلادة تعليل وهي جملة في الاعناق وقوله من وتر جمع او تار وهي في القول فنهى صلى الله عليه وسلم عن تقليدها لانهم كانوا في الجاهلية يعتقدون ان تقليدها يحول بينها وبين ان يدفع عنها العين فكان كالعوذة لها مما يفعله اهل الجاهلية فنهاهم عن ذلك المعنى واعلمهم انها لا تدفع ضرا وليس هذا من قوله قلدوا الخيل ولا تقلدوها الاوتار فان معنى هذا كما قاله بن الانباري وغيره اي قلدوها طلب اعداء الدين والدفاع عن المسلمين ولا تقلدوها طلب اوتار الجاهلية وذحولها ان كانت بينكم وكلا وتار في هذا جمع وتر بالكسر وقد يكون وهو الدم وطلب الثار يريد لا تجعلوا ذلك لازما لاعناقها كلزوم القلائد للاعناق وضعف هذا التاويل قوة النهي رحمه وبعده القرطبي والقول الاول قول النضر بن شميل وعلى عليه صاحب النهاية وجمهور العلماء وكيع بن الجراح فقال المعنى لا تركبوا الخيل في الغزو فاذا سمعتم انها تستعان به وترتبط به وقيل اراد بذلك ولا تقلدوها الاوتار جمع وتر بالتحريك والفتح وهو القوس اي لا تجعلوا في اعناقها فتختنق الخيل بها عند ارتعاشها اذا سارت فتنشب الاوتار ببعض شعبها فتخنقها وقيل انهم كانوا يعلقون فيها الاجراس فنهوا عن ذلك وقد حكى جملة هذه الاقوال الخطابي وغيره فارسلهم صلى الله عليه وسلم واخذهم عما يضرهم في دينهم ودنياهم واما القلائد التي لا محذور فيها فلا باس بها وهذا الكلام عام في الابل والخيل وغيرها وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو ابو عبد الرحمن الهذلي سبق ان بقين الاولين من المهاجرين وممن علماء الصحابة الكبار رضي الله عنهم شهد بدرا وبيعة الرضوان وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر وكان من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم وجلة امرة عمر رضي الله عنه على الكوفة ثم بعض سنة ثمان وثلاثين وتوفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وقيل بعدها بالمدينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرقى والتمائم والتولة شرك وفي بعض طرق هذا الحديث فقلت هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة قال شيء يجعلن النساء لازواجهن يتحببن به اليهم فالتولة بتشديد التاء المثناة الفوقية وكسرها وفتح الواو واللام ضرب من السحر وقيل خيط رقى فيه من السحر او قرطاس كتب فيه شيء من ذلك لغة والحاصل ان عمل كما قال الاصمعي وغيره يجلب المرء الى زوجها والزوج الى امرأته ويقابله الاخذة وسيأتي في باب النشرة وذكر ضد التوكل على الله تعالى ولهذا جعله صلى الله عليه وسلم لمضادته التوكل شركا رواه الامام احمد وابو داود وبوب عليه الحاكم وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي عليه ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن زحر الالهاني عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة رضي الله عنه ولفظ ثلاثة من السحر الرقى والتمائم والتولة الا ان علي بن زيد ضعيف ورواه البيهقي ايضا وقال التولة ما يحبب المرأة الى زوجها وقد قال ابو عبيد في حديث عائشة رضي الله عنها

ان امرأة قالت لها الا أقيد جملي قلت نعرفنا علمت ما تريد قالت وجهي بوجهك حرام يعني بقولها أقيد جملي وجهها وتقيد ان توخذ عن نساء غيرها قال وانما كرهت هذا لانه سحر وهو سبب يقول عبد الله بن مسعود في التولة انها شرك الا ان المرأة تأخذ من البعض والتولة من الحب وكلاهما من انواع السحر قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم رواه ابن ماجه بإسناد المرزوي ورجاله ثقات وعن عبد الله بن عكيم بالتصغير الجهني ابو معبد الكوفي يخضرم وقد سمع كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى جهينة قبل موته بشهر او شهرين وهو ابن ثمان عشرة سنة وعاش مائة سنة حكاه ابن الحجاج المزي وروى هذا الحديث عن عيسى بن حمزة عن ابن ابي ليلى عن عبد الله بن عكيم وهو مرسل فقال الامام احمد فقال ما وكيع بن ابي ليلى عن عيسى بن حمزة قال دخلنا على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له لو تعلقت شيئا وقال اتعلق شيئا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعلق شيئا وكل اليه رواه اليه وعند ابي داود بسنده عن عيسى بن حمزة قال دخلت على عبد الله بن عكيم وبه حمرة فقلت الا تعلق عمة فقال نعوذ بالله من ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل اليه ورواه الترمذي وقال انما نعرفه مرفوعا من حديث ابن ابي ليلى وقد صرح بالسماع في رواية الامام احمد رحمه الله وقد اعل رفعه فهو ابو الوقف والارسال اصح الصحيح عدم سماعه كما تقدم وان تخضرم ليس صحابيا والحمرة قال اهل اللغة هي ورم معروف من جنس الطواعين قال الخطابي وغيره قال المصنف رحمه الله استعمال اللام يعني التي في حديث ابن مسعود رضي الله عنه هي لام الاستعلاء في شيء يعلق على الاولاد من تعيين على ظن معلقها انها تؤثر وقد وقع التعيين عن متعلقها في الحديث قصة يحسن ايرادها فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انها قالت ان عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال ما هذا قلت خيط رقي لي فيه قالت فأخذه فقطعه ثم قال انتم آل عبد الله لاغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتولة شرك فقلت لم تقول هذا لقد كانت عيني تقذف فكنت اختلف الى فلان اليهودي فاذا رقاها سكنت فقال عبد الله انما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقى كففها انما يكفيك ان تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذهب البأس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما رواه الامام احمد وابو داود وفي لفظ له اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما رواه الامام احمد وابو داود وفي رضي الله عنه ان الخيط يخسبها بين الاصابع لها ويعوذ بها قال الشيخ رحمه الله تعالى لكن مستدرك الحاكم وذكر ابن مسعود رضي الله عنه تقدم بقوله اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعضهم اي بعض الصحابة رضي الله عنهم وكذا ان كان من غيره عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وعائشة ام المؤمنين وغيرهما فروى ابو داود والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من الفزع كلمات اعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه ورواه الامام احمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وزاد النسائي في اوله بسم الله وفي لفظ له كان يعلمهن من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبهن في صك ثم علقها في عنقه ورواه ابن ابي الدنيا نحو هذا اللفظ عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهن كلمات يقولهن عند النوم من الفزع بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ ان يقولها كتبه فعلقه عليه وذكر الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة انهم سهلوا في ذلك ولم يشددوا فيه يعني الامام احمد وقال بن ابي الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن ابي عبيدة قال سئلت ابا جعفر عن التعويذ يعلق على الصبيان قال لا بأس به ورواه عنه من وجه آخر ايضا وفيه قال نعم اذا كان من كتاب الله او من كلام نبي الله صلى الله عليه وسلم قال وقال يونس بن عبيد وامر بنو ابنه ان يستشفي به ما استطاعت فكتب لي كتابا ثم محى بعضها ثم قال اكتبي بعضها ثم قال اكتبي بعضها ثم قال اكتبي بعضها ثم قال اللهم

جبرئيل وميكائيل واسرافيل اشفع صاحب هذا الكتاب وذكر الشيخ عبد القادر الكيلاني في غنيته
عن الامام احمد انه قال رحمت فكتب لي بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل اشفع
صاحب هذا الكتاب بجودك وتوكل يا ارحم الراحمين قلت وابو جعفر هذا هو محمد بن علي بن الحسين نفقة
العابد الفاضل المسمى بالباقر رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن صالح اهل بيته قال في الفروع ولا تستحب
وحكى قال ثنا الحسن بن احمد ثنا احمد بن القاسم بن هشام قال ثنا موسى بن داود ثنا سفيان عن حجاج قال الخبر في
ان سعيد بن جبير يكتب الدعاء ويذوبه عن حجاج قال سئل عطاء عن ذلك فقال ان ناسا كرهوه من جهلهم
يا اهل العراق قال الشيخ رحمه الله تعالى وبعضهم يرخص فيه وجعله من المنهي عنه منهم عبد الله بن مسعود الهذلي
ابو عبد الرحمن صحابي الحبر مولى رضي عنه قال ابرهيم بن يزيد النخعي وكان خيرا ورعا عن اصحاب عبد الله بن مسعود رحمهم الله
كالاسود وعلقمة ومسروق وقد روى النخعي عائشة رضي الله عنها وهو صبي وكان يكنى بابي عمران وكان فقيه
الكوفة نسبة الى قبيلة النخع بفتح النون وفتح الخاء المعجمة وبعدها عين مهملة قبيلة كبيرة من مذحج اليمن قال كانوا
يعني اصحاب عبد الله بن مسعود من اكره العراق يكرهون التميمة كلها من القرآن وغير القرآن وعند ابن ابي شيبة بسنده
عن ابرهيم قال كانوا يكرهون الرقى والتمائم والنشرة يعني اصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جعفر سمعت ابا عبد الله
يعني الامام احمد سئل عن كنزة فقال بن مسعود يكره هذا كله وسيأتي الكلام على كنزة في باب ان شاء الله تعالى وسئل ابو
عبد الله عن تميمة فقال بن مسعود يكره هذا كله وسيأتي الكلام على التميمة في باب ان شاء الله تعالى وسئل ابو عبد الله
عن تعليق التمائم والمحظور فقال بن منصور قيل لابي عبد الله هل تعلق شيء من القرآن قال التعليق كله مكروه
وهل تعلق شيء وكل اليه وقال صالح لابيه هل تعلق شيء من القرآن قال التعليق كله مكروه كان ابن مسعود
يشدد فيه وروى ابن ابي الدنيا عن العالية لا تتكل على غير الله فيكلك الى من توكلت عليه وعند ابن ابي شيبة
عن هذا المصري قال قيل لي في نومي هذا توكل على من توكل عليه الملوكون قبلك فانه جل ثناؤه لا يتكل عليه
الا غره وقد قدمنا عن الامام احمد رضي الله عنه حكاية عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وغيرها ان اصحاب
انهم سهلوا في ذلك ولم يشددوا فيه فلعل قوله هذا خبر ان يبلغه عن عائشة رضي الله عنها وغيرها الرخصة في ذلك
ولهذا قال الراوي ولم يشدد فيه او يحمل كلامه هنا فيما اذا اتكل على غير الله تعالى وهناك على اذا اتكل على الله تعالى
وجعل ذلك من الاسباب التي يدفع الله بها اذى من يكفل الاسباب المرتبط بها التوكل على من بيده ملكوت كل
شيء الذي عاش دابة الا هو اخذ بناصيتها قال وقفلي واما التميمة وهي عوذة او خرزة او خيط ونحو
ذلك فهي كراهة عنه ودعي عاما فعله وقال لا يزيد الا وهنا اندها ولو تشوهي عيني ما افلحت ابدا وروى ذلك
ايضا احمد وغيره قال الاستاذ حسن قال القاضي ابو يعلى وغيره يحرم ذلك وقال شيخنا يعني به الشيخ تقي الدين
التميمة بمنابة اكل الرباق وقال ايضا يجوز حملها اخذا على اختلاف حالين فنهى عن ذلك اذا كان يعتقد
انها هي النافعة والدافعة عينا قال وهذا الجواز لان النافع والدافع هو الله سبحانه والموضع كذلك اجازه
اذا اعتقد ان الله سبحانه هو النافع الدافع واعل هذا خرج على عادة اهل الجاهلية بما كانوا يعتقدون ويقولون
الدهر يضرهم فكانوا يسبونه فنهاهم عن ذلك واذا لم ينزل به البلاء لا يكون على الله عليهم انما رخص في ذلك عند الحاجة
قال ولا باس بكتب قرآن وذكر وسقي به مريض وحامل لعسر الولد نص عليه الامام احمد
رحمه الله تعالى لقول ابن عباس رضي الله عنهما في ذكره فيما يكتب لعسر الولادة في اجام او آنية نضيفة
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون
يغسل فيسقى منه ويضح بما بقي على صدرها وقال بعضهم تكتب سورة الزلزلة وآية الكرسي
من اسباب التي لا تخرج عن هذه عبادة بل هي قد تكون من التعبد لله جل وعلا فقد قال تعالى وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فنحن نتشفى بكلامه جل ثناؤه

الذي هو

الذي ذكره فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فيما خلاف ما ذكره وذكر خصة لغة السهولة وشرعا
ما ثبت على خلاف دليل شرعي لعارض راجح قاله غير واحد وقيل هي السماحة في الخطوب مع قيام سببها الحاظر وسنورد الدليل
في ذلك وعند الامام احمد وغيره عن عمر وجابر رضي الله عنهم مرفوعا لم يقبل رخصة الله تعالى كما يعمل بالأخذ
بكل جائز عزيمة وعند الحسن وعند الطبراني مسندا هو والبيهقي في شعب الايمان وابن حبان في صحيحه عن عمر
رضي الله عنه ما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يكره ان تؤتى معصيته وفي صحيح
مسلم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا عليكم برخصة الله التي رخص لكم من العين التي صدورها من الحسد وقد
تكون من نظرة الحي ومنفذها غالبا من العين فانها قد تكون بالوصف بنحو رؤية ولهذا كثيرا ما تصدر من ضرر
البصر كما قد وجد ذلك كله وكان يقال عيون الجن انفذ من سنن الرماح وقد اخبر الله تعالى كتابه العزيز
ان الجن قد تتأثى منهم الافعال وان لهم بطشا وحركة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبار صحيحة ان للجن خطفة
وانتشارا وتأثيرا في بني آدم وان العين حق ومن اقوى الاسباب في ذلك التحصن بالاستعاذة بالله سبحانه
وباسمائه الحسنى فان لها تأثيرات النفوس بعضها فوق بعض اذ هي من جنس السحر وهذا جنس سليم والاعقل مستقيم فترى النفس
تؤثر اثرا يخرق العادة بان تنظر الى الجمل العظيم فتسقمه او الى حيوان كبير فتقتله او الى غير فتزيلها اذ هذا امر
قد شاهدته الامم على اختلاف اجناسها وادينها يسمونه اصابة العين فيضيفون الاثر الى العين وليس الامر
بالحقيقة وانما هو للنفس المتكيفة بكيفية رديئة سمية وذلك بقدر العزيز العليم وقد يكون ذلك
الفعل بواسطة العين وقد لا يكون بل يوصف للنفس فيقع منها ذلك وآلات تأثير النفس البدن القوي لا تؤثر الا فيما
لاقاه ومماسته مماسة خصوصا لاكتأثير النفس والنفس تقع منها التأثير العظيم بلا مماسة ودلت على
هذا امره صلى الله عليه وسلم للعائن بغسل مغابنه وبواضح القدر للمعين ووصفه على وهذه حكمة عظيمة
وفي صحيح مسلم رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال استرقوا لها فان بها النظرة قال محي كنز اللغوي رحمه الله تعالى يعني بالسفعة نظرة ولكن يقول بها على اصابتها
من نظر العين قلت والسفعة حمرة في الخد الى السواد قال احمد بن يحيى بعد وصفه لها من
كأنها قارح طارت عقيقته ... في عارض السماء او طاوح به سفع
وقد تكون هذه السفعة تعطي الصفرة كما فسره الراوي في حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى بنتها جارية
في وجهها سفعة قال يعني صفرة بحمرة لها كلحة كلحة وجه الوحش من تصوح الشمس والحديث في الصحيحين
يقول ان نظر العين وقع عليها وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان وقد تقدم ان
اصل العين من الحسد فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنا فالعائن احاسد اعم من العائن كما
ثبت الاستعاذة منه لان العين تصدر منه ولهذا قال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اي سهام تخرج
من نفس الحاسد العائن فان صادفت المعين مكشوفا اثرت فيه كما تؤثر السهام فمن اذكره لم تندرع بدرع
حصينة واولى وانكاها حارس اسمائي وكلماته فتحصنا بحصن الله تعالى الذي جعل الله له لم تؤثر فيه وربما
اثرت على صاحبها بمثابة الرمي الحسي سواء وقد يعين الانسان نفسه وقد يعين بغير ارادته
بل بطبعه فمن استعمل العوذ الالهية والجنوبية وجرب تأثيرها عرف منفعتها اذا توكل مع ذكره على الحي الذي
لا يموت فانها تمنع وصول العين وترفعها بعد وصولها كما قال شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله
ذكر بحسب قوة ايمان قائلها وقوة نفسه بالتوكل على الله سبحانه فان ذكر سلاح والسلاح بضاربه
فكيف بما جعلة الله ورسوله حصنا لذكره اهو ابلغ من السلاح واحصن الحصين اذ لا شيء اقوى
في دفع ذلك من الاخلاص والتوحيد في الايمان الذي هو فعل الاسباب مع التوكل على الكريم المنان العزيز
ذي السلطان الذي جميع خلقه بقضائه وتقديره اذ لا يخرج عن حكمه الكوني شيء وما
من دابة الا هو اخذ بناصيتها والجملة محمد بعض الناس المهملة وقد ذكرنا تعريفها كما سبق في حديث زيد
بن اخطب رضي الله عنه وفي البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الرقية

على نفسه بالمعوذات ونحوها

قال الشيخ وجمع الذي يتفى فيه طفقت انفث بنفسه بالمعوذات وأمسح ببدن صلى الله عليه وسلم الخ
روى الحاكم في مدحه وصححه عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نزل منزلا فقال
أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك وعند أبي داود والنسائي
بسند صحيح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن رجل من [illegible] فقال لدغت الليلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم تضرك واحاديث في هذا
كثيرة موجودة لكن يحتمل أن يقال أن الرقا أخص من التعوذ ولا خلاف في كل ما وقع وما يقع
إذا لم يجعل الرقا أخص من التعوذ ولما قوله في حديث بريدة لا حسب المتقدم في الصحيح لا رقية
إلا من عين أو حمة وهو عند أهل السنن بهذا اللفظ فتقدم الكلام عليه ويدل على ما ذكرنا إذنه صلى الله عليه وسلم
في رقية الأذن والنملة مع أنها من الأحاديث العامة وعند أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم وقد قال بين الرقا بالمعوذ أو غيرها من أسماء الله
تعالى هو الظاهر ومعناه إذا كانا على لسان الأبرار من كلام حصل الشفاء بإذن الله تعالى قلت
كما رقا جبريل ومكائيل النبي صلى الله عليه وسلم بالمعوذتين من السحر لما أخذ عن نسائه وسيأتي في النشرة إن شاء الله
قال بين الدين فلا محذور في هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقا المنهي عنها التي لا تعلم المعنى
وغيره ممن يدعي شيئا لكن له فإني بأمور مشبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى الذكر الله تعالى وأسمائه ما شعير
أنه من ذكر الجن طين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال أن الجن لعداوتها للإنس بالطبع تصادف
الجن طين أعداء بني آدم فإذا عزم على الجن باسم إلى طين أجابت وخضعت من حيث لا يشعر وكذا الدجال إذا
رقي تلك الأسماء سالت سموم من بدن الإنسان فلذلك كره من الرقا ما لم يكن بذكر الله تعالى وأسمائه
وصفاته خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من شوب الشرك قال وعلى كراهة
الرقا بغير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم علماء الأمة وقد قرر الدليل على جوازها خلافا لمن كرهها وضح عبارة
قال شمس الدين بن القيم الجوزية رحمه الله تعالى إذا تبين أن بعض الكلام خواصا ومنافعا يعني كالرقا التي جا
زها النبي صلى الله عليه وسلم حين عرضت عليه وكرقية الملدوغ التي أمر بها من تعلم الفاتحة وحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها فيما
كان ظن بكلام رب العالمين ثم بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن العظيم ولا في غيره من الكتب التي أنزلها الله مثلها
لتضمن جميع معاني الكتاب العزيز فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها وأنها العاد و
ذكر التوحيد والافتقار إلى الرب تبارك وتعالى في طلب الاستعانة والهداية منه وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية
منه بها إلى الصراط المستقيم ولتضمنها كمال التعرف إليه والتوحيد وعبادته تعالى بفعل المأمور واجتناب المنهي عنه والزجر
والاستقامة عليه ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم الذين أنعم عليهم لمعرفتهم بالحق والعمل به ومغضوب عليهم لعدو
لهم عن الحق بعد معرفته وبديه اليهود وضالين لعدم معرفتهم له وهم النصارى وسرى
بهم في طريق تعتبر بالله سبحانه وتعالى بما تضمنت من أنباء القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة وإصلاح العمل
والقلب والرد على جميع أهل البدع مع جميع الفرق وحقيق بسورة هذا بعض منافعها أن يستشفى بها من كل داء
وقد ذكر بعض الكلام على الرقية وبعضها يتعلق بالحديث حصين بن عبد الرحمن في بيان حقيقة التوحيد والتوكل
هو بكسر التاء المثناة من فوق وفتح الواو واللام نوع من السحر وحاصله شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى الرجل
والرجل إلى المرأة ولهذا سمي تحويلا لأنه من أفعال المشركين وأولى بقضي بصاحبه إلى الشرك إذا اعتقد أن له تأثيرا حقيقيا
أو غالبا بفعل يعتقد ذلك نعوذ بالله من الخذلان وقيل المراد بذلك الشرك الخفي بترك التوكل على الله تعالى
على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وسيأتي كلام مفيد
على هذا إن شاء الله تعالى إذا التوكل على الله خلاصة التوحيد ولهذا قال وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وسيأتي كلام مفيد
في الطيب رحمه الله تعالى في معنى بعض الشرح بالكثرة إن شاء الله تعالى وبالجملة يكفي اللبيب فيما ذكرنا زجرا
سمعته صلى الله عليه وسلم يقول كما روى الإمام أحمد عن رفيع بالفاء [illegible] ضعفا بن ثابت بن
الشكن بعد يمن حارثة الأنصاري المدني مسكن مصر رضي الله عنه وولي مرة برقة وقال [illegible] وحسن وصححه
ورواه روى عن أهل مصر نحو ثمانين حديثا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويفع لعل الحياة ستطول

اوله

وهذه نسخة من صحيح

بكر وقد عمر رضي الله عنه الى الرأس [illegible] صلى الله عليه وسلم ولما كانت بصيغة التمني فلهذا اقره
صلى الله عليه وسلم بقوله فاخبر الناس [illegible] عقد المعلوم لزعمه ان عقد لها يدفع عنه بلاء كما
لعين كما اشار الى ذلك في مجمع البحار في غرب [illegible] يقول انى معالجتها حتى تعقد و
تتجعد فقد ابعد النجعة اذ هذا لا يحتمله [illegible] فظ عقد بالتشديد بصيغة التكثير وهذا
اكثر ولم يذكره وانما هو بصيغة قطع لا بصيغة [illegible] واضافة هذا الفعل لا يستوجب كبيرة مركبي
صلى الله عليه وسلم وهو صورة الحكم المأمور به اقرب منه الى الضد وان كانت العرب تفعله فليس هو
المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وكذا من حمل على انهم كانوا يعقدون ويهلون لكروب تنزل او تعجبا فان ذلك
ليس فيه ما يعطي التعجب ولا الشكوى عند العرب وكيف وطول اللحية وصغر الرأس عندهم عيب وانما المراد ما
يفعلونه لدفع العين كما ذكرنا ذكر ذلك في مجمع البحار ولم يذكر غيره لا اعراض عما سواه من الاقوال ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم فاخبر الناس من عقد لحيته او قلد وترا بالتحريك والفتح وهو وتر القوس وجمعه اوتار قال جرير

لما استطعت بليتم ان تغالبني ... حتى اكتحن جذاب النبعة الوتر

وحتى الوتر صيغة وردت الا ان يريد عند مراهنة الرجلين ابعد رميا او اسنى جريا او اعظم
فان كهان اليهود كانوا اهل الجاهلية يعقدون ان عقد اللحى وتقليد الاوتار يدفع عنهم زعموا العين ونحوها
من المكاره نهوا عن ذلك واعتقد صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالبراءة من ذلك الفعل وقد تقدم الكلام على
معنى عقد اللحى وتقليد الاوتار المقرون بعقدها هنا وبتي حصلت هذه العلة في بني وداعة الكلام
لان الحكم يدور بدورها العلة وقوله فانا منه اي من فعله اي من فعل ذلك لجاهلية وقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد او من عمله حالة اوحى الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبرأ منه او من يستوجب فاعله
وبنحو هذا المذكور على بمعناها او معنى ابرأه كما في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا انا بريء
ممن حلق وسلق وخرق لا يكون فاعل ذلك في فعله تعالى الله صلى الله عليه وسلم بل لجهالة فاعل ذلك الفعل او
انما ابرأ الى الله صلى الله عليه وسلم من مساواته في ذلك الحكم والفعل كما قال ابو هريرة رضي الله عنه لما شاطره عمر رضي الله
عنه الذي جاء من البحر بدعاه الى البعير فاتى فقال له عمر ان يوسف عليه السلام قد سئل العدل فقال ابو هريرة
رضي الله عنه ان يوسف نبي ابن نبي وانا سنه مراء وانا خاف ثلاثا واثنتين قال عمر فلا تقول لحما قال اخاف ان اقول
بغير حكم واقضي بغير علم واخاف ان يضرب ظهري وان يشتم عرضي وان يوخذ مالي فلم يرد ابو هريرة رضي الله عنه في
هذا براءة ولاية الدين وكيف يتبرأ من نبي هو مأمور بموالاته مفروض عليه الايمان به والتصديق بنبوته وانما
اراد به البراءة عن مساواته في الفعل والحكم وقسم الحكم قسمين وهو يقتضي ما قال لان الاول ليس من كلف
عليه وخاف ان يضيعه والثاني اكثر من كلفه خاف ان يظلمه فجعل قسمين ليكونا ازين للمقول وابلغ في
العذر وقد رواه الخطابي بسند صحيح عن بكير عن ابي هريرة رضي الله عنه وهو حديث مشهور عند غيره من
اهل المسانيد ومنع صلى الله عليه وسلم الاستنجاء بالرجيع وانما عظم امره من اجل تقذيره على امتي لكن يؤدي الى ضرر
مع انه صلى الله عليه وسلم لما اتاه وفد معلوة من شهوان وفد وافد الجن على المحدثين مسطور بانا كل عظم
ذكر اسم الله عليه يكسى لحما وفرا كما كان لحما وجميع دواب كان علف دوابهم وطعامهم من عظام اهل العلم الحديث الذي في
الصحيحين كالترمذي وغيره من اهل السنن كل عظم اذكر اسم الله عليه يكسى لحما وفرا كما كان لحما على الكفار منهم في
حديث مصحح بكل عظم اذكر اسم الله عليه على موضعهم ورجح ذلك السهيلي وغيره فلذلك حرم الاستنجاء
بالعظم والرجيع وفي هذا رد على من زعم ان لحن لا ناكل والاشرب وصرف الحديث عن ظاهره فهذا
من كبائر الذنوب وذاك من صغائرها وصغيرة الكبائر من كبيرة الكبائر ولذلك قدم ذكر الكبيرة
هنا على ما بعدها وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه وسائل الناس لئن احلف بالله كاذبا احب الي من ان احلف بغيره صادقا
وعن سعيد بن جبير التابعي المشهور قتل الحجاج ظلما قال من قطع تميمة من انسان وهي خرزات او طلسمات
تعلق على الاطفال وغيرهم اتقاء العين واما ما يكتب من القرآن والتعوذ الكتبوية والسلفية فقد قدم
عن سعيد بن جبير هذا جوازه وكتبه لها جوز كثير من السلف كما مر عن عبد الله بن عمرو وعائشة وغيرهما

اذا لم يكن ذلك قاد حاف التوكل ومنعه [illegible] كما كان له من الثواب
لعدل رقبة [illegible] معنا المثل والعدل بفتح العين
المهملة وكسرها لغتان وهو المثل وقيل بالفتح [illegible] وبالكسر ما ليس من جنسه وقيل
لعل وقد جاء [illegible] على مغفرة الذنوب كلها صغيرها و
كبيرها بل وسابقها ولاحقها بالخلاص [illegible] لرقبة المسلمة لان الجزاء من جنس العمل
وذكر الاعتاق اياه من عمل الكرام بقطعها عنه لان ذلك ضد التوكل على العزيز المنان الذي لم يكلف العباد
بفعل ما لا يطيقون وحكم ما يريد لا اله الا هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار رواه وكيع بسند الحافظ

الباب الثامن من باب

المشهور المتقدم ذكره

من تبرك بشجر وحجر ونحوهما وقول الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الآيات

[illegible] سلطانا ما يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى قوله أفرأيتم كلمة استفهام ومعناها
اخبروني عن هذه الاصنام التي تعبدونها وتعتقدون انها تنفعكم هل فعلت ما فعل الله من خلق السموات والارض
وما فيهن من الكواكب والنبات وجلب الارزاق فاذا قررهم بذلك قال فلم تعبدون من دونه
قرأ مجاهد اللات بالتشديد للتاء قال كان رجلا يلت السويق للحاج بالزبيب ويطعمهم الزبيب وقال غيره
كان رجلا يقوم على الحجر ويلت سويقهم وقيل كانت حجرا يعبدونها وبنى عليها رجل بيتا
اللات اي السويق الملتوت فسميت تلك الحجارة اللات وبهذا قال الطبراني بعد رواية لقول عمر رضي الله عنه
قبل الحجر الاسود اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك انما قاله
لان اهل مكة كانوا حديثي عهد بعبادة الاوثان فخاف ان يظن الجهال ان استلامه تعظيم للاحجار كما كانوا
يفعلون في الجاهلية فاعلمهم بان استلامه انما هو اتباع وانه لا يضر ولا ينفع بذاته بل بامر الله تعالى من
شاء ذلك له او عليه وقد روى رجاء بن حيوة عن سفين بن عبينة انه سئل كيف عبدت العرب الاصنام
والاصنام فقال الصل عبادتهم الاحجار ثم الاصنام انهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو مثل له
البيت وقال قتادة انما سمي اللات والعزى لانهم كانوا يقولون هكذا اسماء الملائكة وهم بناته
فنزل الكلام فيه وله الانثى وقال قتادة اللات كان لاهل الطائف والعزى لقريش ومناة للانصار
ويقال اللات تانيث الله والعزى تانيث العزيز وقيل اشتقوا لها اسماء من اسماء الله تعالى فاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من
المنان ثم قال الله تعالى وله الانثى انكار لقولهم في قولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام التي وطنتم انفسكم على عبادتها
بزعمكم تقول الله تلك اذا قسمة ضيزى يعني قسمة جائرة معوجة يقال ضازه يضوزه اذا نقصه حقه
وضازه يضيزه بمعناه ويقال ضزت في الحكم اي جرت فيه يعني جرتم حيث جعلتم له ما تستنكفون منه
وهي الانثى ثم قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم الآية وقال في استنكافهم واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به الآية وقال هاهنا ان هي الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم يعني الاصنام انتم واباؤكم يعني اتبعتم اباءكم بالتقليد في ذلك كما قال تعالى
عنهم في قولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فقلدوا اباءهم في عبادة الاصنام والاوثان بغير
حجة ولهذا قال ما انزل الله بها من سلطان اي ما عذر وحجة لكم بما تقولون ان يتبعون الا الظن اي لا توهم ان ما
هم عليه حق تقليد اتوهما باطلا فجمعوا في ذلك بين الظن الباطل وهوى النفس ولهذا قال وما تهوى الانفس فاتبعوا
في ذلك الظن الباطل وهوى النفس وتركوا دين الله ولقد جاءهم من ربهم الهدى اي الذي لا مناص عنه ولا محيد لاحد
عن اتباعه الكتاب والرسول وبيان الخطأ
من الصواب فلم يعرجوا على ذلك بل اتوا بالليتي واسمه الحارث بن حاطب بن معتب على الصحيح وهو المعروف بابن الزبعرى
الذي صار صحابيا رضي الله عنه ليس له الا هذا الحديث عمر الى الجن خلافة معاوية رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الحجون وهو موضع معروف قريب الطائف حصلت فيه الوقعة بين صلى الله عليه وسلم وبين هوازن في غزوة

لا اهل هو لنا

ففيه ثلاث تاكيدات القسم واللام والنون فالخطاب [illegible] بلفظ الماضي في قوله قبلكم و
والتاكيد ثم فيما يستقبل فانه بالجمع [illegible] ولبس كذا الامة تتبع ذلك وان عمهما
الخطاب لان الله تعالى قد عصمها ان تجتمع [illegible] المقصود سننهم ما كان فيهم من سنن اهل
فان الصحيح ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه قال تعالى مخاطبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نعم ذكر
هم فبهداهم اقتده وقال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في الصحيح من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان الله
يقول اقم الصلاة لذكري اذ هذا الخطاب لموسى عليه السلام فان سنن المرسلين لا يلحقها الذم وانما المراد انهم كما احدثوا
في دينهم ما ليس منه فانتم كذلك تتبعون سننهم في الاحداث وتشابهون في شيء من افعالهم واقوالهم وفي الصحيحين
عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقد وقع الامر كما اخبر صلى الله عليه وسلم وسياتي
لهذا مزيد توضيح عن قريب رواه الترمذي وصححه ورواه الازرقي فقال حدثني احمد بن محمد عن محمد بن عمر
الواقدي عن معمر بن راشد الزهري عن سنان بن ابي سنان الديلي عن ابي واقد الليثي وهو الحارث بن
مالك قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة
خضراء يقال لها ذات انواط ياتونها كل سنة فيعلقون عليها اسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون
عندها يوما قال فرأينا يوما ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة عظيمة خضراء فتسايرنا من جانب
الطريق فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر الله اكبر قلتم
والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها
السنن سنن من كان قبلكم والازرقي ايضا وحدثني جدي عن ابن ادريس عن الواقدي قال حنين بن
ابي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ذات انواط شجرة يعظمها اهل
الجاهلية يذبحون لها ويعكفون عندها يوما وكان من حج منهم وضع زاده عندها ويدخل بغير
زاد تعظيما لها فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال له رهط من اصحابه منهم الحارث بن مالك يا رسول
الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر هكذا فعل قوم موسى بموسى قال
بعض اهل العلم من اصحاب الشافعي انظروا رحمكم الله اينما وجدتم من سدرة او شجرة تقصد
ها الناس ويعظمونها ويرجون البر والشفاء من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات انواط
قلت ومن استدل بعدم قطع السدرة التي يهتدي الى قطعها بحديث عبد الله بن حبشي الذي رواه
ابو داود فالظاهر انه في المختار وغيرها الذي هو كره في ابناء المساجد والكلام عليه فقد ابعد النجعة
وعلى تقدير ثبوته فالمراد سدرة او نخل وشجر ينتفع بها خالية من علائق الشرك فقد احرق ابن النبي صلى الله عليه وسلم
مسجد الضرار وسئل ابو طالب عن الامام احمد عن قطع النخل فقال لا باس به لم نسمع فيها شيئا قيل له فالنبق
قال ليس فيه حديث صحيح وما يعجبني قطعه قال قلت له فاذا لم يكن فيه حديث صحيح فلا يعجبك قطعه قال لانه
على كل حال قد جاء فيه كراهة والنخل لم يجئ فيه شيء وهذا منه رضي الله عنه يدل على ان الاعيان المنتفع بها
قبل الشرع على الاباحة والحاصل ان من له خبرة بما عليه اهل الشرك والبدع اليوم علم ان بينهم وبين
السلف ابعد مما بين السماء والارض وانهم على شيء والسلف على شيء وفي قوله ونحن حدثاء عهد
بكفر حث على تعلم ما يهتدي به الانسان الى صراط الله المستقيم ليميز بين الحق والباطل فانه ربما حصل الجاهل
بجهله ما يضره وهو لا يعلم وقد لا يعذر بالجهل اذا امكنه التعلم لتفريطه ولهذا قال تعالى فاسئلوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون وفيه ان العبادة موقوفة على التوقيف فلا يجوز للانسان ان يعمل او يتكلم
في ذلك بالجهل الذي ليس له فيه مستند وفيه ان من صرف [illegible] عادة قد اعتادها
ودان كانت ضارة اذا جهل ضررها لا يمنعونه اليها كما قال ابن جريج كانت اصنام الذين مر
بهم موسى عليه السلام وقومه صور البقر وهم قوم من لخم فلهذا اثر ذلك شبهة لهم في عبادة العجل
بعد ذلك يصنع لهم السامري وفيه اذا كان فيهم ما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعوا اليه

الى ترع

[illegible]

من توحيد

التوحيد وينهى عن الشرك وتوابعه من الجهل وغيره اولى واحرى **وفيه** ايضا ان غير حلماء العهد
ما كفر من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهلون ذلك لانهم اهل اللسان الذي به نزل القرآن فيجب ان يتفقه الانسان في دينه لئلا يقع في المحذور
بالجهل وانا صح ان الجهل اذا لم يفر طاعة ترك التعلم فتركهم ما لا يعلمون لغير عذر هو انه قد يترك الانسان كثيرا من اللازم
لمحاذرة تغير ما هو اهم نحو ترك الانكار عليهم وضرب اللغو على اساس يرهبهم عليه لعلم الجاهل حداثة عهده
قرن بالكفر **وفيه** ان اهل الجاهلية اذا احسنوا الى احد من جنس معبوداتهم اتخذوه لذلك قد ينبهنا
عليه **كما روى عبدي** بكسر الدال وسكون الموحدة الى ابي سلمة المذري قال حدثنا ابو حارث الكرماني وكان ثقة قال سمعت
ابا رجا العطاردي يقول ادركت النبي صلى الله عليه وسلم وانا شاب امرد وقال وكنا نرى ان ناسا اضل من العرب يحيسون بالشاة البيضا
فيعبدونها فيجيء الذيب فيفترس منها فياخذون اخرى مكانها يعبدونها واذا مر وحجر حسنا جاؤا بها
وذهبوا يصلون اليها واذا رؤوا حجرا احسن من الذي كانوا يعبدونها وكانا رضي عنه يقول ابعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا اربعة عشر سنة **ولصحة** انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وقد عمر عمرا طويلا **وفيه** التاسي والتسلي بالرسل صلوات
الله وسلامه عليهم عند مشاهدة ما يقع من الناس مما يخالف امر الله ورسوله **وفيه** قياس الشبه
حيث قال اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى ولم يكفر بذلك الا من شاء ويالقياس عليه
في جميع اموالها **وان العفو** عن ذلك وتعليق الاسلحة بالشجر لذلك نوع من التاله لغير الله سبحانه
وان من فعل ذلك فقد اتخذها يعكف عليها ومن ذلك تعليق الخرق بالشجر **وفيه** تحقيق الامر بالقسم عليه
وفيه انهم لم يخرجوا بقولهم ذلك وطلبهم له من الاسلام لانهم لم يفعلوا ولا انهم يقصدوا ما يخالف الشهادة
جهلهم **ولهذا** لم يكفرهم موسى عليه السلام بذلك وانما هؤلاء ليسوا كالمشركين الذين لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعبدوا الله مالكم من الهة غيره قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وكفروا بشرك اجهل
الا لهة الها ولصار الامر هذا الشيء عجابا فانكروا ما دعاهم اليه من وحدانية الله تعالى وتعجبوا من ذلك فاعلم ان
مهما جدا ولهذا لم يكفر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الشاكر في قدرة الله تعالى واعادته لانه لا يكون الا
بعد بلاغ الرسول حيث قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني واذروني في البحر وصمم في الصحيح على الشك
الاسلام بن تيمية وقد ذكر له في هذا الشرح وساق طرقه وان في بعضها قوله عائش رضي الله عنها
رسول الله ما يكتم الناس علم الله قال لعمر وقد سمع وروى باسقاط قال كانها صدقت نفسها فقالت تعمر
قد سمع ابي بكر قراءة انكرها ثم سمع قراءة سواها وقد كنت صلى الله عليه وسلم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
حسن كلهما صلى الله عليه وسلم ساءنا قال فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم
ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله فرقا فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرأ القرآن على
سبعة احرف فاكذبت رواه مسلم في صحيحه وغيره ولفظ حديث شك في بعض طرق البخاري
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر رجلا فيمن كان قبلكم اتاه الله مالا فقال لبنيه اي اب كنت لكم قالوا خير اب قال فانه لم يبتئر عند الله خيرا فان يقدر عليه يعذبه فانظروا فاذا مت فاحرقوني حتى اذا صرت فحما فاسحقوني او قال فاسهكوني فاذا كان ريح عاصف فاذروني فيها فاخذ مواثيقهم
على ذلك وربي ففعلوا فقال الله كن فاذا رجل قائم ثم قال اي عبدي ما حملك على ما فعلت قال
مخافتك او فرقك فما تلافاه ان رحمه الله قال فحدثت اباعثمان فقال سمعت سلمان غير انه زاد فاذروني
في البحر او كما حدث وفي بعضها فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا وفي البخاري ايضا عن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال وسمعته يقول ان رجلا ممن كان قبلكم حضره الموت فلما يئس من الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا

عبدك مثل الذي صليت فاغتمض ثم قال لجنب المرء مضطجعا
وسميت الصلاة المفروضة صلاة لاشتمالها على ذكر الله تعالى وذكر الله تعالى
العبادة وقد جعلها الله تعالى من خصال اسمعيل عليه السلام فقال وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة الآية
ومن دعوة ابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث يقول رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي والوصف
بالكفر في ترك شيء من الاعمال الا الصلاة فانه كان صلى الله عليه وسلم متصفا بها بعد ابويه بزمن و
اسمعيل عليهما الصلاة والسلام في ذكر امره تبارك وتعالى ان يحيى باخلاص لكي يتأسى به امته في ذلك
فمن صلى لله تعالى اخلص في عبادته في اقواله وافعاله لم يرائه وخلقه فسواه ولهذا قال وبذلك امرت
اي وبذكر الاخلاص في الاقوال والافعال امرت وانا اول المسلمين لانه اسلام كل نبي متقدم على اسلام
امته وقال ذكر صلى الله عليه وسلم في غير هذا المقام كما يأتي في حديث الاستفتاح قال وانا من المسلمين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين وفي لفظ اقرنين يوم العيد وقال
لما وجهما وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين رواه ابو حاتم وغيره وقال
جمع من السلف والخلف ان النسك في هذه الآية الذبح وقيل ان الذبح فرد من افراد النسك وهو
اظهر من جهة اللغة التي انزل بها القرآن الكريم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في استفتاح النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين اللهم انت الملك
لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب
الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت
لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك انا بك وانا اليك تباركت ربنا وتعاليت استغفرك وتوب
اليك رواه مسلم في صحيحه قوله تعالى فصل لربك وانحر لما ذكر سبحانه منته على رسوله صلى
الله عليه وسلم في قوله انا اعطيناك الكوثر قال فصل لربك وانحر قالوا ويعني بالكوثر الخير الكثير الذي اعطيه
صلى الله عليه وسلم وافضله القرآن وقال العلم قال القتيبي احسبه فعول بالجزم من الكثرة وهو الخير الكثير واتسعوا
في ذلك فروته وصفوه وكثروه مما يئير من الغارة في عدوه في كوثر كالجلاء وقال الاخر
يمدح عبد الملك بن مروان اباه وانت كريم ابن كريم ابن مروان كوثر وقال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه
وصاحب حلوب جعنا بوسمه وعند كرداع بيت آخر كوثر
يعني بصاحب حلوب عوف بن الاحوص جعفر بن كلاب وكذلك عند الرداع شرحبيل بن الاحوص بن جعفر وقال اخبار عنيبة
بن مالك بن جعفر والرداع من ارض اليمامة وحلوب بمعنى محلوب من حلبت العود اذا قشرته كما يأتي بهذا الموضع ان
شاء الله تعالى فهو والشكر ومن افراد هذا الخير الكثير الذي اعطيه صلى الله عليه وسلم حوضه المورود وهو نهر
وده من ذهب على طريق الجنة حوله من اوانيه يصب فيه ميزابان من الجنة مادهما ابيض من اللبن واحلى من العسل
وانيته عدد نجوم السماء عرضه مسيرة ليلة الى صنعاء طوله وعرضه سواء وفيه ميزابان ينبعان من الكوثر
حدا قد بلغ حد التواتر نسأل الله الكريم ان لا يصدنا عن ورده بسوء اعمالنا وان يجعلنا من اتباع
نبيه صلى الله عليه وسلم وسببي وهذا الشرط قول العاص وائل ابن هشام ابي الذي كان يعير النبي صلى الله عليه وسلم اذا
ذكر في قوله الكوثر المغرب وقيل ان ابا جهل هو الذي قال ذلك وقيل كعب الاشرف وليس بشيء وقد
مر ذكر يونس بكير عن ابي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي قال كان القاسم بن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ان يركب الدابة ويسير على الجنيبة فلما قبض الله نبيه قال العاص اصبح محمد
ابتر من ابنه فانزل الله على نبيه انا اعطيناك الكوثر السورة فقول صل لربك وانحر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

ان شانئك هو الذي لا يقدر ان يسابك الا ابتر قال السهيلي هذا يقتضي اختصاص بهذا الوصف
دون من نسب ذلك اليه وان كان ذلك عاما لان هو فصل وكذلك هذا الموضع تعطي الاختصاص مثل ان يقول قائل ان زيدا
هو الفاسق فمعناه هو الفاسق لا الذي زعمت فلذلك ابا الحضرمي حين زعم عبد كذا وهذا قال الجرجاني
وغيره ان هو تعطي الاختصاص وكذلك قولهم في قوله تعالى انه هو اغنى واقنى لما كان عباد الاصنام قد يتوهمون
ان الله قد يغني ما لا هو اغنى واقنى اي لا غيره وكذلك قوله وانه هو امات واحيى اذ كانوا قد يتوهمون ان ذلك
جاء من الاماتة كالوعد والوعيد وحين قال انا احيي واميت اي انا افعل ذلك وانا اقدر عليه واستحي منه فقال عز وجل
وانه هو امات واحيى لا غيره وكذلك قوله عز وجل وانه هو رب الشعرى اي هو رب لا غيره وكان المشركون
قد اتخذوا ارباما دون الله منها الشعرى فلما قال تعالى وانه خلق الزوجين وانه اهلك عادا الاولى استغنى
الكلام عن هو التي تعطي الاختصاص لانه فعل لم يدع احد ان ثبت هذا فكذلك قوله ان شانئك
هو الابتر لا انت والابتر الذي لا عقب له يتبعه فاذا انا عدت هذا ونظرت الى العاصي وائل وكان
ذا ولد وعقب وولد عمرو وهشام ابنا العاصي وائل فكيف تجعل له البتر وانقطاع الولد وهو ذو
ولد ونسل وتنفيه عن بنيه وتلحقهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والله يقول ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول
فالجواب في ذلك ان العاصي وان كان ذا ولد فقد انقطع العصمة بينه وبينهم بالله
سبحانه فليسوا بأتباع له لان الاسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه وهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وازواجه امهاتهم وهو اب لكل
من آمن به كما قرأ ابي بن كعب رضي الله عنه وازواجه امهاتهم وهو ابوهم والنبي صلى الله عليه وسلم اولى بالمؤمنين
وانما نفى الله البنوة التي تشبه بنوة الولادة فهو وجميع المؤمنين اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا وابناء
عنه في الآخرة الى الحوض وهذا معنى الكوثر وهو حوض في الدنيا لكثرة اتباعه فيها ليغدو
اليه من جاء من حيث شاء من العلم وكثرة اتباعه صلى الله عليه وسلم في الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه اكثيه ابدا
قية وعلم الله العاصي على هذا هو الابتر على الحقيقة لانقطاع دينه واتباعه وصاروا اتباعا
صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم بالنبي صلى الله عليه وسلم ما هو ضد من الكوثر وذلك الكثرة تضاد معنى
القلة وقوله عز وجل في جواب اللعين الحوض الذي نعت صفته كذا وكذا لم يكن ردا عليه ولا انسا كالجواب
ولكن جاء بما يضر الخير الكثير والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البتر وهو ذكر الدنيا والآخرة بسبب
الحوض المورود الذي اعطاه فلا يخص لفظ الكوثر بالحوض بل يجمع هذا المعنى كله ويشتمل عليه وكذلك
كانت آنيته كعدد نجوم السماء وتقابل هذه الصفة في الدنيا علماء الامة من الصحابة رضي الله عنهم
ومن بعدهم كما تروى الآنية وتسقى الواردة عليه تقول رويت الماء اي استقيته كما تقول رويت
العلم وكلاهما في حياة ومنه قيل لمن روى شعرا او علم رواية تشبيها بالمزادة او الدابة التي يحمل عليها
الماء وفي حديث ابي برزة انها اي الآنية تنزع في اكف المؤمنين وحصباء الحوض اللؤلؤ
والياقوت وتقابلها في الدنيا حكم العلم المأثورة عن صلى الله عليه وسلم الا ترى ان اللؤلؤ في علم التعبير
حكم وفوائد علم وفي صفة الحوض حاله المسك اي ماؤه وتقابله في الدنيا طيب الثناء
عن العلماء واتباع النبي صلى الله عليه وسلم اذ الفقهاء كان المسك في علم التعبير ثناء حسن وعلم التعبير
من علم النبوة فقبس وذكر اواني صفة الحوض الطير الذي يرده كاعناق البخت وتقابله
من صفة العلم في الدنيا ورود الطالبين من كل فج وقطر وخبا الماء على الحوض يقابله
حفرة العلم وانتباههم اياها في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده فتأمل هذه الصفة
في الكوثر فهي معقولة في الدنيا محسوسة في الآخرة مدركة بالعيان هذا تبيين لكذا عجاز القرآن ومطابقة

مكسورة لسبب نزولها والذكر لله سبحانه فصل لربك وانحر فاوردنا ما تقدم لانه وسيلة الى المقصود والمعنى
تواضع لمعطاك الكوثر بالصلاة له فان الكثرة في الاشيا تقتضي اكثر اخلاق الكبر وتجدد الى الفخر والكبر فلذلك
كان صلى الله عليه وسلم حين راى كثرة اتباعه عام الفتح يطاطي راسه وهو على الراحلة حتى الصق عثنونه بالرحل امتثالا
لامر ربه **ولما دخل مكة** صلى ثمان ركعات شكرا لله تعالى اذ في الصلاة من الاسرار الجليلة والخفية ولطائف المعاني
في الحكم ما يوجب فزع الناس اليها عند الملمات لينكشف ما بهم كالارض والكسوف وكذلك عند شكر النعمة مخافة زوالها اذ في ما تضمنت
خارجها من فوائد الوضو لها وكذا الاذان لفرضها المفتتح بالتكبير المختتم به مع التكرار وقول لا اله الا الله في اخره
واشهد ان لا اله الا الله في اوله **وما تحت هذا من الحكم** لا لطيفة التي تملأ الصدور هيبة وتنور القلوب
بنور الجنة وما تضمن داخلها من شفعها ووترها والتكبير في اركانها والقراءة في قيامها والتسبيح في ركوعها
وسجودها والتشهد في اخرها وغير ذلك مما هو معلوم من افعالها واقوالها فان ذلك كله من فوائد الحكم ولطا
ئف المعرفة **ولهذا قال** تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين اذ هي تعين على الشكر
وعند المصائب **وكذلك** امره سبحانه بالنحر شكرا لله وصرف اليدين الى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة
التي عندها ينحر والبدن يهدى **ومعناه** الجمع بين الفعلين النحر المامور به يوم الاضحى والاشارة اليه في الصلاة
برفع اليدين الى النحر كان القبلة محجوجة ومصلى اليها وكذلك ينحر عندها ويشار الى النحر عند استقبالها ولعل
هذا التفت **الشيخ** صلى الله عليه وسلم حين قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو مسلم **وهذا القول**
في الاية اظهر من التاويل والشيخ رحمه الله تعالى هنا قال ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له
الاية **فقرن بين الصلاة** الى الكعبة والنسك اليها كما قرن بينهما في قوله فصل لربك وانحر **فقد علمت**
بهذا التقرير ان من خالف ما امر الله به ورسوله فنحر لغير الله شيئا فقد تعدى بذلك لغيره وخرج بذلك عن الحق
ضولبس ما يحمد في الدنيا والاخرة الى فعل الكفرة المتبورين مما كثر في الدنيا من هذه ولو لم يكن في الذبح لغير الله تعالى الا
الخروج عن نعمة المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وحزنه والدخول بذلك مع ذلك الحزب ان شانئه صلى الله عليه وسلم المتبورين لكان في
ذلك كفاية في الزجر فليفهم ذلك من شرك الذين لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعله والشنان البغضا قال الشاعر
فوالله ما فارقتكم شانئا لكم ولكنما يقضي فسوف يكون
وردوا قائلا لكم كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية **والصحيح** ان نزول هذه السورة في المدينة لما في صحيح مسلم
عن انس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما
اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير
كثير وهو حوض ترد علي امتي يوم القيامة انيته عدد النجوم **وقد اجمع** المسلمون على ان انسا رضي الله عنه
لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الى المدينة فبهذا يكون النزول متاخرا عن صحبته وتقدم سبب نزولها وذلك
كسبب في مكة **قطعا** عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات لعن
الله من ذبح لغير الله فيدل الاصل انه صلى الله عليه وسلم يلعن من ذبح لغير الله لتعظيم امر من ذكر على غيره اهتماما به وتعظيما
سواء في ذلك تلفظ به او قصده ولا يرد على ذلك قوله تعالى وما اهل به لغير الله لان الاهلال اهللت بكذا اذا
اذا تكلمت به بل ويشعر الالفاظ من اللغة برفع الصوت بذلك فان ذلك قد خرج على عادتهم من رفع الصوت ونصا
فانه معلوم انما حرم ذلك لجعله لغير الله فسمي بذلك كما سمي بالاولى اذ هذا مثل حكم الكنايات في العبادات
فان اللفظ بها ولكان ان الخ بذلك اصل القصد الا ترى ان التقرب بالهدايا والضحايا يسمى سواء قال اذبحه
لله او سكت فان العبرة بالنية **ولهذا كانت** التسمية على الذبيحة غير ما احل له فان سمى
على ما يقصد به اللحم واما القربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله
بسم الله [illegible] والله اكبر اتباعا لقوله قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت **والكافرون** يصنعون بالهتهم كذلك فتارة يسمون الهتهم على الذبائح وتارة يذبحونها قربانا
اليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله اعلم يدخل فيما اهل لغير الله به فما سمي غير الله فقد اهل لغير الله فقوله

والتجاوز العفو وهو يشعر كما مر بخصوصيته بهذه الامة والمراد امة الاجابة لانهم الذين ينفعهم عمل الخطاب وليس لنا نص لهذا الحديث بخصوصه نعم ورد بلفظ رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه قال النووي في الروضة اسناده حسن وكذا السيوطي كما مكنه ورمز علي في الجامع الصغير وتعقبه الهيثمي بان فيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو ضعيف وقال ابن ابي حاتم عن ابيه عن هذه الاحاديث انها منكرة كلها موضوعة وقال عبد الله بن الامام احمد في العلل اه اي هذا الحديث وقال الخلال عن الامام احمد انه قال من زعم ان الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف لكن قاله وقد مر اراده الحكم الرفع لان الكلام عليه قريب وقال البيضاوي مفهوم هذا الحديث ان الخطأ والنسيان كان مواخذا بهما اولا آذ لا يمتنع المواخذة بهما عقلا وقال الكمال بن الهمام قوله رفع عما تي الحديث من باب المقتضي للعموم ولا عموم له لانه ضروري فوجب تقديره على وجه يصح والاجماع على ان رفع الاثم مراد فلا يراد غيره والا لزم تعميمه وهو في غير محل الضرورة وبس اعتبر في الحكم الامر بحكم الدنيا والاخرة فقد عممه من حيث لا يدري اذ قد اعتبره في غير محل الضرورة ويلزم منه لو تكلم في الصلاة سهوا بصحيح الكلام وهو لو اطال الكلام عامدا في الصلاة فانه يقول بالفساد فالشرع ان رفع افساده وجب شموله الصحة والافساد معا واما على القليل من العمل لعدم التحرز عنه وفي جمع الجوامع ان هذا ليس من المجمل قال وفصل البصريان ابو الحسن وابو عبد الله وبعض الحنفية فقالوا اليصح رفع المذكور اهم وجودها فلا بد من تقدير شيء وهو متردد بين امور لا حاجة لجميعها والامر بحمل لبعضها فكان مجملا قلنا المرجح هو جود وهو العرف فانه يقضي بان المراد منه رفع المؤاخذة هذا كلامه قلت الرفع تقتضي عما رتبة العقل من سفل الى علو وذلك يوجد في امر واحد غير متطاول فهو رفع حكم وضع سابق شرعي متقدم على من قبل امتنا صلى الله عليه وسلم فرفع عن امتنا والمراد به رفع الاثم والا فالمكره مكلف عند اهل السنة واجماعة لا يرتفع عنه حكم التكليف كما اشار اليه الامام الاعظم رضي الله عنه اولا في رواية الخلال وسيأتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله تعالى قريبا وقد تقدم في هذا الشرح بيان ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وان عليه شيوخ المذهب كالقاضي ابي يعلى ومجد الدين بن تيمية وحفيده ابن العباس وموفق الدين بن قدامة وبن اخيه بن ابي عمر وغيرهم وهو المنصوص عن الامام احمد اوان يكون ذلك اجماعا مع وجود الحضة للكرخي في ذلك كما استشكل من رفع الاثم كما قدمناه ان ذكر فقرب الجواب وقد ان بعد ما دعوه لذلك شرح له صدره وتابعهم على عملهم ودينهم وهو الذي يقتضيه اللفظ فلا ان خص له بذكر العمل او يتعقبه بما حيث له لما قال دخل ان رفع ذباب وانه لما كان حكم الاكراه عندهم كما هو عندنا مقرونة بالرخصة بحيث لا يؤذن بذكر العمل مع الاكراه في الايمان تاثيرا بزيله عن القلب لم يتأول حينئذ احكمه التأول كما قدمه بذكر العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب فان التأول لا يقع عليه الاكراه لانه مختص بالقلب اذ امكنه ذكره ولانه لم يخرج بالاكراه عن التكليف وانما رفع الاكراه عنه اثم ما اكره عليه كما قال تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذكر بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ففي هذه الاية اذا ضمت الى قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

اتخذوا

اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ان احكام الدنيا متعلقة بما ظهر من الجوارح
من القول والفعل التي ابرزها القلب كذلك يدور عليه ثواب العقبى الا ان الجوارح تعبر عن القلب بما لها
الواجبة عليها المرتبطة به التي لا تصلح الا بصدورها عنه لانها من الايمان اذا كانت بنيته صادقة خا
لصة كما صح ونبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما من حديث عمر رضي الله عنه انه
قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وهذا ارتباط بين القلب والجوارح هو الذي يقع
الانسان في الدنيا والاخرة اذا كان ذلك كذلك مرتبطا دائرا على الايمان والعمل الصالح فان لم يصدر ذلك عن طو
يته صادقة خالصة في الباطن حكم لصاحبها بالظاهر في الدنيا بحقن الدم والكف عن المال بما ظهر منه
وصار له بذلك ما للمسلمين وعليه ما عليهم وفي الاخرة في الدرك الاسفل من النار كما اخبر الله عن اصحاب
هذا العمل حيث قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ولهذا قال في
حق من نظر في بعض ما ابطن في احكام الدنيا كالذين قالوا بالسنتهم ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم وهموا بما لم ينالوا فانهم كما قال تعالى في وصفهم لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه
وهم يجمحون ولهذا لم يقبل منهم بعد ايمانهم بل قال بعد اسلامهم وهو الاسلام اللغوي على الصحيح
من قول المفسرين الذي لم يخالط بشاشة القلب لا الاسلام الذي هو شيء غير الايمان والمحبة الخالصة
فهم كما وصفهم سبحانه يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبون ان يغلبوا المسلمين بالسنتهم واذا خلوا الى
الكافرين اظهروا لهم ما في قلوبهم وقالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فهم كان اكراه لاهل الايمان
الكافرين على اظهار ما في قلوبهم وقالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فهم كان اكراه لاهل الايمان
وليس احد ممن ادعاه قرينة ظاهرة لقبول دعواه في الدنيا الا من كان قلبه في علم الله سبحانه على ما
ادعاه كما اذا ذكر مقبولا في الدنيا ظاهرا وارتفع عنه ما رخص له فيه والا لم كن كذلك فسبيله
سبيل اهل الدرك الاسفل من النار وفي هذا دليل على ان القرائن اذا قويت لها مدخل في الاحكام لانها
قد تكون في مقام البينة اصح من شهود لوقت فعلها مع قوتها بجانبه الا البينة في اللغز
لسان كما ذكر ايضا ما يبين لك قوله ومعنى كفر باللسان كما مر كفر بالله هذا عام في جميع الناس من اجازة
شرط من حكم شرط المطلق عندهم ايضا ومعنى كفر باللسان الكفر وهو ايضا عام في القول والفعل
وكذلك الاحاديث المقيدة مظاهرها العموم الا لدليل قاطع خارج منفصل يخص العموم كالاكراه على قتل
النفس المعصومة وفي الاكراه على فعل الزنا خلاف وسيأتي التنبيه على ذلك وقلبه مطمئن بالايمان يظهر
الكفر في هذا العموم من لا يتناوله الوعيد الذي هو جزاء الشرط وهو من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الذين
هو فعل الشرط استثنى الله سبحانه قبل ذكر الجزاء ليكون الوعيد عاما للكل من حيث الشرط فقال الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان اي وهو من حقق وصحح عن المفسرين ان الاستثناء في هذا متصل وهذا كقوله
تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة وهي تقية هو صفة من يتناوله الوعيد واعاد كلمة الشرط فقال ولكن
من شرح بالكفر صدرا اي فتح صدره ووسعه للكفر بالقول والقبول والرضى به على اختيار منه فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم ثم قال ذلك اي العذاب بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة اي آثروها عليها
وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الذين آثروا الكفر بعد ظهور الحق عنادا وتمردا اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم اي حجبهم الكفر بعد ظهوره طبع على قلوبهم وختم عليها ولو يكون هم الغافلون
عما اعد لهم ونبه لهم من العذاب على كفرهم لاجرم انهم قبل معناه لا بد انهم وقبل وجب قطعا انهم في الاخرة هم
الخاسرون قالوا بصيغة الاختصاص والمبالغة كهم في الخسران وعلى هذا حرف الاستدراك في هذا الموضع رد لما اعتقدوه
فالاكراه قسمان احدهما الاكراه على الاقوال مثل ان يكره الانسان على قول يحرم به لو قاله مختارا غير ناو فيكره على قول ذلك اكراها معتبرا فله ان يفتدي نفسه بذلك ولا اثم عليه
وهذا اجماع حكاه غير واحد عن العلماء وقد دل عليه الكتاب والسنة واجمع عليه علماء الامة والثاني
الافعال المكره عليها فمنها ما هو حق لله تعالى محض وهو كل ما هو حد لله في حرمه

والمكره عليه نوعان احدهما ان يكره على الاختيار له بالكلية ولا قدرة له على الامتناع كمن حمل كرها
وضرب به غيره حتى هلك ذكر الغير ولا قدرة له ان يمتنع من حامله وامرأة اضطجعت حتى زنى بها من غير قدرة
لها على الامتناع فهذا ونحوه لا اثم عليه باتفاق الائمة لان الاثم انتفى عنه لانه لو اكره على قتل معصوم بالقتل
لم يبح له قتله لانه يفتدي نفسه بذلك من القتل قال ابو هذا اجماع ايضا ممن يعتد به من العلماء رحمهم الله
تعالى فاذا قتله المكره في هذه الحالة وجب عليه القود لان المكره والمكره لا شركة لهما في القتل عند ابي حنيفة وقال في
واحد في احد الروايتين عنه وعنه يجب على المكره بكسر الراء وحده لان المكره بفتحها كالآلة وهو قول ابي
حنيفة رحمه الله تعالى والقول الثاني قال فيه واما الاثم فهو آثم بالاجماع لا مرء والنوع الثاني من اكره
بضرب او غيره كالتهديد بالقتل اثم بفعل فهذا الفعل يتعلق به التكليف فانه يمكنه الا يفعل فهو مختار
للفعل لكن ليس مختارا نفس الفعل بل دفع الضرب عنه فهو مختار من وجه وغير مختار من الوجه الآخر
وخالف في ذلك المعتزلة فقالوا لا تكليف مع الاكراه ورد عليهم اهل السنة والجماعة بانه ليس اثم
خير مما يخرج المكره عن حكم الخطاب وانما يرفع عنه الاثم ولا يخرج عن ان يكون مخاطبا بالتكليف
لانه يتصور التكليف مع الاكراه عليه وكذلك يتصور منه القصد الى الامتثال اذا اكره على فعل الطاعة
كما حررت سيوفنا ذلك مكرها بالقتل على الدخول في الاسلام مما يتعلق بصحة التكليف وقد
قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها مع قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقوله لا اكراه في الدين الى
غير ذلك مما يدل على ذلك باجماع اهل العلم الامي اذا اقام على ما عوهد عليه وكذا المسلم لا يجوز نقض عهده ولا اكراه
على ما لم يلتزم في عهده بخلاف الحربي والمرتد فانهما يكرهان على الاسلام بان يقال لكل منهما ان اسلمت و
الا قتلناك فاذا اسلم هو طايعا قبل باطنا صح اسلامه مع الاكراه باطنا وظاهرا وقد ذكر سبب
نزول قوله تعالى لا اكراه في الدين قوم من ابناء الانصار تهود واحد اقال بعضهم بن ساريا بن
ابي عدي عن سعيد عن ابي بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على
نفسها ان عاش لها ولد ان تهوده فلما اجليت بنو النضير كان فيهم من ابناء الانصار فقالوا لا ندع
ابناءنا فانزل الله عز وجل لا اكراه في الدين الآية ورواه ابو داود والنسائي جميعا عن بندار به من وجوه
عن سعيد به نحوه ورواه ابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث سعيد الضبابي وهكذا قال سعيد بن
جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم انها نزلت في ذلك وهو عند ابن اسحق عن بعض بني عمرو بن عوف عن ابن عباس رضي الله عنهما
وفيه نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو
رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الا استكرههما فانهما قد ابيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك ورواه
ابن جرير وغيره كسعيد بن منصور وزاد وكانا قد تنصرا على يد تجار قدموا من الشام يحملون
زيتا فلما عزما على الذهاب معهم اراد ابوهما ان يستكرههما وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث في اثرهما
فانزلت هذه الآية وعند ابي حاتم بسند صحيح عن اسلم قال كنت مملوكا لنصراني فكان يعرض على الاسلام فابى فيقول لا اكره في الدين ويقول يا اسلم لو اسلمت لاستعنا بك على بعض امورنا
المسلمين فذكر انه اسلم بعد ذلك وهل هو صحيح من معنى الاكراه في الدين ولهذا قال تعالى
مخاطبا للمؤمنين ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون وقراءة بعضهم او تسلموا بالنصب
على معنى حتى تسلموا او الى ان تسلموا كما قال الشاعر

للبيد ألا أيذا الغزية قناة قوم ... ك كرت كعبها او تقيما

ومعنى قراءة الجر تقاتلونهم او يسلمون فيسلمون معطوف على تقاتلونهم والكل امتداد لا قائم على ما تقدم
وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قيل لا تجد لصنم ولا قتلناك قال الكاهن صنم بجاه قبلة فلا يسجد ويجعل تقية

وكنت ف م

لله تعالى

لله تعالى وان كان الى غير القبلة فلا يفعله وان فعله وان قتله قال ابن حبيب الماكي وهذا قول عن
قال بن عطية وما منعه ان يجعل نذره لله تعالى وان كان لغير القبلة فقد كره الله فانما تولوا
فثم وجه الله وقد اباح الشارع التنفل الى غير القبلة قلت وكذا المكره على الذبح للصنم فيما
٥٩ منعه اذا اكره على الذبح ان يجعله لله سبحانه بقلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى الحديث ولعل امر صاحب الذبائح من هذا الوجه بحيث انهم ما قاربت امكنا التأويل الا ان حاله
تقتضي انهم لم يروا قط لهم مسلما ولا وهله لانهم لم يعتقدوا قط الا بعدم الوجود لشيء يقرب لصنمهم وصح من
قولي العلماء رحمهم الله ان الاكراه يعم الاقوال والافعال الا ما خصه بدليل خارج او اجماع كقوله تعالى
بنفس غيره ونحو ذلك فان اية الاكراه عامة وكذا اية التقية قال البخاري عن الحسن التقية الى يوم القيمة و
بهذا احاديث الواردة في الاكراه ظاهرها العموم وقصة عمار رضي الله عنه قضية عين لا عموم لها واخرصا
صحا القول الاخر مع ورود الاعلى ذلك فليس فيه دليل يمنع جواز الرخصة في الافعال مع الاكراه الا ما خصه
الدليل الخارج المنفصل عن الاية وتنبيهان الاول قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
الى قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم فان سبب نزول عبد الله بن ابي كانت له اماءان
يكرههما على الزنا وهما يابيان ذلك وقد روي معنى ذكر البزار عن جابر رضي الله عنه ورواه بن جريج عن ابي الزبير
عن جابر ايضا ورواه ابو داود الطيالسي عن عكرمة عن بن عباس نحوه وقال لكن كان لرأس ابي جارية
تدعى معاذة وكانا اذا نزل به ضيف ارسلها اليه ليواقعها افادة الثواب منه والكرامة له فسكت جارية
لابي بكر فذكرت ذلك ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فامر بقبض فصاح عبد الله بن ابي من بعذرني من محمد يغلبنا على
مملوكتنا فانزل الله هذه الاية وروي معناه البزار ايضا عن انس بن مالك رضي الله عنه قال الحسن البصري
في الاية فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم قال الحسن والله وقال ابن جابر عبد الله وقال ابن عباس فان الله
لهن غفور رحيم والاثم على من اكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقتادة وغيرهم من
السلف وهذا قول جمهور العلماء كان في حنيفة وهو المشهور عن الامام احمد بانهم لا يرون
احدا على اكراه على الزنا وهو قول الفاروق عمر بخطا وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال جماعة من التابعين منهم
الزهري ولكن وطاوس وقتادة وغيرهم ولم يعرف للصحابة رضي الله عنهم في ذلك مخالف الا ان بعض اهل
هذه المقالة قد فرق بين اكراه المرأة والرجل فلم من قال لا يصح اكراه الرجل على الزنا قالوه لان المرأة لان الرجل لا
يفعل ذكره الا بعد انتشار الصادر عن قلب فجعلوا هذه قرينة فلم يقبلوا منه لقوله صلى الله عليه وسلم في زناء
عن الرجل والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقد نص على ذلك الامام احمد خلافا لابي حنيفة والقول الاول اصح
اكراهه عليه والانتشار يمكن ان يكون باعث اكوف على نفسه اختار ابو الوفا بن عقيل من اصحابنا ان الامام احمد
وفي الافعال قول انه لا تقية فيها ولا اكراه عليها وهي رواية عن الامام احمد وروي عن بن عباس
وابي العالية وجماعة ولعل هذا القول ليس على عمومه وانه كما قدمنا تفصيله والله تعالى اعلم وقوله تعالى ومن يكره
هن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ظاهره رد ذلك كما تقدم عن ترجمان القرآن عن عمل غيره ولان
سبب نزوله ما قدمناه وقد رد البخاري رحمه الله تعالى على اصحاب هذا القول الاخير كما نبهنا عليه في كلامنا
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قصة سارة زوج الخليل عليه الصلاة والسلام مع الجبار ان الله تعالى رد كيده وعصمها منه ولما اخذ بنو المغيرة عمار بن ياسر رضي الله عنه وعذبوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر
فعل ما يريدون على ذلك وقلبه مطمئن بالايمان كاره لما تفوه به واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه ويقول ما لك ان عادوا لك فعد فانزل الله الاية الاكراه وفي لفظ دخل عمار وهو يبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له افلح وجه ابي اليقظان فقال عمار ما افلح ولا انجح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال شر نزل الي الشر
حتى ذكر الهتهم بخير ارادوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد فزد روى ذلك بهذا اللفظ ابو نعيم وغيرها
واما قوله صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه وصيا لهم لا تشركوا بالله شيئا وان قطعتم وحرقتم

اعطيتهم

وقوله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يلقى في النار كما في الصحيحين وغيرهما فالمراد به الشرك بالله
وعن مجاهد ان هذه الاية الآمرة بكم وقلبه بطمئن بالايمان نزلت في اناس من مكة اقروا فكتب اليهم بعض
اصحابه انكم لا تعذرون حتى تهاجروا فاما الاولى فانا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش
بالطريق ففتنوهم فتلفظوا بكلمة الكفر كارهين **ولهذا** قال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم **قيل** انهم عياش بن ربيعة واخوانه حبسهم
امهم حتى اكرهتهم وابو جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام فتنهم المشركون
فاعطوهم بعض ما اراد والتسلموا من شرهم ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا وصبروا فهو آمن فتن ولم يستطيعوا
الهجرة ولا خروج من تحت ايدي من فتنهم فاذا كان الانسان له استطاعة على الخروج من بلد يسكنه
هو في الاقامة فيه ذلك على خوف من دينه بخلاف المستضعف الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا **ولهذا**
قال تعالى الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض
الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا
وعسى من الله تعالى واجب قاله ابن عباس وغيره **ولهذا** ما علم الله تعالى عجز المستضعفين عن الهجرة
الخروج من البلد الذي هم فيه مستضعفون خاطب سبحانه المؤمنين وحضهم على الجهاد وتخليص المستضعفين من
ايدي الكفرة المستضعفين لهم فقال وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا قال البخاري في صحيحه فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من تركها بالله
به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر به وقد قدمنا قوله عن الحسن قال التقية
الى يوم القيمة **ولهذا** قال ابو الوفا بن عقيل في فنون ان الشرع والعقل اوجبا الحجر من العلوم ما
لتقيته وانه لا آفة لعالم اعظم من شيء مما يذكرونه **قلت** فتنبه لما قاله ابو الوفا فانه درس
من عالم فيا لطف كلامه واد **فيا فطانة** اذهن قاعدة عظيمة دلت عليها الاية الشريفة التي هي
اية التقية لها اصول واوساط وحواشي واطراف لا يعقلها الا العالمون فرحمه الله من عالم قد نور
الله قلبه حيث علم من هذه الاية مع ما فيها طريق المداراة فلم يشتبه عليه بالمداهنة فانظر الى دقة
علمه ونفوذ بصيرته وسعته في عبد ان الادلة **فالحاصل** ان هؤلاء المستضعفين الذين حفظ الله كلا
المؤمنين على استنقاذهم لا قدرة لهم على الهجرة وشعائر الحق وعلائم منع الكفار لهم عن اظهار دينهم فهم الذين يقال انه
فيهم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
لما اقدرنا له على الهجرة في الاقامة على منعه عن اظهار دينه فان الهجرة فرض عليه بخلاف من قدر على اظهار دينه فان
الهجرة في حقه مسنونة ليكثر سواد المسلمين ورخص لمن لا قدرة له عليها منهم لانه قدر على اظهار دينه اما بكونه محبوسا
او ليس له مال ولا قدم يتمكن به من بلاد الكفار التي قد منع من اظهار دينه فيها **ولهذا المعنى**
قال الامام احمد في رواية ابن منصور في اسير عجز عن الهرب يوسر فيعرض على الكفر وكل به ان يرتد فكفر هو كرها يعيد
وقال ما اشبه هذا عندي الذي نزلت فيهم الاية من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اوليس كانوا مراودين على الكلمة ثم يكونون
يعملون ما شاؤا وهؤلاء يريدونهم على الاقامة على الكفر وتركه دينهم ففرق قدس الله تعالى بين الاسير الذي يرجى
اذهو عاجز وبين الاسير الذي يقصد من صاحبه الاقامة على البدا وذكر الذي يكره على كلمة يقولها ثم
يخلى الاضر فيها وهذا المقيم بينهم يلتزم باجابتهم الى الكفر المقام عليه واستحلال المحرمات وترك الفرائض والواجبات وفعل المحظورات والمنكرات دائما ولو كانت امرأته تزوجها وتولدها اولاد الكفار او كذلك
وظاهر حاله المصير الى الكفر الحقيقي والانسلاخ من الدين اكثر **ولا ريب** مما تقدم ان من

وانصار

واختيار الضرب والقتل والهوان على الكفر افضل ممن اختار ذلك مع الاكراه بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان على الراجح عند
العلماء رحمهم الله تعالى ففي البخاري وغيره عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان
يقذف في النار **ومنه** ايضا عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة
له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال كان الرجل فيمن قبلكم يؤخذ فيحفر له في الارض
فيجعل فيها ثم يجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه
فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على
غنمه ولكنكم تستعجلون **ومن ذلك قصة** خبيب الانصاري رضي الله عنه فعند البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط خبيب الانصاري فاخبر بي عبيد الله بن عياض ابن اتبة الخبر
حين اجمعوا يعني قريشا على قتله استعار منها موسى يستحد بها فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب

ولست ابالي حين اقتل مسلما ... على اي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشا ... يبارك على اوصال شلو ممزع

قتله بن الحارث فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم اصيبوا وعند البخاري ان ابا سروعة بن عوف من بني عبد الدار ركز
رمح عقبة بن الحارث في قتله فطعنا في خاصرته **واسلم عقبة** بن الحارث بعد ذلك وهو الذي تزوج ببنت ابي
اهاب وشهد امرأة سوداء انها قد ارضعتهما وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما ذكر له كذا وكذا فقيل **ومن**
ذلك الفاضحة ام كنفاء ووالد ابنيا خليل رب الارض والسما رهم عليه الصلاة والسلام حين في النار
ومنه قصة اصحاب الاخدود وعبد الله بن الكافر وهي في البخاري وغيره وقد وجد في خلافة عمر رضي
الله عنه رجل في حفرة وبين على جرحه لم يتغير فاذا رفعوا يده عن جرحه نبع دما فاذا تركوها رجعت الى مكانها على الجرح
فاجمع امر رضي الله عنه على ذلك فامر ان يحفروا دفنه وذكر بالبصرة كانوا يرونه انه عبد الله ابن التاجر **ومنه**
الرجل الذي لم ماتي بعد حين يثير الاحداث في بعض السباخ التي تلي المدينة كما في الصحيح وغيره عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه مرفوعا وفيه فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال ارأيتم ان قتلت هذا ثم احييته هل تشكون في الامر فيقولون لا
فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت قد اشتد بصيرة مني اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه
ومن ذلك حبيب بن زيد وهو ابن ام عمارة الانصارية من بني عائذ من بني النجار كما ذكر سيف عن عمر و
غيره قالوا وكان قد اخذ مسيلمة الكذاب وهو جاء من البحرين فاتي به فقال اتشهد اني رسول الله قال ان اذني وقرا
فاعاد عليه قال اني لا اسمع قال افتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم اشهد بذلك فقطع احدى رجليه ثم اعاد
عليه المسألة فقال كما قال قطع يده الاخرى فلم يزل كذلك حتى جزقوائمه ثم قتله رضي الله عنه قال سيف
وكان معه رجل من الانصار ايضا فغيب له فقتله واخرج من ثقيف فعرض عليه فاجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
انها هذا يعني الثقفي فيقتل بضعة الله واما هذا فاصبر على البلاء **وكذلك** المتنبي العنسي الذي قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم من اليمن وذكر صفته كما ذكره الواقدي وغيره فآمن به وصدقه فلما تنبأ العنسي لعنه الله اخذ
فقطعه عضوا عضوا وهو يقول اتشهد اني رسول الله وانت كذاب مفتر على الله تعالى
ثم حرقه بالنار وكان رضي الله عنه من احبار يهود الذين في اليمن **ومن ذلك** ابو مسلم الخولاني واسمه
عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو والثقة العابد المخضرم رحل اليه فعند ابن ابي حاتم والبغوي في فضائل عمر
اخطأ رضي اسمه واللفظ للبغوي قال لما دخل ابو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الاسود بن قيس الذي ادعى
النبوة باليمن عرض عليه ان يشهد انه رسول الله ففي فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال فاقر
بتابوت نار عظيمة والقى فيها ابو مسلم فلم تضره فاقر العنسي بقيه من بلاده فقدم المدينة فلما دخل
من باب المسجد قال عمر هذا صاحب النار الذي زعم الاسود الكذاب انه حرقه بالنار فنجاه الله منها فلم يكلم القوم
ولا عمر سبعوا قضيته ولا اراده ثم قام اليه واعتنقه وقال انت عبد الله بن ثوب قال بلى فبكى
عمر ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى ارى في امة محمد صلى الله عليه وسلم شبيها بابي ابراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام
فهذا حب الله تعالى اذا تمكن من القلب صارت المحن عند صاحبه في مرضات الله منحا

ولما اخذت الروم فروة بن عمرو الجذامي حين اسلم فحبسها سلاما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له
بغلة بيضاء كما ذكره ابن سعد وغيره وكان فروة قبل ذلك عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان
وما حولها من ارض الشام فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه واخذوه وحبسوه فلما اجمعت الروم لصلبه
على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال ع الاهل اتى بابا حليها على جاء عفرى فوق لعدن الرواعل
على ما فيه لم يضه الفحل امها مشذبة اطرافها بالمناجل قال ابن سعد وزعم بنو نهار الزهريون انما قدموه ليقتلوه
قال ع بلغ سراة المسلمين بانني سلمت لربي اعظمي ومقامي ثم مرضه واعلمه وصلبوه على
ذلك الماء فهذا زعم انه حكى صلى الله عليه وسلم قام على من حل الذي اخرج باب رحمة الله تعالى على نفسه فعوضه الله جنته
ومرضاته وهذا مصداق حديث انما الاعمال بالخواتيم وقد روى ابن المبارك عن مجاهد قال في كتبه دار لا يسكنها
الا ثلاثة نبي او صديق او شهيد او امام عادل او مخير بين القتل والكفر فيختار القتل ثم يعود كل من
منزله من جنته والنار يقتضي كل منها المقام فيما دخل فيه وهو ظاهر بين سياق الحديث فان قيل ان المتقرب
بالذبح لا يقصد الا الذبح لا التقرب به قيل قد حصل به صورة الفعل وفي ضمن ذلك القصد حاصل
اذ نيته التخلص بذبحه وقد لا يدرس القول واشتراط القصد وانما قد حصل فيها طلب اهل الصنم من التقرب
الى الله وهو صورة العبادة بالقول والفعل فاستوجب بذلك حيث قصد ولم يتأول دخول النار وان كان
كافرا فيخبر له بهذا العمل وسعي اليهم ضرار بسبب ذلك كما تقدم في قصته على وقد سئل بعض
الخلفاء الامام ابي فعيضة ارخاء الذنا فقال اذلة للملوك وكانا على نفر ذبانة قال ابي فيختلني
ولا اجوز عندي قلت ويمكن ان يكون هذا من كراهة ابي في ان يسئل الخليفة تعنتا فالله اعلم
هذا الجواب والله تعالى الموفق ومن هذا الباب ما يذبح للجن فقد روى ابو عبيد في كتاب الاموال والبيهقي
عن الزهري عن ابي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن ذبائح الجن قال ابو عبيد وذبائح الجن ان يشتري الرجل الدار
او يستخرج العين وما اشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة وكانوا يقولونه اذا فعل ذلك لا ضر لها ابدا فعل ذلك
كيما يسلم من ذلك وانما نهى عنه اذ هو من انواع الشرك وقد ذكر بعض هذا الخبر مرفوعا في الموضوعات والله اعلم

الباب العاشر باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى وقول الله تعالى لا تقم فيه ابدا

هذا المكان الذي نهى صلى الله عليه وسلم ان يقوم فيه هو مسجد ضرار الذي بناه اتباع ابي عامر الفاسق الذين نافقوا كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز
بقوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمحارب الله ورسوله من قبل
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا وفي هذه الآية الكريمة تنبيه
للمسلمين بالاحتراز من عدو هم الباطن ليلا يغتر وا بآخر ما قد مر فقد يلبس الباطل عليهم بالحق والباطن غير
ذلك كما بين الله عورات هؤلاء وفضحهم في هذه الآية فقال والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اسماه بذلك
بتسميتهم له مسجد البعد ان لاعتبار ما ذكر بالحقائق لا بالاسماء ولهذا اخبر صلى الله عليه وسلم ان اناسا من
امته سيشربون الخمر يسمونها بغير اسمها فلم يغير حقيقتها تسميتهم اياها بغير اسمها ولهذا بين تبارك
وتعالى قصدهم باتخاذه ليلا يرد اهل عليهم تسميتهم اياه مسجدا فقال ضرارا اي مضارة للمؤمنين
وكفرا يعني تقوية للكفر الذي يضمرونه في قلوبهم وصفهم في اتخاذه صفة ثالثة فقال وتفريقا بين المؤمنين
وهذه الصفة هي اعظم صفاتهم اللازمة وهي اعظم صفات الضار للمسلمين يريد تبارك وتعالى بالمؤمنين
المؤمنين الذين يجتمعون للصلاة بقباء وغيرها المؤمنين لان المؤمنين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعاه سائر الجسد بالحمى والسهر فشاهد طويل وضررهم عن نفر اعاذنا الله والمسلمين بكرمه منهم وصفاتهم
هذه انما تقوى فيهم عند عجزهم عما هو اكبر من ذلك فهم يسعون في طلبه اضرارا بالمؤمنين حسب قدرتهم
ولهذا لما عجزوا عنهم لجرحوا فيكم حاز دوكم الاخبال ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ثم ذكر

فانها بئر في نار جهنم او خارج مخرج المثل لعمر ابو حاتم كم بئر جنبنا بئر في نار جهنم وقيل بل ذكر حقيقة
وانه ذكر المسجد بعينه انها بئر في نار جهنم قاله قتادة وبه جزم **وروى عن** ج بن عبد الله رضي الله عنهما
وغيره انه قال رأيت اكرما يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروى** ابو داود رأيته حين
انهار حوله الارض بعد فقرع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسند الطبري عن خلف بن ياسين قال رأيت مسجد
المنافقين الذي ذكر في القرآن ورأيت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذكر ذلك عن ابي جعفر المنصور **وقيل** كان الرجل
يدخل سعفة فتخرج سوداء محترقة **ونقل** عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال جهنم في الارض السابعة وان بئر في نار
جهنم **وهذا المسجد** قال اصحاب المطير لا يعرفون عينه وانما تعرف جهته **وقد قال** ابن النجار
في تاريخ المدينة اعلم ان بالمدينة مساجد خرابا فيها المحاريب وبقايا الاساطين وتنقض وتوقف حجارتها
منها مسجد بقباء قريب من مسجد الضرار فيه اسطوانة قائمة **وفي هذا** دليل على جواز هدم المعاقل والحصون التي
يخشى ضررها على المسلمين بلا دفع قيمة لاهلها وان ذلك ليس من اضاعة المال المنهي عنها **وكذا** حرقها وكما اتخذ
للمعصية كالمسجد المتخذ على القبور يدل هدمه على وجوب **وقد حرق** عمر رضي الله عنه قرية بكاملها يباع
فيها الخمر وحرق حانوت رويشد وسماه فويسقا وحرق قصر سعد رضي الله عنه لما احتجب فيه عن الرعية وهمت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحرق على اناس يتخلفون عن الجمعة بيوتهم لولا ما فيها من النساء والذرية **وفيه**
ان لولي الامر ان يفرق بين من يخشى ضرر اجتماعهم على المسلمين وان كان ذلك في صورة طاعة **وان** عمر
عن كتابة بني المسلمين بما يتوسل عليهم **وان المعصية** قد تؤثر في البقعة اجاد فكيف بمن فعل
وان الاعتبار بالحقائق لا الاسماء فان الظاهر انهم اتخذوه مسجد المعاندة **وفيه** ان الاولى
لامام عقوبة المعصية واكرم عليها في الدنيا واله بعد عهدها وتأتي هذه القلب لقول لا نزال نبني الذي
بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم بالموت وقيل بالندم **وفيه** ايضا
ان يكون الانسان من دينه على حذر لئلا يغره ما يعلم حاله **وقد ذكر** ان فيهم مجمع بن حارثة و
كان اذ ذاك غلاما حدثا **وقد جمع** القرآن فسموه بذلك جمعا قبل ان يقرؤه اغاثهم وهو لا يعلم
ثم ذكر ان عمر رضي الله عنه في اما اراد عزله عن اقامة في مسجد قباء وقال اليس بامامكم
مسجد كضرار فاقسم له مجمع انه ما علم بناءه عن امرهم وما يعلم الا انهم يتوخون الله تعالى فعذره وصدقه عمر رضي الله عنه
صليت فيه واني لا اعلمها الضرار فاصلي فيه ولا احب الا انهم يتوخون الله تعالى فعذرهم وصدقه عمر رضي الله عنه
واقره اماما لقبا **فمسجد الضرار** لما اتخذ ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمحارب الله ورسوله
خدع به بعض المسلمين حتى اقاموا فيه لم يغلب بجاهلهم وهكذا المسلم قد يخدع فكان الفاجر خبيث لئيم فالمسلم
غر كثير قال عمدة ان ذوكرة رعقبة اكرنا بي
ثم ذكر الفتاة التي علقها اعراضا ان الكثير ممن ذوا الاسلام يختلب
يقول يخدع والعرض ما يكون من غير قصد ولا تعمد قيل كان وضع ذكر المسجد على ذلك اي الله يجازيه على
فيه فقال تعالى انها يعمر مساجد الله من امن بالله لا تقربه ابدا وكذلك المكان الذي قد ذبح فيه لغير الله
منع صلى الله عليه وسلم ان يذبح فيه لله **وهاتان** عبادتان قرن الله بينهما كما قد ذكر في قوله
تبارك وتعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وقوله فصل لربك
واخر **وبهذا** انظم المناسبة بين هذا الباب الذي قبله وقد اسس مسجد قباء على التقوى من اول يوم
وضع صلاة ركعتين فيه بعد عمرة **قال** الكافيجي اختلف في المراد بقوله تعالى لمسجد اسس
على التقوى من اول يوم **فقيل** هو المراد بمسجد قباء وهو ظاهر الآية **وصح** في صحيح مسلم بسنده عن سهل
بن عبد الرحمن قال قلت لابي عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال فقلت له كيف سمعت اباك يذكر في المسجد الذي اسس
على التقوى قال لا اري دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي المسجد الذي اسس على التقوى

فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المسجد المدينة قال فقلت اشهد اني سمعت اباك يذكره
وفي رواية للامام احمد واكثر عن ابي سعيد رضي الله عنه ايضا قال اختلف رجلان في المسجد الذي اسس على
التقوى فقال احدهما هو مسجد المدينة فسألا عن ذلك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو هذا وفي ذلك يعني مسجد
فباخ كثير **والجمع بين ذلك** ان ذكر ان الكلام في المسجد من قد اسس على التقوى من اول يوم تاسيسه **وانما**
المراد بالآية وان اشتركا في **فضله** صلى الله عليه وسلم على كل مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قبا
كما هو ظاهر ما فهمه السائل وبقوله بمدينة مسجده الشريف قال الحافظ ابن حجر والحق ان كلا منهما اسس على
التقوى **وقوله** في الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا تؤيد كون المراد مسجد قبا فعند ابي داود بسند صحيح
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انها نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا وفي اهل قبا قال كانوا يستنجون
بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وليس هذا اختلافا لان كلا منهما اسس على التقوى **ولاحمد** وابن خزيمة واللفظ للامام احمد
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال انطلقت الى مسجد التقوى انا وعبد الله بن عمر وسهرة بن جندب فلما انطلقنا نحوه استقبلنا اعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريده فاتى ابا بكر وعمر في ناحيه فقال من هؤلاء فقال ابا بكر قال عبد الله بن عمر وابو هريرة وسمرة
وروى ابن خزيمة من طرق ما حاصله ان الآية لما نزلت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قبا وفي رواية اهل ذلك المسجد
وفي رواية بني عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد احسن اليكم الثناء في الطهور فما بالغ من طهوركم قالوا نستنجي
بالماء **وقال** يحيى بن الحسين في اخبار المدينة حدثني بكر بن عبد الوهاب ثنا عيسى بن عبد الله عن ابيه عن
جده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي اسس على التقوى من اول يوم هو مسجد قبا قال
الصحيح بناؤه في عهد عمر وعيسى بن عبد الله هو هالك وهو مقبول **وفي قوله** سبعة من اول يوم وقد علم انه ليس اول الايام
كلها ولا اضافة الى شيء فالحفظ الظاهر من الفقه كما قال **السهيلي** وغيره من العلماء وصح ما اتفق على انه
رضي الله عنه هو الخليفة الراشد عن عظيم حتى سلموا هذا التاريخ فاتفق ان يكون رأيه فيه من عام الحجة
لانه الوقت الذي عز فيه الاسلام **وان** الذي امر فيه النبي صلى الله عليه وسلم واسس فيه المساجد وعبد
الله امنا يجب موافقة امره هذا ظاهر التنزيل وفهمنا الآن نفعله ان قوله سبحانه وتعالى من اول يوم ان
ذلك اليوم هو اول التاريخ الذي يورخ به كان فلعل هذا ما اخذ صحابي رضي الله عنهم للتاريخ لانهم اعلم الناس
بتاويل الكتاب والسنة وافهم عن الله في القرآن من الاشارات والافصاح قال **الفهري** هذا هو القول وليس هنا
اضافة في المعنى كما مر تقديرها قالوا الا الى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من تحريم لفظ او حال
ولا يحتاج في قوله من اول يوم الى اضمار كما قدر بعضهم من تاسيس اول يوم ونحوه فرارا من دخول التاريخ على الزمان قال
لو او لو لفظ ما تاسيس لكان معناه من وقت تاسيس اول يوم باضماره اكتفاء بتاسيس والا يفيد شيأ ومن تدخل على الزمان
وعمره في التنزيل من قبل ومن بعد والقبل والبعد زمان **وفي صحيح** ما من ثلاثة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين
تطلع الشمس الى ان تغرب قال التابعة تتوخى من ازمانها يوم خلقه الله الى اليوم قد حبس عن العباد غير قبا العمرة
وعن سعيد بن منصور بسند رجاله ثقات عن رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة قال الترمذي
في الباب عن سهل بن حنيف وقال حديث اسيد حسن غريب ولا نعرف لاسيد سماعا غير هذا الحديث ولم يصح وابوه ممن شهد
من الصحابة رضي الله عنهم بدرا وهو عم رافع بن خديج **وقال** اخرجه ايضا البيهقي وزاد ماجه من طريق
ابن ابي حبيبة باسناد الترمذي وهو اسناد جيد بلفظ الصلاة في مسجد قبا كعمرة **وروى** ابن حبان في
صحيحه عن عمر نحوه من وجه آخر ورواه ابن زبالة موقوفا ولفظه ان عبد الله بن عمر سهد جنازة في الاوساط
من بني الحارث بن الخزرج فلما خرج منها قيل له اين تريد يا ابا عبد الرحمن قال اريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقباء فمن صلى فيه ركعتين كان له كاجر عمرة **وصح** في رواية ابن حبان فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى فيه ركعتين كان له كاجر عمرة **ولحسن** بن عاصم **وعمر بن شبة** بسند جيد عن سهل بن حنيف
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم اتى مسجد قبا فصلى فيه صلاة كان له كاجر عمرة **ورواه**
ايضا الطبراني في الكبير عن سهل بن حنيف **ورواه** [illegible] **ورواه** ايضا الطبراني في الكبير

عن كونه عجرة بعناه وروى الضياء عمر رضي الله عنه عن انس بمعناه كذا بعناه من قوله قال بريدة قال
ابو غسان وهما يتفقان بهذه الاخبار ويدل على ظاهرها في العامة والخاصة قول عبد الرحمن بن الحكم في شعره

فان اهلك فقد اقررت عينا ... من المعمرات الى قباء

وروى بن ابي شيبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد سمعت ابي وقاص قالت سمعت ابي يقول لان اصلي في
مسجد قبا ركعتين احب الي من ان اتي بيت المقدس مرتين ولو نعلم ما في قباء ما قدرنا ان نبلغه الا الاكباد الابل رواه
الحاكم عن عامر بن سعد عن عائشة بنت سعد سمعت ابا هريرة يقول لان اصلي في مسجد قبا
احب الي من ان اصلي في بيت المقدس قال الحاكم وسناده صحيح على شرطهما وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور قبا اوبا تي قبا راكبا وماشيا وفي رواية لهما فيصلي فيه ركعتين وفي رواية
للبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يا تي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان عبد الله بن عمر يفعله وفي رواية
لابن خزيمة في صحيحه كل يوم سبت وفيها رد على من قال انما المراد ان يا تيه مرة في السبوع وروى ابن شيبة عن سعد
بن سهل عن رجل من بني سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتبط له على جار انجانية فكان ربما ركب اليها وربما مشى
زيالة نحوه وزاد وعلى حوله اصحابه وعند ابن شبة عن شيخ من بني عبد الله بن ابي بكر عن ابي بكر مرسلا ان صلى الله عليه وسلم
يا تي قبا يوم الاثنين وقد ذكرنا ما تقدم من الاحاديث والآثار لنعلم كيف تباينت الطاعة والمعاصي
في الارض والبقاع التي لم تعص الله تعالى ولم يقع عليها الخطاء وكيف ينبغي صلى الله عليه وسلم من الصلاة في هذه البقعة
التي عصي الله فيها وفي ذكر الموضع الذي ناوا عز الصلاة فيه حيث ارتحل صلى الله عليه وسلم ولم يصل فيه وقد اخذ هذا الحكم
حضرة فيه الخطاب فلا يتجاوزه الا بفضل وكيف ولي عمر دخول ديار المعذبين الا باديخاوها باكيا فالمنع
من ذلك بطريق الاولى والاحرى فاحذر يا صاحبي من تؤثر معاصيهم في البقاع ومن مستصر
متعرضا بالاستصغار والاعتبار بنحو ان الهلكى والله الموفق بهدي من يشاء الى صراط مستقيم عن ابن
بن الضحاك بن خليفة الاشهلي صحابي مشهور انصاري حارثي مات سنة خمس واربعين قال الفلاس والصواب
اربع وستين قال ندر رجل هو كرم جلسوا راء وقتح واسهملين الثقفي كما بالي النصر بن في هذا الحديث ان
ينحر ابلا ببوانة بضم الموحدة وفتح النون وقيل بفتح الموحدة ضبطه معلوم عند هاولاء الذين في حاجتهم يعرفها قريبا
من حلة من جهة ينبع وسيا تي ان هذه من احدى الثلاث التي يقول فيها وضاح اليمن

يا ناقتي وذي ببوانة حتما ... اذا ناديت حرس النخيل جناكم

فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد الوثن هو الجثة كصوت
الادمي والصنم الصورة بلا جثة قال في مختصر النهاية سموا الجاهلية لما كانت عليه العرب من الجهل بالله ورسوله
وشرائع الدين والمفاخرة بالاحساب والانساب والكبر والتجبر وغير ذلك من رذائل الاخلاق التي تدعو الى الاعتساف
الاخلاق قال والاقال صلى الله عليه وسلم فهل فيها عيد من اعيادهم سيا تي الكلام على معنى هذا العيد المستفصل عنه
قالوا لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوف نذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن ادم رواه ابو
داود باسناد صحيح على شرطهما اي البخاري ومسلم وشرطهما قال محمد بن طاهر المقدسي هو اول خبر اخرجا الحديث
المجمع على ثقة نقلته الا الصحابي المشهور قال العراقي وليس هذا بجيد لسنده وقال النووي بقعا
لان الصلاح المراد بقوله على شرطهما ان يكون رجال سنده ممن خرجا به ما لانه ليس على شرطهما ولا في غيرهما
وعلى هذا عمل بعد فيه العيد وحتى على الحافظ الذهبي في مختصر المستدرك وصححه الحاكم في حظيته باوسع من ذلك
فقال وانا استعين الله على اخراج احاديث رواتها ثقات قد اجمع بعملها الشيخان او احدهما وهذا الحديث
يحتمل رد الضمير الاعلى المسند للمدينة اي بعمل رواتها لا بهم انفسهم وقال عماد الدين بن كثير ان شرط
البخاري ان يكون الحديث قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه ولو مرة وشرط مسلم الثاني بل الكفي
بمجرد المعاصرة وبهذا ترجح تصحيح البخاري عليه وسنورد رجال هذا الحديث حيث قال ابو داود
حدثنا داود بن رشيد نا شعيبة بن اسحق عن كاوز اي حدثني يحيى ابي بكير حدثني ابو قلابة حدثني ثابت

بن الضحاك

بن الضحاك وقد ذكره **فاما داود** بن رشيد بالتصغير وهو الهاشمي مولاهم الخوارزمي نزيل بغداد ثقة روى له البخاري
ومسلم والنسائي وابن ماجه **واما شعيب** بن اسحق ثقة روى عنه الرحمن الاموي مولاهم البصري نزيل الدينور
مشى ثقة روى بالارجح مروى له الشيخان والنسائي وابن ماجه **واما** الاوزاعي فهو شهير من ان يذكر
واما ابو قلابة فهو عبد الله بن زيد بن عمرو وقيل عامر بن عمرو ثقة فاضل كثير الارسال وقد صرح
بالتحديث **قال** العجلي فيه نصيبي قاضيا بالشام هارباً من القضاء سنة اربع وقيل بعدها وروى له
الجماعة كلهم فكل رواه هذا الحديث كما ترى من رجال الصحيحين ما هم واسناده متصل **وقال** ابو داود
ايضا حدثنا الحسن بن علي بن يزيد بن هارون ثنا عبد الله بن يزيد يعني المقرئ ثنا حرملة اظنه التجيبي ثنا
انها سمعت ميمونة بنت كردم قالت خرجت مع ابي في حجة الوداع حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسمعت الناس يقولون يا رسول الله فجعلت ابله بصري اي اتبعه اياه لا اقطعه عني فرأيت اليه
ابي وهو على ناقة له معه درة كدرة الكتاب فسمعت الاعراب يقولون الطبطبية **قلت**
هي بالنصب على التحذير قيل حكاية وقع السياط وقيل وقع الاقدام عند السعي وكأنها الدرة نفسها لانها
اذا ضرب بها حكت صوت طبطبة انتهى **قالت** فدنا اليه ابي فاخذ بقدمه **قالت** فاقرله ووقف فاستمع
منه فقال يا رسول الله اني نذرت ان ولد لي ولد ذكر ان انحر على راس بوانة ذعة من الغنم **قال**
قال لا اعلم الا انها قالت ضحية **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها شيء من الاوثان شيء **قال** لا **قال**
فاوف بما نذرت به لله **قال** فجعل يذبح فانفلتت منه شاة فطلبها وهو يقول اللهم اوفي بنذري
فظفر بها فذبحها **وقال** ابو داود ايضا ثنا مسدد ثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة عن عبيد الله بن
الاخنس عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني نذرت ان اضرب
على راسك بالدف **قال** اوفي بنذرك **قالت** اني نذرت ان اذبح بمكان كذا وكذا حكان يذبح فيه
اهل الجاهلية **قال** لصنم **قالت** لا **قال** لوثن **قالت** لا **قال** اوفي بنذرك **وقال** ايضا حدثنا
محمد بن بشار ثنا ابو بكر الحنفي ثنا عبد الحميد بن جعفر عن عمرو بن شعيب عن ميمونة بنت كردم السفيين عن ابيها
نحو حديثها المتقدم قال فيه هل بها وثن او عيد من اعياد الجاهلية **قال** لا **قالت** انا احب ان اوفي عليها نذري
قال اوفي نذرك فاقضيه عنها وربما قال ابن بشار اقضيه عنها **قال** ابن القيم **فوجه** الدلالة من الحديث
كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ان هذا الناذر نذر ان يذبح نعما ابلا واما غنما كما عينت
ذلك ميمونة رضي الله عنها **واما** كانت قضيتين بمكان سماه فسئل النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من
اوثان الجاهلية يعبد **قال** لا **قال** فهل كان فيها عيد من اعيادهم **قال** لا **قال** اوفي بنذرك ثم **قال** لا وفاء لنذر
في معصية الله **وهذا** يدل على ان الذبح بمكان يجعل اوثانهم وعيدهم معصية لله تعالى من **وجه**
احدها ان قوله فاوف بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على ان الوصف هو سبب
الحكم فيكون سببا لامر بالوفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين فيكون الوصف المانع من
الوفاء وكونه معصية لجاز الوفاء به **الثاني** انه عقب ذلك بقوله لا وفاء لنذر في معصية الله و
لولا ان الصورة المسئول عنها في هذا اللفظ العام والا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه
وان لم يكن معصية لكن لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صورتين **قال** فاوف بنذرك يعني حيث لم يكن هناك
ما يوجب تحريم الذبح هناك وكان جواب صلى الله عليه وسلم فيه بامر الوفاء عند الخلو من هذا ونهى عنه عند
وجود هذا واصل الوفاء بالنذر معلوم فبين بان الوفاء فيه واللفظ العام اذا ورد على سبب فلابد ان يكون
السبب مندرجا فيه **الوجه الثالث** انه لو كان الذبح في موضع الوثن والعيد جائزا لسوغ صلى
الله عليه وسلم للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف على راسه ان تضرب به بل الوفاء به اذا كان
الذبح بالمكان المنذور واجبا **فلما** كان الذبح بمكانا اوثانهم وعيدهم منهيا عنه فكيف بالموافقة
في نفس نذره فعل بعض الاعمال التي هي اوثانهم وعيدهم يوضح ذلك ان العيد اسم لما يعود
من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا اما كل سنة او يعود كالاسبوع او العشي او نحو ذلك

وليس في اللغات البقعة سميت بذلك لاذن بالذبح فيها وقط التخصيص بها واذا كان تخصيص بقعة عيد هم محذورا
فكيف نفس عيدهم وهكذا لما كان موضع سرهم بعبادة الاوثان محذورا بالمنع عن الذبح فيه سدا لذريعة كان
ذلك دليلا على المنع من سرهم وعبادة الاوثان وفي الحديث الاخر ان القصة كانت في حجة الوداع كما صرح
فحينئذ لم يكن بقي من اوثان المشركين ولا اعيادهم شيء الا محق البقعة فاذا كان صلى الله عليه وسلم قد نهى ان يذبح لله
في مكان قد ذبح فيه لغير الله او كان الكفار يعظمون فيه اعيادا واوثانا ويرى الكفار العلو اوتركوا ذكروا ان لا
يتخذ المكان عيدا ولا مكان ذبح ونحر ونحو ذلك يذبح فيه لله تعالى فقد ظهر ان نهيه صلى الله عليه وسلم سدا
للذريعة الى ابقاء شيء من ذلك خشية ان يكون الذبح هناك سببا لاحياء ذلك الامر فقد احكمت نصيحته
صلى الله عليهم وهذا من شفقته على امته ان يضلوا فسد كل طريق يوصل الى اقوال الجاهلية واعمالها في
الله ذلك بمبعثه صلى الله عليه وسلم وحذرا منه مخافة اتباعه بعده وهو موجب العلم اليقيني بان احكام
المنقذين وسيد رسل رب العالمين صلوات الله وسلامه عليهم وعليهم اجمعين كان يمنع امته منعا قويا عن ذلك
ويسعى في دروس كل ما كان من اعمال الجاهلية وطمسها بكل سبيل فلولا المانع القوي لما درست ستهم فان الداعي اليها
والباعث الشيطان لم يزل الى يوم الدين اعاذنا الله والمسلمين من نزغاته وهمزاته وتسويله وتضليله
انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وذكره الامام احمد رضي الله عنه عند القبر ولعل ذلك لخبر ابن عمر رضي الله عنهما المرفوع لا عقر في الاسلام
وهو حديث صحيح رواه الامام احمد وابو داود وقال قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر بقرة
او شاة وقال في الاقناع وشرحه ويباح المرور بكانوا اذا هالهم الميت نحروا جزورا فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وفسره
بعضهم بعقرة الاعراب ذكره البيهقي عن معين وحرم كما بالزوائد بنهمي وان عقرة
عراب الماشي في الماشاها بنهمي الكرم كما في قصة الفرزدق حين منع علي رضي الله عنه من اكلها وعدها
رضي الله عنه من اهل الغي والله تعالى اعلم وفيها يقول جرير بن الخطفى في مهاجاته للفرزدق

تعرون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

واما هذا فغير قال جماعة وفي معنى الذبح عند القبر الصدقة عند كقبر الصدقة عند قبر حديث وفيه ربا ويقبل ابو طالب
عن الامام احمد لم اسمع فيها بشيء يكره ان الذبح عند القبر صدقة وحرم كذبح بتيمة قد يقبل به روح كذبح
والله تعالى عنه واعلم

الباب الحادي عشر باب

من كثر كره النذر لغير الله تعالى النذر بالمعجمة هو لغة ايجاب شيء وشرعا التزام
قربة لم تتعين بما يوجد سببا على المنع من الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله تعالى ذكر [illegible] كثر حمله على ما
عدته من الشر في قرار الاسفل الى الاعلى فالاول فمنع من المشابهة في الفعل وهذا منع من الفعل نفسه وقول
الله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا لقوله تعالى وليوفوا نذورهم الذي ذكر سبحانه
في ابرار وجزاهم في الاخرة بما وصفهم في الدنيا مما اثنى به عليهم فقال اما هنا فالمراد يوفون بالنذر فانه
نفسي بالكلام بعيدا ما ذكروا الجزاء في الاخرة لاجله وهو البلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات
لان من اوفى بما اوجبه على نفسه لله تعالى اوفى بما اوجبه عليه وقيل معناه يتمون الفرض
ثم قال ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي فاشيا ظاهرا منتشرا غاية الانتشار من
قولهم استطار الحريق والفجر اذا اضاء وانتشر وهو ابلغ من طار قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

يا ويحهن على سراة بني لوى حرق بالبوءة مستطير

اي منتشر كانه طار من توحيه والفجر المستطير الذي انتشر ضوءه وابعد في الافق بخلاف المستطيل
وذكر اليوم لهوله تتشقق فيه السماء وتناثر فيه النجوم وتفزع فيه الملائكة والانس والجن بعضها الى بعض

كفارة يمين ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين قال وأما نذر المعصية غير مطابق لما في حديث عقبة
رواه مسلم وحديث ابن عباس رواه أبو داود وذكر أن زريعا موقوفا على ابن عباس وهو صحيح كما قاله وسئل
ابن الصلاح رحمه الله وأما زريع فقال رواه وكيع عن سفيان موقوفا والموقوف صحيح **إذا علمت ذلك** فالناذر
كطاعة الملتزم في مقابلة نعمة يجلبها العبد من أمر ديني أو تقية يستدفعها بأن يكون الطاعة للملتزم هما له
أصل في الوجوب بالشرع فيلزم الوفاء بها إذا عاد ذكره أو الخطاب بالوفاء فعله ووفق الدين بن دقيق العيد بين قاعدة
وأما نذر المعصية فالجمهور الوفاء به إذا عاد وهل يجب فيه كفارة على روايتين عن أحمد أما إذا رد وهما على ما
حادث المنذر من أحدهما يجب وروي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وهو قول الثوري وأبي حنيفة
وأصحابه والأوزاعي لا يجب وهو قول أبي ثور وداود للعموم الأحاديث الصحيحة كقوله في مسلم وغيره مرفوعا لا نذر في
معصية الله ولأنه ما لا يملك العبد وهذا يؤيد بعدم انعقادها **إذا قلت** ذكر فقوله صلى الله عليه وسلم
ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ناسقاط طرق العلم من يعصيه لأن الأهم هنا ناهيه على الصحيح عند المحد
ثم دليل ظاهر في النهي عن الوفاء بنذر المعصية فإذا منع من الوفاء به فمنعه من أن يأتيه من باب الأولى ولفظ
المعصية عام لكل معصية داخل فيه أنواع الشرك كالنذر لغير الله سبحانه وقال الشرك أخص المعاصي بالنهي في هذا
اللفظ وبرون فلا يعصيه ناسبا آبيا على النفي **وقوله** في الآية الكريمة قال الله يعلم والظالمين من أنصار
يهدد الكفرة ووعيد شديد لمن تعرض حدود الله تعالى الجارية ودخل في الظلم الذكر ومن أعظم الظلم
أن تصرف شيء من عبادة الله تعالى إلى غيره كالنذر لغير الله كائنا من كان نبيا أو وليا أو ملكا أو صالحا أو طا
لحا أو حجرا أو شجرا فمن نذر شيئا من ذلك فقد دخل في الشرك بنوع منه **ولهذا قال** سبحانه لنبيه ورسوله
وأمينه على وحيه أمر الله تعالى بوحيه وذكر ربه لأنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بالأمر والناهي بينه وبين عباده
فصل لربك وانحر أي له لا لغيره وقال إن صلاتي ونسكي وهو كذبح أو هو فرد من أفراد نسكه ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين أي من هذه الأمة صلى الله عليه وسلم فاحرص الآية في قوله وأنا أو
المسلمين يدل على الخطاب له ولأمته ولله ولي التوفيق

الباب الثاني عشر

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى وقوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

ينبغي الكلام على الاستعاذة
أولا لما كانت هذه الكلمة وسيلة المقربين واعتصام الخائفين وامتثال قول رب العالمين حيث
قال وهو أصدق القائلين وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لصح الاستعاذة أن يكون
بمخلوق **ومعنى** الاستعاذة بالله أي أعوذ وأستجير وألجأ إليه سبحانه وتعالى وأحتمي برحمته وبر خلقه
في ديني ودنياي ويقال لاعياذ ولا لياذ إلا بالله وهذه والواو في معنى أعوذ قال جرير الخطفى
ثم كان الفرزدق إذا يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت الفرسل
والفرسل بفتح القاف ضرب من الشجر وبكرها الصغير من الإبل وهو في البيت الأول بالفتح ومعنى الاستجارة
قول جرير الضارع ولو منافقا لم يغرنا ولو عاذ الزبير بنا وفينا يقول ولو استجار بنا الزبير بن
العوام رضي الله عنه حين قاتل علي بن أبي طالب وفينا له بجواره يعير بذلك قوم الفرزدق حيث قتلوا بين يدي
ومن خص خلقه بالطرد وابتغاء الغوائل لابن آدم الشيطان الرجيم ولهذا خص الله بالمرة بالاستعاذة منه
لعظم ضرره بالاغواء لبني آدم **وقيل** معنى الاستعاذة في أعوذ أتحصن والعوذ والعياذ مصدران
كالصوم والصيام **وقيل** ما خوذ من العوذ بضم العين وتشديد الواو وهو نبت في أصل شجر يستتر بها
فعلى هذا العوذ هو الستر بالله تعالى والتحرز بحمايته **وقيل** من اللحاء الذي يلتف بالعظم يقال
أطيب اللحم عوذه فعلى هذا معناه الانقطاع من غير الله تعالى وانتصال القلب بالله تعالى وإذا قال القا
ئل أعوذ بالله يكون إخبارا عن فعله بالتعوذ في أكثر حقه هو سؤال لله سبحانه أن يعاونه بفضله
معناه اعذني يا رب مثل ما يقول القائل استغفر الله أي اغفر لي يا رب وصدر وصيغة الأمر بنا على الاستغال بالأمر

ارشاد الى سبب العبادة بالالتجاء اليه والاستجارة به من شر خلقه ولهذا قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ايراقل
اعوذ برب الفلق من شر ما خلق وقل اعوذ برب الناس الى آخر السورتين فاذا جعلت الله تعالى بينك وبين من تخشى
ضرره كفاك قال تعالى الليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن يعني ان الانس في الجاهلية يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل اذا نزل في فضاء من الارض كان يقول
اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيكون في زعمه في امانهم تلك الليلة فزادوهم رهقا يعني زادوا الجن عتوا
وتكبرا وعتوا ويقولون بلغنا من سودداً ان الجن والانس يستعيذون بنا ويطلبون الامان من
شر سفهائنا وأصل الرهق في اللغة غشيان الشيء وستر الرجل فيه رهقا يغشيان المحارم وارتكاب الطغيان
والمفاسد ويقال جاء مرهقة وفيه رهق اذا كان يظن به السوء قال لعبد بن الابرص يمدح رجلا

كالكوكب الزاهر لاح في النسا رهق فيه ولا نكل وقال ابو العالية
والربيع بن انس وزيد بن اسلم فزادوهم رهقا اي خوفا وقال ابن عباس اثما وقاله قتادة والمعنى ان تعوذ
من الجن ليمنعوهم من اذاهم وشرهم في بدانهم واموالهم زاد الانس ذلك من الجن خوفا وارهابا وذعرا حتى
بقي استشعر الانس اشد مخافة منهم واكثر تعوذا بهم فزادوهم بذلك اثما وازداد الجن عليهم بذلك جراءة وقال
لبث ابن عباس رفرقوا منا كما نفرق منهم فزادونا من الانس فاصابوهم بالخبل والجنون وروى ابو عاصم
بسنده صحيح عن كردم بن السائب الانصاري رضي الله عنه قال خرجت مع ابي الى المدينة وذكر اول حاذكر رسول الله
الله عليهم بكم قال وانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال
يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه يقول يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم فبصه
كدمة واثر الله على كل بيت بمكة واحد من الانس يعوذون برجال من الجن الا زادوهم رهقا واثما وذلك ان الجن لما رأوا الانس
الكذب جميعا فعاذ الكل ليضله ويهلكه ويخرجه عن دينه ويخوفه بذلك كما اخاف اسعد وفي الآية حجة
من الرهق والكفر لان من خاف غير الله تعالى فقد كفر وجهل ان لا نافع ولا ضار الا الله تعالى قال الاصمعي يقال فلان
يرهق في دينه وذلك اذا اثنى عليه بقلة ورع ويقال فلان فيه رهق اذا كان فيه عيب للمآثم والتخفف
بدينه قال ابو طالب يلزم ابا جهل ونحزوم اثل القوم حلما اذا طاشت من الرهق الحلوم يقول اذا
طاشت من السفه والحمق الحلوم قال ابو بكر بن دريد

من ليس فيه اذا قاولته رهق ولا يبالي اذا عاشرته عسر وقال جرير

يمضي اذا خمس الفلاة ارهقها يقول يمضي ويسير في الفلاة بعد ما الخمس وغشاه العطش خمسة
ايام لا يشرب فيها الماء يصف بعيره على غشيان العطش له ومضيه على ذلك كالة وقال اياس بن طيئة يصف قلبا
قد غشيه العقاب دون تحره فراح من حسها بادرهقا يلوذ بالصخر بعد ما رهقا وفي المغرب وجمع
الغرائب رهقتنا الصلاة غشينا وقال ابو بكر عن عيسى النحوي اصل الرهق ما ارى الغشيان
يقال رهقت القوم اي غشيتهم ودنوت منهم قال تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وقاله الزجاج وقال
ابو الهيثم رهقني دنى مني وقاله ابو الاعرابي وفي المحكم ارهقنا الليل دنى فنا قلوا وبانى الى رهاق بمعنى الادراك
وقيل ان ضمير المفعول للانس والمعنى فزاد الجن الانس غيا وباء اضلالهم حتى تعاذوا بهم فلما بعث
الله نبيه صلى الله عليه وسلم امر بالذكر بالتوحيد وترك الاستعاذة بالجن العاجز عن الاستعاذة بالقوي القادر
الكافي لمن استجاره وتوكل عليه من جميع شرور خلقه وقد امر الله نبيه في هذه السورة الى الاستعاذة به من سوء ما في
ذاتي واخبر عن الجن بعجزهم بقوله في هذه السورة وانا ظننا ان لن تعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا
فعليك ايها العاجز الضعيف بالاستعاذة بالقوي القادر الذي لا يعجزه قوي ولا هارب ودع عنك الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا
فضلا لغيره وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها وقال خويلة بنت حكيم بن امية بن رحارة السلمية من سليم
من منصور امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وكانت
امرأة صالحة روى عنها سعد بن ابي وقاص احد العشرة رضي الله عنهم وحديثها هذا اخرجه مسلم

وهو في الموطأ والترمذي ورواه عنها الامام احمد في مسنده من اربعة طرق وهي التي قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابي فتح
الله عليك الطائف فاعطى جاريتين بنت غيلان فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رأيت ان تكاتبي يوذنا في تكفيف
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان منا من حضر الوسم فقال اعوذ بالله الوذ وتجيء
والتجي بكلمات الله التامة وفي لفظ التامة وصفها بالتمام لانها كلام الله ليست مخلوقة لان ما من مخلوق كلا فيه
نقص واما كلمات الله التي هي كلامه جل وعلا في تامة كاملة لا يدخل النقص ولا الباطل فيها وقد وصف كلامه جل و
علا بذلك بقوله وان لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية فهو صفة من صفاته سبحانه
وبحمده وفي هذا رد على الجهمية القائلين بخلق القرآن فانه لا يستعاذ بمخلوق ولا بغيره من شر ما خلق قا
ل ابو البقاء يجوز ان تكون ما بمعنى الذي والعائد محذوف وان تكون مصدرية ويكون الخلق في هذا بمعنى
المخلوق قال وان شئت كان على بابه اي من شر خلقه اي ابداعه وهذا هو الصحيح ان شاء الله تعالى لان الخلق غير المخلو
ق عند جمهور السلف في كل لانه قديم بمعنى المخلوق كقوله تعالى هذا خلق الله قال وقرئ من شر ما تنبتو
وما على هذا لم يشر او ترائد ولا يجوز ان تكون نافية لان النافية لا تقدم عليها ما في حيزها فلذلك لم يجز ان تكو
ن التقدير ما خلق من شر ثم هو ما سدخ في العني فخص عام الخلق بالاستعاذة لاختصاص كثير منه أما
اختيارا كالذي يصدر من فسقة الجن والانس او لانها طبيعيا كذوات السموم وغيرها من الدواب
وكيد الرياح وغيرها فالمستعاذة من شر جميع المخلوقات التي صدر شر عن تكوينه تعالى وتخليقه في ملكه
وقهره وسلطانه قد اختلط بها قدره وعلمها فهو كذي سيد مملوك كل شيء وهو يجيره ولا يجار عليه فلا يخرج
شيء من ذلك عن قدره وقضائه وعلمه ومن يفعل ما يريد لا معقب لحكمه فاذا قال القائل ما تقدم
بذلة واخلاص لم يرد شيئا من جميع الاشياء وانشاء هو ما يجوز ان يخبر شيء ونصب الدلالة عليه حتى يركل
ما يتلو ذكر الذي قال ذلك فيه وقصها غاية رواه مسلم في صحيحه قال المصنف رحمه الله تعالى وقد
استدل اهل العلم على ان كلام الله غير مخلوق قالوا وان الاستعاذة بالمخلوق شرك ورسول الله صلى
الله عليه وسلم علمهم بل امرهم دائما بخلو
بغير الله في معرض الجمع وانما ورد عنه وصح في مقام التعجل على عادة العرب تقول وايد لا بشنو وقوله افلح
وابيه ان صدق وحاشاه من ان يتلفظ بنوع من الشرك وهو بعد الملك عنه فثبت بهذا انه
لا يستعاذ بمخلوق وانما الاستعاذة بالله وباسمائه واسمائه وصفاته العلا ولهذا احتج السلف
كالامام احمد وغيره استدلالا بهذا الحديث على ان كلام الله غير مخلوق قالوا الاستعاذة عبادة ومن استعاذ
بغير الله وصفاته فقد صرف عبادته لغيره سبحانه وكلامه تعالى من صفاته ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الرقا
التي ليس فيها شرك كالتي فيها الاستعاذة بالله وفي العلاء رحمه الله عن المغارم والاقسام التي قد يتعللها
بعض الظلمة كالتي تتضمن شركا بل نهوا عن كل ما لا يعرف معناه خشية ان يكون فيه شرك بخلاف هكذا من شر قا
المشروع فانه جائز وقد روى اللالكائي السجستاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الحكم
على رضي الله عنه لحكمين قالت الخوارج لم تحكم الرجال قال ما حكمت مخلوقا انما حكمت القرآن وكان
ذلك ملحوظا من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن عباس في قوله قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وعن
تاج الدين الفزاري ان نفيا سمع سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت مشيختنا منذ سبعين
سنة يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق وكان عمرو قد ادرك خلقا من الصحابة رضي الله عنهم وقال عبد الله
بن المبارك سمعت الكل منذ سبعين او نحو بعين سنة يقولون ما قال القرآن مخلوق فاقرأه طالقا ثلاثا
بتة قيل وما ذكره قال لان امرأته طالق والمسلمة لا تكون تحت كافر وعن ابي نعيم الفضل
بن دكين قال ادركت سبعين شيخا كلهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق وقال احمد بن حنبل
ابو نعيم قال ادركت سبعين شيخا وقال يحيى بن خلف كنت عند مالك بن انس فجاءه رجل
فقال ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق قال هو عندنا كافر فاقتلوه ومثله قال المبارك والليث
سعد وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وغيرهم وقال عاصم وحفص بن غياث وعبد الرحمن بن مهدي قال

همن عفرة

وقال محمد بن خزيمة سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول حلف الفرد أحفض الأبواب
مخلوق فقال له ان صح كفرت [illegible] عن قول السلف فيه
اسنوعبه مختصرا ولله [illegible] على ما ذكره الله سبحانه
عليه السلام عن ذلك بالتوحيد لا [illegible] العزيز الذي
روى ابو داود عن [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
نزل بدر كره الله اعوذ [illegible] وذرأ وبرأ
والعقرب ومن [illegible] صحيحة عن [illegible] رضي الله عنه [illegible]
يا ما سند صحيحة [illegible] فقال [illegible] ثم قال
اخبرها [illegible] ما شاء الله [illegible] شيء
قال [illegible] وقد ذكر [illegible] هذا الذي
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] استعاذة
اعلم رحمك الله ان التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم [illegible]
اخبر ودفع الضر وعن القطع هو جهل ان كعب العقبة [illegible] جعلني يهود
حمارا فقيل له ما هو قال اعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء اعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ رواه الامام مالك قال
الخطابي نعوذه [illegible] بغير رضاه وسلطانه ومن ساكن البلد هم الجن [illegible] الارض والبلد كان
فيه حاضرا في الحال او لم يكن فيه بناء وسائر او يكمل ان المراد بالبلد [illegible] ولد آدم طيبي قال النووي و
الاسود الشخص وكل شخص [illegible] اسود وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن
واكبيا اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم كان
يعوذ بهما اسمعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام قال العلماء الهامة بتشديد الميم كل ذات سم يقتل كالحية
وغيرها والعين هو ما قالوا قد يقع ذلك على الجن والانس كالحيات وبني آدم كما ثبت في الحديث عن العين حق
لعذب توذيك عكرمة بن السمط يعني النمل والعين اللامة بتشديد الميم هي التي تصيب بالنظرات اليه بسوء وتلمه فقد ذكر
صلى الله عليه وسلم انه عما يضر هو في الدنيا فالمضرة وهو الاستعاذة بغير الله بما هو غير مقدور في الدنيا وهو الذي يحيد الله تعالى
بانا لا نستعيذ والا به والله ولي التوفيق

الباب الثالث عشر

باب من شرك ان يستغيث بغير الله ويدعو غيره وقول

الله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين الكلام اولا
على لفظ الاستغاثة قال الاستغاثة بالشخص طلب الغوث منه وهو المعونة والنصرة على التخلي مما وقع فيه من
الكربة ومنه الاستجاء والاحتراز بالشيء قال زهير [illegible] في خطاه قد كاد يدركها بأن
حتى استغاثة بماء لا رشاء له من الأباطح طمي في حقائبه البرك [illegible] يقول حتى
به عن ان يكاد طلبت الغوث عنده بالماء حتى لا يقدر عليها وقال [illegible] كعب الغنوي
غياث لعان لم يجد من يغيثه ومختبط يغشى الكرخان غريب [illegible] ولهذا قال تعالى
عن كليمه موسى عليه السلام ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من
عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ان يغيثه بالاعانة عليه ولذكر عدي
بعلا وقرئ فاستغاثه الذي من شيعته ثم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين اي معينا لان الاستغاثة
كان كافرا فظهر ان المستغيث مستنصر مستعين بمن يطلب الغوث منه وسيأتي له ايضا ولهذا
قال تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيث به
اغاثه بالامس يستصرخه اليوم صارخ كقوله اما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم فتبين بهذا ان المستغيث

منهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض
رضي الله تعالى عنه قليلا ما تذكرون المضطر هو الذي نزلت به مخمصة أو مخافة أو نازلة من نوازل
الدهر فألجأه إلى الله تعالى إلى استغاثة الاضطرار والتذلل فيجيبه لعينيه لا لاستحقاق لأنه لا يلزم إجابة
كل مضطر لو وجد ما يوجب ذلك الداعي وهو كشف ما نزل به وغيره من الأشياء ما شاؤوه فهو معنى قوله
تعالى أمن يجيب المضطر الآية ثم العبد يجاب إما اختيارية وضرورية وكل واحدة أيضا محل للدعاء كما
في عباد الكرامة والاستدراج الضرورية والاختيارية وكذلك أيضا محل للدعاء فالرجاء محل دعاء
العافية والضرورة محل دعاء الكشف والكرامة ما يظهر الدعاء في الضرورة بما يقدر من الرجاء و
الكل مرجو ومطلوب من الله تعالى فعند ذلك يغير عن وجيب الورد الكلي فإن بلغنا أن عطاء الخراساني
في طاوس اليماني بكلام فيه من القول فقال ما عطاء الكذاب تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك أبواب
وجعل دونها حجابا وعيسى عن أمره أن يسأله ووعدك بالإجابة وقال الإمام أحمد حدثنا
حدثنا عبيد عن يوسف بن صهيب عن زيد العمي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن يستجاب دعوته
وأن تكشف كربته فليدع دعوة المضطر فإنه يجيبه الإمام أحمد وقوله ويجعلكم خلفاء الأرض أي
مكان الأرض بعد هلاك أهلها تتصرفون فيها أي أيها الناس خصكم بهذه النعمة الخاصة قليلا ما
تذكرون أي قليلا تذكركم وإما بقلة العدم أو لكثرة المزيحة للفائدة لأن الكلام في الأمر
كيف ولا تذكرون تذكرا يعتد به يشرح الصدر ويهدي إلى صراط الله المستقيم فوفق الله تعالى المسلمين
كيف في هذه الآية وما بعدها من الآيات على المعاني التي تنبئ الكل عاقل أنه لا بد من خلق الضر واللوث والكل
ما يعبد من دون الله تعالى فيها وروى ابن الجارود بسنده عن عبد الله بن أبي صالح قال دخل على طاوس
يعودني فقلت له ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه وقال
وهب بن منبه قرأت في الكتاب الأول أن الله يقول بعزتي لا من اعتصم بي فكادته السموات بمن فيهن
والأرض بمن فيهن أني جعلت له من بين ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فأني خسفت به من تحت قدميه
الأرض فجعلته في الهواء أكله إلى نفسه وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عفان حدثنا وهيب
حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان الهجيمي عن رجل من بلهجيم قال قلت يا رسول الله إني أريد الدعوى الله وهل الذي
أن مسكه ضر فدعوته كشف عنك والذي أن أضللت ضالة بأرض قفر فدعوتك ردها عليك وإن أصابك سنة
فدعوته أنبتت لك قال قلت أوصني قال لا تسبن أحدا ولا تزهدن في المعروف ولو أن تلقى أخاك
وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي وإن امرؤ شاتمك بما يعلم فيك فلا تشاتمه بما تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة
وإن الله لا يحب المخيلة ولا تسبن أحدا قال فما سببت بعده أحدا ولا شاة ولا بعيرا وقد روى أبو داود
والنسائي طرفا منه وأبو يعلى قيل اسم طريف أبو خالد الهجيمي وقيل غير ذلك وهو تابعي قال في أسماء الصحابة
في أسماء الصحابة وهم من عد من الصحابة وروى عنه بن عبد البر بإسناده إلى أبي بكر بن عبد الله المزني قال
قال لأبي تميمة كيف أنت يا أبا تميمة قال بين نعمتين ذنب مستور وثناء من لا يعلم وهو بفتح التاء المثناة من فوق
بصري ثقة مشهور بكنيته مات في سنة تسع وتسعين أو قبلها أو بعدها بسنة اختلف في ذلك كما ذكرنا وجابر
بن سليم صحابي اختلف في اسمه هل هو جابر بن سليم أو سليم جابر وهو عند أبي داود كما هو عند الإمام أحمد جابر بن سليم
وكناه أبو داود أبا بكر الهجيمي وروى أصل حديثه أبو نعيم وبن منده وأبو عمر بن عبد البر وعند

قولا اخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه ان يفضي به الى حقيقة النفاق وحكاه
ايضا صاحب الفروع عن اصحابنا قال وامامقولة في الرواية الاولى الربع من كن فيه كان منافقا
وفي الرواية الاخرى اربع المنافق لم يخص احدا فانه يجوز ان الشيء الواحد قد يكون له علامات واصل ٦٨
هذه الخصال ربما صفة ثم قد تكون تلك العلامة سببا وقد تكون مسببا اذا تقرر الفرق بين
النفاق العملي وبين الاعتقادي فاعلم ان هذه الخصال انما تتصف باهل النفاق والاعتقادي
نعوذ بالله تعالى منه وانما كانت اذا وجدت فيمن كان حسن الاسلام يقلبه ولسانه عاملا بارکانه تعرف به من النفاق
العملي وقد اتفق في العقول السليمة والفطر المستقيمة ان النفاق وخصوصا الاكبر اسم قبيح فاحش
تركضوه بالسوأى وضراح صوب الارباب وعالم الاسرار ولهذا تعالى في كتابه وسنة رسوله واهل العلم قاطبة
سنع عليهم بالخصال الشنيعة وسلم بالاصال الفظيعة وجعلهم شر الكفار واعدلهم الدرك الاسفل
من النار جزاء لما دعتهم الباطنة وهذه الدار ولهذا بين اكرم الخلق صلى الله عليه وسلم في هذه القصة ان من صفة العالم
اذى المومنين فقال يؤذي المؤمنين اذا ذي المومنين من صفاتهم اللازمة نعوذ بالله السميع العليم
من هذا الصفة وذكر فقال بعضهم اي بعض اصحابه رضي الله عنهم وفي رواية له فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فوهوا بانتشغيث وفي لفظ للاستغاثة بي رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي لفظ له صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عز وجل قد تعرف الاستغاثة مستوفاة بشروطه
احكامه وشطه وهذا ادب منه صلى الله عليه وسلم مع ربه تبارك وتعالى اذ حقيقة الاستغاثة بمعنى طلب النصر و
المعونة ومنه قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم واصحابه رضي الله عنهم لم يطلبوا منه فلم يستغيثوا به
الا في شيء يقدر عليه ويليق بمنصبه وقد استغاث الاسرائيلي كليم الرحمن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام
من ذكر فاغاثه وعند عساكر وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان الله تعالى يحب اغاثة اللهفان
فنفيه صلى الله عليه وسلم لفظ الاستغاثة في شيء يقدر عليه لائق بمنصبه الالهي حماية لجناب التوحيد والا فقد
علمنا بالاضطرار صلى الله عليه وسلم اذا طلب منه ما يليق بمنصبه في حياته وحياته بانه لا نزاع في جوازه فان
الطلب منه في حياته والاستغاثة به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع في جوازه احد من العلماء رحمهم الله كما ذكرناه
عن كليمه عليه السلام ولكنه نبه بهذا صلى الله عليه وسلم امته حماية منه للتوحيد حتى يعرفوا ان شيء اذا
نفاه النبي صلى الله عليه وسلم لفظا على وجه التادب مع ربه تبارك وتعالى مع جوازه في حياته بحيث يقدر عليه
مع عدم قدرته عليه بعد وفاته اولى واحرى ان لا يقدر عليه لا احد تبارك وتعالى لا يطلب الجنة الا منه
وطلبه من غيره فحشو شرك فنهى الامة احدا ان يقول اذا النبي صلى الله عليه وسلم شرع لامته ان يستغيث به
لانه لا ينفع ولا يدفع مضرة ولا اجلب منفعة لا بهذا اللفظ ولا بمعناه بل شرع لهم ان يدعوا ربنا
ولا يسألوه الا ولا يستغيثوا به ولا يدعوا الى ذلك ولا ان يستجيروا به فاما الحديث
الذي اورده ابن القيم رحمه الله تعالى وعلى آله فصل في الكلم الطيب وكذا النووي في الاذكار وغيرها
وهو رواه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه وابو نعيم في الاسماء والصفات والبزار وابن السني عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا علي ثلاثا فان لله حاضرا
سيحبسه ورواه الطبراني ولفظه ان لله عبادا لا نراهم فليقل يا عباد الله اعينوا واورده ابن السني فقال في الادب
وقال قال عبد الله بن عبد الرحمن الدمشقي سمعت ابي يقول حججنا خمسين حجة فضللت الطريق في حجة وكنت
ماشيا فجعلت اقول يا عباد الله دلونا على الطريق فلم ازل اقول ذلك حتى وقعت على الطريق فهو على
تقدير ثبوته لا بد ان يحمل على الاستغاثة بالميت والغائب وايضا فقد قال ابن عدي فيه انه من رواة مجهول وهو
حسان وهو منكر الحديث واما قولنا بثبوته فقد علمنا بالضرورة ان لله سبحانه عبادا من الملائكة سماهم
حيث وكذا من هو من بني آدم في الفلوات احياء حاضرون يسمعون صوت من ناداهم بما امر به في هذا الحديث فاذا
سمعوه نادى بذلك عبد واحد عليه دابته كيف وهم لا يرى اكثرهم انصارنا الا من شاء الله ممن يتجلى عليه ربه بالكمالات
صلى الله عليه وسلم بحضرة اصحابه وهم لا يرونه الا نادرا اذ هذا شيء يحصل لبعض اصحابه احيانا حاظ من اذ هو مما
يقدر عليه الخ فيكون من باب قوله عن كليم موسى عليه السلام واستغاثة الذي من شيعته على الذي

ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان ابتداء في القرون الخالية من اولياء الله ما
لا يحصى عده ومن جعل لهم عددا محصورا الا زنادقة من المتطلسين عمدا او خطأ فاما لفظ
الغوث والغياث فلا يستحق على الاطلاق الا الله سبحانه فهو غياث المستغيثين لا يجوز لاحد
استغاثة بغيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ومن زعم ان اهل الارض يرفعون حوائجهم التي
يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة بهم الى الثلثمائة والثلثمائة الى السبعين والسبعون الى
الاربعين والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الغوث الفرد الجامع فهو كاذب
ضال مشرك فقد كان المشركون كما اخبر الله عنهم بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا
اياه يفزعون في شدائدهم وحال اضطرارهم الى الله جل وعلا وليس الى الاولى يجيب المضطر اذا دعاه و
يكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله الاية فكيف مع هذا يكون المؤمنون يرفعون حوائجهم الى غيره
من الوسائط وهو القائل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان الاية وقوله صلى
الله عليه وسلم لما رفعوا اصواتهم بالدعاء ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذي
تدعونه سميعا بصيرا قريبا وفي لفظ اقرب الى احدكم من عنق راحلته وهو في الصحيح وليس في اولياء الله
المتقين بل ولا الانبياء والمرسلين من كان غائبا عن الخلق دائما عن ابصار الناس بل هذا من جنس قول
القائلين ان عليا في السحاب وان محمد بن الحنفية في جبال رضوى وان الحسن في سرداب سامرى وان
الحاكم بجبل مصر وان الابدال رجال الغيب في جبل لبنان فهذا ونحوه من اقوال اهل الافك والبهتان نعم
قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن ابصار الناس اما لدفع عدو عنه واما لغير ذلك واما
انه يكون هكذا طول عمره فباطل نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده وما فيه من اسرار الله تعالى وامانته
وانواره ومعرفته غيبا عن اعين الناس ويكون صالحا ووليا غيبا عن اكثر الناس فهذا هو الواقع
واسرار الحق بينه وبين اوليائه واكثر الناس لا يعلمونه فعلم بذلك ان الله لم يشرع لاحد ان يقول لميت
انا في حسبك او انا في جوارك ولا ان يقول للميت سل الله لي وادع الله لي ولا شرع لهم ان يشكوا الى ميت
الجنة مثل ان يقول احدهم اشكي الى الميت علي دين او اذاني فلان ونحو ذلك سواء كان عند القبر او
بعيدا منه وسواء كان الميت نبيا او غيره ونحن نعلم بالضرورة ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لامته ان يدعوا
احدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها كما انه لم يشرع السجود
لميت ولا الى ميت بل نعلم انه نهى عن ذلك كله وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله لكن
لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفير فاعل ذلك
بعد ما يتبين له ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يخالفه فاذا بين له ذلك وبين ما فعله
شرك ثم عاند بعد ذلك اطلق عليه الكفر لعناده بعد قيام الحجة وقد كان كثير من طوائف مبتدعة
ولا امضى عليه حكم المرتد وهذا اصل دين الرسل الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم الذي لا يرغب عنه فقد
سفه نفسه وهو في الآخرة من الخاسرين نعوذ بالله من الخذلان ومكائد الشيطان وقيل انما اراد
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله يعني على الاطلاق والمراد فيما لا يقدر عليه
الا الله والا فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يطلبون في حياته الدعاء ويستسقون به كما صح ذلك عنهم
كما قال عمه ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل ولذلك قال
العلماء رضي الله عنهم في عباراتهم يجب على كل مكلف ان يعلم ان لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله و
ان كل غوث فمن عنده وان كان قد جعل الله ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه وذلك لغيره فيما نسب
اليه مجاز قالوا ومن اسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث ابي هريرة واجمعت
الامة على ذلك وقال ابو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث واكثر ما يقال غياث المستغيثين
ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم فالاستغاثة بالرسول صلى الله
عليه وسلم في حياته بمعنى ان يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه وهذا لا نزاع في جوازه هل
كان يستغاث بغيره بمعنى ان يطلب منه ما يليق به واما سؤال الميت والغائب

ليس بكثير من الامر شيء الآية قال رحمه الله تعالى قال حميد يعني الطويل وثابت يعني البناني عن
انس بن مالك الانصاري خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال شج اي جرح وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الوقعة المشهورة وكسرت رباعيته فقال كيف يفلح قوم الفلاح هو الفوز واظفر شجوا وجه نبيهم فنزلت ليس
لك من الامر شيء وقد رواه مسند بن اسحق فقال حدثني حميد الطويل عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كسرت رباعية
صلى الله عليه وسلم وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يقول وهو يمسح الدم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون قال ابن هشام
وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه عن ابي سعيد الخدري ان عتبة بن ابي وقاص رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري
شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع صلى الله
عليه وسلم في حفرة من حفر الوعل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي رضي الله عنه بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومصه مالك بن سنان ابو ابي سعيد الخدري الدم من وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ازدرده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تصبه النار وعتبة بن ابي وقاص هذا هو
الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا بعد اصابته للنبي صلى الله عليه وسلم اياها وكسر رباعيته ولد فيما ذكر لي
ابو سعد رضي الله عنه ولد لعتبة هذا بعد اصابته للنبي صلى الله عليه وسلم ابو سعد عبد الله بن شهاب الزهري
الذي روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن رواه عنه وممن روى عنه ايضا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
وهو اخو واهم يعرف ذكر في نسبه وقد قيل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري كان احد من عبد الله بن شهاب من شهد بدرا فقال الزبير وكان
محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب من شهد بدرا ابو عبد الله بن شهاب الزهري من اهل بدر فقال الزبير وكان
من ذكر اجانب يعني من الكفار وهو اصغر واما عبد الله بن شهاب الزهري الاكبر فمن مهاجرة الحبشة وكان
اسلم هاجر الى ارض الحبشة بابنه واخيه وقد قتل عبد الله بن شهاب بعد ذلك ومن سبرم صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن الزبير وهو غلام حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دم محاجم ليريق فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال لمالك ولكنه قال بعد ذلك لان الزبير ويل لامه من الناس وويل الناس منه ذكره الدارقطني في سننه وهذا
دليل ان دم النبي صلى الله عليه وسلم يجاف الارض غير في التحريم وكذلك بوله صلى الله عليه وسلم قد شربته ام ايمن رضي الله عنها حين ولدته
في اناء من عيدان بقعة العين لما احرم من جذوع النخل وجد تحت سريره فلم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك عليها فاخبر
صلى الله عليه وسلم انه كان طيبا مطهرا الا ان ابا عبد الله بن ذكر في الشيعة ان رجلا من الصحابة سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ازدرد دمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الدم حرام فهذا حديث لا يعرفه اهل الحديث ولا روى
الزبير بن ابي بكر المعروفي بابن بكار قال ولد عبد الله بن الزبير فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو
فلما سمعت بذكر اسماء امه استكت عن رضاعه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بن
ذبابا عليها ثياب ليمنعن بيته وليقتلن دونه وروى عن ابن ابي مليكة عن عروة بن الزبير قال لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على اسماء بنت ابي بكر حين ولدت عبد الله بن الزبير فذكره وفي آخره كبش بين ذبابا ليمنعن بالحرم وليقتلن
به وكان رضي الله عنه اول مولود ولد للمهاجرين وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة من ريقه
كما سبق الى ابي بكر بابي بكر الصديق رضي الله عنه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ ابن سبع او ابن ثمان سنين فبايعه بعثه
ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي سماه عبد الله لما حنكه ومسح عليه وفي رواية عند ابي نعيم ايضا كبش
بين ذبابا عليها ثياب ليمنعن الحرم وليقتلن فيه وهذا يعني قوله صلى الله عليه وسلم فيما تقدم عند الدارقطني وويل
للعرب من شر قد اقترب ويل للناس منك والله اعلم وفيه اي الذي ربيته المتصل الى الزبير يقال احدثني
فلان عن فلان وويل للناس منك والله اعلم وفيه اي الذي ربيته المتصل الى الزبير يقال احدثني
سالم عن ابيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع رأسه من الركعة الآخرة
من صلاة الفجر فيه دليل ان القنوت بعد الركوع خلافا لمن قال بوضعه قبل الركوع كالامام مالك رضي الله عنه
مستدل بحديث ابي بن كعب الذي رواه النسائي في سننه وقد اختلف في رفعه ووضعه وصح رفعه قبل ان ذكر

القنوت

القنوت فيه غير صحيح اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد وفي رواية ربنا ولك الحمد
فقد صحت كروايتنا الواو وروي بالا الا ان الافضل بالواو والا نها تجمع معنيين الدعاء والاخبار اي ربنا استجب
لنا ولك الحمد على هدايتك ايانا قاله القاضي عياض قيل قوله قال سمع الله لمن حمده بمعنى الدعاء قال الخطابي
معنى سمع اجاب قال الله تعالى ادعوني استجب لكم ادعوا الله حتى خفيتم الا يكون الله تسمع ما اقول
وعلى هذا فالواو يكون الحمد مجردا والواو في قول من قال سمع الله لمن حمده معناها لولوا ربنا حمدناك ولك
الحمد وقد قال الامام احمد في رواية ابنه صالح احاديث النبي صلى الله عليه وسلم كلها ربنا ولك الحمد وما سمعت احدا قال اللهم
ربنا ولك الحمد الا ان يقول اللهم ربنا لك الحمد كما جاء الحديث بذلك وقوله اللهم ذهب سيبويه والخليل وسائر البصريين
الى ان اصل اللهم يا الله وان الميم بدل من يا النداء وقال الفراء اصله يا الله امنا بخير فحذف وحرف حكى الهذ
هبي يا ازهري فاغفر الله ليس بآمر شيء لانه صلى الله عليه وسلم اعلم عبده انه لا عالم له بالمطبوع على قلبه في سابق
علم الله من غيره وبكفره وقد جاء بما سعد الخلق من تبعوه ومن لم يتبعه فقد انذرهم واعذر الله منه
فانه لا حجة على الله بعد الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفي رواية للبخاري تعليقا قال
وعن حنظلة بن ابي سفيان يعني عن عبد الرحمن بن صفوان بن امية الجمحي المكي الفقيه الحجة قال سمعت سالم
بن عبد الله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزل
ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي رواية حذيفة مرفوعا لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكابر من هشام وابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم
او يعذبهم رواه غير واحد بهذا اللفظ نقول قوله تعالى ليس لك من الامر شيء في عباده الا ما امر به فهم
او يتوب عليهم حتى فارقت فعلت او اعذبهم بذنوبهم فيحتمل فانهم ظالمون قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم اياي
ولهذا قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض يعني ملكا وخلقا وعبيدا يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله
غفور رحيم اي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم خلقه وعبيد وتحت قدرته سبحانه يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد سواه من الامر شيء فهي بذلك المعبود وقد ثبت الله على رسوله
المذكور بقلت كان معنى اللعن الابعاد والطرد كما يعرف في انشاء العرب واشعارها قال الكميت بن زيد
الطائي ؎ ذعرت به القطا ونفيت عنه ؎ مقام الذئب كالرجل اللعين ؎ وقال كعب
ماهر للزبعرى ؎ بئست الجزور سول الملبك ؎ قاتلك الله جلفا لعينا ؎
وان معنى لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرهم ابعاد رحمة الله تعالى ولعن صلى الله عليه وسلم هو الابعاد
قال الله تبارك وتعالى ليس لك من الامر شيء وفي هذا قوي دليل على عدم جواز لعن المعين خلافا لمن اجازه
مستدلا بما في الكتاب والسنة من اللعن المطلق وليس في ذلك دليل على لعن المعين اذ غاية ما في ذلك مع
النصوص فيقال الا لعنة الله على الظالمين ولعن الله من لعن والديه لعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك من
النصوص فذكره وهذا جائز بالكتاب والسنة واجماع الامة وانما العن المعين الذي يستلزم قول الله
بعاد والطرد من رحمة الله وان من سنها وذكر نوع من الثاني على الله سبحانه وهو الاجود وقد تقدم قول
نبيه صلى الله عليه وسلم لما عاب باللعن المذكور بقوله ليس لك من الامر شيء فقال ما اردي ما يفعل بي ولا بكم
اي الا بعلام الله لي من ذلك او المراد ما يجدث الله لي وبكم في الدنيا وهكذا ان كان يعلم انه مستمر في الكفر با
علام الله له فاذا كان هذا مطلوبا من سيد البشر صلى الله عليه وسلم الا بعلام الله فغيره اولى فكيف يفعل الكتاب
وقد اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيح الصريح الثابت ان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يبقى بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وبالعكس بخلاف من علمنا سبقت
شقاوته بموته على الكفر من جهة الكتاب والسنة كابليس وفرعون وهامان وابي جهل وابي لهب وغيرهم
فان تعيينهم باللعن جائز عند علماء العلماء رضي الله عنهم وفي الصحيحين ان عبد الله بن عمر بن العاص
من قريش وقد نصوا طبرا يعني حيا وعمر ميتا وقال عمر رضي الله عنه لعن الله سهيلا فعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن

فاما ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه فاسلم حين اتاه العباس ليلة الا اذاخر الى ان مر صلى الله عليه وسلم
بعد ما اراد عمر بن الخطاب قتله فقال العباس اني قد اجرته ولولا انه من بني عبد مناف ما قلت هذا لك هذا وكر قد علمت
انه من بني عبد مناف فقال عمر يا رسول الله عند ذلك مهلا يا عم فوالله لاسلامك عندي كان احب الي من اسلام الخطاب
لو اسلم وما ذاك الا اني علمت ان اسلامك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حضر بعد ذلك اليوم وقعة عظيمة
كانت على المسلمين وكان يوما مشهودا في حماله بلاء ذكر ذلك اليوم ووقف حينئذ عنده **واما سهيل**
بن عمرو السهمي رضي الله عنه فهو الذي انتظم صلح قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على يديه وهو الذي قال
النبي صلى الله عليه وسلم لما طلع عليهم لاصحابه سهل امركم واسلم بعد ذكر وحسن اسلامه وله هجرة
الى الاسلام عظيم وكرده عند قتل النبي صلى الله عليه وسلم نصر الله به الدين ولا عدنا ان نذكره ليعلم الانسان ان
الله يمن على من يشاء من عباده وان كان ما كان قال سفيان بن عمر حدثنا سعيد بن عبد الله الجمحي عن
عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي عن ابيه قال حاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعمار وعثمان بن طلحة من بلغهم من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضج اهل المسجد وبلغ عتابا فخرج حتى دخل شعبا من شعاكة وسمع اهل مكة الضجيج
فتوافا رجال الى المسجد فقال سهيل بن عمرو ابن عتاب وجعل يسدل عليه حتى اتى على في الشعب فقال هاهنا
قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقم فيما بين فخذي قال لا اطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام قال فاخرج ثم
فانا الكفيلك فخرج حتى اتى المسجد الحرام فقام سهيل خطيبا فحمد الله واثنى عليه وخطب بمثل خطبة ابي بكر لم يخرم
منها شيء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب وسهيل بن عمرو يوم اسارى يوم بدر لما قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم
دعني انزع ثنايا هذا فيدعوا عليك خطيبا ما يدعوا الى ان تنزع ثنايا ه دعه فعسى الله ان يقيمه مقاما يسرك
فكان ذلك المقام قال وضع الكتاب عملا ولا باس ان نذكر فضيلة لوالد الصديق عثمان بن ابي
قحافة رضي الله عنه هاهنا ذكر اليوم للمناسبة اذ الشيء يذكر في سياق غيره وفي سنن ابي داود والترمذي وغيرهما
من حديث ام الدرداء قالت كنت في بيت ابي قحافة يوم جاءنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع ابو قحافة
بضجة فقال ما هذا فقالوا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى الله على رسوله على اثر كل انسان
ترك الناس قبل ارتد بعضهم ونجت بعض قال في اي الناس قبل ابنك قال ولم قالوا امر بذلك قال فاضجع
بنو اعمدنا في قبل سمعوا واطاعوا وسلموا قال لا ازال اليكن بخير ما سمعوا واطاعوا ثم سمع ضجة بعد ذلك فقال
ما هذا قالوا اتاك قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى الله على رسول الله ورحم الله ابا بكر فضاح اهله فقال
ما كاماه ابو بكر احلم من البكاء وفيما تقدم جواز الدعاء للانسان بعينه في الصلاة وقد دعا الامام
احمد فيها للامام الشافعي رضي الله عنهما وجواز القنوت في الفريضة عند النوازل وفيه ايضا صحيح البخاري على تفسير
سورة الشعراء بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه وانذر
عشيرتك الاقربين العشيرة القبيلة قال الجوهري وغيره وقال عياض عشيرة الانسان اهل الادنون وهم بنو
ابيه وتصدق المقول الاول فعله صلى الله عليه وسلم في قوله يا معشر قريش وهذه النذارة الخاصة لانتفاء العامة بالفعل فرد ما جاء انه كان قال لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون وقال لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك وقال لتنذر ام القرى ومن حولها وقال تعالى وانذر به الذين يخشون ان يحشروا الى ربهم وقال
لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال لانذركم به ومن بلغ كما قال ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
فهذه تخصيصات عشيرته الادنين بالانذار وعشيرته الادنون هم قريش ومن بعدهم بنو معد بن عدنان
بانه لا يخلص احد انهم الا ايمان به جل وعلا ففي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا
يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار فقال ابو بعدان بجمعهم صوته
على الصفا كانا يخاطبان [illegible] وقريش [illegible] وهذا هو الصحيح واصرة بنت سعد
اخت تميم وهذا قال جرير يخاطب التيمي مدلبا [illegible] الخليفة عبد الملك وبنيه لقريش
في ارام التي علمت قريشا [illegible]
[illegible] فلا قوم باجمعهم ابيكم ولا خال باكرم [illegible]

ومن قال انه فهر بن مالك بن النضر فذلك ابو الفهر شا انما تفرقت من فهر بن مالك فلزمه اللقب قريش لذلك و
انما سمي النضر قريشا لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسد (ها) بماله والتقرش هو التفتيش
عن المكاسب والمتاليد وهو الكسب ايضا والجمع لكل شيء من مال او كلام قال ابو خيرة الاشكري

اخوة قريش الذين عنينا في حديث عمر وقولهم

وقيل سموا بالتجارة وهي التقرش للضاير الكسب قال سويد بن الصامت في ذلك وذاكر جوزة له

قد كان يغنيهم عن الشعوش ... ولكسل من يساقط القروش

شحم ومحض ليس بالمغشوش ... قال ابن هشام الشعوش فحيس يدك وغسل
رؤس الخيل والاسورة ونحوه والقروش التجارة قال الكسب بقول قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض
والمحض اللبن الحليب الخالص وقيل سمي قريش لانه قتال حوتا يسمى بالقرش تسور عليهم في سفينة
وهو فيها فهرس من معه غنهم فسميت قريش بذلك وقال الكلبي ابو نحن عن ابي الوليد في رجوعه رويته
انما اشتقل الفهر والقروش ساقط من حيانة وتقرش منه او كلمة نحوها في معناها اسمع وانفع
قال ذلك صلى الله عليه وسلم لانهم ارهنوا انفسهم واموالهم بقولها بل كر ان لم يستقروها بكلمة التوحيد من النار وغضب
الجبار وفي الحديث يكلم يغدو ويعتقها اوبقها ولهذا قال لا اغني عنكم من الله ايام توحدوه فتعبدوه
وهو جل وعلا من وحد ولم يشرك بالله شفاعته صلى الله عليه وسلم ماذن مرسله شاركوه تعالى الاهل كتوحيد من انتهك
ثم خصص صلى الله عليه وسلم بعد ان عم قربى فقال يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية
عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا خص صلى الله عليه وسلم عمه العباس من بين اعمامه لما عند العباس رضي الله عنه
للنبي صلى الله عليه وسلم من مودة القرابة وكان يحبه ويجب ظهوره وكان له قريبا من مكان عمه ابي طالب لان العباس
كان اكثر مدارة لقومه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك انه حضر الانصار رضي الله عنهم عند بيعة العقبة و
هو على دين قومه ليشد للنبي صلى الله عليه وسلم منهم العقد وكذا خص صفية رضي الله عنها لما كان بينها وبين العوام من بني
عمامة ثم قال ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة انقذي نفسك من النار فانك
في ذلك سواء لا اغني عنك من الله شيئا وهذا الحديث يدل على ان الهداية والاضلال والانجاء من عذاب الله فلا يملك منه شيئا ولهذا قال لا اغني عنك من الله شيئا
وهذا شعر بانها رضي الله عنها قد بلغت سنا يعقل فيه الانذار بخصوصها باكثار وقد قيل انها من اصغر بناته فيكون
بتخصيصها عليهم كبير وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما لما خطب على رضي الله عنه ابنة ابي جهل انها بضعة
مني يريبني ما ارابها ويؤذيني ما اذاها وانما بقي له نسل الا هي قيل توفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة
اشهر وهو اصح ما قيل في ذلك وقيل بثلاثة اشهر وقيل بستة اشهر وقيل سبعين يوما وما رويته ضاحكة بعد موته
صلى الله عليه وسلم وهي اول من جعل عليها المكبس ووصفتها لها اسماء بنت عميس تجعل على موتى النساء بارض الحبشة
بعد ما قالت يا اسماء اني قد اسقطت ما يصح ان يطرح على المراة الثوب فنصفها فقالت لا اسماء ما احسن
هذا واجمله وامرت ان يجعل ذلك عليها اي لئلا يرى شخص جسمها عند خروج الروح منها ثم زينب بنت ام سلمة المؤمنين رضي الله عنها
واوصت ان تدفن ليلا ففعل بها ذلك وتزاحمها على العباس والفضل ابنه قبل ان يشغلوا من رضاها
سن احد عشرة وكان عمرها تسعا وعشرين سنة وقال عبد الله بن الحسن بن علي كان عمرها ثلاثا وثلاثين سنة
وقال الكلبي خمسا وثلاثين سنة والصحيح ان الذي غسلها علي واسماء بنت عميس رضي الله عنهما وكانت رضي الله عنها
احب بناته اليه وفضلها بعض اهل العلم على نساء العالمين وبعضهم جعل الخلاف بينها وبين امها وعائشة من
امهات المؤمنين ومريم ابنة عمران رضي الله عنها وجعلها ثمر بن يحيى وبوالبهلول وفي البخاري
من طريق الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا
لو ان هذا اجتمعوا اليه فقال اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا
لو اما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا

ثم قام

ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب وقرئت هكذا قراءة الاعمش ورواه ابن عباس رضي
بخوع وفي هذا ومثله للعام الرد على جزء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت لتنذر الاية
وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم
من النار يا معشر بني كعب انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا معشر بني عبد
المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني والله لا املك لكم من الله شيئا
غير ان لكم رحما سابل ببلالها وروى انه صلى الله عليه وسلم صنع طعاما
ودعى علية بني عبد المطلب وهم اربعون رجلا فعل ذلك مرتين او نحوا وقدما وفيهم عمه ابو لهب فلما كلمهم
الا على رضي الله عنه وقد روي ذكر الانذار بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما والمسانيد وقد عد
العلماء رضي الله عنهم من الاحاديث المتواترة عن موسى صلى الله عليه وسلم ومن اغربها ما رواه ابو يعلى الموصلي
حدثنا احمد بن سويد بن سعيد نا همام عن اسمعيل عن موسى بن وردان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يا بني قصي يا بني عبد مناف انا النذير والموت المغير والساعة الموعد ولهذا ذكر بعضهم هذه
الدعوة عامة في سورة الجن فقال قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني
لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته فاخبره تبارك وتعالى ان
من يجيره من جميع الخلق لا انس ولا جن انه لا يملك له جلب خير ولا دفع ضير من دون الله عز وجل ثم
اخبره بما بلغ ما ذكر وقد قدمنا ان من لم يملك جلب الخير لغيره ودفع الضر عنه بانه لا يملك لنفسه
وقال له ان قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني من عذاب الله احد ان عصيته ولن اجد من دونه
ملتحدا اي ملجأ ولا حرزا ثم قال الا بلاغا من الله ورسالاته استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد
وانفاع وما بينهما اعتراض وقد نفى الاستطاعة والمعنى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن
من عذاب الله ان لم ابلغ ما ارسلني به قالوا وقال في الاية تقديم وتاخير وحذف تقديره قل اني لا املك لكم ضرا ولا
لا رشدا الا ابلاغا من الله ورسالاته ان عصيته فليس بيدي شيء من الضر والهدى الا تبليغ الرسالة ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا اي دائما يعوذ بالله من ذلك وقال في الاية الضر ههنا الا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون فاذا
كان هذا افضل الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره علمت
ان ذكر ان الانسان ليس لاحد منه شيء فلا يطلب ذلك الا من الله وهذا فيه تنبيه على الا يسئل
احد الى غير الله شيئا في نفع او دفع لانه قد امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتبرأ من نفسه وضرها فكيف
ان ينفع غيره فاتضح بهذا ان قطع العلائق بين القلوب وبين غير الله مراد وصلها واجب حيث يحرم
رق جميع المخلوقات الى الله تعالى الذي هو المولى وحده الرازق المرزوق فبين تعالى منصب سيد البشر صلى الله عليه
في هذه الاية كما بينه تعالى في قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
فاخبر انه ارسله داعيا اليه باذنه فمن دعى الى غير الله فقد اشرك ومن دعى اليه بغير اذنه فقد ابتدع فاذكر ايضا بدعة
والمبتدع تؤل به ابتداعه الى الكفر وقد امروا ان لا يعبدوا الا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
فكان من اشراكهم انهم احلوا الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم وقد قال تعالى فقال الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق وقال ولو انهم صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم
بالله واليوم الاخر لما اتخذوهم اولياء ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق وقال ولو انهم صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم
فيما اخبر به من الايمان بالله وحده لما اطاعوه فيما امرهم به من الشرك بالله وعبادة غيره وقال تعالى
دين الحق فان الله بعث الرسل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث فامرهم بكل معروف ونهاهم عن كل منكر ولهذا كان من طيبات ما احل لهم وما حرم عليهم خبيثا وكذلك على لسان
تعالى كما قال وقد هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين ولهذا
لما بدأ بتبليغ ما ارسل به عشيرته الاقربين كما امره الله وقال له عمه ابو لهب صنف ابيه

العبد

الذي هو هدى وبيان لنبيه ﷺ وسائر اليوم جامعتنا الا لهذا من بين ذلك الجمع طرده الله عن رحمته وشنع بذكره
في كتاب العزيز يقرأ في محافل المسلمين ومحاريبهم اليوم يرفع القرآن من الأرض حتى تخلو اخبر ولما تأسف صلى الله
على اسلام قومه وعشيرته خاطبه بقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
والمعنى كما قال المفسرون اشفق على نفسك ان لا تؤمن فتهلك نفسك على آثارهم اذا تولوا عنك واعرضوا عن الايمان
بك لما دعوتهم كما يقال فلان يبكي على اثر فلان اذا بكى لفراقه وقد قال تعالى ليس عليك هداهم وقال في الآية الاخرى
انما عليك البلاغ فالاسف اكثر ما يقع على ما فات ومضى وقيل الاسف الحزن والغضب وقيل شدة
الجزع ونظائرها قوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وليس
الذبح قال ذو الرمة ألا أيها الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر يقول الهلك
بالوجد نفسه لاجل شيء قد نحته عن يديه المقادر فلا حيلة لي في ذلك لان الامر بيد مقدر المقادر العليم الحكيم
والمعنى لا تفرط في الجزع لكفرهم فانما عليك البلاغ وكفرهم لا يضر الله شيئا ولا يضرك وانما يضر ذلك انفسهم
فقط ففي هذا يتسلى كل من لحق الله شيء ومنصب رسالة حتى تعطى كل ذي حق حقه وتقصر عباد تك على ما
ده من سبيل الرشد والنفع وان لا يتعبد الا بما شرع على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فتجرد المتابعة له على ذلك لهم

الباب الخامس عشر باب

بتوحيد ربه تعالى والله الموفق

قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير يخبر تعالى عن خوف الملائكة عليهم بانهم اذا سمعوا الوحي خروا سجدا من مخافة الله تعالى وذلك قوله
حتى اذا فزع عن قلوبهم وذلك ان اهل السموات اذا سمعوا صوت الوحي يوحيه الله الى عيسى ومحمد صلى الله عليهما الذي ينزل الى
الارض فسمعوا اصواتا كوقع الحديد على الصفا فذلك صوت الوحي خروا سجدا من مخافة الله تعالى فيهبط جبريل عليه
اهل السماء بعد القاء الوحي اليه على ما امر فاخبرهم بقوله الحق وهو السديد الصحيح الذي حتى اذا فزع عن قلوبهم قا
لوا ماذا قال ربنا يا جبريل قال فيقول الحق على ما امرني قال الحق وهو العلي الكبير وقال بعض اهل اللغة ان حتى
اذا كان موصولا بما اذا يكون بمعنى لما ويقع موقع الابتداء كقوله حتى اذا فتحنا عليهم وحتى اذا فتحت يأجوج
ومأجوج وكذلك حتى اذا فزع عن قلوبهم انما فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ومعناه انجلى الفزع عن
قلوبهم فقالوا عن السجود وسئل بعضهم بعضا قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق بالنصب لانجلاء ما ذا
قد تكون معناه اي شيء فيعرب بالجواب باعرابين نصبا وقد تكون ما وحدها بمعنى اي شيء وذا بمعنى الذي
فعلى هذا تقديره اي شيء الذي قال فتكون جوابا اذا عرفوا ولهذا قرئ الحق بالرفع اي الذي قاله
الحق وبقراءة حتى اذا فزع بنصب الفاء والزاي بمعنى كشف الله الفزع وقراءة الباقين فزع بالتشديد
على ما لم يسم فاعله والقائم مقام الفاعل عن قلوبهم والمعنى ازيل الفزع عن قلوبهم وقيل المسند اليه ضمير
دل عليه الكلام اي يخلي عنهم وقيل خفف وقال مجاهد بعناه حتى اذا كشف عنها العظام يوم القيمة
وبقراءة فزع بالكسر اي انكشف الفزع والغين المعجمة وهي قراءة الحسن اي فزع الفزع عن قلوبهم قال ابو الوفا
وقرئ شاذا اقشر بقاف اي تفرق الفزع عن قلوبهم ومنه قول ابي بكر رضي الله عنه لعمر ايها الرجل لما اجتمع عليه الكل
افرقعوا عني اي تفرقوا ثم قالوا وهو العلي الكبير يعني هو علا واجل واعظم من ان يجعل له شريك في
العبادة فالذي جميع الخلائق خاضعة لامره ومستكينة لعزته فمن هو المعبود وحده الذي
تسأله الرغائب والعطايا وتستدفع به المكاره والبلايا فلم يبق مشرك بعد هذه الآية تعلق
في شركه ولا شبهة الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله فنعوذ بالله
من عمى البصيرة وران القلوب وفي الصحيح للبخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
قال اذا قضى الله الامر في السماء قال العلماء رحمهم الله القضاء يأتي على وجوه وقاله اهل اللغة
من اهل الكتابة والجماعة من اتجهها الى السماء الشيء وتمامه وكماله يحكم عليه وامر او ختم او ادى اذا او
جب او انفذ او امضى فقد قضى وجاء كل هذه الوجوه في الكتاب والسنة وفي هذا الحديث ذكر بين القضاء

الكوني والديني فمن الكوني فقضاهن سبع سموات الآية وقوله فقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين والقضاء الديني كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر كقوله جل ثناؤه ان الحكم
الا لله امر الا تعبدوا الا اياه فليس المراد منه هنا قدر فانه قد اخبر في غير ما موضع انه قد عبد غيره
كقوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقوله افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم
الاقدمون الآية وقال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم الآية والآيات في هذا كثير جدا
فمن ظن ان قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه بمعنى قدر وان الله ما قضى بشيء الا وقع فقد جعل عبادة
صنام ما عبدوا الا الله تعالى ومن قال هذا فهو من اعظم الناس كفرا بما نطقت به الرسل عليهم الصلاة والسلام
ومعنى القضاء في هذا الحديث في قدر من النبوة بحمل الامرين ولعا بعدها فلا يكون الا الكوني لان الديني
انقطع بموته صلى الله عليه وسلم عن كل ارض ولهذا قال تعالى في الآية التي نزلت عليه صلى الله عليه وسلم في عرفة عشيتها اليوم
اكملت لكم دينكم الآية ضرب الملائكة بالجنة خضعانا ورد وغير صحيح حفظا لقوله فيه الا ترى
بان الملائكة رأوا جنة وقد قال تعالى جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء
وفيه ان قوله الذي تخضع له الملائكة علم الله كلامه جل وعلا وليس قولا لذا قال بكر فيه
رد على الجهمية والمعتزلة وقد فرق النبي بين الخلق والامر بقوله الا له الخلق والامر وقال لما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون قال البخاري في صحيحه قال سفيان بن عيينة بين الله تعالى الخلق من
الامر بقوله تعالى الا له الخلق والامر فوصف صلى الله عليه وسلم قوله تعالى كذا يخضع له الملائكة خوفا حتى
انزل بركن الخوف في ابدانها بالسقوط خضعانا على وجوهها بقوله كانه سلسلة على صفوان قال علي بن
بي ينفذهم ذكوان بنفخ او الضارع فوصف صلى الله عليه وسلم شدة نفوذ السلسلة من الحديد على الصفوان وهو
الحجر الاملس الصلب وقد وصف في بعض احاديث بصفاء الرعد كذلك لا يرجع وقوله ينفذهم ذكوان دليل على
ان الغشي يصيبهم كلما سمعوا ما ذكر ولهذا قال حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم وفيه دليل بعد
بان جبريل يتلقى الكلام من فوق رأسه وهم في عنيهم ليلقاه الوحي ولهذا يسألونه ماذا قال ربنا يا جبريل فيجيبهم
بما تالي قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فاذا سمعت ان علم الغيب مطوي عن الملائكة فغيرهم اولى وقد
قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول يسلكون من بين يديه ومن خلفه رصدا وقال في حق
سليمان فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال البخاري في صحيحه قال ابو سعيد وقوله عن قلوبهم فزع
اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات فاذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا انه الحق وهو العلي الكبير
قال البخاري ولم يقل ماذا خلق ربكم فاشار الى الرد على الجهمية والمعتزلة قال لهم انه انما يوقف
فيسمعها يعني كلمة كن فيكون من الكيفية وسترد فيسمع هذا بعض فوق بعض وصفه
سفيان بن عيينة وهو احد رواة هذا الحديث وهو متصل بالسماع والتحديث بلفظ فحدثنا سفيان
بان جعل خفضها الى الارض لهيبتها الى السماء وجعلها الى السماء على حرف ويدنيها اصابعه اي فرق بينها وا
صفا لركوب الشياطين بعضها فوق بعض لاسترق السمع الى عنان السماء فيسمع المسترق كلاما فيلقيه
الى من تحته ثم يلقيها الذي تحته حتى يلقيها اخرهم وهو اسفلهم الى الارض على لسان الساحر او الكاهن
من كان وهذا دليل واضح على صحة وصف سفيان لركوب بعضهم على بعض فربما ادرك الشهاب المتسمع قبل
ان يلقيها الى من تحته وفي تسمية المقذوف به شهابا دليل انه ليس بنجم نفسه وانما هو شهاب يحدثه الله
منه بقدرته جل وعلا كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين لانها هي المادة
التي يخرج منها الشهاب كما ان النار لا يعدمها ولا يزيلها عن طبيعتها القبس منها وربما القاها المستمع
قبل ان يدركه الشهاب فيكذب معها مائة كذبة وفي ذكر من العبرة ما جعل الله لنا في السمع من القوى
والقدرة على سماعه ومع ذكر صرفها عن الكفرة وهم يعلمون فيقال لبس قد قال ابي اي عراة الكاهن لنا
يوم كذا وكذا كذا وكذا من الكلمة الحق التي كذب معها مائة كذبة فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وفي
هذا تنبيه ان الكاهن لا ينفع بصاحب الباطل بما يقع في باطله من الحق وان من عرف

ما لكذب لا يقبل قوله وفيه معرفة ان الشياطين اولاد آدم من بني آدم يشاركونهم في ذكورهم وانهم يضاهون
لكذبهم هذا اخبار المرسل عليهم السلام ليروجوا على الناس ذلك وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء ربك ما فعلوه ولذلك
منعوا وقت المبعث برجم الكواكب بحيث استنكروا واكثروا وفزع بعضهم المعضوض وان كانوا قد رجموا قبل ذلك
لكن كما هو معروف عند العرب في اشعارها وامثالها وسياتي حديث البخاري في ذلك وفيه
مع ما هم فيه من الباطل انهم يعاقبون في باطلهم الملائكة العظيمة ويصبرون على ما يفعلهم فيه من العقوبة
الرعناء الشديدة والمخاطرة على ما يصيبهم من كسب التي تاثيمهم وهي تلتهب ولا تطاق اونباء على ذلك من الانس
كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو
شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه و
ليقترفوا ما هم مقترفون وفي ذلك تنبيه لاهل الحق ان يصبروا على ما يصيبهم فيه فقال
الامام احمد في مسنده ما معناه عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ضربت كذا وكذا اسوطا لاقر
بحق فصرت وانا اقرؤا نضرب على الكذب الباطل يعني فلا يكون صاحب الباطل على باطله اصبر منك
على الحق وكان الامر بعد كما قال عليه السلام وروى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الملائكة تتحدث في العنان والعنان الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها
هاهنا واذن الكاهن كاقرار القارورة فيزيدون معها مائة كذبة وفي رواية ابي مالك الاشعري ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان
فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم وفيه ايضا عن عائشة رضي الله عنها قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم
في نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية اذا رايتموه قالوا
كنا نقول لموت عظيم او لولد عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى
امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح اهل هذه السماء ثم
يسال اهل السماء الذين يلون حملة العرش ماذا قال ربنا فيخبرونهم ثم يستخبر اهل كل سماء حتى يبلغ الخبر اهل
السماء الدنيا ويخطف الشياطين فيسمع فيرمون فيقذفون الى اوليائهم فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم
يزيدون وفي رواية قال يعمر قلت للزهري اكانوا يرمون في الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين
بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان
رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وكلام كثير هذا يشهد لما قدمناه وانما انكر العدد
كثرة الرجوم بالنجوم لا وجوده لصحة الاخبار عن العدد بوجوده قبل المبعث وذكر في اشعارها وذكره
عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الزهري بنحو ما ذكر البخاري ولفظه انه سئل عن هذا الكواكب
اكانت ترمى بها في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله فاتبعه شهاب ثاقب اكان ذلك قال
اي هليه ولكن اذا سلم غلظ وشدد ورواه ايضا عن اسحق قال الزهري وقلت
اكان هو يسيرا شديدا وسهما فرمت ايما حينئذ فروى ابو جعفر العقيلي في كتاب الضعفاء عن
رجل من بني لهب قال له لهبي قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عند الكهانة فقلت بالي
وامي نجم اول من غرض فراست اكهان وزجر كتيطين ومنعهم من استراق السمع عند حرف النجوم وذكر
انا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد اتت عليه مائتا سنة وما نولد
وكان من اعلم كهاننا فقلنا له عند ذكر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا
لها وخشينا سوء عاقبتها فقال اغدوا الي بسحر فذكر قصة طويلة وفيها انهم اتوه سحر اليوم الثاني
القصة ثم عظم وصرح الكاهن بذكر اقتراب صاحب الامر الذي يبعث بالتنزيل والقرآن وبالكتاب وفاصل الفرقان تبطل
به عبادة الاوثان ثم ذكر كلاما طويلا ثم قال هذا هو الذي اخبرني به رئيسي الجان ثم
قال لنا حين اكفهر وطهر وانقطع عرى اخي ثم سكت واغمي عليه فافاق الا بعد ثلاث
ثم قال فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل النبوة وانه ليبعث
يوم القيمة امة وحده وذكر في خبر ان المبعوث من قريش من بني هاشم ولا ريب

... لما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حفظت السماء وملئت حرسا شديدا وشهبا فحفظت من سائر ارجائها وطردت
الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها للسمع قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من الوحي فيلقونه على السنة الكهنة
فيلتبس الامر ويختلط ولا يدرى من الصادق فكان هذا من لطف الله تعالى بخلقه ورحمته بعباده وحفظه لكتابه ولهذا
قال عن الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
الآن يجد له شهابا رصدا يقول من يروم ان يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه
بل يمحقه ويهلكه ثم قال وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فاضافوا الخير الى الله تعالى
واسندوا الشر الى غير فاعل وان كان الكل بخلق الله ولهذا صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال في دعائه والشر ليس
اليك وبما تقدم يظهر سر كثرة الرجوم بالنجوم وقد قال السدي لم تكن السماء تحرس الا ان
يكون في الارض نبي او دين ظاهر وذكر ان اول من فزع لذلك اهل الطائف فاتوا ابليس فلما فزعت اليه
الشياطين امرهم ان ياتوه [illegible] كل ارض بقبضة من تراب فاتوه بذلك فيها وقال صاحب ... في قصة طلوع
ليلة ذكرها بعثه حتى نصيبين فوجدوه صلى الله عليه وسلم قائما يصلي وقوله في الحديث المتقدم فيقرها
في اذنه كما تقر القارورة قالوا معناه كما يسمع صوت الزجاجة اذا حلت على شيء او القي فيها شيء وقال القابسي المعنى
انه يكون لما يلقيه الى الكاهن حس كحس القارورة اذا حركت باليد او على الصفا وقال الخطابي المعنى انه يطبق
به كما يطبق رأس القارورة برأس الوعاء الذي يفرغ فيه منها ما فيها وفي الرواية الاخرى قر الدجاجة وفيه
معنى التشبيه فكانه شبه ترداد ما اختطفه من الكلام في اذن الكاهن بصب الماء في القارورة ويحتمل ان يشبه
ترديد الكلام في اذنه بترديد الدجاجة صوتها في اذن صواحبها وهذا مشاهد ترى الديك اذا رأى شيئا ينكره
يقرقر فيسمعه الدجاج فتجتمع وتقرقر معه وباب التشبيه واسع وفي رواية الزجاجة ومعناها القا
رورة وقد انكرها الدارقطني وقال انها تصحيف وانما هي الدجاجة بالدال وروى البخاري حديث ابي هريرة
المتقدم من وجه آخر فقال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا السند
الحديث الذي اورده المصنف الا ان عليه فيه ... ولفظه هنا عن ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان قال علي وقال
غيره على صفوان ينفذهم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير
فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين اصابع يده
اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه
حتى يرمي بها الى الذي يليه الى الذي هو اسفل منه حتى يلقوها الى الارض وربما قال سفيان حتى تنتهي الى الارض
فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون الم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجد
ناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عوف واحمد بن منصور
بن سيار الرمادي والسياق لمحمد بن عوف قالا حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر
عن عبد الله بن ابي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان رضي الله عنه هو النواس بتشديد الواو ثم
... قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
مهملة بن سمعان بن خالد الكلابي ... والكلام الخفي والالهام ومنه
ان يوحي بالامر تكلم بالوحي الوحي يقع على الرسالة والكتابة والاشارة
وحاه الرعد ويقع ايضا على الالهام قال ابن سيده يقال وحى وحيا كتب والوحي المكتوب
ايضا قال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها
والمعنى ان هذه المنازل كانها كتابة في حجر لانه ذكر ان السيل ... نقشه بالكتابة ليس يعني ...
فلا يتبين الا لمن قرب منه فوصف الاثار الدارسة بذلك والمدافع مجاري الماء والريان واد بالحمى ... وغول
قال النضر بن شميل ومنه سمعت وحاه الرعد وهو صوته الممدود الخفي ... وحاه ... استوحيناهم
وكل كلام خفي ايضا يسمى وحيا وقال ... يصف ... ذكر النعام عند ادحيه ... على الكتابة
يوحي اليها بانقاض ونقنقة كما تراطن في افدانها الروم ومثله ...
قول ... حتى ... وحي ... ما حظ ... منها ... سلم
وقال ابن الانباري سمي وحيا لان الملك يستره عن جميع الخلق ويكون الوحي بمعنى الامر قال تعالى واذ

اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي ومعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى وقد ذكره
العلماء هاهنا تطرقه تصوفه على خواطرهم ما قواعدهم اوحى الى ويقصدون بهذا المعنى ما فيه من التلبيس
على الناس والتشبه بالانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا اللفظ المخصوص بهم فاذا اخبر بذلك عن
غيره كان دعوى كالنحل جائز ويقال ايضا اوحاه ووحى وحيا بمعنى قال الفراء اوحيت اليه بمعنى واحد
واسدية اذنت لربها وحقت وهي محركة اي حق لها ان تسمع وتطيع وهي تحركت وهي شديدة وهي
والرجفة شديدة الحركة والاضطراب خوطاب الله تعالى نبيه وظاهر هذا انه اخذ اسمعوا نفسها وهلها وبدا على قوله
فاذا سمع ذكر اهل اسمعوا اسمعوا ويحتمل ان يكون بحذف المضاف اي اخذت اهل اسمعوا رجفة على حد قوله واسئل
القرية التي كنا فيها الاية او قال اخرون الله سبحانه اسمعوا فاصعقوا ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه كصاعقة
كعروض ربما عاقبه ولهذا ورد انه ينتظر بالمصعوق ثلاثا فهذا حال الملائكة عليهم الصلاة والسلام ولكن حتى يسمع كلام الله
كذا عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ولو بآية من مثله حتى قرءوا على انفسهم انه لا يقوله البشر حتى قال الوليد
حتى اسمع الى حلاوة اكبر صلى الله عليه وسلم له ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمعذق و
انه ليحطم ما تحته وفي لفظ انه ليعلو ولا يعلا وما تقول بشر وهو بين يقول وان احدا من البشر يقدر على مثل هذا
حتى يسمع كلام ويقول كلام هذا قول البشر او عبارة جبريل حتى يسمع كلام الله فيكلم الله من وحيه ما
فيوحي الله من ذلك القول ما شاء فيكون وحي الله جبريل عليه الصلاة والسلام وقد رفعوا رؤوسهم من صعقتهم عند
ما ارادوا من امره جل وعلا ثم مر جبريل على الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقد رفعوا رؤوسهم من صعقتهم عند
سماعهم كلام الله تعالى بالوحي كلما مر بسماء من السماوات سئل حملتها فاذا قال ربنا يا جبريل وفي هذا
دليل انهم لا يعلمون الوحي من الصعق الذي يصيبهم في اول وهلة وان جبريل عليه السلام هو المخصوص من بينهم عليهم الصلاة
والسلام بالوحي وهو كتفسير بين الله وبين انبيائه ورسله فيقول لهم جبريل عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير
قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الذي اوحى الله اليه حيث امره الله عز وجل فمن
كل سماء الى الارض وكذا روله زجر ترى به وبن حسن عمن ذكره عن ابان البصري عن يعمر بن حماد
به وقد روى عن ابي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس وعن قتادة انما مر قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا
يا شد ايجاء الله للرعد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه السلام قالوا اولا اشك ان هذا
اولى ما دخل في هذه الاية ومن لم يذعن للوحي الذي نزل به جبريل الامين على خاتم المرسلين لم يدخل في عليين
والسلام الى يوم الدين ويعتد به وصن بما شرع له في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فليس من الله في شيء و
الله الموفق

الباب السادس عشر باب

الشفاعة وقوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع لعلهم يتقون قال بعض المفسرين الضمير في قوله وانذر به لما يوحى اليه انه في سياقه اي
خوف بما يوحى اليك الذين يخافون ان يحشروا اي يبعثوا ويجمعوا اليهم وقيل يخافون اي يعلمون لانهم لو
كان من علمهم وكم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون ان يموتوا كفارا حقر ابا او مترددا فان الانذار
ينتجع فيهم دون الفارغين عنه اجازتين باستئنافية وهذه الاية كقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون فسر الوحي في هذه الاية روحا كقوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا الاية لانه تحيى به القلوب فيموت به الكفر والباطل وقوله من امره وفي الاخرى من امرنا
يدل على ان القرآن كلام الله حقيقة غير مخلوق لانه سبحانه فرق في الاية الاخرى بين الخلق والامر فقال الا
له الخلق والامر وقوله ان انذروا انه لا اله الا انا ليس المراد انذروا من التوحيد وانما هو معلق بضده
وهو الشرك لانه اذا اعلموا ان التوحيد حق وليسوا عليه فقد خوفوا ما عليهم من وبال الباطل يدل عليه قوله
فاتقون وقوله قبلها سبحانه وتعالى عما يشركون ومفعول الانذار محذوف تقديره بان انذروا المشركين العذاب
اي اعلموهم به لانه لا انذار الا انا فهذه الاية يأتي بيان بعضها بعضا فلا حاجة لذكر ذكرناها التوضيح بعضها بعضا
وقوله ليس لهم من دونه ولي اي قريب ينفعهم ولا يشفع يشفع لهم لعلهم يتقون عما نهيتهم عنه
ليسلموا هول ذكر اليوم العظيم الذي لا حاكم فيه الا الله الواحد القهار وانما نفى الشفاعة لغيره مع ان
الانبياء والاولياء والشهداء والاطفال يشفعون اذ كل يوم لانهم لا يشفعون الا باذنه تبارك وتعالى

لما بطل فنفى سبحانه ما زعم المشركون ويطلبونه من الآلهة الذين يدعون من دون الله تعالى وقوله قل لله الشفاعة
جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ذكر سبحانه هذه الآية الكريمة في سياق قوله ام اتخذوا من دون
الله شفعاء اي عبدوهم للشفاعة عند الله كقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى الآية ولهذا قال قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي فيشفعون بكل لركانوا على هذا الصفة
كما تشاهدونهم جمادا لا تقدر ولا تعلم فلذلك قال بعد هذه قل لله الشفاعة جميعا وقال بعض المفسرين لعله
ربما عسى ان يجيبوا به وهو ان الشفعاء اشخاص معقولون والاصنام تماثيلهم والمعنى ان الله سبحانه
مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها فاذا كان الامر كذلك فكيف يجعلون لله
الشفاعة جميعا فاتخذوهم من دونه ثم قرر عز وجل ذلك فقال له ملك السموات والارض اي هو مالك الملك كله لا يملك
احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون اي يوم القيمة فيجزي كل له الملك في الاولى والاخرة
قالوا واللام في قوله ام اتخذوا صلة ومعناه لا تخذوا اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ والزجر
وهذه الآية كقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا فان كتاب الله يصدق بعضه بعضا فاذا تحققنا ان لا شفاعة الا من رضاه واذنه تعالى
علمنا بذلك ان الشفاعة لله جميعا لانها اذا كانت صادرة عن اذنه فهي منه سبحانه وهو المستقل بها حينئذ لا
لاحد غيره وهو معنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون يامرنا ربنا تبارك وتعالى وهذه الآية الكريمة المؤمنين ان ينفقوا مما رزقهم
من الانفاق الواجب كالزكاة ونفقة العيال وما تصل الوعيد بترك انفاقه ولهذا قال يهدد تاركي ذلك من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والمعنى من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرط
منكم من الانفاق ولا خلاص من عذاب الله اذ لا بيع فيه فتحصلوا به ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يتعطف
عليكم اخلاؤكم او يسامحكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تشفع لكم
من دون الله في حط ما في ذممكم عنكم ولهذا قال والكافرون هم الظالمون اي التاركون الانفاق الواجب وهذا من
وضع الامر غير موضعه وكفروا النعمة والكفر هنا من الكفران لا من الكفر الذي هو ضد الايمان خطاب للمؤمنين فوضع الكافر في
موضعه تغليظا او يقدر له كقوله وما كفر سليمان اي ما ترك وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة على قول وقوله ايضا من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا استفهام بمعنى
الانكار والنفي وبيان للملوك وكبريائه جل وعلا اي لا يتجاسر احد يوم القيمة بشفاعة وغيرها من الكبائر فما
الامر وفي بعض نسخ التوحيد غير ضاحك بضم الحاء وقوله تعالى وقوله تعالى وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال
عباس رضي الله عنهما فيما رواه البيهقي عن الذين ارتضاهم بشهادة ان لا اله الا الله وغيرهم حتى يشفعون وهما
تان الآيتان ليستا في اصل الشفع كما ذكرناه فلعل اكتفاها بعد فقوله تعالى وكم من ملك في السموات الآية
سبب الآية لما ذكر تعالى قوله ام للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى قيل ان الانسان اعتقد بقوله وكم من
ملك في السموات الآية تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى والمراد منه نفي طمع المشركين في
شفاعة الآلهة التي يعبدونها من دون الله ولهذا قال في الآخرة والاولى قيل في الآخرة والاولى ويقال
اهل السموات والارض كلهم عبيد ويقال نفاذ الامر في الآخرة كالاول له ويقال جمعها قهرا بيد الله وحده لا شريك له والكل
تحتمله الآية ولهذا قال جل وعلا في الآية الكريمة وكم من ملك في السموات الآية تغني شفاعتهم شيئا ان لا تشفع شفاعتهم
رد القول بانهم يشفعون لمن استقل الا بامر الله تبارك وتعالى فقال الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى من الملائكة
ان يشفع او من الناس ورضي ان من كان ما معه التوحيد فيراد اهله اذ كيف تشفع الاصنام لعبدتها فعلم
سبب الشفاعة ما ترتضي رضاه من المشفوع له واذنه له فاذا فعلوا ذلك فعسى ان يكون الامر كله لله ومن فليس احد
من الامر شيء واعلا اخبرهم عن الملائكة المقربين وهم عبيد لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمونه
بين يديه ولا يفعلون شيئا الا من بعد اذنه وامره كما حكى الله سبحانه من قول جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله وما
ننتزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فاذا اشركوا بهم المشركون واتخذوا
هم شفعاء من دونه ظنا انه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله وفي من اجعل الغني بحق الربوبية
وما يجب له ويمتنع عليه فان هذا المحال يمتنع بديهة في حق كل من جار على الملوك والكبراء حيث يتخذ من خواصهم

استقلال الشفاعة بالله تعالى

واولياءهم ليشفع عندهم في قضاء الحوائج وبهذا التقدير صاروا اتخذوا من دون الله شفعاء والاولياء
فصل ان الشفاعة التي نفاها القرآن هي الشفاعة الكفرية التي يعرفها الناس ويفعلها بعضهم في الدنيا
اطلق نفيها في كتابه وضدها المثبتة باذنه ورضاه التي اسعد الناس بها يوم القيمة اهل التوحيد الذين
جردوه وخلصوه من شوائب الشرك وهو الذي ارتضى سبحانه وله قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن ورضي له قولا فان قيل فما الجمع بين هذا الاستثناء من الاذن المذكور في هذا الآية فنقول
قال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله حيث ادعيتم انهم يضرون او ينفعون تجدونهم لا يملكون
من ملكه تعالى وقدس مثقال ذرة وذكر احقر ما يكون فهم لا يملكون شيئا في السموات ولا في الارض اي ليس
بقي لكم فيه الا احاطة ملكه جل وعلا بذلك واحتوائه عليه فالمانع في سبحانه الملك عنهم في ذلك اعقبه جل وعلا بنفي
كونه لهم ذلك فقال وما لهم فيهما من شرك ثم عقبه ذلك بنفي الظهير له فقال وما له منهم من ظهير
ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تكون الا لمن اذن له جل وعلا بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
اذن له فقطع تبارك وتعالى جميع مواد اهل الشرك وعلائقهم التي كانوا يتعلقون بها معه ودنا الله تعالى
بهذه الآية الكريمة وقد تقدم الكلام عليها في هذا الشرح مستوفى والله ولي التوفيق قال الشيخ الامام
تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية
الحراني الدمشقي الحنبلي الامام العالم العلامة المجتهد الفقيه الحافظ الناقد المفسر البارع المتفنن في علوم
شتى الزاهد الورع شيخ الاسلام علم الزهاد وفرد العباد ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستمائة بحران ووقت
بها والده وباخوته الا مشق عند سيدي التتار على البلاد سنة سبع وسبعين فسمع بها من ابن عبد الدائم وابن
ابي اليسر والمجد بن عساكر ويحيى الصيرفي والفقيه احمد بن ابي الخير احمد والقاسم الاربلي وشمس الدين بن ابي عمر و
طائفة وخلق كثير وعني بالحديث وسمع المسندات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير وطائفة صالحة
من الكتب الكبار والاجزاء وقرأ بنفسه وانتسخ جملة صالحة وبرع واقبل على العلوم فبرع في صغره في حدود الفكر والاصول
والنحو على الشيخ ابي محمد عبد الرحيم بن ابي عمرو زين الدين بن المنجا وبرع في ذلك وطالع وقرأ في العربية اياما على ابن عبد
القوي ثم اخذ كتاب سيبويه وقابل فهمه واقبل على تفسير القرآن الكريم وبرز فيه واحكم اصول الفقه و
الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ونظر في علم اهل الكلام والفلسفة وبرز في ذلك
على اهله ورد على رؤسائهم واكابرهم وصنف وناظر للتدريس والفتوى وله دون عشرين سنة واعده
الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم وربط النسيا حتى قال غير واحد انه لم يكن
يحفظ شيئا فينساه ثم توفي والده وكان له حينئذ احدى وعشرين سنة فقام بوظائفه بعده فدرس
بدار الحديث السكرية في اول سنة ثلاث وعشرين وحضر عنده القاضي بها زين الدين بن الزكي والشيخ تاج
الدين الفزاري وزين الدين بن المرحل وزين الدين بن المنجا وجماعة وذكر درسه في التسعين وهو
مشهور بين الناس وعظم اجماعه الناظرون وانتفعوا علما كثيرا قال الذهبي وكان تاج الدين
الفزاري يبالغ في تعظيمه قال وكذا شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي قال البرزالي في تاريخه شرع شيخنا تقي الدين
احمد بن تيمية في الجمع والتصنيف دون العشرين وقال الذهبي في معجم شيوخه برع في تفسير القرآن وغاص في
دقائق معانيه بطبع سيال وخاطر الى المواقع الاشكال صبا وتسنط منه اشياء لم يسبق اليها
وبرع في الحديث وحفظ فقلما يحفظ ما يحفظه معزوا الى اصوله وصحابته مع سعة احتضاره له
وقت اقامة الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين
واتقن العربية اصولا وفروعا وتعليلا واختلافا ونظر في المعقول وعرف اقوال المتكلمين ورد
عليهم وحذر منهم ونصر كتابا وضح بحجج وابهر لعين واوذي في ذات الله من المخالفين واخاف
في نصر السنة المحضة حتى اعلا الله منارها وجمع قلوب اهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت الله
اعدائه وهدى الله به رجالا من اهل الملل والنحل وجبل قلوب الجمهور على الانقياد له و
احيا به الانام بالاسلام بعد ان كان منسلخا ومحسنه كثيرة قال وهو اكبر من ان يثنيه على سيرته
مثلي فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني ما رايت بعيني مثله وانه ما رى مثل نفسه

قال الذهبي

قال الذهبي وقرأت بخط شيخنا العلامة كمال الدين بن الزملكاني ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم ابن تيمية
كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم انه لا يحسن غيره
وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا وفي هذا هم من اكابر كثير قولا يعرفون انه نازل
احدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علم الشرع او غيره الا فاق فيه اهله و
اجتمعت فيه شروط الاجتهاد وعلى وجهها وله مصانيف في ذلك سماه تذكرة العارف بان تنكر
سارت هي الشمس في الاقطار واحتلات بها البلاد والامصار حتى جاوز سعد الحقيقة فلا يمكن
احد احصرها ولا يتسع هذا الكلام لعد المعروف منها ولا ذكرها في جملة تعالى فلم واسعه
فلما توفي ضاق بل سبع جنازته الفضاء وكثر البكاء عليه والتاسف وذكر مناقبه الفضاء فلا جاز لذكر
جعل كلامه قدس الله روحه فاصلا للمشكل حيث قال المصنف رحمه الله تعالى قال ابو العباس بن تيمية يعني
على هذه الآية الكريمة جمعا بين اية الشفاعة وبيانا انه ليس بينهما اختلاف بل بعضها يوافق بعضا
ويصدق بعضها بعضا ويعلم ذلك من هذه الآية المحكمة حيث قال في الكلام المذكور نفي الله سبحانه
عما سواه في هذه الآية كل ما يتعلق به المشركون في شركهم فنفى جل وعلا ان يكون لغيره ملك او قسط
منه اي شركة من الملك بقوله وما لهم فيهما من شرك او يكون الغير عونا له تعالى في ذلك بقوله و
ماله منهم من ظهير ولم يبق بعد هذا النفي الا الشفاعة فبين جل وعلا وتقدست اسماؤه في هذه
الآية الكريمة انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب تعالى فيها ان يشفع لمن شاء من خلقه بقوله ولا تنفع
الشفاعة الا لمن اذن له فالشفاعة التي يعلم المشركون ممن عبدوا من دون الله منتفية عنهم
كما نفاها القرآن المجيد وهي التي نفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتواتر عنه الذي اجمعت الامة على صحة
وثبوت ما دل عليه الامن اعمى الله بصيرته بخروجه في ذلك عن فهمه وفيه انه صلى الله عليه وسلم يأتي اولا فيسجد
لربه تحت العرش ويحمد الله تعالى في سجوده بمحامد يلهمه اياها حينئذ لا يبدأ بالشفاعة اولا فبهذا
يعلم انها لا تكون الا من اذن الله تعالى كما نطق بذلك القرآن الكريم فلا تطلب منه وطلبها من غيره شرك
ثم عقب ذلك بجاه صلى الله عليه وسلم في دعائه وقال له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع
تشفع ففي هذا ان حمد ربي والثناء عليه من اقوى اسباب الاجابة لطالبه تعالى في حين ما قال له
صلى الله عليه وسلم ذلك يرفع رأسه ويشفع فيشفع ولولا الاطالة لاوردنا لك من احاديث الشفاعة
الخاصة والعامة في هذا المقام وسقناها بالفاظها لكنها معلومة في امهاتها من دواوين المحدثين
من علماء الاسلام واعلامهم فلا اذكر الا ان شاء الله حديثا في صفة شفاعته صلى الله عليه وسلم لامته

حديث قال البخاري في صحيحه حدثنا مسدد بن مسرهد بن حرب بن مطاهر بن زيد بن عبد
بن هلال العنزي قال اجتمعنا نفر من اهل البصرة فذهبنا الى انس بن مالك رضي الله عنه وذهبنا معنا بثابت
اليه ليسأله لنا عن حديث الشفاعة فاذا هو في قصره فوافقناه يصلي فاستأذنا فاذن لنا وهو
قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسألنه عن شيء اول من حديث الشفاعة فقال يا ابا حمزة هؤلاء
اخوانك من اهل البصرة جاؤك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون ادم فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول
لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كلم الله فيأ
تون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها و
لكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فاقول انا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني
محامد احمده بها لا تحضرني الان فاحمده بتلك المحامد واخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج منها
من كان في قلبه مثقال شعيرة من الايمان فانطلق فافعل ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له
ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي

فيقال انطلق فاخرج منهما من كان في قلبه مثقال ذرة او خردلة من ايمان فانطلق فافعل ثم اعود
فاحمد بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع
فاقول يارب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة خردل
من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس قلت لبعض اصحابنا
لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل ابي خليفة فحدثناه بما حدثنا انس بن مالك فاتيناه فسلمنا
عليه فاذن لنا فقلنا له يا ابا سعيد جئناك من عند اخيك انس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا في
الشفاعة فقال هيه فحدثناه بالحديث فانتهى الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم
يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا ادري انسي ام كره ان تتكلوا
فقلنا يا ابا سعيد فحدثنا فضحك وقال خلق الانسان عجولا ما ذكرته الا وانا ارتد ان احدثكم حديثا
كما حدثكم به قال ثم اعود الرابعة فاحمد بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب اذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول وعزتي
وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله هذا لفظ البخاري وعند
مسلم عن عثمان رضي الله عنه مرفوعا من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وروى البخاري
ايضا عن انس رضي الله عنه في الشفاعة نحو ما تقدم عنه الا ان ظاهرها العموم منه صلى الله عليه وسلم لجميع
من في النار من اهل لا اله الا الله ولهذا قاله خادمه ابو هريرة رضي الله عنه كما في صحيح
البخاري وغيره حين سأله من اسعد الناس في لفظ من احق الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسألني عن هذا الحديث احد اول منك لما رأيت من حرصك على الحديث
اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وفي لفظ خالصا من نفسه
وفي لفظ للبخاري من قلبه وعند البيهقي وابي نعيم والخطيب في رواية مالك والدارقطني
في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في ليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين
مئة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر وقد تقدم دليل ان اخلاص القلب
شرط لصحة الايمان وان اللفظ لا يكفي مجردا ذكرنا ان الايمان لا يصح الا بشرط الكفر بالطاغوت وهذا معنى
قوله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه واذا خلص عند الله
الصافي من كدر قال مختصا احسبه كلون اللبن الخالص نصله دهنا واصوبه فليس بكاذب وقال
وقال بعض الصحابة في قبض روحه اعوذ بالله من الرياء يا لغب مخلصا قال الكرابيسي لاخلاص النعري
عن كل ما دون الله تعالى ذكره في مفرداته ويقال اخلص كذا اذا صفى عما يشوبه وخلص اذا صفى واكد
على هذا ان شهر من ان يذكره فلا نظير لذكره قال تعالى الا الله الدين الخالص والاخلاص كدين الا بالاخلاص
وهو الا يكون شيء من حركات العبد ولا من سكناته من قول او فعل الا خالصا مصفى له من الخلل والشوائب
حاركونه حنيفا قاصدا الى الحق عن الباطل فرارا عن سنن الحق وهذا لا يحصل الا بالصدق وقد قال
عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه في غنيته الصدق صحة التوحيد مع القصد قلت
وحقيقة الصدق الثبوت في جميع الاعمال والاحوال على قدم الحق والاستمرار على ذلك في جميع الاحوال
على الدوام وذلك في ثلاثة وجوه صدق القلب وصدق القول وصدق الفعل كذا
هو النقل ولهذا قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وفي لفظ مخلصا وفي لفظ صادقا من قلبه اي قائلا
لم تزعزعه سلبة ولا اثرت فيه ريبة ولم تشبه ما تكره كقوله تشفيكم ما في بطونها من بين فرث
ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين يعني ليس فيه شيء مما جاورهن فهو حسن اللون حسن الريح
حسن الطعم فكل خالص حسن طيب وكل حسن خالص طيب عموما في الوجوه كلها او خصوصا قال تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله ليبلوكم
ايكم احسن عملا وليس افعل التفضيل في قوله صلى الله عليه وسلم اسعد الناس بشفاعتي يراد به جميع
الكمل

فانه لو كان كذلك لدخل الكافر وذلك باطل قال ... بي الحاجب في امالية ومعناه للزمخشري وبهرام
وغيرهم من ائمة العربية في قولهم اكرم الناس يلزم ان يكون لجميع الناس كرما في قصد المتكلم وهو باطل وكذا
قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا وكذا البعض والبعد
فانه يلزم ان يكون المخاطبون شركاء في اصل ما اضيف اليهم من المحبة والبعض والبعد مع انهم ليسوا
كذلك في القصد قال والجواب ان معنى حكم ان احب المحبوبين منكم وكذا اقربكم وابعضكم
وابعدكم فاذا عرفت معنى هذا الحديث على هذا الوجه اسعدك ان شاء الله فيم بسفاعتي من قال
لا اله الا الله خالصا من قلبه فالاضافة على هذا الوجه الجميع الناس ليست للتفضيل على المضاف اليهم
بل لمجرد التخصيص لما قالها مخلصا وانما التفضيل في الاضافة على الوجه الذي ذكرنا بين اهل المشفع فيهم تفاوت
ظاهر بدرجة الاخلاص فيها وهو تفاضل بعيد لا يضبط فصار بعضهم باسعد بشفاعة اسعد من بعض
اذ الكافر لا حظ له في هذه الشفاعة ومعنى هذا الوجه كما خبرت ان راوا ان المفضل لا بد على
المضاف اليهم في خصلة التي هو والمفضل عليه فيها شركاء وقد اجتمع الوجهان في هذا الحديث
فالاول بين المؤمنين والكافرين من الناس فاضافته فيه الى الناس انما هو لمجرد تخصيص اهل الارض
الله من الناس بالشفاعة دون الكافرين منهم فهذا معنى الوجه الاول ويبقى في الوجه الثاني هو
كتفضيل بعض المشفوع فيهم اهل لا اله الا الله في شفاعته صلى الله عليه وسلم بحسب مراتب تحقيقهم لها واخلاصهم
وامالفظ السعادة في الحديث فهي ضد الشقاوة اذ هي اعظم الكنوز واعلاها رتبة
في حق الادمي ولا تحصل للانسان هذه السعادة الا بالعلم بالله ورسوله والعمل بذلك وذلك داعي التقوى
فالعلم اذا كما قال عالم قريش الامام الشافعي رضي الله عنه افضل الاعمال وهو احد الروايتين عن الامام احمد اذ هو
اصل كل عمل والمشهور عن امامنا احمد ان الجهاد افضل الاعمال وقد قال قتادة رحمه الله تعالى في قوله ان
اكرمكم عند الله اتقاكم ان اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور فبهذا نعلم ان تقوى الله تعالى هو القطب الذي
عليه مدار السعادة وهي الاساس الذي لا يصح البناء الا عليه في العادة والسعادة محل العاقبة قال تعالى
والعاقبة للمتقين وقال والعاقبة للتقوى وقال انما يتقبل الله من المتقين وهم اهل كلمة التقوى التي هي
لا اله الا الله وهذا هو الاصل الذي لا ينهدم البناء عليه على ما تقدم وقد قال عبد الله
بن الامام احمد ابي انه قراءة بعد ان قرأ بعد ان يتقبل الله من المتقين فقال اي يتقي الاشياء لا يقع فيها
لا يحل وحكاه بالجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما والمراد به كما قال بعض المفسرين ان يتقي الكفر والزنا والمعاصي كلها فيحفظ
من الطاعة بالمعصية منها فتكون كانها تقيد بالكلية قال القرطبي عند اكثر المفسرين ان
المراد بذلك الوجود قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه الامن اتقى الله في عمل فعمله كان
خالصا وان قول السلف والائمة قال وعند الخوارج والمعتزلة الامن اتقى الكبائر وعند
المرجئة الامن اتقى الشرك وقد سئل ابو الموصلي علي بن ابي طالب رضي الله عنه كما ذكره عبد الله بن احمد
في زوائده عن التقوى فقال الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد
للرحيل قال العلماء رحمهم الله تعالى وقد يستدل على التقوى بثلاث حسن التوكل فيما نزل وحسن
الرضى فيما نيل وحسن الصبر على ما فات قال شيخ الاسلام ابو العباس بن تيمية قدس الله روحه
فقد تكون الشفاعة المذكورة التي حاصلة لاهل الاخلاص وهم اهل شهادة ان لا اله الا الله بان اذن الله تعالى لاهل
الموقف ان يشفعوا كما اذن لمحمد صلى الله عليه وسلم وحقيقته اي حقيقة ان يجيء الاذن لقوم في الشفاعة لهم
والمنة او ان الضمير في ذلك للمكان والقصة وحاصل الكلام في ذكر ان الله سبحانه وتعالى يفضل على هذه
خلاص فيغفر لهم ذنوبهم بواسطة دعاء من اذن له اي شيء من نبي او ولي او فصيح او صديق او شهيد او
يشفع لبكر من الناس بحيث لا يدخل عليه باذنه شفيعا سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولكن ينال بذلك
تفضلا من سبحانه المقام المحمود الذي وعد في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يحمد به الاولون والاخرون
وهي الشفاعة العظمى ليفعل بنا ما يرغب وتعالى به ذكرا انه كان وعده مفعولا وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة

انه كان وعده مأتيا
ان كان وعد ربنا
لمفعولا

لعباده المومنين شفاعة لا نصيب فيها لمشرك الجنة وهي الشفاعة التي باذن تعالى ورضاه **فهذا**
كله ظاهر من الآية المتقدمة **وفي** هذه الآية نور وبرهان ونجاة وتجريد التوحيد كذلك
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ودعا اليه وقطع الشرك واصله ومعاده الذي بعث صلى الله عليه وسلم لمحوه
من الارض وقتال اهله حتى يتبرؤا منه ويخلصوا الدين لله تعالى **وفي** القرآن من امثال هذه الآية و
نظائرها كثير لكن اكثر الناس لا يتعرض لدخول الواقع تحته او تظنه له وتظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل
ولم يعقبوا او رثا على مذهبهم **وهذا** هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن فافهم وان كان او يكون قد
خلوا فقد ورثهم من هو شر منهم او دونهم وتناول القرآن لهم كتناوله لاولهم وكل امر كما قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية **قال**
العلماء رحمهم الله تعالى ومن لم يعرف هذه الآية ونظائرها حق المعرفة ويعرف الشر كما ذكر وما عابه القرآن
وذمه وقع فيه وافاده ودعا اليه وحسنه وصوبه وهو لا يعرف انه الذي يعلي اهل الجاهلية او نظيره
او اسوء منه او دونه فينقض عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة
والسنة بدعة ويكفر الرجل بحمد الايمان ويتجرد التوحيد او يبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
ومفارقة اهل الاهوى والبدع **وفيه** مع ذلك الى تنقص الرسل والاولياء ومن له قلب
وبصيرة **علم** ان هذا هو غاية تعظيم حق الله واهله **فحق** الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه فيما امر وقد امرنا
ان نسأل له الوسيلة والفضيلة وان يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وانا بهذا نحل الى شفاعته
صلى الله عليه وسلم يوم القيمة وامرنا بسؤال الله سبحانه بذلنا عنه واخبرنا انا ذكر مقرون بتعظيم الله و
عقابه وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فحقه صلى الله عليه وسلم ان لا نقدم على قوله وهديه
قول قائل وان بغزه ونوقره في الرسالة الذي هو حقه ولا نرفعه فوق منزلته التي انزله الله تعالى
اذ هي اعلى المنازل والمراتب فلا اعلا منزلة للعبد عند الله من الرسالة والعبودية **ولهذا** كان
يذكره الله المقام المحمود الذي يحمده به الاولون والآخرون **وقد قال** كثير من هذه الامة
الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث **وقال** ابو عيسى سعيد بن سليمان عن منصور
بن ابي الاسود عن ليث فكلاهما عن ليث عن ابي يحيى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اولهم خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر **قال** ابو عيسى هذا حديث حسن غريب **وفي صحيح** مسلم عن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيمة وانا اول من يقرع باب الجنة **وعند** ايضا عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وهل من يشق عنه القبر وبيدي
لواء الحمد واول شافع واول مشفع **وروى** ابو عيسى هذا ايضا **وعند** ابو داود والترمذي وقال
صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر **وعند** الامام احمد والشيخين عن جندب بن عبد الله والبخاري عن مسعود **وعند مسلم**
عن جابر بن سمرة جميعهم رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا فرطكم على الحوض **وعند مسلم** والامام احمد
عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا احمد واحمد وانا المقفى وشد الفاء وكسرها الذي جاء في في الكه
بنيادعليهم الصلاة والسلام والحاشر وبني التوبة وبني الرحمة **وهو عند** الطبراني ايضا وزاد وبني الملحمة
فالحاصل ان اهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة لاهل التوحيد ما انتحلته بغاة محمد
صلى الله عليه وسلم **وما** انتحلته درسله في كتابه العزيز ويخالفون في ذلك المبتدعة كالخوارج
والمعتزلة فحرمهم الله تعالى حيث تعلقوا بمذاهبهم القبيحة في تخليد المذنبين من اهل كلمة لا اله الا الله
في النار **ولجحوا** بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع وضربوا كتاب الله بعضه ببعض وتركوا محكم الكتاب فالذي عليه اجماع اهل السنة والجماعة على جوازها

قد واحي

عقلا ووجوبها سمعا كما قال القاضي عياض قال وقد جاءت الاخبار التي بلغت بمجموعها
يتواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين قال وانا اسلم احاديثها لكني ابالغ في زيادة الحد
حاقبا طل والفاظ الاحاديث في الشفاعة صحاح صريحة رد بطلان مذهبهم وفاخر ج مسلم
خب النار بها ثم ذكر اقسام الشفاعة وذكر ان شفاعة زيادة الدرجات وشفاعة اخراج الاول لم ينكر
وها وانكروا ما عدا ذلك من الشفاعة فقل علمت ان سلف الامة يثبتون ما اثبته القرآن
و ينفون ما نفاه ويثبتون لنبيهم صلى الله عليه وسلم فضله فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن الغار
قال عمر رضي الله عنه انه خطب فقال انه سيكون في هذه الامة قوم يكذبون بالرجم وبالدجال ويكذبون
بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من
النار بعد ما امتحشوا وهذا عند اهل العلم لا بقوله الصحابي الا توقيفا كيف وهو الفاروق وقد علم
توقيفه في هذا المقام وروى سعيد بن منصور والبيهقي وهناد في الزهد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال من
كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها وروى كذب بالحوض فليس له فيه نصيب وروى البيهقي عن انس بن مالك
رضي الله عنه انه قيل له ان قوما يكذبون بالشفاعة فقال فلانا لست اوليك وفي رواية له عن انس رضي الله عنه
قال يخرج قوم بالشفاعة من النار ولا تكذب كما يكذب بها اهل حرورا يعني الخوارج وروى عن عمران بن
حصين نحو ذلك وفي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا
قول الله عز وجل في ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم وقال امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل
اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك والمراد بذلك ان اجابته اهل كلا الاخلاص وعند
الحاكم وابن ماجة وابن حبان والبيهقي والطبراني عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اني خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وانها لكم
ولا عذاب وبين الشفاعة لامتي فاخترت الشفاعة قال وهي لكل مسلم وعند مسلم وغيره عن ابي هريرة
وابي ضبيحة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة قد دعا بها في امته فاذا
ستجيب له واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وعند احمد والطبراني والبزار بسند
جيد عن معاذ رضي الله عنه وابي موسى رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خيرت بين ان يدخل نصف
امتي الجنة او شفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وروى
الطبراني بسند حسن عن عائشة رضي الله عنها وعند الحاكم والبيهقي وصححاه عن ام حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض فاحزنني وسبق ذلك من الله كما سبق في الامم
قبلهم فسألته ان يولني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل وفي البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وعند ابي داود والترمذي و
الحاكم والبيهقي وصححوه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
وعند ابن ماجة بسند ضعيف الا ان ابا داود عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
قال جابر من لم يرد حسناته على سيئاته فذاك الذي يدخل النار بغير حساب ومن ثقلت حسناته على سيئاته فذاك الذي يحاسب
حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اوبقته واغلقت ظهره وعند
الامام احمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة
وبين ان يدخل نصف امتي الجنة فاخترت الشفاعة لانها اعم واكفى اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين المتلوثين وفي صحيح مسلم وغيره عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه مرفوعا لا يموت احد على لا
والمدينة وجهدها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة وفيه مثله عن ابي سعيد وابن عمر
وابي هريرة رضي الله عنهم مرفوعا وعند احمد وابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن مات بها وعند البيهقي والطبراني

بسند جيد

بسند جيد عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيمة امام ظلوم غشوم وآخر غال في الدين ما رق عنهم **وعند** الترمذي بسند حسن عن حصين بن عمر وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وليس هو عند اهل الحديث بذاك القوي عن عثمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي **وجاء احاديث كثيرة** في شفاعة الملائكة والانبياء والشهداء والاولياء والصالحين والاطفال لا نطيل ذكرها نسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يشفع فينا نبيه وعباده الصالحين انه قريب مجيب **وفي الترمذي وصحيح** الحاكم وصححاه والبيهقي عن عبد الله بن ابي الحمراء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة شفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قالوا يا رسول الله قال رسول الله قال الفرياني بمقال انه عن ابن عمر ورواه

وعند ابي داود وابن حبان عن ابي الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يشفع يوم القيمة لسبعين من اهل بيته **ورواه** الامام احمد والطبراني بسند صحيح عن عبادة بن الصامت والترمذي وابن ماجة

مثله من حديث المقدام ولفظه يغفر لكل بيت من بيوت اهله **وعند** البزار والبيهقي بسند صحيح عن انس رضي الله عنه مرفوعا ان الرجل ليشفع في الحي والحي والثلاثة يوم القيمة **وقال** الترمذي ما نعلم حديثا احسن اسنادا من حديث عبد الله بن عامر

وعلي بن زيد قال وسمعت ابا الاعمش عن زيد عن شيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح **وعند** البيهقي والحاكم وصححه عن ابي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كيف يعلم الله ان نبيه يشفع له قال اما مر بك سنة مجدبا ثم مر بك مخصبا فقلت يا فلان اما تذكر يوم كنت بمكان كذا وكذا فذهبت تذكر فتشفع له وهذا اسناده صحيح كالشمس **وعند** البيهقي والحاكم وصححه عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من مضر وان من امتي من يشفع للفئام حتى يكونوا امة **ورواه** الامام احمد ايضا والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابي امامة

وعند الامام احمد ايضا والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابي رزين رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي بمثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة ومضر فقال انما اقول ما اقول حتى قال رجل في رواية عنه رضي الله عنه عند البيهقي والطبراني يا رسول الله

يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من عدد مضر ويشفع الرجل في اهل بيته ويشفع على قدر عمله **وهذه الشفاعة** **والاحاديث** بنحوها اكثر من ان نحيط بها علما او ان نورد لها الموجاتها خوف اطالة هذه الكتاب التي ابتغينا ان تكون قراءتها خفيفة على القارئ فلا نصب فيها لمن انكرها كما تقدم ولا ضير **تعلق بالشفاعة الكريمة والمرجو**

الباب السابع عشر باب قوله تعالى انك

لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك لا تقدر ان ترشد من احببت فتدخله في الاسلام وانما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء **ولهذا** قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض **فبين** في هذه الاية هداية التوفيق انها من الله من هداية الدلالة فالاولى لا يقدر عليها الا الله تبارك وتعالى والثانية هداية الدلالة بامره تعالى وهي منصب الرسول صلى الله عليه وسلم **ولهذا** قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين **قال** اهل التفسير وقوله انك لا تهدي من احببت اخص من هذا كله فانه قال انك لا تهدي من احببت فاذا كان لا يهدي من احب حرصا على هدايتهم صحيح انه ليس له من الامر شيء ومع ذلك فليس يعلم من يصلح للهداية فاذا كان هذا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الخلق على الله فكيف بغيره بل يوضح ذلك معاتبته تبارك وتعالى له مع ما اكتنفهم وقوله في الذين لعنهم صلى الله عليه وسلم ولم يحدد ليس لك من الامر شيء **فبهذا** يقطع الانسان العلائق عن كل الخلائق ويتعلق بالواحد الخالق الرزاق الذي له الكلمة البالغة والحجة الدامغة وله الامر من قبل ومن بعد واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه **اذا علمت** ذكرنا الصحيح في هذه الاية انها نزلت في ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذكره في الصحيحين

قال رسول الله ﷺ شأن ابي طالب لكن لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين فقد
ثبت بما تقدم ان ابا طالب مات على الكفر فان ثبت في الصحيح انه اتاه العباس بن عبد المطلب ٨١
رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال
نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد الخدري رضي الله
انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي
منه ام دماغه وفي رواية اخرى كما يغلي المرجل او القمقم وفي رواية ابي ذر الهروي والنبي كما يغلي المرجل
بالقمقم قال بعض اهل العلم القمقم البراد الصغير يطبخ في المرجل استعمالا للنضيج بفعل ذلك
اهل الحاجة هذا على رواية الهروي والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم قدر معروف له ارجل من حديد وقيل
غير ذلك وفي رواية على نعلان من نار يغلي منهما دماغه فهو اهون اهل النار عذابا وفي البخاري ايضا عن
العباس رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك فقال هو في ضحضاح
من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية يكون في غمر الصحيح عن ابن اسحق على نعلان
من نار يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه قال بعض العلماء رضي الله عنهم ومن باب التنزل في
حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزاء ان ابا طالب كما مانع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته محبا له الا انه كان ما خفيا
لقدميه على ملة عبد المطلب حيث قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه جزاء
صنعه لتبعيته اياهما على ملة اباه بخلاف الله والمسلمين على صراط المستقيم وقوله تعالى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الآية وقد تمسك هذا مع استغفاره صلى الله عليه وسلم للمشركين
يوم احد حيث قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وذكر حين جرح المشركون وجهه وقتلوا حمزة عمه وكبدا
من اصيب رضي الله عنهم قالوا والاصح ان تكون الآية التي نزلت في عمه ابي طالب ناسخة للاستغفار
صلى الله عليه وسلم يوما صلاة ما وفاة عمه كانت قبل ذلك كما مر تاريخا والناسخ المتقدم المتأخر وقد
اجيب عن هذا باحوبة منها ان استغفاره صلى الله عليه وسلم لقومه مشروط بتوبة من كفر كأنه
صلى الله عليه وسلم اراد المرء الى التوبة حتى يغفر لهم ويقوي هذا القول رواية من روى اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وقد ذكرها بعض اسحق رواها غير الكتاب بهذا اللفظ قاله السهيلي وقيل ان صلى الله عليه وسلم استغفر
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر لمن مات على الكفر وهو ضعيف وقيل ان استغفاره صلى الله عليه وسلم
نصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف وغيرهما من عذاب الاستئصال وقيل سبب نزولها ما نقدم
وهو ان تكون الآية تأخر نزولها فتكون ناسخة للاستغفار للمشركين فيكون سبب نزولها متقدما
ونزولها متأخرا كما قدمناه في تأخر سورة الكوثر وان نزولها المدني يرجع الى سبب عام وهذا
الآية في سورة براءة وهي من اواخر ما نزل فتكون على هذا ناسخة للاستغفار جميعا وفي الصحيح
ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عمه ابي طالب عند موته وعند ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم
قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال انا على
ملة عبد المطلب وظاهر هذا الحديث ان عبد المطلب مات على الشرك كما تقدم وسياتي كلام المعترض
على ذلك فرسان الله تعالى وما رويناه ذلك اعلم ان صح وفي قلبي اتباع خوفه له صلى الله عليه وسلم وتأخر
عن الاسلام الا قليلا وتقدم الانصار رضي الله عنهم وهم بعد العباس سنا منه وعلما من الاعلام بنبوته
صلى الله عليه وسلم فان العرب قد علم بنو اسد خلق اسم عمه وتعصبا فيه الانصار من الانصار وقد
اليقين في قلوبهم فان كثيرا من العرب قد رغب كثير منهم في قتل ابيه وولده وقتلهم تقربا الى الله تعالى وزلفا لديه فسبق
الى الايمان به الابعد وتأخر عنه قومه اذ لو بادر اهله وافرته الى الايمان به لقالت العرب انما اراد
القوم الفخر على رجالهم وتعصبوا له فلما بادر الى الايمان بعد وقاتلوا على حبه من كان منهم او من غيرهم
علم ان ذلك منهم على بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل في قلوبهم وهيبة من الله ان الت عن نفوسهم
من اخلاق الجاهلية ما لا يستطيع ازالته الا الله وظاهر اللفظ الاول والله اعلم وقال
هذه حكمة ربانية وقال ابن اسحق حدثني العباس بن عبد الله بن معبد هو العباس بن عبد المطلب
عن بعض اهله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عبد المطلب قال سئل ابي طالب بعكاظ وهو اشرف قومه عتبة بن ربيعة

ونقله ابن سيد الناس عن بعض اهل العلم وقال في فتح عماد الدين ابن كثير انه حديث منكر جدا و
سنده مجهول وقال ابن دحية هذا حديث موضوع يرده القران والاجماع لان من مات كافرا لم ينفعه
الايمان بعد الرجعة بل لو امن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة وبنحو ذلك قال شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ويؤيد هذا ما رواه مسلم في افراده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم
الاخرة وروى ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقابر فاتبعناه فجاء
حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى حتى بكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم فقلنا
بكينا لبكائك قال ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته
في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل الله علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية
فاخذني ما ياخذ الولد عند الوالد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال القاضي عياض
بكاؤه صلى الله عليه وسلم عليها فاتها ما ادركت ايامه والايمان به وفي رواية انه سئل عن بكائه فقال ذكرت ضعفها
وشدة عذاب الله تعالى وفي مسند البزار من حديث بريدة انه صلى الله عليه وسلم حين اراد ان يستغفر لامه ضرب
جبريل في صدره عليه السلام وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فرجع وهو حزين وفي صحيح مسلم ان
رجلا قال له يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار وفي رواية قال
رجلا قال له يا رسول الله اين ابي فقال في النار وهو قوله هذا صلى الله عليه وسلم فليس لنا الا نؤذيه بسبب
المهاجرين ابي بكر يا رسول الله الحديث وليست حرمته اذا صلى الله عليه وسلم بحرمة غيره فقد
اذيته وقد قال كما صح عنه لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات ولهم عذاب مهين وانما قال صلى الله عليه
قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وانما قال
عليهم لذلك بهذه المقالة لما وجد في نفسه او جوابا لسؤاله على ابي كان في اليوم
بعض مخففا له ذلك قال النووي وفي هذا الحديث ان من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه
قلت والسلامة في هذا الاحسن ان يجعلوا من اهل الفترة ففي
قرابة المقربين حرره الحافظ المنذري في تفاسير هم بسنده صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
عبد الرزاق وابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا كان يوم
القيامة جمع الله اهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ الذين لم يدركوا الاسلام
ثم ارسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تاتنا رسل وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا
وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد ان يطيعه قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وروى الحاكم في صحيحه وقال صحيح على شرطهما من حديث ثوبان نحوه ووافقه الذهبي
على ذلك في مختصره للمستدرك وكذا روى البزار وابو يعلى من حديث انس رضي الله عنه مثله و
هكذا روى الامام احمد واسحق بن راهويه في مسنديهما والبيهقي في الاعتقاد وصححه من حديث
ابي هريرة نحو ما تقدم في حديث او قريبا منه وقد سئل ابو بكر بن العربي المالكي الحافظ عن رجل قال ان
ابا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فاجاب بانه ملعون لان الله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واي اذى ان يقال عن ابيه انه في النار وروى شيخ
الاسلام ابو اسمعيل الانصاري الهروي في كتاب ذم الكلام من طريق ابن الجميلة قال قال امير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز لسليمان بن سعد بلغني ان عاملنا كان كذا وكذا وهو كافر فقال كان ابو رسول
الله صلى الله عليه وسلم كافرا فغضب عمر غضبا شديدا وعزله عن الدواوين وقد جرى على هذا الادب الامام
ابو داود صاحب السنن فانه خرج في سننه حديثا في اخرجه ما يتعلق بعبد المطلب فلما انتهى الى ذكره
قال فذكر بعده قولا علم بصيرة بشيء وكذلك تبعه في سنن النسائي وهذا ادب منه له ارشاد
من هؤلاء الائمة وتعليم لنا ان نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تادبا معه صلى الله عليه وسلم وعند ابي نعيم في
الحلية من طريق عبد الله بن يونس قال سمعت بعض شيوخنا يذكر ان عمر بن عبد العزيز اتى بكاتب بين يديه وكان
مسلما وابوه كافرا فقال عمر للذي جاء به لو كنت جئت من ابناء المهاجرين فقال الكاتب وقد كان ابو رسول الله

صلى الله عليه وسلم كافرا فغضب عمر وقال لا تخطبن بيدي بقيا ابدا وفي ربيع الابرار للزمخشري لقي رجل من المهاجرين العباس بن عبد المطلب فقال يا ابا الفضل ارايت عبد المطلب والقسطل كاهنة بني سهم جمعهما الله في النار فضحك عليه السلام فلما بلغ ذلك رفيدة فوجأ انفه فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ما هذا قال العباس فاي رجل الله وقال ما اردت بهذا جزاء فقص عليه القصة فقال ما هلكت نفسي وما اياه اردت ولكن اذا اغضبت اقول ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بال احدكم يؤذي اخاه في شيء وان كان حقا وعند ابن سعد في سننه والحاكم في مستدركه عن سعيد بن زيد الانصاري مرفوعا لا تؤذوا مسلما بشرك كافر وعند الامام احمد في مسنده والترمذي عن المغيرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء **فيما ذكرنا يلزم** الادب معه صلى الله عليه وسلم في ابويه وجده بانا لا نؤذيه فيهما بوا وان كانا حقا لانا خوطبنا بعد موته كما خوطب به حيا اذ اعمال امته تعرض عليه كما صح بذلك اخبر فلا نظن باراده اذ ليس له ما يعارضه من كتاب ولا سنة سوى اهل البدع **وقد صح** ان قبر امه صلى الله عليه وسلم في المدينة وذلك انه بعد ما دخل بها منه وحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم سار بها الى امها ام قومها وهو مريض فقدم المدينة على اخوال ابيه بني النجار فنزلوا به مريضا فمرض بها وقيل ذهب ليمتار لاهل عمرة من المدينة **وقد مات** بالعرج مكة ذكروه لابي عبد المطلب فبعث اليه ابنه الحارث فوجده عند ام ايمن وقد مات بها فقبض تركته وجاء بها الى ابيه فالولد صلى الله عليه وسلم صار في كفالة جده عبد المطلب فاما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين من مولده وقيل اربع وقيل خمس وقيل سبع وقيل تسع وقيل غير ذلك توفيت امه آمنة بالابواء في رجوعها من المدينة به صلى الله عليه وسلم قد ازارت اخوال جده بني النجار وقيل ابوها بمكة فلعلها سافرت بعد ما دفنت بالابواء **فروى** سعد عن عباس وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي بن النجار تزورهم به وفي رواية تزيرهم اياه ومعها ام ايمن فنزلت به دار النابغة وهو رجل من بني النجار وكان عند ابيه صلى الله عليه وسلم في تجارة الى المدينة فتوفي عندهم شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ابوته اياهم فيقول ننزل حيث نزل ابي فنظر صلى الله عليه وسلم حيث دار وقال هيهنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون اليه فنظروا اليه وقالوا هذا نبي هذه الامة وهذه دار هجرته وعند ذلك كله من كلامهم رجعت به امه الى مكة فلما وصلوا الابواء وهو موضع بينه وبين المدينة نحو ثمانية فراسخ توفيت يعني بالابواء ودار النابغة في بني عدي بن النجار قال المطري وبقربه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي دار بني عدي بن النجار وفي البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها اقبل نبي الله حتى نزل دار ابي ايوب فقال ابو ايوب انا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي فانطلق فهيئ لنا مقيلا قيلة **قلت** انما ابو ايوب رضي الله عنه من بني عم اخواله من بني عدي بن النجار وانما اخواله من بني عدي بن النجار وهم بنو عدي بن النجار وهذا ذكر المطري ان منازل قبيلة مسجده صلى الله عليه وسلم وكل العرب تطلق اخواله على كل القبيلة التي ام الانسان منهم وفي حرب هجرة ان سودا بنت زمعة رضي الله عنها من بني عدي بن النجار وهم اخواله فقام ابو سلمة وصهيب بن ابي انس في قومهما فقالا يا رسول الله نحن اخوالكم فعلام الى العدد والمنعة والقوة مع القرابة لا تحالفونا الى غير نا يا رسول الله ليس احد من قومنا اولى بكم منا فاقرهم بذلك وقال اخلوا سبيلها فانها مأمورة ثم قدم بني مالك بن النجار وقيل اول من اعترضه من الانصار رضي الله عنهم بنو ساعدة ثم بنو سالم ثم حمل الى بني ابي بكر على اخواله بني عدي الى ان قدم مكة على ام عبد المطلب جده صلى الله عليه وسلم ثم بنا ذكر بني النجار فذكر انهم اخوال عبد المطلب **والصحيح** صلى الله عليه وسلم انها ماتت وهو ابن خمس سنين كما في رواية سعد وهو الذي ذكره الحفاظ كابن اسحق وغيره بل ابن كثير ولو الخشية اطالة لبسطنا الكلام في هذا الموضع لبسط من هذا الا الحاجة داعية الى معرفة ذلك فانا بالائمة والمتابعة والتأسي بسيد رسول العالمين صلى الله عليه وسلم نتبرك بما يسوغ ذكره مخصوصا اذا علمت ان اعمال امته تعرض عليه كل اسبوع كما صح بذلك الخبر والله الهادي الموفق

الباب الثاني عشر في ما جاء في سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين الى قوله رحمه الله تعالى في هذه الترجمة بعضهم هو

الذي هو بعيد

الذي هو يفيد الاختصاص اذ لا سبب اخص في تغيير الاديان وعبادة الاوثان من الغلو في الصالحين فذكر
يضل كثيرا من بني آدم عن عبادة الرحمن وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل يقول تعالى مخاطبا اهل الكتاب لا تغلوا في
دينكم غير الحق اي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من امرم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز
النبوة الى حيز الالهية كما فعلتم فيه وهو بين الانبياء عليهم السلام كالعلم فجعلتموه الها من دون الله سبحانه
وما ذاك الا لاقتدائكم بسيئ الضلال الذين كانوا من قبلكم ضلوا قديما واضلوا كثيرا من الناس وضلوا اليوم
عن سواء السبيل والسواء الوسط من كل شيء قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

يا ويح انصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

والسواء ايضا التمام يقال هذا درهم سواء ومنه قوله تعالى في اربعة ايام سواء للسائلين ويقال سواء ويقصد به العدل كقوله تعالى
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اي عدل ذات استواء واعتدال من جميع الوجوه قال الشاعر

فاضرب وجوه الغدر الاعداء ... حتى يجيبوك الى السواء

ويقال هكذا شيء اذا كان وسطا بين موضعين قال الشاعر

واني اذا ما كان حي بيثرب ... سويدا بن قيس قيس عيلان والفزر

والمعنى في قوله وضلوا عن سواء السبيل اي خرجوا عن طريق الاستقامة الى طريق الضلال فحذر سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم امته ان يكون
منهم الغلو في الدين اعظم طرق الضلال الموصل الى الهلاك وقال البخاري في جامعه الصحيح
حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن طهمان عن ابن جريج قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره البخاري في تفسير قوله وقالوا
لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال ابن عباس رضي الله عنهما صارت الاوثان التي كانت في قوم
نوح في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث
فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع
اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا

ووادٍ كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوي كالخليع المعيل

والعير حمار الوحش قال الشاعر في الحمار الوحشي

فطاوعها سربال طي كأنه ... هجان وعبد الاشعري نسيد

وهذا مثل ضربه الله تعالى لقوم نوح فلما هلكوا
واما سواع فكانت لخيوان قال ابن عباس رضي الله عنهما وهذا مما وجد بجدة وكتب الى فيها كتاب الى قوم نوح فلما هلكوا
اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا على مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك
وتنسخ العلم عبدت وعن خزيمة بن محمد عن محمد بن عمرو بن حزم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال كان
ود رجلا صالحا بين آدم ونوح عليهما السلام وكان له بنون يقتدون به فلما مات قالوا لو صورنا صورته كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناه فصوروه فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما
كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وعند ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من
طريق اسحق بن بشر قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ولد لآدم عليه
السلام اربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هبة الله وقابيل وصالح
وعبد الرحمن الذي يسماه عبد الحارث وود وكان ود ويقال له شيث ويقال له هبة الله وكان لحوية قد

وهذا في الحقيقة افضل مدح عنها فاضل الكامل كما قال القائل لا تدعني بالعبد فانه افضل اسمائي
ولهذا ذكر سبحانه في مواضع من كتابه بهذا الوصف المشرف والفضل المنيف ليكون بذلك اول هذا الكتاب
منها مقام الاسراء حيث ابان الذي اسرى بعبده ومنها مقام انزال الكتاب تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
الذي انزل على عبده الكتاب وقوله قل ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وقد
نقل سبحانه بذكر رسله بهذه العبودية فقال واذكر عبادنا الانبياء وقال واذكر عبدنا داود ذا الايد ذلك
وفيه اشارة لطيفة وبشارة شريفة ان العناية الربوبية بالاستمرار غاية العبودية للعبد وقوله
فقولوا عبد الله ورسوله اي لتميزه عن بقية عبيد بهذا الوصف وفي ذكرهما ايضا الماء الى استدعاء
حالته ومنتهى غايته صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح للبخاري عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
ايا كم والغلو اي التشديد في الدين وهو مجاوزة الحد والتعمق عما لا يجب عنه فانما اهلك من كان قبلكم
الغلو اي في الدين وكذا عند ابن ماجه وغيره وادناهم وفاروه حتى عبدوا غير الله بما قصارى هذا ذكر
اكفهم ذكر المنكر معروفا وفي صحيح عن عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه ان عبد الله صلى الله عليه وسلم
قال هلك المتنطعون اي المتكلفون في الفصاحة والمصوتون عن فحولهم والمرددون الكلام عن تمرعونه
في القول وقال التوربشتي اراد بهم المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من الكلام والاصل
في التنطع الذي تكلفا ما قصي حلقي مأخوذ من النطع وهو الغار الاعلى الذي الفا فالتنطع المغالاة في الدين والتعمق
فيه بما خرج عن حد الكراهة قولا وفعلا وقد ورد ما يدل على ذلك فعند احمد في مسنده عن عمر رضي الله عنه قال ان الدين
ليس بالتنطع من آخر الليل ولكن الدين الورع وعند عبد الرزاق في مسنده عن سفيان بن عيينة عن ابي حمزة عن
الشعبي ان عبد الله زوج ابنته فقال لها ذهبي الى عمر فاقرئيه السلام وقولي له ان ابي يقرئك السلام ويقول لك
هذين لم نشهد لهما صلاة قلت يا امير المؤمنين صليا وهما لا يذكران في صلاتهما قال فلم الا يصليا حتى
اصبح وصلى الصبح وناما فقال عمر لئن كنت اصلي الصبح في جماعة احب الي ان اصلي حتى اصبح وقد بقي احد
كرجلين عند عبد الرزاق من طريق اخرى ان زوجها ابو حمة وورد بتكرير ذم التلبيس سندا الى ابي
بكر بن ابي شيبة قال ابو اسامة عن مسعر قال اخبرني معن بن عبد الرحمن عن عبد الله كتابا وحلف بالله الذي لا
الا غيره ان خط ابيه فاذا فيه قال عبد الله والله الذي لا الا غيره ما رأيت احدا كان اشد على المتنطعين من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا رأيت بعده احدا اشد خوفا عليهم من ابي بكر والله لا اظن عمر كان شاهد الارض خوفا عليهم
ولهذا قالها اي هذه الكلمة او بجملة بدنا اي مرددا صلى الله عليه وسلم القول ثلاثا تهويلا وتحذيرا وتنبيها وتاكيدا
على حافته من الغائلة وتحريضا على التيقظ والتصدر دون المتنطع وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة
تعود على اهل اللسان بما يؤدي بهم الى تخبيل الاديان وهلاك الابدان نسأل الله العافية من كل خوف في الدارين وظاهر هذا
كذب العموم في القول والفعل الا ان القول اخص وبهذا نفى صلى الله عليه وسلم عن نفسه معنى التنطع فقال وما انا
من المتكلفين فكل ما خرج الان عن حد الاقتصاد فهو تنطع وتعمق اعلم مبادئ اول حدوث
كفر في بني آدم سببه الغلو في الصالحين فاعلم يا لبيب حدوث في بني اسمعيل بن ابرهيم عليهما الصلاة
والسلام تعظيم الرؤساء والقدماء واهل الجاه والمآثر وداوى الدواء اذا كان مع الكثرة
والجهل تعبد وتنسك بذلك وقد ذكر اهل العلم بالاثار والاضبار ان عمرو بن لحي بن مضر جد
غلبت خزاعة على البيت ونفضرها عمرو بن لحي جعلها ارباب الا يتدع لهم بدعة الا اخذوها شريعة لان كان
يطعم الناس ويكسو في الموسم فرسا يخرج في كوم غرة الاف بدنة وكساءه الاف حلة حتى ان اللات الذي
كان بدلا السويق الذي على صخرة معروفة بسبب صخرة اللات ويقال ان الذي كان يلت السويق للحاج
قال لهم عمرو انكم لم اتيت وكم دخل في الصخرة لم اسر هم لعبادتها وان يضعوا عليها بيتا سمي اللات ويقال
دام امره وامر ولده على هذه الحال مكة ثلثمائة سنة فلما هلك سمي صخرة اللات وذكر الازرقي
في اخبار مكة ان عمرو بن لحي قفا اعين عشرين بعيرا وكانوا يفقؤون عين الفحل اذا بلغ الفا فاذا بلغ

بلغت القفين فنقلوا العرب الدفن وكانت التلبية من عهد آدم وابرهيم عليهما السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك
حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل الشيطان له في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال
الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو وقال ما هذا فقال الشيخ قل تملكه وما ملك فانه لا باس بهذا فقالها
عمرو فدان بها العرب ثم دعاهم الى عبادة الاصنام وفي البخاري وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان اول من سيب السوايب وفيه ايضا
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا يجر قصبه وهو
اول من سيب السوايب وفي لفظ واول من غير دين اسمعيل عليه السلام وقال الكلبي كان عمرو بن لحي كاهنا
وكان يكنى ابا ثمامة له رئي من الجن فقال له عجل السير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة ائت ضفة
جدة تجد فيها اصناما معدة فاوردها تهامة ولا تهب ثم ادع العرب الى عبادتها تجب فاتى جدة
فاستثارها ثم حملها حتى وردبها تهامة وحضر الحج فدعى العرب الى عبادتها قاطبة فيقال انهم اخذوها
فتفرقت فيهم وقال هشام بن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رفعت
لي النار فرايت عمرو بن لحي قصيرا احمر ازرق يجر قصبه في النار فقلت من هذا قيل هذا عمرو بن لحي اول من بحر
البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السايبة وحمى الحام وغير دين اسمعيل ودعى العرب الى عبادة الا
وثان وذكر ايضا محمد بن اسحق والازرقي والقطبي وغيرهم ان عمرو بن لحي هو اول من دعى العرب الى
عبادة الاصنام من دون الله تعالى الا ان قريشا قبله كانوا يعظمون احجار مكة ويظعنون بها معهم اذا
ظعنوا تعظيما لها حتى دعاهم عمرو بن لحي الى عبادة الحجارة والاشجار وغير ذلك حتى قطع الله ذلك عنهم بخير
رسله سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك نهى امته عن الغلو الذي كان سبب تغيير الامم الى الكفر عليهم الصلوة
والسلام مخافة ذلك لانه سريع السراية في محو سنن المرسلين وتبديل عبادة رب العالمين بعبادة الشياطين
حتى انه ليصعب على عابديها الخروج من ذكره ولهذا لم يتابعه صلى الله عليه وسلم من قريش والانصار الا
شبانهم الا نادرا كابي بكر في المهاجرين وعبد الله بن حرام في الانصار بخلاف سهيل بن عمرو وابي سفيان
واعلامهم بل سعوا بالذب عن الهتهم التي يعبدون من دون الله كما ذكر الله عنهم في قوله وانطلق الملا
منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد وقال عن قوم نوح عليه السلام بعدما دعاهم الى الله وصدع
وخلع الانداد والاوثان التي اتخذوها الهة من دون الله وقالوا لا تذرن الهتكم ان تواصوا بينهم بذلك
لما علموا ان اتباع دعوته عليه السلام تفضي الى تركها ويقال قال الرؤسا للسفلة لا تذرن الهتكم
الاية تركوا عبادتها وانصروها ما كرهها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا قال قتادة هذه الالهة كانت يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب بعد ذلك وقال
السهيلي هذه اسماء سريانية وقعت الى الهند فسموا بها اصنامهم التي زعموا انها صور الدراري السبع
وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ثم ادخلها الى العرب عمرو بن لحي وعلمه الشيطان تلك الاسما والقاها
على السنتهم موافقة لما كان في عهد نوح عليه السلام وقال تعالى عن قوم ابرهيم لما دعاهم الى خلع الا
صنام والانداد وان يعبدوا الله وحده فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين فقبح الله الها
يحتاج الى ناصر ينصرها من ان يهدم ويكسر ولهذا نكتة لهذا المعنى الشديد الكفر انبض عمرو
بن الجموح كما قال ابن اسحق عنه قال وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بها وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من اشرافهم وكان قد اتخذ في داره
صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه الها تعظمه وتطهره فلما اسلم فتيان
بني سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو وفتيان منهم ممن اسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل
على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا على راسه فاذا اصبح
عمرو قال ويلكم من عدا على الهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه
ثم قال اما والله لو اعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا امسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده

بن لحي صح

مثل ما كان

في مثل ما كان فيه من الاوثان فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يعدو عليه اذا امسى فيفعلون به مثل ذلك فلما اكثروا عليه استخرجه حينا القوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له والله اني ما اعلم من صنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما امسى ناموا عمرو وعدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه في بئر من ابار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مقرونا بكلب ميت فلما رآه ابصر شانه وكلمه من اسلم من قومه فاسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وقال حين اسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما ابصر من امره ويشكر الله الذي انقذه مما كان فيه من العمى والضلالة

والله لو كنت الها لم تكن … انت وكلب وسط بئر في قرن

اف لملقاك الها مستدن … الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن … الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي انقذني من قبل ان … اكون في ظلمة قبر مرتهن

فلما كان يوم احد كما ذكر ابن اسحق وغيره اراد ان يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى القتال وكان رجلا اعرج شديد العرج وكان له بنون اربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فارادوا حبسه وقالوا له ان الله قد عذرك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لارجو ان اطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم الا تمنعوه لعل الله يرزقه شهادة فخرج معه فقتل يوم احد شهيدا رضي الله عنه وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه لما قال من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس الا انا نبخله قال واي داء ادوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح وروى ابو حاتم الرازي قصة فيها ان بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه فبينما هم ذات يوم عنده اذ اقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم وكان للصنم سادن يقال له عادي بن ظالم فكسر الصنم وانشد في ذلك

ارب يبول الثعلبان براسه … لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اسمك فقال عادي بن ظالم فقال انت راشد بن عبد الله ولهذا قال البخاري في الاية بعد ذكر الهة قوم نوح عليه السلام فيما تقدم وقد اضلوا كثيرا يعني هذه الاصنام اضلوا كثيرا من الناس … الخ … ابي … زيد … رون … انما بني كثير منهم كقول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس قال … رجاء بن ابي … قال سمعنا ابا عثمان النهدي يقول كنا في الجاهلية نعبد حجرا فسمعنا مناديا ينادي يا اهل الرحال ان ربكم قد هلك فالتمسوا ربا فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلبه اذ نحن بمناد ينادي انا قد وجدنا ربكم او شبهه قال فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزور وقد سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والاصنام فقال اصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت قلت وما احسن ما عاب الله عز وجل وعلا عليهم ذلك في اصنامهم حيث يقول الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وكان الاشارة الى العابدين لها والمعنى انكم ايها العابدون تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون فانتم افضل منها والاصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد ولا موات فكيف يعبد التام الناقص ولهذا قال تعالى انهم الا كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولو تفكروا لعلموا ان الاله يصنع ولا يصنع ويجمع وليس يجمع ويقوم به الاشياء ولا يقوم بها وانما ينبغي للانسان ان يعبد من صنعه لا ما صنعه وما خيل اليهم ان الاصنام تشفع تخيل ليس فيه شبهة يتعلق بها فقد تبين لك ما نقل من … الا ان الله سبحانه يعلم انه ما بعث الرسل الا بسبب الجهل اذا نسي العلم وانتسخ من الناس بسبب ذهاب العلماء وموتهم اذا لم يخلفوا وارثا عليهم جهم فروى الدارمي في مسنده بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا … وهو عند البخاري في صحيحه عنه بهذا اللفظ

في لفظ المسلم والنصارى ليس لهم الا بني واحد لا غير له شاهد وقد ذكر اسم ذلك عمر كما قدمنا في الاولى وفي بعض
نسخ لم تتخذ به صنيعا قال الذي غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ونحن نعلم هذا من قوله غلبوا على امرهم فان
هذا الكلام ليس في مقام الرضى عنهم ولا المدح لهم حتى يعود الضمير في قوله على امرهم للفتية فاذا كان
هذا قولهم في الاولياء فالانبياء عندهم بالاولى هذا لفظ الاخرى وقد اختلف المفسرون
في هؤلاء الذين غلبوا على امرهم هل هم من المسلمين او من الكفار على قولين مع اتفاقهم انهم كانوا من
احد الفريقين واهل الرأي منهم لهم نفوذ الكلمة يرجح بعض المفسرين انهم كانوا مسلمين بقولهم لنتخذن
عليهم مسجدا واستدل من قال انهم كفار بقوله وكذلك فاعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة
لا ريب فيها وقال جماعة وقع التنازع بين المسلمين والكافرين فيهم فرقا بالحق وكاخزوذ كر طائفة
انا اهل تلك المدينة تنازعوا قبل سعيد في الاجساد والارواح كيف تكون اعادتها يوم القيمة فقال قوم نعاد
كاجسادكما كانت بارواحها فقال اهل الاسلام بل تعاد الارواح دون الاجساد
كما تقوله النصارى وشتان بينهم لكن قد ذكر قصة قارون في اخرها قريبا جعل الله الماء المكفوء علما ان الخسف
الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك فاضمر راجعا الى النهي العام عن اتخاذ القبور مساجد وقد قال
اكره ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة قال ورأيت العلماء بمكة يأمرون بهدم ما
يبنى حول قبر فاذا تقرر هذا فقوله في الحديث الصحيح في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد عقيب بالنهي عن ذلك في جميع القبور فقال الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن
ذلك فاضمر راجعا الى النهي العام عن اتخاذ القبور مساجد وقد قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه
وسلم في مرض موته لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا وانما لعنهم لانهم عظموا
قبور انبيائهم وجعلوها قبلة يصلى اليها ويسجد نحوها فيصير ما يفعل عند القبور من الصلاة لها كالذي يفعل
في جوفها من الدنيا بعينها وهو في السياق يفعله الصلاة عندها اي القبور هي الذي يكره وقد
فعلوه ابتغاء وجه الله ولم يقصدوا بذلك الموضع مسجدا اذا قصد المصلي ذلك وهو معنى قولها اي عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
في حديثها المتقدم عنها انه خشي على ما قالت اللفظة ان ابرز قبره او ان يتخذ مسجدا فالعلة في ذلك قصد
الرجل اتخاذ فعل اهل الكتاب الذي حذرنا عنه حتى حذرناه صلى الله عليه وسلم في اخر حياته من الدنيا وهو في السياق
حتى ما تفرض بتحذيره منه نفسه فجزاه الله عنا وعن امته افضل ما جزى نبيا عن امته فقد بلغ البلاغ المبين
وحذرانه عن جميع طرقها في الدنيا والاخرة فان الصحابة رضي الله عنهم سمعوا اذ ربعة اشد قبله وقوعه
هو فاعلى الامة بعده والا فانهم رضي الله عنهم لم يكونوا ليتواطؤا على قبره مسجدا وحاشاهم من مخالفته بل هم
على علم وعلم خلافه امته وبهم يقتدى ويمكن ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبر واحد فقط واحب قضوا
مخافة ذلك لعمر وانهم قد خشوا ان اعظم على رأيه اقامة الفاعل حقا فاخبر ان يتخذ مسجدا
وكل موضع قصد للصلاة فيه فقد اتخذ بذلك القصد مسجدا بل كل نوح صلى فيه يسمى مسجدا قال صلى الله
عليه وسلم فيما صح عن عدة من حديث ابي هريرة وغيره من حديث حذيفة وجابر رضي الله عنهم
هو فوعا بلفظ جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وفي لفظ جعلت لنا الارض مسجدا وتربتها
لنا طهورا فالخبر وارد على منهج الامتنان على هذه الامة بان رخص لها في الطهور بالارض والصلاة في بقاعها و
كان من قبلهم انما يصلون في كنائسهم وفيما تيقنوا طهارته وعموم ذكر الارض هنا مخصوص بغيرها اي بسائر
ما كصلاة فيه كما في ابي سعيد الخدري الذي رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن خزيمة وابن حبان في
جيد عن ابي سعيد قال كل الارض مسجد الا المقبرة والحمام قال الشيخ تقي الدين سلمه الله تعالى
حديث ابي سعيد هذا قد روي من طرق وله الفاظ وهذه بسند جيد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما هو فوعا
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال عمار بن كثير المرفوع هو ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا له او فعلا منه وسواء
كان متصلا او منقطعا او مرسلا قال وتقي الخطيب ان يكون مرسلا فقال هو ما اخبر فيه الصحابي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعلا او قولا اضافة الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم اي ساعة وقع اخبار الصحابي بذلك
الى ارض المحشر والذين يتخذون القبور مساجد فجعلهم بمنزلة من اتخذها مساجد لان كلا منهما قصد عبادة الله
وحلوه انهم اذا حلوا هذا الوصف بادرهم وانباعهم في ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله اولئك شرار الخلق عند الله تعالى
فاذا كان هذا الفعل وهو بناء المساجد على القبور يصير علة من اسرار الكبائر وهو ذريعة قاصدة لعبادة الله بل
يريد ان يصلي فوق ذلك المسجد الذي بني على القبور بدعة فاظنك بمن عمل نفوذ باسم من الخذلان بمنطال كفة

ملهم
على
ما قبل
فاذا
البقاء
ان
اختلفوا فيه
اصحاب
لكن في
ما عرف

رواه ابو حاتم الحافظ محمد بن ادريس الحنظلي الرازي الحافظ في صحيحه وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد وسرج رواه الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي والاربعة
حاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة فهذه احاديث تدل على ان هذه المساجد المبنية على القبور من جنس
الجمل يعني ازالتها واطلالها مع القدرة على ذلك وهكذا المشاهد التي على القبور التي تسمى اوثانا تعبد من دون
الله تعالى والاحجار والاشجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل فلا يجوز ابقاء شيء من هذه
كل ارض بعد القدرة فان كثيرا منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لغلبة الجهل والغرور وخفاء
العلم ودروسه حتى صار المنكر معروفا والمعروف منكرا والبدعة سنة والسنة بدعة وشاب على ذلك الصغير
وهرم عليه الكبير وطمست الاعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب سفهاء ونقاء والامر لله وحده
المسالك واهل الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ولكن لا تزال طائفة من هذه الامة المحمدية بالحق قائمة ظاهرة
واهل الشرك والبدع مجاهدين حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وما كان ربك نسيا شاهد
اموالاجماع الائمة في الاجتهاد والمصالح كما فعل صلى الله عليه وسلم بما وجد في بيوت الاوثان والاصنام قال شيخ
الاسلام ابن تيمية وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين يعني في هدم المساجد المبنية على
القبور قال وكره الصلاة فيها من غير خلاف اعلمه والواضح عندنا في ظاهر المذهب لاجل النهي واللعن الوارد
في ذلك قال وليس في هذا المسلك خلاف في المنع لكون المدفون فيها واحدا وانما اختلف اذا كثروا كما في بناء المقبرة
الكبيرة عند جدار حرها ثلاثة اقبر او نهي عن الصلاة عند مقبرة الفذ وان لم يكن عنده قبر لحرمة على وجهين للاصحاب والله المستعان
وعليه التكلان

الباب العشرون باب ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله

ذكر الغلو وطول الزمان يصير الامر شركا اي كالاوثان
حكما لا صورة لان الوثن عندهم ما له جثة كصورة الادمي الا انهم اشعوا في تسميتهم كما يأتي قال الاعشى

تطوف العفاة بابوابه كطوف النصارى ببيت الوثن

والعفاة جمع عاف وهو سائل الحاجة وطالبها والوثن هو الصنم وقيل الوثن ما كان غير مصور وقيل هو ما كان جثة
مصورا او غير مصور كما يأتي بيانه والصنم صورة بلا جثة ثم اشتهر استعمالهم في ذلك وقال ابن فارس الوثن واحد
الاوثان وهي حجارة كانت تعبد من دون الله تعالى فانها قد تصور وتنحت والا تعبد وهي التماثيل كما فعل قوم نوح عليه السلام
قال ابن القيم الى عبادتها من دون الله اجل وعلة فكما ان الغلو في الصالحين وتصويرهم تماثيل اوثانا يراد
بذلك اعادتها كما كانت عبادتها من دون الله تعالى والغلو الارتفاع فوق الحد ومنه غلا السعر اذا ارتفع المراد فوق حده قال ابن حزرة

ان اخواننا الارامي قد غلوا علينا في قيلهم اخفاء

وعنه الغلو في الدين اي التشديد ومجاوزة الحد فيه سواء في نفي الغالي او على النكل كما قال عدي بن زيد التميمي

وعاذلة هبت بليل تلومني فقلت لها اقصدي فالقصد خير

سلوك الصراط المستقيم بالقصد من غير غلو ولما كان بعثه ﷺ اي المرسلين ينهى عن الابتداع في الدين حذر
السلف الصالح منه اشد التحذير وكذا الائمة بعدهم قال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ
ما احدثت قوم بدعة الا رفع من سنتهم مثلها رواه الامام احمد وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يقول لا تشدوا فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم رواه ابو داود
وغيره وعن حسان بن عطية قال ما ابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها اليهم الى يوم القيمة رواه الدارمي وعن ابراهيم بن ميسرة قال قال رسول الله ﷺ ما من صاحب بدعة الا وقد اصيب قبل ذلك
فقد اعان على هدم الاسلام رواه البيهقي وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
كان من استنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد ﷺ كانوا افضل هذه الامة
ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم
على اثرهم وتمسكوا بما استطعتم من اخلاقهم وسيرهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم رواه رزين وفي حلية العرباض

بن سارية رضي الله عنه الذي رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم
بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة **وفي صحيح** مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكون في آخر الزمان دجالون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا
يفتنونكم **وعند** ابي نعيم من طريق سفين بن عيينة قال سمعت عاصم الاحول يحدث عن ابي العالية
قال علموا بالامر الاول الذي كانوا عليه قبل ان يتفرقوا قال عاصم فحدثت به الحسن فقال قد نصحك والله
وصدقك **وفي** الجوزي بسنده الى ابي اسحق الفزاري قال قال الاوزاعي اصبر نفسك على السنة وقف
حيث وقف القوم وقل ما قالوا وكف عما كفوا عنه وسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك ما وسعهم
قال بن شوذب باب من نعمة الله على الحدث اذا فسكت ان تواخي صاحب سنة يحملك عليها **وعند**
البغوي وابي نعيم في حلية عن يوسف بن اسباط انه كان يقول كان ابي قد ربانا واخوالي رواضخ فاخذ في ادب
بسفين الثوري **وعند** الجوزي من طريق بن المبارك عن سفين الثوري قال استوصوا باهل السنة
خيرا فانهم غرباء **وقال** محمد بن ابو عوانة سمعت جعفر بن عبد الواحد قال قال لنا ابو بكر بن عياش
الزم السنة فان الاسلام اعز في سائر الاديان **وقال** ابو سعد الشيخ نا ابو العباس قال سمعت
سفين الثوري يقول البدعة احب الى ابليس من المعصية المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها **وقال**
ابو بكر الاجري حدثني جعفر بن محمد الفريابي قال سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق
الا من اقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته والتزم طريقه فان طرق البدع كلها مفتوحة عليه **ولهذا**
قال تعالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
وعند بن الجوزي بسنده عن خلف بن احمد قال سمعت ابا عبد الله يقول ما ذب الله تعالى العباد عن شيء الا اعرض فيه ابليس بامرين
اما ان يأتي بما ظاهره الغلو واما بالتقصير عنه وبسنده عن الحسن قال جاء رجل الى رجل فكلمه بكلام ابين فيه فقال له ابليس
علمت اشد مما تنهى عنه واما اصحاب الاهواء فانا نلعنهم بما لعنهم به ربنا كما قال في ابليس **وهذا الموذج مما**
يحض على المتابعة وينهى عن البدع ومتابعة اهلها **وقد** اوصل جمع من اهل العلم ما ورد في ذلك الى نحو مائة حديث
قال قلت لسفين بن عيينة ان هذا يتكلم في القدر يعني بشر بن السري فقال سفين عزفوا الناس عن الكلام وعليكم بالاثر
وقد قال العافية **وقال** عاد بن عباد ابو عتبة اخواص كنا في رباط سلمة التي رواها الدارقطني
هو فيه عن هبوطها بواسطة ابي عبد الملك ابن عبد الله بن عبد الملك بن مروان سلمها الله تعالى عنه وفيها رجل شغل قلبه ببدعة
قلد فيها دينه رجالا دون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولكن براية فيما لا يرى الهدى الا فيها ولا يرى الضلالة
الا بتركها يزعم انه اخذها من القرآن وهو يدعو الى فرق القرآن فيما كان القرآن حمله وقبل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون بحكم
ويتشابه بمتشابه وكانوا منه على مناهج رجوح الطريق وكان القرآن فيما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اماما
لاصحابه واصحابه بعده هم رجال بعرفون في البلدان يستفتون في الرد على اصحاب الاهواء فيه فكان بينهم
من الاختلاف وتسليط اصحاب الاهواء بآرائهم وسبل مختلفة جائرة عن القصد مفارقة للصراط المستقيم
فتوهمت ادلائهم في مطاوي مضله فاعتنوا فيها متعسفين في تيههم كلما احدث لهم النظر ابعد عن
رضا الله ان استقلوا منها الى غيرها لانهم لم يطلبوا اثر السابقين ولم يقتدوا بالماضين
قال فلا تكلفوا ركنة بانتحالها بالقول دون العمل بها واذ ذلك مع اضاعة العلم كذب بالقول ولا تعتنوا
بالبدع ترتيبا بعجبها فان فساد اهل البدع ليس بزايد في صلاحكم ولا تعيبها بغيا على اهلها فان
البغي من فساد التفكر الباطل فليكن امركم فيما تنكرون على اخوانكم نظرا انكم لانفسكم ونصيحة فكركم
وشفقة منكم على اخوانكم وهي رسالة نافعة ذكرنا فيها ما ينبغي للمسلم تلخيصا **ولهذا نعرف**
فضيلة لشيخ مصنف هذا الكتاب لازالة بدعوته البدع المضلة شرقا وغربا رزقنا الله واخواننا
المسلمين الاقتداء بالكتاب والسنة وجنبنا الابتداع بكل صوره منه قال الشيخ روى الامام مالك في الموطأ
صبحي امام دار الهجرة رضي الله عنه في الموطأ عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم

صلى الله عليه وسلم في مرضه كما في صحيح مسلم وغيره وكان ذلك بعد الفتح وبعد نزول قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره بسبب
عبد الله بن أبي في آخر التاسعة وهو عند أكثر المفسرين للإعادة والاستغفار وهذا الاعتبار قال
٨٩ والمتخذ عليها المساجد السرج رواه أهل السنن الأربعة والإمام أحمد في مسنده وهو عند الإمام
أحمد أيضا بسند حسن من حديث أبي هريرة ورواه عنه أيضا الحكيم الترمذي وقال حسن صحيح إلا أنه قال
بن أبي ليلى وقد ضعف عن واحد منهم شعبة وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات ومن ضعف حديث أبي هريرة
عبد الحق وحسنه ابن القطان ورواه أيضا الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح والحاكم في مستدركه عن
حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه مرفوعا ولفظه لعن الله زوارات القبور كذا ان أصح إسنادا وأتمها
لفظا حديث ابن عباس المذكور أورده المصنف وأفرد فقه اتخاذ المساجد على القبور بأن يجعلها قبلة يسجد إليها
في الصلاة كالوثن أو تكون القبور في ناحية منها فإن جميع ذلك داخل في الملعون عليه فإنهم لم يفرقوا في ذلك
في ذلك ولا أمن على من فرق أن يدخل تحت قوله لعن الله من احدث حدثا أو آوى محدثا قال أبو الوفا
بن عقيل رحمه الله تعالى اتخاذ القبور بالخلوق والتزويق والتقبيل لها والطواف بها والتوسل بهم قال
ولا يكفيهم ذلك حتى يقولوا بأن الذي بينك وبين الله وأي شيء بين الله تعالى وبين خلقه
قال ويكره إشعال النيران والبناء عليها بالعود والآجر وقد شاهدت أنا هذه الأشياء وسمعوا أن ذلك مشهد أولياء
ولا يكفيهم ذلك حتى استفتوا بالتربة من الأسقام وكتبوا إلى البقيع الرقاع ودسوها في الأبواب فهذا
يقول جاءني فلان وقد جربت وهذا يقول أرضى قد جربت كأنهم يخاطبون جمادا ويدعونه إلها فالحاصل
أن من جاور ربه في المقبرة واتخاذ المساجد على القبور على أضعاف المساجد أو قصد الصلاة فقد ارتكب النهي
قال الحافظ العلائي بعد ذلك وقد بعد المرء وانصرف عن الصواب بطرف واسع ولا آمن عليه أن يدخل في
وعيد من حرف الكلم عن مواضعه فإنه أضاع عظيما ورد هؤلاء ونهاهم عن القيد والقال كما في الحديث
الصحيح ولم يرد النهي عنه بصيغة اللعن البتة وإنما هذه أضاعة للمال فليس هو بالقصور
باللعن وكيف وقد اتسع زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرج فضهم من بين الزائرين
من الرجال على القول الصحيح ممن كان من الزيارة للقبور بأنهم يلعنون على فعلهم هذا وليسوا بها
خليقة في أهل الزيارة الشرعية المخطوظين عليها فإن أولئك اقتصروا على ما شرع لهم بأن زوروها
ليتعظوا ويتذكروا الآخرة ويدعوا لأهل القبور بالرحمة والمغفرة ثم رجعوا بأكرم والمتخذون على القبور
والسرج يرجعون منها باللعنة من النبي المختار وغضب الجبار وعذاب النار ولا يدخل المقبور على دفن الميت
ليلا في اتخاذ السرج لأنه لا يسمى اتخاذا وأيضا صح عنه صلى الله عليه وسلم فعله للحاجة فاحذر أيها
الإنسان من كلمة اعترض واطرح ولرد سنة أو إثبات بدعة فمن أحرجك لقلة الكلام من هذه الكلمة
كالسلم وقف على عبادة السلف الأول فإنما الأعمال بالنيات والجزاء على قدر الإخلاص وقد قال تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة الآية نسأل الله تعالى توفيقا يلهم الرشاد ويمنع الفساد و
عفوا منه إنه لم يقع كرضى ونعوذ به من خذلان لا يدفع جميع اجتهاد إنه كريم جواد لطيف بالعباد

الباب الحادي والعشرون في بيان ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد المصطفى

هو المصفى من كل شيء وهو خياره وخلاصته وما صفى منه فهو صلى الله عليه وسلم إنما اصطفى من أولاد
خلاصة بني آدم وهم العرب ثم من بني إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام قال جرير
بن عطية بن خطفى هشام الملك وأكرم المصطفى يطيب إذا ذكرت به الصعيد
وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا
من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وعند الترمذي عن ابن عباس مرفوعا إن الله
اصطفى من ولد إبراهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى في هذا المقام جمع جانب وهو مشتق

في اللغة من البعد والغربة ومن جوانب كثيرة لانها البعد قال الاعشى يذكر اكارب بن وعلة

اتحب حربتنا زائرا عن جنابة ... فكان حربت عن عطائي جامدا

يقول اتحبه عن عزة وتعد فخرها ومنه قول علقمة الفحل التميمي للحارث بن جبلة الغساني

فلا تحرمني نائلا عن جنابة ... فاني امرؤ وسط القباب غريب

فجنابة جمع جانب واجناب جمع جنب قالت الخنساء رضي الله عنها تبكي اخاها صخرا في الجاهلية

ابكي اخاك لايتام وارملة ... وابكي اخاك اذا جاورت اجنابا

وجناب الدار فناؤها وهابها الكفاء وهو ما حولها ومن جميع جوانبها كما قال عمرو وقد ذكرناه في ابيات اخر هذا

تظل جنابه ضرعى لديه ... والمعنى صلى الله عليه وسلم اعلم التوحيد من جميع جوانبه ونواحيه

وضمن ونشاطه ما اتسع من اطرافه وحوشيه كما يحمي الملك حماه ليلا يستباح او يكدر على رعيته

فكذلك حماه صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسد كل طريق من جوانبه يوصل ساكنه الى الشرك وهذا

من باب سد الذرائع وهو ما ظاهره مباح ويتوصل به الى محرم وهي قاعدة عند الاصوليين منع منها

الامام احمد وامام دار الهجرة مالك رحمهما الله تعالى وقالوا كل ما هو طريق الى المحرم وان كان

ظاهره مباحا فهو محظور وكل ما كان وسيلة الى محرم فله حكمه ثم اعلم ان شرعنا مظبوط الاصول محروس

القواعد لا خلل فيه ولا دخل وكذلك كل شرائع والما الافة تدخل من المتسمين بالعلم او الجهال في الحدين وقد قال

كنطان الضلال في احتنامه اجل هذه المسالك وان كان عمومهم قد خفظ من الشرك والخلاف ظاهر في

لانهم اعقل الامم واقومهم عن ان كنطان قارب بهم ولم يطمع في اغراقهم كلهم ولكن كان قد اغرق بعضهم بحال

الضلال في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بكتاب عزيز من الله عزيز وصف بانه عزيز في صفحة من صفحاته

من شيء وبين عاه شكل ما يحتاج الى بيانه بسنته كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم فقال صلى الله

عليه وسلم بعد البيان تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها فيه جاء اقوام فلم يقنعوا بحسنه ولم يرضوا بطرقه

الصحيحة وسبيله فتعرضوا لما تعلق بشرعه في اثنائه في القلوب فجنح منهم ولوجه الله البدع حتى ان منهم من ذكر

في الشرك او قرب فاتاك من ذلك وكن متوقيا لجميع تلك المهالك ولا يهولنك ذكر عظم في النفوس كان

ذكر كتاب الله وسول الله عظيم ولكن المقصود ان الذي تسلم وانما ادخل القول فيه هاتا ذنبا به

هاجى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه بتحذيره وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم يقول تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من نسبكم تعرفون نسبه

واتاكم بكتاب بلسانكم على لغتكم وفي ذكر نسبه عليه السلام اذا ذكر شرف لكم وسبب لقبولكم دعوته اذ هو منكم لان الانسان

بنسبه انس واليه اميل ولو كان اعجميا لكثر عنه النفور وعن القبول فيه البعد وايضا فلا عذر لكم لانكم تعرفون

بوفور العقول وصدق اللهجة والامانة عندكم قبل ان يدعوكم الى ما دعاكم اليه فما كان صلى الله عليه وسلم ليدع الكذب

عليكم ويكذب على الله كما هذا لا يجيء به العقل ولان كان منكم فلما تهم عليكم وقد اتاكم بما فيه شرفكم قال تعالى

لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وقرأ ابن محيصن من انفسكم بفتح الفاء اي من اشرفكم واجملكم

واعلاكم نسبا وقرئ من سر دوه من طريق نظم من حكيم عن ابن محيصن قال قرأ رسول

الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما رسول الله ما معنى من انفسكم قال

انفكم نسبا وطهرا وحسبا ليس في ابائي شيء من لدن آدم سفاح وكلها نكاح وابدى وقد روي من غير هذا

الوجه ثم قال عزوز عليه ما عنتم اشد عليه عنتكم والمعنى اشد عليه دخول المشقة والمضرة

عليكم ولذلك حمى صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد من جميع جوانبه ونواحيه ليلا يدخل الآفة حاضرة من دونهم و

كذا دنا كم فارشدكم صلى الله عليه وسلم وحذركم في ذكره وقوله حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاحكم

ولهذا تاخ لمخاطبه لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم

يؤمنوا بهذا الحديث اسفا والمعنى لعلك مهلك نفسك على آثارهم في طلب ايمانهم خيفة الا يؤمنوا واصل البخع

ان يبلغ

ان يبلغ بالذبح النحاع وذكر اقصى حد الذبح وهو ايضا النحع وقد استشهدنا على ذلك المعنى بقول غيلان ذي الرمة
ما زال اى هذا الباخع الوجد نفسه لشئ نحته عن يديه المقادر
ولهذا قال تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم كقوله واخفض جناحك الآية
وهو يتبع امر ربه وقد اخبر الله عن نفسه بتباركه وتعالى فقال وكانا بالمؤمنين رحيما وهذه الآية كقوله كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اذكانوا
قبل الجاهلية جهالا فاستنقذهم بنبيكم رسالته وبمن سفارته الى اهل الالباب وبصحابة العلماء فصاروا
اعمق الناس علما وابرهم قلوبا واقلهم تكلفا واصدقهم لهجة وليذاقا فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون اذكركم صح
فمنّ الله تعالى المؤمنين بهم الى الاعتراف بهذه النعمة وقابلها بذكره وشكره وبنبههم على انها نعمة منه
سبحانه بقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
في الآية الاخرى عالمهم عليه قبل ذلك من الضلال البين وانعته ومنّه عليهم بهذا الرسول البين بقوله
جل وعلا هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين فلهذا ذم سبحانه من لم يعرف قدر هذه النعمة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا
فان مصيركم الى النار ولذلك قال جل ثناؤه واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا المعنى لا تعطلوها عن الصلاة
فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور وانتم بمنزلة الموتى فحض صلى الله عليه وسلم بحثه العبادة في البيوت ونهى عن كونها
عند القبور على جانب المعكوس من فعل الكفار ومن تشبه بهم من هذه الامة وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان ينفر من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة تقرأ فيه والمقصود
من هذا ان الشيطان يلطف كيده بحسن الصلاة والدعاء عند القبور واذ كان الزجر منهيا عنه في بيته ومسجده فاذا
تركه من الانبياء بدعائه الى الدعاء به والاقسام به على الله تعالى وهذا اعظم من الاول فاذا ادرك ذلك
منه دعاه الى دعاء الميت نفسه من دون الله تعالى حتى يتخذ قبره معتكفا ويضع عليه المساجد والستور
ويوقد عليه القناديل ويعبده بالسجود له والطواف والتقبيل والاستلام ويحج اليه والذبح ثم يدعوه ذلك الى ان يدعو
الناس الى عبادته واتخاذه عيدا كم يدعوه الى الانكار على من انكر شيئا من هذه المفاسد العظام والحكم
على من انكرها بالضلال البعد حتى يكون اضر خلق الله تعالى عندهم فيكون احسن من حارب الله فيه ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق ولا تجعلوا قبري عيدا العيد من عاد يعود اذا تكرر ولما كان هذا معناه في اللغة ووجه
كراهة من الحديث انه اذا علت ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم افضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذه عيدا
فقبر غيره اولى بالنهي كائنا من كان وقد صان الله قبر رسوله صلى الله عليه وسلم عما يحذر واتخاذ دعاء
في قوله في حديث عطاء اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اللهم ان صلى الله عليه وسلم اعقب النهي عن اتخاذه عيدا
بقوله وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وتقدم الصلاة على وهضمها الدعاء وتقدم قوله
له صلى الله عليه وسلم وقد مر استشهاد على ذلك بيت ابي عتبة الكبير ولهذا خاطب الله بالامر بذلك فقال
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعند ابن ماجه الا اخبرك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعند البخاري حلت
له شفاعتي يوم القيمة وفيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا سلوا الله لي الوسيلة قالوا يا رسول الله وما الوسيلة قال اعلا درجة في الجنة
لا ينالها الا رجل واحد وارجو ان اكون انا هو ثم قال فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وفي حديث آخر
حيث كنتم وفي صحيح من الكرواية انبئت انها تعرض علي وفي حديث آخر فان تسليمكم يبلغني ايضا كنتم تصلون
صلى الله عليكم الى ما هنا لك من الصلاة والتسليم يحصل مع قربكم منه وبعدكم عنه فلا حاجة ولا هو يصح

بكم الاتخاذه عيدا لذلك **والاحاديث** بأصلاتنا وسلامنا يعرض ذلك علي وكذا عما لنا كثيرة هذا
فعند ابي داود من حديث ابي الخ جيد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله كيف تعرض عليك
وقد ارمت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجسام الانبياء ورواه ايضا من السهلي في خبر اتم وابو يعلى عن انس
وسعيد بن منصور في سننه عن الحسن مرسلا وخالد بن معدان مرسلا ورويناه مسندا بنحو ثلثة اسانيد بالفاظ
تقارب عن ابي الدرداء رضي الله عنه ورواه الطبراني عن ابي هريرة **وقال** [illegible] عن علي الجعفي عن عبد
الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابي الاشعث الصنعاني عن اوس الثقفي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان افضل ايامكم
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي
قال قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني بليت قال ان الله حرم على الارض اجساد الانبياء
ورواه من هذا الوجه ابو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة والدارقطني **ورواه** ايضا ابن ماجة وصححه ابن حبان والحاكم وصححه على شرطهما ولفظه عن اوس بن اوس الثقفي **وفي مسند** ابي يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته **ورواه** الدارقطني بمعناه **ورواه**
ابو داود الطيالسي وكذا البيهقي كلهم من طريق ابي عبد الرحمن مهدي بن مردان الدوري الصغير وهو ضعيف **وفي كتاب**
وفيره عن صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله وكل بقبري ملائكة يبلغوني من امتي السلام **وعند** بلفظ اخر بسند صحيح
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام **ورواه** اسمعيل القاضي
بهذا اللفظ **قال شيخ** الاسلام ابن تيمية قد ثبت بهذا ان الله يسمع صلاة كل احد من المؤمنين اذا زار قبر المسلم
وغير قبور ورد عليه فاذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم الى يوم
الدين **وفي** حديث سفين عن سمع انسا رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض علي فما رأيت من
حسناتكم حمدت الله عليه وما رأيت من سيئاتكم استغفرت الله لكم **قال** ولا نعلم روى عن عبد الله الا بهذا السند قال العراقي
ورجاله رجال الصحيح **قلت** وهو كما قال الا ان ابا بكر راوي مسلم وثقه بعض والنسائي معه شدة
في الرجال وضعفه بعضهم ولعل الذي ضعفه انما ضعفه لاجل ما رمي به من الارجاء وهذا ايضا مع النقاد اذا كان ثقة
كيف وهو من رجال مسلم وروى الفضل الاخير منه قوله حياتي خير لكم الخ بن سعد في طبقاته عن بكر بن عبد الله المز
[illegible] وهو رسلا عن عبيد وغيره قال الذهبي وهو ثقة اهـ ورواه بن سعد ايضا عن حماد بن زيد عن عاصم عن بكر به
وقال بن ابي الدنيا بلغني عن احمد بن ابي الحواري قال اصدقني بعض اصحابنا قال دخل عباد بن عباد يعني الخواص على
بعض بني صالح وهو امير على فلسطين فقال له عظني قال ايها الامير اعظك اصلحك الله بلغني ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم
وعشائرهم فاذا رأوا عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك قال فبكى بعضهم حتى سالت دموعه على لحيته
وروى بن المبارك بسنده عن سعيد بن جبير اسئل اهل بابي الا توا اخبارهم الخ قال ونعم ما من احد له حميم
الا وبابه اخبار قارة فان كان خيرا سر به وان كان شرا ابتأس وحزن **وقال** مجاهد ان الرجل ليسر
بصلاح ولده بعد موته في قبره رواه عنه بن ابي الدنيا **وعند** بن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال وهو على المنبر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يبق من الدنيا الا مثل الكتاب في جوف فاسه الله في اخوانكم من اهل
القبور فان اعمالكم تعرض عليهم **قال شيخ** الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فاقتضت الآثار

بمعرفة

ملكتهم تلك المهابة فاعترت ... تلك القوائم كثرة الرجفان
من تفجر تلك العيون بمائه ... ولطال ما غضت على الاظمان
والى المدينة بهيبة ... ووقار ذي علم وذي ايمان
لم ترفع الاصوات حول ضريحه ... كلا ولم يشهد على الاذقان
كلا ولم يرطانفا بالقبر اسبوعا كما الفت بيوت ثواني
ثم انثنى بدعائه متوخيا ... لله بالبيت الذي الاركان
هذي زيارتنا وانت سنتنا ... بشريعة الاسلام والايمان
من افضل الاعمال هاتيك الزيارة وهي موجبة في الميزان
لا تلتمسوا اكفر الذبائح لله ... سن الرسول باعظم البطلان
هذي زيارتنا وانت سنتنا ... لبدع الضلالة يا ذوي الطغيان

وقد سئل الامام احمد رضي الله عنه عمن يأتي بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اعرف هذا اهل العلم كانوا لا يأتون ويقفون ناحية فيسلمون وكذلك كان يفعل عمر رضي الله عنه قال صاحب المستوعب عند ذكر انه غير مستحب اراده وقاله غيره فيقف ناحية ثم يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ليلا يستدبره صلى الله عليه وسلم وذكر بعد تحته والصلاة والسلام عليه وعلى صاحبيه فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا بل يؤجر به كما جاءت به السنة وفيما يأتي ضمنا وتبعا وانما المكروه ان يتحرى المشي الى القبر للدعاء عند هكذا نقل الامام احمد وغيره وهو كما يأتي على ذكر ذلك ايضا يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ويدعو وساتي بيانه احكامه المأثورة عن الامام مالك رضي الله عنه في باب الاقسام على الله اسأله تعالى

وفي هديه صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور والسلام

على اهلها ما روى مسلم في صحيحه عن بريدة بن الحصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى المقابر يأمرهم ان يقول قائلهم السلام على اهل الديار وفي لفظ له السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية **وروى** ايضا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم للاحقون **وعند** ايضا عن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل عن نبينا صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال ان ربك يأمرك ان تأتي اهل البقيع فتستغفر لهم وفيه قالت قلت كيف اقول يا رسول الله قال قولي السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم للاحقون **وروى** ابن ماجة عن انس رضي الله عنه قالت فقدته صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرجت فاذا هو بالبقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين اتتكم ما توعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم سلفنا ونحن بالاثر رواه الامام احمد والترمذي وقال حسن غريب **وروى** انه صلى الله عليه وسلم كان اذا زار القبور قال السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم سلفنا ونحن بالاثر رواه الامام احمد والترمذي وقال حسن غريب **وروى** انه بعد احد صلى على الشهداء وصلى عليهم كصلاته على الميت **وعني** هذا والله اعلم ان دعا لهم كدعائه على الميت **وفي** البخاري عن عقبة بن عامر فصلى عليهم صلاته على الميت قال السبكي عند كلامه على غيره يحتمل ان تكون الصلاة هنا الدعاء والاستغفار وان يكون كالصلاة على الموتى فتكون لخصوصية له صلى الله عليه وسلم وليعم صلاته من لم يصل عليه حين دفنه **وروى** ابو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل فهذا ونحوه مما كان يفعله ويأمر به الله عند قبور المسلمين عند الدفن وعند الزيارة لهم او المرور بهم انما هو تحية للميت كما يحيى الحي ودعاء له اذا صلى عليه قبل الدفن او بعده **وروى** سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند القبر فيدعو او استحب الوقوف شيخ الاسلام ابن تيمية والنووي ونص الامام احمد انه لا باس به قال وقد فعله علي والحسن ويدل عليه انه معتاد في زمنه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى في المنافقين ولا تقم على قبره اذ هو المراد على ما ذكره اكثر المفسرين وقال ابن جرير معناه لا تتولى دفنه

والاور قول الجمهور من المفسرين اذ معناه عندهم ولا تقم على قبره داعيا له اذ دعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يصلي على ما مات من صبي فاذا دفنه قام على قبره ودعا له وقد خرج الى اهل البقيع حين فرغ من دفن عثمان بن مظعون وسلم عليهم ودعا لهم وهو خرج الى المقابر وصلاته صلى الله عليه وسلم على الميت دعاء له وفي ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه ولسائر المسلمين كما ان الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للصلي ولسائر المسلمين وتخصيص الميت بالدعاء له فعند ابي داود وصححه ابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فسمعته يقول اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تضلنا بعده وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دعوتم للميت فاخلصوا له الدعاء، يعني اذا دعوتم له فاخلصوا له الدعاء والقصد بهذا الدعاء والصلاة انما هو لمسألة الله تعالى الشفاعة للميت وانما يحصل قبولها عند توفر الاخلاص والابتهال الى الله تعالى بذلك اذ مبنى الشفاعة انما هو على الاخلاص لله تعالى في الشافع والمشفوع فيه كما ورد به الخبر فلهذا كله وما كان فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل السلف الصالحين الاولين هو المرجع للمسلم في ذلك كله فان كانوا يفعلون عند قبره صلى الله عليه وسلم وغيره في الاماكن كلها وصح عن معاذ رضي الله عنه قال احدثتم عوجا وذكر اشياء فقال هل كان عمر يسلم على القبر فقال نعم لقد رأيته مائة او اكثر من مائة مرة يأتي القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي فلان ثم ذكر اخر ذكر هذا الامام يحيى بهامش نسخته وهذا الامر وان كان امام هدى يمكن الوطء فيه بارم القبور جادة يطرقها الناس ويأتيها حتى قبور الكفار للاعتبار وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنت ربي ان استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته ان ازور قبرها فاذن لي وفيه الصامت قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة وفي رواية للاحدب عن بريدة بحذف نهيتكم عن زيارة القبور فلم يرد ان زوروا فلا تقولوا هجرا ورواه النسائي وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الموت والاخرة فزوروا اذنا عاما في زيارة القبور والكافر والميت كذا ورد على اللفظ يوجب دخول الكافر والعلة وهي تذكر الموت والدار الاخرة موجودة في حقه كله وقد كان يحرص صلى الله عليه وسلم على قبور اهل البقيع والشهداء كل سنة للدعاء لهم والاستغفار فهذا المعنى الاخير خصوص للمسلمين دون الكافر من فهذه الزيارة وهي زيارة القبور لتذكر الاخرة او للترحم والدعاء لهم هو الذي جاءت به الشريعة لتذكر الاخرة واما الجمع للزيارة كالقوم معتادة فبدعة ولا اذن لكم في اتخاذها عيدا وهو منهي عنه قال ابو الوفا بن عقيل اراد الله عنه وهل يكره القراءة على القبور في المقبرة فعن الامام احمد في ذلك روايتان احدهما لا يكره ونص عليه واختاره ابو بكر القاضي وجماعة وهو المذهب قال في الفروع وعليه العمل عند مشايخ الحنفية خلافا للشافعي فقيل يباح وقيل يستحب قال ابن تميم نص عليه الامام احمد كالسلام والذكر والمستغفار وعنه لا يكره وقت دفنه وعنه يكره اختاره عبد الوهاب الوراق وابو حفص وقال الشافعي ومالك قال شيخ الاسلام ابن تيمية نقلها اجماعا عنه وهو قول جماهير السلف وعليها قدماء اصحابه وسماها المروذي وعلله ابو الوفا وابو المعالي بي بانها مدفن النجاسة كالحش وقال ابن عقيل ابو حفص بقلب لحظ وصح عن عمر انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها فلهذا رجع الامام احمد عن الكراهة وعنه لا يكره في المذهب رواية واحدة لا يكره وقال محمد لا يعرف عامة اصحابنا الكراهة سدا للذريعة حتى قال لا بأس بالجلوس على القبر لغير الحدث وعنه بدعة لانه ليس من فعله علم كقدم وفعل اصحابه فعلم بانه وعن ابن عمر ما بلغه عما تقدم وسئل عبد الله يحل مصحفا فيقرأ عليه قال بدعة قال تميم ولم يقل احد من العلماء المعتبرين ان القراءة عنده افضل والرخص في ذلك الا بعض المتأخرين ممن لا يعرف وقت معلوم وقد تبين بما ذكرنا من الاحاديث المنع من البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها والمظاهرة والاسراج عليها وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وكذا يتبين مما تقدم المنع من اتخاذ القبور مساجد كما فعله كثير من اهل الكتابين وفي كثير من الاقوال والافعال بهذه الامة وانه لا يجوز الوفاء بما يفعله النذور

مساجد ونحوه لان بناءها محرم فيوكد بذلك وكذلك اتخاذها مساجد والصلاة فيها وهذه العلة التي لاجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن التي وقعت كفرا من الكلام اما في الكبر الاكبر او فيما دونه من الكبر فان يتركه لوجه الله كرجل الذي يقتدي بنوته او صلاحه اعظم من ان يتركه لخشية او محبة على تمثاله ولهذا اتخذوها كنائس يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يتعلق في المسجد بل والذي المسجد الحرام بل والذي السجود ونحوه من يسجد لها كما يفعل عند قبر بعض الانبياء وغيره واكثر المزورين من يترك الصلاة عندها والدعاء لا يروح في المساجد التي تشد اليها الرحال فهذه المفسدة التي هي مفسدة الشرك بحسب كانت او صغرى هي التي حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا ولم يقصد المصلي بتركه البقعة بصلاته كما تقصد بصلاته بقعة المساجد كذلك نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس واستوائها وغروبها لانها الاوقات التي يقصد المشركون فيها بتركها الصلاة للشمس فنهى المسلم عن الصلاة حسما لهذا القصد ذكر سد الذريعة فاما اذا قصد بالصلاة عند قبور الانبياء والصالحين بتركها في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله وهو عين المخالفة لدين الاسلام بل دين الله ما زال المسلمين فرجعوا على هذا بالاضطرار من دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان الصلاة عند القبر في غير المكان المفضل فيها بالذكر والصلاة في تلك البقعة خير بل شر محض وهذا شبه اهل الغلو حالا ممن قال الله تعالى فيهم فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وهذا كما ذكر شيخ الاسلام بن تيمية قدس سره قاعدة من لزمها اهتدى واهتدى كثير من تعرى عنها وقع في امور منكرة والله يحب المؤمنين وهي ليس على المؤمنين والله ان يطاع الرسل عليهم الصلاة فعلم بهذين وهو المصالح والمفاسد وانما علق طاعتهم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعة الله بمجرد طاعة رسوله وقال تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فحقوق الانبياء عليهم ان توقروهم وتعزروهم وتحترموا طاعتهم على الاطلاق واشار على النفوس والاهل والمال بحيث لا يدعون متابعة شيء من امره لشيء فالمعاقبة من ترك بعض امره اكبر او اصغر هو بترك بعض طاعتهم بقدر ما ادعه من الامر كذلك وكذلك حقوق الصديقين والشهداء والصالحين المحبة والجلال وتخوذ من حقوق التي جاءت الكتاب والسنة وكذلك علماء امته من الكرامات وخوارق العادات التي جرت عند قبور الانبياء والصالحين من تنزل الانوار والملائكة عندها وتوفي الباطن والظاهر بها وانتفاع الناس عندها وعمن جاورها وشفاعة بعضهم في حياته وبعد موته وحجب الاشقياء عند بعضهم وحصول الانس والسكينة عندها وفرار العذاب من اهلها بل هذا حق لا ينكره الا من ينكر ما اوجبه الله ورسوله وكذا ما في قبور بعضهم من كرامة الله وحسن ما لها عند الله من الكرامة والكرامة فوق ما يتوهمه الخلق وكل هذا لا يقتضي كما ان الصلاة او قصد الدعاء او النسك عندها مما في قصد العلو عندها من المفاسد ما لا يخفى على من تامل الشارع فنهى عنها ولهذا فرق العلماء رحمهم الله تعالى في شد الرحل للزيارة بين من يقصد الزيارة والدعاء للميت وبين من يقصد نفس العبادة عندها فنعوا شد الرحل للقصد الثاني وجرى بعضهم كابن عقيل فلم يفصل وقال منهم من اجاز ولم يجعل حديث شد الرحل في النهي عنه ومنهم من منع شد الرحل في جميع الزيارة الى القبور وجعل النهي فيه عاما ولفظة لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وهو في الصحيحين وغيرهما وقال اهل القول الثاني معنى الحديث لا تشد الرحال الى مسجد الا المساجد الثلاثة اذ شد الرحال الى غيرها لغير فضاء النسك واجب بالاجماع وكذا شد الرحال للتجارة بشرط وكذا جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا وزيارة الاخوان والانتقال في الاراضي لنازه حاضرا وبدوا لما رواه ابن ابي شيبة بسند صحيح ان ابا سعيد اكدري ذكر عنده الصلاة في الطور فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى ولان هذه المساجد الثلاثة لها مزية من بين باقي المساجد ولما كان مسجد قبا تابعا حكمه حكمها ودخل في قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم كان فيه صلى الله عليه وسلم راكبا وماشيا واهل هذا القول يقولون ان قصد شد الرحل التعظيم للقبور

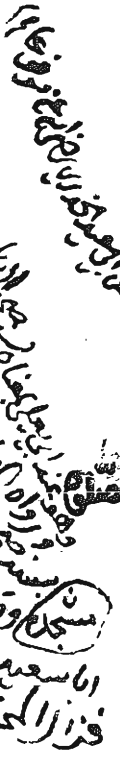

الموفق

الباب الثاني والعشرون باب

ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان

ذكر وهو دقيق في الامة الآن وتقدم على تسمية الوثن في اللغة حتى اشتهر العرف في ذلك حتى صار يطلق
عبد من دون الله تعالى حكما ومجازا وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا نزلت هذه الآية في اليهود وكانوا يقولون ان عبدة الاصنام ارضى عند الله منا
واهدى مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة
بعد وقعة احد الى قريش على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم انكم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا ندري
ديننا خير ام دينكم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا واجبتي في اللغة صنم وكل ما عبد من دون الله ويطلق على الساحر والكاهن والذي لا خير فيه والطاغوت يطلق
على كل باطل من معبود او غيره او امر او وصف لشر من طغى يطغى اذا تعدى فكل من تعدى الحق او قال او فعل الباطل
قال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله تعالى وقال ابو عبيد اللغوي
وغيره من اهل اللغة كل معبود من دون الله يدل على قوله تعالى اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
وقال عمر رضي الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهكذا قال الشعبي ومجاهد وغيرهما من
السلف وقيل الجبت الاوثان والطاغوت الشيطان وقال الكلبي صنم لبطن من بني انمار يقال له الجبت
وقال محمد بن سيرين وعكرمة الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت
الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف
يدل على قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به وهي كلمة مشهورة تستعمل لكل ما شاء الله
توضيحه ولكن ليس في الآية ما يدل على ان الطاغوت هو الشيطان فلهذا سمى طاغوتا يدل عليه قوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء
اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا فخص الكهنة من الاشراف واسمى بالذم والمعنى
يعني كفار قريش اهدى من الذين امنوا يعني محمدا واصحابه سبيلا عما عليه محمد واصحابه وفي هذا
قال اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا فخص الكهنة من الاشراف واسمى بالذم والمعنى
لا يليق بذي كرم ان يكون الا ضد ذلك وهو كسعد الاضافة عن الهدى وتسفيه احلامهم
حيث عدلوا بالمعاند والطمع الكاسر وانهمكوا في ذلك ولهذا قال الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فجعل الطاغوت جماعا
لكل من تقدم ذكره من الاشراف وغيرهم ممن اضطهم وسائر رؤساء الضلال فالشيطان داخل في هذا
القول وكل من دعا الى ضلالة كما نبهنا عليه ولهذا قال يخرجونهم قال اهل التفسير يريدون من

الكلام ع

هامش: قال ابو محمد بن حزم ومن تعظيم لما لم يعظمه الشرع بل نهى عن اتخاذ قبره عيدا فضلا عن قبر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد بن حزم وقد نص الشافعي على ما ذكرنا ومن العلماء من اباح الصلاة عند القبور وقال جماعة من المالكية وقال القاضي عياض في المالكية وقد نص ابن حبيب على ما ذكرنا وقد نص الامام احمد بن حنبل رحمه الله على ما ذكرنا وقد نص الشافعي رحمه الله على ما ذكرنا وقد نص الامام احمد بن حنبل رحمه الله على ما ذكرنا

النور

من النور الى الظلمات فمن يضلونهم نظائر هذا في القرآن كثير كقوله انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون الى قوله
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون وقال ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد
خسر خسرانا مبينا وقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وقال افتتخذونه وذريته اولياء ٩٤
من دوني الآية وقال الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء
الشيطان الآية ففي هذه الآيات دليل على ان الطاغوت هو الشيطان فالطاغوت يكون مذكرا ومؤنثا ووحدا وجمعا فالمفرد
في قوله يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الآية والمؤنث في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها والجمع في
قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقد تشكل بعض اهل العلم قوله يخرجونهم من الكفر لم يكونوا في نور قط فاجيب
بان اليهود كانوا مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلما بعث كفروا به وهذا قول ابن اسحاق لما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل هي العموم في حق
جميع الكفار وسمعنا ان هذا دخول فيه اخرج الله به كما يقول الرجل لابيه اخرجني من هذا الامر ولم يكن له فيه نصيب
والعرب تذكر الكفر والعود وتريد به الابتداء كما قال امية بن ابي الصلت

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

اي قبل اللبن حلو ليس فيه مرارة يعود اليها وقوله تعالى اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وقول
شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها كل هذا على احد الاقوال والله اعلم المشهور انه خطاب لاتباعه **و**
يحتمل ان المعنى يخرجونهم من النور الذي هو ظواهر الله التي وضعها عباده في قوله واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا **وفي الحديث** الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء **وفي**
الكتاب القدسي انا خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم **ولهذا** قال في المثل الناري في سورة النور
نور على نور قال العلماء نور الوحي على نور الفطرة فسمى الفطرة التي فطر عليها عباده نورا كما سمى الوحي الذي انزله
على رسوله صلى الله عليه وسلم نورا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وفي قضاء الطاغوت ودعاة السوء المتصفون بالطاغوت
انه يغيون فطر الخلق ويخرجونهم من نور الفطرة التي فطرهم بارئهم عليها وولوا عليها الظلمات الركون والشرك
والبدع في دينه الذي لا يحل لاحد ان يغير فطرة الله التي فطر الناس عليها **وقد علمت** ان الاضداف في ذلك ليس بـ
خلاف تضاد وانما هو اختلاف تنوع فلما كان اسم الطاغوت عندهم وصف عن كل منهم بما يوصف به كل صنف فعبر
اكثرهم بالشيطان لانه راس المضلين عن صراط الله المستقيم ولهذا حذر الله منه اشد التحذير بقوله ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وقد حذر سبحانه عباده
عن توليه كما اخبر به وتوعد من تولاه وعصى ذكر الرجز انه في بخته وبخته فقال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون **فالحاصل** ان الطاغوت هم وصف
شامل لكل من عدا عما حد الى ان طاف طوق على هذا الكلام او فسر به خصوصا اذا زخرف الباطل ودعا اليه وهو علم
ان الحق خلافه كابليس لعنه الله وكعبدة الاسرفوحي اضطربوا بها هم وكل من دعا الى الضلال وكذا الساحر
فانه يزخرف باطله في صورة الحق ولهذا قال سحروا اعين الناس واسترهبوهم وقال فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقد يكون فيه جانوز وكما لا ضر الا باذن الله ولهذا قال وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله وكذا الكاهن والحاكم اليه فانه زخرف قوله الباطل بكلم الصدق التي يلقيها الشيطان من استراق
السمع من السماء ليضل الناس بها ويلبس عليهم دينهم فسمى بذلك طاغوتا وايضا فالساحر والكاهن
هما فاعلان واقوالهما مكتسبة من الشياطين ولهذا قال وما تنزلت به الشياطين وكذلك الشياطين سحروا بعباد الله السحر فالذي
بهذا الاعتبار هو اسم دعاة الضلال فسحرة الكهنة اظهر من كونهم طاغوتا فكان كل عالم لا يدل الذي يطلب
علمه غيره هو له تبع فصار عند كل هو الطاغوت الاكبر اعاذنا الله والمسلمين سبحانه منه ومن توليه فانه انما
يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير فعلى المؤمن ان يتبع ما جاء به رسول الله محمد خاتم المرسلين صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين وان لا يلتفت الى دعاة الباطل كائنا من كانوا وليحذر منهم على حذر واطنا الكلام في

في هذا المقام المسؤول الكاتب إليه والله الموفق قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية
[illegible] بشر من الفريق الذي لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وبئس شرهم مكانا وأضل عن سواء السبيل
يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين عابوا عليك دينك وكذبوك وخالفوك هل أخبركم بشر من ذلك أي عند الله يوم القيامة من هذا الذي عبتموه به وعاقبتموه عليه وهو أنكم لعنتم عند الله وغضب عليكم وجعل منكم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وقد قرئ وعبد الطاغوت بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت أي خدامه وعبيده وقرئ على أنه جمع عبد وعبد مثل غائب وغيب وشاهد وشهد وحكى سيبويه أن قولهم عابد الطاغوت وحكى الجرمي عن أبي عمرو الفارسي أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت على أنه فعل ماض فاعله ضمير اسم الله تعالى وقد استبعد هذا القول بعض المفسرين ولا يبعد ذلك لأنه من التعريض بالأمر والمعنى أنه قد عبد الطاغوت فكيف وأنتم الذين فعلتموه وكل القراءة يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب بين الطاعنين في دين الله الذي هو توحيد الله العالم وإفراده بالعبادة دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وصفتم بجميع ما ذكر ولهذا قال أولئك شر مكانا أي مما تظنون بنا مما قلتم وضلوا عن سواء السبيل وهذا من باب أفعل التفضيل فليس من الطرف الآخر شركم كما يقال في الوصف الأول في قوله صلى الله عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي وكقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا فجعل مكانهم شرا ليكون أبلغ في الدلالة على شر ما هم عليه كما هو أضل عن سواء السبيل فالنصارى في طرف الغلو واليهود في طرف الجفاء وأحسن الطريق المستقيم بين هذين الطرفين لأن سوى كسبيل ووسط إذ سواء كل شيء وسطه قال الشاعر

وصاحب غير ذي ظل ولا نفس ... هيجته لسواء الهجد فاهتاجا

ومنه قول البكري النسابة لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما عن نسبه فانتسبه إلى أن قال أنت من سواء الثغرة وهي نقرة النحر وسطها وسطها كما قالت صفية بنت عبد المطلب وهي ترثي ابنها الزبير بن العوام رضي الله عنهما

حام لحقيقة ماجد ... سهل مخالقه سواء

بضرب الكتيبة سواء المفرق وليس بالوني ولا بالأخرق

يقول يضرب الأبطال بالسيف وسط المفرق وهو أعالي الرأس فأوساط الشعر وسط بين طرفين بين الغالي والجافي ثم حتم على الأمة سلوك طريق اليهود ومن غلا فيه كسلوك طريق النصارى وقد أخبر الله تعالى وهو الصادق في القائل بأنهم عبدوا الطاغوت وضلوا عن سواء السبيل ونبه رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال وهو لا ينطق عن الهوى وهذا الذي ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا لتتبعن سنن من كان قبلكم الحديث وما بأتي في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وبهذا القطع يقينا بأنه لا بد أن يقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من ذلك لأنه لا يخبر عن الله إلا بما هو واقع لا محالة فإذا كان كذلك فالواجب على الأمة المبادرة إلى الإنابة والإقلاع عما هم عليه من مخالفة الكتاب والسنة والرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الاعتصام بالكتاب والسنة والدعوة إليهما والتحاكم إليهما في النقير والقطمير والجليل والحقير والله الموفق وقوله قال الذي غلبوا على أمرهم وهم الملأ وذوو الرأي منهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية في أول سورة الكهف وأوردنا هناك أحاديث في كراهة تعظيم القبور واتخاذها مساجد لتتخذه عليهم مسجدا وهذا من عمل الطائفة بالابتداع في الدين الذين بعثه الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك في غير ما موطن حتى في وقت مفارقته الدنيا في قوله الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك وقد أبلى به كثير من هذه الأمة نسأل الله أن يعصمنا

الكلام عليه

الكناية من الدخول تحت لعنة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وغضب مرسله جل وعلا عن ابي سعيد الخدري الانصاري رضي الله عنه
... سنن بضم المهملة والفتح فيها لغة جمع سنة قال زهير بن ابي سلمى يعاتب بني عليم من كنانة عذرة

ارونا سنة لا عيب فيها ... يسوي بيننا فيها السواء ١٥

وقال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سنة وامامها

من كان قبلكم يعني بسنتي التي ابتدعوها في دينهم اذ السنة في اللغة الطريقة والمنهج فلذلك اضافتهم اليهم لانهم الذين ابتدعوها فلا يدخل تحت هذا الاطلاق سنة الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام اليوم الدين اذ هي في نفسها ليست مذمومة بل هي ممدوحة اذ لا يتم الايمان الا بالايمان بها جملة. واما اذا اطلقت السنة في كتب الشرع فانما يراد بها ما امر به الشرع صلى الله عليه وسلم او نهى عنه او ندب اليه مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا حذر صلى الله عليه وسلم عن بدع الضلال اشد التحذير ففي ... جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة رواه مسلم في صحيحه وفي رواية للنسائي وكل ضلالة في النار وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وفي لفظ في الصحيح من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي حديث العرباض بن سارية المتقدم في السنن مرفوعا انه قال من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وهذه قاعدة دلت عليها السنة والاجماع مع ما في الكتاب من الدلالة قال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله فمن ندب الى شيء يتقرب به الى الله تعالى او اوجبه بقوله او بفعله من غير ان شرعه فقد شرع من الدين ما لم ياذن به الله تعالى وقد عاب الله على المشركين شيئين احدهما انهم اشركوا به ما لم ينزل به سلطانا والثاني انهم حرموا ما لم يحرمه الله وبين صلى الله عليه وسلم ذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا ولهذا قال تعالى عن المشركين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء فجمعوا بين الشرك والتحريم والشرك يدخل فيه كل عبادة لم ياذن الله بها فان المشركين يزعمون ان عبادتهم اما واجبة واما مستحبة وان فعلها خير من تركها ثم منهم من عبد غير الله تعالى ليتقرب بعبادته الى الله ومنهم من ابتدع دينا عبدوا الله عز وجل به في زعمهم كما احدثت النصارى من انواع العبادات المحدثة واصل الضلال المغيرين لدين الرسل عليهم الصلاة والسلام انما نشأ من هذين اما اتخاذ دين لم يشرعه الله او تحريم ما لم يحرمه الله والاصل في الدين ان لا يعبد الا الله بما شرع في كتابه او على لسنة رسله ثم قال صلى الله عليه وسلم واصفا الذين تكنى قوله حذو القذة بالقذة وفي لفظ حذو النعل بالنعل والحذو التقدير بالقطع والقذ والقذ باعجام الذال واهمالها بمعنى والقذذ بضم القاف جمعها قذذ ريش السهم وهي بالذال المعجمة فعلتها قذة بفتح القاف والمعنى انهم يستعملون مثل اعمالهم ويتبعونهم في ... مثل ما تقطع احدى النعلين وتقدر احدى القذتين على حذو الاخرى اي قدرها ومنه قول عمر رضي الله عنه في ... المكاني فانظر ولحذوها من الاخرى وهذا مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان ... فتقدر على حذوها قال ... بن سعيد الوالبي في ذلك وسميت النعلان بالحذاء ... بحذوها الاخرى وبها القدم

جزى الله الصحابة عنك شرا ... وكل الصحابة لهم جزاء
بفعلهم فان خيرا فخير ... وان شرا كمثل الجزاء

وقال الآخر في الحذو

اذا ما نزلت حذو نزاعة الشوى ... بيوت بني قطن فاحذر ربابا
ونزاعة الشوى موضع ... هكذا وقال غيلان ذو الرمة في القذ الذي هو بمعنى القطع يبكي بالبكا بعضه وبخده ام جنبه

الونا ابائر قد نام ادمعه ... لوالدة تدعي الجنيب وتذكر

قولا وفعلا او اقرارا او ...

يقول لوالدته وهي هند فوق بنت عمران ربا كان من قضاعة وهي ام اولاد اليأس قبل اسماعيل وهند ولقب يقول يا بني باولادها
ذكور اولادها ثم قال صلى الله عليه وسلم بالغة في ذلك حتى يوشك يعني الذين قبلهم من اليهود والنصارى وفارس والروم
كاسباني حجر اي حجر بضم الجيم وتاوله لحمار اي الحجر في الارض باكله فيها من السباع والهوام والحشرات ولكيوانا وهنا قال
حجر ضب فاضافه الى الضب المعروف مبالغة لصغر حجره وجعله الاكل عندنا لقصة ضاد ابو لبيد رضي الله
واكله له بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اكل اعرابي عند الصحابي رضي الله عنه خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى وقوله ويعلم ان الادمي لا يدخل
جحر الضب وانما الضب ممتدا بالجحر بالغة في الامر كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال ابن
نظر الاول منهم الى حدث والاخرة فلم يدر نسب الكل فقطع فالنظر هذا يدخل كيده ما يغبط وقال
صلى الله عليه وسلم لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وقوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا ولو تامر عليكم
عبد حبشي كان راسه زبيبة بالغة في السمع والطاعة لولي الامر والا فمن صلى الله عليه وسلم
ما كان يريد اعارته وقال الازاهلة الامر في حرش ما بين مزينة او اناس قاموا الدين وقال الانبار عليهم
احد في هذا الامر الا كبه الله لمنخريه او وجهه والحاد يحيد حيدا صريحة وما كانت ابنته الزهراء رضي الله عنها
وصاياها لتسع قوما هو بالغة في اقامة الحد قال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله يعني اردت بمن قبلنا قال
فرع وسميت اليهود بقولهم انا هدنا اليك وقيل انهم هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل انهم تهودوا عند
قراءة التوراة اي يتحركون ويقولون استمعوا كرت حتى ان الله يوسى التوراة قاله ابو عمرو بن العلاء وقيل من تهيم
الى يهوذا بن يعقوب قيل لهم اليهود بالمعجمة عرب بالهمزة نقله غير واحد يقال يهود ويهدان قال حسان
رضي الله عنه في الصحابي عبد الله بن ثابت احد بني عبد الاشهل من الانصار من بني عبد الاشهل وكان من بهم تهيم بالفا
وقد جعل اليهود ما من بلغ الضحاك ان غرقه [illegible] ان يتمجرا
ما انحت يهدان الحجارة بهم [illegible] ولا محبر
وامر عمر لا يوافق حسنا [illegible] في القضاء وحقوقا
واما النصارى فقالوا واحد كم نصرانا بمعنى نصراني ونصرانية نسبة الى قرية يقال لها ناصرة وبقال لها
وفي ذكره دواعي الحرص على الصحيحين وفي البخاري بمعنى الهجرة قضى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى
تاخذ اهل فارس والروم شر ذرا بذرع فقيل يا رسول الله كفارس والروم قال ومن الناس الا اولئك
خير صلى الله عليه وسلم يكونون في اي حضناها للهود والنصارى وهم اهل الكتاب وحضناها اضافة فارس والروم وهم
الاعاجم وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهم لاذى وليس هذا اضارا بجميع الامر بل قد
ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة وفي رواية لا يضرهم
خذلان من خذلهم واخبر ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة بل كل ما عند بعض وابا كان هذا الحديث والذي بعده ليس
في رتبة الذي قبله في الصحة فهما داخلان في معناه واخبر ان الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم
فيه بطاعته [illegible] بخبره صلى الله عليه وسلم الصدق الذي امته قوما تمسكون بهديه الذي هو دين الاسلام محضا وقوما يحرفون الى شعبة من شعب اليهود والى شعبة من شعب النصارى والى شعبة من شعب فارس والروم
وانما كان الكمال قد لا يكون كمال الخوف بل قد يكون الاخر كفرا وقد يكون فسقا وقد يكون
معصية وقد يكون خطا وهذا الاخر افاوت تتفاوته الطباع وتزيد به الكفار اجر العبد
بالدعاء له بالسنة ووعده وعد على الهداية الى الاستقامة التي لا يهودية ولا نصرانية اصلا وهذا كما
دبت فيه خرجت في صلى الله عليه وسلم مخبرا عن وقوع ذلك والقدم لم اتبع غير سبيل المؤمنين والله اعلم
بسبيلهم وهذا كما كان مخبر صلى الله عليه وسلم عما يفعله الناس بين يديه اي عنه من غير اشتراط والامور المحرمة
مما تقدم ان شابهة اليهود والنصارى وفارس والروم مذمومة اذا كانت فيما ذم الله به ورسوله
ورسوله وهو المطلوب من البيان ولا يقال فاذا كان الكتاب قد دل على وقوع فعل النهي عنه
لان الكتاب قد دل على انه لا تزال في هذه الامة طائفة ظاهرة متمسكة بالحق الذي جاء الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وانها لا تجتمع على ضلالة كما تقدم الكتاب عليه فاني النهي عن ذلك فيها
وبكثير الهذه الطائفة المنصورة وفقنا الله لها وزيادة لايمانها ولنخرج صلى الله عليه وسلم عن شعبة
ما حاز من البلاغ وما بأمره تعالى وقد ذكرنا ان الذكرى تنفع المؤمنين فنسأل الله الكريم المجيب ان يجعلنا من هذه الطائفة

فلا يسلط عليهم لدعوة نبيهم صلى الله عليه وسلم فيستبيح بيضتهم اى يجتمعهم ويوضع سلطانهم ومستقر عزهم
بحيث يستأصلهم ويبيدهم جميعهم قيل اراد اذا اهلكت البيضة كان هلاك كل فيها من طير او خراج واذا اهلكت
اهل البيضة بما سلم بعض قرابتهم وقيل اراد بالبيضة الكورة فكانه قال مكان اجتماعهم والتئامهم بالبيضة قال الشاعر

وفي كل عام بيضة تفقؤنها ... فنفقا وبقى بيضة لا اخالها

وان رجلا اذا قضيت قضاء فانه لا رد وذكر انه صلى الله عليه وسلم سئل ربه لا تهلكهم ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعه
ذلك كما صح بذلك الخبر **وفي صحيح** مسلم **عن** سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى مررنا على مسجد بني معاوية فصلى ركعتين فصلينا معه فناجا ربه عز وجل طويلا فقال سألت ربي
ثلاثا سألته ان لا يهلكنا بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يهلكنا بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يجعل
باسنا بينهم فمنعنيها **والقضاء** يأتي في لسان العرب على نيف وعشرين كما قاله وقضينا اليه ذلك اي ادينا هؤلاء فقتلوا
منهم مصبين وقيل وارانيه معناه ذكر وباسماء اللغي وغرضا ماض وقضى الامر وهو معنى الفراغ من الشيء وبشرعي
كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وهو معنى ابرم في قوله تعالى في الآية الاخرى ان احكم الا لله
امر الا تعبدوا الا اياه ذكر الدين القيم والظاهر من القضاء انه اكوني وقوله اراد القضاء وهو حكم العلم واني
اعطيتك لاستكان لا اهلكهم بسنة عامة بان تعمهم بالجدب والجوع وان لا اسلط عليهم
عدوا من سوى اي غير انفسهم فيستبيح بيضتهم مر الكلام على البيضة انفا ولو جمع عليهم من بأقطارها
من عدوهم لعمهم الله تعالى بدعوة نبيه فحرصه على عدم ذلك فلا ينافي الوقوع ظاهرا على عدو هم على اكف لا يضرهم
من خذلهم ايهم الظفر والاقطار واحدها قطر وهي النواحي من كل شيء ومنه قوله تعالى يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا قال **الفرزدق التميمي**

كم عمكم عن شيخ الابطحية ... واخيل مقعية على الاقطار

وهي الاقتار ايضا
حتى يكون بعضهم هو الذي يهلك بعضا بتسليط الله تعالى بعضهم على بعض بسبب ذنوبهم واعظم ذلك الذنوب
وحب الدنيا وبكل لي جمع الله على هذه الامة سيفين سيفا منها وسيفا من عدوها كما رواه ابو داود وغيره
عن ثوبان رضي الله عنه بسند حسن ولفظه عن صلى الله عليه وسلم زويت لي قارين رأيت ملكها يبلغ ما زوي لي منها وفي
الصحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال اني لست اخشى عليكم ان
تشركوا بعدي ولكن اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال
عقبة فكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمل قوله صلى الله عليه وسلم اني لست اخشى عليكم ان
تشركوا بعدي على الصحابة رضي الله عنهم فيقصر على موضع الخطاب ولان معصومية امته جعل لهم وقتين وقت
حياته صلى الله عليه وسلم وقد حفظهم الله به ووقتا بعد موته وهو الذي يخشى عليهم فيه الدنيا فليس له اذا عموم
لصحة الاحاديث بوقوع عبادة الاوثان في امته صلى الله عليه وسلم كما ثبت عند في الصحيح وغيرها وقد وقع
عيانا لا ينكره الا مكابر معاند والله الهادي الى سواء السبيل وروى ابو داود وهذا الحديث في سننه
بسند صحيح ورواه الامام الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين بن غالب الفقيه المحدث الاديب الصالح
سكن البرقاني بفتح الموحدة وكسرها وسكون الراء المهملة وبالقاف ثم نون بعدها الف هكذا ضبطه
كبكي في الطبقات وغيره قال الصاحب في الباب نسبة الى قرية من قرى كاث بفواصل خوارزم خربت قال
ياقوت في معجمه يقال لها برقان بفتح اوله وبعضهم يكسره من قرى كاث شرقي جيحون على نيف
وثلاثين فرسخا وبه لقيه جماعة محدثين خوارزم يومان وخربت برقان منها الحافظ ابو بكر احمد بن
غالب الخوارزمي البرقاني سمع ببلده وورد بغداد فسمع ابا بكر الصولي وابا بكر القطيعي وسمع ببلاد
كثيرة بجرجان وخراسان وغيرها ثم استوطن بغداد وكتب عنه ابو بكر الخطيب الحافظ وغيره من الائمة
وكان له كتب كثيرة انتقل من الكرخ الى الغرب بباب الشعير وتفقه بجماعة وصنف في الفقه ثم اشتغل بالحديث فصار فيه اماما قال الخطيب وكان ثبتا فهما فطنا ورعا متقنا فهما لم ير

في شوخا

شيوخنا احفظ منها وأحفظ للقرآن عارفا بالفقه له حظ من علم العربية كثير الحديث حسن الفهم والبصيرة صنف
مسند صحيح ضمنه ما اتفق عليه الصحيحان وهو ستة وثلاثين وثلثمائة وآخرها وفاة أول يوم
من رمضان آخر سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ببغداد وهذا أكد ما أودعه صحيحه على الصحيحين
وزاد فيه على ما في صحيح مسلم قوله وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وروى هذا اللفظ بعينه رفوعا الإمام أحمد والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه
ولفظه وإن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون فكل من اتبع على شيء فهو إمام متبع قال تعالى يوم
ندعو كل أناس بإمامهم وقد صح قول السيد رضي الله عنه في قوله
ص من معشر سنة لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها ولهذا وصفهم صلى الله
عليه وسلم بالمضلين ليستبين وا بذلك من الهادين المهديين وقال العبد الصالح عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى
ط وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها أي غالب الملوك لا يقتدي ولا يأتم إلا
بهوا عند طلب الدنيا وعند الإمام أحمد بسند صحيح وحاكم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مرفوعا لا تبكوا
على الدين إذا وليه أهله وبكوا عليه إذا وليه غير أهله وعند أبي يعلى الموصلي عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا
إنما أخوف ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه أنسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره
بالسيف ورماه بالشرك قال قلت يا رسول الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي قال بل الرامي رواه الدارمي في
مسنده بنحوه وفي شعب الإيمان للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما أخاف على هذه الأمة
كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل بما تنكرون وصلى الله عليه وسلم أول وقوع ذلك وآخر مدته بقوله وإذا وقع عليهم
السيف يعني بعضهم على بعض لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة يعني السيف من مجموعهم لا عن جميعهم قضاء من الله تعالى وقدرا سابقا
عليهم والعيان يصدق ذلك بوجوده فنسأل الله تعالى بلطفه الخاص والعفو والعافية إنه كريم رؤف لطيف بالعباد
وأن يجعلنا وأحبتنا المسلمين من الناجين من الفتن المضلة إلى يوم القيمة روى هذا الفصل من قوله وإنما أخاف
على أمتي إلى آخر الحديث أبو داود والترمذي بنحوه وابن ماجه والبزار عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعا وسيأتي الكلام على لفظ
القيمة قريبا إن شاء الله تعالى وهذا الحديث فيه تخويف وبشارة ومعجزة لنا من الرسول المبعوث صلى الله عليه وسلم أما التخويف ففي
الفتن بين الأمة الإصابة وأما البشارة فإخباره ببقاء الإسلام على الحق إلى يوم القيمة أو حتى يأتي أمر الله وهو على ذلك كما جاء
مصرحا به في الصحيحين وغيرهما وأما المعجزة فوجود وقوعه كما أخبر صلى الله عليه وسلم وهذا السيف الذي
وقع عليهم في القسم هو أعظم ما يبتلى به الأمم إذا تحلى بينهم عياذا بالله من ذلك وهو أعظم
أسباب ذكر الهوى كما قال رجال القرآن رضي الله عنهم وغيره من المفسرين في قوله تعالى ويلبسكم شيعا
قالوا يعني الأهواء وفي الكلام في الحديث المرفوع ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وقد وقع
ذكر الآخرة أيضا وقال سبحانه أيضا في قوله جل وعلا ويذيق بعضكم بأس بعض قال سلط بعضكم على بعض بالقتل
والأسر والقتل وهكذا قال غيره وقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
لهذا الذكر تعالى قوله أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وفي
حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي رواه عنه حميد بن هلال أنه قال أيام حصر عثمان بن عفان ما
هلكت أمة قط حتى يرفعوا السلاح على السلطان يعني حتى يثوروا عليه ويروا الخروج به على الولاة وفي
هذا عدم جواز الخروج على الأئمة ونصوص الإمام أحمد وغيره من الأئمة تدل على ذلك وأنه لا يحل وأنه بدعة
مخالفة للسنة وقد ظهر وأبان الصبر على جور الأئمة وأن السيف إذا وقع عمت الفتنة وانقطعت السبل
فتسفك الدماء وتستباح الأموال وتنتهك المحارم ويعم البلاء وتكثر الفتنة ويضعف أهل الحق ويقوى الباطل
وبالإمام يقوم الحق ويدمغ الباطل قال جرير بن عبد الله
لولا الخليفة والقراء يقرؤها ما قام للناس أحكام ولا جمع
قال شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر إذ الفتنة
لها سببان إما ضعف العلم وإما ضعف الصبر فإن الجهل والظلم أصل الشر وفاعل الشر إنما يفعله لجهله بأنه شر أو يكون
نفسه يريد فيه العلو والجهل وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول الفتنة وقال الإمام أحمد لو أعلم
أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان فإن صلاحه وقوع كسيف في هذه الأمة قتل خليفتها

وقد فعلته الخوارج بخروجهم على أئمتهم وهو شر حدث في الإسلام إلى يوم القيامة وهو فساد عريض لا يخفى

[illegible] النورين ابي الموئمنين عثمان بن عفان [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وبشره
بها على بلوى تصيبه فصبر لها رضي الله عنه وارضاه مخافة الفتنة الحاضرة على الامة وهو ثالث الخلفاء
الراشدين المهديين بعد الذين امرنا باتباعهم وفضائله جمة كثيرة شهيرة لا تعد ولا تحصى كما تقدم
بعد ذكر عمل السيف في الامة بسببه كما اخبر صلى الله عليه وسلم وهذا من معجزاته الباهرة وقد قال ابن حزم رضي الله عنه
في قتل عثمان رضي الله عنه

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى ... فاي ذبح حرام ويحهم ذبحوا

واي سنة كفر سن اولهم ... وبأس على سيطأ نعثل سنحوا

وهذا من باب قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال الحبر الجاشي التهمي رضي الله عنه

لقد سفه الناس في دينهم ... وخلاني عفان سرا طويلا

وكان قتله رضي الله عنه في ايام التشريق يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بالمدينة ولهذا قال عبيد المرادي النميري الحجازي في قصيدته التي يستعطف بها عبد الله بن مروان

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ودعا فلم ار مثله مخذولا

فتفرقت من بعد ذاك عصاهم ... شققا واصبح امرهم مفلولا

وقال الاخر

الا قل لقوم سار في كاس علقمي ... بقتل امام بالمدينة محرم

قتلتم امين الله في غير حرمة ... ولاحد حصان ولا قتل مسلم

تعالوا فقاتونا فان كان قتله ... لواحدة منا فحل لكم دمي

وقال حسان رضي الله عنه

ضحوا بابيض طاعن لسيوفهم ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال ليلى الاخيلية

قتلتم ابن عفان الهمام ... وضاع امر المسلمينا

وشتتم بعد الرشاد ... لصادرين وواردينا

وعند ماجة والترمذي وقال حسن صحيح عن عمرة بن الاقل سمعت عثمان رضي الله عنه وذكر الفتن فمر بها فقرب رجل مشتمل في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فتوسمت اليه فاذا هو عثمان فقال اراك قلت على هذا فقال نعم

وعند ابي داود والنسائي والدارقطني عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال انشدكم الله والاسلام والا انشد الا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها حتى اشرب من ماء البحر فقالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيه ركعتين فقالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان جبل ثبير جبل العرة من مالي قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير هو وابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا ورب الكعبة اني شهيد لذلك قال والصحيح في جبل ثبير انه هو احد فعند البخاري عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان هكذا رواه البخاري احد وهو الذي اثبت عند العلماء وخلف احد جبل مدور العمرة يقال له ثبير

وقوله محرما في الاشهر يعني في الشهر الحرام وعلى ذلك حمل بعض اهل العلم قول ابن عباس رضي الله عنهما في حديث ميمونة الذي رواه البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم تزوجها محرما يعني في الشهر الحرام اذ ورد انه رضي الله عنه عزبي فصيح فتكلم بكلام العرب الذي هو بسليقته ولم يرد الاحرام بالحج ولهذا رد الدارقطني

ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم وهذه ايضا [illegible] اقام الاخر وقد مضى اولهم الاسود
العنسي صاحب صنعاء وقيل بن صياد ومسيلمة الكذ[illegible] اليمامة قتله وحشي قاتل حمزة
بن عبد المطلب رضي الله عنه رجاء منه ان يكون هذا يدفع ان الاسلام يجب ما قبله وهو مسيلة
بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن سحفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن بكر بن وائل
ويكنى ابا ثمامة وقيل ابا هارون وكان يسمى بالرحمن فخاروا على الرحمن قيل قتل وهو ابن ثنتين وخمسين
سنة وكان صاحب خزفة كانا قبل الحنفي يدور في الاسواق التي كانت بها دور العرب والعسوق
كأبلة وسوق بقة وسوق الانبار وسوق تحرة بليمس بعمل اجر واحيانا الاضحى الرقاق والنوم و
كان قد اصاب اكراة والزحر واخطأ فرد ذكره ان صك على بيضه من خزحاذ فقاطه فلانت حتى اذا مدد
ها مرطاة وسدت كالعلك ثم ادخلها قارورة ضيقة الرأس وركبها حتى افضمت وتمدارت
وعادت كهيئتها الاولى فاخرجها الى قومه اعراب وادعى نبوته فامن به جماعة جلة بني حنيفة وقيل في
بيضة قارورة وراية شادن وتوصيل الفصوص من كطار حاذف
يريد براية الشادن الراية التي يعلمها الصبي من القرطاس الرقيق ويجعل له ذنبا من القرطاس ويرسلها
يوم الريح بالخيوط الطوال ويعلق بها الجلاجل وكان يرسلها في ليلة الريح ويقول للملائكة تنزل على و
هذه فتحسبها وزجلها ويقال انه اول من وصل جار الطائر المفصوص وكان يدعي ان ضبية تأتيه من
الجبل فيحلب لبنها فقال رجل من بني حنيفة يرثيه
لهفي عنيك ابا ثمامه لهفي على ركني ثمامه كراية بكف فارس كالشمس تطلع من غمامه
قلت ابل كانت اية مكوسة يغوي بها اهل اليمامة فقد نقل في بئر قوم سلوا
بئرهم فاجاءوها فصار اجاجا لا يساغ شربه واخذ رجل من بني حنيفة فضل وضوئه فرش به ارضا فصارت سنجة
لا تنبت شيئا ومسح راس صبي فقرع قرعا قاحا ودعا رجل ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما
قد وقع في البئر والاخر قد اكله الذئب ومسح على عيني رجل اعشى فمسحه فابيضت عيناه قال سيف
بن عمر واتته امرأة من بني حنيفة بثكنا بام الهيثم وقالت ان نخلنا السحق وانا بارنا الجرر فادع لما ائنا
ونخلنا فدعا لاهل هجر ان فقال يا نهار ما تقول هذه فقال انا اهل هجر هان انو بهم افسلوا بعد ما
كانا بارهم جرا وشد عمهم ونخلهم وابنا سحق فدعا لهم فجاءت ابارهم والخنت كل نخلة قد
انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها فحلت بالارض حتى انتشب عروقها فقطعت من دونها ذلك فعاد
فسيلا مكانها فمر صاعدا فاوكيف صنع فادعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض منه بفمه ثم مجه فيه
فانطلقوا حتى افرغوه في تلك الابار ثم سقوا نخلهم ففعل المنزل احدهم ذلك فدعا مسيلمة لهم بدلو
من ماء فدعا لهم فيه وتمضمض ثم مج فيه فنقلوه فافرغوه في ابارهم ففارت بنزلك الابار وهوى نخلهم و
اما سبابا فذكر بعد مهلكه وقال له نهار يركع على مولدي بني حنيفة فقال وما البركع قال كان
اهل الجاهلية اذا ولد فيهم المولود اتوه بمحمد فحنكه ومسح راسه فلم يوت بصبي حنكه ولا مسح راسه الا قرع و
لقرع سبابا فذكر بعد مهلكه وقالوا له تنبع خطا نهر كان محمد يضع فصلها فدخل
حائطا من حوائط اليمامة فتوضأ فقال نهار لصاحب الحائط ما منعك من وضوء الرحمن تسقي به حائطك حتى
يروى ويخيل اليه ان موضع بنوا المربد اهل بيت من بني حنيفة وكان رجل منهم قدم على ابن صياد الكاهن فاخذ
وضوءه فذهب به الى اليمامة فافرغه في بئره ثم نزع فسقى فكانت ارضه نهرا فاورقت وحزنت فلم
تلق الا خضراء مهتزة ففعل فعادت بيضاء لا تنبت مرعى ها وانا رجل فقال ادع الله لارضي
فانها سبخة كادعا هم صلى الله عليه وسلم لارض فقال يا نهار قال قدم علي وسلم وكانت
ارضه سبخة فدعاله واعطاه سجلا من ماء وجه له فيه فجاء به فافرغه في بئره ثم نزع فطابت
وعذبت ففعل ذلك فانطلق الرجل ففعل ما بسجل كما فعل الاول فعرفت ارضه كباخا وما خفر ها ولا

ادرك

ادرك ثمرها ومرعاها **وانتجع** اهلها فاستجابت الى النخل يدعوها فخربت كنائسها يوم عقربا كلها وكانوا قد عقلوا وكتبا لهم ومن [illegible] عليهم **وروى سيف** بن عمر عن خليد بن زفر النمري عن عمير بن طلحة النمري عن ابيه قال جاء ابي اليمامة فقال اين مسيلمة فقالوا هو رسول الله قال لاحتى اراه فلما جاءه قال انت مسيلمة قال نعم قال من تابعك قال رجال قال افيورا وفي ظلمة قال في ظلمة قال اشهد انك كذاب وان محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة احب الينا من صادق مضر فقتل معه يوم عقربا قلت والنمري بفتح النون والميم هو من بني النمر بن قاسط من عبد القيس من ربيعة بن نزار وكذلك بنو اخيفة من بكر بن وايل بن ربيعة **وكان مسيلمة قد ضرب** حرما باليمامة فنهى عنه واخذان يسن به فكان حرما فوقع في ذلك الحرم قرى الاحاليف الخاذ من بني اسيد من بني عمرو بن تميم كانت دارهم باليمامة وهم بنو اجرودة وجعلوا يغيرون على ما حول اليمامة فاذا اغاروا انهم اهل الدار دخلوا الحرم فامتنعوا منهم فلم يستبيروا ايمر فذلك الذي يريدون فلم يزل ينهم حتى اسعدوا عليهم مسيلمة فقال لهم انتظروا الذي يأتيني من السماء فيكم وفيهم قال لهم والليل الاطخم والذيب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت حرمة محرم فقالوا ما الحرم اتحل الحرم وفساد الاموال ثم عادوا للغارة وعاد بنو الحنيفة للعروض فقال انتظروا الذي يأتيني فقال والليل الداجس والذيب الهامس ما قطعت سدرا رطبا ولا يابسا فقالوا ما النخل رطبة وقد جدوها واجذاذا يابسة وقد هدموها فقال اذهبوا فارجعوا فلا حق لكم عليهم وكانا هما بقراء فهم ان بني تميم قوم طهر لقاح لا هم وه عليهم ولا اتاوة يجاورهم ما حيين باحسان وينعم منكل انسان فاذا هم الارض بمكلام له سجاع كلام النساء ارصف وارضى منه وابلغ **واما الاسود العنسي** صاحب صنعا فله شيطان يأتيه خبره فاذا اخذ ازره شد قاه ويخبره باشياء يفتن بها الناس **وقتله فيروز** وداذويه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال كما رواه سيف بن عمر وغيره فاز فيروز واحد الذين قتلوا العنسي وهو فيروز الديلمي في قصة طويلة واعانتهم عليه امرأته وكانت امرأة صالحة قد كرمت به قيل قتل وهو سكران ذكره الملا والابي تحضريه باسمائهم وهم يقولون مضل نبي قاه وهو سكران قاه والناس تلقى حتفهم كالذبان قاه النمر والنار لدى برهوت سيان قاه **وفي حلية** الصفار بن فيروز عن جيش الديلمي عند سيف بن عمر وغيره في قصة قتل الاسود وفيما قال واخذ المرأة بشعره وسمعته بمرة فاتجه بملاءة واخذ فيروز الشفرة على حاطقه فخار كما تخور الثور سمعته قط فاقتدر بكر بن اثاث وهو حول القصر فقال هذا عاهذا وقالت المرأة يعني متهكمة وفادة الحرس النبي يوحى اليه وهذا يخبث **وفيه** فلما طلع الفجر اذن داذويه بالاذان وكان اشعا مجنه وبيا اشياعه رضي الله عنهم فضرع المسلمون والكافرون وتجمع الحرس قال داذويه فنادينهم اسلام اسلام اهل رسول الله واما عيهلة كذاب والقضا البهر راسه واقام فيروز رضي الله عنه الصلاة **وعند النسائي** في سننه عن عيسى بن حمزة عن الشيباني عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن ابيه رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت من راس الاسود العنسي وضمرة هذا الذي يقال ربيعة ابو عبد الله الحمصي الفلسطيني روى له البخاري في الادب المفرد واصحاب السنن الاربعة وقال فيه ابو زرعة هو رجل صالح صاحب حديث من الاوائل الماموني لم ار بالشام رجلا اشبه بالتابعين منه وقال ابو حاتم رجل صالح ما رايت رجلا اعقل منه ولم ار راسه من ضمرة وقال بن سعد كان ثقة وقال يعقوب كان فقيها اميرا في زمانه وقال ابو حاتم هو صالح الحديث ووثقه يحيى بن معين والنسائي وغيرهما وقال بن القطان في الوهم والايهام تقتل الاسود لم يجئ الا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم لم يصح واما ورد فبطرق لا تصح قال وما قال ان ضمرة لا يتابع على هذا الحديث لا نقه ولا جل انفراده قيل فيه غريب **وطليحة الاسدي** قد مر ذكره واسلم وحج بعد ذلك وحسن اسلامه بعدما قبل عكاشة بن محصن الغنوي الاسدي رضي الله عنه ايام الردة بالكناف سلما جميلا طيبا في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه ويعرف جهده في فتوح العراق وقد هربت عليه فخر بني سلمى امين فجاءها **وسجاح الدارمية** العقفانية وتكنى ام صادر وهي بنت الحارث بن سويد بن عقفان **فلما ادعت النبوة** اجابها من قومها الى الموادعة فيما قال سيف

بن عمرو غزة وكيع ومالك بن نويرة فقالوا لها ما من بيداء [illegible] الركاب واستعدت للذهاب
لتراغيروا على كرباء فلس ونم حجا ونومة سجاح حتى تزيره وقالت لها ايا الوهنا
حجاز بني تميم ولن تعدم الرتاء اذا رشدها الصفاء اتاتك زباء بالدجاني والدهاني فلبثت لها بعض
فنزل الدجاني هالك بن نويرة وذكر قصة طويلة وان اخرها قالوا لها ما ترى فقالت بالمنا فقالوا
ان سوكة اهل اليمامة شديدة وقد غلظ امرمسيلمة فقالت عليكم اليمامة ودفوا في الكامة فانها غز
وة ضرامة لا يلقح بكرها اندامه فنهد لبني حنيفة وبلغ ذلك مسيلمة فخافها وارسل اليها ليستالنها على نفسه
حتى يأتيها فنزلت بكوذ على الانواء واذنت له وامنته فجاءها في اربعين من بني حنيفة حتى
قام لها قبتها وحولها عراسها فقالت اني بنيته كازهل الكريم لام الذي يحدث الهزعة فقال مسيلمة
ان نصف الارض وكان الامر نصفها لو عدلت وتدراه عنك النصف الذي زويت قريش فخبرك بره وكانا لها
لو قبلت فقالت لا ارد النصف الا من جنف فاحمل النصف الخير لها كالسهف فقال مسيلمة سمع الله
لمن سمع واطاعه بالخير اذ طمع ولا زال الامر مع كل ناسر نفسه يحمي ذمار اكم ركم في جاكم ما دمتم وجنته خلالكم
ويوم دينكم نجاكم ثم ذكر سجعا في روايته كلاما طويلا لها كان نفر المسيلمة عليهم قال رسدف فصالحته على ان
يحمل اليه النصف من غلات اليمامة وابت الا السنة المقبلة يسلفها فاعطاها ذلك وقال خلفي من يجمع
لك السلف وانصرفي انت بنصف هذا العام فحمل اليه النصف فاعتمت وانصرفت به وخلفت عكرمة والمهزل
ووتاد المتخزوا النصف الباقي فلم يفي الا نحو خالد بن الوليد رضي الله عنهم فارضوا وتشاغل اهل
اليمامة بامر خالد ومن معه من المهاجرين والانصار ومن سار بجيوشهم من بني عليم وطي وغيرهم من
العرب واسلمت يعني ذكر سجاح وهي التي يقول فيها قيس بن عاصم سيد بني تميم رضي الله عنه

امست نبيتنا انثى تطوف بها ... واصبح انبياء الله ذكرانا

قال ذكر على سبيل التهكم بها ثم تتابع المرتدون للنبوة هم جرا حتى عد العلماء رحمهم الله تعالى اكثر من الدلائه فتمت معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم فاما الاسود العنسي ومسيلمة الكذاب وطليحة الاسدي وسجاح
التغلبية فامر الله تعالى قائمة عليهم ساق الردة واهل الردة ثلاثة اصناف صنف خرجوا من الاسلام
وصنف قالوا على منع الزكاة فقاتلهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه فهوم خطاب الله على لسان رسوله
من كلام العلماء رحمهم الله تعالى وهم الذين وقع فيهم الاختلاف بين الصديق والفاروق رضي الله عنهما ف
اما الصنفان الاولان فلم يختلف في قتالهم ولا في كفرهم قال ابو سليمان الخطابي رحمه الله
ومما يجب ان يعلم ان اهل الردة كانوا صنفين صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا
الى ما كانوا عليه من عبادة الاوثان وهم الذين عناهم ابو هريرة رضي الله عنه في حديثه يعني الذي في الصحيح قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب وفي لفظ وارتدت العرب وهذه الفرقة طائفتان احدهما
اصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة واصحاب الاسود العنسي وما كان من
مسيلمة من اهل اليمن وغيرهم وكذا اصحاب طليحة وصدقهم وهذه الفرقة باسرها منكرة لنبوة محمد
نبينا صلى الله عليه وسلم مدعية النبوة لغيره فقاتلهم ابو بكر رضي الله عنه حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعا
وتقدم حديث ضمرة في وقت قتله قال وانفضت جموعهم وهلك اكثرهم والطائفة الاخرى ارتدوا عن
الدين فانكروا الشرايع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من امور الدين وعادوا الى ما كانوا عليه في الجاهلية
فلم يكن يسجد لله تعالى في بسيط الارض الا في ثلاثة مساجد مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس
في البحرين في قرية يقال لها جواثا في نحو يقول الاعور الكلبي يفتخر بذلك ولقد افتخر

والمسجد الباذل الزكي كان لنا ... فيه الخيار وفصل القول في الخطب

ايام لا ينبغي الناس نكرانه ... الا بطيبة والمجتوح ذي الحجب

وكان هؤلاء الممسكين بدينهم لما اشتد على المحصرين في جواثا الحصر قال رجل صالح من صالحي المسلمين
يقال له عبد الله بن حذف لاخذ بني بكر بن وائل بعدان كادوا يهلكون وارسلها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه

الابلخ

[illegible] الا ابلغ ابا بكر [illegible] فان المدينة [illegible] جميعا
[illegible] فهل لكم الى قوم [illegible] كرام [illegible] في حوانا محصنا
[illegible] كان دماءهم [illegible] شعاع الشمس [illegible] الناظرينا
[illegible] توكلنا على الرحمن [illegible] وجدنا النصر للمتوكلينا والنصف الاخير الذين فرقوا
بين الصلاة والزكاة وانكروا الزكاة ووجوبها ادّاها الى الامام وقيل انهم لم يمنعوا الا الاداء قال وهو الاوفق
بحقيقة اهل البغي وانما دعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصا لدخولهم في غمار اهل الردة اذ كانت
اعظم امرين قراهما واريح قتال اهل البغي من زمن علي رضي الله عنه اذ كانوا منفردين في زمانهم لم يختلطوا
باهل الشرك وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولكن منعها بذلهم الغالب الاان
رؤساءهم قد صدوهم عن ذلك الراي وقبضوا على ايديهم في ذلك كبني يربوع فانهم قد جمعوا زكاتهم واراد وا
ان يبعثوا بها الى ابي بكر كما بعث بها ما في بني تميم كقيس بن عاصم والزبرقان والقعقاع بن معبد من بني عمرو بن
تميم فمنعهم مالك بن نويرة وفرقها فيهم وقد يسمي بعضهم وذا مرهؤلاء عوض الخلاف ووقعت الشبهة
لعمر رضي الله عنه فراجع ابا بكر كصديق وناظره واحتج عليه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فعلل في
هذا عمر رضي الله عنه تعلقا بظاهر الكلام فبين ابو بكر رضي الله عنه في اخره وبتمامه ان سياقه يقتضي
حقن المال ما يدان العصمة قد تضمنت عصمة دم ومال متعلقة بايفاء شرائطها وكلام المتعلقة شرطين لا يحصل
باحدهما والاخر معدوم ثم قاسه بالصلاة وبين الزكاة انها قرينتها في كتاب الله واستدل من قوله دليل على قتال المتنع
من الصلاة وكان ذلك باجماع من الصحابة رضي الله عنهم وبذلك رد لكل المختلف فيه الى المتفق عليه فا
حتج في هذه القضية الاجماع من عمر رضي الله عنه بالعموم وفي ابي بكر بالقياس ودل ذلك على ان العموم يخص
بالقياس وان جميع ما تضمنه الخطاب الوارد بحكم من شرط وغيره طرد لما فيه ومعتبر صحته به فلما استقر
عند عمر رضي الله عنه راي ابي بكر وباله صوابا تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله فلما رايت الله قد شرح
صدر ابي بكر للقتال علمت انه الحق قيل انه اراد بالشرح صدور بالحجة وقيل ابو سليمان في
موضع آخر وقد بينا ان اهل الردة كانوا صنافا منهم من ارتد الى المتنبي ودعا الى نبوة مسيلمة وغيره
ومنهم من انكر الشرائع كلها وهؤلاء هم الذين سماهم الصحابة رضي الله عنهم كفارا وذكر راي ابو بكر بن
ذراع وساعد على ذلك يعني على بن ابي الذراع ان اكثر الصحابة لم ينقض عصر الصحابة حتى اجمعوا على ان المرتد
لا يسبى فاما مانع الزكاة منهم المقيمين على اصل الدين فانهم اهل بغي فلم يسموا على الانفراد منهم
كفارا وانما كانت الردة اضيفت اليهم لما كانت للمرتدين في بعض ما منعوه من حقوق الدين وذكر ان
الردة اسم لغوي وكل من انصرف عما كان مقبلا عليه فقد ارتد عنه وقد وصف هؤلاء الاصناف باطلاق
ومنع اكثرهم انقطع عنهم اسم الثناء والمدح وعلق بهم اسم القبيح لما شاركهم القوم الذين كانوا ارتدوا
حتى قيل وان قيل فاذا انكم طائفة في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من اداءها يكون حكمهم حكم اهل
البغي قلنا لا فانا نعلم انكر فرض الزكاة في هذه الازمان كالمجمع عليه اجماع المسلمين لانه شاع في الامة
واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حد عرفه الخاص والعام واشترك فيه العالم والجاهل فلا يعذر منكره
وكذلك الامر في كل ما انكر مما اجمعت عليه الامة من امور الدين اذا كان علما مشتركا كالصلاة الخمس وصوم
رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الربا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الاحكام الذين يكون جاهلها
حديث عهد بالاسلام ولا يعرف حدوده فانه اذا انكر شيئا منها جاهلا به لم يكفر وكان بسبيله سبيل او ليك
القوم في ذلك الحكم وتبع الخطابي على ذلك جمهور العلماء من آخرهم شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه
ونور ضريحه وقد ذكرنا هذا المعنى اذا عند ذكر ادعاء البغوة لتعلقه بذلك واما من منع دفع الزكاة
الى الامام اذا طلبها فان قاتل على منعها حتى صار بقر بالطاعة ويدفعها كما امر وانه لا يكفر بذلك كما قاتلهم
ابو بكر الصديق رضي الله عنه على ذلك واقره الفاروق عمر رضي الله عنه بعد ذلك بعد التي لقيه ورأى ان الحق حيث شرح
الله صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك ثم اجمع الصحابة عليه فتبين بما تقدم ان قتال ابي بكر للعرب بعد

يقول الله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ويعطيه ولي بن الاثير هذه الامة مستقيما حتى تقوم
الساعة وعند البيهقي عن ابن مسعود ويبقى شرار العلماء من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين قال ابن كثير بعد ذكر هذا الحديث فقال صحيح
وعند مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من
المسلمين حتى تقوم الساعة وعند مسلم وصححه عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه مرفوعا لا يزال اهل
الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قيل الجهاد واجب الى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير
الى يوم القيامة وقال ابو هريرة وغيره غزو الفرس جهاد قلت وهذا يقال في كل من غزا الكفار وجاهدهم قال الحربي اخطأ
والارجح ان اذا الظلال تقاصرت يقرى الفري وذا غزت مبلغ ما يقود احد
في سيرها وحدة ولذا قال مبلغ بصفة بالسرعة والنشاط في المشي بالسرعة بالفلاة اذا تقاصرت
الاظلة في حر الظهيرة تملع ملعا وذكر اشد ما يكون من السرعة في السابق في الفلاة وقيل هم العلماء عامة
وقيل هم اهل الحديث وهو مروي عن الامام احمد وقيل هم اهل الشام لانهم في طرف العرب من الحجاز وقيل
العرب هنا الدلو الكبيرة والمراد باهلها اهل الغرب لانهم مختصون بها غالبا وقيل بل اخص الناس بها العرب
في جزيرتهم قال الخطابي اثاث عالية رواية اصوله سقاه بماء البحر غرب وناضح
وقوله حتى يأتي امر الله يعني امر الله هو القيامة كقوله تعالى اتى امر الله الآية وكذا في حديث ابن عمر
السابق والاوجه فيه ان يقال المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة كما مر الحث عليه
لان الساعة لا تقوم حتى لا يقال في الارض الله الله كما هو في الصحيح يروى برفع الهاء ونصبها فعلى الرفع
معناه ذهاب التوحيد ومن نصب فمعناه انقطاع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي صحيح مسلم
عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه مرفوعا تقوم الساعة والروم اكثر الناس وتشبيخ الصحيح انه لا يبقى
حتى وقت قيام الساعة لكن تكون الروم هم قوم معروفون اكثر ما كانوا في ذلك الوقت وفي صحيح
مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب الليل والنهار حتى تعبد
اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا
طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال ذرة او حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين
ابائهم فتقام الساعة والله الموفق

باب ما جاء في حد السحر وبيانه والعشرون والثالث

قال هو وقد اختلف ابن قدامة رحمه الله تعالى هو عقد ورقى وكلام يتكلم به او يكتبه او يعمل شيئا يؤثر في
بدن المسحور او قلبه او عقله من غير مباشرة له وله حقيقة فمنه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه
وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يعطف احدهما الى الاخر ويحبب بين اثنين قال وهذا قول الشافعي
وذهب بعض اصحابه الى انه لا حقيقة له وانما هو تخييل وسحر باب الكلام على ذكر ابليس وجنوده باب ما كان يفعله السحرة
فهو من عمل الشيطان الا فتخييل وسحر باب الكلام على ذكر ابليس وجنوده قال الله تعالى وقد علموا لمن اشتراه
ما له في الاخرة من خلاق يقول تعالى ولقد علموا اي اليهود اذ فعلوا فعلهم واستبدلوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر
بكتاب الله تعالى اي ما له في الاخرة من خلاق اي نصيب قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال قتادة قد علم الله
فيما عهد اليهم الساحر خلاقه في الاخرة فبئس البديل لو كانوا يعلمون لو كانوا يعلمون ان ما استبدلوا به من السحر عوضا عن الايمان لو كان لهم عمل
تماوعطوا به وقيل لو كانوا يعلمون ما كنهها يبصرون اليه من العقاب وقيل من عقلوا اي هل خلص من عذاب الله
تعالى في الاخرة قال ابن الصلاح يدعون بالويل فيها الحاقة قلما الا السراب ليل حرفا واغلالا
يقول الاخلاص لحمولها قال وليس ما شره والشهر لو كانوا يعلمون اي ما عوجا انفسهم قال الخطابي الهلالي
ما فجأه يسري رحله قال قائل لمن حمل رحوا البلاط ذلول ما يقود بجميع رحله صبح رحله يعني طب
من صاحب رحله ورحله فابيا عليه فحينئذ سمع قائلا يقول لمن حمل صفة كذا وكذا بجميع رحله فحمل وشمر وركز بجميع
رحله واخذ رحله من واحد وشد برحله كانه لم يزل الا بيا قبل هذا البيت وبعده وفي مسند الامام احمد
عن عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لداود نبي الله عليه السلام من الليل ساعة يوقظ
فيها اهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا فانها هن ساعة لا يستجيب الله فيها الدعاء الا لساحر او عشار

اقامة البرهان عليه ونقل الخطابي ونحوه انكروا السحر مطلقا وكانه عنى القائلين بانه تخييل فقط والا
فهي مكابرة من انكره وقال المازري جمهور العلماء على اثبات وجود السحر وانه حقيقة ونفى بعضهم حقيقته
واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل باثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد خرق
العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بعض القوى على بعض مخصوص ونظير
ذلك ما يقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها نافعا فيصلي بالنار
كيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر اه في قوله ما يفرق به بين المرء وزوجه يكون المقام مقام
تهويل فلو جاز ان يقع بما اكثر من ذلك لذكره قال المازري والصحيح من جهة العقل انه يجوز ان يقع
اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قدنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق
بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعان حتى يتعاطى الساحر ما يريد والكرامة لا يحتاج الى ذلك بل انما
تقع غالبا اتفاقا فالساحر لا يقدر ان يحيي ميتا ولا ان يخرج من عصاه حية وكذلك من تدرب وتحيل
بخلاف النبوة التي اصطفاه بوجه ما وقد اقام من الحجج ما يدل على اجماع على ان السحر لا ينافي الامن فاسق
وان الكرامة لا تظهر على فاسق وقال النووي في الروضة نحوه عن المتولي وبعض ذلك محال ما يقع انما
يقع منه فاما كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من ذلك كرامة والا فهو سحر لانه ينشأ
عن اعداد لوعه كاعانة الشياطين وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غالبا
لدقتها لا تتوصل اليها الا احاد الناس وعادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها
تخيلات بغير حقيقة وبعضها بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى وجاءوا بسحر عظيم وعن
حبالهم وعصيهم انها تسعى اي تتحرك حركة واضطرابا لا وعصا بنفسها ثم قال ولا شك ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب
كالحب والبغض والقاء الشر والمرض وفي الابدان بالالم والسقم قال النووي وعمل السحر حرام وهو من الكبائر
بالاجماع وقد عد الشارع عليه السلام من جملة الموبقات ولا يكون كفرا الا بعصبة فيه فاما كان فيه قول او فعل
يقتضي الكفر وقد اشتبه حكمه كالرمز الذي قال عياض وهو قول احمد والامام احمد وطائفة من الصحابة و
التابعين وعند الامام الشافعي رضي الله عنه فاما قتلت توبته وفي المسئلة اختلاف في حكمها وتفاصيلها
لا نطيل بذكرها وقد اجاز بعض اهل العلم تعلم السحر كابي حنيفة رحمه الله احد اجريا اصالة التمييز فانه كفر من
غيره واما الازالة عمن وقع به قالوا فلا اول لا يجوز فيه الامر جهة الاعتقاد فاذا حل لا عتقاد فمعرفة
الشيء لمجرده لا تستلزم معاملة من يعرف كيفية عبادة اهل الاوثان لا كيفية ما يعمله الساحر انما هي
حكاية قول او فعل يخلا فعاطيه والعمل به واما الثاني ان كان لا يتم كما زعم بعضهم الا بنوع من انواع
الكفر او الفسق فلا يحل اصلا قربانه قالوا وهذا فصل الخطاب في هذه المسئلة قلت وظاهر قوله
تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر خلافه وانهم كفروا بذلك ولا يكفر بتعلمه الا ان ذلك
الشيء كفر وكذا قوله عن الملكين انما نحن فتنة فلا تكفر فانه اشارة الى ان تعلم الكفر ليس كفرا فتكون الاشارة كفرا وهذا
كلام واضح على ما قررنا من العمل بعض انواعه وقد زعم بعضهم ان السحر لا يصح الا بالكفر وعلى هذا فتسمية ما عدا
ذلك سحرا مجاز اكما طلق على القول البليغ كما في الحديث ان من البيان لسحرا وفي الباب بعده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا بمعنى ابعدوا وهو ابلغ من لا تفعلوا السبع اي الكبار السبع المذكورة في هذا الخبر
لاقتضاء المقام ذكرها فقط والا فهي اكثر من سبعين بل السبعين مئة اقرب الموبقات اي المهلكات قالوا يا رسول الله و
ما هن قال الشرك بنصب الجلالة على البدل ورفعه على انه خبر مبتدا محذوف باسه اي هو احد شركاله والمراد الكفر
سمي به لان الشرك كما يخرج عن الملة لا بد ان يكون كافرا والسحر وهو من اوطأة النفس الخبيثة لا قوال وافعال
يترتب عليها احوال خارقة كما مر بيانه مستوفى وقتل النفس التي حرم الله اي قتلها عمدا قال بعضهم وسنذكر
الا بالحق بان يفعل موجبا للقتل شرعا بان يبدا دينا او يخرج على المسلمين يريد ان ينتزع عصاهم ويفرق جماعتهم
او يقطع طريقهم او يزني بعد احصانه او يقتل نفسا عمدا بغير نفس والكبائر بالنسبة الى الانسان
يا يا وهي كما مر من الوجوه الدنيوية والابدان يعاقب صاحب الربا بنقيض مقصوده في الدنيا وورد في الحديث
الذي رواه الامام احمد في مسنده حيث قال نا محمد بن شريك عن الوليد بن العيزار عن ابيه عن ابن مسعود رضي

بالسيف احسن القتل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قتلتم فاحسنوا القتلة فعند الامام يقتل مطلقا وهو الكاذا وقع السحر من فاعله نحو كفر مطلقا فيقتل من غير استتابة لظاهر الحديث وعند الحنفية وان افضى انه يقتل اذا كان ما يسحر به كفرا او اقر انه قتله بسحره او اعتاده غالبا ولقدم ذكر الخلاف في المستتابة والقول الاول هو الذي عليه جمهور الصحابة رضي الله عنهم وجماهير التابعين ومن بعدهم وقد جوز اهل السنة واجماعه بانه قد يقدر الساحر ان يطير في الهوى بسحره او يحمل الناطق له والكلام عمل الشيطان وذلك لا يقع الا بقضاء الله وقدره فخالف الخبر والكشف وقدرهما وان كان ذلك القول او الفعل كفرا فانه لا يتم الا بقضاء الله وقدره وبهذا يعلم ان الكفرة والفسقة لا يترتب الا بما قضاء الله وقدره على اهلها المستحقين لها وبذلك ارسلنا الرسل كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره بالغيب ان الله قوي عزيز وعن جابر بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقام حد من حدود الله تعالى خير من مطار اربعين صباحا في بلاد الله تعالى الا ان فيه سعيد بن سنان الكندي ابو مهدي الحمصي وهو ضعيف وقال النسائي انه متروك ورواه الدارقطني بالوضع وقال

في عرط فهو الوحي وحي محمد ... يقيم ضناه اخر الدهر كامل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل عائل

وقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم له رحل وسرج وسوط وقوس وعصا ودرع ومغفر وترس وخيل وكان من كل ذلك مستعملا فيما ناسب له هذا والله تعالى يقول في صفته بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال مخاطبا للمؤمنين عند اقامة الحرج من حدوده ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله فجعل ان الرحمة اقامة الحدود في الامر وفي الحديث عن صلى الله عليه وسلم انه قال انا الضحوك القتال رواه الديلمي وقال لا يصح ام موقوف لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه وفيه اسمعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف من قبل حفظه والصحيح عن ابن عيينة عن ابن عيينة موقوف وقال ابو الفتح العلائي سئل محمد اسمعيل يعني البخاري فقال هذا لا شيء واسمعيل بن مسلم ضعيف جدا وقاله ابن المنذر ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ورواه الطبراني والبيهقي من وجه آخر عن ابن عيينة مرفوعا واشار البخاري الى انه وان كان ضعيفا يقوى بكثرة طرقه وقال ابن حجر جمعت في جزء البغوي الكبير والصغير والطبراني والبزار ونحو الاربعين كثرة وفي صحيح البخاري عن عمالة بفتح الموحدة بعدها جيم بن عبدة بفتحتين التميمي العنبري البصري الثقة الثبت قال كتب عمر رضي الله عنه قاتلوا الساحر والساحرة المهديين رضي الله عنهم الذين امرنا بالاهتداء بهديهم الى عماله ان اقتلوا كل ساحر وساحرة فلم يقصر رضي الله عنه على قوله كل ساحر حتى قال وساحرة ليلا تقولوا ان المرأة لا تقتل بالسحر اذ هذا لا يقاس على الكفر الاصلي لما فيه من الافساد المتعدي فيقتل به الرجل والمرأة كالردة وزاد عبد الرزاق عن معمر عن عمرو بن دينار في روايته عن عمالة قال فقتلنا ثلاث سواحر وفي هذه الزيادة رد على من زعم ان البخاري ليس في صحيحه ما رواه جميعا الا ما كان على شرطهما ورد على من زعم ان ابن حنبل حيث قال الاسناد صحيح هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار انه سمع عمالة بن عبدة يقول كتب عمر الى عماله فذكره بكماله وبلفظه وعند سعيد بن منصور وابي داود في كتابيهما عن عمالة هو ابن عبدة كنا كتبا لجزء معاوية عم الاحنف قيس اذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة اقتلوا كل ساحر فقتلنا ثلاث سواحر في يوم واحد وهذا لا يتم ساحر اهل الكتاب قال ابن بطال لا يقتل ساحر اهل الكتاب عند مالك والزهري الا ان يقتل بسحره

وسلطانه

ولا يقال هذا من باب القياس لانه

وهذا امر استفهم به الصحابة رضي الله عنهم فكانا اجماعا وهو دليل على عدم الاستتابة في السحر اذ هي
لم تفعل مع احد من الصحابة رضي الله عنهم [illegible] من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عمر وابنه
وحفصة على انه صحابي وحد الصحابي [illegible] ام احد كما مر حي سنة او ستين او بوما او ساعة او راه فهو من
اصحابه هذا مذهب اهل الحديث [illegible] وغيره وقاله ابو البقاء وجعل الصحيح ذلك وقال البخاري
في صحيحه من صحب النبي صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين فهو من اصحابه وعد بعضهم من لقي النبي صلى الله عليه وسلم
مات على الاسلام ليدخل الاعمى ونحوه المرتد الذي مات على ردته كمسيلمة الكذاب ونحوه وهذا اسعد الراكب
حس وهو اجمع ما قيل في ذلك وقيل غير ذلك **وممن** روي عنه قتل الساحر عثمان بن عفان وابن عمر وقيس
ابن عبادة وعمر بن عبد العزيز وجماعة من التابعين **قال** موفق الدين بن قدامة تعلم السحر
وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافا بين العلماء **قال** وقال اصحابنا يكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد
تحريمه او اباحته **وروي** عن الامام احمد ما يدل على انه لا يكفر فانه نص لا روي عنه فقال **قال** عمي
في العراف والكاهن والساحر اراى ان يستتاب هذه الافاعيل كلها فانه عندي بمعنى المرتد فاما ان يرجع
والا قتل **قلت** له يقتل قال لا يحبس لعله يرجع **قلت** لم لا تقتله **قال** اذا كان يصلي لعله يتوب
ويرجع **قال** وهذا يدل على انه لم يكفره لانه لو كفره لقتله **وقوله** في معنى المرتد يعني في الاستتابة و
هاتان الروايتان في وجوب حكم التوبة في الدنيا من سقوط القتل ونحوه فاما فيما بينه وبين الله تعالى وسقوط
عقوبة الاخرة عنه فمتى فاء الى الله تعالى لم يسعه الا التوبة على احد من خلقه فمن تاب الى الله قبل الله توبته
وهذا اجماع من اهل العلم **وقد تقدم** حكاية مذهب ابي حنيفة ان مضى انه ان اعتقد انه يفعل ذلك
بمقدوره لا او تفعله له كياطين من دون الله كفر **فلو علم** انه ليس شيء سوى الله تعالى الا مخلوقا له مقدورا
بقضائه وقدره لا يخرج شيء عن مشيئته مع كونه يكره الشر ويمقت فاعله **وعند** الشافعي ان اعتقد
ما يوجب الكفر مثل التقرب الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يليق بالالهية كفر لان القرآن نطق بوجوب
تحريمه ونبت بالنقل المتواتر والاجماع على والا يفسق ولم يكفر لان عائشة رضي الله عنها ماعت حارة
لها سحرتها بعض من الصحابة ولو كفرت لصارت مرتدة **قلت** **وقد** يجاب **الحنفي** لو فعل ذلك بانه
يحتمل انها لست الى علم السحر نفسها وانما امرت به وجهل فاعل السحر العامل له وهي لا تستحق القتل بذلك
ولهذا لما كانت جارية حفصة رضي الله عنها هي العاملة له امرت بقتلها فقتلت **كما** تقدم في المتن **والسحر**
الذي فيه هذا الكلام هو الذي يعد في العرف سحرا مثل فعل العبد بن الاعصم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكسحرة قوم فرعون
مع موسى عليه الصلاة والسلام وكالسحر الذي ادعاه النمامي فنفخ في احليل عمارة بن الوليد حتى هام مع
الوحش فلم يزل معها الى ان مات عمر رضي الله عنه كما رواه ابو الفرج الاصبهاني والاموي في مغازيه فاما
ذو بن عمه عبد الله بن ابي ربيعة عمر بن الخطاب في المير اليه فكان له فوصل ارض الحبشة واكل الفستق
والفحصة عنه وعن امره حتى اخوانه في جبل يردمه الوحش ويصدر فلم يزل في طريقه الى الماء فاذا هو
قد غطاه شعره وطالت اظافره وغمرته عنه نباته حتى كان شيطانا فقبض عليه عبد الله وجعل يذكره
بالرحم ويستعطفه وهو ينفض عنه ويقول ارسلني يا بحري ارسلني يا بحري **قلت** وكان عبد الله بحريا
يذكر في اهله فيا عبد الله ان يرسله فجاء بيديه وهذا لخبر مشهور وهو عند ابي الفرج اطول من هذا
وله قصة تركنا ها اختصار المعنى الذي اوردناه لاجله **قال** موفق الدين وبلغنا ان بعض الحراء
اخذ ساحرة فجاء زوجها كانه محترق فقال قولوا لها تحل عني فقالت انوني بخيط وبات فاتوها به
فجلست على الباب وجعلت تعقد خيطا خيطا فلما عقدت واحدة قال فهذا واشباهه مثل ان يعقد الرجل
عند الزوج فلا يطيق وطئ امرأته هو السحر المختلف في حكم صاحبه **فاما** الذي يعزم على المصروع
ويرقيه ان يجمع لكن وما فوقها فطبعه فهذا لا يدخل في هذا الحكم ظاهرا وذكره القاضي وابو الخطاب في جملة
السحرة وانما محل السحر فيما يحكمه ان اراد الله تعالى في باطنه والله تعالى الموفق سواء السبيل

وانما من عده من اهل الكفر

الباب الرابع والعشرون في بيان شيء من انواع السحر

قال الامام احمد في مسنده حدثنا حجاج هو ابن محمد المصيصي هو المقدمي البصري العروف بعندر وكان كثير الرواية عن شعبة بن الحجاج وهو ثقة صحيح الكتاب الا انهم ذكروا انه غلط في حديث روى له كلمة كلم توفي سنة بضع وتسعين ومائتين ولقب بعندر لانه حدث حديثا فانكره عليه اربع وتسعون شيخا وقال ابن عائشة انما لقب بعندر من ذلك اليوم لانه حدث حديثا فانكره عليه فقال له اسكت يا عندر واهل الحجاز يسمون المسند عندرا ثم كان بعض اصحابه يلقبونه بذلك كما يعرف في هذا الموضع يا بن العلا ويقال في مخارف ابو العلا مقبول روى له ابو داود والنسائي وغيرهما من اهل السنن قبيصة بن الحارق بضم المهملة وتخفيف الجيم وعبد الله الهلالي صحابي سكن البصرة رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول العيافة وهي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها واصواتها ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير فيما رواه اسحق وظاهره ان العيافة في المكروه خاصة والفال في المحبوب وقد يكون الفال في المكروه وقسم ابو عبيد الحديث فقال العيافة زجر الطير يقال عفت الطير اعفها عيافة وكانت العرب تستعملها وتخصهم بها سولف بكسر اللام قبيلة من الازد معروفة تذكر عند العرب وبالزجر لها منهم اللهبي الذي زجر حتى لو قعت لحصاة على صلعة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فادمتها وذكر في الحج فقال اللهبي اشعر امير المؤمنين والله لاحج بعد هذا العام فكأنما كنكد واللهب في اللغة شقوق في الجبل وقد قال ان عرفي بني لهب

سئلت بالله لما زجر زجره ... وقد تزجر العالمين اللهب

وقال الآخر

فما اعيف اللهبي لا زد زجره ... وازجر للطير لا عن ما صره

والطائف هو الضرب بالحصى الذي تفعله النساء ومنه سميت عطارف الصانع واحدها لانها يطرق بها بالضرب وقيل هو الخط في الرمل وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على الخط والرمل وفي الطرق والزجر يقول لبيد بن ربيعة رضي الله عنه

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

والطير بكسر الطاء والياء المثناة من تحت وقد تسكن وتفتح الياء الثناء وهو بالشيء مصدر تطير كتخير خيرة فالطيرة تكون في المحبوب والمكروه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم ذكر الطيرة فقال خيرها الفال فدل انها تكون على وجوه والفال خير فلفظها يعطي ذكره ويعطي انها خير والشر لا يهاس الطير تقول العرب جرى له الطائر بخير وجرى له بشر وفي كتاب الله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي ما حصل له في علم الله مما قدر له قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين علي وابن عفانا

وقال جاهلي

وما صد قنا الطير يوم لقيتنا ... وما كان من دلاء فينا نخابر

وقالت رقيقة بنت ابي صيفي بن هاشم بن عبد مناف حين سقى عبد المطلب بالسر صلى الله عليه وسلم وهو غلام على ابي قبيس قيل انها صاحبة وقيل لم تدرك البعثة قال ابو نعيم وغيره وروى قصتها هو وابو موسى في سقي عبد المطلب بسند حسن ومن قولها

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الكيا والجلود المطر

وقالت

فنال الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الامر يستسقى الغمام به ... ما في الانام له عدل ولا خطر

فقولها الميمون طائره اي المبارك حظه قال ابو عبيد الطائر عند العرب الحظ قال وهو الذي تسميه العوام البخت ومنه قول عائشة رضي الله عنها

ماذا رزيني وعلمي بالامور وقسمتي ... فما طائري يوما عليك بخيلا

والاخيل اسم طائر وهو السنونو والعرب تتشاءم به وتطير تقول هو اشأم من اخيل وقال الفراء وقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره اي عمله فهو لازم له ايما كان وهذا القول داخل في القول الاول وفي فعل طائر امن قولهم جرى الفلان الطائر بكذا وكذا من الخير والشر وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لان العرب اذا وصفت شيئا بثبات

اللزوم قالت هو كالطوق في العنق قال اوس بن حجر التميمي في ذلك

يجول وفي اعناقهن اخذاية ... اوابدها لاتوي الى كل موئس

قال ابن هشام

يا بن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان احدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فاذا بعثت فلانا في غرضك

وهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة احد اعذر اسحق وغيره في القاء السيف عند خروجه

صلى الله عليه وسلم الى ذي الفقار السيوف يستل فيها دليل على ان هذا من التوسم والزجر المصيب وانه غير مكروه

لكنه غير مقطوع به الا ان يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الضابي رواه اسحق وغيره واصله من

الكتب والمائدة عن ابي ذؤيب الهذلي قيل اسمه خويلد كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره قال وبلغنا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فاستعجرت حزنا وبت ساطول الليلة لا يجاب دجوها ولا يطلع نورها فظلت

اقاسي طولها حتى اذا كان قرب السحر اغفيت فهتف بي هاتف يقول

خطب اضل انا خ بالاسلام ... بين النخيل ومعقد الاطام

قبض النبي محمد فعيونا ... تذري الدموع عليه بالتسجام

قال ابو ذؤيب

فوثبت من نومي فزعا فقرظت الى السماء فلم ار الا سعد كذاخ فقلت ذعابقع في العرب فعلمت ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد قبض او هو ميت من علته فركبت ناقتي وسرت فلما اصبحت طلعت سناءازجر به فعن لي سهم

يعني القنفذ وقد قبض على صل وهي الحية التي تلتوي عليه والسهم يقبضها حتى اكلها فزجرت فقلت اي السهمين

مني هم والسواء الصل السواء الساكن على القاع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقول اكل السهم ايها غلبة القاع

يعني على الآخر فحبست ناقتي حتى اذا كنت بالغابة زجرت طائرا فاخبرني بوفاته ونعق غراب فخلط بعمل

ذلك فتعوذت بالله من شر ما عناني في طريقي وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج اذا اهلوا با

لاحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت المسجد فوجدته خاليا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فوجدت بابه مرتجا وقيل هو مسجى وقد خلا به اهله فقلت اين الناس فقالوا في سقيفة بني ساعدة صاروا

الى الانصار فجئت الى السقيفة فوجدت ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش وتكلمت

الانصار فاطالوا الخطاب واكثروا الصواب وتكلم ابو بكر فسلك ذروة من رمال لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل

الخصام والله لو تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر بعد بدون كلامه

فبايعوه وبايعوه ورجع ابو بكر فجمعهم وشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد دفنه ثم انشد ابو ذؤيب بعض رسول الله

ابياتا منها كسفت لمصرعه الشموس وبدرها ... وتزعزعت اطام بطن الابطح

وتدعدعت اجبال تثرب كلها ... لما دعا لحد النبي مضرح

ولقد زجرت الطير قبل وفاته ... لمصابه وزجرت معزلا فنبح

ونزجرت الغراب فشجى ساحا ... متفائلا فيه بفال اقبح

في هذا دليل واضح ان التفال يقع عند العرب على الخير والشر وفي العرب من لا تشاءم بشيء ولا يعرفه

منهم علقمة الفحل راوية امرئ القيس بن حجر وعلقمة هذا من بني اسعيل من بني تميم حيث يقول

ومن تعرض الغربان زجرها ... على سلامته لابد مشؤوم

قال العلماء صدق

وبين الطيرة والفال عند اهل النظر والمعرفة بالحقائق فرق ذكرناه في الجملة وذكر الفال تقوية على العزيمة

وحض على البغية واطماع في الامنية ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما اقبل عليهم سهيل بن عمرو

السهمي اصلح قريش سهل امركم ومن قول العرب في التفاؤل قول الضحاك العقيلي في الهدهد

وقال صحابي الهدهد فوق بانة ... هدى وبيان للنجاح يلوح

والطير تكسر الامنية

ويقصد عن الوجه وتنبي العزيمة وفي ذكره ما يعطل الاحالة على المقادير وقد نفاه اصحابنا عاما ونهى عن الطيرة والطيرة مشتقة من احد شيئين اما من الطير الذي يرى ويسمع ما يكره فيتطير كما قال بعض شعراء العرب

عوى الكلب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت اطير

واما من الطير وهو اصل الكلمة من الوجهين هكذا ذكره الزجاج وغيره وكانت العرب تزجر الطير والوحش فمن قال بالقول الاول احتج بما الوحش تتطير بها العرب وتزجر الطير وفي مسند الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاسم الطير تحري بقدر وكان يعجبه الفأل ومن قال بالقول الثاني قال لانه كان الاصل في الطير ثم كان في الوحش وقد يجوز ان يغلب احد شيئين على الاخر ويذكر دونه قال اعني بني لعلها

ما يعرف البوم في الطير الروح ... من غراب البين والتيس برح

فجعل التيس من الطيرة والعرب تتطير باشياء كثيرة فمنها العطاس وسبب تطيرها به دواء يقال لها العاطوس يكرهونها فمن ثم تتطير منه لاجل التسمية قال المسيب بن علس الضبعي

ارحلتي بغير متاع ... قبل العطاس وعدتا بوداع

واعظم ما يتطير منه الغراب والقول فيه اعظم من ان يطلع على شاهد وقد قال النابغة الذبياني واسمه زياد

نعب الغراب بان رحلتنا غدا ... وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال جرير بن الخطفى

ان الغداة الملكرهة لولع ... بنوى الاحبة دائم النشاج

يقال نغب ونعب وصاح بمعنى واحد وكانوا يسمونه حاتما لانه زعم يحتم الفراق ولهذا قال النابغة بعد بيته السابق

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ... ان كان تفريق الاحبة في غد

ويسمونه ايضا الاعور على جهة التطير بذلك اذ كان اصح الطير بصرا فاذا اراد ان يحد النظر اغمض احدى عينيه وفي هذا قال الحطيئة العبسي

وليس غراب الاعور العين واقعا ... مع الذئب يعتان ثاريا وفقادي

اراد ان نظره خلقي بالعور وليس هناك عور والمفاداة المجازاة وقيل سمي بذلك من قولهم عورت الرجل عن حاجته اذا رددته عنها ويتطيرون ايضا بالصرد ويسمونه الاخيل والاخطب والواق قال كراع هم يجزمون بانه ياتي عما قليل الصرد ابطا الا لمذهبهم وقد مر تعليل ابن رضي الله عنه في الاخيل قال واما الهدهد فانما نهى عن قتله ابقاء عليه واكراما لانه اطاع نبيا من الانبياء في العرب تتطير باشياء كثيرة حتى تتطير بالجرادة قال زياد الاعجم مخاطبا الغراب مبغضا له كما مر زياد النابغة بني ذبيان وقد تتطير من جرادة وقعت عليه فرجع النابغة متطيرا وقال جرادة كرد وذات الوان لا اذهب في هذا الوجه ورجع من الغزو وبعض القوم وحضني زيان فظفر وغنم فقال

تخبر طيرك فيما زاد ... لتخبره وما فيها خبير
فقام كاذب لقمان بن عاد ... اشار له بحكمته مشير
تعلم انه لا طير الا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... احايينا وباطله كثير

وقال المرقش وهو جاهلي

لا يمنعنك من لقاء اخيه ... تعقاد التمائم
والتشاؤم بالعطاس ... ولا التيامن بالمناسم
ولقد غدوت وكنت لا ... اغدو على واق وحائم
فاذا الاشائم كالايامن ... والايامن كالاشائم
قد خاذ ذلك في الزبور ... الاولبات القدائم
كذاك لا خير ولا ... شر على احد بدائم

ويتشاءمون ايضا بالثور الاحمر

وهو المسور الآن قال الكميت ينفي الطيرة عن نفسه ويدفعها حيث يقول

وما انا ممن زجر الطير همه ... اصاح غراب ام تعرض ثعلب

ولا السانح البارح غاية امره ... امر صحيح القرن ام هو اعضب

والبيت الاول من هذين بيت لا عشى وهمدان لهم فلا ما بارح الارو وفيه قولان احدهما ان الاروى يتيامن بها فاذا كانا بارحا عظم الامر عندهم والآخر انما تكون في قرون الجبال فلا تكاد تكون عندهم سانحة ولا بارحة وفي السانح والبارح اختلاف عندهم قال ابو عمرو بن العلاء مثل يونس رويته بن الحجاج وانا شاهدته السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابن دريد السانح يتيمن به اهل نجد ويتشاءمون بالبارح وخالفهم اهل العالية فعكسوا ذلك قال الهذلي من اهل العالية زجرت لها طير السنيح فما بكن ... هو الذي لا يوي يصبح اجتنابها

وهو ذكر اكاد والناح اللذان يستقبلانك والقعيد الذي يأتيك من ورائك قال متمم بن نويرة

قعيدك لا تسمعني ملامة ... ولا تنكئي قرح الفؤاد فيبجعا

وهذا الكاسر الذي يزجر عليه من الجبل قال الثعالبي وقال المبرد السانح ما اراك ميامنه فامكن الصائد والبارح ما اراك مياسره فلم يمكن صائد الا ان يخرقه وقد يتطيرون من البارح اشياء كثيرة من جهة التسمية ويتيمن بها اخرون واشدها ان يكون بطير اعندهم كاسم غراب البين فيقولون اسم من غراب البين وانما ذم هذا الاسم لانه اذا بان اهل الدار نعى عليهم فتشاءموا به وتطيروا منه لان عمار منازلهم بعد بينهم غما وبعدهم كما قال غراب البين قال كثير عزة

رايت غرابا ساقطا فوق بانة ... ينتف اعلاريشه وبطائره

فقلت ولوانى اشاء زجرته ... لنفسي لبين هل انت زاجره

فقال غراب الاغتراب من النوى ... وفي البان بين من حبيب تحاذره

فما اعيا اللهبي لا در درها ... وازجره للطير لا عز ناصره

وقال عبد الله بن الزبعرى في جاهليته يدفع الطيرة عن نفسه وينفاها في غراب البين

الا يا غراب البين اسمع فقل ... انما تنطق شيئا قد فعل

ان للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

وقال الكميت ايضا في ذلك

لا يزجر الطير ان مرت به سنحا ... ولا يفيض على القسم بالازلام

يقول لا يتطير من السانح والبارح ولكنه يمضي على ما علم الله تعالى ولا يستقسم بالازلام كما كانت الجاهلية تفعل قال الاصمعي رضي الله عنه وقال اخر جاهلي في العيافة والزجر للطير

وصاح غراب فوق اعود بانة ... باخبار اجبالي فقسمت الفكر

فقلت غراب يا غراب وبانة ... بين النوى تلك العيافة والزجر

وهبت جنوبا جانبي منهمر ... وهاجت صبا قلت الصبابة والذكر

فتطير هذا حتى بالرياح وسيأتي مزيد لذكر ذلك ان شاء الله تعالى من كتب من تقزه بانه يتطير على العنوان وكلما عبد ما دون الله وعلى السحر وان حرو على الكاهن وعلى كل ما لا اصل فيه وروى هذا الحديث ابو داود فقال حدثنا مسدد ثنا عوف قال ثنا حيان قال ثنا عمرو بن العلاء بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اورده ابو داود في باب الخط فيظهر منه انه عنى بالطرق الخط ولهذا اورد بعد حديث ان كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك وكذا شيء في صحيح مسلم قال عوف المذكور في سند الحديث المتقدم وهو عوف بن ابي جميلة بفتح الجيم الاعرابي العبدي البصري الثقة روى له الجماعة كلهم الا انه قدري رمي بالقدر والتشيع وذلك لا يضر في الحديث اذا كان ثقة توفي سنة اثنتين او اربع واربعين ومائة وله ست وسبعون سنة

العافة زجر طير زجر ابني حنه وصاح على سرعة قال في مختصر النهاية الزجر الذي والصياح وزجر الطير السنح والسانح
قال الخطيئة في ذكر عاد الرسل العيافة اذا كانت صادقا غداة اللوى فاتبعت البوارح
بسرع الفراق اذ تولت حمولهم كاستقل الخيمي الدواح
ويقال عاف الطعام كرهه وعاف الطير على الماء يعيف عيفا وعيافة وتعيافا اذا حام ولم يرد قال ابن المنتجع وهو مدح
اني وقيلي سلمكا لثم اعقله كالثور يضرب لما عاف البقر يقول ان البقرة اذا
استنقعت سرعها في الماء لا تضرب لانها ذات له وانما يضرب الثور عند عيافها الماء لتفرغ له فتشرب ومنه
قولهم عاف الطعام كرهه ومنه عاف الكراب يعافه اذا كرهه والطرق الخط بالارض قد مضى ان الطرق الضرب
بالحصى والاستشهاد على ذلك ببيت لبيد بن ربيعة العامري اي عن اصحابي المشهور رضي الله عنه وتفسير عوف هذا له بالخط
لعله نوع من انواعه الداخلة في مسماه وقد قاله ابن الاعرابي ايضا قال الطرق ان يخط الرجل في الارض خطوطا وينظر اما
ذا يرى وفي مسند الامام احمد من طريق ابي اضر قال يحيى بن سعيد حدثني عوف حدثني حيا احد ثني قطن عن ابيه قبيصة
بن مخارق انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكره وفيه قال يعني عوفا العيافة من الزجر والطرق من الخط ومن هذه
التعريفة والمراد ما قصد عوف بهذا الخط ان الذي يوافق خطا ذا كالخبر الذي ذكره صلى الله عليه وسلم في حديث سعد
حلم وابي داود وغيرهما في حديث طويل عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه وقد قلت يا رسول الله وانا نأتي
كهنة فقال صلى الله عليه وسلم كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك فحمل ان اراد صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام
ان اذا وافق خطه خط ذاك النبي اصبح وقيل ان ادريس عليه السلام قاله بن الجوزي وابو القاسم السهيلي وغير واحد
من العلماء ويحتمل ان يكون معناه الزجر عن اذكان من بعدنا لا يوافق خطه ولا ينال حظه من الصواب لان ذلك
يرد وان كانت اية لذلك النبي على كلام فليس لمن بعده ان يتعاطاه طمعا في نيله وايضا فهو قد اشتبه
الحق فيه بالباطل فكان محظورا كما شبهناه كلمة الحق التي يلقيها شرير فاسمع على وجه من الارض فيلتذ بها
مع انها كذب فتصدق صاحبها على هذه الصفة وان كان اصل حقا وسؤال الكاهن وتصديقه وهو
مع ذلك يعلم كذبه حق فيكون محظورا كما شبهناه اكلا بالحرام الذي لا يحل معرفته وتخليصه وقد روى
النسائي والبزار وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير
وابن المنذر عن سعيد بن جبير وابن المنذر وابن سعد والطبراني وابن مردويه بسند حسن
عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه قال الاولا ما جاءت بنو اسد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اسلمنا
ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب وفي لفظ بنو اسد فلان قد اسلم بنو فلان عليك ان اسلموا الا قال ابن سعد وكان ضلل
قوم من بني الزينة وهم بنو مالك بن نعلبة بن ذودان بن اسد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم بنو الرشدة فقالوا
لا نكون مثل بني محولة يعنون بني عبد الله بن غطفان وكان ما سئلوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك العافة
والكهانة وضرب الحصى فنهاهم عن ذلك كله فقالوا يا رسول الله هذه الامور كنا نفعلها في الجاهلية ارايت
خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط قال علمه نبي من الانبياء فمن صادف مثل علمه علم وضبط الخط بفتح الخاء
المعجمة وبالطاء المهملة قال في المطالع والنقيب فسره بخط الرمل ومعرفة ما يدل عليه
وقال في النهاية هو الذي يخطه الحازي وهو علم تركه الناس يأتي صاحبه الحازي فيعطيه حلوانا
فيقول اقعد حتى اخط لك وربما يدعى الحازي غلاما له معه ميل ثم يأتي الارض الرخوة فيخط فيها خطوطا
كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العد ثم يرجع فيمحو اثنا على مهل خطين خطين وغلامه يقول ابقي ابقي
اسرعا البين فان بقي خطان فهما علامة النجح وان بقي خط واحد فهو علامة ضد ذلك ونحو ذلك قال ابو موسى
الخطابي عن ابي عمرو عن ابي العباس احمد بن يحيى عن ابن الاعرابي وقال بعض الحازي هو ان يخط ثلاثة

خطوط

خطوط ثم يضرب عليها بشيء او نون ويقول يكون كذا وكذا وهو ضرب من الكتابة **وقال** ابن
الدين اخط المشار اليه علم معروف عند الناس فيه تصانيف كثيرة وهو معمول به الآن ولم فيه اوضاع و
اصطلاح واسامي وعمل كثير ويستخرجون به الضمير وغيره وكثير ما يصيبون فيه ويخطئون **قلت**
وهو كما قال لكن لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة لانه النزاع في الدم فلا يباح ذلك العلم الا بيقين الموافقة
كما قال صلى الله عليه وسلم واليقين منتفي **وسنورد شيئا** من اخبار اهل الخط الاجل التنبيه على قبح نتيجته
وانه يذكر في محرم هذا موضع الدخول فيه عند الائمة والعلماء المعتبرين رحمهم الله تعالى لعدم احكامهم وعلى
ذلك مشى شيخ الاسلام ابن تيميه قدس الله روحه لاختلاط الحق فيه بالباطل فاقل احواله ان
يكون كاخبار اهل الكتاب عن التوراة والانجيل عند من لم يقل بالتحريم في ذلك **واخص من** يكون بهذا
العلم من العرب بنو اسد بن خزيمة **فقد روى** الزبير بن بكار في اخباره حيث قال **حدثني**
عمي مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم ابو عبد الله الزبيري
المدني نزيل بغداد ثقة صدوق عالم بالنسب والاخبار قال قال لي رجل شردت لنا ابلا فاتيت جليس الزبيري
سدين فسألته عنها فقال الجليس له خطي فخط وخطا ثم تقبضت وقامت ونظر جليس وضحك فقال
الله يرحمك قلت لا قال رأيت لما خطوت انك تحد ابلك وانك تزوجها فاستحت فقامت قال فخرجت
فاصبت ابلي ثم تزوجتها بعد قال الزبير بن بكار وحدثني ابو الحسن علي بن محمد عن عبد الله
بن مسلم قال قال شريح بن الاقعس العنبري الهجيمي غربت لي ابل فاتيت رجلا من بني اسد فقلت انظر لي
فخط خطوطا فقال تصيب ابلك بكناسة الكوفة فقلت بين قال وتذهب عنك قلت زدني قال
وتزوج امرأة اشرف منك قال فخرجت وما شيء ابغض الي من ان اصيب ابلي بكناسة الكوفة قال فاتيت الكناسة
فاصبت ابلي وخرجت مع عبد الرحمن المعلم مع القراء فذهبت عيني وتزوجت مع ابنة قيس بن اكسوم بن
العنبر فقالت مولاة لها في الطريق هل لك ان تزوج مولاتي قلت وددت قالت فاخطب اذا قدمت
ففعلت فابعدت اهلها فلم ارجع حتى زوجوني **وقال** ابو الحسن علي بن سفين بن عيينة
قال قال محمد بن سوقة قفلنا من مكة من حج او عمرة فلما كنا بالتعلبية اتى رجل بنا خطيا فنظر في شيء فخط
له ونظر فقال اما انك لا تدخل الكوفة حتى تصيب مالا **ورواه** المدائني عن عبد الله بن الهيثم قال اصيبت
عصبة فلما صرنا بالخف تلقاه رجل فاخبره اباه اخاه ما قد نزل ما لا كثيرا **وقال** الزبير بن بكار الضا
حدثني علي بن محمد عن مسلم بن محارب قال خرج عمر بن عبد الله بن معمر ومالك بن عبد الله الخزاعي غازيين فمرا بالكوفة
وعليها عامة وهي تخط الرمل وضحك منها عمر فقال ابو الضاحك اما والله لا تخرج من سجستان
حتى تموت فيتزوج هذا الرجل امرأتك واشارت الى عمر فمات بخراسان وتزوج امرأته عمر بن عبد الله بن معمر
وهي رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعي **والاثار في ذلك كثيرة عن العرب فهذا** لفظ الذكور
في حديث الذبار رواه مسلم في صحيحه **وعن** قال ابو داود حدثنا مسدد يحيى عن حجاج الصواف
يحيى بن ابي كثير عن هلال ابي شيبان عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله وانا
رجال يخطون قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك **وهذا العلم الذي** تعلمه الامام ابو جعفر
عالم قرشي رضي الله عنه فيما ذكره الحافظ البيهقي في كتابه الذي صنفه في مناقب الشافعي وبوب عليه بابا فذكر فيه
بسنده عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي رضي الله عنهم اورد بسنده عن احمد بن حنبل قال سمعت ابا يوسف يقول كانا في مجلس
هارون فنظر يوما في كتاب يعني المذكور فجلس وامرأة تطلق محجب فقال تلد جارية
عوراء على فوها خال اسود وتموت الى ثلاث وفي لفظ الى كذا وكذا فكانا كما قال **وهكذا** ذكر عنه الفخر الرازي
في ذكره في ترجمته له وكلاهما ذكر ان الامام ابا جعفر رضي الله عنه ذكر بعد ذلك ما عنده في ذلك من الكتب **واورد** لنا

هذا عن الامام ى فيه في سياقها تقدم لما في ضمنه من صريح الدلالة على قبح شيخ هذا العلم الذي لا يشك
عاقل من اطلع على ذمه وتحريمه ورجوع هذا الامام الجليل عنه ودفنه ما عنده من كتبه ادل دليل على
ذلك ولعله بهذا الاعتبار اورده الحافظ البيهقي في مناقبه فافهم ذلك ولا تغتر وقد اطلق جمهور
العلماء التحريم على ذلك لوجوه الوجه الاول منها انا ذكر معجزة لذكر النبي فليس لاحد ان يتعاطاه بعده
الوجه الثاني انه لا مدخل فيه للاحكام المتعبد بها فلا فائدة اذا فيه الوجه الثالث انه
تجسس على علم الغيب الوجه الرابع انه اذا ذم علم الله تعالى ولا حل لاحد الدخول في علم الله والقول
الا بيقين وهذا قل من يحكمه فاذا لم يحكم بالعلم اليقيني حرم التخبط في ذلك بغير علم الوجه الخامس
ان العلم به لا يرد قضاء معقولة فنفعه الوجه السادس انا نعرفه شيئا منه يورث الهم والحزن والحيلة
لدفع القضاء والقدر فلم يبق فيه فائدة للخلق تجوز العلم به او الدخول فيه فلما ذكرنا وقررناه
حرم جمهور العلماء الدخول فيه وسنعاوده وسيأتي مزيد لتوضيح هذا المعنى في باب التجسس ان شاء الله
عند ما ذكره تعالى كفر وما هو محرم وما هو واجب كالوقاع الصلاة وما هو مندوب وما ليس كالاشهر في سبب
التسمية والقرية وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ليس منها بحر الا وهو
زيادة التسمية على القرية وحكى قال لكن بن ابي الكن البصري نسبة الى البصرة المعروفة بفتح الباء
الموحدة وكسرها وضمها ثلاث لغات ذكرها الجوهري وغيره مصر من امصار المسلمين اول من نزلها عتبة بن غزوان
رضي الله عنه في امارة المؤمنين عمر رضي الله عنه والبصرة حجارة ترجع الى البياض قاله الخطابي وقال بن الانباري
البصرة في كلام العرب الارض الغليظة الصلبة وقال بن الاعرابي هي الحجارة صلاب قال الراجز يصف
قطاة هي لهة تهوي جميعا كما هوى من الخيف فوق البصرة المتخطف
هو رنة الشيطان فيه رد على من زعم ان الله تعالى ببعض انواعه لما يأتي في ترجمة المقدم بقال رقة ورنا
ورنة اذا كان الصوت حادا او سالفتي رخام او بلاط ورنت عشاش جليتها رنينا قال الاعشى
وصف سالفتي هذه المرأة بسالفتي رخام او بلاط وهما حجران ابيضان ثم وصف صوت رنين حليتها
اذا هضت سالفتاها حليتها ويقال ذلك ايضا لحسن الصوت اذا حسن بالتغني ومنه صوت الثكلى عند
ثكلها ونوحها وكذا القوس اذا رمي بها وترنمت يقال رنت بصوتها قال الشاعر
اذا زال عنها السهم حنت كأنها من الوجد ثكلى ترن وتعول وكذا يقال
الخيل قال ذو الرمة يستفز المظل البعيد كما رنانها بوائن الاشطان يقول كأنما
تصهل في آبار واسعة تبين من نطاقها عن نوحها والرنة الصوت الحاد من كل شيء قال عمرو بن كلثوم ايضا
عسوزنة اذا انقلبت رنينا تدق في المنقف وتجتنا يقول اذا انقلبت
في ثقافها صوتت وشجت من يثقفها وهكذا يقال الصوت المكروب والمريض اذا كان رقيقا حادا وهذا
قول ائمة اهل اللغة والمعنى والله اعلم انا مراد لكن بذلك يحكم امرئ فقط احدها رنة
صوت النائحة بالنوح لان ذلك من عمل الشيطان المضاف اليه لما فيه من التسخط على قضاء الله وقدره فعند
بن سعد في الطبقات عن بكير بن عبد الله بن الاشج مرسلا البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان
وذكر الخرائطي وغيره ان لما فتحت مكة رن ابليس رنة فاجتمعت اليه ذريته فقال لهم اياسوا ان ترتدوا
امة محمد بعد يومهم هذا ولكن افتنوهم في دينهم واشيعوا فيهم النوح والشعر وفي صحيح مسلم عن
عبد الله بن بريدة عن ابي بردة قال اغمي على ابي موسى رضي الله عنه فاقبلت امراته ام عبد الله تصيح برنة فلم
افق قال الا لم تعلمي وكان يحدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا بريء ممن حلق وصلق وخرق وقد روى

عن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى وذرفت عيناه فقال عبد الرحمن يا رسول الله تبكي
اولم تنهنا عن البكاء قال لا ولكن نهيت عن النوح والغناء صوت احمق فاجر عند صوت
الغناء لعب ولهو ومزامير الشيطان وعند خمش الوجوه وشق الجيوب ورنة الشيطان وكره هذه
رحمة جعلها الله في قلوب الرحماء وهذا لا رحم لا رحم ثم قال القلب يحزن والعين تدمع الحديث ذكره ابو
الليث وبه يجوز ان يحكى بكاء النساء **والمعنى** الاخر انه عنى بذلك رنة الغناء كالنشيد بالنساء
بانواع الملاهي وكلام كثير قال الاستاذ في ذكره هذا وبعظائم الكبر والشياطين الذين هون عمل
الشيطان فاضاف الرنة في ذلك اليه لتزيينه لها اذ هي عمل وهو الداعي اليها كما قال تعالى عن كليم موسى
عليه السلام قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين فاضاف الفعل الذي هو من تسويله اليه فكذلك
رنته قال من اهل الاحوال الشيطانية اذا حضر سماع الغناء بذلك تنزل على الشياطين عند ذلك
ويتكلم على لسانه بكلام قد لا يعلمه وربما يفهمه وربما كاشف بعض الكاذبين بما في قلوبهم من الشياطين
التي تجري من ابن آدم مجرى الدم حتى تخالط القلب وتسكن فيه وربما تكلم الشيطان على لسانه بالشيء
مختلف مما تكلم الجني على لسان المصروع والذي حصل له كما لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه
الشيطان من المس وربما تنزل عليهم عند سماع ذلك فتحل احدهم في الهوى وتخبره عن بعد الدار قال شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وقد جربنا هذا في غير واحد وهذا كما كانت الشياطين تدخل في الاصنام وتكلم الكفار
منها وهو لاء يدعون عند سماع الغناء عرس في الهوى فوقه نور وقائلا يقول انا ربكم وانما ذلك من عمل الشيطان
اذ هي من عمل التي تضل بها اولياءه وحزبه نسأل الله الكريم السلامة وقد قال مجاهد في قوله تعالى واستفزز
من استطعت منهم بصوتك الآية هو الغناء والمزامير والملاهي لانها اصوات كلها مختصة بالمعاصي وفي معناه قوله
وقال ابن عباس صوت دعا كل داع الى معصية الله فيكون قول مجاهد داخلا في هذا القول ولما ورد
الديلمي وابو طاهر المقدسي عن انس رضي الله عنه من طريق ابي بكر عمار بن اسحق به ابا محذورة انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

لسعة حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي

سوى حبيب اذا كلفت به ... فمنه طبي ومنه دريافي

فتواجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى سقط رداؤه عن منكبيه ثم قال ليس بكم مما يتزعم عند السماع وقسم دراهم او دنانير بين من حضر من اهل الصفة
اربعين قطعة فلو كذب قال الديلمي تفرد به عمار بن اسحق وقال الذهبي وكانه هو الذي وضعه وهو كذاب عند
اهل العلم يضع الحديث على الثقاة ان لم يعد فيه ثقة ولا شك انه وضعه وقال شيخ الاسلام ابن
تيمية هو كذب باتفاق اهل العلم بالحديث وقد سئل ابو بكر الطرطوشي عن قوم يقعدون مساء في الاثنين ثم
ينشدون لهم شيء من الشعر فيرقصون ويطربون بالدف فقال بدعة هل يحضر معهم حلال او لا فقال
انكر مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص
والتواجد فاولى احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فاقبلوا يرقصون له ويتواجدون
وهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان الصحابة رضي الله عنهم يجلس احدهم كان على رؤوسهم الطير من الوقار قال
فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها لان هذا من عمل الشيطان ولا يجد الاحد
يوم يأسه واليوم الآخر ان يحضرهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب امام الشافعي وابي حنيفة واحمد وغيرهم من ائمة المسلمين انتهى وقال جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي ولقد فتنة الاصوات بالغناء من
زاهد وعابد فكم رددنا منهم جلة في كيد آدم الهوى وقال ابو الوفاء بن عقيل واعظم الطامات
ادعاؤهم ان هذا قربة وقد انعقد الاجماع ان ما ادى الرقص قربة الى الله تعالى كفر فلو انهم قالوا لما كان
اقرب حالا لان القرب لا تعرف الا بالشرع وليس في الشرع امر بالرقص ولا ندب اليه ولو لم يكن في الغناء الا انه
يزرع النفاق في القلب ويقرب من الشيطان لكفى بذلك زاجرا وقد حرمه جماهير العلماء بمجرد ادعاء احوال الكرد

دع النجوم لعراق يعيش بها ... وابرض بعزم قوي ايها الملك

ان النبي وحكماء النبي نهوا ... عن النجوم وقد ابصرت ما عملوا

وقال بعض اصحاب التحفة فيها بعد جزمه بتحريم ما مر من السحر والضرب بالرمل والحصى والسعد والنحس تعلما وتعليما وكذا التفرج على فاعل شيء من ذلك كما هو ظاهر لانه اعانة على معصية وللنسائي من حديث ابي هريرة الدوسي رضي الله عنه من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ان السحرة يعقدون عقدا وينفثون فيها فيكون السحر وهذا يدل على ان غالب السحر مركب من ذكر ولهذا امر الله نبيه بالتعوذ من شر النفاثات في العقد والنفث النفخ مع ريق فيما يزعمون والارواح الخبيثة الانسية والشيطانية حقيقة يعلمها الذي احاط علمه بكل شيء اذ لا يقع في ملكه شيء الا بقضائه وقدره وهو محيط بكل شيء قدرة وعلما فيؤثر ذلك باذن الله تعالى ولهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ومن سحر فقد اشرك بالله تعالى ومن تعلق شيئا وكل اليه اي وكل الى ذلك الشيء ومن وكل الى غير الله تعالى فقد هلك لانه لا ينجيه منه ولا يخلي الا اليه ويقدم الكلام على ذكره وعن ام عبد الله عن مسعود الهذلي لما جرى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم ما العضه العضه بكسر العين المهملة وفتح الضاد المعجمة اصلها العضهة فعلة من العضه بفتح فسكون وهو البهت حذفت لامه فقيل العضة التي هي الرمي بالعضيهة وهي البهتان والكذب سميت بذلك تجوزا وتعظيما لشانها فعند البخاري في الادب والبيهقي في الشعب افشى ما كان رضي الله عنه مرفوعا الا تدرون ما العضه نقل الحديث من بعض الناس الى بعض لتفسدوا بينهم فالعضه في هذا بسكون الضاد المعجمة هو البهتان ولذا قال في النهاية التي هي نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الافساد بينهم والغالب على ذلك الكذب وكذا من انسان الى انسان على جهة الافساد والشر ولهذا وصفها بقوله بين الناس يعني كثرة القول وايقاع الخصومة بينهم بما يحكى للبعض عن البعض وقد عدها بعض اهل العلم من انواع السحر لانها تفعل بين الناس اعظم مما يفعل السحر من التفريق بينهم وايقاع العداوة بل قد يحصل بها القتل وغيره فلا تنافي قوله في عيون المسائل ومن السحر كسعي النمام بالنميمة والافساد بين الناس وحمايدل على انها من انواع السحر قول الشاعر

اعوذ بربي من النافثات ... في عقد العاضه المعضه

هكذا استشهد ابو عبيد القاسم بن سلام بهذا الحديث على ان النميمة نوع من انواع السحر قال والعاضه والعاضهة الحية التي تقتل اذا نهشت من ساعتها وقال بن عبد البر عن يحيى بن ابي كثير النمام ساحر والكذاب في ساعة ما لا يفعل الساحر في شهر وقال بعضهم عن يحيى بن ابي كثير النمام ساحر وجه ذلك انه يقصد الاذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فاشبه السحر ولهذا يعامل بالعادة والعرف بانه مؤثر ويجب ما يعمل السحر او اكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين او المتقاربين قالوا لانا وان قلنا بقول الآخر بالقدر على قولين فقط اولى او الاكثر على القول فهذا مثله وقد قال بن عباس رضي الله عنهما وقتادة في قوله تعالى هماز مشاء بنميم يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لافساد ذات البين وهي الحالقة وروى الجماعة الا البخاري منه طرفا من طريق همام من الحارث قال مر رجل على حذيفة رضي الله عنه فقيل انه يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال قال رسول الله لا يدخل الجنة نمام وفي لفظ له لا يدخل الجنة قتات وفي حديث اسماء بنت يزيد رضي الله عنها عند الامام احمد مرفوعا الا اخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت ورواه بهذا اللفظ ثم وصفه بصفة اخرى فقال عتل بعد ذلك زنيم قال مجاهد وعكرمة والكلبي وقتادة وغيرهم من السلف العتل الشديد القوي في الاكل والشرب والمشي وغير ذلك الصحيح الخلق وروي عن علي رضي الله عنه انه قال النميمة تسلب العز وغره وحط المكين عن مكانته والسيد عن سؤدده كم ارانت وكم من نجيبة قاطعا وما زوجين تفارقا فالله يسمع الى النمام وفي المثل من اصغى الى الواشي اضاع الصديق ومن سعى الى الغرب وهقته العرب كما قال لخليفة المأمون العباشي

من نم في الناس لم توثق عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن افاعيه

كالسيل ما ليله لا يدري به احد ... من اين جاء ولا من اين يأتيه

وفي المثل الآخر مبلغ فسوكباغيه واخذه ابو العتاهية فنظمه وقال

من جعل الذام عنا هلكا مبلغك سوكباغيه لكا وقال الحسن البصري رحمه الله

نم عليك وقد قال جعفر الصادق لابنه اياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وقال لقمان لابنه

احذر واعداء العقول فانهم لصوص المودة وفي المثل الآخر النميمة اربعة العداوة والاربعة اسم لما تورث به النار كيف

وقد تغير الزمان حتى كاد يعد وصفه اللسان وفي الحديث قيدت القالة بين الناس ارادة القول والحديث بينهم

ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا الكلام الذي ظهر المصلحة فيه واذا يخير بين الكلام وتركه

عند ذلك فالسنة ان يمسك عن الكلام لان الكلام قد يدخل صاحبه في الاثم كثيرا وقد جاء عن ابي الدرداء عن عمر رضي الله عنه قال

الا تشغلوا انفسكم بذكر الناس فانه بلاء وعليكم بذكر الله تعالى وقد ذكر

ابو داود في وصف كتابه في رسالته لاهل مكة انه اودع فيها حديثا هو ربع الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم من حسن

اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد جاء ان رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال عمر ان كنت ظننا

في امرك ما كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه

الاية هماز مشاء بنميم ولست عفوا عنك قال العفو يا امير المؤمنين لا اعود ابدا ورفع الى الصاحب بن عباد

رقعة يحثه صاحبها فيها على اخذ ثار يتمم وكان ما لا كثيرا فكتب على ظهرها النميمة قبيحة وان كان صحيحة والميت

يرحمه الله واليتيم جيد والمال غرم والساعي لعنه الله وقال القاضي ابو الفرج الاصفهاني

في مجالسه حدثنا بن دريد قال ابو حاتم اخبرني ابو الحسن المدائني قال وشا واشي بعبد الله بن همام السلولي

الى زياد انه يهجوه فقال زياد اجمع بيني وبينه قال فبعث زياد الى بن همام فقال له بلغني انك هجوتني قال

اصلح الله ما فعلت ولا انت لذلك اهل قال فاذا واحد اخبرني فاطرق بن همام هنيئة ثم اقبل على الرجل فقال

لك واني لعمر الله ما ائتمنتك خالصا فخنت واما قلت قولا بلا علم

فانت من اهل الذي كان بيننا منزلة بين الخيانة والاثم

فاعجب زيادا جوابه فاقصى الساعي ولم يقبل منه وبكفي السعاة قول العلماء رحمهم الله تعالى فيهم ان الصدق

محمود في الامور وان اصدقهم في ذلك اخبرهم ذكره الزمخشري وغيره وقال عدي بن عالم رضي الله عنه

الغيبة في ثلاثة رواه مسلم في صحيحه ولهما اي البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان سحرا ورواه الامام مالك في الموطا ولفظه عن عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما انه اقدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا او ان

بعض البيان لسحر ومن تتبع عيوب الناس وعثراتهم فهو بعظائم على وجهين كما يأتي ممدوح ومذموم والسحر هو قلب

الشيء عن وجهه في عين الانسان او سمعه وليس بقلب اعيان وان كان ذلك غير ممتنع بالنسبة الى السحر

اكثر الى قدرة الله تعالى ويقال ساحر كذاب اذا ناصر خدعه وفي كتاب الله تعالى انى تسحرون اي تصرفون

ويقال سحره ايضا بمعنى خدعه وبهذا القول انه لما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم من اشراف

وكان فيهم الزبرقان بن بدر السعدي وعمرو بن الاهتم وجاعة من سادات تميم فيهم الاقرع بن حابس وقيس

بن عاصم الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم المفاخرة فيما على عادة العرب لانهم من وفوده حضر وقد قال

صلى الله عليه وسلم لخطيبهم حين جاءت صدقاتهم كما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه هذه صدقات قومي ففي رواية قد

متهم فلما قام الزبرقان بين يديه وقال يا رسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمانع لهم من الظلم واخذ

الحق منهم بالقهر وهذا يعلم ذلك وذكر بعد ما استحق الزبرقان لعمرو ولاهتمه عند اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

اياه الجائزة وعمرو واذ ذاك في رحله فلما جاء عمرو واخبروه بما قال الزبرقان فاشتد عند النبي صلى الله عليه وسلم في الزبرقان

قوله ما ذهبت هفرتني الهلباء تشتمني عند الرسول فلم تفلح ولم تصب والهلباء قيل لحيته وقيل شعر ذبره وقيل امرأته فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الاهتمام شيئا جائزة ثم قال الزبرقان

بعد ذلك هذا وكان الزبرقان من بني سعد كما مر فقال عمرو عند ذلك يعني الزبرقان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم

انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اذنه فقال الزبرقان والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال

وما بعده

عن اربع خصال ان اقررت بها قبلت وان انكرتها قتلت قال الكندي وما هن قال عن الخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم
امنا او منكم قال بل منكم قال خليفة الله المرتضى منا او منكم قال بل منكم قال كتاب الله المنزل اعلمنا ام علمكم
قال بل علمكم وذكر الرابعة ثم قال فما شئ بعد هذه الخصال حتى قال ابو العباس الخليفة للكندي ما بك يا مماني ور
حال حضر ثم امر لخالد بمئة الف درهم واقطعه بعض جزيرة ارض العرب بالبصرة واما بيعته عليه السلام
فهو ان عبد الله بن عمر وللذكور خطيب بليغ بصير بصاحت اعضاء رصد وفيقة بكنى بابي جعفر له بلاغة
وبراعة فايقة فلا نطيل بذكرها فهل ادركت قدماء المتكلمين بوجه احسان المنطق وايراد الحجة البا
لغة والاظهر عند العلماء انه ذو اوجهين والمعنى ان بعض البيان بمنزلة السحر في سلب القلوب او
في التعجب كالسحر بمثله وهذا النوع فمدوح واذا صح في الحكمة مذموم فانه يشبه السحر وقد جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
وكذا بن اخيه خالد بن صفوان اذ قصد اقامة الحجة على تفضيل خلاصة بني اسمعيل وهم حضر الذين منهم سيد
البشر صلى الله عليه وسلم على غيرهم اذ هم قومه الذين اختارهم الله منهم وقد قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما مر
في حديث جرير رضي الله عنه وذم قوم مادح من ذمت قبيلته من ادعى ان حضرم يفضلون العرب فضلا عن العجم
الا ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وتطرق الى ذمه اذ هو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار فاهل البادية من العرب و
افضل العرب بنو اسمعيل وافضل بني اسمعيل حضر وافضل حضر بنو كنانة وافضل بني كنانة قريش و
افضل قريش بنو عبد مناف وافضلهم بنو هاشم وافضل بني هاشم بنو عبد المطلب وافضل بني عبد
المطلب المصطفى صلى الله عليه وسلم وفضل هذا اليماني ان يفضل قومه على من فضله الله على لسان رسوله محمد صلى
الله عليه وسلم فاظهر خالد على ذلك اليماني الحجة البالغة الواضحة الدامغة القاطعة التي ليس بعدها لاحد مقول
ولا عنها لمعدول ولم تظهر الا البيان حتى اوضحها مع ظهورها بوجه الثاني نفذوم وهو اذا
صرف الى المدح الباطل كمدح ما نهى الله عنه ورسوله وترويجه او تفضيل مفضول على فاضل الله ورسوله
وفي هذا كسفة لمحا كذب البغوي على هذا الحديث اختلفوا في تاويله فمنهم من حمله على الذم وذلك
انه ذم التصنع في الكلام والتكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله وتسجيل به قلوبهم واصل السحر كل
ما لطف مدركه وخفي سببه ومنه السحر سحر الانسان لرئته ومن جهة فهذا المتكلم بجيانه يصرف قلوب السامعين الى قبول قوله و
ان كان ذلك غير حق والمراد من صرف الكلام فضله وما يتكلف الانسان من الزيادة فيه وترك الحاجة
وقد يدخله الرياء والكبر ويخالطه الكذب ويعقبه الكبر وايضا قد يحمل الشئ على ظاهره بجيانه وتزيله
عن موضوعه بلسانه اذا ارادت التلبيس على السامعين فيصير بذلك بمنزلة السحر الذي هو تخييل لا حقيقة
له وقيل اراد به ان من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم مثل ما يكتسب الساحر بسحره
وقيل معناه ان بعض البيان يصل صاحبه الى الحق وهو الحق بمحنته من صاحبه فيسحر القوم ببيانه وترويجه وبلاغته
فيذهب بالحق بمحنته وشاهد هذا قول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون
الحن بحجته من بعض فاقضي له بنحو ما اسمع وذهب اخرون الى ان المراد به مدح البيان وحث على تحسين الكلام و
تحبيبه الى السامعين بالفاظ لا تخرج عن القربة من وجوه وهو قوله وان من الشعر لحكمة وقوله حكما على طريق المدح فكذلك
القرينة الاخرى وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح بني عبد المدان من بني كعب بن الحارث اهل نجران

وقد كنا نقول اذا سمعنا ... بذي حسب بعيد وذي بيان
كذاك اليوم المعطي بيانا ... وحسانا من بني عبد المدان

وقال فروة بن عمرو الجذامي يحبب الروم له حين بلغه اسلامه واهدائه للنبي صلى الله عليه وسلم في ابيات قالها
قبل ان يصلبوه بفلسطين وقد كان قتل عاملا لهم على بلد من قرى معان وحضت قضته

ولقد جمعت اجل ما جمع الفتى ... من جوده وشجاعة وبيان

وقد ذكر بعضهم في حد البيان بانه اخراج ما في ضمير المتكلم الى ضمير السامع بالاشكال المختلفة التي ترجع الى عبارة وروي عن عمر بن عبد

العزيز

عبد العزيز ان رجلا طلب الى حاجم حجامته فاعتذر اليه اسعافه به فاستمال قلبه بالكلام فاخرجها له
ثم قال هذا هو السحر الحلال قال بعض اهل العلم في الحديث كاد ان يتعدى وانكلام فيه نسبه وحقه
ان يقال ان بعض البيان كالسحر فقلب وجعل الكثير مبتدأ مبالغة في جعل الاصل فرعا والفرع اصلا
ووجه الشبه انه شيء يتغير ارادة المدح وما يدل على البيان اصله ممدوح نحو قوله تعالى الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقد قيل ان مسلما اخرجه بهذا الطريق وكذا رواه
ابو داود والامام احمد وابو داود والنسائي وروى الامام احمد وابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
بلفظ ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا

هذا الحديث

الباب الخامس والعشرون باب ما جاء في الكهان ونحوهم كالعراف وما روى في ذلك

روى مسلم في صحيحه عن صفية بنت ابي عبيد اخت المختار ابي
عبيد الثقفي ادركت النبي صلى الله عليه وسلم وهي امرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ولا يصح لها سماع من النبي
صلى الله عليه وسلم سحر وضع لزوج نبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ بن حجر وسماها بعض مرة حفصة بنت عمر
بن الخطاب رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة
اربعين يوما واخرجه احمد بن حنبل في مسند حفصة بنت عمر بن الخطاب وقال هكذا اخرجه الوجود يعني
الذي سمع في هذا المسند متصلا به على ما هو عليه ولعله قد عرف انه من حديثها او ان بعض الرواة قد نسب
ذلك اليها وهكذا رواه الامام احمد بلفظ من اتى عرافا فسأله عن العراف عند العرب اسم عام
يدخل فيه سمي الكاهن والمنجم وغيرهما حتى انهم يسمون الطبيب عرافا ورمادعوه كما هنا كما مر استشهاد
على ذلك في قوله ما جعلت لعراق اليمامة حكمه وعراق بذا نهما شفياني وداء وهذا الاخير غير
داخل في جملة النهي وانما هو معالطب في الاسماء وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الطب وامر بالعلاج والتداوي و
قد مر ذلك مستوفى وسيأتي المنع والمراد بالعراف هنا الذي يدعي انه يعرف الامور بعقدها اسباب
يستدل بها في الاشياء على مواقعها كالشيء يسرق فيعرف المظنون به بالسرقة وتتهم المرأة بالريبة فيعرف
صاحبها ونحو ذلك من الامور ومن ذلك قصة هند بنت عتبة مع زوجها الفاكه بن المغيرة المخزومي قبل ان
يسلم في سفر من حرب لما رجع بها الى الكاهن فالحديث يشمل النهي عن اتيان العراف والكاهن والمنجم والرمال
وعن الرجوع الى قولهم وتصديقهم على ما يدعونه من هذه الامور وذلك كله قادح في التوحيد وهو نظير ما جاء
كفر وقوله لم تقبل له صلاة اربعين يوما لا يلزم من عدم القبول عدم الصحة فعدم قبولها لهذا
الحديث لكبر اقترانها بالمعصية واما صحتها فلوجود شروطها واركانها المستلزمة صحتها والتناقض
في ذلك ويظهر ان عدم القبول في سقوط الثواب لا الصحة في سقوط القضاء وفي انه لا يعاقب عقوبة تارك
الصلاة قال ذكر ابن الصلاح وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى وجهله المازري والقاضي عياض وجماعة
على المتأخرين والاول هو ظاهر حسنه لا شك فيه وعن ابي هريرة الدوسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
قال من اتى كاهنا فهو الذي يدعي علم الغيب وعن انس عن النبي قبله وقوعا وكان في العرب كهنة
يدعون انهم يعرفون كثيرا من الامور فمنهم من كان يزعم ان له رئيا من الجن وتابعة يلقي اليه الاخبار لانه يتراءى
لصاحبه ويتصور له كما في قصة سواد بن قارب رضي الله عنه وهي طويلة لا نطيل بتذكرها وفيها يقول

انا تيء اي بعد هدء ورقدة ... وليل كموج البحر ارخى سدوله

ليال ليال قوله كل ليلة ... اتاك رسول من لؤي بن غالب

وليس هذا مقام حمد في دوس حتى بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حينئذ فيهم خطيبا فقال يا معشر الازد
ان ضماد قد هلك فمن استطاع منكم ان يذهب فليذهب الى ضماد وانه ما لم تنفعه التجارب
ضرته وما لم يسعه الحكم ينفعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما تسلمون به غدا فسبق وعلمنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد
تنا وقوها البعد منكم فظفر بهم واوعد قومها اكثر منكم فاحتفاهم ولم ينفعه منكم عدد ولا عدد وكل بلاء هنيء

الا ان يأتي اثره في السالك ولا ينبغي لاهل البلاد الا ان يكونوا للبلاد اذكر من اهل العافية الى ان قال ولست ادري لعله ان يكون للناس جولة فان تكن فالسلامة منها الا انا والله نحبها فاخبوها فاجابوه وسمعوا له فتسعدوا وقال في ذلك ابياتا منها

جلت مصيبتك الغداة سواد ... وارى المصيبة بعدها تزداد
ابقى لنا فقد النبي محمد ... صلى الاله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك في الفؤاد محالفا ... [illegible] النبي فؤاد
فبكت عليه ارضنا وسماؤنا ... وتصدعت وجدا به الاكباد
ان النبي وفاته كحياته ... [illegible]
لو قيل تفدون النبي محمدا ... بذلت له الاموال والاولاد
هذا وهذا لا يرد نبيئنا ... لو كان يفديه فداه سواد
الى الحاذر والحواد بجمه ... امر العاصف نحه ارعاد

واوردنا هذا الغير اعتنا لشرح كم سواد رضي الله عنه لبيان الرجوع الى الحق والاخذ به والتزامه بعد الباطل مع مدحه صاحبه اذ كان في ذلك صادقا ولم العافية في الدنيا والاخرة ولا ننقصه ذلك عند اهل الحق كما جرى له مع الفاروق رضي الله عنه ومن الكهان من يدعي ان يسند ركي الامر يفهم اعطيه ويحو ذلك وغالبهم يتلقاه عن الشياطين كشق وسطيح وغيرهما من كهان العرب فمن اتى كاهنا متصفا بالكهانة المذكورة فصدقه بما يقول وظاهر هذا ولو لم يسئل بل احضره بديهة او صدقه بما يقول الغيره لانه لم يقل فسئل الى هذا الحكم ولا في الذي يعده لكن قد ورد ذلك في غيرهما في حديث صحيح مسلم في العراف فسئله فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال جمهور العلماء رحمهم الله تعالى والكفر هنا كما سياتي المراد به كفر النعمة او تشديد ويأتي والعرب تطلق الكفر على الجحود وعلى كفر النعمة قال عنترة بن شداد في ذلك

انبئت ان عمرا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

هذا الحديث رواه ابو داود والذي رواه ابو داود في باب النهي عن اتيان الكاهن فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هكذا فقد كفر هذا الحديث وللاربعة ابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم ابو عبد الله الحاكم في صحيحه وقال صحيح على شرطهما من اتى عرافا او كاهنا شك من الراوي او في تفريعه فصدقه بما يقول فهم من هذا ان الحكم علق بما ذكر متعلق بتصديقه له فاذا وقع منه التصديق فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ورواه الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث موقوفا عن ابن مسعود ولفظه من اتى ساحرا او عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال فهذا واشباهه مما ذكرناه اذا قاله الصحابي المعروف بالصحبة فهو حديث مسند وكل ذلك مخرج في المسانيد وقال فخر الدين الرازي اذا قال الصحابي قولا ليس للاجتهاد فيه مجال فهو محمول على السماع تحسينا للظن به وقال القاضي ابو بكر بن العربي في مثل هذا لا يكون الا توقيفا لانه لا يدرك بنظر وهذا الاصح عندي ان مثل هذا يحكم برفعه اذا قاله الصحابي ومطلق الموقوف مختص عند المحدثين بالصحابي ولا يستعمل فيما دونه الا مقيدا كموقوف على معمر او على الامام مالك او على نافع ونحو ذلك وقد يكون اسناده متصلا وغير متصل وهو الذي يسميه كثير من الفقهاء والمحدثين الاثر وعزاه ابن الصلاح الى الخراسانيين انهم يسمون الموقوف اثرا قال وبلغنا عن ابي القاسم الفوراني انه قال الخبر ما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم والاثر ما كان عن الصحابي قال وكثير من هذا يسمى كثير من العلماء الكتاب الجامع لهذا وهذا بالسنن والاثار كما في السنن والاثار للطحاوي والبيهقي وغيرهما والله اعلم وقد رواه ابو نعيم من طريق سفيان الثوري عن ابي اسحق السبيعي عن سعيد بن وهب عن عبد الله بن عمرو يعني ابن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى كاهنا او عرافا فذكره بلفظه قال وهو غريب من حديث الثوري تفرد به عن يوسف بن اسباط عن هبيرة بن يريم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعند الطبراني في الكبير وائلة بن الاصقع رضي الله عنه مرفوعا من اتى كاهنا

فسئله

[illegible]

فسئل عن شيء جئت عنه التوبة أربعين ليلة فما صدقه بما قال كفر وقد علم مما تقدم دخول اسم الكاهن في اسم العراف فالكاهن بعض العرافة وقد تقدم العرب الطبب عند خلاطه بالسحر كالكاهن فتسميه عرافا تقدم الجنبة عليه لكن ليس بذلك داخلا في الذم المذكور هنا لخروجه بذلك بدليل جواز كطب وإباحته كما مر بسط ذلك في الكاهن الذي تناوله هذا الوعيد هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنة مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومنه قال الشيخ موفق الدين بن قدامة رحمه الله الكاهن هو الذي له رأي من يحسن إليه بالأخبار والعراف الذي يحدس ويخرص وقال الإمام أحمد في رواية حنبل في العراف والكاهن رجاء ان يستتاب من هذا الفاعل قيل له يقتل قال لا يحبس لعله يرجع قال والعراف طرف من السحر والساحر أخبث لأن السحر يكفر به من الكفر وشدد على سعيد عن قوله من عناء فليس منا قال لشاكيد والتشديد ولا أكفر أحدا لا يترك صلاة وقال في الفروع ومن أطلق الشارع كفره كدعواه لغير أبيه وسماه عرافا صرح به بعضهم فيكفر فقيل لكفره وقيل قاربه الكفر وذكر بعض أصحابنا تشديد وتأكيد يقتضي أنه دون الكفر لا يخرج عن الملة والثانية يجب التوقف لا يقطع بأنه لا يقتل عن الملة نص عليه في رواية صالح وابن الحكم وقال صاحب تصحيح الفروع فيه احدهما كفر نعمة وقال به طوائف من العلماء منهم القاضي في المجرد وذكره ابن الجوزي في تحريم آلة اللهو عن جماعة وروي عن الإمام أحمد والقول الثاني قارب الكفر وقال القاضي عياض وجماعة من العلماء معنى قوله صلى الله عليه وسلم من أتى عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أي جحد تصديقه بذلك وهو قد يكون على هذا إذا اعتقد تصديقهم بعد معرفته بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم كفر حقيقة قال صاحب تصحيح وتنقيح في تصحيحه والصواب رواية حنبل وإنما أتى به تشديدا وتأكيدا وقد يوقف على ذلك النبي رضي الله عنه في تصحيحه بابا ونص على ان بعض الكفر دون بعض ونص على أئمة كثيرين قال بن بطة في الرد المنصوص من رواية جماعة من العلماء وأفتوا على تكفير المتأولين من أهل القبلة وإنما يتجه ان القطع بالكفر عند من خالف الأمة ولم تحكم حاله تأويلا قال واقبح حالا من هؤلاء المكفرين قوم من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا انهم لا يعرفون العقيدة بالدليل الخبري فهو كافر وهذا في الشريعة فاحكيت باسلام أجلاف العرب بها وقال بن رجب في شرح البخاري والعلماء في هذه الأحاديث مسالك متعددة منهم من يحملها على من فعل ذلك مستحلا ومنهم من حملها على التغليظ والكفر الذي لا ينقله عن الملة ومنهم من يحملها على كفر النعمة وحقوق وروي عن الإمام أحمد انه سئل عن حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقال كفر بالنعمة ونقل عن أحمد وقال لعطاء وروي عن الإمام أحمد انه سئل عن حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقال كفر بالنعمة ونقل اطلاق كفر النعمة على الكبائر وحكى بن حامد عن أحمد جواز اطلاق الكفر والكفر على بعض الذنوب التي لا تخرج عن الملة وروي عن أحمد انه كان يتوقف الكلام في تكفير هذه النصوص ويقول ورعا وعلما كما جاءت مع تقرير مع اعتقاد ان المعاصي لا تخرج عن الملة ونقل محمد بن يحيى بن تميم وأبو الحارث وابن عبد الله انه وجد ما يكفرون من لا يكفر فانه قال في رواية أبي طالب ما يحسن ان يقول انه كافر يعني من لا يكفر هو لا يقول ولا يفعل ما يكفر به وإنما ترك التكفير تورعا وتوقيا عن الخطأ فيه فإذا أتى بكفر وضلاله من الكفار فإنه إجماع الأمة وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي عند قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض أراد به صلى الله عليه وسلم الكفر الذي يخرج عن الملة ولكن معنى هذا الخبر ان الخبر إذا كان له اجزاء يطلق عليه الكل على بعض تلك الاجزاء فكما ان الإسلام له شعب يطلق عليه اسم الإسلام على من تكلم شعبة منها لا بالكلية كذلك يطلق اسم الكفر على تارك شعبة من شعب الإسلام لا الكفر الكلي وللإسلام مقدار لا ينقل اجزاء الإسلام الأصلي إلى مقدمة ولا يخرج من حكم الإسلام من أتى بجزء من اجزاء الكفر الأصلي أي بقدمة الكفر وهو الكافر والعرفة والإنكار والجحد وقال شيخ الإسلام بن تيمية قد روى تفسير هذا الحديث في قوله لا ترجعوا بعدي كفارا هو قوله بعد يضرب بعضكم رقاب بعض وحكى أبو سليمان الخطابي ما حاصله لا يكفر بعضكم بعضا فتستحلوا بذلك ان تقاتلوا ويضرب بعضكم رقاب بعض وهو في معنى قد تقدم شيخ الإسلام بن تيمية وروى أبو سفيان الخطابي وغيره بسند صحيح من طريق شعبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وشعلم

وحملة المذهب وما عداه فخ هذا الكتاب تقدم ايضاحكم واختلاف العلماء فيه فلا نعيده لقربه وسبق
[illegible]
عباس رضي الله عنهما بسند صحيح وسياتي في حرف وتقدم وجه بيان ذلك وانه ما كفر العمل
او ترك الايمان فلا يضاد الايمان فلا يكون كفرا حقيقة ويضاده فيكون كفرا حقيقة يخرج من الملة قال
ابن رجب في قوله تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الاية يدل هذا على ان فعل طاعات يسمى ايمانا
وان ترك بعض طاعات يسمى كفرا فان المراد بالاية ان اهل الكتاب كانوا يقتلون بعضهم بعضا ويخرج بعضهم ديار بعضهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ويخرج وهم ذلك عليهم في كتابهم وقد امرهم الله بذلك وسيذمهم الله بذلك
ويتوعدهم عليه ثم يفدون اسراهم بالمال امروا به في التوراة فسمى فعلهم للاول ايمانا بالكتاب وقتلهم واخراجهم من الديار كفرا بالكتاب قال وهذا اسناده قوي صحيح
سبب المسلم فسوق وقتاله كفر قال ابن رجب المفسرون يعرضون له وكذلك يوخذ من قوله رداً على من دعوى الايمان
بما انزل علينا انهم قالوا سمعنا وعصينا فقال بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مومنين فدل على ان عصيانهم امر وانه لا
يكون ايمانا في الحال وبضاده فكانوا كفارا حقيقة فلم ينفعهم ايمانهم بالبعض لما ضاد كفرهم باصل الايمان بخلاف ما
لو اتوا بالعمل المضاد فانه لا يخرجهم ذلك العمل عن اصل الايمان وانكاره يسمى كفرا فالذي من العلم ما خرج عن حد
الجهل ولا تغتر بمن لا يحسن حد ادراك الكتاب قال الجوهري واصل اللغة العرب التي نزل بها الكتاب على مذهب لغة العرب النبي الفصيح
العربي صلى الله عليه وسلم ثم يجوز بعد ذلك ان يكون في الملة وقد اوضحنا ذلك بطرق من كلام من يعتمد من اصحاب رضي الله عنهم باحسان
والله تعالى الهادي الموفق قال الشيخ رحمه الله تعالى مفسرا لما تقدم بقوله قال محمد ابو محمد البغوي اعرف
انه يريد في معرفة [illegible] هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل قال الكهنة كذا اذا اصر فيه وعلى الكاهن الغالب عليه انه الذي يتلقى السمع
كما اخبرت الكهان بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لاستراق الشياطين لهم ذلك وقد ورد ما يوثر الاخبار كما رواه
الزبير بكار وغيره ان ابليس كان يخرق السموات قبل عيسى عليه السلام فلما بعث عيسى وولد حجب عن ثلاث سموات فلما ولد
محمد صلى الله عليه وسلم حجب عنها كلها وكم قد رأى الشياطين بالنجوم ليلا يلبسوا باستراق الوحي ويكون ذلك اظهر للحجة واقطع للشبهة
فحرست السماء منهم كما في قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وذلك ليتحسر امر الشياطين
وتخلط ولتكون الاية ابين واحجة اقطع فان وجد اليوم كاهن فلا يرفع ذلك بما اخبر الله عز وجل من رد الشياطين
عن استراق السمع فان التفريط والتخليط والتخديد كان من البغوة ثم بقي من استراقها بقايا يسيرة بديدة وجودها هي الندور
في بعض الازمنة على الامكنة وفي تفسير به سلام كما ذكره السهيلي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا رمى الشهاب الجني
لم يخطه ويحرقه اصابه ولا يقتل بعينه الا ان يصادف ذلك قبل ان يلقي الى الكاهن اول حرف وعن الحسن
البصري قال تقتله في اسرع ما طرفة عين وقضى تقرر الكهان في موضعه بحسب الله تعالى وقبل الكاهن هو الذي يخبر
عما في الضمير اما بحسب واما بكهانة كان صاد واسمه صاف وكانا يهوديا يتكهن قيل ويدعي النبوة وقيل
الذي قيل انه الدجال قال بعض الصحابة رضي الله عنهم كابن عمر وغيره والصحيح انه دجال من الدجاجلة لان الدجال قد
وقف عليه تميم الداري بجزيرة في بحر طبرية في البحر مصفدا بالحديد كما في الصحيحين وغيرهما واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك
وصدقه واخبره انه سيخرج فقد اضل زمانه وكان صاد يهوديا من يهود اصبهان حتى ان ابن صاد حبا له خباء
فقال له حدث وهو عند الله في قطيفة له فيها رمة او زمزمة بعد ان فهمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد خبأت لك خبأ فقال ابن صاد الدخ يعني الدخان وكان قد خبأ له فارتقب
يوم تاتي السماء بدخان مبين وذكر بعدان قال صلى الله عليه وسلم يتبعه ام من صاد له لو تركته بين يروى
بها بالفعل الماضي واخبر وقد قيل ان ابن صاد لم يصد قال ابو محمد ما اخطأني لان الدخ بناء مكون بين
النخيل وليكه لا سيما انه قرب من الرس صلى الله عليه وسلم حين ذكر الاية سر اقسم منها ذكر الدخان بقوة جعلت لهم واسماعهم
ليست لنا فاقامها على لسان ابن صاد وصرفها ولذلك صلى الله عليه وسلم مجيبا له اخس فلن تعدو قدرك
اي لن تعدو بني لتدرس العجز عن علم الغيب وانما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون ما فوقه عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عما باتيه قال ابن صاد صادق وكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس عليه امره رواه ذلك

عن الساعة التي يصيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بالله في هذا الامر عليه ان يكون كما اتخذ من دون الله عاصما
وندا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا الرعم كم قال ـــ تخالفه وتسير في الساعة التي نهيتنا
عنها ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انما التعلم للنجوم الا ما يهتدى به في ظلم البر والبحر انما المنجم كالكاهن
والكاهن كالكافر والكافر في النار اما والله ما انا تطيرت ولا تطير لي بلغني انكم تعملون بالنجوم لا دخلت البيت الذي انا فيه حتى
اعطل فاقام بالسيلحين يوما ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر باهل النهروان وظهر عليهم فقال لو سرنا
في الساعة التي امرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي امر بها المنجم فظفر وظهر اما ان محمدا صلى الله
عليه وسلم قال من تعلم منجما ثم صدق بما قال فقد كفر بما انزل على محمد وقد امرنا ان نتوكل على الله ونثق به فانه
يكفي من توكل عليه واسم هذا المنجم فيما ذكره بعض اهل العلم بالاخبار زعموا زط بن عوف وهذا مع
ما تقدم صريح في تكذيب الرواية التي فيها خلوة اهل البيت من هذا النعت المذموم كما خلت اخوانهم من كتابة
السحر لسليمان عليه السلام وقال ـــ رجحانا القرآن وحي هذه الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوم كانوا
يكتبون ايجاد وخطوطا ويدفنونها في علم النجوم قال فما امرئ ما فعل ذلك عنده منه شيء في الآخرة بخلاف ابي
نصيب كان عالما في السحر ولقد علم ان ليس له في الآخرة من خلاق ولفظ ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الطبراني والد
يلي عنه رب معلم حروف ايجاد ودارس في النجوم ليس له عند الله من خلاق يوم القيمة الا ان في سنده كما قال الهيثمي
خالد بن يزيد العمي وهو كذاب ورواه الضياء عن حميد بن زنجويه ولفظه رب ناظر في النجوم وتعلم حروف ابي
جاد ليس له عند الله خلاق وقد ورد انهى الضياء عن تعليم الصبيان حروف ابي جاد وهذا محمول على علم الثاني
كما سياتي لا على التسيير فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اطلع من السماء ابوجاد واما العالم الباطل
المذموم لاهله فقد كان تعالج به ساقة الامم السالفة وعلم ابي جاد هو الذي عندهم بعدد الحروف من العالم الباطل
وهو علم محرم من علم الاوائل واهل الفلسفة والطبايعيين باعتقادهم في الحروف انها مؤثرة في العالم وتعلو
لكل حرف من حروف ابجد هوز الى آخرها خاصية وان لكل حرف منها طبيعة تخصه ويجعلون الف لكل حرف
منها منزلة من المنازل السماوية والعنصرية من لا على ترتيب حروف ابجد فالالف للنار والباء للهواء وكذلك
للماء والدال للدبران وهو المجدح وهكذا الى آخرها ثم يضيفون لكل برج ما يخصه منها ويركبون على ذلك تركيبا
يزعمون ان لها تاثيرا وليس لهم بزعمهم استخراجا واستنباطا للضمائر والمغيبات بطرق عندهم معلوما عند اهل
الفلسفة والفلسفيا يخرجون بها عن علم النجوم وتوقعهم فيما وهلكات نسال الله الكريم العافية والاستقامة
على صراطه المستقيم ودينه القويم وان يعيذنا والمسلمين من وسوسة الشيطان الرجيم انه لطيف رحيم

الباب السادس والعشرون باب ملجا في كشرة

النشرة ضرب من الرقية والعلاج ومنه قولهم نشره بفلان عوذ به وضرب النشا ابي رقاه قال ابو داود حدثنا احمد بن حنبل
نا عبد الرزاق نا معقل بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يحدث عن نشا سمرة بن جادة بضم اكثر بعدها نون
صحابي من صحابي نزل الكوفة وما يهمنا سمعني رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن نشرة فقال هي من عمل الشيطان
صلى الله عليه وسلم من عمله اذ هو الداعي اليها والمسوي لها فاضيفت اليه اضافة الصفة الى موصوفها كما قال تعالى عما كلم موسى عليه السلام
في قوله فوكزه موسى قال هذا من عمل الشيطان اي من عدو مضل مبين رواه الامام احمد بسند جيد قوي ورواه
ولفظه وقد سئل الامام احمد عنها اي النشرة فقال هي من عمل الشيطان اخطأ النشرة ضرب من
الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن به مس من الجن قال وقيل سميت نشرة لانه ينشر بها عنه اي يكشف عنه ما
به من الاذى وروى ابو داود ايضا بسند له الى صعصعة قال قلت لابن المسيب اكان يرخص في عطية عن الحسن البصري قال النشر
وانشد الاصمعي قول جرير اذ عوذ عوذ فعاد وكان به مس من الجن او بكاس النشر
من ان من اجر هذا الحديث على العموم والصحيح من الجنة وهو الذي رجحه علماء السلف الائمة كما سياتي ان شاء الله تعالى
ان هذا خاص بالنشرة التي فيها الكفر والعزائم التي فيها الاستعانة بالشياطين ومردة الجن وعبادتهم لا الرقى بالاسماء
الاعجمية والطلاسم التي لا يعرف معناها وفي صحيح البخاري تعليقا عن قتادة بإدعاء من قتادة
ابو الخطاب البصري الثقة الحبر سدوسي يقال انه ولد اكمه عالم بالفقه والتفسير قال البخاري وقال قتادة

قلت سعيد بن المسيب هو بن حزن القرشي المخزومي احد العلماء الاثبات والفقهاء الكبار قال علي بن المديني لا اعلم في التابعين اوسع علما منه وروى بن الجوزي بسنده عنه وهو في المسجد ايام الحرة انه قال ما يأتي وقت صلاة الا سمعت اذانا من القبر اقيمت الصلاة فقمت وصليت وهاتي المسجد احرعني ما وقد رواه غيره وسكت عن هذا الخبر وهذه كراهة مكروهة ولا تحرم ولا تبطل الصلاة وليس هذا ببدع فقد صح في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة اسري بي بموسى يصلي وكذا عيسى وبرهيم عليهم الصلاة والسلام وانا حضرت الصلاة فامهم وفي بعض الفاظ حديث المعراج انه مر بموسى على الصلاة والسلام يصلي في قبره وقد اتفقوا على ان من اسبله رحمه الله تعالى ان المرء يسأل عما بعد التسعين وقد نا هذا الثماني رجل مرض بكسر الطاء والضم والفتح لغات ذكرها الكسائي يسحر ويقال للساحر مطبوب كما يأتي في قصة سحره صلى الله عليه وسلم حتى سحر فجاءه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام او وخذ بفتح الواو وهما موكلان بتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة اي يكتبان عن القراء ولا يصل الجماع والاخذ بالهمزة الكلام الذي يقرأ للسحر وقيل خرزة يرقى عليها او هي الكرتم نفسها اخذ عنه بضم الهمزة وفتح الخاء المعجمة اي السحر او بتشديد الذال المعجمة وفتح النون وقيل ياء مثناة مضمومة تحتية من النشاة بالضم وهي كشف ما خامره من الداء والنشرة لغة معناها في اللغة رجوع الشيء الى حالته الاولى ومنه قول العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لما مات ابنه طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس طوى المحنة ناشر فجعل رضي الله عنه موته بمنزلة ثوب او غيره طوي بعد ما كان منشورا ظاهرا وفي كلام قيس بن الخطيم الرباني ... من دمنة تنسفت منها الصبا سفعا ... كما نشرت بعد كطية الكتب وقال الآخر ... طوت كطوب دهر بعد نشر ... كذا حظوظ به نشرا وطيا ... ومنه نشر الطيب اي فرق الفتق ... كان المدام وصوب الغمام ... وريح اكرام ونشر القطر ... القطر بضم القاف العود الذي يبخر به وقيل المنخرة اكتفاء قال الله تعالى والمعنى الذي هو منشور معنى محيي ومنه قول تعالى اذا شاء انشره قال الاعشى ... حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر ... قال تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون وقال نشر الميت هو منشور قال تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها على قراءة من قرأ بالراء المهملة وضم النون بمعنى نحييها وبفتح النون الذي هو خلاف الطي قال الحاصل ان النشرة لا تخرج ولكل الطب الذي هو سحر والاخذ نوع منه سميت النشرة لانه يؤخذ عنها بالنشرة وكني بالطب عن السحر تفاؤلا وان كان اسما كما قالوا للديغ سليم وللفلاة مفازة من الفوز وهي المهلكة قال بن الانباري الطب من الاضداد يقال للعلاج الداء طب وللسحر الداء وبقال له طب وروى ابو عبيد من حديث عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم بقرن حين طب قال ابو عبيد يعني سحر قال سعيد لا باس به انما يريد وما به الا صلاح فاما ما ينفع فلم ينه عنه انتهى هكذا ذكره البخاري ووصله ابو بكر الاثرم في كتابه من طريق ابان العطار عن قتادة مثله ومن طريق هشام الدستوائي عن قتادة ولفظه عند ابي يعلى قال سئل سعيد بن المسيب وانا اسمع عن رجل به طب او به يؤخذ عن امرأته اينحل عنه او يأتيها قال لا باس به انما يريد به الاصلاح فاما ما ينفع فلم ينه عنه ورواه الطبراني في التهذيب من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه كان لا يرى باسا اذا كان انما يريد به الاصلاح وقال هو صلاح قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك الا ساحر قال الحافظ وسعيد بن المسيب انما نهى عما ينفع وما لم ينه عنه عما ينفع وقال بن بطال السحر على ثلاثة اقسام الاول حقيقة السحر وهو الذي يستعمل فيه الشياطين ويخيل للمسحور ولا يكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر وقد استعمل الامام احمد عمر بطلق السحر على المسحور فقال لا باس به وهذا هو المعتمد وبه جاء الحديث والاثر بما قوله من عمل النطاف اشارة الى اصلها وتخيل الكلام بالقصد فمن قصد بها خيرا او نفعا كان خيرا والا فهو شر وهو من عمل الشيطان ثم اخبر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره لانه قد يحل بالرقا والادعية والتعويذ والادوية ولكن يحتمل ان تكون النشرة نوعين فما كان بالرقا والتعوذات والادعية والادوية فهو جائز وما كان من السحر فغير جائز ويقوي قول سعيد بن المسيب حديث جابر بن عبد الله الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعا من استطاع ان ينفع اخاه فليفعل وقد روى عبد الرزاق من طريق الشعبي قال لا باس بالنشرة

التي اذا

التي اذا وطئت لا تضر ويكره ان يخرج الانسان في موضع عضاة فيأخذ عن يمينه وعن شماله ومن ورائه كل شجرة ثم يدفنه ويقرأ فيه ثم يغتسل به **وذكر** ابن بطال انه في كتب وهب بن منبه انه اذا خيف سحر رقاق سدر يضرب فيدق ثم يحرك ثم يضرب بالماء ويقرأ فيه اية الكرسي والقواقل خمسون مرة ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل اذا حبس عن اهله **ومن** ص؟ جواز النشرة بالرقى ما رواه ابو نعيم وابو جعفر الطبري وغيرهما وقد قرر الامام احمد رحمه الله على ذلك في النشرة حيث قال له ضاهأت اهل نشرات ولم ينكر عليها فدل على انها عنده ان النشرة جائزة لما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاقره عليه ولم ينكر عليها فدل على انها عنده ان النشرة جائزة لانه لا يقر على باطل وغيره كالسهيلي على جوازها وامر وحث جابر وجبر الكسر معارضا لذمه وكان السحر الذي عقد وسحر به النبي صلى الله عليه وسلم احد عشر عقدة فانزل الله المعوذتين فرقاه بهما جبريل وكان يقرأ عليه الحديث وهما احدى عشرة اية فانحلت كل عقدة باية وقام وفي رواية ومن شر النفاثات في العقد ولم يقل النفاثة والذي سحره رجل في الصحيح انه لبيد بن الاعصم لان الحديث الذي رواه القاضي اسمعيل فيه زيادة ان زينب اليهودية اعانت لبيد بن الاعصم على ذلك السحر وفي رواية عند ابن اسحق وغيره انا الذي سحرته صلى الله عليه وسلم بنات لبيد بن الاعصم فلعل الذي صنعه وعقد الخيوط والذي وضعه في البئر لبيد مع ان الاخذ في الغالب من عمل النساء وكيدهن ولبيد هذا من بني زريق كما في البخاري في هذا الباب بعد كلام سعيد بن المسيب المتقدم حيث قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان بن عيينة يقول اول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني ابن عروة عن عروة فسألته هشاما فحدثنا عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان هذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا فقال يا عائشة اما علمت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والاخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للاخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن اعصم رجل من بني زريق حليف لليهود وكان منافقا قال وفيم قال في مشط ومشاقة قال وأين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان وفي لفظ اروان قالت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتنيها وكان ماؤها نقاعة الحناء وكان نخلها رؤوس الشياطين قالت فاستخرج فقلت افلا تنشرت فقال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير على احد من الناس شرا ثم روى حديثا اخر فقال حدثنا عبيد بن اسمعيل ابو اسامة عن هشام عن ابيه عن عائشة نحوه الا انه زاد في اخره عنها قلت يا رسول الله افلا اخرجته قال لا اما انا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت ان اثور على الناس شرا وامر بها فدفنت فليس هذا هو الذي اخذ برأس النبي صلى الله عليه وسلم **وفي اخر** ان الحكم بن حزن الكلفي كان يوخذ على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ان يدخله ورأى البئر صخرة في اسفله يقف عليها الماتح وينقي البئر ويقال هي صخرة صلبة لا يقدرها اي فرقر كوري وراعوفة البئر بالنون والمعنى واحد **وفي حاشية** بعض راشد عن الزهري قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله **وقد ذكر** الواقدي انه سحر صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي الحجة وكان يسمع في الحجر وهذا رواه سعيد عند الا سمعيلي انه اقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام بن عروة عند الامام احمد ستة اشهر **وممن** جمع بين ذكر بابا من هم محكما سندة ومن هم محكما دون السند ومن هم محكما وجوده ثم من واثم بعدم اثره الا بعد سنة والله اعلم **وطعنت المعتزلة** في حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم وطوائف من اهل البدع وقالوا لا يجوز على الانبياء ان يسحروا ولو جاز ذلك لساغ ان يتوهم ان ما جاءوا به من الوحي سحر والحاذق ان يحتج بالحديث لا يعضد بقوله والله يعصمه من الناس ولحديث ثابت عند اهل الحديث لا مطعن فيه من جهة النقل لا عصمة ان يجعل في عقول الانبياء وادراكهم فانهم يبتلون فيها وبخلل يعرض لاجسامهم بالجراحة

قدم

عقد ص

الله ص

والطب والسموم والقتل والأخذ التي أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه إنما كانت في بعض جوارحه والآية
في المائدة وكانت نزولها متأخرا وكان يحرسه في مغازيه وبعثه صلى الله عليه وسلم حتى نزلت والله يعصمك من الناس فصار
حراسه الله تعالى فوعده وقوله صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى الآن أي تؤثر على الناس شرا لما قالت له إذا خبرته وفي رواية
هذا أوان انقطاع أبهري من سمها وقد تقدم هذا الحديث في الكلام على السم وقد سبق وجه من أبهري كما تقدم فلم يبق وجه لتركيب
والمناط كراهة أن يثبت على الناس شرا من أن يتعلمه بعضهم إذا رأوه يسحر فيكون ذريعة لهم إلى السحر الذي هو كفر وقد علم
غير هذا وذكر أن المناسب كان من بني زريق قالوا فإن سحره للناس وإرادة إضرارهم إياه لا يشكل إذا ورد طائفة من المسلمين قبله
وسيعقد آخرون من عصبته فيتصور لهم كما ذكر في حديث الإفك من حال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين حتى تركه
صلى الله عليه وسلم إذا عرفت ذلك فقد علمت مما تقدم أن النشرة ذات وجهين ليس المنع منها على العموم كما يتبادر ذكره
قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى وهو أجود ما يوجد من النشرة فعامة ما في السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة
بالأدوية الإلهية من ذكر الله والدعاء فالقلب إذا امتلأ من الله معمورا بذكره موكلا به وله ورد من الذكر والتوجه
إلى الله تعالى بالمحبة كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر قال وسلطان تأثير السحر إنما يكون في القلوب الضعيفة
وهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان وقليل الأديان الأرواح الخبيثة إنما تتسلط على الأرواح تلقفها مستعدة
لما تناسبها وهذا الذي ذكره رحمه الله تعالى إنما هو جار على الغالب كما أشار إليه في النساء وسفهاء الرجال والله
فقد جاء السحر على يدي النبي صلى الله عليه وسلم مع عظم مقامه وصدق توجهه إلى الله وملازمة ذكره وورده وقال تعالى
في حق كليم موسى عليه السلام يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وقال وجس في نفسه خيفة موسى وقد يكون إنما وقع السحر
به صلى الله عليه وسلم لبيان جواز النشرة بالسحر وقوع السحر به صلى الله عليه وسلم والله أعلم بالصواب وروى الحسن
بن أبي الحسن البصري وهو ابن يسار بالتحتانية المثناة والمهملة الأنصاري مولاهم فقيه فاضل مشهور كان يرسل
كثيرا ويدلس قال العراقي كما يروى عن جماعة لم يسمع منهم فيجوز ويقول حدثنا وخطبنا نظم أوله على البناء يعني
قوما الذين جاءوا خطبوا إلى البصرة توفي سنة عشر ومئة وقد قارب تسعين رضي الله عنه أنه قال فيما رواه الطبراني
وغيره عنه لا يحل سحر عن مسحور إلا ساحر قال شمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى النشرة هي حل السحر عن
بدن المسحور وهي نوعان كما قدمنا أحدهما حل سحر بسحر مثله وهو الذي ورد في الحديث وقال إنه من عمل الشيطان
كما تقدم ذكره وعليه حمل قول الحسن البصري في هذا الأثر وغيره فيتقرب الناشر والمنشر في ذلك إلى الشيطان بما يحب من
عمل الإثم له ذكره ما أراد تعالى وما كم سحيا وذلك كما يتقرب الساحر إلى الشياطين كذلك بما يعلمون أن السحر فيه بغضاء الله تعالى
الذي عمل مع السحر الأول عن المسحور المنشور عنه النوع الثاني النشرة عن المسحور بالرقية والتعوذات والأدوية
المركبة المباحة المستعمل فهذا النوع أيضا قال شمس الدين وهو المتعين شرعا وعقلا
فإن جبريل وميكائيل عليهما السلام رقيا الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعوذتين من السحر حتى حله الله تعالى عنه فعند النسائي
عن عامر بن ربيعة الغطفاني والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا ألا أخبركم بأفضل ما تعوذ به
المتعوذون قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وليس يتعوذ الخلائق بمثلهما وأما من جهة الأدوية
المباحة فقد مر جواز التطبب لكل مريض في جميع الأمراض وهذا هو الذي لا مرية فيه وفي الصحيحين عن عامر
بن سعد بن أبي وقاص قال سمعت سعدا رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة
لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر هكذا رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ وعند من أكل سبع تمرات عجوة من ما
بين لابتي المدينة على الريق لم يضره شيء وفي صحيح مسلم أيضا من عجوة العالية شفاء أو إنها ترياق أول
البكرة وقد صح عن سعد بن أبي وقاص وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال مرضت مرضا شديدا فأتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال إنك رجل مفؤود ائت الحارث
بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن رواه
الطبراني وذكر عن سعد بن أبي رافع وقوله فليجأهن أي فليدقهن قاله الهروي قاله عياض وقال بن الأثير فليجأهن
فليدهن وبه سميت الوجيئة وهو تمر يبل بلبن ثم يدق حتى يلتئم ومنه الحديث دعا سعدا فوصف
له الوجيئة وقوله ثم ليلدك أي ليسقيك يقال لد المريض إذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم وفي كامل

قول الشارح رحمه الله تعالى وهذا الذي ذكره ابن القيم الخ اعتراضه وهو غير وارد فإن الحافظ ابن القيم رح إنما أراد أن السحر لا يؤثر في القلب إذا كان صاحبه محتميا بما ذكر من الأدوية الإلهية والشارح يريد تأثيره في البدن وقد صان الله قلب رسوله صلى الله عليه وسلم كما ذكره الشارح رح

ى عدى انه ينفع من الدوام والدوار وهو ياخذ الان ويدق راسه ويدوم منه تدوم الطائر وهو ان
يستد بمخ طير انه يفعل ذلك بسبب ابام وهو فى غريب الخطابى عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تامر للدوام
والدوار بسبع تمرات عجوة تحسوة على الريق وقد قال الى رضى احمد بن ابو عبيد بن ابى السفر وجميع
ى غيلان قالا حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية عن ابى اسامة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العجوة من الجنة وفيها شفاء للعين او ذباب خراج هذا الوجه اكثر حديث وقال صحيح غريب لا نعرفه
الا من حديث سعيد بن عامر قال وقال اسمه سعيد بن زيد وابى سعيد وجابر ورواه النسائى وابن ماجه عن
ى ثابت عن ابى عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن قطن الوراق عن شهر بن حوشب عن ابى هريرة مرفوعا و
فيه العجوة من الجنة وهى شفاء من السم ورواه الترمذى ايضا بهذا اللفظ باسناد صحيح الى شهر وهو عند الامام
احمد بهذا اللفظ باسناد صحيح الى شهر عن جابر بن عبد الله وابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقد قيل ان شهرا لم يسمع من ابى هريرة
انه منقطع وقد اجاب العلامة ابن القيم عن توجيه حديث سعد المتقدم فى الصحيحين فانهم جعلوه من باب العموم
ذا فلا يقال عليه استعمال الدواء قبل وجود العلة لانهم اخطأوا ومنهم من قال انه ذكر ذلك لقاض عياض والاكثر منهم
قال لا يعقل وجهه ولا يقاس عليه ولنا طريق الايمان والتصديق بصحة الاخبار فى ذكر دوائه بعد الداء المو

فى الباب السابع والعشرون باب ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون هذا جواب
لقول الذين قالوا لموسى كلما جاءنا على الصلاة والسلام حيث قالوا انما قوله علينا عنهم فاذا جاءتهم الحسنة يعنى الخصب
والسعة والعافية قالوا لنا هذه اى لاجلنا وعرفها ومستحقها على العادة التى جرت لنا فى سعة ارزاقنا ولم نر شؤم
فقر الامم التى كذبت فشكروه عليها وان تصبهم سيئة يتطيروا بموسى ومن معه مما وقع قال سعيد بن جبير ومجاهد
المنكر كما ادرك فرعون السنين وعاش سبعمائة سنة لا يرى فيها مكروها ولو كان الله اذا اخذ احدا يوم او جمعة
ليلة او وجع ساعة كما ادعى الربوبية فما فوضهم الله سبحانه بالغباوة والقساوة قال السدى قالوا القلوب
وتذلل العرائك وتزيل النعم عند الله هذه الاشياء وهم لم يعرضهم بل زادوا عنيدها عتوا وانما كان الذى
اجهلهم واساء الاعتبار عن مرسله وانما عرفه كنه وذكر الخوف عند اداة التخويف كثرة وقوعها ونكر
كثرة واتى بها معرفة لشكه لندورها فلم ينجهم اياها ولم يدل على انه تطير بموسى ومن معه
قال تعالى الا انما طائرهم عند الله اى حظهم الذى قضى عليهم وقدر لهم قال ابن عباس وقراء اكثر السبعة الا انما طائرهم بغير الف وهما واحد و
هو اسم الجمع وقيل هو جمع يقال الطير جزم لكل اليوم ثم قال تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله الذى يصيبهم
من الله سوء ذنوبهم وما عالجهم كما قال فى الاية الاخرى قالوا طائرك معكم والمعنى بحظكم وما نالكم من شؤم
سببه افعالكم واقوالكم وكفركم وفى الفكر ان صحبتكم لكم معكم ليس هو من اجلنا ولا بسببنا بل بسبب على انفسكم و
عداوتكم لرسل ربكم الذى يريد عونكم واصلاحكم فى الدنيا والاخرة فطائركم الباغى الظالم معكم وهو عند الله ولهذا قال
ولكن اكثرهم لا يعلمون كما قال تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عند ك
قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اصابك من حسنة فمن الله قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية
اى صالحة الخصب والمطر والسعة والولد والغلاء وفى رواية الوالبى عنه الفتح والغنيمة والسيئة
الجدب والهزيمة ثم قال وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولو فقهوا وعلموا لم يتطيروا بما جاءت به الرسل عليهم
السلام فانه كله خير محض لا شر فيه وصلاح لا فساد فيه ورحمة لا جور فيها وقوله تعالى قل طائركم
معكم اى ذكرهم بل انتم قوم مسرفون اصرفوا بعض الكلام فيه بسقوط اداة على الاية الاولى والمعنى لما قال اهل القرية وهى
انطاكية لرسل الله قبل يحيى ويونس عليهما السلام وقيل غيرهما انا تطيرنا بكم اى تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم
فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم وذلك لما دعوهم اليه من عبادة الله تعالى وحده واستقباحهم له وقلة
تاهم عنه ولاجل ذلك قالوا لئن لم تنتهوا عما تقولون لنرجمنكم او ليمسنكم منا عذاب اليم قال قتادة فلم يكفوا بل تطير بعضهم على

يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع ان يدفع النظر الذي يقع في نفس كل احد لكن القوي اليقين لا يتأثر به
وهذا لما ثبت في الطبيعة العلة فيه ظاهرة بالطريقة بحار حديث جابر في اكل المجذوم من القصعة وسائر
ما ورد من جنسه وكان الناظر ضعيف اليقين فلم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد
العدوى عن نفسه فاراد سد باب اعتقاد العدوى عنه بانه لا يباشر ما يكون سببا لاتيانها وقرب من هذا
كراهة الكي اذ فيه فعل [illegible] وفعل اسباب كلا الامرين ليتباعد كل من الطائفتين **الثالث**
مصدر الفاعل ابو بكر ابن [illegible] العدوى في الجذام ونحوه فهو مخصوص من عموم نفي العدوى فيكون معنى
قوله صلى الله عليه وسلم اذا فر من المجذوم كما تفر من الاسد اي في الجذام ونحوه والجرب والبرص مثلا فان كان لا يعدي شيء شيئا الا
ما تقدم تبيينه فلم [illegible] العدوى وفي [illegible] **الرابع** ان الامر بالفرار ليس من العدوى في شيء
بل هو لامر طبيعي وهو [illegible] وسط [illegible] الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع
في كثير من [illegible] الداء الى [illegible] صحيح بكثرة المخالطة **وهذه طريقة ثقيفة**
ولذا يقع [illegible] وفي [illegible] ونزع الولد اليه وفي هذا جعل الله العيوب التي ينفسخ بها النكاح وتحل ما يكون
به بعض الاوجاع في جسده ولذا نهانا عن الاطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق
الاتيان بما نصبه الله تعالى بالرائحة لانها تسيء بدنه من واضع على استشمامها **قال** ومن ذلك حديث لا يورد ممرض
على مصح لان اكثر الرطب قد يكون بالبعير فاذا خالط الابل او حاكها او اوى الى بيارتها وصار اليها الماء الذي يسيل
منه وكذا ان النظر نحو ما به **قلت** ولهذا الوجه نضح جلد الصحيح اذا ارد مي وجعل فيه من رطوبة الجذري شيء
ولهذا يؤمر فاصحاب الابل في النار والماء فيها قاربا من الاحراق بالغرق والاكل بامر الله وبقدره وتكون تخلق
حالا دون حال كما يريد وكما جعل الله سببا في الشمس ما يثير الكزاز وفي الامر الرطوبة وانما نفى صلى الله عليه وسلم ان يكون الا بعدوى
شيئا مستقلا من دون الله تعالى اذ هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار **واما** قوله لا عدوى فله على هذا ايضا معنى
اخر وهو ان يقع المرض بمكان كالطاعون فيخرج منه ان يصيبه لان فيه نوعا من الفرار من قدر الله تعالى وهاهنا قسم اخر لا يدخل
الخامس ان المراد بنفي العدوى ان شيئا لا يعدي بطبعه بفعله كانت اكاهل تعتقده من ان الامراض تعدي بطبعها من
غير اضافة ذلك الى الله تعالى وهو الاشارة الى ذكره في الطريق الذي ذكرها هذا قال الرضي الله عنه اكثر اعتقاد هم ذكر ولكله مع المجذوم
ليس من الله هو الذي مرض وشفى وهاهنا من الله تعالى ان هذا من الاسباب التي اجرى الله العادة بانها تفضي الى
حسبانهم ففي نهيه صلى الله عليه وسلم ابطال هذه الاسباب وفي فعله اشارة الى انها لا تستقل بذلك الا بالله ان شاء سلبها ما اودع فيها من القوى
فلا تؤثر شيئا ولو شاء ابقاها فاثرت بامره تعالى وتكونت كما اودع في النار احراقه وسلبها خليله ابراهيم عليه السلام
وكما اودع في الماء الاغراق فاغرق به قوم نوح وفرعون وقومه وسلب اغراقه عن يونس عليه السلام **وكذلك** ايضا ان يكون
اكله صلى الله عليه وسلم مع المجذوم انه كان به امرا ليس بمعد في العادة اذ ليس كل من سوء ولا كل العدوى
من جميعهم بل منهم من لا يعدي في العادة عدوى اصلا كالذي اصابه شيء مما ذكر ووقف فلم يعد بقية جسده **وعلى**
حمال الوجوه ان يكون في قعة **قال** الحافظ البيهقي بعد ان اورد قول الاصمعي وتخصيص الجذام والبرص بزعم العرب الطب بما
نعلم بالتجارب ان بعض الوجوه كثيرا وهو [illegible] الجماع ولا تكاد نفس كل احد تطيب بمجامعة من هو به ولا تنفس امرأة ان يباشرها
جماعا من هو به **واما** الولد فبين اذا كان والد اجذم او برصاء قبل ان يسلم الولد وان سلم ادركه نسله قال الحافظ
واما ثبت عن ابن عباس ان قال العدوى فهو على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من اضافة الفعل الى غير الله تعالى وقد يجعل
الله بمشيئته فيما لطفه الصحيح من هذه العيوب سببا لحدوث ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك
من الاسد وقال لا يورد ممرض على مصح وقال في الطاعون من سمع به في ارض فلا يقدم عليه وكل ذلك بتقدير العزيز
العليم وتبعه على ذلك من اصلح في الجمع بما اختلف وما بعده وطائفة ممن قبله **قلت** ولهذا قال عمر رضي الله عنه لابي عبيدة
الفاروق رضي الله عنه في قصة الطاعون وجوعه عن ذكره ان قد حمل الكلام وقيل له في ذكر الفرار من قدر الله قال نفر من
قدر الله الى قدر الله **السادس** حمل العدوى بالاكل مع المجذوم على نفي العدوى اصلا واساء وحمل الامر بالمجانبة
على حسم المادة وسد الذريعة **هذا** حديث للمجاطبة بشيء من ذلك فيظن ان سبب المخالطة هو العدوى التي نفاها
ان رع والى هذا القول ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام وتبعه على ذكر جماعة من اهل العلم فقال ابو عبيد ليس في
قوله صلى الله عليه وسلم لا يورد ممرض على مصح اثبات العدوى بل لان الصحاح لو مرضت بقدر الله تعالى بما وقع في نفس صاحبها
حينها ان ذلك من العدوى فيفتتن ويشكك في ذلك فامر باجتنابه قال وكان بعض اهل العلم يذهب الى ان الامر بالاجتناب
انما هو للمبتلى لطب على الصحيحة من ذوات العاهات قال وهذا اشد حاصل عليه الحديث لانه فيه انبأ العدوى ولكنه نفاها الى رع

ولكن وصله احدث عند ما ذكره عن الصحابة رضي الله عنهم وحديث لا [illegible] وصحيح
وخشية ان يصيب بعض من يخالط المجذوم ايذاء والصحيح
ذلك من العدوى فيثبت العدوى التي نفاها صلى الله عليه وسلم
العدوى وبين لا ان لا عدوى شيء اصلا وقد يؤيد هذا توضيحا
وصح حديث جابر في ذلك قال وامانهيه عن ادامة النظر
الصحيح نظره اليه لانه قد يكون به داء او هو يكره ان يطلع
دار الجزمى جذام تعالى فانه سئل عن هذا الحديث فقال ما سمعت
المومن شيء وقال الطبري الصواب عند نا في ذلك القول
كتب عليها وادنى عليل يصح فغير وجب انتقال العلة
التي ذكرها الناس المحترم ذكر بل الخشية ان يظن صحيحا فيوردا
النبي صلى الله عليه وسلم من العدوى قال وليس في امره بالفرار من المجذوم معارضة لأ
سلم داحيانا وعلى سبيل الاباحة اخرى وان كان تاركه الاوفر على الاكرام وانما كان لا يحترز لان
ليس جزما وقد سلك الطحاوي في معنى هذا الاثر مسلكا برخزعة فيما ذكره وورد حديث لا يورد ممرض
ثم قال معناه ان المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي اورده لونها اورد تم لم يصبه من هذا المرض شيء والواقع
لم يورده لا جتنا لكون الله قدر فنهى عن ايراده لهذه العلة التي لا يومن غالبا وقوعها في قلب المريض ساق الحاديث
في ذلك واطنب وكذلك قال القرطبي بانه نفى عما وقع فيه اهل الجاهلية من اعتقاد العدوى او خافة
تشويش النفوس وتاثيرها لا وهام فالاولى للمومن ان لا يتعرض الى ما يحتاج فيه الى مجاهدة وان كنا نعتقد ان اكذام
لا يعدي لكنا نجد في انفسنا نفرة وكراهة لمن اطبق حتى لو اكره انسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته لناذ ذت
نفسه بذلك فحينئذ ينبغي للمومن ان يجتنب طرق الاوهام ويبتعد عن اسباب الالام مع انه يعتقد ان لا ينجي حذر
من قدر وقال ابن عمر بن ابي جمرة وعكس بعضهم فجعله على اسقام وقوله باب الفرار هو المخروج من ارض
الخ طبين وفعله حقيقة الايمان ثم بعد الاوامر اصالة بنبي ان كلمة وما فعل انه ني كما اوحى يقينا لان الاشياء كلها لا انا
ثبت لها الا بمقتضى ارادة الله تعالى وتقديره كما قاوهام بضارين بهم احدا لا باذن الله فيما يوحي اليقين فله ان يتبع
في فعله ولا يضره شيء ومن وجد في نفسه ضعفا فليتبع امره في الفرار لئلا يدخل بفعله في القاء نفسه الى التهلكة فا
المقصود ان كلام العلماء رحمهم الله تعالى في ذلك يدور على ان جميع الامور راجعة الى الله تعالى دائرة تحت قضيته
قال تعالى الا له الخلق والامر وقال الامر كله لله وقال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك
صل من ذكر ان الاقوال التي يتوهمها المومن منها الضرر فاباحة اكله الباذنة اكذر منها فلا ينبغي للضعفاء ان يقربوا
واما اصحاء الصدق اليقين فهم في ذلك بالخيار قال ابن ابي جمرة وفي الحديث اشعار ان اكل المجذوم لا يكره لان الغالب عدم
هو الصفة بالامر بالفرار وبحسب ذلك استدل بالامر بالفرار من المجذوم لانه اخبار للزوجين بفسخ النكاح اذا
وجد احدهما بالاخر قلت وهو قول جمهور العلماء واجاب من لم يقل بالفسخ بانه لو اطلع بعد الحب
الفسخ اذا حدث اكذام ولا قائل بورود بالخلاف ثابت وثبوت الفسخ لاحد الزوجين اذا حدث في الاخر بعد الدخول
هو المذهب عندنا حكاه القاضي وضحى به عن الامام احمد رضي الله عنه ووضع بعض شيخ الاسلام من يتمه من شرح المحرر و
واختاره وبنى عليه صاحب التنقيح فيه وتبعه من بعده كالمنتهى والاقناع وهو الراجح عندي فعليه
ولذكر ادلة لسر هذا موضعها واختلف العلماء رحمهم الله تعالى في المجذوم هل يمنع من المساجد والجمع
وهل يتخذ لهم مكانا منفردا عن الاصحاء ولم يختلفوا في الناذر انه لا يمنع ولا في شهود الجمعة والله ولي الهداية
وقوله ولا طيرة مر ضبطا وتعريفا وحقيقتها هي ما ايضا كر اورد كره وعند الطبراني
عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا ثلاث من كن فيه لم يدخل الدرجات العلا من تكهن او استقسم
اورده من سرة طيرة وسيأتي فيها مزيد بيان ما سوى ما تقدم ان شاء الله تعالى بعد الكلام على
لفظ التعليق هذه اكثر نسخها قوله ولا هامة الهامة بتخفيف الميم على المشهور
وهي الصدى وجمع هام وهو ما قال غيلان ذو الرمة

[illegible] وقد اعصف النائح المجهول [illegible] فظل اعضف يدعوها بها اليوم

يوم قد اعصف سرا [illegible] والذي ليس به علم واعضف يعني الليل والهام ذكر البوم

في ظهره خط اسود [illegible] البومة على دار احدهم قالوا نعت اليه نفسه او بعض اهله

وهذا يقسر [illegible] وبن الاعرابي قال الكلابي وجماعة **والثاني** ان العرب

[illegible] يعتقدان روح الميت

[illegible] بصير هامة فتروح عند قبره وتقول اسقوني اسقوني

[illegible] بكا رجع اخباره ان العرب كانت في جاهليتها تقول

اذا قتل الرجل ولم يوتر [illegible] وهي دودة قدر رأس الانسان

يا ادرك ثاره ذهبت [illegible] العدواني يخاطب ابن عم له يقال له عمرو

[illegible] يا عمرو [illegible]

[illegible] حتى تقول الهامة اسقوني وقال نوح صاحب

[illegible] على دوني جندل وصفائح

[illegible] فالصدى عند هامة طائر

[illegible] المقتول او عند قبره حتى يعذب بثاره كما تقدم عنهم وهي الهامة قال الاصمعي باع بن مفرغ

[illegible] غلاما له يقال له برد فندم عليه فقال

وشربت بردا اليتني من بعد برد كنت هامة

وقال ابو داود الايادي [illegible] سلط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام

فابطل الاسلام هذا كله وذكر من قولهم ونظير العامة اليوم من صوت الهامة التي في البومة ما مر ذكره في الزاي

ويسمى ايضا الذي يجيء من الاجبال وغيرها اذا تكلم صدى يقال صدى الصوت وصدى ايضا اي اهلك

لانا الرجل اذا جاءت [illegible] يسمع الصدى من ينادي فيجيبه **وقوله ولا صدف** قال ابو عبيد عن ابي زيد

[illegible] العجاج انه سئل عن الصدف فقال هو حية تكون في الرطب نصب المشية والناس قال وهي اعدى من الجرب عند العرب

وهي تسمى الصفراء ويقولون اذا حركت في الرطب جاع الانسان فاذا توديه وكذلك المرض الى ان يستسقي فيموت

قال اعشى باهلة [illegible] لا يتأرى لما في القدر يرقبه [illegible] ولا يعض على شرسوفه الصفر [illegible] يقول لا يتأرى

اي لا يتلبث ويكلس ويطين فابطل النبي صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعتقدونه وقال غيره الصفر انه

خير هوام الصيف فحرمه قال النووي وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلماء وقد ذكره البخاري

عن جابر رضي الله عنه مرفوعا واصل الصفر باطلان لا اصل لهما وهذا الظاهر من كلام العرب [illegible] عنهم **وقوله**

ولا نوء بالجمع جمع انواء قال ابو ذؤيب الطائي [illegible] اذا الريح جاءت من امام اطاعوه واخلفوه نوء الشعريين دبورها

والنوء عند العرب غيبوبة الكوكب في المغرب عند طلوع رقيبه في المشرق عدوه وانما سمي نوءا لانه من ناء

ينوء نوءا اذا نهض وقيل مستقى النهوض واختار الكسائي واحد ان النوء هو المطر الذي ينزل الله تعالى مع

سقوط الكوكب واسم الساقط النوء واسم الطالع البارح وانما سمي بارحا لان ما عند الله تعالى عند

طلوعه من ريح وحر يقال له بارح لانه يبرح بالتراب اي يذهب به وقيل سمي بذلك للبيان والوضوح كما

يقال برح الخفاء قال الزجاج ذا تأنف ان يطلع منزلا من المنازل الثمانية عشر التي هي منازل القمر

على الاثني عشر برجا لم يمطر فيها وذلك بان يطلع بالغداة ويغرب رقيبه فذلك النوء

لا يتخلف فكل منزلة لا يمطر في السنة قال وهو ماخوذ من ناء ينوء اذا نهض عنا قلا والعرب تجعل

النوء للغارب لانه نهض للغروب عنا قلا وعلى ذلك اكثر اشعارها وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى

لتنوء بالعصبة اولي القوة اي تميل بهم الى الارض هو اوجه من جعل الكلمة من المقلوب قال وبعضهم يجعل

النوء للطالع قلت وهو قول المنجمين لان الطالع له التاثير والقوة بزعمهم والغارب ساقط

لا قوة له ولا تاثير وقال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب قلت

وهذه المنازل كلها يطلع بها الدوار كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب ويغرب من المغرب وتلك

دورة يوم وليلة وهي الدورة العظمى القسرية لانها تقسر الافلاك كلها على ان تدور معها الى غير جهة حركتها الذاتية الطبيعية عكسا وهذه الحركة ترى للشمس في كل يوم في شروق وغروب والفلك كله يدور في الدورة الكاملة الا بعد مضي سنة شمسية وهي مدة مفارقتها الاولية نقطة تقوض من نقطة الشرق الى العود اليها بالحركة الخاصة بها الذاتية التي من المغرب الى المشرق وهو الذي يرجع اليه الصفة حتى يقول ايها ترى الشمس تلقى عكس مقصدها في كل يوم وليلة اذا كل تفل وقال الارجاني والبيت الذي بعده

فالقصد نحو المشرق الاقصى له ... والشمس ترى العين في المغرب

العقل الحكم له بالسمو بعد ما ... نيل العلا رضاء ابه يذهب

كانني لبد ربيع الشرق والفلك الاعلى يعارض مسراه فيكبحه فالافلاك السبعة تدور دورة قسرية من المشرق الى المغرب ولاخرى ذاتية طبيعية تسير فيها من المغرب الى المشرق وكل فلك منها له دورة تخصه تعرف بسرعة دوره كوكب وبطيئة من بقية السيارة وقد نظمها بعضهم بقوله مرتبا لها ما زحل سريع من سمسه ... فزاهرة لعطارد النهار والكلام مفهوم وانما المقصود النظر والاعتبار في هذه الصنعة المحكمة العظيمة التي تدل على انها لا لم وجد وقدرت الله تعالى التفكر في ذلك والنظر اليه بعين الاعتبار فقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الى قوله فقنا عذاب النار وقال الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت الاية وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء والايات في ذلك بطولها وكما يحث على هذا المعنى

فالى صل ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم بالطارق كما تقدم العجب من الملائكة في الكواكب السيارة والثابتة لانهم يجعلونها مسخرات مدبرات تحت امر العزيز العليم بل جعلوها فاعلات مدبرات مستقلات بذلك الامر فخالفوا قوله جل وعلا والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال تعالى وايه لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في بعض اجوبته على قوله تعالى وهو الذي يرسل الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون بعدما قرر البرهان الذي عرضه الكل من المنازعين وتلك عليها سير الشمس والقمر ان تعاقب الليل والنهار تابع لحركة غيرها قال فاذا كان هذا اخبر عن الليل والنهار بما اخبر به من انهما يسبحان وذكر ان حركة غيرهما جاز مثل ذلك فيما اخبر به ان الشمس والقمر يسبحان للفلك وعلى ذلك دلالة كثيرة ليس هذا موضعها قال ليس في شيء من نصوص الكتاب والسنة ما يدل على ان السماء اسم للافلاك ولا ان الافلاك مستديرة ولا ان السماء سبع سموات بعضها فوق بعض كما اخبر الله ورسوله وكما ذكره علماء المسلمين وغيرهم بل الافلاك مستديرة وسبع سموات بعضها فوق بعض كما اخبر الله ورسوله وكما ذكره علماء المسلمين وغيرهم قد ذكر ابو الحسن بن المنادي من اكابر اصحاب الامام احمد الكتاب له سماه تنقيد نسب ابو محمد بن حزم وبين الآثار التي اجماع المسلمين على ان الافلاك مستديرة قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله كل في فلك يسبحون قال في فلكة مثل فلكة المغزل والفلك في لغة العرب التي المستديرة يقال افلكت الجارية اذا استدار ثديها وقد خلق الله سبع ارضين بعضها فوق بعض ثم استدل على ذلك بادلة من السنة قال وقد ذكر ابو بكر بن الانباري الاجماع على ذلك وارد به اجماع اهل الحديث فالسموات وتحت العرش كما جاء في الاحاديث وكما ذكر في تفسير القرآن وكما اخبر ان خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء والعرش فوق جميع المخلوقات وهو سقف جنة عدن التي هي اعلا الجنة كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانها اعلا الجنة واوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن والارض يحيط الماء بها كما ترى والهواء يحيط بالماء والارض والله تعالى بسط الارض للانام وارساها بالجبال لئلا تميد كما ترسى السفينة بالاجسام الثقيلة اذا كانت في البحر والارض مدحوة والله تعالى يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والمخلوقات العلوية والسفلية تحت ملك الله وقدرته ومدبرها بحكمته سبحانه وما جعل فيها من الطبائع والقوى فهو من اثار قدرته ومشيته وهذه جملة لها تفاصيل انتهى كلام الشيخ ابن تيمية قدس الله روحه ونورضريحه هذا اخر الكلام المتعلق بالنجوم مدبرة ومسيرة بامر فاطرها الذي يقضي الغيب على عباده

في بلاده

في بلاده من غير خلاف فقطعوا به ونسبه رحمه الله هو الذي يحمد وقال عماد الدين بن كثير في البداية والنهاية
حكى ابن حزم وابن الجوزي الاجماع على انه كان مستدير وحكاه ايضا غيرهم واطبقوا واعتمدوا عليه بابة
كان في قديم الدهر وقال الحسن البصري وورد وقال ابن عباس قبل خلق مثل فلكه المغزل وقال الخافوطي من محدثي
حكى الاجماع على انه كان مستديرا وقامت عليه الادلة وخالف في ذلك فرق يسيرة من اهل الاهواء
وقال الكاتبي القزويني استدارته كاستدارة السماء وقال الكرماني في قوله تعالى في فلك يسبحون كل واحد منها فلك
وقال صلاح الدين الصفدي الفلك كرة يحيط بها استدارة بالاجماع من الرياضيين والطبائعيين بحيث
تقتضيه البراهين من الفرقين وحدت الدائرة اقول لان منطقة الكرة فانها محيط دائرة بلا
شك فخط هذا الدائر خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فمتى
كان محيط الدائر مستديرا كان الخط المستقيم لا ضرورة والما قربه ارشميدس بان جعل القطر سبعة من اثنين
وعشرين فاقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا وتحديدا الا الله تعالى وكذلك
نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى وبهذا الذي قدمنا تعلم ان الطلوع والغروب واختلاف الليل والنهار
وسائر حركات الافلاك بتقدير العزيز العليم الذي احسن كل شيء خلقه والذي هذا صنعه وتقديره هو الذي يكون
انما يعبد وحده ويسئل وجهه ما سواه مدبر في قضيته وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء ويحكم ما يريد وقد بطل
رسوله صلى الله عليه وسلم جميع ما عليه اهل الكهانة من باطلها ودعى الى توحيد ربه ونفى عنه جميع ما ينزه ويتعالى
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وسيأتي بقية الكلام على النوع في بابه ان شاء الله تعالى

قوله ولا غول هو بالفتح مصدر غاله غولا اهلكه وبالضم اسم فالغول بالضم احد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين
وهم سحرة كما تقدم قال تعالى وكذلك سحروا اعين الناس وقال في اخرى سحرة اعين الناس وقال تخيل اليه من سحرهم انها تسعى
الغيلان فاذا رأوا بالاذان اذا دعوا اسرعوا هاربين قال الله تعالى فانهم لا يقدرون له وهذا يدل على ان لم يرد صلى الله عليه وسلم بنفي ذلك عدم
بل اخبر انها لا تقدر على شيء من الاضلال والاهلاك الا باذن الله تعالى وقال الخطابي الغول التي تتراءى للسالكين في الفلوات
يتراءى لهم انها ترميهم وقد ابطل رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الغول والوجود حتى اخبر ان لا غول وليس بعارض هذا ما روي من قوله اذا تغولت
الغيلان فارفعوا اصواتكم بالاذان وكذلك حديث ابي ايوب في الغول حين اخبرها ان قوله صلى الله عليه وسلم لا غول انما ابطل به ما
كانت الجاهلية تتقوله من اخبارها وغرائبها وقال الجوهري في السعالي الجمع اغوال وغيلان وكل اغتيال للانسان
فاهلكه فهو غول والغول النكوث يقال تغولت المرأة اذا نكثت وتقال تغالته غوله اذا وقع في مهلكة والغضب غول الحلم وتقال
غال الانسان كذا اذا ناله وعاوده ادركه وبهذا لذكر قول ابن القيس بن جحر حيث يقول

ودع عنك شيء قد مضى لسبيله ... ولكن على ما غالك اليوم اقبل

وقال اهل العلم كانت العرب تزعم ان الغيلان في الفلوات وهي من جنس الجن تتراءى للناس فتضلهم عن الطريق وتهلكهم فابطل
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وبين ان الفعل للوجود هو وبهذا قال ولا غول اي لا تستطيع ان تفعل احدا وروى ابن قتيبة باسناده
عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال كانت لنا سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول فتأخذ منه فشكونا
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاذا رأيتها فقل بسم الله اجيبي رسول الله فان اخذتها فخلفت الا تعود فارسلها
وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال كذبت وهي معاودة للكذب فذكر انه تكرر ذلك منها ثلاثا حتى ذكرت له
في الثالثة انه تكرر معها ثلاثا فذهاب بدله فلا تقربه شيطان ورواه الامام احمد بنحوه فقال احدثنا سفيان عن ابن ابي ليلى عن
اخيه عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابي ايوب رضي الله عنه فذكره وقال الترمذي بعد روايته له هذا حديث حسن غريب
وروى الامام احمد وابو يعلى الموصلي عن ابي الطفيل رضي الله عنه نحوه في قصة له معجبة وجاء ايضا من حديث سمرة
ورواه الحاكم الطبراني وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو كما قال **وهذا الذي** نفاه الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما
عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث العطسة لتمام القدرة وهو امر مشهور في وجودها ثابت ولم تتصور وتأتي صورتين
وقد قال انهم سحرت الجن وقال الله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق وبمثل ذلك المتصور الغول وقد
انتدب لعبد بن زهير رضي الله عنه قصيدته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيما قال فيها ولم ينكر عليه قوله في سبيه

فما تكون على حال تدوم بها ... كما تلون في اثوابها الغول

وتزعم العرب انه اذا انفرد الانسان في الصحراء اظهرت له في خلقة انسان فلا يزال يتبعها حتى تظل الطريق فيتوه ويتحير وتمثل له في صور مختلفة
وتهلكه روعا واذا ارادت ان تضل انسانا اوقدت له نارا فضل بها قال القزويني وري الغول جماعة
من الصحابة ورويناه عن عمر الخطاب وابي ايوب الانصاري وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ورويناه عن ابن وهب وغيره
عن طريق معاوية بن صالح الاشعري والثقات من الفقهاء وذكر ابو سليمان الخطابي ذكر جماعة من السلف واهل الصلاح وغيرهم

من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر بن الخطاب حين سافر الى الشام قبل الاسلام وقد ذكر المدائني في مسند عمر
قصة لكن لم يعرض لهذه وذكر ابن ماتا بت عن جابر الجهني في الغوادر ذكر له ابياتا ثم قال والحاصل ان الله ابطل
جميع افعال الجاهلية وما هو على من الباطل من ادعاء علم الغيب واعتقاد النفع والضر من غير الله تعالى وهذا منه
كفاية **ومن ذلك الطيرة** واصلها ان بعضهم كان يزجر بالطير والوحش فما يأخذ منها ذات اليمين
يسمونه سانحا وما يأخذ ذات اليسار يسمونه بارحا وما يأتي من امامه يسمونه ناطحا ومنهم من يعكس ذلك فيجعل ما جاء من اليمين
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
ناطحا وحاجا ومن خلفهم سموعا وقعودا وفيهم ايضا من ينكر ذلك ويعتقد بطلانه تأثيرها ومنهم من يعتبر بالقاء
جمر الهدي في ذلك **البر ان العائفين وان جرت** لك الطير عنا في غد عميان
يظن ظنا صادرة بخطيئة ويخرى على بعض الذي يصفان
وقضى الله الا يعلم الغيب غيره ففي غير امر الله يجري بيان وقال الاخر
تنكرها **وليس بها اذ اشتد رحله** **يقول غدا في اليوم واق وحائم**
ولكنه يمضي على ذاك فقدرها **اذا صد عن تلك الفتاة احتمام**
يعني بالواقي الصرد وقيل طير ابرص يطير الماء اذا صاح يقول واق واق والحائم الغراب سمي بذلك لانه عند كانه
يحتم الواق كما ذكر ناذ يكه عنهم فيما تقدم واحتمام جمع حتم وهو صغير الرجل المرطير وقد شفى الرسول صلى الله عليه وسلم
امته في الطيرة حتى سئل عنها فقال اذا رأى شيئا يكرهه فلا يصدنه وقد كان الكاذب يحلف في الجاهلية
يا ايها الموضع انني **لا اتخذ الكازي والناشج**
ولا قعد اعضب قرنه **هاج له من مرتع هائج**
بنا التي يسعى وشيعه **تاح له من مره خانج**
يترك ما رنح من عيشه **يعيش فيه هم هائج**
لا يكسع الشول باغبارها **انذا لا ندري من الناتج**
فالكازي الكاهن والناشج الغراب والناتج ما يعتري الانسان من التيمن والتشاؤم وترك اليقين والعزم وترجح معيشته
اصلها والشول النوق التي جف لبانها وكسعت الناقة اذا تركت ترضع ما بقيه من اللبن وغيرها مكانها بقايا
اللبن والناتج الذي يلي الناقة حائزا جها يقول انذا لا ندري من المال له بعدك الذي ينتجه قال
العلماء وانما نهى الرسول عن الطيرة من اشفق منه وخاف واما من لم يبال به لم يضره كما اذا قال الصبر رؤيته ما يكره
به عاد رشد اليه سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقوله اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا
يذهب السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك فان الطيرة بالشر الكفر والفساد من كفر كان رفعها قائله
بها كان اسرع في السعد المخدر وفي صحيح ابن حبان عن انس رضي الله عنه رفعه لا طيرة والطيرة على من تطير
وروى عبد الرزاق عن معمر عن اسمعيل بن امية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لازمات لامتي الطيرة والظن والحسد
فاذا تطيرت فلا ترجع واذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق وهذا مرسل او معضل وله شاهد
من حديث ابي هريرة عند البيهقي في شعب بسند له مرفوعا اذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا **وقد روى عبد**
الرزاق مرفوعا متصلا رواه ابو نعيم في التوبيخ والطبراني عن عمار بن ياسر والنعمان بن قوقل وابن زيد بن ثابت
من حديث الانصاري الصحابي رضي الله عنه كان ممن شهد بدرا ولفظه ثلاث لازمات لامتي سوء الظن والحسد والطيرة
فاذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فاستغفر الله واذا تطيرت فامض **ورواه** بنحوه ايضا الحافظ
عبد الرحمن بن عمر الاصفهاني الملقب بسنة بضم اوله وسكون ثانيه المهملة في كتاب له سماه
كتاب البصر بمرسلا والذي قبله فيه اسمعيل بن قيس الانصاري ضعيف قاله الهيثمي **وعند الطبراني** عن
ابي كبشة مرفوعا ثلاث من النجاة العدل في القسم والقصد في الغنى والفقر ورجل ذكر الله في نفسه فذكر الله ان الحافظ
بن حجر قال الظن الذي فيه الاثم ما قارنه التكلم به او العمل به كما مر قال الطيبي قبل لا يخلو امر التوكل الا ان يخالطه خوف من شيء المهم

كسع الضاد والعدو والعدوى والاسباب في طلب رزق والدواء والمرض ان الله ورسوله والقول بالعدوى
على ما يقدح في توكله فاما طيره الاسباء التي كانت قد ظهر في العرب بدرجين وليس على
راسه الجعفر واقعد الرجاء على قدم السعد وخذ الحزم واذبذ الجهد الى الكعبة والمدينة وها حرهم
وبقاياها الاكل كسب وادخر لاهله قوتهم فلم يزل ان ينزل عليهم من السماء وهو كان احق لكل ان كفاه ذلك وقال
للذي سئل اعقل ناقتي واتوكل او اعقلها وتوكل فاشار الى ان الحزم لا يدفع التوكل وقد امرنا ان نقول في كل ركعة
من الصلاة اياك نعبد واياك نستعين وقال فاعبده وتوكل عليه واما التطير فلم يذكره سبحانه الا في معرض ذم
حيث قالوا لرسلهم انا تطيرنا بكم وقالوا اطيرنا بموسى ومن معه وقال عن قوم صالح عليه السلام قالوا اطيرنا
بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وغير ذلك من الايات وقد صرح الكلام على ذلك وقد ذكرنا ما في
عبد ان الطيرة هو الذي يثبطه عن المضي لحاجته ويصده عن بلوغ بغيته العاجلة ان يمكن حظنا من سماعه
رسوله فهو صلى الله عليه وسلم انما كره لهم ما كانوا يفعلونه لها ايا يمنعهم عن امضاء عزائمهم فقد صح عن انس عن سعد ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال رجل
الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ونكر ذلك وبقي في الفال قيل له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله وما الفال قال
الكلمة يعني يسمعها الرجل فتعجبه فاذا بها فعند ذلك يرد بسند صحيح ولكم عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعجبه اذا خرج لحاجة ان يسمع يا راشد يا نجيح وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عبيد الله
عن عبد الله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وخيرها الفال قالوا وما الفال يا رسول الله قال الكلمة
الصالحة يسمعها احدكم فاسند صلى الله عليه وسلم ما زال الشبهة واطل الطيرة ليتوكل عليه في امضاء به بالفال الصالح
وليس في الامضاء بالفال وجبته شيء من ذكرنا بل زجر عنها بانها من مقتضى الطبيعة ومن جنس الفطرة الانسانية التي جبل
الى ما توافقها منها وتنفر مما اخبر انه حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وفي بعض الاثار وكان مما يلفت به
الصحة اذا كان يحب الفاغية وهي نور اكمأ وكان يحب الحلوى والعسل ويحب الشراب البارد اكلو ويحب الحلو
الصوت بالقرآن ويستمع اليه صلى الله عليه وسلم ويحب معالي الاخلاق ومكارم الشيم وبالجملة يحب كل كمال وخير
وما يفضي اليها والله سبحانه جعل في غرائز الكمال الادمي تسمع الاشم الحسن وتحبه وجعل نفوسهم اليه فجعل
فيها الارتياح والاستبشار والسرور بسماع الكلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم
والربح والطيب ونيل الكفاية والفرج والعز والغنى وانما ذكر فاذا قرعت هذه الاسماء الاسماع استبشرت
بها النفس وارتاحت وانشرح لها الصدر وقوي لها القلب واذا سمعت اضدادها اوجب لها ضد هذه الاحوال وانار
لها فرحا وطربا وانقباضا عما ضده له وحزنت على فوت ذلك لها ضرائح الدنيا ونقصان الايمان ومفارقة
الذكر كما ذكر عبد الله في صحيح مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
ارجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك قالوا فما كفارة ذلك يا رسول الله قال ان يقول احدهم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك
ولا اله غيرك وفي ابي داود وسليمان بن احمد بسند صحيح عن عقبة رضي الله عنه مرفوعا من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك
اخرة مصححه ثلاثة وقد ذكر في حديث عقبة مرفوعا اكذب الى ان صلى الله عليه وسلم قال في عقبة ذكر الطيرة
بكسر الطاء والمثناة التحتية وقد تكسر وتقلب ياء عند رد سلم عليه وقال فلا يرد الطيرة
على المسلم لما ثبت عن الله تعالى وتيقنه ان القضاء لا بد وقوعه لا يمنعه شيء فيبغي للانسان ان لا يتقي به ولا يتطير
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له شيء من ذلك الى ما يرجع عنه اليوم به فقال فاذا رأى احدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي
بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا انه اذا رأى احدهم ما يكره
الى اليقين فالايمان بالتوحيد نافية حركة ولا قابضة سكونا في خير ولا شر الا بارادة الله تابع لمشيته ومن كمال
النبي ربما دفعه ليبصر للاستشهاد في بعض الاحوال عن ابن مسعود رضي الله عنه قال جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الحول ولا قوة الا بالله
فقال الا اخبرك بتفسيرها الاحوال عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله هكذا اخبرني جبريل
بل يلهم عبده عند الحاجة وسياتي لهذا مزيد في باب التوكل ان شاء الله تعالى واكمل كما يأتي في كلام ابن القيم
مضى الكلام على اول هذا الحديث وسياتي لهذا مزيد في باب التوكل ان شاء الله تعالى واكمل كما يأتي في كلام ابن القيم
عند الكعب الحيلة الا لحيلة في دفع سوء ولا قوة في درك خير الا بالله عز وجل قال عبيد الراعي النميري
من نعمة الزمن الا من حيلتي ... اني اعد له على فضولا ووجه آخر
بمعناه المنع والدفع ما قولك حاربه اكتسبني اذا منع احدهما الآخر يقول الا منه ولا ادفع كابكد قال في الفروع
وكان غير واحد منهم شيخنا يقول هذا عند قصد مجلس العلم وقوله صلى الله عليه وسلم اخبرني الفال في لفظ آخر

هذا الحديث في مسند عن عائشة رضي الله عنها قالت وكانت عائشة تنهى الطيرة حتى قالت لنسوة كن يكرهن العناد
بل زاد جهنم سوء حاتم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنسوا الحي بني عذرة قال وقولها في الهرة كذبت تعني غلط
قال العرب تقول كذبت لمعنى غلطت فيما قلت وهم فيما قالت وغير هذا وهذا معروف في كلامهم وجوز في استشهاد
قال أبو طالب كذبتم وبيت الله نبزى محمد ولما نطاعن دونه ونناضل وقال يعلى بن عمران
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة حتى تطعن حول قليب بعامر ثم قال الأثر بهذا
ليس فيه باب الكذب الذي هو ضد الصدق وإنما هو من باب الغلط وظن ما ليس بصحيح وذكر الأثر بشارة أبو الأسود
بني هاشم من حلفة ان لم يزوجوا أحد رجلا من عامر ونفر ثم قال أبو طالب كذبتم أي غلطتم وظننتم غير ما هو كائن
قلت وهذا مشهور من كلامهم ومنه قول سعيد بن جبير لكذب ابن الزبير في قوله الطلاق بعد
العدة أي أخطأ إنما الطلاق لمن أخذ بالساق وقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه كذب أبو محمد لما قال الوتر
واجب أي أخطأ إذ هو له صحيح انصاري من بني النجار اسمه مسعود بن زيد بن سبع على الصحيح وقيل اسمه أحمد مشهور
رضي الله عنه عند العلماء وقد نزه الله سبحانه الصحابة عن الكذب وشهد لهم في محكم كتابه بالصدق والعدالة فقال
والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم وإنما أراد أنه زل في الرأي وأخطأ في الفتوى
وذكر ابن حبيب حقيقة الكذب إنما يقع في الأخبار عن الغير ولم يكن أبو محمد مخبرا عن غيره إنما كان مفتيا عن
نفسه ومن ذكر قول عروة من الزبير لما سأل عمرو بن دينار كم لبثت المرأة عند أبيها فقال عشرا
قال فقلت لابن عباس كان يقول لبثت بضع عشرة فقال كذب هو أعلم بالشعر مني وما سمعت حينئذ يقول
نوى قرن بضع عشرة حجة يذكرنا ليلى فخيلا مواتيا يريد خطأ ومنه
قول عمران بن حصين رضي الله عنه لسمرة بن جندب قال في المغني على يصلي في كل صلاة صلاة حتى يقضي كذبت
ولكن يصلي معاد يريد أخطأت سنة في الفتوى وزللت في الرأي ومن هذا قول علي إن ذا لهو الكرمة
وقد وجس كراهة قد نبذ لبناة الصهباء في سمعه كذب وفي
الصحيح أن صلى الله عليه وسلم قال كذب أبو السنابل إنما أفتى أن الحامل المتوفى عنها زوجها إلا خرجت من عدة الوفاة بالوضع
وهذا وجه كذب وأما قول عائشة رضي الله عنها بئس ما قلت هذا الحديث وخطأت قائله وبكرت قولها
هذا هو هو ولها رضي الله عنها ترجيح الحديث الصحيح خالفها فيه غيرها من الصحابة رضي الله عنهم
ولما ظنت أن هذا الحديث يقتضي إسقاط الطهر الذي هو أكثر ما يسع غير تكذيبه وردته على الإمكان
رد والله أعلم ولم ينفرد بهذا أبو هريرة ومن ولو انفرد به وهو حافظ الأمة على الإطلاق وكل ما رواه عن النبي صلى
الله عليه وسلم فهو صحيح بل قد رواه ابن عمر وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد وابن عمر والحارث في الصحيح
قالوا فالواجب بيانا معنى الحديث وبيانه للطهر الذكية وقد روى هذا الحديث
على وجهين أحدهما بالجزم والثاني بالشرط فالأول رواه مالك عن نافع عن سالم وحمزة ابني
عبد الله بن عمر عن أبيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السوم في الدار والمرأة والفرس يتقى عليه والذي يتقى
ما ورد في الصحيح عن عمر رضي الله عنه في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في ثلاثة في الفرس
والمرأة والمسكن وفي الصحيح عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الشؤم في المرأة
والفرس والمسكن وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما إنما يكون الشؤم في ثلاثة في الفرس والمسكن والمرأة
وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال لا طيرة والطيرة على من تطير وإنما يكون الشؤم في المرأة والدار والفرس ذكره
عبد الله فقالت طائفة من أهل العلم يجوز أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الشؤم في هذه الثلاثة
بل علقه على شرط فقال إنما يكون الشؤم في شيء ففي رواية الشؤم فإنما يكون في ثلاث فكذب ولا يلزم من صدق

الشرطية صدق كل واحد من طرفيها فقد يصدق التلازم بين المستحيلين قالوا ولعل الوهم وقع من تلك هو
ان الراوي غلط في قوله ان السوم في ثلاثة وانما الحديث ان كان السوم في شيء ففي ثلاثة **وقد اختلف** على بن عمر
والرواية صحيحة عنه وهذا زول الاشكال وبين وجه الصواب **وقالت الطائفة**
الاولى اضافة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوم الى هذه الثلاثة لجواز اتساع الناس وقد يحصل السوم مقارنا لها او
عندها لا في نفسها فوجب السوم وقد تكون الدار قد قضى الله تعالى ان يموت فيها خلق من عباده كما قدر ذلك في البلد
الذي يغلب الطاعون به والمكان الذي يكثر الوباء به فضاف ذلك الى المكان مجازا كما يقال المكان الفلاني وبي وباء شديد
خلق عندي وقدر فيه كما خلق الموت عند قتل القاتل والسبع والحريق عند الاكل والشرب فالدار التي يعلم انها
ساكنها توصف بالسوم بهذا الاعتبار لان اجله حضر وكثرت من قبض فيها فرجب الله عليه الموت في تلك الدار حتى
الم سكناها وحرم لها سبق الحكم ببلد البلد للاثر والبقعة التي قضى ان يدفن فيها ولهذا عند البخاري في
تاريخه والطبراني في الكبير وبن لنس وابي نعيم في الطب عن رباح بن الربيع اذ حفظ الكتاب الاسدي التميمي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان مصر استفتح عليكم فان تجعلوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها اقل الناس اعمارا
قالوا وقد ذكر لها وصف من طول اعمار اهل البلد ليس من اجل الصحة في الهواء والطيب ترسبه والطبع يزداد
به الاجل وينقص لغواية ولكن الله سبحانه خلق ذلك المكان وقضى ان يسكنه اطول خلقه اعمارا فيسوقهم اليه ويجيبه اليهم
قالوا واذا كان ذلك ظهر في الدور والبقاع جاز مثله في الخيل والنساء فتكون المرأة قد قدر الله ان تتزوج عددا
من الرجال ويموتون عنها فلا يرد من انفاذ قضائه وقدره حتى ان الرجل ليقوم على بعد علم بكثرة من ماتوا عنها لوجه من طمع الذي
يقوده اليها او رغبة فيها حتى يتم قضاء الله وقدره النافذ فيوصف حينئذ المرأة بالشوم لذلك وكذلك الفرس ولو
لم يكن الشؤم في ذلك فعلا ولا اثرا قالوا **وقد سئل** القاسم بن سلام عن معنى قول الله تعالى عن السوم في الفرس والدار
فقال ان ذلك كذب فيما زعم اهل هذا الدار يسكنها ناس فيهلكون **ومن هذه القصة** عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
اخت سعيد بن زيد رضي الله عنهما جميعا وعمر عاتكة في نفيل وكانت تحت عبد الله بن ابي بكر الصديق فلما حرجت
المدينة وكانت حسنا جميلة خطبها بعد ابي بكر فقالت والله لا يتزوجني احد بعدك فانك قتلتني سهيد اليمامة فزينه بابيات
فرمي بسهم فاتنن بالمدينة فمات فزينه بابيات فتزوجها زيد الخطاب فقتل عنها سهيد اليمامة فزينه بابيات الى
فتزوجها عمر بن الخطاب فقتل عنها فزينه بابيات فتزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها فزينه ثم خطبها علي بن ابي
طالب فقالت يا امير المؤمنين انت بقية الناس وسيد المسلمين وانا نفس بك على الموت فلم يتزوجها اخرج ذلك بن سعيد
البرذعي قصة طويلة اختصرناها خشية الاطالة واوردها ابن الاثير في اسد الغابة في اسماء الصحابة رضي الله عنهم
وقالت طائفة ثالثة شوم الدار مجاورة جار السوء وشوم الفرس ان لا يغزى عليها في سبيل الله
ونسوم المرأة ان لا تلد او تكون بكيئة **واختلف قائلو** هذا القول وقد يشهد لهذا القول ما رواه ابن مردويه الحافظ وابو سعيد
الله الحاكم في مستدركه من طريق معاذ بن معاذ العنبري عن فراس عن الشعبي عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لرجل امرأة سيئة الخلق لم يطلقها ورجل دفع ماله سفيها قبل
ان يبلغ ورجل اعطى صدقته ماله فليشهد عليها قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه لتوقف بعض
شيوخ هذا الحديث على ابي موسى وانما اجمعوا على اسناد حديث شعبة بهذا الاسناد ثلاثة يوبون اجرهم مرتين فرفوع
كلهم **وقالت طائفة** رابعة منهم لحظ هذا المستثنى من الطيرة اي الطيرة منهي عنها الا ان يكون له
دار يكره سكناها او امرأة يكره صحبتها او فرس او خادم فليفارق الجميع بالبيع والطلاق ونحوه ولا يقيم على امر يكرهه
والذي فانه شوم وقد يسلك هذا المسلك محمد بن قتيبة في مشكل الحديث لما ذكر ان بعض الحالات اعترض
بحديث هذه الثلاثة **وقالت طائفة** خامسة الشوم بهذه الثلاثة انما يلحق من تشاءم بها
وتطير فيكون شومها عليه ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن شومة عليه قالوا ويدل على هذا حديث
النسر الطيرة على من تطير وقد يجعل الله تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل التفويض والتوكل عليه
وافراده بالخوف والرجاء اعظم الاسباب التي يدفع بها الشر المتطير منه **وسر هذا** ان الطيرة انما تضر الشر بها ويخاف
من غيره وعدم التوكل عليه خلو القلب من التوحيد والتوكل عليه بدرع حصينة وكل من خاف شيئا غير الله سلط الله عليه كما ان من اصبح الله غرة

لكثرة من قصدوا فيه لغير منفعة ولا طاعة سيما وصل قلوبهم فقد يبعثهم ويقودهم الى التشاؤم والتطير
فيوقعهم في امر عظيم بمقارنة الكفر وحلول مكروه احرز نهم بسبب التطير بالتي هي اثم لذلك المتطير فاعلم
صلى الله عليك ان الكمال ترفع وترجع سلامة من المكروه وهي مفارقة تلك الدار والاستعداد لها من غير ركون لحظ دنيا
ولا تقصير في دين وقد تقدم حديث رباح الذي خرجه له الكاتب قريبا وهو مما يدل على ذلك وهو صلى الله عليه وسلم حين
فهم عنهم ما تسوء الهوى اراد ومن التعرف عن حال رحلتهم هل ذلك لهم ضار ويؤدي الى الطيرة فلا دعوها ذميمة
وهذا بمنزلة اخبارهم عن ارض بها طاعون او غير فارغ ولو سمع الناس بالرحلة عن الدار التي سوء الا علم فيها الما
يب وتعذر الرفاق بسلامة التوجيه في الرحلة لزم كل صاحب علم ان يرفق في بلد الا ينتقل منه الى بلد آخر
وما قلت فائدة صحابة عند في بلد لا ينتقل منه الى غيرها وهذا ما عرض له صلى الله عليه وسلم في امر المرور بما بين مسجد
ومخزن بعد ما سئل عن ما قاض بهما ترك المرور بينهما وعدد الاثم في ذلك في طريقه من الصحراء ابو
بدر كتب بينهما فيما نقل الحافظ ابو بكر عن الواقدي ان عبد بني غفار كان رعى بها غنما لسيده فرجع ذات
يوم من المرعى فقال له سيده ارجعت فقال لا ان هذا الجبل يمنع الغنم وان هذا الحزن يمنع فسماه بذلك
النزاع بريده مرفوعا ان صلى الله عليه وسلم كان يكنى الحزن اذا اريد الى بريدا وحزن وحزن الامر حزنه الوجه و
هذا كله فالطيرة والمأثور عن اهل الوبر ان النفوس وتنفر القلوب الى الفلوة خلاف كما لعدوا عن الاسم القبيح و
تغييره باحسن منه كما مر فان الاماكن فيها المبارك وضدها المشؤم المذموم كما قال تعالى في الذي اسري بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وقال لموسى عليه السلام انك بالواد المقدس طوى وقال تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم في حال مسجد الضرار لا تقم فيه ابدا وامر صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يستقوا من بارها ولا يعجنوا الا بئر ثمود وقال
لا تدخلوا ديار المعذبين الا ان تكونوا باكين فهذا في المكان وقال في الزمان في ليلة مباركة وكما امر بالاسراع
واسرع بالخروج من وادي محسر وكما ارتحل عن المكان الذي اخذ هم فيه النوم عن صلاة الفجر وقال هذا مكان حضرنا
فيه الشيطان فلما جاوزه اناخ وصلى وقد يكون اطلع الله رسوله على شؤم ذلك المكان وانه كما سوغ مجاوزته الى غيره
وقد نص العلماء رضي الله عنهم انه يباح الاسماء وسميها ارتباطا قدره العزيز العليم والله يفعل العباد و
جعله في قلوبهم بحيث لا ينصرف عنها وليس هو ارتباط العلة بمعلولها بل ارتباط تناسب وتشاكل اقتضته حكمة
الحكيم العليم فقلما ترى اسما قبيحا الا تجده وبين مسماه ارتباط التقبيح ولذلك اذا تأملت ما ذكر من القبيل الذي
تنفر عنه الاسماع وتشمئز عنه الطباع فانك تجد مسماه يقارب له اويلائمه او يطابقه ومن المشهور على السنة الخلق
ان الالقاب تنزل من السماء فلا تكاد تجد لقبا قبيحا الا وهو على مسماه بنسبة كما قيل في ذلك

وقل ان ابصرت عيناك ذا لقب ... الا ومعناه ان فكرت في لقبه

والمقصود ان هذا المنهي عنه فر صلى الله عليه وسلم في طباع الانسان وغرزه من النفرة من اسم القبيح المكروه وكراهة وتطير
اكرههم به وذكر يوجب عدم ملابسته ومجاوزته الى غيره ومن هذا الباب ما رواه الامام مالك وغيره من حفاظ الاسلام
عن عمر رضي الله عنه قال مالك عن محمد بن عبد الله بن عمر انه قال لرجل ما اسمك فقال جمرة فقال ابن من قال ابن شهاب
قال ممن قال من الحرقة قال اين مسكنك قال بحرة النار قال بأيتها قال بذات لظى قال ادرك اهلك فقد احترقوا
قال فكان كما قال عمر رضي الله عنه ورواه ابو القاسم بن بشران في فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن
ابن عمر قال قال عمر رضي الله عنه فذكره بنحوه ورواه ايضا من هذا الوجه ابو بكر بن ابي الدنيا في المنثور ومن الكلي
وغيرهم وليس في هذا شيء من التطير وكيف يتطير رضي الله عنه وهو القائل في حديث اللقحة ما تقدم ولكن المعنى
والله اعلم ان هذا القول كان منه مبالغة في الانكار عليه لاجتماع اسماء النار وذكر بقرة في اسمه واسم ابيه وصدر وقبيلة
ومسكنه فوافق قوله ادركوا اهلك فقد احترقوا قدر الله ان قوله كان السبب فيه وكم قد يجري مثل هذا
لليهود وفي الحديث بكثرة وكيف بالفاروق المحدث الملهم الذي قال شيء اظنه كذا الا كان كما قال ويقول شيء
ما فيئي القرآن بموافقته فكذلك وقوع الامر الكوني القدري يوافق قوله رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما
عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا انه كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فعمر بن الخطاب قال ابن وهب

وذكر ابن سعد ان عمر بن الخطاب كان يقال له الفاروق لانه فرق بين الحق والباطل فكان كذلك
فكان من اسمائه واسماء ابيه وقبيلته ما يناسب ذلك
اهلها فانه كما مر صلى الله عليه وسلم

امير المؤمنين في الحديث كان سليمان يضرب بيده هذا ويقول هذا الحرف يعني وما منا الى آخره ليس قول
النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه قول ابن مسعود قال الخطابي قوله وما منا معناه الاس قد تعتريه الظنة
وتسبق الى قلبه الكراهة فيه فحذف واختصر الكلام واعتمادا على فهم السامع ولد الامام احمد في مسنده
من حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنهما مرفوعا ثلاث لازمات امتي او قال في امتي الطيرة والحسد
والظن قال رجل فما يذهبهن يا رسول الله قال اذا حسدت فاستغفر الله واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض وروى ابو داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا الطيرة شرك وما منا ولكن الله يذهبه
بالتوكل قال الخطابي معناه ان الطيرة تقع في قلب كل احد منا فمن توكل على الله في دفعها لم يضره
اعتقاده اذا لم يمض لها عمله وقال غيره معناه ان الطيرة لا تخلو من وقوع الانسان في الاثم اما بعمل
او باعتقاد او بنطق فمن لم يعمل ولم يعتقد ولم يتكلم فقد ذهب عنه الاثم وقال ابن قتيبة معناه
ان الطيرة لا تكاد تسلم منها نفس فمن لم يعمل بها ولم يعتقدها ولم يتكلم بها فقد ذهب عنه الاثم
وقال الخطابي قوله وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل يريد ان الطيرة لا بد ان تقع في القلب ولكن
الله يذهبها عن المتوكل عليه وقال غيره معناه ان الله يذهب الطيرة بالتوكل عليه وقال ابن الاثير
عرضه ذكر الطيرة لاخبره انه لا خير فيها وانها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا فقال اللهم لا يأتي بالحسنات
الا انت ولا يذهب السيئات الا انت فاصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت فانت الجالب له والموجد
والاطير كطيرك فالخير والطير عندك ومنك ولا اله لنا غيرك وقوله ان الله يذهبه بالتوكل يريد ان الله يذهب الطيرة عن قلب المتوكل عليه
القرشي الهاشمي بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اكبر اخوته وبه كان يكنى ابو طالب واسمه عبد مناف ورسول الله صلى الله عليه وسلم
حملته وحضنا وتربت معه يوم ولد وشهد معه حجة الوداع وارد فه صلى الله عليه وسلم خلفه وله في ذلك قصة في
النظر الى المرأة حين ضرب الفضل صلى الله عليه وسلم وجهه عمدا لذلك وكان يكنى ابا العباء لعباءة وبقال اكنيه ابو احمد
وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم ولد له عنه وكان وضاء وسيما جسيما فعنه فرفوعا الطيرة شرك ابن
لولاه ما مضت او ذكر عما كنت فيه ماضيا لولاه مضت وفي اسناد هذا الحديث كما ذكره شيخ شيوخنا
مسانحنا ابو الحسن السندي ثم المدني علانة بضم العين صدوق يخطئ وسلم بن كيسان الضبي الكوفي ضعيف
ذكره في شرحه لمسند الامام احمد رضي الله عنه وذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الاحاديث في اخر الطيرة بيانا لما هو المذموم وما يترفع به والله الموفق

الباب الثامن والعشرون

باب ما جاء في حكم التنجيم

وعرفه بن ساعد الانصاري في ارشاده القاصد بانه علم يستدل بالكلمات الفلكية على الحوادث السفلية لكن الظاهر ان المراد هنا اعم من هذا كما يأتي وانه
قسمان حسابي وقد نطق القرآن بالحسبين الشمس والقمر بحسبان معلوم بحساب حث تعالى على السير والقمر بحسبان قال
المفسرون بحر بالحساب معلوم مقدر في دورهما وسائرهما وبمختلف الفصول والاوقات والليل والنهار وبطلوع الكواكب
والسنين والاوقات الخ والصوم والصلاة وغير ذلك من امور العبوج والتكليف وجميع المعاملات المفروضات والمسنونات
والمستحبات وقد ذكر معرفة القبلة فلا يوقف على معرفة اوقاتها وجهاتها الا بحسبها وقد قال تعالى وآياته لهم الليل نسلخ منه
النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا
الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب والثاني
الذي عرفه بن ساعد بما مر وهو المراد عند الاطلاق وعلم حرام وقد يكون كفرا اذا اعتقد صلاحية ذاتية النجوم بذلك
قال بن الجوزي اعلم ان علم النجوم على ضربين احدهما مباح وتعلمه فضيلة وهو العلم بسير الكواكب ومطالعها
ومسايرها وسير هذا في سمائها وارتفاعها الى القبلة وغيرها من الطرق والثاني محظور وهو ما يدعيه المنجمون
من الاحكام قال وقد صار اهل زماننا لا يسافرون ولا يلبسون ثوبا ولا يعملون عملا الا بعد النجم ولهذا قال
شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه التنجيم كالاستدلال بالاحوال الفلكية على الاحوال الارضية من السحر قال وتحرم اجماعا قال ابو المعالي واخبر ان الله يدفع عن اهل العبادة والدعاء بركة ذلك مما يزعمون
ان الافلاك توجبه وانا لهم من ثواب كل دينار ما لا تقوى الافلاك ان تخلبه وقد قسم ثابت بن قرة الحراني
ابو يعلى احمد بن علي بن المثنى التميمي الحافظ الثقة في مسنده وعن عدي الكافر عبد الله بن عدي الجرجاني والخطيب
البغدادي علي بن ثابت الفقيه في كتاب النجوم له بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا اخاف على امتي خصلتين
تكذيبا بالقدر وتصديقا بالنجوم وروى ابن عساكر عن ابي الجهم عن رجل من ثقيف مرفوعا ولفظ اخاف على امتي من بعدي
ثلاثا حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر فقوله ايمانا بالنجوم ان تصديقا باعتقاد ان لها تاثيرا والمراد احد
قسمي علم النجوم وهو علم التاثير لا التسيير كما مر بدلالة القرآن قال ذو النون المصري رأيت في بعض كتب الحكمة
يذكر انه وجد مكتوبا انا الله لا اله الا انا خلقت الخلق فمن صدق بانه يضر او ينفع غيري او يرد قضائي او يقطع
تدبيري فليتخذ الها غيري وليست تدبر الامور الا بي وانا الله لا اله الا انا اقول للشيء كن فيكون فمن صدق
بتاثير النجوم مع قصور نظره عن الاسباب هلك بلا ارتياب وقد قال بعضهم لطالما بهدلني ذلك
طلعات النجوم احلتمونا ... على خبر ارق من الهباء
كنوز الارض ابعد ان تنالوا ... فكيف وصلتم علم السماء

والما اراد علي رضي الله عنه قتال الخوارج يوم النهروان فيما قال المبرد وغيره قال له المنجم انك لم تظفر والقمر في العقرب فقال له علي رضي الله عنه وقال ايضا المنجم يوما لا تسر في هذه الساعة فقال له علي رضي الله عنه انا لا نعرف السعد والنحس بالنجوم ولا نعلم من علم الغيب الا ما علمنا ربنا فمن صدق قولك لم يأمن ان يكون ممن اخذته الصواعق دون الله تعالى الله عن الاطير والاطير والاحوف والاحوس وضرب امثلة وذكر يوما مشهورا ثم اقبل على المنجم فقال والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم او تعمل فيها لاخلدنك في اضيق حبس بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما دام لي سلطان وهذه قضية اشهر من ان اذكركم وقد ذكرناها قبل واما المنجم ما فيها من خوف وما احسن قول ابي اسحق كشاجم رحمه الله تعالى

لا يقدر الناس بالاجتهاد ... الا على ما قد جرى به القدر

وفي الحديث المرفوع

وهو الموقوف ايضا ما لقدر يذهب الهم والحزن رواه ابو نعيم في تاريخه والقضاعي عن ابي هريرة والديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر رفعه الايمان بالقدر نظام التوحيد وقد صح عند الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله وكذا عند عبد الله بن الامام في كتاب القدر له بلفظ هذا النوع وللترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره واصل ذلك في الصحيح وفي الحديث المرفوع اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود ونوبان رضي الله عنهما وروى ابو نعيم عن عمر رضي الله عنه نحوه وسنده حسن قال النووي في فتاويه معناه فامسكوا عن الخوض في علم النجوم والعمل به والتصديق لقائل به وقد احسن الخليل بن احمد حيث قال

خبر اعني المنجم اني ... كافر بالذي قضته الكواكب

علم اما هو كائن ... ام سيأتي فالكل عندي واجب

وقال البخاري في صحيحه تعليقا قال قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ابو الخطاب البصري الثقة التابعي المشهور بالعلم والتفسير خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تكلف فيها بغير هذا اخطأ وضل نصيبه وتكلف ما لا علم له به وقد قفى النبي صلى الله عليه وسلم التكلف عن نفسه في قوله تعالى وما انا من المتكلفين فالتكلف مذموم قولا وفعلا حتى كره الصحابة ذلك من القسم حتى قال ابو عبد القاسم بن سلام حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن قال خطب عمر فقرأ على المنبر وفاكهة وابا فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف يا عمر وقال سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت قال كنا عند عمر بن الخطاب وفي حجره صبي اربع رقاع فقرأ وفاكهة وابا فقال هذه الفاكهة فما الاب ثم قال ان هذا لهو التكلف فما عليك الا تدري ما هو وصح في هذا عن ابي بكر كما قدمناه عنه ضرب وهذا يبين ان التكلف هو تتبع ما لا منفعة فيه اذ هو محمول انما اراد استكشاف علم كيفية الاب والا فكونه نبتا من الارض ظاهر

لا يحل

لا يحصله سوى ما فضلا عنهما لقوله تعالى في ذلك فانتفاعهما حاصل وعناية الله فالاعتبار وطلب العلم على ذلك حاصل من دون معرفة كيفية الاكتساب فلم يبق الا التكلف بتتبع حال من انتفع به وقد قال ابو تمام حبيب بن اوس الطائي في فتح عمورية فيما يناسب هذا المقام من عادة التنجيم

ابن الرواة امر ابن النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها وما كذبوا
تخصاروا حادثا ملفقة ... ليست بجمع اذا عدت ولا جمع
عجائبا زعموا الايام مخلفة ... عنها في صفر اصفارا ورجب
وخوفوا الناس من دهمائه مظلمة ... اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
فصيروا الابرج العليا مرتبة ... ملكا مناقلها او غير منقلب
يقضون بالامر عنها وهي غافلة ... ما دارج فيهما منها وفي قطب
لو بينت قط امر قبل موقعه ... لم يغفل الحازمان الرأي والحسب

وقد كره قتادة في دعامة المذكور تعلم سائر النجوم التي في السماء والغرض منها لخافة التشاغل على متعلمها وان تعدى ما رخص فيه ولم يرخص سفين بن عيينة فيه ايضا في هذا العلم وفي هذا البيان والمعنى انه لم يرخص في تعلمها لخافة ذلك الذي ذكرناه وسد الذريعة حتى التوهم الداخل على متعلمها ذكره الكرماني صاحب الاعلام انتهى

عن ما في مسائله ورخص في تعلم ما له الثمانية والعشرين التي في المنازل في سيره من المغرب الى الشرق الامام المجمل والحبر الفضل الذي اجمعت الامة على علمه وامامته واتفقت على زهده وورعه وديانته ابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني من شيبان بن ذهل الاكبر لا شيبان بن ثعلبة الاصغر يلتقي نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد قال الربيع بن سليمان قال لنا الشافعي رضي الله عنه احمد بن حنبل امام في ثمان خصال امام في الحديث امام في الفقه امام في اللغة امام في القرآن امام في الفقر امام في الزهد امام في الورع امام في السنة ولما قدم مصر من العراق قال اخلفت بالعراق احدا اورع من احمد بن حنبل وقال ابو عبد الله القاسم بن سلام احمد بن حنبل امامنا الى ان مات ذكره وقال ابو بكر الاثرم كنا عند ابي عبد الله واتاه رجل فقال له الرجل من قال يلفظ المسئلة فقلت له ليس في شرق ولا غرب مثله قال فقلت احمد بن حنبل فقال ابو عبد الله صدق ليس في شرق ولا غرب مثله ما رأيت رجلا اعلم بالكتاب وعن اسحق بن راهويه انه قال احمد بن حنبل حجة بين الله وبين عباده في ارضه وعن ابي زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي قال ما رأيت عينا بمثل احمد بن حنبل في العلم والزهد والفقه والمعرفة وكل خير ما رأت عيناي بمثله وعن ابي داود صاحب السنن قال رأيت ستين شيخا من مشايخ العلم في ما رأيت مثل احمد بن حنبل لم يكن يخوض فيما يخوض فيه الناس فاذا ذكر العلم تكلم وعن علي بن المديني انه قال ان الله سبحانه وتعالى اعز هذا الدين بابي بكر الصديق يوم الردة وباحمد بن حنبل يوم المحنة وعن عبد الوهاب الوراق انه قال ما قال لكم صاحبكم شيئا علمناه ولا جهلناه فردوه الى عالمه ردوه الى احمد بن حنبل وعن اسحق بن راهويه انه قال سمعت يحيى بن آدم يقول احمد بن حنبل امامنا وعن احمد بن المبارك قال سمعت يحيى الذهلي يقول سمعت يحيى بن آدم يقول احمد بن حنبل امامنا بيني وبين الله تعالى وعن احمد بن علي الابار قال سمعت سفيان بن وكيع يقول وذكر احمد بن حنبل محنة من عاش بعدنا احمد فهو في سعة وعن ابي بكر بن حماد الرازي انه قال سمعت عمرو بن محمد الناقد يقول اذا وافقني احمد بن حنبل على حديث فكأنما ابقى لي مائتي الف وعن المروذي قال حضرت ابا نور وابا خيثمة وسئل عن مسئلة فقال قال احمد بن حنبل كذا وكذا وعن العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول اراد المأمون ان يمتحن احمد بن حنبل والله ما كان مثله وهكذا قال زهير بن حرب نحو وعن زهير هو ابن النيسابوري قال صليت مع بشر بن الحارث فجعلت ارفع في الصلاة فلما سلم الامام قال يا اسحق العجمي منكر ومن صاحبك ابي عبد الله احمد بن حنبل رفع يديه في الصلاة احد هو غيره عن زهير عن ابي خيثمة انه كان يأمرنا بارسال اليدين في الصلاة قال فرجعت الى احمد فقلت يا ابا عبد الله ابو نصر يقول وذكرت له ما رد علي فقال ابو عبد الله سبعة عشر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعوا قراءة قال ليحذر الذين يخالفون عن امره الآية ثم قال ارفع زين الصلاة قال فرجعت الى بشر فاخبرته فقال ما سألنا ابا عبد الله عن هذا علم بنى مسرتين يردها

وعند شيخ الاسلام الانصاري ومن ناصر وبن الجوزي عن ابي عمر بن اسحق الكرخي قال سمعت بشر بن الحارث
يقول سمعت المعافى بن عمران يقول سئل سفيان الثوري عن القوة فقال القوة العقل والحياء
وراسها الحفاظ وزينتها الحلم والادب وشرفها العلم والورع وحليتها المحافظة على الصلاة وبر الوالدين
وصلة الارحام وبذل المعروف وحفظ الجار وترك الكبر ولزوم الجماعة والوقار وغض الطرف
عن المحارم ولين الكلام وبذل السلام وبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن امره ونهيه وصدق
الحديث واجتناب الخلف والايمان واظهار المودة واطلاق الوجه والكرم الجليس والانصات للحديث وكتمان
السر وستر العيوب واداء الامانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد والصمت في المجالس غير عي
وتواضع
من غير حاجة واجلال الكبير والرفق بالصغير والرأفة والرحمة للمسلمين والصبر عند البلاء والشكر عند
الرخاء وكمال القوة الخشية لله تعالى فحسبي للمتقي ان تكون فيه هذه الخصال فاذا كانت كذلك في بشر
فكذلك اذا كانت بحضرتي لانه قد جمع هذه الخصال كلها وقد قال فيه امام المفسرين محمد بن جرير الطبري عند
الفراغ من الفاظ العباد بالقرآن قال فلما اتى فيه نعلمه عن صحابي مضى وتابعي بقي في الامصار في قوله الغناء
رحمة الله عليه وفي اتباعه الرشد والهدى وفي لزوم قوله لدينا مقام قول الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن محمد
حنبل رضي الله عنه في قوله في ذكره وسيرته اماته وسيادته وبراعته وامانته وزهادته وعلمه ومجموع ما
سنه نبني عن ذكره كله في سنه كالشمس الا انها لا تغرب ولا تكسف رضي الله عنه وحشر نا في زمرته آمين يا رب
حدث ابو عبد الله احمد بن حنبل قال ولد ابي ببغداد في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة وتوفي ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين والشهور من ربيع الاخر وصفا
شهور وقد قارب على ما قاله الحديث وكنت احضر جنازة لاهل البدع من عامة اهل البدع فلم اشهد جنازته
مالكية واسحق بن ابرهيم بن مخلد ابو يعقوب راهويه الحنظلي المروزي الفقيه الحافظ قرين الامام
صاحبه يلتقيان في نسب النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف قال عبد الرحمن بن ابي حاتم اسحق بن راهويه اماما متبعا
له طائفة يقلدونه ويجتهدون على مسلكه رحمه الله تعالى يقال لهم الاسحاقية وقد قال قتيبة بن سعيد ناهيك
به ايها عجبا واسحق بن راهويه اما الدنيا فكما حب نقل كثير في مسائل عن اسحق وتذكر المنازل التي
خصها وغيرها في تعلمها مقسومة على اثني عشر جزءا كل جزء منها منزلتان وتلك وعليها سير الشمس والقمر
وباقي السبعة السيارة وهي المنطقة ولهذا قال تعالى في كتابه العزيز وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال جل ثناؤه وتقدست
اسماؤه تبارك الذي جعل في السماء بروجا وهي القصور وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فالقول الرخصة في
ذلك اقتداء بهذين الامامين الجليلين المضلة وغيرهما من الحبر كثرة من كبار علماء السلف رضي الله عنهم وما ظهر
من كتاب الله العزيز هو الصحيح ان شاء الله تعالى مما في ذلك الصالح الدين خير الدنيا والاخرة وبه نستعين
فلولا ذلك ما عرف ليل من نهار ولا حر من برد ولا شتاء من صيف وغير ذلك مما ندب الله ورسوله اليه فالرخص حينئذ في تعلمها هو غير
لاعلم النجوم المذموم فانه باطل محرم قليله وكثيره وهو الذي ورد النهي فيه قال ابن عبد البر كان علماء بني اسرائيل
يكتمون علمهم عن اولادهم علم النجوم والطب ليلا يكون لهم سببا لصحبة الملوك فيضلوا دينهم وقال ابن الجوزي رحمه الله
اذ بناء كلام العلماء على النجوم فعند ذلك ظهر دوي في القبر وانطمس في كتاب النجوم لعمر رضي الله عنه
فرعا تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا الا ان عمل حق فما ذكر فيه ليس مستفادا من
يحتج به وقال ابن الجوزي فيه ما اعرفه ورواه ابن زنجويه من طريق اخر صالح قال ابن رجب علم التسيير جائز
عند الجمهور وهو نحو من كلام ابن الجوزي فتلك المنازل المذكورة هي المقسومة على اثني عشر البرج المعلوم فاول
المنازل في المنطقة اولها النطح واخرها الرشا والبروج اولها الحمل يفتح الحاء والميم واخرها الحوت على
سير الكبعة السيارة مع اظلاف وسرعة سيرها الى المشرق وبطيئه لان كلا منها له فلك يخصه كما قال تعالى كل في
فلك يسبحون تقطعها منازل على اختلاف سيرها الى المشرق بتقدير العزيز العليم ولما قرأ بعض السلف

قوله تعالى

تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب قال ويل لمن قرأها ثم مسح بها سبلته والمعنى
بانه يتفكر ان تأمل فيها ويتفهم فيعلم كسماء على الوان وضياء الكواكب دون ان يعرف اختلافها فيدلها وانها مسخرة
باذن الله تعالى لمصالح عباده وبلاده ويظن انه ذكر يفيد في الشرع لنبي الله صلى الله عليه وسلم عن الاستغال بعلم النجوم فذا
لو وهذا لو فقد قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي سخر لكم الليل والنهار لمن
اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال ألم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
والتفكر في بدو الافلاك واحكام صنعتها يعني بصيرته زائدة ذكر شكرا وتوحيدا والما
نا وعلما ان صانع ذلك هو الله وصفاته كافية به وكفى بالله وكيلا وانما المنهي عنه ان يعتقد انها فعالة
لانا مستقلة بها تعالى الله وتقدس عما ذكروا علوا كبيرا وبانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبرها الذي خلقها
وسيرها واودع فيها ما اودع فيها فهذا كفر يخرج من الملة او يعتقد تصديقا لقوله تعالى من علم الغيب
الذي استأثر الله به فهذا باطل اذ لا يعلم ما في غد الا الله فاذا قال الانسان وقد اجرى الله سبحانه العادة انه في
حدث الشمس في البرج الفلاني كان الحر وكذا في البرد لم يكن انسانا بذلك مخطئا لانه يخبر عما بان له من علم الله تعالى
كما اجراه من علامة في ذلك مما لم ينف ذلك الفعل الغير الفاعل جل وعلا فحينئذ يقع المحذور اعاذنا الله
والمسلمين من ذلك وهذا بذكره المنجمون من وصف الكواكب من ان النحس والزهرة والمشتري سعد
وزحل والمريخ نحس وعطارد سعد مع سعد وسعد مع النحس فانما ذلك حسبوا عليه الاحكام
النجومية التي زعموا بها ابطل الفاسد في الثاني المنهي عنه وذكر من انواع كفر نعوذ بالله من ذلك
كما صنف في ذلك من صنف حتى وصل به الامر الى مخاطبة النجوم وكذلك ما يذكرونه في بعض الايام او الاشهر انها
نحس وكون ذلك فينبغي للمؤمن ان يتحصن بتقوى الله تعالى ويتوكل عليه ولا يلتفت الى غير الله سبحانه فمن اخاف
اهل الباطل اذ جميع ما يصدر انما هو من الله جل وعلا هو المكون المقدر لا يخرج شيء عن ايجاده وقدره و
قضائه الكوني وقد ذكر بعض اهل العلم انهم السهيلي عن اهل الكتاب انهم قالوا ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم
من الشهور الشمسية كالواحد نيسان لعشرين مضت منه ومن المنازل في الغفر وقد سئل الامام
دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه عن الحجامة والاطلاء يوم الاربعاء ويوم السبت فقال لا باس بذلك هل ورد
نهي عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل له تفعله فقال نعم واكرهه وانقوله ليس يوم الا وقد احتجم فيه ولا اكره فيه
حجامة ولا اطلاء ولا نكاحا ولا سفرا قال العلامة بن رشد المالكي صار نظير الاحد من يوم الاربعاء ما جاء
انه اول الايام النحسات التي هلك الله فيها عادا واصار نظيرهم من يوم السبت ان بني اسرائيل لما عتوا فيه مسخهم
الله فيه قردة وخنازير وقال العلامة بن جماعة ولا يكره السفر في يوم من الايام لسبب كون القمر في
العقرب ولا بسبب من الاسباب قلت الا ان يقصد رجل الخميس والاثنين استنانا بالنبي صلى الله عليه وسلم
من كراهة منه للخروج فيهما طيرة ومع هذا البيان فالويل للحق مع اهل الباطل فبئس ما يحفظ هؤلاء
الملة على هذه الامة اعملا كلها حتى اكل الطوائف تحفظ قهرها اما تحفظ قائم بها لخفيفة او ظاهرها
وشعائرها وما ذاك الا اقبالا من الله تعالى على حراسة الحق وقهر اهل الباطل فسبحانه لكنه مرطريق
الوبال وعن ابي موسى عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة الاشعري الصحابي
المشهور امره عثمان رضي الله عنه وهو احد الحكمين بصفين مات بمكة بعد عثمان وقيل بعده قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة ادمن خمر ولا عاق ولا منان بفتح الميم وتشديد النون الذي لا يشكر ما اعطي
هذا من الخمر وقاطع الرحم وهو خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة مدمن الخمر اي الملازم على شربها ملازمة لا تنفك
عنها وقاطع الرحم القطع والقطيعة الصد والهجران وترك البر والاحسان الى الاهل والاقارب من اي جهة
كانوا ويقابله الوصل بصلة الرحم وفي قاطع الرحم وفاصله من الترغيب والترهيب احاديث كثيرة ليس هذا
موضعها ومصدر بالسحر يعني وهو من السحر ومن آمن بالسحر فقد آمن بالجبت قال كعب في السحر
ويدخل فيه تعليم كيميا وعملها وهي محض سحر وعقد الرجل عن زوجته ومحبة الزوج لاهل الزوجة وعكسه

والذاريات
فغفر له
قال لم
اهل العلم
منى وكذلك
الاني سؤال
فيما

وبغضها وبغضه وشبه هذا بكلام مجهولة رواه الامام احمد وابو حاتم محمد بن حبان في صحيحه المسمى بالتقاسيم
والانواع الترم فيه الحكم بالصحيح على الاحاديث التي التزم ابو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة بصحتها وتخريجه فقيل
علمت مما تقدم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد ان بكتوا عن عبادة هذه الاشياء ظهر وانباعا مر وقال ان العلم
النجوم من ادريس عليه السلام الى ابراهيم الخليل عليه السلام فادركه كيف يقول ولم يفرق بينه وبين قومه الذين ادركوه عند دعوته اياهم
الى توحيد ربه عز وجل اذ انهم في النار الذي كان علم النجوم وعبادتهم فلا ريب ان ما قاله
هو بعد التباس عن الانبياء عليهم السلام وانباعهم وعن معرفتهم ومعرفة من ارسلوا به فاهل الارض في سائر
ارسل عليهم كلام من ان فائدة اتباع هؤلاء ضد اتباع الرسل في العلوم والاعمال والهدى وهي ان يتولوا الله
رسولا يعني النجم والطلسم ولكم على الكواكب السعود والنحوس والذكور والانوثة وهذه الاضابيع المركبة
وعلومهم وهذه بعثت الرسل عليهم السلام الانكار على هؤلاء ونحو علومهم من الارض وهذه الرسل اعداء اعداء
هؤلاء ورسله سبيلهم وهذا كان ابراهيم الخليل عليه السلام اعرف وابر الانبياء عدو مثل هؤلاء المنجمين الصابئين
بيئس وحران كانت دار ملكهم وهم المركوز تعظيما بعبادة صور النجوم وتماثيلها قد جعلوا الكوكب هيكلا
فيه اصنامه فكانت عبادتهم للاصنام تعظيما للكواكب وعبادة لها وهذا اقوى سبب في الشرك بالله
قديم في العالم وهو الشرك بالنجوم وكانت الخلطة تنزل على صورها وتخاطبهم وتريهم العجائب ما يدعوهم
الى بذل نفوسهم واولادهم وانواع القرب اليها وكان مبداء هذا الشرك تعظيم
الكواكب وظن السعود والنحوس فيها مستقلة به وهذا امر خواص المشركين وهو سر شرك قوم نوح عليه السلام وهو اول شرك
طرق العالم وفتنة امم واهل البلاء بم اكثر وهو امر اهل الاشراك وقد ذكرنا وقدر ذكرنا ودللنا فصلناه في باب
وكتب ملوك الارض مجمعة على الشرك وانما بعث الرسل عليهم السلام لنهي جميع الشرك من الارض ومحق اهله وقطع اسبابه وهدم
بيوته فلم ينظر بانام اكفاء ووالد الانبياء وخليل الرحمن ما ان تعاطا علم النجوم سببا لذا هذا
بهتان عظيم قال العلماء رحمهم الله وانما كانت النظرة التي نظرها ابراهيم عليه السلام في النجوم من معاريض الافعال
كما في قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله عن اخته هي اختي من معاريض المقال يتوسل
بها الى كسر الاصنام وهذا حسن معاريض يتوسل عليه الى احياء نفس او عبة اخوة عن اضاع قال الخطيب البغدادي
في مجلد له قال المنجم للرجل اذا نظرت اصبحت قال اصبحت رجوا الله واخافه واصبحت راجيا ورجل وتخافها فنظر
بعضهم وقال اصبحت لا ارجو الا الخير سوى ما جاء في الدنيا ويوم الحشر
وان اكن تخشى ما تقدر انه ما يأتي به رجل وترجو المتأخر
فاستنا ما بيني وبعد فالتزم طروق النباة وخل طرق المنكر

الباب التاسع والعشرون باب ما جاء في الاستسقاء بالانواء

جمع نوء بالهمز قال ابو عبيد وائل
تنوء اثر الافيل ثم جفلته اذا الكواكب خوى نوءها المطر

لما ذكر رحمه الله تعالى ما ورد في النجوم اعقبه بباب ما يستسقى ليعلم ان ما ودعه الله تعالى ما عادتهم عند سقوط النجوم
او طلوعها مع الفجر من الانواء انما هو من افراده وتكوينه اذ هو ضد قول الاسباب والمسببات وكل خير او شر انما قصد
عامره وقضاه جل وعلا فالانواء هي ما حدثه الله سبحانه عند سقوط كل نجم من المنازل وطلوع رقيبه
مع الفجر ولكل نجم منها عندهم ايام معلومة من اول سقوط ذلك النجم من المنازل التي هي الثمانية والعشرون نجما
وهي معروفة المطالع في ازمنة السنة كلها يسقط منها في كل ليلة نجم بقدر ما يغرب في المغرب مع طلوع
الفجر ويطلع آخر قبالته في المشرق ساعة تقريبا وهي منازل الشمس والقمر وهي التي سبعة السيارة

وانقضاء هذه النجوم مع انقضاء السنة الا انهم يجعلون منزلة منها اربعة عشر يوما قالوا الملغمة وقالوا غيرها و
منهم من يزيد بها يوما فكانت العرب اذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا لابد من رياح ومطر فنسبوا كل غيم وريح عند ذلك
الى النجم الساقط فربما كان النوء فيقولون اذا مطرنا بنوء كذا يريدون النجم الساقط او الطالع وما يتزل في ذلك النجم من المطر فالاختلاف
وغيرها من النجوم والنوء عند اكثر الناس لا ضداد فيسمى به النجم اذا سقط او طلع وما ينزل في ذلك النجم من المطر فالاختلاف
في مسمى النوء المطر واختلاف نوع
بنوء كذا وكذا وقد زعم بعضهم في بعض الروايات التكذيب بالتخفيف ان يجعلوا رزقهم الكذب وهو ان تقولوا مطرنا بنوء كذا فعند
ذلك رمى طرفة بن العبد الخزرجي رضي الله عنه فنزع عالوجس الله الاولى عن ذلك فلم يلبث ان نزل له اصبحت طائفة
من امتي بها كافرين تقول هو بنو مجدح والمجدح كوكب يقال له الدبران وهذا ايضا ظاهر في هذا الحديث ان المراد بالكفر
الفعلي ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصبحت طائفة من امتي بها كافرين والضمير في بها للنعمة المعهودة وقراءة العامة بالتشديد
في تكذبون قالوا والمعنى والله اعلم تجعلون شكر رزقكم التكذيب بنا نجم صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي نزل عليه
انه سحر وشعر تقول هذا معنى قول ابن عباس وغيره من المفسرين واختلف في اسم الكاهن الذي كان يسكن خيبر
فقيل كعب بن عامر وقيل ابن عاصم وقيل عبد بن عاصم وقد مر ذكر ذلك في الصفة مع الاشعريين ان رجلا من اشعر صلى الله عليه وسلم
قال اسم اي خصال اربع كائنة في امتي من امر الجاهلية اي من افعال اهلها والجاهلية هي التي كانت
عليها العرب من الجهل بالله ورسوله وسائر امور الدين والمفاخرة بالانساب والاحساب والكبر والتجبر والتجلد و
الاستسقاء بالنجوم وغير ذلك فعد صلى الله عليه وسلم افعالا منها كائنة في امته الى يوم القيامة من امر الجاهلية اي من افعال اهلها والجاهلية
اهل الجاهلية العامة يدعون بذلك صلى الله عليه وسلم بانها لا تزال في امتي طائفة ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وفي لفظ لا يزال
من خلقهم كما جاء في الحديث الآخر ان الله تعالى وقد قال شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه بعد
كلام له قال قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا في جاهلية مشتركة اهل كل امة كانوا عليه من الاقوال والاعمال
انما احدثه اهل الجاهل وانما نفعله جاهل وكذلك كلما خالف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من اليهودية
والنصرانية في جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فاما بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد
تكون في مصر دون مصر كما هي في دار الكفر وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل ان يسلم فانه في جاهلية وان
كان في دار الاسلام فاما في زمان مطلق قبل الجاهلية بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا يزال في امته طائفة
ظاهرين على الحق الى قيام الساعة قال والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض دار المسلمين وفي كثير من
الاشخاص المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اربع في امتي من امر الجاهلية وقال لابي ذر انك امرؤ فيك
جاهلية وتخرج قال ولفظ الجاهلية قد يكون اسما للزمان وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسما لذم الاعمال
فمن الاول قوله لابي ذر رضي الله عنه وقوله عمر اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة وقوله عليه السلام
رضي الله عنه كان النكاح في الجاهلية على اربعة انحاء وقولهم يا رسول الله كنا في جاهلية وشر وفي حال جاهلية او طريقة
جاهلية او عادة جاهلية فان الجاهلية وان كان يذم الاصر صفة لكنه غلب عليه الاسم حتى صار اسما معناه
قرب من معنى المصدر واما الثاني فقولهم طائفة جاهلية تموت على جاهلي وذريته
الى الجهل الذي هو عدم العلم او عدم اتباع العلم فان من لم يعلم الكتاب والسنة فهو جاهل جهلا بسيطا فاذا اعتقد خلاف ما
جهلا مركبا فان خالف ذلك عالما به او غير عالم به فهو جاهل الضلال قال تعالى واذ اخاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال
صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وما هذا قول بعض العرب وهو عمرو بن كلثوم
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ولا علم انافي الحق وهو
جاهل الفاكهاني قال شيخ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال اصحابنا كل من عمل سوءا
فهو جاهل وسبب ذلك ان العلم الكفيل للراسخ في القلب المانع ان يصدر عنه ما ينافيه قول او فعل ومتى صدر خلافه
فلابد من غفلة القلب عنه او ضعف في القلب بحيث قاوم فتارة يعارضه وتذكر احوال تناقض حقيقة العلم ومرتبته
يعرف ذلك من نفسه ومن غيره فالايمان حقيقة لا مجاز وان لم يكن كفرا مستلزما من الاعمال كفرا والكفر جاء في نصوص
هي الايمان وكذا اسم العقوق ونحو ذلك من الاسماء قال شيخ الاسلام فمن عمل عملا من اعمال الجاهلية فقد اتبع
جاهليته وقوله لابي ذر رضي الله عنه انك امرؤ فيك جاهلية لما عيره بامه وفي لفظ في الصحيح عن ابي ذر

رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله على ساعتي هذه صرت كبيرا قال نعم هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر رفي هذا إذا كان إضافيا إلى الجاهلية فهو هذا موهم سرعا وفي صحيح مسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أختان كانتا في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت قال شيخ الإسلام قدس الله روحه فقوله هما بهم كفر أي هاتان الخصلتان هما بهم قائم بالناس ففي كل منهما شعبة من شعب الكفر كما سماه إيمانا بالناس لكل منهما شعبة من شعب الإيمان وهما قائمان بالناس فيصير كأنه قال خصلتان من خصال الكفر كما أن من أقام شعبة من شعب الإيمان لا يصير مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بينهما بأن الكفر المعرف باللام كما في قوله ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة وليس كفر منكرا وكفرا وفرقا بينهما بمعنى الاسم المطلق إذا قيل كافر ومؤمن وفاسق فالضابط المعنى المطلق للاسم في جميع موارده كما في قوله لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فقوله يضرب بعضكم رقاب بعض ليس كفرا في هذا الموضع وهو لا يسمى كفارا سمية مقيدة ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل كافر ومؤمن كما أن قوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان فقد عفي له من أخيه وسمي القاتل أخا سمية مقيدة ولم يدخل في الاسم المطلق حتى قال فلا تحدوا بعدي فيضرب بعضكم رقاب بعض وأخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن أمته لا يكفر بعضهم بعضا بحيث أن الأمة لا تخلو من مع العلم بتحريمه الخبر بأن هذا وعيد العظيمة والكبيرة في بعض الأزمان والتعظيم بما يعد المخاطر مناقضا لهم على الخلق والحب عند العرب كما قال مسكين الدارمي التميمي

رب مهزول سمين عرضه ... وسمين لحسب هم مهزول

قالوا معناه رب سمين عرضه مهزول لحسبه كم هم كما قال الإمام أحمد والترمذي وصححه والحاكم وقال على شرط البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعا أحب المال والكرم التقوى ورواه بن ماجه الصاغاني واقره الذهبي والحاكم على تصحيحه إلا أنه قيل إنه من صحف بكر بن سمرة وقد تكلم في سماعه عنه وفي المعنى يقول

كن عبد نفسك لا تجعل لها ثمنا ... فعل الكرام وفك العود والرحبا

فقد بين في هذا الكلام أن الذي يكون الإنسان به عظيما عند الله هو المال والذي يكون به عظيما عند الله هو التقوى والفاخر بالآباء ليس لصاحبه فيها فلا فائدة له فالغني بعظمها لا يعظم إلا حب فكما لا حب إلا المال وإن الكريم هو المتقي كما قال بجوده بماله وبخاطر نفسه ليعد شجاعا وكريما فإذا لم يؤثره المال بالتقوى فهو مذموم كما في الحديث به فيكون من باب الفخر بالأحساب كما عند الإمام أحمد والنسائي وبن حبان والحاكم بأسانيد صحيحة عن يزيد رضي الله عنه مرفوعا إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه هذا المال وفي لفظ إنما الوضع فيها بنحو قدح أو ذم فإن ذكر من الكبر المخالف للشرع وقد يقع في ذلك كثير من الناس وهو لا يشعر حتى وقع أناس من أهل العلم في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من قلة العلم في الأنساب كقولهم إن كنانة بن خزيمة خلف على زوجة أبيه بعد وفاته برة بنت أدبن طابخة وجعلوها هي النضر بن كنانة فجعلوا ذلك في نسب النبي صلى الله عليه وسلم نكاح مقت ولم يعلموا أن برة هذه لم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى ولكن لما كانت ابنت أخيها برة بنت مر أخت تميم بن مر عند كنانة بن خزيمة قولت له النضر بن كنانة نسبته الأنس على بعض الناس من العلماء لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه برة لاتفاق اسمهما ونسبهما وهذا الذي ذكرنا من أن أم النضر هي برة بنت مر أخت تميم هو الذي عليه أهل العلم بالنسب وحاشا لله أن يكون أصاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد حاولت من نكاح الإسفاح ومن اعتقد عنه هذا فقد كفر وشكر في هذا الكبير والحمد لله الذي طهر نبيه من كل وصم ولهذا أقول حين رأيت الخطفي يتعطف لهم من عبد الملك نحو له تميم لقرن مع قرن بالنسب واذكر قرابة قوم برة منكرة ... فالحم طالبه وارض بالرضى

وقال في قصيدة أخرى من الأرجوزة التي ولدت في شهر شعبان سنة ثلاث وأربعين

وما قرم بالنجب من أبيكم ... ولا خال فاكر من تميم

وهذا صدق ما قلنا قبل أن أخلق والله الموفق فقريش هو النضر بن كنانة والده تميم بن مر وتسمية أبي مالك بن النضر بقريش لأنه الذي تفرعت منه بطون قريش فلذلك لقبت التسمية بقريش عليه

وانسلبت

والسلبت عن كفره وهذا هو الصحيح وبه يجمع بين القولين في تسمية قريش قريشا فالبعد لانسان الطعن في الانساب
والقوافيها بلا علم ليلا يقع في كبيرة من الكبائر وليتفكر في عيب نفسه قبل عيب غيره وقد بين عمارة بن عقيل
بن بلال بن جرير الخطفي فيما املاه عنه ابو عبد الله محمد بن حبيب بن زياد الاعرابي مولى بني هاشم المشهور بالحفظ
والاتقان في اللغة والاخبار ان برة المذكورة في شعر جده جرير المذكور هي ام النضر بن كنانة وانها بنت مر اخت
تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر كما ذكرنا قبل وقد روي عن عمر بن الخطاب عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه
انه قال اني لاعجب عند ثلاث المري يفر من الموت وهو لاقيه والمري يرى في عين اخيه القذاة فيعيبها ويكون في
عينه الجذع لا يعيبه والمري يكون في دابته الضغن فيقومها جهده ويكون في نفسه الضغن فلا يقوم نفسه
والضغن قيل الانقياد والضغن ايضا فساد الدخلة ومنه قوله تعالى ويخرج اضغانكم ولن يخرج الله اضغانهم
الفاسدة قال ابو زبيد الطائي يرثي عليا رضي الله عنه

طبيب بصير باضغان الرجال ولم ... يعدل نجي سواه احيائه

والضغن ايضا نزاع الدابة الي الكاف فتنكابت بالفه قال لشبيه ابي حازم الطائي

فاني والشكاة من آل لام ... كذات الضغن تمشي في الرفاق

والرفاق حبل تشد به عرقوب البعير ليقصر خطوه اذا كان به نزاع والمعنى انه يحبس نفسه عن آل لام فلا اسرع اليهم مع
طلبهم ذلك مني مثل هذه الناقة في الرفاق وما احسن ما قيل في هذه المقاصد يقول بعض الحكماء

الناس من جهة التمثال اكفاء ... ابوهم آدم والام حواء

فان يكن لهم في اصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء

ففز بعلم تعش حيا به ابدا ... الناس موتى واهل العلم احياء

ولابن الزمخشري عفا الله عنه

وكل فضيلة فيها سناء ... رايت العلم فيها قد تسنى

فلا تعدل عن العلم ذخرا ... فان العلم كنز ليس يفنى

وكفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما ان يتبرا منه من هو فيه فالعلم صعب
المرام عزيز المنال قال ابن جني في كتاب المنتخب في فعل الاجواد اما بعد فان العلم بطي اللزام بعيد المرام
لا يدرك بالسهام ولا يرى في المنام ولا يورث عن الاباء والاعمام انما هو شجرة غرس لا تصلح الا بالدرس ولا يحصل
الا بالاستناد على الحجر ومواصلة السهر وافتراش المدر وقلة النوم وصلة الليلة باليوم الثاني فلا يدركه الا
من انفق العين وجثى على الركبتين قلت ولهذا قال سفين بن عيينة ارفع الناس عند الله منزلة من كان
بينه وبين عباده وهم الرسل والعلماء وعند الامام احمد في مسنده عن ابي حفص انه سمع انس بن مالك رضي الله عنه
يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم
اوشك ان تضل الهداة وقال ابو مسلم الخولاني العلماء في الارض كالنجوم في السماء اذا بدت للناس اهتدوا واذا
خفيت تحيروا فالعلم اشرف منقبة واجل مرتبة واعلى مفخر وارفع متجر اذ به يتوصل الى توحيد رب العالمين
وتصديق انبيائه المرسلين وكان ابن المبارك يخص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف
بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فهذا هو الفخر والشرف في الدنيا والاخرة لمن حسنت نيته والله تعالى
الموفق في الحال والمآل وقال حسن غريب عن انس رضي الله عنه مرفوعا من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى
يرجع وعند ابي داود عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه مرفوعا من فصل في سبيل الله فمات او قتل فهو شهيد
او وقصه فرسه او لدغته هامة فهو شهيد ومعنى فصل خرج فعلى هذا المعنى طالب العلم اولى بالشهادة نسال الله من فضله
وعند البزار عن ابي هريرة وابي ذر رضي الله عنهما مرفوعا اذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد

قوله والكسائي بالنجوم قال القاضي هو طلب السقيا قال في الفردوس عن كعب هي انما غلط القول في ذلك لان العرب كانت تزعم ان المطر فعل النجم لا سقيا من الله تعالى فلما ورد هذا وقال مطرنا في وقت كذا النجم طالع وغائب فجاء بروقال كنوء كذا قال بعضهم اراد ان كل مطر ينوء كذا اراد ان النوء هو الفاعل المحدث للمطر صار حينئذ بالكسر وقد جاء في مقابلة على معنى ذلك الطالع قال واما قاله بعضهم اراد انه علامة لنزول المطر ونزول الغيث عند هذه العلامة وان نزوله بفعل الله وخلقه لم يكن واختلفوا في كراهيته والمختار انه حكره وانه من الفاظ الكفار وهذا ظاهر حديث نص على كراهته الامام الشافعي في الام قلت والصحيح عند الامام احمد رضي الله عنه تحريم هذا اللفظ مطلقا وعلى هذا الباء في الاول للاستعانة وفي الثاني للظرفية او المصاحبة ومن هذا القسم على قول المنجمين والرجوع اليهم فان ذلك شديد التحريم عند العلماء رحمهم الله تعالى وقد قال تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الآية وقال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد فهو الذي يحمد ويشكر على انزاله ولما سئل الزبادي الاصمعي عن معنى قول غيلان ذي الرمة في قوله فرجا حواء اشراطية وكفت فيها الزهاء وحفا البراعيم وقال يا سبحان الله وسكت عن نفسه وذكر انه عنى انا مطرنا بنوء كذا فلما علم الاصمعي بعينه قول مطرنا بنوء كذا اغلظ له القول فقوله فرجا يريد نور الازهار وهو يقول نضب الى كسوا لشدة ربها بالماء وخضرتها وكذلك يقول المفسرون في قوله مدهامتان يضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما والبراعيم اكمام كمثرى الواحدة برعومة وهي اكمة النور قبل ان تشقق ويروى بدل وكفت سمحت والذهاء الامطار الدائمة يقال انها لذهاء الطر في البت وكذلك العادة والنياحة على الميت النياحة والنوح اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات بالبرنة وندبه والتناوح والتقابل قال غيلان ذو الرمة

إذا هيج الصيف الكريب تناوحت ... بها الهوج تخنان الموله العجل

يقول اذا ايست حرارة ريح الصيف فانت في كريب تناوحت الرياح الهوج الشديدة وتقابلت على ذلك المكان الذي قد صوح منه نبت من بيع وحنت باصواتها عند تقابلها تخنان الموله هو الوله وهو القلق للحزن يكسب حنين الرياح في تناوحها وتقابلها وتجاوبها حيث تقابلت بحنين الوله التي فقدت اولادها فهي قد عجلت السير للورود على اهلها لاولادها فهذا اصل النوح ثم استعير في ضرب من البكاء النوائح لتقابلهن على ذلك بصوت ورنة وندبة بعد شمائل الميت واستعير تشبيه صوت النائحة بوحشي ذلك وقد قال ابو جعفر حدثنا ابو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر بن حوشب عن ام سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال النوح وروى الاكثر هذا عن عبد الحميد عن ابي نعيم وبن هاشم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد عبد الله الشيباني عن ام سلمة به وقال الترمذي غريب وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا القعنبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن سعيد بن ابي سعيد البراد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نعصيه في معروف ان لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعو ويلا فهذه النياحة المنهي عنها واما البكاء من غير ندب على الميت فيجوز لقول انس رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان وقال ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم اخرجاه في الصحيحين وفيهما عنه قال ربنا يدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون قاله عند موت ابنه ابراهيم عليه السلام وقد قال النبي في صحيحه وقال عمر رضي الله عنه دعهن يبكين على ابي سليمان يعني خالد الوليد ما لم يكن نقع او لقلقة قال والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت وفي الصحيحين عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة وعند ابي داود عن ابي سعيد رضي الله عنه قال ان الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة وقد عد الصحابة رضي الله عنهم صنيع اهل الميت للطعام من النياحة

فروع

روى الامام احمد وغيره وسنده جيد كلهم ثقات عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نعد الاجتماع الى اهل الميت وصنع الطعام بعد دفنه من النياحة فهذا جرير رضي الله عنه عد فعل الجاهلية اشد التحذير وهذا يقتضي ان ما كان من امر الجاهلية وفعلهم ليس هو من دين الاسلام امر الجنبه عليه فاضافوا هذه

١٢٩ الامور الى الجاهلية خرجت مخرج الذم وهذا معلوم من الخطاب وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة دليل على ان امر الجاهلية لا يخلو منها كل فرد من الامة وان الاستسقاء الموجود فيها من الشر كالاصغر الذي هو احد الكبائر وقد يقال الاصغر الى الكبر مثل ان يضيف انسان انزال المطر الى النجم لا الى الذي انزله عز وجل استقلالا معتقدا ان نسئل الله العافية والعافية من مضار الامة وسوله رواه مسلم في صحيحه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب وقع فلم يزل الناس بعده في كل عصر يوجد فيهم ذلك وان انكر منهم شرذمة قليلة لا يلتفت الى انكارهم ولا يوبه باعتراضهم وكم ذكرنا لعلم تفرد

وعند البخاري في تاريخه والطبراني في معجمه عن مصعب عبد الله بن حنادة عن ابيه عن جده حنادة بن مالك مرفوعا ثلاث من فعل اهل الجاهلية لا يدعهن اهل الاسلام استسقاء بالكواكب وطعن في النسب والنياحة على الميت وعند الامام احمد والطبراني في معاجمه عن عمر بن سمرة رضي الله عنه مرفوعا ثلاث اخاف على امتي الاستسقاء بالانواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر وروى ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني المدني الصحابي المشهور رضي الله عنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس بوجهه وقال هل تدرون ماذا قال ربكم تبارك وتعالى قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب بانه الفعال لذلك وانما الفاعل الذي يخلق ويدبر ويصرف حيث شاء ليس عند علم المطر وانزاله وانما المنزل الحكيم العليم الذي هو على ما يشاء قدير يفعل ما يشاء بحكمته يريد ولهذا قال تعالى

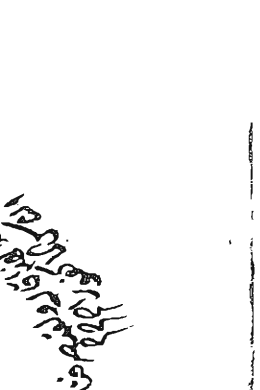

الرفق والتيسير وعدم التعسير والتنفير فنبغي ان يقتدى به في ذلك فقد قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر لمن تعرض له وتنوبه كذا وكذا كما كانت العرب في جاهليتها تقول اذا تأخر المطر بالفراء الله تعالى
عند سقوط النجم يريد الغوص وطلوعه على القول المشهور الذي صدقوه كذا وكذا فاذا لم ينزل المطر حينئذ قالوا اخطأ او
اخلف او هوى نوء كذا وكذا فنسبوا ذلك الى النجم كقول حاتم طي حيث يقول في قولهم اخلف
وقال اذا الكوكب الخنس امام الطوالع ... واخلف نوء الشعرى بمدبورها
كعبيس بن عبد رضي الله عنه في مدحه للانصار رضي الله عنهم باكرامهم للضيف وايثارهم
قوم اذا خوت النجوم فانهم ... للطارقين النازلين هقار
قال ابن الاعرابي ان كواكب الانواء سواقط وكواكب الجر طوالع والنوء ان يكون المطر في ايام سقوط النجم يقال
ناء النجم اذا سقط وان لم يكن مطر في ايامه كما قيل خوى يقال خوت النجوم والدار تخوي خويا وخويا وخوى الرجل
خوى شديدا من الجوع والشدائد والمطعمون اذا النجم خوت ... ولحاط بالمتوحل المحل
قال الله على نهر صلى الله عليه وسلم هذه الآية التي في سورة الواقعة تأديبا وتعليما لعباده المؤمنين ان لا يواجهوا
المشركين في اقوالهم وافعالهم ولو لم يقصدوا بهذا اللفظ ما يعتقده المشركون في استسقائهم بالنجوم فقال تعالى
حكما وله ان لقسم لو تعلمون عظيم لا تسرعوا بفعل ولا تسرعوا بقول قال بعض المفسرين في المعنى قسم
ولا صلة في الكلام للتأكيد وقيل رد القول الكفار ثم قال اقسم وقيل اقسم فلا رد والكفرة قالوا انها
صلة لم يقولوا الا معنا لها بل يوتى بها في اول القسم اذا كان مقسما به على نفي كقول عائشة رضي الله عنها لا والله
ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة قط تعني في مبايعته النساء وهكذا ههنا تقدير الكلام لا اقسم
بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل هو قرآن كريم وقال ابن جرير وقال بعض اهل
اللغة معنى قوله فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استوفى القسم فقال اقسم بموقع النجوم وقرئ
بموقع النجوم اي بنزول القرآن نجوما الله بعد الله وسورة بعد سورة بعد الامر والنهي الى كمال الدين جملة
واحدة قاله ابن عباس وغيره وهذا الحاكم انه قول الكفار في قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة قال الله كذلك اي انزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا اي يقول فرقناه لنقرأه على الناس
على مهل ويقال بيناه وبيناه ولهذا قال بعده ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا
وهذا من احكمة في انزال القرآن منجما الدفع شبه المشركين بعد ايرادها وذكر البلغ في محلها وزهوقها واوضح للقلوب واقطع
للحجة واقوى للايمان في قلوب المؤمنين واثبت لقلب سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله واصحابه واضعف للباطل
في قلوب المشركين واوحى الله على لسانهم وجوابهم بنقيض دعواهم المنافقين كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق
ولهذا قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا اي كلام يكذب به بقوله الا جئناك
بالحق حتى اعقبه بافعل التفضيل وقال واحسن تفسيرا يعني حسن بيانا فرد به خصومتهم
الباطلة وقيل
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية سعيد بن جبير بمواقع النجوم بمحكم القرآن وقاله البخاري في
التفسير ولهذا قال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قال البخاري لا يمسه لا يجد طعمه و
نفعه الا من آمن بالقرآن ولا يحل بكفه الا الموقن لقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ثم قال البخاري رحمه الله تعالى مسقط النجوم
اذا سقط فاذا سقط من مواقع ومواقع واحد وقال مجاهد بمواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها وساقطها
وكذا قال الحسن وقتادة واختاره ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها وعن الحسن ايضا مواقعها
انتثارها يوم القيمة وقال الضحاك يعني بذلك الآثار التي كان اهل الجاهلية اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا
وكذا الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وهذا الذي قال بئس ما اخذ قوم لانفسهم رزقوا
من كتاب الله الا التكذيب يعني بانهم يكذبون بها كما تكذبهم بعوزباسه بجلية ولكن نسبتهم المطر
الى النجم والله تعالى يقول وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ولهذا
من المعنى عند المطر ان يقول الآن مطرنا بفضل الله ورحمته ليخالف عادة اهل الجاهلية قال

اقترفتموها واخشون تخشوا كسادها وسكانها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين هذا خطاب للمؤمنين وفي الخبر اذا يوالوا الكفار ويبايعوا اموالا تهم حرام
عليهم وأرتكابات الحرام من المؤمنين فسق فلا قبه كلمة الفاسقين كما ان قوله بعد قوله انما كنتي زيادة
في الكفر والله لا يهدي القوم الكافرين بيان ان تحليل الحرام وتحريم الحلال كفر فلا قبه كلمة الكفر يقول تعالى في
هذه الآية الكريمة قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة والجهاد من آمن بك واقام في دار الكفر بين اظهر الكفار وهو يقدر
على اظهار دينه ضعا رسالتي بها ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرابتكم وعشيرتكم
الاقربون جمع ورد في عامر واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها وهو ضد النفاق
ومساكن ترضونها فسكنتموها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله اي من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد
في سبيل الله مع رسوله صلى الله عليه وسلم فتربصوا اي فانتظروا حتى يأتي الله بامره اي بقضائه وهذا تهديد اكيد
ووعيد شديد وورود هذا في كان بافعل التفضيل يدل على ان حب الانسان لهذه الاشياء امر طبيعي
لا يتفك الانسان عنه والمطلوب ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله

وغاية المقصود ان تكون محبة هذه الاشياء تابعة لمحبة الله ورسوله حتى تكون اعمال الانسان واقواله الدينية والدنيوية كلها طاعة لله تعالى حتى النفقة يحتسبها الرجل وحتى اللقمة يجعلها في فم امرأته
وسيأتي الكلام على ما يتعلق بهذا المقام قريبا ان شاء الله تعالى وهذه الآية كقوله تعالى فانتظروا اني معكم
من المنتظرين اي انا لم نطيعوا امرهم في الوقت ولكن عما قليل يأتيكم وبال عصيانكم والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي لا يرشدهم عصاة وترك الهجرة بعد ما دعي اليها وهو قادر عليها من بلد الكفار مع كونه لا يقدر
على اظهار دينه فيها وقد قال ابو العباس بن سريج الشافعي في هذه الآية توعد الله بها على تفضيل محبتهم
لغيره على محبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا على فرض لازم وحتم واجب ولا محبة الله تعالى
تمنع المحب له من عصيانه وكذا محبة رسوله صلى الله عليه وسلم تمنعه من ان يعصيه اورد قوله فدل ذلك على ان محبتهما
فرض والى انقيادا لامرهما لازم قال تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم الآية

وعند الامام احمد في مسنده وابي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا اذا تبايعتم بالعينة
واخذتم باذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم

وعند الامام احمد ايضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مثله وهذه الآية كقوله تعالى لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
الآية والضمير في قوله تعالى قل ان كان اباؤكم راجع الى المؤمنين في قوله مخاطبا لهم قبل ذلك يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ثم
قال قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الآية ففيها اقوى دليل ان موالاة الكفار تخل بالتوحيد **وعلم** من ذلك ان
هو الاة غير القرابات منهم اولى بالمنع واحرى **واما** بهم حيث اخل بالتوحيد فلم يبنه عنى كما صرح به في كتابه
العزيز وانما بنى ما تولهم من دون المؤمنين وفيها ايضا فضيلة رفيعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وما بالى من
التنبيه عليها في اكثر من بعدها حيث قال احب اليكم من الله ورسوله فوجب على كل مسلم ان يبغض
في الله من كفر به لو جعل بعض الطاعة او كذب رسوله صلى الله عليه وسلم فقد نبهنا سبحانه في هذه الآية على علا
مة المحبة له بقطع العلائق ومفارقة العادات وهجر الاقربا ونبذ كشحوا والرجوع اليه جل وعلا في دوام
الاحوال **في المثل** من نفقت سوق دينه كسدت سوق خضوعه فاكرم الخلق له سبحانه محبة اعظمهم
طاعة فاين من يحبه لا يعصيه ولا يرى حيث نهاه وانظر هذه المحبة وليها في القلب ولهذا لا تمحى
من القلب ولا تزول مع الاكراه والتخرج صاحبها من المدح فهو مستثنى مع الاكراه في قوله تعالى من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الآية وهذه رحمة منه سبحانه لحبيبه ما رخص لهم اذ خافوا
ان يقتلهم على ماله او نفسه وكانا فداوه بالكفر جازا ان يتلفظ به ولا يعتقد بقلبه وكذلك في عرض النبي
صلى الله عليه وسلم وصانا قدره وانما كانت تلك الفروض مع الاكراه رخصا ورد من الضرورة والاكراه

ولما كان حقيقة المحبة هي الميل بالطبع الى الموافق الملائم للنفس حتى خلق الله سبحانه للعبد ربه وطبعه على المحسوسات
تلقيها الى قلبه فيميل الى كل ما يوافقها وينفر عن كل ما يخالفه فبذلك يعرف صلاح القلب وفساده
وصحته وسقمه وقد قال الحافظ بن عساكر في ترجمة العباس بن محمد الدوري قال سمعت بعض العرب وأتاه منزل
بالليل يشد قلوص لها اكب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وبارق
ثم تهيم بحبه والله من بينها معلقة بانيه دون الخلائق
عن انس بن مالك الانصاري خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى لا يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
يستحق ان يطلق عليه مسمى الايمان المطلق اذ المطلق كما سماه لا يتناول الا الكامل من المسمى في الاثبات ودون
النفي فالنفي في هذا المطلق للكمال الذي لا يطلق الا على الكامل الذي قد وصل الى غاية حتى المغايرة في الحديث
والنقص عما في ايمانه من النقص بحسب وصوره وهذا معنى قول محققي العلماء من اهل السنة والجماعة رحمهم الله
وفيه دلالة صريحة على زيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب الائمة وسلف الامة وممن قال ان
صاحب الكبائر ليس مسلما ولا مؤمنا وهو قول جماعة من السلف حتى ان الكرخي احب اليه من
ويحتمل ان يحمل قوله والناس اجمعين على ظاهره من الفاء الاستغراق والتأكيد بعدها دخول كل شيء طيب من كافة
في الناس فيلزم ان يكون احب اليه من نفسه كما جاء في صريح حديث عمر في الخطاب قالوا واصل هذا اكثر شيء من
كتاب الله الآية المتقدمة قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الآية قوله احب اليكم من الله ورسوله لم يهدد على ذكره و
توعد فقارفه بصواحتى يأتي الله بامره الآية فقوله احب نجيه فيه وزاده مزية بذكره على
سائر المخلوقات كما في الحديث الآتي ان يكون الله احب اليه مما سواهما وما سواهما جميع المخلوقات من نبي
وملك جلت رتبته واعلت منزلته فلما افرده الله تعالى بهذه المرتبة وجب له مزية في الحب
على سائر الخلق بان لا يحبب ايمان احد ولا يقبل الا بحبه ثم لا يكمل ايمانه حتى يكون احب اليه من
جميع المخلوقات حتى نفسه ثم اعلم ان هذه المحبة كما قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى على ثلاثة اقسام
قسم في مقام الاسلام وهو محبته صلى الله عليه وسلم بالقلب واللسان واظهار ذلك على الجوارح بالنصرة له
ولدينه وسنته وكثرة الثناء عليه بالصلاة والدعاء له والمعاداة لمن عاداه وعادى طريقته و
اتباع سنته ومخالفة الهوى والبدع وكثافي حبه في مقام الايمان وهو وده بالقلب حتى يكون
اود اليه من كل شيء وسوى الله عز وجل وكثالث حبه في مقام الاحسان وهو ان ينظر بالعقل
في تشريف الله تعالى له وتلحظ ذلك بعين التعظيم والتوقير وانه معظم ومقدم في جميع العالم حتى انه صلى الله
عليه وسلم كما مات قبر وسيأوى كما قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا الآية بحيث لا تخرجه بهذا التعظيم عن مقام العبودية
والرسالة فتطريه كما اطرت النصارى المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه في مقام الالوهية
وانما بعد ليدل عليها الخلق بانها لله تعالى وحده لا شريك له فيها والمطلوب منهم نحو صلى الله
عليه وسلم ان يكون هواهم تبعا لما جاء به ولا تحصل هذه المتابعة الا باعتقادها وهي محبة الله تعالى ومحبة
الله تعالى تدعو الى محبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومتابعته مطلقا بحيث لا يعارضها هوى ولا شهوة ولا
شيء من المحبات والعوارض القاطعة للمتابعة قال ابو سليمان الخطابي لم يرد به حب الطبع بل اراد به حب
الاختيار لان حب الانسان نفسه طبع وسبيل الى قلبه قال فمعناه لا تصدق في حبي حتى تقهر طباعك
عن نفسك وتؤثر اتباعي على هواك وان كان فيه هلاكك وقال غيره وحب الطبع ايضا وفي
الحديث الذي رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا جبلت القلوب على حب من احسن
اليها ورواه موقوفا وقال هو المحفوظ قال ابن عدي وهو المعروف فدليل على ذلك قال الجبل كطبع
عند العرب واي احسان اعظم من ان عرفنا بالله ودلنا عليه فهدانا الله به فلا اكبر من ذكر احسانه فكيف

لا يجد الطعم مع ذكر على حبه وعند البخاري والاسماعيلي عن زهرة بن معبد عن جده رضي الله عنه قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر فقال والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر رضي الله عنه فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر أخرجه البخاري في الصحيح وفيها عن أنس رضي الله عنه قال
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
نكرة في صفة المحذوف وسوغ وقوعها مبتدأ إفادة أي خصال ثلاث وأخبر قوله
من كن فيه أو وجد فيه وجد أي أصاب وهي حالة أو مكان أي التلذذ بالطاعة وتحمل المشقة في رضى الله
ورسوله وإيثاره على عرض الدنيا وهذا معبر عنه بالكناية عن الإيمان بنحو فعل الجهة إجماعا وهو
لتلذذ فاطلق المشبه وأضاف إليه ما هو من خصائص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة وقال بعضهم إنها
حلاوة حسية لأن القلب السليم من أمراض الغفلة والشهوة يجد طعم الإيمان كما يذوق الناطع العسل وبالجملة
فلا يذوق حلاوة الإيمان خلا قلبه من تلك الأمراض وتشبعت بأضدادها ولهذا قال بعض السلف لو تعلم
الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من اللذة لجالدونا عليها بالسيوف فيكون الجملة صفة لثلاث والخبر
ما بعدها ثم إن هذه الحلاوة لا توجد لشخص إلا أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال بعضهم
إن في هذا مصدرية خبر مبتدأ محذوف أي أولها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أي محبة من محبة
سواهما من نفس وأهل ومال وكل شيء قال الكرماني عبر بما دون من لعمومها وما سواهما جميع المخلوقات
فإن في محبتهما في هذا الحديث بأفعل التفضيل في جانب الحق الطبيعية بخلاف محبة الخلق فإنها لا تثبت
معها إلا المحبة وفي الحديث تلميح بأن المؤمنين متفاضلون في محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم
إذ قد علم بالاضطرار من أصل الإيمان أنهم فيه على مراتب فأكملهم محبة أعظمهم له طاعة فالمؤمن من يحب لله ويبغض
ولله ويعطي لله ويمنع لله كما كان عمر الفاروق رضي الله عنه على درجة لا يحب النبي صلى الله عليه وسلم فيها أكثر منه
ليس عرفه بالحب فلما انتهت قوة المعرفة به وكانت معرفة أبي بكر رضي الله عنه أكثر منه في
قد تبين ذلك فاعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغضني فقارف ذنبا قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك
هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وقيس ذو الثوب المصري منهم أحب إلي قال إذا كانا ما يكون عليك
أمر في هذا الحديث أنه لا يأس بمثل هذه المثنية في قوله مما سواهما وأما
قوله عليه السلام للخطيب حين قال ومن يعصهما فقد غوى بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله
كما رواه مسلم من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه فقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى في ذلك بأجوبة
أجدها قول النووي وهو أن هذا حينئذ ليس من هذا النوع لأن المراد في الخطيب إيضاح الأمر
والإشارات وما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ وما يدل على هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه في
خطبة الحاجة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا إنما أنكر
الجمع تعظيما لله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا أحد ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان لما في ثم
من التراخي والتعقيب بخلاف الواو التي تقتضي التسوية والتشريك وقوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي
فيه سر آخر الضمير الصالح لكم تعظيم آخرون بأن الله يصلي وملائكته يصلون وكأن هذا الجواب لا يتوجه لأن
هذا لو ذكر لوهم وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية وفي هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئا وقال لا تقولوا ما شاء الله
وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد قال في الطاعة قرن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم باسم الله بحرف الواو
وفي المشيئة أمر أن يجعل ذلك بحرف ثم والواو تدل على أن طاعة الرسول طاعة الله فمن يطع الرسول فقد أطاع الله وطا
عة الله طاعة للرسول بخلاف المشيئة فإن مشيئة أحد ليست مشيئة الله ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد
بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله وقال البيضاوي
إنه ثنى الضمير إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المجيبين لا كل واحد فإنها وحدها لاغية وآخر بالإفراد

والخوف ... تلقى ... الضعف ... وطن ... العبود ... وكل ... لله ... التحقيق ... يقها ...

في حديث الخطيب استعارا بالكل واحد من العصيانين مستقل بالزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير
والاصل استقلال كل واحد من المعطوفين في الحكم وهذا جواب عن وجوب آخر انه انما انكر
على الخطيب وقوفه على ومن يعصهما وليس هذا شيء اذ قوله ومن يعص الله ورسوله يرد ذلك وجواب آخر
ان له على الكلام ان يجمع بخلاف غيره كما مر في خطبته ذكر ذلك وهذا ايضا لا يصح الا بدليل التخصيص
اذ امته صلى الله عليه وسلم سوته في الاحكام وجواب آخر ان الجمع يوهم التسوية من فصله فلهذا منعه قاله
ابن عبد السلام وهذا جواب متوجه وجواب آخر ان كلامه صلى الله عليه وسلم اما جملة واحدة فكره لغيره اقامة
المضمر مقام الظاهر بخلاف الخطيب فانه جملتان قاله ابن يونس بخيل وجواب ابن المنكدر لا يتوجه
تحته خطأ نفسه اذ اوجهه لغيره انتهى واما حقيقة المحبة فقيل سئل رويم عنها
فقال الموافقة في جميع الاحوال واصل المحبة بناء على ما هو المعروف الاحسان ومطالعة الآلاء والامتنان و
مظاهرة النعماء والفضائل جبلت على حب محسنيها والاحسان اعظم من احسان الرب تعالى بالتقدير والمقضي
ان الذي دار عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وائمتها وشائخ الطريق كما قال شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ان الله يحب ويحب حقيقة ومن انكر حقيقة المحبة لزمه ان ينكر التلذذ بالنظر
اليه جل وعلا كالمعتزلة والجهمية فانه ليس في الحقيقة عندهم الا النعيم في الاخرة بالاكل والشرب
ونحو ذلك وهذا القول باطل بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة وشائخها وفي دعائه صلى الله عليه وسلم اسألك لذة النظر الى وجهك وفي صحيح مسلم وغيره في حديث الرؤية ثم صهيب رضي الله عنه قل
فوعا فينظرون الى الله فما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر الى الله الحديث وقال تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة ولو لم ينظر الله جل وعلا اولياؤه المؤمنون لما كانوا كما قوله للكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فائدة واعلم ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه منها ان الله انقذنا به من الهلكة وادا
جنانا بتباعه الفلاح الابدي والنعيم السرمدي عصمنا الله والمسلمين عن كل خوف عن سبيله انه قريب مجيب
وان يحب المرء لا يحبه الا لله اي لا يحبه لغرض الا لرضى الله حتى محبته لابويه فكونه سببا امرا بالاحسان
اليهما ومحبته لولده بان يعبد الله ويدخله من صالح دعائه وهكذا وان يكره ان يعود في الكفر اي
يصير اليه واستعمال العود بمعنى الصيرورة غير عزيز في لغة العرب قال امية بن ابي الصلت
فتلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
والمعنى فصارا بعد تلك الحلاوة بعد الشوب كالابوال فالعود في هذا بمعنى الصيرورة بعد ان نقذه الله
منه اي نجاه منه بالاسلام لله وهذا كما يكره ان يلقى في النار لشبوت الايمان وتمكنه من جنانه بحيث انشرح
له صدره والتذ به وذاق حلاوته فعلم ان لا شيء احلا منه فلما كان ذلك كذلك جعل صلى الله عليه وسلم من علامات
الايمان الذي يحصل به ذوق طعمه ان يكره ان يعود الى الكفر بعد اذ انقذ الله منه كما يكره ان يلقى في النار
وفيه تنبيه على ان الكفر كالنار واشارة الى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وهو كراهة الكفر واهله وما يلزمه من النقائص وهو في
الحقيقة لازم للاول اذ ارادة المحال تستلزم كراهة النقصان وهو صريح باللازم ومن لوازم هذه
المحبة ان يتيقن الانسان ان الشارع لا يامر ولا ينهى الا لما فيه صلاح عاجل او خلاص اجل وقد قال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يسئل احدكم عن نفسه الا القرآن فمن احب القرآن فهو يحب الله ورسوله
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح لما قال اني احب سورة قل هو الله احد لانها صفة ربي فقال اخبروه
ان الله يحبه وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة خطب فقال في خطبته ان
احسن الحديث كتاب الله قد افلح من زينه الله في قلبه وادخله في الاسلام بعد الكفر واختاره

على ما

عليها سواه احبوا الله من كل قلوبكم وقال ذوالنون من ادمن ذكر الله قذف الله في قلبه نورا بكتاب الوصلة اليه وقال
بعض التابعين علامة حب الله كثرة ذكره فانك لن تحب شيئا الا اكثرت ذكره وقال فتح الموصلي المحب لله لا يحذر مع
الله للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة وقال المحبون ان نطقوا نطقوا بالذكر وان سكتوا تكلموا بالفكر قال
لي صلى الله عليه وسلم افضل ما تقرب به محبة الله تعالى للعبد فعل الواجبات وترك المحرمات والتقرب اليه بالنوافل مع جميع الطاعات
كما في الحديث الالهي الذي عند البخاري وغيره وفيه وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب
الي بالنوافل حتى احببته الحديث بطوله وفي هذا اشارة الى ان درجة محبة الله الملتزم لطاعته ويفعل ما يحبه
فاذا امتثل العبد امر مولاه وفعل ما يحبه وانتهى عما يكرهه احبه الله تعالى ورقاه الى درجة محبته وقد
اخل العبد ببعض الواجبات او ارتكب بعض المحرمات فهي محبته لربه غير تامة فالواجب عليه المبادرة بالتوبة والانابة و
الاجتهاد في تكميل المحبة المقتضية لفعل الواجبات كلها واجتناب المحرمات كلها وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن فان الايمان الكامل
يقتضي محبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه والعمل بمقتضى ذلك فلا يرتكب احد شيئا من المحرمات ويخل بشيء من الواجبات الا
لتقديم هوى النفس المقتضي لارتكاب ذلك على محبة الله المقتضية لخلافه واعلا المحبة ان يمتلئ القلب بمحبة الله تعالى
حتى يوجب له صاحبها محبة النوافل والاجتهاد فيها وكراهة المكروهات والانكفاف عنها والرضا بالاقضية والاقدار
المولمة للنفوس لصدورها عن المحبوب كما قال عامر بن قيس احببت الله فما هو علي كل مصيبة ورضاني بكل
بلية فما ابالي بوجوداه على ما اصبحت والا على ما امسيت وكان عمر بن عبد العزيز يقول اصبحت وما لي سرور الا
في مواضع القضاء والقدر وفي كتب داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لداود عليه السلام كما يقول اللهم اني اسئلك
حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد وفيه
ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب عمل يبلغني حبك اللهم ما رزقتني
فاجعله فراغا لي فيما تحب وعند الامام احمد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند صلاة الغداة فصلى صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاة وتجوز
في صلاته فلما سلم قال لنا انتم على مصافكم كما انتم ثم انفتل الينا فقال اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت
من الليل وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فاذا انا بربي عز وجل في احسن صورة فقال
يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب قالها ثلاثا قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب قال يا محمد فيم
يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت بردانامله بين صدري وتجلى
لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت في الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الاقدام الى
الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء عند المكروهات فقال وما الدرجات قلت اطعام الطعام و
لين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم اني اسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان
تغفر لي وترحمني واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون واسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها ورواه الترمذي وقال حديث صحيح قال وسألت
محمد بن اسمعيل يعني البخاري عن هذا فقال هذا حديث صحيح قال الكفظ وله طرق متعددة وفي بعض
الفاظها زيادة ونقصان فعند الامام احمد والترمذي ايضا التي على الاقدام الى الجماعات بدل الجماعات وعندهما
ايضا بعد ذكر الكفارات زيادة وفي فعل الخيرات عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه
وفيه عندهما بعد ذكر الدرجات افشاء السلام بدل لين الكلام وفي بعض رواياته فعلم ما في السماوات والارض
ثم تلا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وفي لفظ ما بين المشرق والمغرب وفي بعضها زيادة في الدعاء
وهو وتوب علي وفي بعضها اسباغ الوضوء في كبسات وفي بعضها وقال ومن اذا صليت فقل اللهم اني اسئلك
فعل الخيرات ولعل اختلاف هذه الالفاظ بالزيادة والنقصان ان بعض رواته حفظها حفظ

نقل الاقدام الى الجماعات

وهذا هو عند الامام احمد والطبراني بمعناه من حديث ابي الدرداء وابي هالة الاشعري بلفظ رفوعا وفي اخره
يفزع الناس ولا يفزعون وعند الامام احمد ايضا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا ان المتحابين الله عز وجل
يجيئهم كالكوكب الطالع اكرمني واكرمني فيقال لهؤلاء فيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل قال ثابت
ولانه يذكر العبد اذا كان خالصا من القلب لله تعالى ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم باحسان احط
الناس في هذا المقام وبه استحقوا ولاية الله فانهم تحابوا وصلحت احوالهم وعلت كلمتهم وارضاهم فهندر ابي الدنيا
بسند صحيح عن يحيى بن سعيد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما اقبل الى الشام استقبله ابو عبيدة بن الجراح وخاضت به الماء
فالتزمه عمر وقبل يده وجعلا يبكيان وعند ابي الدنيا ايضا عن مهدي بن زياد الهدي قال قال الحسن بن صيفي التميمي
لقاذ الاخية مسلاة للهم وعند ابي داود وكان في وفد عبد قيس قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا
فنقبل يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله وقال ابن ابي الدنيا حدثني سويد بن سعيد ثنا سفيان الثوري عن علي بن زيد
قال قال ثابت لانس رضي الله عنه مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فناولني يدك فناوله يده فقبلها وعند
بسند صحيح عن عاصم بن بهدلة قال قدمت من سفر فدخل علي ابو وائل رضي الله عنه فقبل يدي وعند من طريق قيس
بن مغول عن طلحة بن مصرف قال دخلت على خيثمة فقبل يدي وقبلت يده وعند الضياء من الحسن البصري قال
المصافحة تزيد في المودة وعند عن الحسن عن ابي رجاء العطاردي رضي الله عنه قال قدمت المدينة فرأيت عمر يتخطى
يقبل راس ابي بكر رضي الله عنهما وعند عن الحسن انه كان له بيت اذا فتح بابه وهو اذ ذاك اعرابي فجاء اعرابي فصادفه
مفتوحا فدخل والحسن في المذهب فجاء الى شيء تحت سرير الحسن فاخرجه وجعل يأكل فنظر اليه الحسن وجعل يبكي
فقيل له ما يبكيك يا ابا سعيد فقال ذكرني هذا الخلاق وهم قد مضوا وعند عن معاوية بن قرة انه قال
نظر الى المودة والاخاء فلم يجد ابقت مودة من ذي اصل وعند من طريق عبد الرحمن بن صالح قال قال عمر بن عبد
العزيز قال الحسن تمثل بابيات في اخرها قوله

والمرء يصنع نفسه وحتى ما تبله ينزع الى العرق

وعند الضياء عن ابان بن تغلب قال ان اعرابيا من عباد البصرة قال لما اتيت البادية فاذا انا باعرابية
وهي توصي ابنا لها وهو تقول يا بني اوصيك واياه بوفقك اياك والنمام فانها تزرع الضغائن في صدور الرجال و
تفرق بين المحبين واياك والعيوب فحليق ان تتخذ غرضا واياك والغرض اذا اعتورتك السهام فلمته وهي
ما اشتد دينه واياك ان تجود بدينك وتبخل بالك فتحرى ان تجود بمالك وتبخل بدينك واذا هزرت
فهزكرما فانه يلين لمهزته ولا تهز اللئيم فانه صخرة لن تنفجر ماؤها الا بصدعها يا بني مثل نفسك مثالا
فما استحسنته لغيرك فاعمل به وما استقبحته لغيرك فاجتنبه فان المرء لا يرى عيب نفسه
واياك وكانت مودته بشره وخالق ذكره فعله فان الصديق في مثل حال الكريم في حال نصرها قال
ثم امسكت عنه ساعة فقلت لها يا اعرابية زيديه قالت واعجبك
كلام العرب قال قلت نعم قالت يا بني وابخل فانه اقمع فاتعامل به الاخوان بينهم
واياك وترك مكافاة الاخوان فان ترك مكافاة الاخوان في التطفيف ومن جمع
الكرم والحسنى فقد استجاد كله وقال ابو بكر بن ابي الدنيا حدثني محمد بن اسحق
السهمي حدثني بهلول بن عثمان بن زائدة عن ابيه قال كتب الاحنف
بن قيس سيد بني تميم مع رجل الى صديق له اما بعد فاذا اقدم عليك اخوك
حواف فليكن منك مكان سمعك وبصرك فان الاخ الموافق افضل من الولد
المخالف الا تسمع الى قول الله عز وجل لنوح عليه الصلاة والسلام في شان ابنه انه ليس من اهلك
يقول ليس من اهل ملتك فانظر الى هذا وابناهه فاجعلهم كنوزك وذخائرك في سفرك
وحضرك فانك ان تقل بهم يقل بوائك وان تباعد لهم لا تغن اباك عز وجل والسلام
وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اعتبروا الناس باخدانهم فان المرء على دين خليله

الباب الحادي والثلاثون

لما ذكر المصنف رحمه الله باب الخوف المقتضي للرجاء ذكر باب الخوف المقتضي للرجاء وقد ربط الله تعالى في كتابه ربطا عظيما في وصفه فقال اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وقال نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقال ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ولهذا تبع المصنف رحمه الله بالمحبة الخوف وذكر في هذه الآية الكريمة التي نبه الله بها رسوله واصحابه فكان ذلك منبها للمؤمنين بعدهم فقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه يعني ذلكم الذي ذكرناه لكم وهو قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم انما هو من فعل الشيطان الذي في افواههم ليرهبوكم ويجبنكم عنهم المعنى وقوله يخوف اولياءه اي يخوفكم اولياءه وذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود يخوفكم اولياءه وفي قراءة ابي بن كعب يخوفكم باوليائه يعني يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدي يعظم اولياءه في صدورهم ليخافوهم ثم قال فلا تخافوهم وخافوني في ترك امري ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بوعدي فاني تكفل لكم بالنصر والظفر على عدوكم وعدوي وذكر الاياه يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ومن اثر خوف الناس على خوف الله فقد دخل بابا من الشرك

روى الامام احمد في مسنده من طريق دراج ابي السمح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ورواه الترمذي وابن ماجه وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق دراج ايضا عن ابي سعيد به ورواه الحافظ الضياء في المختارة عن انس رضي الله عنه عن حميد عن انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا عمار المساجد هم اهل الله وكذا رواه البزار ورواه الحافظ الضياء في المختارة عن انس رضي الله عنه مرفوعا يقول الله عز وجل اني لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتي والمتحابين في والمستغفرين بالاسحار صرفت ذلك عنهم ورواه ابن عساكر وقال غريب وعند سعيد بن منصور والطبراني والبزار وحسنه عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المساجد بيوت المتقين وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط الى رضوان الله وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر يقول من وحد الله وامن باليوم الاخر يعني بما انزل الله واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله يقول لم يعبد الا الله ثم قال فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وكل عسى من الله في القرآن واجبة قاله ابن عباس وغيره ومن رزق الهداية فقد افلح ونجح والمعنى انما تستقيم عمارة المساجد لهؤلاء الجامعين لكمالات العلمية والعملية وفيه دليل على ان عمارة الظاهر لا تنفع بدون عمارة الباطن كما قال تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين فلم تنفعهم سقايتهم وعمارتهم المسجد الحرام مع شركهم وسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تنفع عندهم العمارة للبيت الحرام وحرمهم اياه سببا حيث فسدت بواطنهم بالشرك ومن تمام عمارتها بعد اقامة الصلوات فرشها بالاخلاص تنزيها بالسر والعلانية العبادة والذكر وسر العلم وصيانتها مما نهى عنه الحديث الصياح وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم في الآية لما علم ان الايمان بالله قرينة تمام الايمان وملزوماته وقوله واقام الصلاة واتى الزكاة عليه فان ذلك لا يعلم الا من جهته صلى الله عليه وسلم ولم يكتف بذكر الايمان حتى قال ولم يخش الا الله فاكد النفي بالاستثناء عطف الخشية على الايمان لان الخشية اس الايمان ولهذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهو من عطف الخاص على العام اهتماما وتخصيصا لمقام الخوف وحضا عليه وفي الحديث عن الحاذ حبلين لانكاد الانسان فائدة عزا فلهذا قال ولم يخش الا الله ثم قال فعسى اولئك ان يكون اولئك للمهتدين فذكرهم بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وثقتهم بحالهم وقطع بالقطع بانهم على ضلالهم مهتدين فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا بجمعهم وثروتهم فيتكلوا عليها

قال الزبير بن بكار في اخباره عن الوليد بن هشام قال سمعت اعرابيا وهو يقول اللهم ارزقني عملا اتخلص فيه وفوز العابد رحمي ثم ذكر النعيم طعاما فيما وعد وهو فاكهة وحور عين

هذا حاله لم يرض بكفره فلا يزال ساخطا للقضاء جازعا عند البلاء ولا يفيده ذلك شيئا ورواه ابو الدنيا من قوله
وان الله سبحانه وتعالى الى آخر الحديث من كلام ابن مسعود رضي الله عنه والبيهقي في شعب الايمان مرفوعا من حديث ابي سعيد
كما تقدم وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسماء بنت عميس زوجة ابي طالب رضي الله عنه
فعلم انه سبحانه ما من داء الا هو اعلم بدائه فلم تأخذه الله لومة لائم رضي الله عنه ورضي عليه الناس وهذا اثر في اهل ١٢٦
هذا المقام قوله سبحانه وتعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم
واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها الآيات ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله سبحانه عليه وسخط عليه الناس وقد
فضح الله تعالى من اهل هذا المقام فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه وقال في الآية
الاخرى يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وقد علمت ان اصل
الدين ورأسه بل ورسوخه على الصدق مع الله وفي الصحيحين في حديث تخلف كعب بن مالك رضي الله عنه يوم تبوك حيث قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت
اني سأخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن
الله ان يسخطك علي ولئن صدقتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله عز وجل وهاصل الكلام في هذا
المقام وقاعدته انه اذا لم يكن بد من اغضاب الناس او اغضاب الله تعالى ولم يمكن الكل مدارته عن منافرة الخلق و
منافرة الحق فاغضب الناس وجانبهم ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق لان الناس في جنب الله عليه وسلم ومتابعة امره
في جنوف اهل الجهل والمعاصي والرذائل اذا لم تجد مندوحة في ذلك واجب وذلك اذا لم يجمع مع صاحب ذلك المدارة
ولم يفض الا المداهنة في دين الله التي قد ذم الله ورسوله عليها والله اعلم والغضب والرضى في حق الله عز وجل هما من
صفات الذات ويحدث سبحانه عنها لخلقه العقوبة لمن عصاه والانعام لمن اطاعه والاكرام فقد علمت ان اصل
الدين ورأسه يدور على الصدق مع الله وطلب مرضاته وقد ذكر ابو القاسم القشيري عن البصراباذي انه قال
من اراد ان يبلغ محل الرضى فليلزم ما يرضي الله من امتثال اوامره واجتناب نواهيه فصل
وسنذكر قاعدة في الرضى من حيث الجملة ملموسة لحاجة الناس اليها من جملة الامور
الدينية وما يتعلق بذلك ليعرف المكلف ما يرضي الله سبحانه ويغضبه فيكون منه من ذلك في دينه على بصيرة من كلام
العلماء رحمهم الله تعالى فذكروا انه ثلاثة انواع احدها الرضى بفعل ما امر الله به وترك ما نهى عنه وتناول
هذا اما اباحه الله سبحانه من غير تعلق المحبوب كما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين وقال
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وقال
بذلك واجب وهذا ذم الله من تركه بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
والنوع الثاني الرضى بالمصائب كالفقر والمرض ونحو ذلك وهذا الرضى فيه مستحب في احد قولي العلماء رحمهم الله
تعالى وليس بواجب وقد قيل بوجوبه والصحيح عندهم ان الواجب في ذلك الصبر كما قال الحسن البصري الرضى عزيز
ولكن الصبر يعول المؤمن وفي الحديث المرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما ان استطعت ان تعمل بالرضى مع اليقين
فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا النوع الثالث الرضى بالكفر والفسوق و
العصيان فالذي عليه ائمة الدين من الصحابة والتابعين وائمة السلف اجمعين ان الرضى بذلك كفر ان الله سبحانه لا يرضى
كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقال ان الله لا يحب الفساد وقال فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين وقال في فعل ما يغضبه جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما وقال في ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وقال وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم وقال فلما اسفونا انتقمنا منهم فاذا كان سبحانه لا يرضى لاحد
ما يعلم بل يسخطه ذلك وهو يسخط على العالم ويغضب عليهم به ولا يشرع لعلو من ان يرضى ذلك ولا ان لا يسخط
ويغضب لما يسخط الله ويغضبه لاجل مخلوق قلت وقد فصل في هذا المقام فريق من الناس فرقوا بين
اهل الكلام المنتسبين الى السنة والجماعة في مناظرتهم القدرية فطنوا ان محبة الحق ورضاه وغضبه وسخطه يرجع الى
ارادته لانهم علموا انه يريد جميع الكائنات خلافا للقدرية وهو ايضا يحب لها ويريدها وحرفوا الكلم عن مواضعه
فقالوا معنى لا يحب الفساد يعني لا يريده لعباده المؤمنين ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريده
لعباده المؤمنين وقالت اهل السنة والجماعة وهذا غلط عظيم فان هذا يسوغ ان يقال ان الله لا يحب
ايمان عباده ولا يرضى لعباده الايمان اي لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين وقد اتفق اهل الاسلام
على ان ما امر الله به يكون مستحبا يحبه الله ثم قد يكون مع ذلك واجبا وقد يكون مستحبا ليس بواجب سواء فعل

او لم يفعل والفريق الثاني من المتصوفة والمتعبدة نظروا من هذه العين فشهدوا ان الله سبحانه رب الكائنات جميعها وعلموا ان قدرة العبد على كل شيء وشاءه وظنوا انهم لا يكونون راضين حتى يرضوا بكل ما قدر ويقضي من الكفر والفسوق والعصيان حتى قالوا الكون كله مراد المحبوب ولم يفرقوا بين الارادة الدينية والكونية واذن الكوني في الديني والامر الكوني والديني والبعث الكوني والديني والارسال الكوني والديني وهذا يوصل بهم الى ان لا يفرقوا بين المامور والمحظور واولياء الله واعدائه ويجعلون الذين اتقوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ويجعلون المتقين كالفجار ويجعلون المسلمين كالمجرمين فيعطلون الامر والنهي والوعد والوعيد والشرائع كلها وربما سموا هذا حقيقة الرضى وهو حقيقة كونية لا دينية لكن هذه الحقيقة الكونية قد وقع فيها عباد الاصنام كما قال سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون فالمشركون الذين يعبدون الاصنام كانوا يقرون بان الله خالق كل شيء وربه ومليكه فمن كان هذا منتهى تحقيقه كان كعباد الاصنام في هذا المقام وابطل مقام الخوف والرجاء بالكلية بل وعطل الامر والنهي والشرائع كلها والحق من ذلك فارق الكفر بالايمان ياس وسلا بتصديقهم فيما اخبروا وطاعتهم فيما امروا واتباع ما يرضي الله ويحبه دون ما يسخطه ويقدح من الكفر والفسوق والعصيان وكل مرض بما اصاب من المصايب لا بما فعله من المعايب فهو مما يؤجر عليه ويستغفر من المصايب بصبر وهو كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك فجمع بين طاعة الامر والصبر على المصايب كما قال وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال يوسف عليه السلام انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد تقدم قول البصراء وقد احسن في قوله من اراد ان يبلغ محل الرضى فليلزم ما جعل الله رضاه فيه وقال ابو سليمان الداراني اذا سلا العبد عن الشهوات وهو راض لانه اذا سلا عن شهوات نفسه رضي بما قسم الله له من الرزق وقال الفضل بن عياض ليس الخائف الراضي افضل من الزاهد في الدنيا الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقد روي عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر وقد سئل ابو عثمان الحيري النيسابوري عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اسئلك الرضى بعد القضاء فقال اذن الرضى بعد القضى هو الرضى فالرضى الحقيقي لا يكون الا بعد القضاء وما قبله وهو عزم على الرضى وقد يدوم وقد ينفسخ كما قيل لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بفسخ العزائم وقد قال تعالى ولقد تمنوا الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وقال يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وبيان هذا ان الرضى المحمود اما ان يكون الله يحبه ويرضاه واما الا يكون الله يحبه ويرضاه فان لم يكن يحبه ويرضاه لم يكن هذا الرضى مامورا به لا ايجابا ولا استحبابا من الرضى ما هو كفر كرضى الكفار بالشرك وقتل الانبياء وتبديلهم ورضا بما يسخط الله وكرهه قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فمن اتبع ما اسخط الله ورضي به فقد اسخط الله وفي الحديث الصحيح سيكون بعدكم امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع وقال تعالى خلقهم لم تصف اعنهم فالرضى برضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين رضا دينا ناعن القوم الفاسقين ليس مما يحبه الله ويرضاه وهو الرضى عنهم وقال ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة الاية فالرضى عن القوم الفاسقين والرضى بفعلهم رضى قد ذمه الله تعالى فمن رضي بكفر غيره وفسقه فقد كفر وفسق عن غير وبعاصي وبمعاصيه عن غيره فليس هو متبعا لرضى الله ولا هو مرضي لله بل هو مسخط لربه معاقب ان عليه دائما متوعد بالعقاب الى غاية هذا التعطيل لمقام الرسالة من الدعوة الى الله تعالى بتوحيده والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله تعالى في ذلك والرضى له فلا اعظم جرما في الاسلام من جعل هذا الرضى بما يسخط الله ورسوله وهذا هو الذي احتج القدرية بان الرضى بقضاء الله مامور به قالوا فلو كان ما يقضيه من المعاصي يقضاء الله وقدره كفانا مامورين بالرضى بها والرضى بها يمقته الله عنه لا يكون احد منا مامورا بالرضى بقضاء الله وقدره لكنا مامورين بالرضى بكل ما قضى وقدر ولم يجئ في الكتاب والسنة ولا باعة بان هذا العموم ليس بصحيح فلسنا مامورين ان نرضى بكل ما قضى وقدر ولم يجئ في الكتاب والسنة امر بذلك ولكن علينا ان نرضى بما امر بالرضى به كطاعة الله ورسوله الجواب الثاني انهم قالوا انما الرضى بالقضاء الذي هو صفة الله سبحانه او فعله لا بالمقضي الذي هو مفعول له وقوى هذا الوجه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في موضع وضعفه في موضع اخر الجواب الثالث انهم قالوا ان هذه المعاصي لها وجهان وجه الى العبد من حيث فعله وكسبه ووجه الى الرب تبارك وتعالى من حيث هو الذي خلقها وقضاها وقدرها فترضى به من الوجه الذي يضاف به الى الله سبحانه ولا ترضى به من الوجه

من الوجه الذي يضاف به الى الله سبحانه ولا يرضى به من الوجه الذي يضاف به الى العبد اذ كونها شرا وقبيحا ومحرما وسببا للعذاب والذم ونحو هذا وذلك انما هو من جهة كونها مضافة الى العبد وهذا مقام فيه من كشف الحقايق والاسرار ما لا يعلمه الا الى الالباب وهو متعلق بمسايل الصفات والقدر وهي من اعظم مطالب الدين واشرف علوم الاولين والاخرين وادق بها عقول اكثر العالمين والمقصود ان الرضى الذي هو من طريق الله سبحانه لا يتضمن ترك واجب ولا ترك مستحب ولا يترك فعل مكروه والمحبوب فوق ان الرضى بكل ما يكون اذ المحبوب الله ورضاه وانه من اعظم طرق اولياء الله فجعلوا الرضى بكل حادث وكاين او بكل ما يكون فيه العبد طريقا الى الله سبحانه فضلوا بذلك ضلالا بعيدا وعطلوا بذلك الامر والنهي وجميع الشرايع وجعلوا المسلمين كالملحدين والمتقين كالفجار والطريق الى الله سبحانه انما هو ان ترضيه بان تفعل ما يحبه ويرضاه وليس الرضى ان ترضى بكل ما يحدث ويكون فان الله سبحانه لم يامرك بذلك ولا رضيه لك ولا احبه بل هو سبحانه يكره ويسخط ويحب ويرضى ويعافي ويعاقب فاذا كنت تحب وترضى ما يكرهه الله ويسخطه كنت بذلك عدوه لا وليه وكان كل ذم نال من رضى ما سخط الله قد نالك فتدبر هذا فانه تنبيه على اصل عظيم ظل فيه من طوايف الناس والعباد والعامة ما لا يحصيهم عد الا الله سبحانه وقد قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى لمن يخاطب انه عند الطاعة قدري وعند المعصية حروري اي اي مذهب وافق هواك تمذهبت به وانما المشروع ان تستعين الله سبحانه على الطاعة قبل الفعل وتشكره عليها بعد الفعل وتجتهد الا تعصيه فان ادنبت بادرت بالتوبة والاستغفار فالطريق الى الله سبحانه اتباع امره والسلف انما يحثون على الامر بطاعة الله والنهي عن معصيته في امر الله سبحانه ومدح الرضى الذي يذكره الله ورسوله ويذم عنه وبعاقب اصحابه فهو عدو الله لا ولي الله وهو حينئذ قد ضل عن سبيل الله وطريقه فليس يسلك لطريقه وسبيله واذا كان الرضى الموجود في بني ادم منه ما يحبه الله ومنه ما يكرهه ويسخطه ومنه ما هو مباح لا من هذا ولا من هذا فهكذا اساير اعمال القلوب من الحب والبغض وغير ذلك كلها تنقسم الى محبوب لله سبحانه ومكروه له ومباح والمباح المستوي الطرفين لا ينافي الرضى المحمود اذ ليس من شرط الرضى ان لا يكون ولا يشرب ولا يلبس ولا ينكح ولا يفعل امثال هذه الامور فاذا كان ما يفعله من هذه الامور لا ينافي الرضى دل على ان فعل المباح لا يخرج عن رضاء سبحانه ولا ينافيه لاباحته اياه لعباده قال القشيري رحمه الله اعلم ان الواجب على العبد ان يرضى بقضاء الله الذي امر بالرضى به اذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد او يجب على العبد الرضى به كالمعاصي فقد تبين غلط هؤلاء من جهة ظنهم ان الرضى مشروع بكل مقدور وكذا من جهة انهم لم يميزوا بين الدعا المشروع ايجابا او استحبابا والدعا غير المشروع وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان طلب الجنة من الله والاستعاذة به من النار هو من اعظم الادعية المشروعة لكل احد من المرسلين والنبيين وجميع الصديقين والشهداء والصالحين وذلك لا يخرج عن كونه واجبا او مستحبا اذ ما سوى ذلك مما هو محرم او مكروه او مباح لا منفعة فيه في الدين فاذا قال قايل لا يطلب حصول الثواب الذي هو الجنة ولا دفع العقاب الذي هو النار من الله تعالى لحقيقة هذا القايل انه لا يفعل ما امر به ولا يترك ما نهى عنه بل يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء بكل حال ما يفعله ربي وان كفرت وفسقت وعصيت بل يقول انا اكفر وافسق واعصي حتى يعاقبني ويرضى بعقابه فانا ارجو الرضى بقضائه وقايل هذا من اجهل الخلق واضلهم بل واكفرهم اذ طلب رضى الله انما يكون مع الصدق مع الله وطلب مرضاته فلهذا لما بعث معاوية رضي الله عنه الى ام المؤمنين عايشة رضي الله عنها بعد ما استخلف ابنه يزيد رضي الله عنه يطلب منها الموعظة بعثت اليه هذا الكتيب المتقدم الشريف الجامع وهو هذا من فقهها بعلم ان هذا امر انفع ما يكون من موعظة لمن ولاه الله امر المسلمين اذا عمل فكان رضي الله عنه يعرض على نفسه ويستعين به على تنفيذ اوامره ورسوله طلبا لرضا مولاه المطلوب منه تحصيله وما كان احوجه رضي الله عنه الى هذه الوصية فانه كانت قد فضلت حلم نفسه اخلاق الناس فحسنت عليه رضي الله عنها ان يسبي حلمه على مسامحة فيما لا يجوز المسامحة فيه فما ابهت منه غافلا ولا ذكرت ساهيا ولقد ساد رضي الله عنه وسادا لناس حتى وجد الناس فقدا ولم يجد امثله بعده فاياك ان تسمع فيه قول المورخين فانهم عن لحق فيه جاهلا بدينه فانه كان الوحي كيف وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كما رواه الترمذي وغيره من اهل السنة اللهم اهده هاديا مهديا رضي الله عنه وارضه رواه ابن حبان في صحيحه وقد روي من غير وجه ورواه الترمذي وحسنه وابو نعيم في الحلية عن عايشة ايضا ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن اسخط الناس برضى الله كفاه الله مؤنة الناس وعند ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فكان فيما قال الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول الحق اذا علمه قال فبكى ابو سعيد وقال قد والله رأينا أشياء فهبنا

باب التوكل واليقين

ما جاء في قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما ذكر المصنف فيه

الخوف عقبه بالتوكل اذ لا بد لمن خاف ان يلجأ اليه فاستفتح الباب بقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فقدم الجار والمجرور اهتماما للامر وحصر التوكل على الله ثم عقبه بان الشرط قبل ان التوكل شرط من شروط الايمان وقيل روى عبد الله بن الامام احمد بسنده عن سعيد بن جبير قال التوكل على الله جماع الايمان ودل ايضا انه سبحانه فرد كما قال تعالى اتراه الاجزء ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى اليس الله بكاف عبده ويحيى فونك بالذين من دونه وهو ع اضافة خاصة للمطيع وقد علم من قواعد الشرع من الكتاب والسنة ان التوكل لا ينافي فعل الاسباب قال تعالى اعبده وتوكل عليه وقال ايا ك نعبد وايا ك نستعين وفي الحديث المرفوع لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وترجع بطانا فغدوها من فعل السبب قال امام الطائفة عبد القادر الجيلاني في غنيته واما حكمه بالظاهر الذي هو الكسب بالسبب فلا ينافي توكل القلب بعد ما يتحقق العبد في قلبه ان التقدير من قبل الله تعالى ان محل التوكل القلب وهو تحقيق الايمان فان تعسر شيء او تيسر فبتقدير الله تعالى فحينئذ يكون ظاهره متحركا بالسبب باطره تعالى وباطنه ساكنا لوعد الله عز وجل وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وزادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا قوله تعالى انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت منه فتركوا ما نهى عنه وامتثلوا ما امر به لكن الوجل المؤمن من هذه صفته وسئل الحسن البصري يا مؤمن انت قال الايمان ايمانان ان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا فوالله لا ادري انا منهم ام لا وفي رواية للطبراني بسنده المتصل عن حارثة بن مالك الانصاري انه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمأت نهاري وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يصطرخون وفي رواية يتضاغون فيها فقال يا حارثة عرفت فالزم ثلاثا وقد رواه من وجه اخر مرسلا وهذا حديث مشهور بلقمة العلماء بالقبول وقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لتذكر استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيقال له اتق الله فينزع عما هو فيه من عقابه وقرئ بالفتح وهو لغة فيه فزعت اي خافت وقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به ايمانا باطمئنان النفس وربما يتوهم البقعة بمقتضى ظاهر الآية كقوله تعالى عن ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالايمان دائر بين اعمال القلوب كالتوحيد والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح كما هو مذهب اهل السنة والجماعة وهو يزيد وينقص كما هو معلوم من هذه الآية الكريمة وقال ابو محمد بن حزم قال اهل اللغة الايمان اسم واقع على ثلاثة معان احدها العقد بالقلب والاخر النطق باللسان فقط والثالث عمل جميع الطاعات فرضها ونفلها واجتناب المحرمات وقالت طائفة الايمان واقع على معنيين احدهما العقد بالقلب والنطق باللسان فقط وان اعمال الطاعات واجتناب المحرمات انما هي شرائع الايمان وليست ايمانا وهذه المقالة وان كانت فاسدة فصاحبها لا يكفر وقالت طائفة ثالثة ايمان قوم خرجها الى الكفر صنفان احدهما جهم بن صفوان ومن قلده فانهم قالوا الايمان هو التصديق بالقلب فقط وان عمل بالكفر وجحد النبوة وقال بالتثليث وعبد الصليب وذار اسلام من غير تقية والاخر محمد بن كرام واتباعه فانهم قالوا الايمان هو التصديق باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه فلزم الطائفة الاولى ان ابليس مؤمن وان اليهود والنصارى الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنون اولياء لله من اهل الجنة لان كل هؤلاء عرفوا الله تعالى بقلوبهم ولزم الطائفة الثانية ان لسانا فقيه الذين شهد الله جل وعز بانهم من اهل النار مؤمنون اولياء لله تعالى من اهل الجنة وهذا كفر محض مجرد وكلا القولين خرق للاجماع ومخالفة لاهل الاسلام وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الايمان والاسلام وعمومهما وخصوصهما وان الايمان يزيد وينقص ام لا وان الايمان من الاعمال ام لا فقالوا فاما الزهري فقال الاسلام الكلمة والايمان العمل واحتج بقوله

قالت

وكتب في ذلك الى بعض عماله في ذلك وانه كتب اليه

قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وذهب غيره الى ان الاسلام والايمان
شيء واحد محتجا بقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فدل بذلك
على ان المسلمين هم المؤمنون وقد يأتي الاسلام على الايمان قال ابو سليمان الخطابي وقد تكلم في
هذا الباب رجلان من كبراء اهل العلم وصار كل واحد منهما الى معنى من هاتين المقالتين ورد الآخر منهما على المقدم في
صنف عليه كتابا يبلغ عددا وراقه الملايين قال والصحيح من ذلك ان تقييد الكلام في هذا ولا يطلق على احد
الوجهين دون الآخر لان العلم قد يكون معنى في بعض الاحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها وعلى الجملة من سلم في جميع الاحوال
فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا فاذا حملت الامر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدال القول فيها
ولم يختلف شيء من معانيها وفي اصل الايمان التصديق مع نية وعزيمة واصل الاسلام الاستسلام والانقياد حتى
قد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادق الباطن غير مستقيم في الظاهر وقال ايضا
في قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة وفي هذا بيان ان الايمان اسم لمعنى ذي شعب واجزاء لها
اعلا وادنى فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ولحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة اجزائها كالصلاة
الشرعية لها شعب واجزاء والاسم يتعلق ببعضها ولحقيقة تقتضي جميع اجزائها وتستوفي بها ويدل على
صحة ذلك قوله ولكل واحد من هذه الشعب حد من الايمان وفي هذا الباب التفاضل في الايمان وتباينهم فيه في درجاتهم والمعنى
ان كل واحد يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها فصار بذلك من الايمان اذ الايمان مجموع ينقسم الى ايمان لما امر الله
به وانتهاء عما نهى الله عنه وهذا اصل في جميع الآيات والاحاديث الواردة في الايمان وقال محيي
السنة الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله في سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام عن الاسلام والايمان و
الاحسان وجوابه جعل النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام اسما لما ظهر من الاعمال والايمان اسما لما بطن من الاعتقاد
وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان او التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك تفصيل لجمل هي كلها
شيء واحد وجماع امر الدين وهذا قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناوله اسم الايمان
والاسلام جميعا قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا ولا يكون في محل الرضى والقبول
الا بانضمام التصديق الى العمل وقد حكى النووي عن ذلك الاجماع وقال ابن بطال مذهب
جماعة اهل السنة من سلف الامة وخلفها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وبحجة على ذلك ما اورده البخاري
رحمه الله من الآيات فايمان من لم تحصل له الزيادة ناقص قل ببعث الله تعالى بنبيا قط الا دعى قومه الى القول
والعمل وامرهم بالقول والعمل اللهم ادم عليه الصلاة والسلام لما قدم صح انه حج البيت وصلى عنده ولما ذكر
سيدنا خليل الله عليه السلام قال واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكان لنا عابدين
قال ابو بكر الاشعري رحمه الله ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم جرا يصفونه ويصلونه قال
تعالى ومن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال في اسمعيل عليه السلام وكان
يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا قال وما ذكرت احدا من اصحابنا من اهل
العلم مثل علي بن المديني وسليمان بن حرب والحميدي وغيرهم الا يقولون الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وهذا
روي عن عمر بن حبيب وكان من اصحاب الشيخ وحكاه الالكائي في كتاب السير عن ربيعي وسعيد بن
عبد العزيز وشريك وابي ثور وابن عيينة واحمد بن حنبل والشافعي واحد من اصحابنا من اهل
الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي لم يختلف احد من المتقدمين من الصحابة والتابعين والسلف
الماضين في ان الايمان والعلم يزيد وينقص حتى نشأت المبتدعة من القدرية وغيرهم فتكلموا بالفاظ
الاوائل من غير فهم وجوهر وعامل ومحمول وخاض في ان الجوهر الفرد لا يتعدد وان الجوهر الفرد لا يتعدد وركبوا
عليه ادلة التوحيد قال وهذا وان كان بعضه الى تحقيق ولكنه خرج عن سيرة السلف وقد عنى الله
في كتابه بما وضع مما دلته من الزيادة والنقصان وان كنا نقول ان العرض لا يقوم بنفسه وانه لا يتحد
وان الجوهر الفرد لا يتعدد وحكينا بان الايمان والعلم والاعتقاد اعراض فقد اغنانا الله عن ذلك بكتابه
العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال ابن كثير الايمان كلمة جامعة
للايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه وتصديق الاقرار بالفعل قال فاما الايمان في اللغة فيطلق على
التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكما

قال اضة يوسف لابيهم وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكذلك اذا استعمل مقرونا مع الاعمال كقوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاما اذا استعمل مطلقا فالايمان الشرعي المطلوب لا يكون الا اعتقادا
وقولا وعملا قال وقد حكاه الامام الشافعي والامام احمد وابو عبيد وغيرهم واحد اجماعا ان الايمان
قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص قال شيخ الاسلام ابو العباس بن تيمية لفظ
الايمان اه اذا فرد دخلت فيه الاعمال الباطنة والظاهرة ولهذا فسر الايمان قول وعمل اي قول القلب واللسان وعمل
القلب والجوارح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان كما في حديث ابي هريرة عند مسلم واهل السنن ومنه قوله انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية قال
والايمان المطلق يدخل فيه الاسلام كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس آمركم بالايمان
بالله اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وان تؤدوا
خمسا من المغنم ولهذا قال من قال من السلف كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قال واما اذا اقترن
لفظ الايمان بالعمل او بالاسلام فانه يفرق بينهما كما في قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وكما في حديث جبريل
عليه الصلاة والسلام ففرق في هذا النص بين الاسلام والايمان وفي ذلك النص ادخل الاسلام في الايمان لما
افرده بالذكر وكذلك لفظ العمل فان الاسلام هو العمل والعمل الظاهر هو موجب ايمان القلب ومقتضاه فاذا
ايمان القلب حصل ايمان الجوارح ضرورة فان ايمان القلب لابد فيه من تصديق القلب وانقياده والا فلو
صدق قلبه بان محمدا رسول الله وهو يبغضه ويحسده ويستكبر عن متابعته لم يكن قد آمن قلبه بانه رسول الله وفي
الايمان الذي يتضمن التصديق فليس هو مرادا فلا يقال لكل مصدق بشيء انه هدى من به قال تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين ففرق بين ايمانه بالله تعالى وايمانه للمؤمنين لان المراد بتصديق المؤمنين اذا اخبروه بخبر وفي
اما ايمانه بالله فهو من باب الاقرار بربوبيته وفي اعني وفي عون وملائكته ومن البشر من مثلنا اي نقر لهما ونصدقهما
ومن المعنى الاخر قوله تعالى يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة الاية وقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
امن بالله وملائكته وكتبه الاية وقال وكفر بالله من امن بالله واليوم الاخر الاية اي اقر بذلك فلا بد في ذلك من عمل
القلب بموجب تصديقه فاذا كان عالما بان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله ولم يقر به ويعترف بحبه وتعظيمه بل يبغضه
ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس هو من بل هو كافر به وهذا كفر فرعون وابليس واهل الكتاب الذين يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فان ابليس لم يكذب حسدا ومخبرا استكبر عن امره وعانده وقد قال تعالى في فرعون وقومه وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فمجرد علم القلب بالحق اذا لم يقترن به علم القلب بموجبه مثل محبة القلب له و
اتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه علمه وفي دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم
اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع فان من المعلوم ان الانسان يكون عالما بالحق
ويبغضه فالايمان قول وعمل قلت وقد جعل الله مجرد العلم في حق الكفار موجبا للعذاب فقال
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا بحيث انه يدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم بما يجب عليهم من عبادة ربه
حتى يستقر عندهم ذلك بالمعجزات التي يستيقنون انها لا تدركها البشر فاذا اقام الله عليهم الحجة بهذا العلم الذي دعاهم اليه
رسوله وابى اتباعه والانقياد له سلط عليهم ما استحقوا الخلود في النار بقيام هذه الحجة عليهم ولهذا لم يبعث الله رسولا
الا ومعه معجزات تدل على نبوته ظاهرة باهرة لا يكذب بها الا مكابر معاند ولهذا تقول خزنة جهنم مجاوبة لاهل
النار وهم يعذبونه فيها ما ذكر الله عنهم في قوله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ثم اخبر عن قطع
معذرتهم فقال انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال في اقامة الحجة عليهم بالرسل عما اصلاكم في الدنيا واما الهدى فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون قال شيخ الاسلام ابو العباس قدس الله روحه ونور ضريحه
فاذا تحقق القلب بالتصديق بالحجة التامة المتضمنة للارادة لزم وجود الافعال الظاهرة الا لعدم القدرة او لمعارض
وان كان عالما ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحب فلم تكن محبته لله بل لاغراض اخر واذا احب ظاهرا وعلما

يحصل ايمانه

يحصل له بذلك من الشرف والرياسة فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى الاقرار بها زوال دينه فكان دينه
احب اليه من ان احنيه فلم يقرها فلو كان يحبه لاجل رسول الله كما بكى الذي قال الله فيه كما تحب ولكن الله يهدي من يشاء
ولسوف يرضى لانتهى وهذا مما يحقق ان الايمان والتوحيد لا بد فيهما من عمل القلب فمحبة القلب فلا بد منها اخلاص
الدين والدين لا يكون دينا الا بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة قال الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن ابرهيم
الفزاري الشافعي رحمه الله تعالى ودعوى كونه الايمان عبارة عن مجرد اعتقاد القلب باطلة قطعا باعتقاد من لم يشك
في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب الذين قال الله فيهم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الآية
وكذلك من لم يشك في صدق من شرح الله صدره للاسلام من مشركي مكة كالوليد بن المغيرة وابي جهل الذين نزل فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون وقال والدعوى بان الاقرار شرط لقبول الايمان لا جزء شرط منه باطلة باقرار
ابي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن متمما في اقراره ولم يكن بمنزلة المنافقين المتادعين قال والايصح التعلق
بحديث جبريل عليه السلام الذي فرق فيه بين الايمان والاسلام لان التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله و
اليوم الآخر والقضاء خيره وشره كما في الحديث انما خص بهذا بيان الايمان لانه اعظم شرط الايمان لان الانقياد
باركان الاسلام عمل مقتضاه فهو اساس واصل وهي تتمة وفرع فلا يتم الا بها ولا تقوم الا بها قال وتقرير
ذلك ان الايمان ماخوذ من الامن والامن طمانينة والمصدق مطمئن الى من علم صدقه ومن اطمان الى شيء سكن اليه
اذ لا طمانينة مع الاقرار والاقرار في الجملة فرع التصديق والفرع لا يكون شرطا لاصله لان الشرط ما كان
سابقا في الوجود على المشروط او الاصح تعليق حكم على شرط قبل وجوده في صوره من الصور وذلك محال ولان
اشتراط التعلق التصديق للاقرار بما في الحديث ثابت بالاتفاق ولا يصح شيء من اركان الاسلام بغير تصديق
من احد من المسلمين فلو ثبت كون الاقرار شرطا لقبول التصديق وتصحيحه للزم المحال من الوقوف كل
واحد منهما على وجود الاخر قبله لكونه شرطا له قال وهذا الاخير فاسد على اي نظر ولا قاصر تعلم
ان الايمان عبارة عن المجموع في الحقيقة وان كل واحد منهما من التصديق بالقلب والانقياد جزء لا يتم الايمان
الا به كما عرض التنزل بذلك في قول واحد حيثما كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
قال ولا يقال كان لوط واهله مسلمين غير مؤمنين وانما قال ذلك لان الايمان عبارة عن المجموع فمن كان
مؤمنا كان مسلما ومن لم يصح ايمانه لم يصح اسلامه قال وكذلك شرط الحكم للايمان اذا كان بقوله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وفي الآية الاخرى فاخوانكم في الدين وكشف حقيقة ان الايمان
لما كان عبارة عن الطمانينة والاقرار وسائر النوعين الاركان وكان لا يعلمها الا الله تعالى من لم يأت بها ولا يحتمل
ان يبلغ الايمان من عداه من اهل الاتيان بها كان المجموع عن الايمان وحقيقته ولا يمتنع اصل الشيء المجموع باسم كله
وبعضه والبعض باسم خاص ويكون تسمية الاصل باسم الكل مجازا كما سمى الله سبحانه بقية حروف الايمان اسلاما بقوله لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ان الذي يحق والايمان الذي يسلم اسلاما ولما يدخل الايمان الكامل معرفا انتهى به فسر قوله لم تؤمنوا
بذلك لنفي ايمانهم بانتفاء كمالي ايمان المشركين بدون اقامة الصلاة وايتاء الزكاة قال وهذا ظاهر جلي و
سائر ما بين زيادة التصديق ونقصانه بتفاوت الطمانينة لحاصله فيما يقتضيه العقل بتحقيق النظر في
حال المؤمنين وما شهدت به نصوص القرآن من حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام اما العقل فكل عاقل يعلم
ان في المؤمنين من يحمله ايمانه على بذل نفسه في مرضات الله على انه تعجم المهالك مستعدا بالهائه كل موطن يغلب على
ظنه انه محل لرضى الله سبحانه وقيام من تحجم عن ذلك الا في موطن الرخص وهو مع ذلك لا يشك في الدين ولا يتردد في
التصديق ولا ريب ان اخبار التواتر تفيد اليقين والمعاينة اشد تاثيرا ولما اخبر الله سبحانه كليمه عليه السلام ان
قومه اتخذوا العجل لم يرم فيه سبحانه من الغضب ما رمى به المعاينة حين ألقى الالواح من يده فكسرت ولا يجوز
ان يقال ان موسى عليه السلام كان شاكا في اخبار الله بذلك وكذلك ابرهيم عليه السلام حيث قال رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فتبين انه مؤمن ولا ينفي ذلك وجوب الطمانينة منه
زيادة اليقين رؤية احياء الموتى ولا ينفع ان يقال ان ابرهيم عليه الصلاة والسلام كان مؤمنا بغير يقين
فسأل صورة اليقين ليطمئن بنفي الشك ولان الايمان بالنظر لا يصح قال تعالى واما الذين كفروا افلم تكن آياتي
تتلى عليكم الى قوله مستيقنين الآية فعلى السلام طلب زيادة يقين توجب طمانينة قلبه فتبين بهذا كله بقوله
سمعت الاسلام بن تيمية وغيره من سادة العلماء رحمهم الله تعالى من اهل السنة والجماعة ان الدين لا يكون دينا

الا بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة وقد انزل الله على رسوله سورتي الاخلاص احدهما في توحيد القول والعمل
والثانية في توحيد العمل والارادة فقال قل هو الله احد السورة فامره ان يقول هذا التوحيد وقال في الثانية
قل يا ايها الكافرون السورة فامره ان يقول ما يوجب البراءة من عبادة غير الله سبحانه واخلاص العبادة لله
والعبادة اصلها القصد والارادة واذا اقرنت العبادة دخل فيها التوكل ونحوه واذا اقرنت بالتوكل صار التوكل
قسيما لها كما ذكرنا في لفظ الايمان والاسلام قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فهذا
ونحوه يدخل فيه فعل المامورات وترك المحظورات والتوكل من ذلك قال في موضع اخر اياك نعبد واياك نستعين
وقال فاعبده وتوكل عليه ومثل هذا في القرآن كثير فان الانسان قد يقصد بسؤال الله وحده والتوكل عليه كثير
في امور لا يجريها الله وهذا وان كان مخلصا في سؤاله وتوكله فليس هو مخلصا في عبادته وطاعته وطائفة يقصدون
طاعة الله ورسوله لكن لا يحققون التوكل والاستعانة فاولا قد ينالون به على عدوهم وطاعتهم لكنهم مخذولون
فيما يقصدون اذا لم يحققوا الاستعانة بالله والتوكل عليه ولهذا يبتلى الواحد منهم اولا بالضعف والخوف تارة و
بالاعجاب اخرى فاذا لم يحصل مراده من الخير كان لضعفه ورعاجصل له ضرر واما من يقصد عبادة الله ابتداء
هو يعلم ان ذلك لا يحصل الا باعانة الله والتوكل عليه وذلك في قوله اياك نعبد واياك نستعين وقال ابن
بطال في شرح البخاري في باب من قال الايمان هو العمل فانه قيل قد قدمتم ان الايمان هو التصديق وقيل التصديق
هو اول منازل الايمان وهو يوجب التصديق الدخول فيه ولا يوجب استكمال منازله ولا يسمى مؤمنا مطلقا هذا
مذهب جماعة اهل السنة بان الايمان قول وعمل قال ابو عبيد وهو قول مالك والثوري والاوزاعي
ومن بعدهم من ارباب اهل العلم والسنة الذين كانوا من مصابيح الهدى وائمة الدين من اهل الحجاز والعراق
والشام وغيرهم قال بطال وهذا هو الذي اراد البخاري رحمه الله اثباته في كتاب الايمان وعليه
بوب ابوابه كما تقدم التنبيه عليه يعني على الاعمال وانما اراد الرد على المرجئة في قولهم ان الايمان قول بلا عمل
وسنبين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم الكتاب والسنة ومذاهب الائمة قال ومن
اقوى ما يرد به عليهم اجماع الامة على اكفار المنافقين وان كانوا قد اظهروا الشهادتين قال الله تعالى ولا تصل على
احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله الى قوله وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال ابن
عمر حرب الصلح في قول صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا والايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وتؤمن بالقدر خيره وشره قال هذا بيان لاصل الايمان والتصديق الباطن وبيان لاصل الاسلام وهو الاستسلام
والانقياد الظاهر وحكم الاسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليها الصلاة والزكاة والصوم والحج
لكونها اظهر شعائر الاسلام ولحفظها وقيامها بهم يتم استسلام المرء وبتركه لها يشعر بخلال قيد انقياده و
اختلاله ثم ان اسم الايمان يتناول ما فسره الاسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن
الذي هو اصل الايمان ومقوياته ومتمماته وحافظاته ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث وفد
عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان واعطاء الخمس من المغنم ولهذا الفعل اسم الفعل من
حيث المطلق على مركب كبير او ترك فرضة لان اسم الشيء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص
ظاهر الا بقيد فيقال مؤمن ناقص الايمان او في ايمانه فاسق بكبيرته فالبعض الاسم المطلق ولا يسلب
مطلق الاسم ولذلك جاز اطلاق نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لا يسرق السارق حين يسرق وهم منه احديث
واسم الاسلام يتناول ايضا ما هو اصل الايمان وهو التصديق الباطن ويتناول اصل الطاعات فان ذلك
كله استسلام قال فخرج مما ذكرناه وحققناه ان الايمان والاسلام يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن هو مسلم
وليس كل مسلم مؤمنا فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في
الايمان والاسلام التي ظن من غلط فيها المخالفة وما حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من
اهل الحديث وغيرهم انتهى فاذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف وائمة الخلف المتظاهرة المتطابقة
على كون الايمان يزيد وينقص وعلمت ان مذهب السلف من المحدثين والفقهاء الراسخين كما قال يعقوب
بن سفيان ادركت اهل السنة والجماعة على ذلك بمكة والمدينة والبصرة والشام والكوفة فوجدت جملة من الفقهاء و

واما نحن

المحدثين

المحدثين من مشايخ البخاري وطبقته وقال سهل بن المتوكل ادركت الف استاذ كلهم يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقال ابو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن زيد المعروف برسته لا اعلم احدا ممن وقفت على بعض كتبه يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص وعلم اصل الايمان والاسلام وما قال السلف في ذلك فالبعض يقول من قال ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الاعمال بزيادتها ونقصانها وجعل هذه الاقوال تتقابل بين ظواهر النصوص واقاويل السلف بين اصل وضع الايمان في اللغة وما عليه المتكلمون وعزاه الى المحققين وخرق به الاجماع وغير ذلك من التوفيق والتحقيق فاعلم ان لزم بحثه هذا عن قول اهل الاهوى والبدع فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا تتزلزل ايمانهم بعارض بل لا تزال قلوبهم مستبشرة بربها وان اختلفت عليهم الاحوال بل يزداد ايمانهم عند الامتحان وتقوى قلوبهم بطلب مرضاة الله تعالى على ما اصابهم كما قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وقال عن خليله ابراهيم عليه السلام ربي ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ولا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساوي تصديق احاد الناس وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم ورضاهم وجعلنا ممن يتبعهم ويحبهم والاهم هو آثاره من عبادة بدنهم كعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما فلم يفضلوا عليه بذلك فتامل ذلك يظهر لك الحق وطريق السلف واما اطلاق اسم الايمان على الاعمال مختلف عليه عند اهل الحق ودلائله من الكتاب والسنة اكثر من ان تحصر واشهر من ان تشتهر قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم فانهم قد اجمعوا على ان المراد صلاتكم كما ذكرت ولك في الجواب بالطرف على ان القبلة لم تنسخ ما نبه عن الامام احمد رضي الله عنه وايراد الاجماع على ذلك وقد قال ابن الجوزي في تلبيس ابليس وقد زعم ارباب الكلام ان الايمان المعرفة ما يتبعه وهو ان على الخطأ لان الرسول صلى الله عليه وسلم امر بالايمان ولم يامر ببحث المتكلمين ودرج الصحابة رضي الله عنهم الذين شهد لهم الشارع بانهم خير الناس على ذلك وقد رد هذا الكلام كما اشرنا اليه اول هذا الشرح ومن نحو قول ابن الجوزي عن النووي وغيره من علماء السنة قال الامام الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري ومن اعتقد الايمان بقلبه ونطق به بلسانه فقد وفق سواء استدل او لم يستدل هو مؤمن عند الله تعالى وعند المسلمين قال تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقال فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة حيث وجدتموهم الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ولم يشترط جل ثناؤه في ذلك استدلالا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله عز وجل الى ان توفاه يقاتل الناس حتى يقروا بالاسلام ويلتزموه ولم يكلفهم قط استدلالا ولا استفهم هل استدلوا ام لا وعلى هذا درج جميع اهل الاسلام الى اليوم وبالله التوفيق هذا كلامه رحمه الله وقد ذكرنا منه طرفا في هذا الشرح وهذا ما وعدنا بايراده على الايمان والله تعالى الموفق للهداية وقوله تعالى الخ حسبك الله ومن تبعك من المؤمنين الخ حسبك وحسب من اتبعك الله فهو وعد كافهم قال شيخ الاسلام ابن تيمية فمن الله روحه ومن ظن ان معناها حسبك الله والمؤمنون فقد غلط غلطا عظيما فاخبرهم سبحانه انه كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وان كثرت اعدادهم وتراوفت امدادهم ولو قل عدد المؤمنين كما قال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي ذلك قول الشاعر

اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا ... فحسبك والضحاك سيف مهند

وتقول حسبك وزيدا درهم والمعنى فحسبك والضحاك عندهم سيف مهند فقصد المصاحبة فنصب الضحاك والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا قالوا ولذلك ان لما كان حسب مصدرا واضيف لم يحسن العطف عليه الا باعادة الجار ويندر بعده وبدل على هذا قوله تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فجعل الايتاء لله والرسول كما قال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالكمال ما جعله الرسول والحرام ما حرمه الرسول والدين ما شرعه الرسول وجعل التحسب بالله وحده فقال وقالوا حسبنا الله ولم يقل ورسوله ثم قال تعالى سيؤتينا الله من فضله ورسوله فجعل الفضل لله وذكر الرسول في الايتاء لان الايتاء اما ايتاء الرسول وليس لاحد

ابو الهيثم الرازي اصل من حال الشيء اذا تحرك يقول لا حركة ولا استطاعة الا بالله وقد ذكرنا تفسيرها في حديث ابن مسعود
لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله بعونه قال الخطابي هذا احسن ما جاء في وقال
شيخ الاسلام ابن تيمية لا حول من حال اي زال ولا قدرة على ذلك الا بالله وهذا جمع وشمول وروى ابن ابي الدنيا ١٤١
عن ابي العالية انه قال الا تتكل على غير الله فتكلك الله اليه وقد تقدم جعل التوكل في كلام عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه دافعا للطيرة الواردة على الانسان والله الموفق للهداية وفي رجاء القرآن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل معناه اي كافينا وجملة حسبنا خبر مقدم على المبتدأ وهو الاسم الكريم و
نعم الوكيل مطوق على الخبر والوكيل في العربية عبارة عن الذي وكلت اليه الامور والقيت اليه المقاليد والذي يبيد جميع
الامور وله مقاليد السموات والارض هو الله وهو الوكيل حقيقة قال تعالى وكفى بالله وكيلا قال وكفى بربك وكيلا وقال
الا تتخذوا من دوني وكيلا وقال مخبرا عن المؤمنين وعلما لهم التوحيد لرب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل فاذا
اتخذه العبد وكيلا او تحقق هذا الاسم وتسلم عقدا وفعلا فهو المتوكل حقيقة قال تعالى وتوكل على العزيز
الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وكفى به
ابا بالنطق بهذا اللفظ مع اعتقاد معناه بالقلب والاخلاص وقوة الرجاء اما ان كل خائف ولهذا قال تعالى
اليس الله بكاف عبده فمتى اعتقد العبد الا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وحياة وموت وعطاء و
منع وفقر وغنى وضر ونفع بايجاده سبحانه اكتفى به عن كل موجود ولم ينظر الى غيره بل كان منه خوفه ورجاءه وبه
ثقته وعليه اتكاله وكفى بالله وكيلا اي هذه الجملة قالها ابراهيم خليل الرحمن امام الحنفاء ووالد الانبياء عليه و
عليهم الصلاة والسلام حين القي في النار انتصارا لله من القاه للاصنام التي عبدوا من دون الله سبحانه حيث كسرها
عليه الصلاة والسلام وبين لهم عجزها وعابدها فلما القي في النار قالها من اكتفى به ما نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فارا
دوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال آخر ما تكلم ابو مرة رضي الله عنه مرفوعا الى ابراهيم خليل في النار
قال حسبي الله ونعم الوكيل فانها تنجيه من الامر وضع الكفاف ورواه عنه بنحو هذا اللفظ وقال لكنه البصري يقول
الناس في العافية فاذا نزل البلاء بنا نقولها يعني من جهة التوكل والتوحيد والاخلاص قال تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
نعم المولى ونعم النصير ولما ذكر تعالى اصحاب العير الذين يلقوهم وصية ابي سفيان من
حرب واصحابه ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه من قريش قد جمعوا لكم يكرون عليكم فيستأصلوكم وذلك
في قصة طويلة بعد ما بينهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة احد حتى بلغ وادي حمراء الاسد بمن معه ممن حضر احدا لبرى
المشركون قوتهم وجلدهم وكان الركب من بني عبد القيس يريدون الميرة من المدينة فبلغوهم صلى الله عليه وسلم وصية ابي سفيان
وقد شرط لهم على تبليغها النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يوقر لهم ابلهم زبيبا من سوق عكاظ اذا وافوها فعلوا
وبلغوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ذلك بالله وفضيحة وتثبيتا مجاوبين عن قولهم
اي كافينا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير رواه البخاري رحمه الله في صحيحه فتبين بذلك ان التوكل من الفرائض الذي لا يتم الايمان
الا بها

الباب الثالث والثلاثون

ما جاء في قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين
قوله افامنوا مكر الله الآية قد مر موقوف يجب كفوا
افامن اهل القرى يعني بعد ما رأوا ذلك منوا واطمأنوا يقول تعالى افامنوا مكر الله اي اخذه وعذابه في حال ظاهر النعم
عليهم وغفلتهم ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب ولهذا قال فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون اي الذين خسروا الكفر وترك ما خلق الله بان يعلموا انه هو الله الواحد فيعبدوه بذلك فلم يعتطوا ويعتبروا
فلما استشهد البصري رحمه الله على الامن من مكر الله بالآية الكريمة اتبعها بالاستشهاد على القنوط من رحمة الله بآية
الحجر فقال وقال تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون هذا جواب من خليل الرحمن امام الحنفاء والد الانبياء عليه
وعليهم الصلاة والسلام لرسل ربه من الملائكة عليهم السلام حين ارسلهم الله لاهلاك قوم لوط عليه السلام فمروا بابراهيم في
صفوة الاضياف وكان من شيمته عليه السلام اكرام الضيف وتعجيل الصيافة فقرب اليهم عجلا حنيذا فلما لم يأكلوا منه خافهم
على عادة العرب انه لا يأمن منهم ولا يأمنونه الا بعد ان يأكل من طعامهم حينئذ قالوا انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا
نبشرك بغلام عليم فعرفهم عندئذ انهم رسل ربه حينئذ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك
بالحق لا تكن من القانطين فقالوا له فلا تكن من القانطين منه وانما قال ذلك عليه السلام

متعجبا من كبره وكبر زوجته مع تحققه للولد من الله تعالى فاجابهم بانه ليس بقنط ولكن يرجو من الله الولد وان كان قد كبر وعتت امرأته فانه يعلم من قدرة الله وحكمته ما هو ابلغ من ذلك وهذا قال مجيبا لهم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وفي هذا دليل واضح على ان الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام لان المبشر به اسحق عليه الصلاة والسلام وذلك بعد ما تخلفت عن ابراهيم وامرأته سارة اسباب الولد ولم يبق الا خرق العادة بالقدرة الالهية اسمعيل بعض القرابين العظام قد بنى معه البيت العتيق وبعض اصدق القائلين انه هو الذي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين ان ذلك بعد ما تزوج اسمعيل عليه السلام امرأتين وقيل ان ذلك بعد استكمال شبابه وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما ان من جملة ذلك الابتلاء ذبح ولده ولما ذكر عليه الصلاة والسلام امتنان مولاه عليه بالولد كما ذكر الله عنه في قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قدم ذكر اسمعيل وهذا هو الذي تقدم منة الله عليه به قبل اسحق عليهما السلام وقد تكلم المفسر عليه ايضا واسمعيل عليه السلام لم يحج لدينه وبين اسحق عليهم الصلاة والسلام وقد قال ابن ابنه يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله اما بعده وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذه الاية تنزل كلا من الخوف والرجاء موضعه ومن تأملها علم ذلك اذ هي لقوم ما اسرفوا على انفسهم واكتسبوا الذنوب وافترفوا الخطايا وجرعوا خوفا من الرد لهم وقت التوبة عما اجترموا قيل لهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد بينا في باب فضل التوحيد ان لا بد في هذه الاية من التوبة والا لدخل الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذه الاية تبين ان العبد لا يكون سالكا للصراط المستقيم الا بهذا الخوف والرجاء فقد علمت مما سبق انه لا يقنط من رحمة الله الا الضال عن الطريقة المحمدية الابراهيمية الحنيفية والقنوط في اللغة اشد اليأس وعن عباس رضي الله عنهما هو اليأس وعن مجاهد هو الأصغر والأكبر ضد الرجاء والروح بالفتح من توجه ونفيه جل وعلا عن عبده وبالضم من رحمة تعالى التي يحيي بها العباد والبلاد وهو بقاع بلايا بعد ما يرى من حيث لا يشعرون وكل هذه من الكبائر فالشرك ضد التوحيد والقنوط بعد ما ذكر فيه وعن علي رضي الله عنه مرفوعا الا ابئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولا يجعل القرآن ظهريا رغبة عنه الى ما سواه الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه والعلم ليس فيه تفهم والقراءة ليس فيها تدبر رواه ابو عمر بن عبد البر وغيره وقال لم يأت هذا الحديث وفوعا الا من هذا الوجه وكثرهم يوقفونه على علي رضي الله عنه وذكر البخاري في صحيحه قال كان العلاء بن زياد يذكر الناس فقال رجل لقنط الناس قال وانا اقدر ان اقنط الناس والله يقول يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ويقول ولد المرسلين هم اصحاب النار ولكنكم تحبون ان تبشروا بالجنة سحقا ساوى اعمالكم واغا بعث محمد صلى الله عليه وسلم مبشرا بالجنة لمن اطاعه ومنذرا بالنار من عصاه ان يجعل معه جل وعلا الها اخر وكذا الرياء وقد قال تعالى في الحديث القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه واذا ايأس من مكر الله الا القوم الخاسرون وهو اشد اليأس فانه يحبط العمل بعد المطلوب ويورث الحسرة اذ هو قنوط الانسان من رحمة الله وبدل على ما قلنا قول شاعر العرب الشنفرى الصعبي وغيره من اغنيتهم

لا تقنطن وكن بالله محتسبا ... فبينما انت دأيا بئس اذ فرحا

والمعنى اذا احتسبت بالله تعالى الفرج فبينما كنت دأيا بئس اتاك الفرج فتبين بهذا ان القنوط اشد اليأس فهو يقنط العبد اذ العارف بالله وصفاته لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال واذ اليأس من روح الله الا القوم الكافرون كما قص الله عن نبيه يعقوب عليه السلام وقد ذهب ابنه يوسف واخوه بعد ما بكى حتى ابيضت عيناه من الحزن فلم يبئس فقال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولهذا قال لهما وافر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا والروح جمع ارواح فقد يقال روح الله جنده ورزقه قال الاخطل

في جنة هي ارواح الاله بها ... يفرع الطير في اعصارها فرع

يعني بذلك الذي يأتي في كتب الانبياء صلى الله عليه وسلم كما بينه واشار اليه في بيت اسابق فاليأس والقنوط من صفات الانسان الا من عصمه الله تعالى قال جل ثناؤه لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط يقال يئس من الشيء اذا انقطع امله منه الصنعاني في مصنفه وقد قال مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري

لا تهم

لانهم يعتقدون انفاذ الوعيد ويقنطون الناس من رحمة الله تعالى ومن عبده بالرجاء هو مرجئ لان المرجئة يرون ان المؤمن لا تضر المعصية ومن عبده بالمجيء فهو زنديق لانهم لا يثبتون بين الذنبين مناسبة للعبادة ولا متفقة لاجل الايمان حتى يعبده العبد لها وانما هو عندهم عبد وسيد وكامل وناقص ومقدس وذو افات فليس عندهم الا المجيء فقط والموحد من عبده بالخوف والرجاء والمحبة وبذلك يخرج العبد من البدع وعن ابن ابي الدنيا عن ابي ذر رضي الله عنه قال ذروة الايمان ربع الصبر والرضا بالقدر والاخلاص بالتوكل والاستسلام للرب تبارك وتعالى وعن ابن ابي الدنيا وغيره من اهل السنة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب يعوده فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وقد قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله الخوف ذكر الرجاء في وتحيث البطالى الى الامان اميل قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عند حديث البشارة وهذا هو العدل وهذا هو الذي عليه حال الخوف او قعه في نوع من اليأس والقنوط اما في نفسه واما في امور الناس ومن غلب عليه حال الرجاء بالخوف او قعه في نوع من الامن مكر الله اما في نفسه واما في الناس كمن رأى رجلا يحسن الى الناس ويسيء الى نفسه فقال رحمه الله الذي سبقت رحمته غضبه ينبغي ان يحسن ظنه بربه كما قال تعالى في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا واما الخوف فيكون بالنظر الى تفريط العبد وتقصيره فان الله عدل لا يأخذ الا بالذنب وعن ابن ابي الدنيا ان قيل لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ان هنا رجلا قد خولط ولم يكن بباس فقلنا ان به ذنبا يريد في نفسه ان ذلك الذنب لا يغفر فقام علي رضي الله عنه ودخل عليه وقال له اسمع ما اقول لك ان الذي ادرك عنك عدوك يقنطك من رحمة الله وان عفو الله اعظم من ذنبك الذي اذنبت فقال الرجل هاهو ذا فاق فهذا والله الموفق

الباب الرابع والثلاثون

في هذا الشأن ان ما تقدم لا يدل الا بالصبر فالصبر من حيث الجملة وصف كريم وخلق عظيم وقد كرر في الشريعة ذكره قرانا وسنة وجعل اجره موازنا لجميع العمل فان الله تعالى قال ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ويجزينهم اجرهم بغير حساب وقال في الصبر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبين العبد والغاية جراف وبه يتم للعبد بلوغ الامل في الدنيا وهذا لك العدق قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ومن ذا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون واخبر ان الله مع الصابرين فاذا ففيما ذا يرغب من كان الله معه في شيء بعد وحديث الصبر نصف الايمان ضعيف قال الحفاظ بل اذا تحقق الانسان وجد الصبر الايمان كله لان الايمان اربعة على اقسام ما مأمور ومزجور ولا يطاق فعل المأمور ولا الانكفاف عن المزجور الا بالصبر وهو في الايمان بمنزلة الراس من الجسد وعن ابن ابي الدنيا قال سئل الفضيل بن عياض عن قوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فقال صبروا انفسهم على ما امرهم الله به من طاعته وصبروا انفسهم عما نهاهم الله عنه من معصيته فقالت لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وفي الحلية لابي نعيم من طريق المعافا بن عمران قال سألت اسرائيل وسفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن علي رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما قال العباس بن الوليد بن مزيد غريب عن الثوري تفرد به المعافا عنه ولهذا لما مر صلى الله عليه وسلم على ال ياسر وهم يعذبون في الله تعالى قال صبرا ال ياسر فان موعدكم الجنة وهي في سياق قوله تعالى كما صح ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ولهذا اورد البخاري رحمه الله [illegible] ما اصابهم مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضائه وتدبيره ثم قال ومن يؤمن بالله يصدق ان لا تصيبه مصيبة الا باذن الله تعالى بعد قلبه اي يهد قلبه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى ويسلم لقضاء الله تعالى فلما كان ذلك يشق على القلب قال والله بكل شيء عليم اذ هو سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فجعل سبحانه هداية القلب الى ما فرض عليه ويحبه منه ويرضاه جزاء لفعل الشرط وهو الايمان بالله والتسليم لقضائه والصبر على بلائه فان ذلك الايمان لا يحصل الا بالصبر فان الصبر للايمان كما صح عن علي رضي الله عنه وروي عنه مرفوعا بمنزلة الراس من الجسد فكيف يطلب حياة جسد بلا راس قال [illegible] عبد القادر في غنيته قال ذو النون المصري الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند مجاري غصص البليات قال الجنيد قال الحارث المحاسبي حق الصبر الثبات مع الله على احكام الكتاب والسنة هو بن قيس النخعي الكوفي الثقة الثبت الفقيه العابد رحمه الله تفاقم صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الزي والهدي [illegible] تعالى بقضائه وقدره السابق [illegible] بذلك عن الله تعالى الامر له سبحانه وتعالى كما انه يجب عليه ان يسلم لحكمه الشرعي كما قال تعالى في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فاتى فيه بالمصدر تاكيدا اذ هكم رسوله انما هو من حكمه

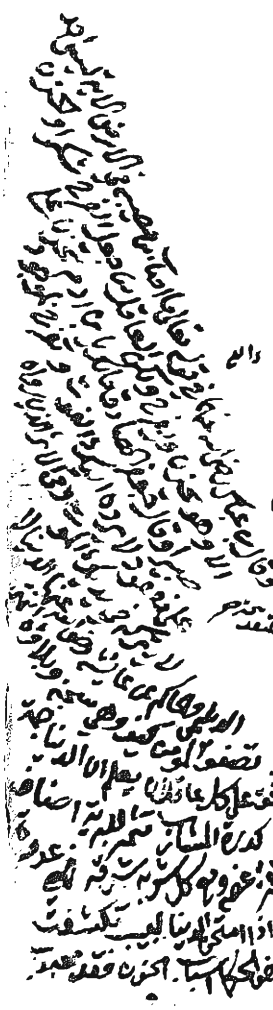

تعالى في قوله ما اتاكم الرسول فخذوه الا يحب ان يرضى وسلم لحكم الكوني القدري من باب الاولى وقد قال بعضهم في هذا
المقام ولو ان عين الفهم زال عنها غشاوة الغشا ولرايت المسبب للاسباب والمقدر للاقدار وهو الله سبحانه فصدت
على بلايه ابتلاء او رضاء لما يريد قال وفي هذا يقضاء الرضى بالقضا كما قيل لبعض اهل البلاء ادع الله بالعافية فقال اغير
الى احبه اليه كما قيل ان كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسني وقال الاخر حبي من الحب اني
لما يحب احب قال والقضاء الذي يلزم الرضا بها هو الذي يصدر عن المقتضي سبحانه الذي لا كسب للعبد
فيها قالت رابعة العدوية من ذاق طعم المعرفة وجد في باطنه حلاوة محبة فوقع الرضى عنه ضرورة وقد سئل علي
بن ابي طالب كرم الله وجهه ايهما اقرب الى الكفر الفقر والفاقة لا صبر له وهذا عندي نعيم وعبد عن اسي
بن مالك رضي الله عنه مرفوعا كاد الفقر ان يكون كفرا وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ان اعمال
القلب من التوكل وغيره واجبة باتفاق الائمة وان الصبر واجب بالاتفاق قال والصبر لا ينافي الشكوى
وقال الصبر الجميل صبر لا يشكو الى المخلوق وامّا الشكوى الى الخالق فهي مطلوبة قال يعقوب عليه الصلاة و
السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله الاية وقال ايوب عليه السلام اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
وقال كليم موسى عليه السلام رب اني لما انزلت الي من خير فقير ونقل عبد الله بن الامام احمد عن ابيه في اثنين
مرضا رجوا ان لا يكون شكوى ولكنه اشتكى الى الله واقتصر ابن بطة على قول الحاج في قول يعقوب عليه السلام امر
فصبر جميل ان الصبر الجميل الذي لا جزع فيه ولا شكوى الى الناس وان قولي يا اسفى على يوسف شكوى الى الله لا اليهم و
اختاره ابن الانباري من اصحابنا وان المراد بما ادعا والمعنى يا رب ارحم اسفي على يوسف وقال سفيان بن عيينة
وكذلك من شكى الى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعا الم تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل
في مرضه اجدني مغموما واجدني مكروبا وقوله لعائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين بل انا وارأساه وكان الامام
احمد يحمد الله او الخبر بن مسعود رضي الله عنه المتفق عليه اذا كان الشكر قبل الشكوى فليس حيا كي قال مجد الدين
بن تيمية يخبر بما يجده لغرض صحيح لا لقصد شكوه واحتج الامام احمد بقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم لعائشة لما
قالت له وارأساه قال بل انا وارأساه واحتج عبد الله بن المبارك بقول ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انك لتوعك وعكا شديدا كما في الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم اجل كما يوعك رجلان منكم وفي الصحيحين لابي
الوفاء بن عقيل ان قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا يدل على جواز الاستراحة الى النوع من الشكوى عند
امساس البلوى قال ونظيره يا اسفى على يوسف اي مسى الضراء الت اكلتني تخبر تعاودني الحديث وفي
تفسير ابن الجوزي في الاية الاولى قال هذا يدل على اباحة اظهار مثل هذا القول عند ما يلحق الانسان من الاذى والتعب
ولا يكون ذلك شكوى قال ابن الجوزي وكان ابي يكره هؤلاء الذين لا يرحم عن الشكوى وقد قال جل للامام احمد كيف
تجدك يا ابا عبد الله فقال بخير وفي عافية فقال له رحمت الباري قال اذا قلت لك انا في عافية فحسبك لا تحتاج الى
ما اكره وهذا مع رضى الله عنه وامثاله فيما اذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها فكتمانها من اعمال القلب الخفية والافعند
ابن ماجه والبزار وصحح عن خباب رضي الله عنه قال وقد اكتوى في بطنه بسبع كيات ما اعلم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم لقي مرا بلاء اما لقيت منه ان هذا والله لعلم قال لخباب رضي الله عنه تسلبه للحمى من المصاب لا غا
وجه التكاي كما قال ابن هبيرة عن قول ابي هريرة واخباره عن جوعه وبعضهم يحمل تسليمه للفقر وحسن خلقه به
وذكر هذا الكلام المتقدم في المنن عن علقمة البخاري في صحيحه تعليقا [illegible] بن الحارث القشيري ثم
المصري يلتقي نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في مضر بن نزار [illegible] خادم النبي صلى الله عليه وسلم الدوسي
[illegible] اي خصلتان [illegible] فوجوه تان من خصالهم بحيث لا يخلو
منها مجموعهم لا جمعهم [illegible] بعضهم بهما تغر فوجوه باب القلب والمراد انهما من اعمال الكفار لا خصال
الابرار وقيل هو على باب من قلب والباء بمعنى في والمعنى هما حرام كفر وفي قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله
عنه فيما صح عنه لما عيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية وقوله اربع في امتي لا يتركونها فذكر منها هاتين الخصلتين
احداهما [illegible] اي الوقوع في اعراض الناس بنحو قدح في [illegible] ثبت في ظاهر الشرع والثانية
[illegible] ولو بعد بكاء وهي رفع الصوت بالندب بعد موت ميتها له وذلك لان الطاعن في نسب غيره كفر
سلامة نسبه من الطعن ومن ناح كفر نعمة الله حيث لم يسلم لقضائه وقدره وروى الامام احمد في مسنده

وسيتقدم

وقد تقدم الكلام في ذلك مستوفى في الباب التاسع والعشرين ومن اخرجه مسلم واما ما رواه الدارمي والبخاري في
صحيحه واللفظ للدارمي في مسنده حيث قال حدثنا ابو النعمان ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن انس رضي الله عنه
ان فاطمة رضي الله عنها قالت يا انس كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله التراب فقالت يا ابتاه من ربه ما
ادناه وابتاه جنة الفردوس مأواه وابتاه الى جبريل ننعاه وابتاه اجاب ربا دعاه قال حماد
حتى حدث به ثابت بكى وقال ثابت حتى حدث به انس بكى فان هذا خرج منها رضي الله عنها من غير قصد ومعاذ
الله وحاشاها ان تقصد النياح وقد رأى عنها والدها سيد البشر صلى الله عليه وسلم كيف وقد قال في حقها انها
بضعة مني يريبني ما رابها رضي الله عنها وارضاها وجعلنا من احبها ووالاها وهكذا ما رواه الامام احمد
عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم دخل علي وجعل يديه على خديه وقبلها ويقول بأبي عيسه
وقال وابنياه واخليلاه واصفياه فلم يكن هذا عندهما من النوح حيث خرج منهما من غير قصد عند
تعاظم شوقهما الى النبي صلى الله عليه وسلم حيه علما انه قد فارقهما رضي الله عنهما في الدنيا كما ذكره الشيخان في صحيحهما

عبد الله

اي من متابعينا او مخلصينا ونحو ذلك مما
ينفي الكمال وبقي اصل الايمان قال تعالى والذين اتبعوهم باحسان الاية فالكلام مطلق والمعنى مفيد والعرف يستعمل
ذلك في لغتها وهذا قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت والمعنى ليس من اهل طريقتنا ومتابعينا في فعل ما
ذكر لفعله حاقال الشاعر في مسعود بن عقبة بن يعيش اخي عيلان ذي الرمة الشاعر المشهور حيث يقول

ان كان مسعود سقى اطلالهم ... سيل الشؤون فلست من مسعود

قال ابو القاسم الآمدي في كتاب المؤتلف لما عاد هذا البيت مسعود هذا هو مسعود بن عقبة اخو عيلان ذي الرمة
الشاعر المشهور وعقبة هو ابن يعيش قلت ومن نسل مسعود بن عقبة هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصنف
هذا الكتاب مسعود بن عقبة بن يعيش هذا هو جد وهيب نفسه كما ذكره القاضي محمد بن احمد بن عتيف العرضي في بلده اسيقر
بهذا الاسم في وثائق كتبها بيده في بلده اسيقر قال في احدها كتبه بيده وانتجع الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد بن عتيف
بن عاكر بن بسام بن عقبة بن يعيش بن ناصر بن محمد بن عليوي بن وهيب بن قاسم بن مسعود اخي عيلان ذي الرمة
الشاعر المشهور قلت وعيلان هو بن عقبة بن يعيش باجماع علماء النسب لا يختلف فيه منهم اثنان وهكذا قال
احمد بن محمد بن بسام في شرح ذات العرق وبخط بيده الاثر او صل النسب الى عدنان بن عبد مناة بن ادبن طابخة بن
الياس بن مضر وعلى ذلك علماء بني وهيب بالنسب وجده بخط جماعة منهم من ذكرته ومنهم حسن بن عبد الله ابا حسين
وابن شارخ وعمران بن عبد الله من اولاد علي بن محمد وغيرهم وهم مأمونون على نسبهم وما وجد غير ذلك فليس له
اصل يعول وانما صدر عن رجل قد ادركناه في زماننا ليس منهم ولا اعلم لهذا النسب ولم يكن له به تعلق الا انه وجد
لهم مسعود بن عقبة فجعله عقبة بن سبيع البتاوي وجده في مجموع بخطه وقد جعل علي ابن ابي بن عقبة و
سبيع ما صورته حسن وليس لعقبة بن سبيع ان يقال له مسعود باجماع اهل النسب وانما له ابنان هذا
ويحيى وقد عرفهما وولدهما حرب بن لطفي وذلك معلوم في ديوان بني واتي بنيه وانما مسعود جد بني
وهيب فلم يختلف فيه منهم اثنان بأن مسعود بن عقبة بن يعيش اذ لا يحل اعتراض الانساب بالتوهم والتخرص
عند اشتباه الاسماء لان خطر عظيم وعلماء اهل بلدهم اعلم بذلك وفي بلدهم قبر جدهم وهو هيب الذي اليه ينسبهم
مصنف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد
بن مشرف بن معضاد بن ناصر بن محمد بن عليوي ويقال علوي بن وهيب بن قاسم بن مسعود اخي عيلان ذي الرمة
الشاعر المشهور بن عقبة بن يعيش بن عامر بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن عقبة
بن ربيعة بن ملكان بن عدي بن عبد مناة بن ادبن طابخة بن الياس بن مضر فيلتقي نسب الشيخ محمد المذكور بنسب
النبي صلى الله عليه وسلم في الياس بن مضر كما قد ذكرناه اول الكتاب قال الآمدي وكان مسعود هذا يلقب
لحاه عيلان على ابكائه على الاطلال حيث قال ذو الرمة

عشية مسعود يقول وقد جرى ... على حيتي من واكف الدمع قاطر
اغرك ان اقذى بكيت صبابة ... وأنت امرؤ قد حنكتك العشائر

وكانت رياسة قومهم بني عدي في بنيهم وكانوا حوزة خبة عيلان ومسعود وافي وهيام
وخرفاش وكلهم شعراء وعدهم ابن رشيق في عمدته في بيوت الشعراء ثم ان مسعودا صار بعد ذلك

يبكي الاطلال بعد يوم احيه عيلان لي في ذلك فقال في ذلك الشاعر المذكور ما قال ومن قوله سعود هذا اخي اوفى بنعمة عن بغيلان حيث يقول

تغربت عن اوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفني العين ملآن مترع

ومن قوله ايضا في الاعتبار وطرح الامل وارتقاب الاجل فيما انشده عن ابن الاعرابي في نوادره حيث يقول في تكذيب امنيته

الي وان هنتني الكذوب ... بتلو حياتي اجل قريب

ومن قول اخيه هشام بن عقبة يكذبه فيما قال العلاء بن سلم انه قال رددت اخي من الطريق راجعا الى مكة للحج فقال لي هشام بن عقبة اخو عيلان ذي الرمة وصيا يا بن اخي انك تريد سفرا يحضر الشيطان في حضوره لا يحضر في غيره فاتق الله تعالى وصل الصلاة لوقتها فانك متى صليتها لا لوقتها وهو تفعل واعلم ان لكل ركعة كلبا ينهشونهم فان كانه مهما ركعوا في وان كان عليك ثقلهم دونهم فلا تكونن كلب الركعة والمقصود بعد طول العمر المدى بنا الى ذكر الموت رحمه الله وسدده وبيته ان هذا الشاعر يقول ان كان سعود قد رجع الى ما لام عليه اخاه من البكاء على الاطلال فليست منه في ذلك وهذا ابلغ في انكاره منه في البكاء على الاطلال وهذا ايضا كما يقال ان كان حاتم قد بخل والسموءل قد غدر فليست منهما بعجب في البخل والغدر وهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس منا اي ليس طريقنا عند المصيبة كفعل اهل الجاهلية والمعنى ليس من عادتنا ولا عاملا بهديه في المصيبة من حر الخدود وشق الجيوب عندها وانما الذي منه في ذلك من فعل عندها ما ارشد الله اليه ورسوله بقوله تعالى والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فارشد سبحانه عباده بذلك الى خالص توحيده في الحال والمآل وهذا الحال في ضرب الخدود وشق الجيوب ودعاء دعوى الجاهلية فان من فعل ذلك فليس من فعله صلى الله عليه وسلم في شيء وانما الذي منه في ذلك من استعمل ما ارشد الله اليه ورسوله ففي صحيح مسلم من حديث ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله تعالى في مصيبته واخلف خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة رضي الله عنه قلت كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت في نفسي ومن خير من ابي سلمة فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانت نساء اهل الجاهلية تفعله تشقق جيوبها من بحر عند المصائب حتى انهم يوصون بذلك كما قال طرفة بن العبد

فان مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

حتى ان منهم من يوصي اهله عند موته ليسمعوه ما ينعونه به كما فعل عبد المطلب وغيره ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وسلم من التحذير عن ذلك ولعن عليه ليمحي بذلك سنن الجاهلية عن امته وارشد من لم تصبه المصيبة الى تعزية المصابين ان المصيبة صدمة فارشد صلى الله عليه وسلم اليها ليتعظها ويلزم الصبر عندها كما قال صلى الله عليه وسلم للمرأة التي امرها به عند القبر انما الصبر عند الصدمة الاولى كما في الصحيحين لما انه تعذر الباؤها لم تعرفه وعزى النبي صلى الله عليه وسلم احدى بناته في ابن لها في الموت كما في الصحيحين عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما بقوله ان لله ما اخذ وله ما اعطى وكل شيء عنده باجل مسمى وقال لرسولها فمرها فلتصبر ولتحتسب وذكر الحديث وهذا الحديث في هذا المقام من اعظم قواعد الاسلام المشتملة على مهمات كثيرة من اصول الدين وفروعه والاداب في الصبر على النوازل كلها والهموم والاسقام وغير ذلك من الاغراض المعذبة لابن ادم والحاجات العارضة والمعنى ان لله ما اخذ فان العالم كله ملكه تعالى فلم يأخذ ما هو لكم لأخذ ماله عندكم في معنى العارية كما مثلت بذلك ام سليم لابي طلحة عند موت ابنهما رضي الله عنهما في قصتهما المشهورة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم وله ما اعطى اي ما وهب لكم ليس جارا عن ملكه بل هو سبحانه يفعل فيه ما يشاء وكل شيء عنده باجل مسمى فلا تجزعوا ان من قبض قد انقضى اجله المسمى فمحال تقدم او تأخره عنه فاذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما ترجون عند الله تعالى فهو الذي يخيب آمله وذكر البيهقي باسناده ان الشافعي رضي الله عنه عزى عبد الرحمن بن مهدي لما مات ابن له وجزع عليه جزعا شديدا وان بعث اليه يا اخي عزه نفسك بالتعزي بغيرك واستعن على ما نزل بك بالله واستقبح من فعلك ما تستقبح من فعل غيرك واعلم ان من اقوى المصائب فقد الاحبة بموت او هجران او غير ذلك فكيف اذا اجتمع مع اكتساب وزر فنسأل الله تعالى يا اخي اذا قرب منك قبلان تطلب وقد نا عند الهلكة عند المصائب صبرا واجرى لكم ولنا بالصبر اجرا

وكتب اليه شعرا

أبى صبرك الا على أنقة ... من البقاء ولكن سنة الدين

فما المعزي لباق بعد ميته ... ولا المعزي ولو عاش الى حين

وكتب رجل لاخر يعزيه بابنه اما بعد فان الجزع على الولد ما عاش حزن وفقده فاذا أقدمه فصلاة ورحمة فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفقده ولا تضيع ما عوضك الله عز وجل منه صلاته ورحمته وقال المدايني دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك في وجعه فقال يا بني كيف تجدك قال اجدني في لحق قال يا بني لأن تكون في صعر أبي أحب الي من ان اكون في مثلك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الي من ان يكون ما احب ومات ابن للشافعي رضي الله عنه فانشد

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له ... رزايا مال او فراق حبيب

فقد فارق الناس الاحبة قبلنا ... واعيى دواء الموت كل طبيب

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين قال اقرؤا على موتاكم يس يعني المحتضرين كما جاء مصرحا به وذلك ليتعرض الحاضرون من اهله لما ورد انه يخفف ويسهل بذلك نزع الروح على الميت وليشتغل اهله بالقرآن والذكر ليعلموا ان الامر من الله واليه ولانتباههم على احوال البعث والقيمة فيتذكروا لذلك وقال شمس الدين بن قيم الجوزية وبلغنا فيها من التوحيد والمعاد والبشرى لاهل التوحيد وغبطة من مات على قوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقد صح عنه في الصحيح انه قال من كان آخر كلامه قوله لا اله الا الله دخل الجنة وبهذا قال صلى الله عليه وسلم كما صح عن لقنوا موتاكم لا اله الا الله كقولهم بالرفاء والبنين عند الامر الحادث يتناصرون به على الباطل وطائفة اعانها حجاج بن سعد الغفاري وسنان بن وبرة او ابن ثعلبة الجهني كما في الصحيح وذلك في غزوة المريسيع مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال صخر يا للمهاجرين وقال سنان بن وبرة يا للانصار فقال صلى الله عليه وسلم ادعوا كل واحد منكم هذا وقد دعا الداعيان باسمين قد سماهما الله به في كتابه العزيز وهما اسمان مدح فقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية فالمهاجرون والانصار والذين يتبعونهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذكر الفوز العظيم فلم يعتبر الاسماء دون الحقائق فاذا كان هذا فيمن تداعيا بهذين الاسمين الشريفين الفضيلين فكيف بالمتداعين باسماء القبائل والعشائر على الباطل وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهما فقال دعوها فانها منتنة اي خبيثة كما في اللفظ وقد اجمعت الائمة على تحريم النياحة والدعاء بدعوى الجاهلية بالويل والثبور عند المصيبة وكذا لحرم باتفاق العلماء رحمهم الله تعالى نتف الشعر وحلق الخدود وخمش الوجوه وشق الجيوب ورفع الصوت عند المصيبة بالندب فالنياحة اباقراط الكبائر فقط وللفقهاء فيمن دعا بدعوى الجاهلية اقوال ثلاثة احدها يعذر من استجاب لها لحميته سوطا قد اوتي به الى ابي موسى رضي الله عنه في جلد بدا لتابعة لكن صح سمع بالعامر فاقبل يستشير بعضهم الداعي التالي يجلد دون العشرة اسواط لنهيه صلى الله عليه وسلم ان يجلد احد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله الثالث يرجع الى اجتهاد الامام على ما يراه من سد الذريعة وبقلة باكثر في ذلك اما بالوعيد والعتاب والحبس واما بالتعزير بالضرب بحيث لا يبلغ به حد الذي نهاها الذي وصفها به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل ابو موسى الاشعري رضي الله عنه بالجلد بان يبلغ به حد الذي وصفها به صلى الله عليه وسلم لاسيما العاقلة فيها والعقوبة عليها وهذا الاخير اقرب الى العدل والصواب ولعل فعل ابي موسى رضي الله عنه من هذه الوجه وفي لم ار ما يرد عن ذلك الا الجلد ففعل بها ان رأى داعيا وقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا فرفعه من رواية سفيان ووقفه شعبة بن حرب فنظر من نظر فيه على الحق وهو الموقوف الذي رجحه بذبه ومعناه ان قد وقع في الامم وهلك كذلك بعد اذ ترى في بحر فصار يترجح بذبه ولا يقدر على خلاصه ومفهوم هذا الحديث ان نصرهم على الحق غير مذموم وهو كذلك جاء مصرحا به في سنن ابي داود وغيرها عن سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه قال ضللنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حبيتم الدافع عن عشيرته ما لم يأثم وفي بدل الله تعالى بدعوى الجاهلية دعوى الملهيه فينادي بالملهيه فاذا دعا بها وجب على كل من سمعه اجابته والكف عما جاء فان كان مظلوما انتصر بما علمه وان كان ظالما كف عن الظلم بالملاطفة والرفق فان نفعه والا يدفعه بما امكنه فالحاصل انه قد بعد صلى الله عليه وسلم لعل دعوى الجاهلية اعم منا بعدة في ذلك وغلط لاهلها القول في شرح السنة للحي الحافظ البغوي عن ابي بن كعب

رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضضوه بهن ابيه ولا تكنوا وروى
الامام احمد عنه وذكر ان ابيا رضي الله عنه قال لرجل قل معناه من انتسب وانتمى الى الجاهلية باحياء سنة اهل الجاهلية
في العزاوي والشتم واللعن والتعيير والطعن في الانساب وجواجهتكم بالضحك والمنكر وسار ما وهنا الله واعلم
وبان عنه من سنن الجاهلية ما نهاهم الله عن اليه فقولوا له اعضض بذكر ابيك او في جباوابره ولا تكنوا بفتح اوله
وضم اللون بذكر البوء عن ابيه بل صرحوا بها قبيحا وليعلم حقارة اصله وانه قذر خارج مخرج البول مربي فيه
عن مخرج اذا علم اصله فان اوله مهانة مهين نطفة قذرة واخره جيفة مدرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة خراج
لا يرتفع عن حقارة الانطباع من خلقه فسواه فاحسن تقويم فبدل بعد ذلك يعتبر وينتصر كما قال تعالى ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذا
قال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وقال تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك
ابن مالك رضي الله عنه الانصاري خادم النبي صلى الله عليه وسلم

وفي لفظ حبرا بالتشديد اي اسرع يخرج منها نقيا بذلك ليس عليه ذنب ومن فعل ذلك
معه فقد اعظم اللطف والمنة عليه فان عقوبات الدنيا اخف من عقوبات الاخرة وقال ان يجمع الله على المؤمن عبد
عقوبتين ولما يثيب على عقوبات الدنيا من المصايب ومقاسات الصبر على ذلك من جمل القلب وتعلق بذلك التوكل
والخوف والرجا وما يتبع ذلك من الامور التي هي من الواجبات على العبد باتفاق الائمة عند المصايب وفي هذا تسلية
للمؤمن اذا علم ان كل ما اصابه تكفير من خطاياه مع ما ينتفي ان رضي عن الله تعالى قال ابن الجوزي في
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض اعلم ان من علم انما قضي لابد ان يصيبه فلا حزن ولا هم قال والصبر على العافية
اسهل من الصبر على البلاء قال ابن الجوزي الصبر بحق الشكوى قال ابو الوفا بن عقيل وظيفة المصيبة بالنظر اجلال من صدرت
عنه وعن حكمته وملكه قال ابراهيم الحربي العقل عقلان عقل المصيبة وعقل التجارة ومن كمل امره ان لم يعش مع القدر لم يتهنه بعيش و
ليعلم قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وروي من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
كما ذكره الخطابي وهو صحيح وقوله الدنيا دار بلاء فمن ابتلي فليصبر ومن عوفي فليشكر وقوله اشد بلاء الانبياء
ثم الصالحون الامثل فالامثل وقد يبتلي الله العبد لرفع درجاته فانه مقتضى حسن الانبياء وسادات انشاءهم و
جدهم من كابد البلاء وذبح الولد كابراهيم ومنهم من صبر على الفقر وقاسا مر قومه الجوع ومنهم من بكى الزمن الطويل لمن
تطرق في ذلك وفي اوده مصيبة لم تكن في دينه هانت عليه مصيبة بالشكر وتسلى بهم وتأسى وليعلم الانسان قوله
صلى الله عليه وسلم احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك وفيما يأتي في هذا الحديث دليل من جهة الرضى بالقضى ان كل ما
يجري من فعل العباد وانما هو احداث الرب تبارك وتعالى الحكم التي يحبها ويرضاها فهو يجب الرضى لان رضي الله بما رضيه
لنفسه فرضاه الانسان وجعله مفعولا لخلق فالله يحبه ويبغضه ويكرهه فعاد الذنب الخالق لا من الله وهكذا نقول فيما
خلقه الله من الاجسام الخبيثة فنبغضها لانه تعالى امرنا بالنظر اليها وبرضى عنه بايجاده لها وامرنا في ذلك من الحكمة فقد
قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا الا فبهذا يحصل القيام بحقوق الكريم على الحقيقة
باكمل طريقة وبيقنه وسلم الانسان من حيرة العقول ويتيقظ من الغفول فانه ليس في الكتاب والسنة ما يقتضي
في الارض بخلل ولا في احد من السلف فان الرضى بالكفر كفر بالاجماع ذكره ابن عقيل وغيره ومن فهمه الله تعالى ذلك
فقد اعظم اللطف به والمنة عليه وقد سبق في باب الحاديث الثلاثة الكلام على الرضى بعد حديث علي رضي الله عنه
باب ما جاء في هذا

وفي رواية شرا اي بالعقوبة بسبب ذنبه في الدنيا
اي لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الاخرة متوافر الذنوب وافيها فيستوفي ما يستحقه من العقاب
في الاخرة ولهذا قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم
ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وقد يستدل
الامام احمد رحمه الله تعالى بهذا على ان ابراهيم هل كان رسولا قبل ان يبتلى قال لا يمكن حتى يبتلى ثم تلا قوله تعالى و
اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الى قوله اني جاعلك للناس اماما الآية وقال الم احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فاذا ابتلى الله قوما فضاء الله وافراغ عن الله سبحانه فيما ابتلي به من الله سبحانه

ولم يرض

ولم يرض شيخا [illegible] ورواه الحاكم في الحدود عن النبي بن خالد والطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في شعب
الايمان عن عبد الله بن معقل رضي الله عنه الانصاري وصححه ورواه الطبراني ايضا عن عمار بن ياسر باسناد جيد ورواه ابن عدي
عن ابي هريرة

الباب الخامس والثلاثون

الرياء مالمظاهرة العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ومقدر على
حذف مضاف اي باب ذي الرياء وقد قال جرير يخاطب

ندارك منهم مربع بوم عاقل طعان تدر آنفة و سمعا

لما ذكر رحمه الله تعالى ما يحض على محبة الله [illegible] وعقبه بباب كوقوع التوكل علم ان مدار التوحيد في
الاقوال والاعمال والاحوال على هذه الاشياء اعقبها بذكر الرياء اشارة انها لا تصلح مع ما اعقبه بالباب الذي قد تضمنه
وهو باب الارادة نحذر اعن ذلك ليلا يفسد عليه بذلك ما تقدم [illegible]

[illegible] يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم الذي افتتح هذه السورة بانزال الكتاب عليه صلوات الله وسلامه عليه قل لهؤلاء المشركين المكذبين به وبرسالته انما
انزل الكتاب عليكم موبخا انا بشر مثلكم فمن زعم اني كاذب فليأت بمثل ما جئت، فاني لا اعلم الغيب فيما اخبركم به
من الماضي عما سألتم عنه من قصة اصحاب الكهف وخبر ذي القرنين وخبر موسى عليه السلام والخضر مما هو مطابق في
نفس الامر ولا ما اطلعني الله عليه وانا اخبركم انما الهكم الذي ادعوكم الى عبادته الاله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه فالعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وهو العمل الذي يراد به وجه الله تعالى وحده لا شريكا له وحاصل المعنى في ذلك هو ان تكون
افعال العبد واقوله المتضمنة لارادة التقرب الى الله تعالى على ما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ان
كنا العمل المتقبل فلا بد ان يكون العمل خالصا صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن تيقن انه ملاق ربه عمل بمقتضى
على امره وانتهى عما نهى عنه وهذان الركنان قائدهما وسايقهما الخوف والرجاء لان ما هذا النوع صدر في ذلك
تفتح لصاحبها باب الخير وتغلق عنه باب الشر فينبغي للعبد ان لا يعلق رجاءه الا بالله ولا يخاف الا منه بحيث لا يخاف ان
دفع به لا يخاف ان الله يظلم الناس شيئا بل يخاف ان يجزيه بذنبه قال علي رضي الله عنه لأن يخرون
عبد الا بربه ولا يخافن الا ذنبه وفي الحديث الذي قدمنا ذكره قبل هذا الباب انه صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في
الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما
يرجو وامنه مما يخاف لان تعليق الرجاء بغير الله شرك وهذا قليل التفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب
نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وما جاء احد محلوقا او توكل عليه الا حاب ظنه فيه لانه حصل
في توحيده شرك والشرك يخاف المخلوقين وجوده فيحصل له رعب كما قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا
بالله عالم يترل به سلطانا والخالص من الشرك يحصل له الامن قال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم
مهتدون والظلم في هذه الاية الشرك كما قدمنا ذلك عنه صلى الله عليه وسلم والشرك في هذه الاية اخفى من دبيب النمل
وهذا كان العبد مأمورا في كل ركعة من صلاته ان يقول اياك نعبد واياك نستعين والشيطان يأمره بالشرك والنفس
تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله تعالى اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيده من
شوائب الشرك وصاحب الهوى الذي هو اصيب منه الحذر الهوى فضار فيه شرك يمنعه من تجريد الحق سبحانه من حقوق
التوحيد فلا بد ان يرفع عنه الشرك والمسلمون وان اشتركوا في الاقرار بكلمة التوحيد لم ينتفعوا بها ضلالهم في تحقيقها تفاضلا
لا يقدر احد ضبطه حتى ان كثيرا منهم يظن ان التوحيد المفروض عليه هو الاقرار والتصديق بان الله خالق كل شيء وهو ربه و
ملكه فلا يميزون بين توحيد الربوبية الذي اقر به المشركون وبين توحيد الالوهية الذي دعا اليه رسوله صلى الله عليه وسلم
كما في اخر هذه السورة فلا يحققون به توحيد القول والعمل فمن اخر مخلوقا من دون الله كالجن والملائكة وغيرهم فقد
اتخذ من دون الله اندادا وان كان مقرا بان الله خالقه وهذا جمع سجانه بين التوحيدين في قوله الحمد لله رب العالمين
جمع بين الاسمين اسم الاله واسم الرب فان الاله هو المعبود الذي يستحق ان يعبد والرب هو الذي يربي عبده فيمده فلهذا
كانت العبادة متعلقة باسمية الله والسؤال متعلق باسمية الرب وقد اطلنا الكلام على هذا المقام لشدة الحاجة
اليه وقد ورد احاديث مما يتعلق بهذه الاية الكريمة منها حديث المصنف رحمه الله عن ابي الدرداء وعبادة بن الصامت
رضي الله عنهما وتقدم وكذلك حديث شداد بن اوس وروى ابن ابي حاتم بسنده عن عطاء بن يسار قال قال رجل

يا رسول الله اي قف الموقف اريد وجه الله واحب ان يراني موطني فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت هذه الاية
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد سلم جماعة من التابعين من غير هذا الوجه ورواه
الحاكم في صحيحه متصلا عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه ان رجلا قال يا رسول الله اني اقف الموقف اذكر بلفظه وقال صحيح على
شرطهما وعند الترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن سعد بن ابي وقاص نحوه وقال الترمذي وقال سعد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة نادى منادٍ من كان اشرك في عمله احدا فليطلب ثوابه
من عنده فان الله اغنى الشركاء عن الشرك فيا ايها الناس يوم قال الله فيه وحصل ما في الصدور وان تقول نفس يا حسرتا على ما
فرطت في جنب الله وهذا كان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما عند الامام احمد في الزهد عن الحسن البصري عنه
انه كان يقول اللهم اجعل عملي صالحا واجعله لك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا ولفظ اشركا وتحصيل ما في الصدور يوم القيمة
بالبينات حين تنطق الاعضاء فحينئذ يقول الانسان ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله وروى ابو يعلى الموصلي عن ابن
مسعود رضي الله عنه مرفوعا من احسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه
ورواه البيهقي وعبد الرزاق في مصنفه بهذا اللفظ عن الدوسي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اضافة افعل التفضيل هنا
يجوز ان تكون للقصد الى الزيادة المطلقة اي انا اغنى من بين الشركاء عن الشرك ويجوز ان تكون للزيادة على عامر اضيف اليه اذا كان
الشركاء استغناء عن الشرك والمعنى انا اكثر من تصدق على الشريك استغناء عن الشرك والمراد بهذا ان من تصدق
على الشريك ان يجتلب الى الشريك والا فلا وفي السلام من الاعراض اي من عبادي من الاعمال قولية او فعلية
اي في ذلك العمل بان لم يكن خالصا بل للرياء والسمعة لذلك الغير قالوا الواو بمعنى مع ويجوز ان
تكون عاطفة فلم يقبل ما جعل له شيئا وكيف وهو تعالى مع الشريك هو الغني بحيث على الاطلاق كما قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى
الله والله هو الغني الحميد فالله له الغنى التام والحمد التام مذ كان الغير له نقص في حقه [illegible]
يرائيه سيد من يعصيه وابن نفاق المنافق غير طرد المسجد رب فقال في رب العالمين لا تقم فيه ابدا وقد قال زيد بن
مروان مررت بجارية متعبدة قد وصلت من سدة الحبسة فسمعتها تقول

سلب الرقاد مني جفون تشتفي ... ممن اللقا يحامع الافواف

قال فسلمت عليها فردت علي السلام ثم قالت يا يزيد ما السخاء عندكم قلت البذل والعطاء قالت هذا سخاء الدنيا فما السخاء
في الدين قلت المسارعة الى طاعة الله تعالى قالت الى متى قلت الى ان تموت قالت فما المسارعة الى طاعة الله تعالى الى ان يطلع
على قلبك فلا يجد فيه غيره ثم انشدت

حب الحبيب لحبيبه مطروح ... ان المحب بنابه مطروح
واذا تقلب في الدجا فتفؤاد ... بسهام لوعات الهوى مجروح

في صحيحه سعد بن مالك بن سنان الخدري الانصاري هو وابوه صحابيان رضي الله عنهما
الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فتنة الذي ما من نبي الا وقد انذر امته
قومه كنوح وامم شدة فتنة وهذا معلوم من المقام هو الذي هو في هذه الامة اجمع منه
دبيب النمل على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ثم قال صلى الله عليه وسلم فقال الصلاة
يعلم ان ينظر اليه الامام رضي الله عنه في سنده فالصلاة اصلها لله وشبيهها الاجل الناظر
الى المصلي فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم احمنا وتميته محاصادق حيدر روى هذا الحديث عن ابي سعيد رضي
الله عنه وهو الامام احمد في مسنده وابن ماجه في سننه وعن ابي امامة رضي الله عنه قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر مالي فقال لا شيء له فاعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه اسناده جيد رواه الامام احمد والنسائي و
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان رجلا قال يا رسول الله ان الرجل يريد الجهاد في سبيل الله ويبتغي عرض الدنيا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له فاعظموا ذلك وقالوا عد فلعله لم يفهم فعاد فقال لا اجر له رواه احمد ورواه ابو داود
ايضا وفي اسناده من لم يسم فيكمل هو ابن عبد الله بن عكرز العامري القرشي فهو مستور وفيه عنعنة وهذا مجمل
قدمناه للتنبيه على ان العمل اذا انتفى عنه الرياء بطل فان عرض في اثنائه وجد بالنية لم يضر وان لم يجد البتة
فقال بعضهم حبط اجره وقال [illegible] ابن رجب ان شارك الرياء العمل من اصله فالنص على الصحة ابطاله

وانه كان

وان كان اصل العمل لله ثم طرى عليه خاطر الرياء ودفعه لم يضر بلا خلاف وان استرسل معه فخلاف رجح احمد ان عمله لا يبطل
بذلك وذكر غيره لا اثم في شوب رياء اذا غلب قصد الطاعة وعكسه باثم فان تساويا عتان فلا اولا علم والاثم ترك عبادة
خوف رياء ورجح الثواب لو تلا بلا نية وقال ابن الجوزي وان طرى رياء بعد على العمل كاطالة ليرى
مكانه احبط اجره وان طرأ فرح وسرور لم يؤثر كره عنه في الفروع قال وان فرح ليمدح ويكرم عليه فهو رياء
لكن لا يؤثر بعد وان تحدث به فالغالب ان كان في قلبه نوع رياء فان سلم من نقص اجره وان لا يذهبها حوف
الرياء واطلق ابن عقيل وغيره ان الفرح لا يفسد وانما الانجاد استكثار طاعته ورويه نفسه قال وعلامة ذلك فقدان
الله بما اكرم به الاولياء وانتظار الكرام وبحو ذلك وعند ابي نعيم طريق بقية بن الوليد قال سألت العزرمي عن الاعمش عن ابي
صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا يسر العمل ثم يطلع عليه فلا يسوءه قال ذلك عاجل بشرى
مؤمن قال ابو نعيم حديث غريب من حديث العزرمي تفرد به عن بقية ورواه سعيد بن بشير عن الاعمش مثله ورواه من طريق
الثوري ايضا موقوفا عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي صالح عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسر فيطلع عليه
فيحب فقال له اجران اجر السر واجر العلانية قال ولم يقل احد عن ابي صالح عن ابي ذر غير يحيى بن اسباط عن الثوري واختلف
فيه على الثوري فرواه يحيى بن اليمان عنه فقال عن ابي سعيد الانصاري ورواه قبيصة عنه فقال عن المغيرة بن شعبة ورواه ابو
سنان عن حبيب عن ابي صالح عن ابي هريرة والحفري عن الثوري عن حبيب عن ابي صالح مرسلا وقال ابن هبيرة
في حديث عمار رضي الله عنه عن صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل ما عملت من شر ما علمت وشر ما لم اعلم قال له معنيان احدهما ان يرضى
بشيء او يتمنى ان يعمل مثل الثاني لا يشرك بالحق مثلا فيحب بقلبه كيف لا يشركه فيكون التحبب شركا والذنب شركا لا يعمل وقال
المروذي لاحمد الرجل يحل بالمسجد فربما فتح عليه صلاته يعني الرياء قال لا لكن بركة العلم وجهه القاضي ابو علي
بانتظار الاعادة معه وان قصده واحضاره في المرة الثانية قصد ليقتدى به اولا ليشابه النظر جاز وذكر قول احمد قال
في الفروع وقال الشيخ يعني الموفق قال شيخ الاسلام ابن تيمية لا يثاب على عمل مشوب اجماعا وقال ايضا صلى
تماما حسنا واكملها للناس اثيب على ما اخلص لله لا على عمله للناس ولا يظلم ربك احدا وعند الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن عمر
والحاكم باسناد رواته ثقاة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا ان الاخلاص لخلق في جوف احدكم كما يخلق الثوب
فاسئلوا الله ان يجدد الايمان في قلوبكم وقد فرق بعض العلماء رحمهم الله تعالى بين شوب الرياء وحضه النفس فجعلوا شوب
الرياء مبطلا للعمل وحضه النفس كاطالة الصلاة حالا صائما لخصم وبين الصوم مع قصد فضل الطعام وبين الحج مع قصد
رؤية البلاد والنزاهة منقصا لا مبطلا الا ان قصد ما لم من ضرورة كتيمم البرد والنظافة مع بقاء رفض الحدث فالا بن الجوزي وغيره
وقد احتمال البعض كما تقدم ان الاول قول الجمهور وقال شيخ الاسلام ايضا فيما يتعلق في معنى
الحديث الاول لا يمكن ان يقال لم لا اخذ نصيبه منه لان مع الاشراك يمتنع ان يكون له شيء كما انه بتقدير الاشراك في الربوبية
يمتنع ان يصدر عنه شيء وان الغير لا وجود له وهو لم يستقل بالفعل كذا هنا لم يستقل بالقصد والغير لا ينفع قصده قال
ولهذا اطلق في الشرعيات ولحسابات اذا خلط بالنافع فسده كخلط الماء بالخمر قال وبهذا اندفع سؤال من سأل
الله شيئا فقال اللهم افعل كذا لك وعبدك او دعا الله وغيره فقال افعل كذا لك وكان هذا الطلب ممتنع فان غيره لا يشركه
وهو على هذا التقدير لا يكون فاعلا الا ان تقدير وجود الشريك يمتنع ان يكون هو ايضا فاعلا فاذا كان ممتنع هذا في الدعا
والسؤال فكذلك يمتنع في العبادة والعمل ان يكون لله ولغيره قال وذكر الاصحاب فيمن نحج بأجرة انه لا يحج
الاشراك في العبادة فجعل فعله من اجل هذا الاجرة خارجا عن كونه عبادة فلم يصح واعتمد شيخ الاسلام انعقاد من الله
روجد على هذا في القراءة للميت باجرة وفي الثواب والانتفاع في امام الصلاة اذا صلاة له ولا لهم وقال الامام تخلاف لحالة
في باب الحج ونحوه اذا اخذها ليحج فقط يجزيه اوسع من مسألة الاجرة وتجويزها مع جهالة العمل وقدره تخلاف من حج
ليأخذ فقط ومن امر للرياء والسمعة قال ابن مفلح وهو معنى كلام ابن
الجوزي في كل طاعة وبالله الهداية

الباب السادس والثلاثون

من اراد بعمله الآخرة ومن اراد به الدنيا

الاخلاص لغة تصفية الشيء من الشوب وطلب الخير فقد اشرك في نيته وارادته والاخلاص ان تخلص لله في اقوالك وافعالك
وارادتك ونيتك وهذه هي الحنيفية ملة ابراهيم التي امر الله بها العباد وفي الآية امر بعبادته ونهي عن الرياء والسمعة وفي مسند الوديعي
عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من قرأ القرآن يبتغي به وجه الله عز وجل يتعلم به العمل الآخرة وعند
الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة رضي الله عنه من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا

وقد تفتح عينه وفي رواية الترمذي لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم اضاف صلى الله عليه وسلم عبوديته حيث تكلب الدنيا
من قلبه للدينار وما بعده فان الكل من هذه الاعيان يطلب فاذا ارتبط به العبد نفسه انتكس فمتى كان العبد عبد العبد كان
شر العبيد حتى يخلص نفسه عن كل ما سوى الله سبحانه
قيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة مربعة الخميلة خابجة القطيفة وهي كل ثوب له خمل من
اي شيء كان وقيل الخميلة هي الاسود من الثياب شيئا من الدنيا من جنس ما ذكر شيئا منها
فهذه حالة من يسخط الدنيا ويرضى بها فصاحب هذا الخلق قد استحق بهذه الصفة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد حكى
الله هذه الصفة عن المنافقين فقال ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
الاية وعند الامام احمد ومسلم في صحيحه والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل
المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا او يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع احدهم دينه بعرض الدنيا قليل يعني خطاها
والعرض قال الترمذي ما عرض لك من منافع الدنيا وفي مسند الامام احمد عن رجل من الصحابة والبيهقي عن ابن
عمر والطبراني وغيره عن ثوبان رضي الله عنهم مرفوعا يأتي الذهب والفضة قالوا يا رسول الله فما الاعمال تتخذ
قال قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة ثم قال صلى الله عليه وسلم اي عثر فكب لوجهه وقد تفتح عينه
اي انقلب على رأسه والمعنى انه دعا عليه بالكبة والحرمان بشوكة في جسده
منها بالمناقش اي فلا اخرجها بذلك وهذه دعوة اخرى فدعي عليه بالنعس والانتكاس حيث تكاسل امر فجعل الارادة
الواجبة عليه لله سبحانه بغيره مريدا بذلك عرضا من الدنيا ثم دعي عليه دعوة اخرى بانه لا يرفع عنه ما حل به من المكروه
ثم رغب اهل الاخلاص في بما يحصل الهم عند الله تعالى فقال فيل تجرح في الجنة يسير الراكب في ظلها مسيرة
مئة عام كما وردت الاحاديث بذلك وقيل الجبة نفسها وصفه بالعبودية لانها سجية وهي اشرف وصاف ولهذا
جعلة العبودية رغما صنع بان حمل التعبد لله تعالى والتذلل لديه بذل نفسه وجوده فصار بذلك
راكبا او قائدا يقاتل مع كونه لله تعالى مجردا على المؤمنين الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الا ترى وصف
صلى الله عليه وسلم جميع احواله بالاغلب منها اذ لا يخلو في معظم امره ان يكون راكبا او قائدا الفرس في سبيل الله كما قال
صلى الله عليه وسلم واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ملوصف هيئة فقال الشعث الغبر
يقول مغبر شعر راسه لم يأت ولم يلبد او رجل من الغبار من كثرة سعيه في سبيل الله من غدوه
ورواحه فيه وفي المعنى يقول الشاعر
ولست بمتبوع اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب
فوصفه بانه قد هجر اهله دهره والطيب حتى صار اشعث الراس من الغبار من كثرة سعيه
في سبيل الله من غدوه ورواحه فيه شرطيه والمعنى ان كان هذا العبد في
الحراسة كان فيها مستقرا ثابتا على ذلك العمل وهذا من باب قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله فهو كقولهم ان كان فلان في الصداقة فهو في الصداقة يعني هو
ثابت فيها لا يتغير مقيم على ذلك من باب المدح والتعظيم لثبوته في عمله ومنه قول ابي النجم انا ابو النجم وشعري
شعري اي شعري الآن هو شعري السابق ثابت لم يتغير للكبر ولا لغيره فوصفه في موقفه الذي يقف فيه من
مواطن الجهاد بالاستقرار والثبات فيه
في هذه المواضع التي هي مشاهد الجهاد عملا وانفعها للمسلمين فعيد ان الاجر على قدر المشقة في العمل وان كان اصله
واحدا اذا صحت النية ثم وصفه بصفة اخرى وهي الخمول في الناس فقال ساد ان على الرؤوس وذوي الهيئات
يحمل له وعدم تعلق قلبه في عدم الترفع ليعرف ويرى مكانه فانه في الغالب اذا كان يطلب الترفع
ليعرف اذن له فهذا العبد قد طرح نفسه لامر طاعة ربه وما يقربه عنده لانه لا يطلب ما يقربه عند الخلق لطرحه
ارادة الدنيا من قلبه وتعلقه بارادة الله تعالى والدار الاخرة وهذا منه يدل على اخلاصه لاحد على
هذه الحال وامام عند الباري جل
وعلا فعند مسلم وابن ماجة وغيرهما مرفوعا ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم

بيانا لهذه القاعدة المهمة بان ما اريد به وجه الله ثبت فيه الاجر وان حصل لفاعله حظ نفس فاذا كان الذي هو من حقوق النفس بالمحل الذي ذكرناه اذا اريد به وجه الله فكيف الظن بغيره وهو مباعد لحظوظ النفس وتمثيله بالنهي مبالغة في تحقيق هذه القاعدة النافعة ولذلك قال رحمه الله

الباب السابع والثلاثون

الطاعة هي موافقة الفعل للقول المتوجه عليه وهي اعم من القربة فان النظر الاول يقع طاعة ولا يصح ان يقع قربة للجاهل بالمتعلق به وخلف في هذه الطاعة هل هي مقرونة بارادة ام هي عبارة عن نفس وقوعها بالفعل المامور به حتى تتبعها الارادة على قولين للعلماء رحمهم الله تعالى ولما كان بلزم طاعة العالم فيما افتى واخبر وطاعة الامير فيما امر وحكم وكلما تاكد الامر به تاكد الامر في به بالطاعة لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال المفسرون في الاية قولان قيل العلماء وقيل الامراء والاقوال ان صحيحان لان السلف رضي الله عنهم لا يولون عاملا الا عالما فامروا الناس الامر بها بالاحكام الشرعية من الكتاب والسنة خصوا بذلك العلماء وقد صرح العلماء رضي الله عنهم انه لا يجوز امر غير عالم الا لضرورة وحاجة يقدر بها اهل العلم ولهذا قال البخاري والامام احمد وغيرهما في قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا خلافهم حتى يأتي امر الله هم العلماء فلما كان الامر كذلك حذر المصنف رحمه الله عن ذلك بقوله

سبحانه ان ذلك معصية

سبحانه والطاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد قال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء الاية وقال تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب الاية ولذلك قال الشيخ

والرب عند العرب هو السيد

للطائع قال ابن جلنز في المنذر بن ماء السماء وقد حضرهم يوم الجمعة ابرين يذكر ما صنع في ذلك اليوم

وهو الرب والشهيد على يوم ... الجمعة ابرين والبلاء بلاء

وسبب ذلك التحريم والتحليل الاحداث في الدين وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك اشد التحذير ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلى صوته واشتد غضبه كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وفي رواية للنسائي وكل ضلالة في النار وفي الصحيحين عن عائشة مرفوعا من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي حديث العرباض بن سارية الذي عند اهل السنة مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم قال من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة **وهذه قاعدة** قد دلت عليها السنة واجماع الامة معها وفي كتاب الله من الدلالة عليها ايضا قال الله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ومعنى ذلك ان كل ما يتقرب به الى الله سبحانه او اوجبه بقوله او فعله من غير ان يشرعه الله سبحانه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى وكل من حرم ما احله الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا له شرع من الدين ما لم يأذن به الله قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وقد يكون هذا منافيا لاصل هذا الشرع فيغفره الله لاجل تاويله اذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفى عنه معه عن خطاه وتبقى ايضا على اجتهاده وتعين لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال او عمل قولا او عملا قد علم الصواب في خلافه بقي بالله من العمى والتحدد لان واما قوله صلى الله عليه وسلم في الاوزاعي كما في الحديث الصحيح اسمع واطع وان ضرب ظهرك واخذ مالك وما ورد في هذا الباب من هذا الضرب مما حث على السمع والطاعة فانما ذلك من باب الحث على تقرير جماعة المسلمين وابتلافهم وكفاعن تفرقهم واختلافهم المنهي عنه الذي يوصلهم وينتهي بهم الى وضع السيف فيهم بعضهم من بعض فامر صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذى المقدر حذرا من اكبر هما فوقه فرتب على واجبات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا حث صلى الله عليه وسلم على الصبر على جور الائمة وامر باعطائهم حقهم مع ذلك حتى انه امر بالصلاة مع الذين يؤخرونها عن وقتها طلبا لجمع القلوب ودفعا بذلك للضرر واستجلابا على اجتماعهم في ذلك وصبرهم على اذى المنافقين له وللمؤمنين محافظة على انتظام جماعتهم وليحصل بذلك التناصر والتعاون على العدو

الظاهر انه صلى الله عليه وسلم طبيب الامة وهو اعلم بمصالحها وما يصلح لها من جهة الامر من الله عز وجل ولهذا قال في الحديث
حاكم رسول من انفسكم الآية وقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهذا يحتاج الى التحليل و
والتحريم لعالم بما فيه الله ويرفق ذلك بأمته اجمعه اذ هو من نتائج الشرك كما مر بيانه والله الموفق لهذا قال عبد الله
هو عبد الله بن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وصحبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم برفقه المبارك وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان جسيما وسيما طويلا ابيض مشربا بصفرة صبيح الوجه
ذا وفرة يخضب بالحناء قال عطاء ما رأيت اكمل ليلة البدر الا وجه ابن عباس وكان الصحابة رضي الله عنهم يعظمونه ويرجعون
الى قوله مع حداثة سنه رأى جبريل عليه السلام مرتين وكان اذا روي قبل اجل الناس واذا تكلم قيل افصح الناس واذا تحدث
قيل اعلم الناس وفد ذكرنا وفاته بالطائف سنة ثمان وستين ايام ابن الزبير وقد كان عبد الله بن الزبير امره واخاه عبيد
الله بن عباس ان يتحالما من مكة للطائف فقالا بل نموت جميعا سنة احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن الحنفية وكف بصره اخر عمره وفي نفوح حسه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بمنطقه الا لذي بيانها فصلا

وقال فيه ابو الطفيل وهو اخيه رضي الله عنهم

كنا بحي ابن عباس فيقبسنا ... فقها وكسبنا اجرا وتهديبا
ولا نرى عبد الله مزعة ... حفاة مطها ضيفا ومكتئبا
قال الوالدين والدنيا مدارهما ... نال منها الذي تبغي اذا شئنا
ان النبي هو الغوث الذي نزلت ... به علما ثابتا فينا وما غيبا
واهله عصمة في ديننا ولهم ... حق علينا وحق واجب فينا

في ابيات منع مصارعها الاخر بالسكون على عادة بعض الصحابة رضي الله عنهم منهم عبد الله بن الزبير قال بن عبد البر وروى
عن عبد الله بن عباس انه رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفه فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال هذا رائشه قال
نعم قال اراك جبريل عليا السلام اما انك ستفقد بصرك فعمي بعد ذلك في اخر عمره وهو القائل في ذلك

ان يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكان ابو هما العباس رضي الله عنه حليف قريش رأيا وقد تكلم يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم بكلام مع جبنه كلام ابي بكر
الصديق وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الانصار يوم العقبة وهو على دين قومه ليشد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم العقد فلما رأى معاوية رضي الله عنه تمتع بالحج وحاد قد انكر عليه سعد وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم بان المتعة
في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند الامام احمد في مسنده وغيره وعنده فقال عروة بن الزبير نهى ابو
بكر وعمر عن المتعة فقيل ذلك لابن عباس فقال مجيبا لعروة لما عارض بقول الخليفتين الراشدين المهديين المخصوص على متابعتها
ان يقرب اويسرع وهو بكسر الشين المعجمة فقال اوشك يشك ويوشك قال حسن بن ربيب الخطفي

اذا جهل اللئيم ولم يفند ... لبعض الامر اوشك ان يصابا والعاقلة يقولون تفند

وفي رواية عند الامام احمد وغيره قال ابن عباس ارأيتم سخط الله ورسوله اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون نهى ابو بكر وعمر وعند
الدارمي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اما تخافون ان تعذبوا او يخسف بكم ان تقولوا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتقولون لا فلان وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما امر بالمتعة وقال سنة ابي القاسم
وقد قال انا سئل ابن عمر رضي الله عنهما كيف تخالف ابا ك وقد نهى عنها فقال ويلك الا تستقون الله ان كان عمر نهى عنها
فيه الخير يلتمس به تمام العمرة فلم تحلوا ذلك وقد فعلها رسول الله وعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الله احق
ان تتبعوا سنته ام سنة عمر لقد علم ان العمرة في اشهر الحج حرام ولكنه قال ان اتم العمرة ان تفردوها من اشهر الحج وروى ذلك
عن ابن عم الامام احمد والمرهذكي والنسائي بهذا المعنى ومسلم في صحيحه ان عمر رضي الله عنه قال لابي موسى في قصة
ذكرها قد علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد فعله واصحابه ولكني كرهت ان يظلوا معرسين بهن في الاراك ثم يروحون
في الحج وقد قال الامام احمد في رواية الاثرم المتعة في كتاب الله واجمع الناس عليها فالحاصل
انه اذا كان هذا قول ترجمان القرآن حبر هذه الامة هذا مدفع المقلد في الدين المقام للتأويل فيما عارض قول رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم بقوله قد امرنا باتباعهما والاهتداء بهديهما وهما افضل الخلفاء الراشدين بل الراشدهم واحدهما الذي قال
الله تبارك وتعالى فيه في قوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وقد اجمع المسلمون على ان الصاحب المذكور هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه ١٤٩
وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه قال على ابي بكر فان النبي صلى الله عليه
وسلم لم تنزل السكينة عليه وعن سعيد بن جبير عن سعيد بن عيينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ابا بكر وحده فانه خرج عن المعاتبة ثم قرأ الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ
هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وروى ان رجلا قرأ سورة التوبة عند ابن بكر فلما بلغ اذ يقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بكى ابو بكر رضي الله عنه وقال انا والله صاحبه وقد اجمع من يعتد باجماعه من هذه
الامة انه افضلها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وقد جمع الله لابي بكر بالاسلام ابويه وبنته وامه ام الخير لا تعرف لابي بكر في
على اسرها ام الخير واخرها سلمى بنت صخر بن عامر عم ابيه يتيمة والثاني الفاروق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام احمد والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه
مرفوعا ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ورواه الحاكم وصححه وابو داود عن ابي ذر الغفاري وابو يعلى والحاكم
ايضا عن ابي هريرة وقال الحاكم على شرط مسلم واقره على ذلك الذهبي وغيره وفي لفظ عند الامام احمد وابن ماجه والحاكم
ايضا عن ابي ذر ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به قالوا وفي قلبه وعند ابن عساكر عن ابي ذر رضي الله عنه مرفوعا ان الله
جعل السكينة على لسان عمر وقلبه يقول بها وعند ابن ابي شيبة بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كنا نعد ج
اي نكني ونرى انا نتكلم الا على لسان عمر رضي الله عنه وروى ابو يعلى له الخطابي بسند حسن عن علي رضي الله عنه ما لفظه كنا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا نشك ان السكينة تتكلم على لسان عمر وعند الخطابي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قال طلبت على ابي بكر في علة اتيته ما في فيها فقلت اراك يا ويا يا خليفة رسول الله فقال اما اني على ذلك لشديد الوجع و
لما القيت منكم يا معشر المهاجرين الاولين اشد علي من وجعي اني وليت امركم خيركم في نفسي فكلكم ورم انفه الا يكون له
الامر دونه والله لتتخذن ضيائل الديباج وسنور الحرير ولنامن النوم على الصوف الاذربي كما يالم احدكم النوم على حسك
السعدان والله لئن بقيت احدكم فتضرب برقبته خير من ان يخوض غمرات الدنيا هكذا والطريق حرف اغا هو الفجر
او البحر فجعل الصديق رضي الله عنه وناهيك به عمر حيرا المهاجرين الاولين بعده وكفى بهذا فضلا له قلت وقد وقعت
هذه الموعظة من الصديق لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وذلك انه لما اصيب عمر وجعل الخلافة شورى بين من بقي من
العشرة عافاها عبد الرحمن وكان هو سبب صلاح الامر بعد الباقين حتى وقع الامر على الاتفاق على عثمان رضي الله عنهم
فعمر هو افضل الصحابة رضي الله عنهم بعد الصديق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يفر منه وانه ان يكن في امته
محدثون فعمر منهم ووافق ربه في نزول اربع من القرآن العظيم فاذا كان هذا قول من القرآن فيه يعارض قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقول هذين الخليفتين المهديين الراشدين الذين قد امرنا باتباعهما والاهتداء بهديهما فكيف
بمن يعارضه بقول غيرهما بل كيف بمعارضة كلام رب العالمين الذي هو اصدق القائلين واحكم الحاكمين وارحم
الراحمين فاليحذر الانسان ما نزل به الى هذا الامر [illegible] امام السنة وعالم الامة مع البدعة الصارخ
في المحنة لازاحة الغشية المخيمة على عباد الله ودياناته وزهده وورعه وامامته واماناته وتقدمه بالعلم بالكتاب
والسنة على سائر الامة الامام المجل والحبر المفضل ابو عبد الله [illegible] بن محمد الشيباني مرشيبان الاكبر بالتقي
سببه وسبب النبي صلى الله عليه وسلم في رجل نزار بن معد بن عدنان مناقبه معلومة مشهورة وفي كتب علماء الاسلام
مثبتة مستطيرة رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن امة محمد صلى الله عليه وسلم احسن جزاء وقفوله هذا
هو ما نقله ابو طالب عنه انه قال غيبا وفي لفظ [illegible] الاسناد هو رفع الحديث الى قائله و
هو من خصوصية هذه الامة فلله در من جاهد على طلبه والاعتناء به وعليه قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه انه
قال في حجة الوداع فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع وقد قال هذا في خطبته
يوم النحر بمنى الحاضر والبادي والمناجب والحافي فلذا يذكر امر مطلوب للائمة ومعتبر وعند الترمذي وغيره
عن عبد الله بن المبارك انه قال الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال سلمة بن شبيب
المسمعي النيسابوري الثقة للامام احمد يا ابا عبد الله قويت قلوب الرافضة ورفع لفظ الكرابيسي منكر حسن جميل الاصلة واحة
فقال احمد وما هي قال تقول لفيح الخ قال له احمد كنت ارى لك عقلا عند ثمانية عشر حديثا صحاحا جيادا كلها

في فسح الحج انه كما قلت لك وقد قال ابو ضمرة بن سلام ليس شيء اثقل على اهل الالحاد ولا ابغض اليهم من سماع الحديث و
روايته والاسناد وقد عاب بعضهم على حفاظ الحديث الكلام في الرواة وبعدوه غيبة وانما هو عند النصحة قال
الحافظ رحمه الله تعالى وقد عاب من لا افهام له على اهل الحديث الكلام في الرجال قال وقد وجدنا غير واحد من الائمة من
التابعين قد تكلموا في الرجال وضعفوا وعد جماعة قالوا وانما حملهم على ذلك عندنا والله اعلم النصحة للملة لا
لغير بهم انهم ارادوا الطعن على الناس او الغيبة وانما ارادوا عندنا ان يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا لان بعضهم من
الذين ضعفوا كان صاحب بدعة وبعضهم كان متهما في الحديث وبعضهم كان من اصحاب غفلة وكثرة خطاء فاراد هؤلاء
الائمة ان يبينوا احوالهم شفقة على الدين وتثبتا لان الشهادة في الدين احق ان يتثبت فيها من الشهادة في
الحقوق والاموال ثم روى عن ابن سيرين بسنده انه قال كان في الزمن الاول لا يسئل عن الاسناد فلما وقعت
الفتنة سئلوا عن الاسناد لكي يأخذوا حديث اهل السنة ويدعوا حديث اهل البدع فيما ذكرنا يعلم ان الاعرف صحة
الاسناد من ضعفه الا بذلك وذكر عماد الدين بن كثير ان رجلا سمع الامام احمد وهو يتكلم في بعض الرواة فقال اتغتاب
العلماء فقال له احمد ويحك هذا نصيحة ليس هذا غيبة وقال في رواية اخرى الاسناد العالي سنة عمن سلف وقيل
ليحيى بن معين رحمه الله تعالى في مرض موته ما تشتهي قال بيت خالي واسناد عالي فالاسناد من خصائص هذه الامة وذلك
انه ليس امة من الامم على بقائها اسناد متصل الى نبيها الا هذه الامة فلهذا كان طلب الاسناد مرغبا
فيه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر بن الخطاب الذي عند الامام احمد والبخاري في صحيحه والترمذي في العلم
بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار مع ما اشرنا
اليه من قوله في الصحيح في خطبته صلى الله عليه وسلم يوم منى فليبلغ الشاهد منكم الغائب وقال تعالى لينذركم به ومن
بلغ ولا يبلغ الى احد الا بسماع وقال ابو بكر الخطيب عمن عاب ذلك باسناده الى ابي بكر محمد بن احمد المفيد الجرجاني
قال انشدني الحسن بن علي الباغاني من اهل باغية المغرب قال انشدني حماد المغربي الباغاني لنفسه منتقصا اهل الحديث

ارى الخير في الدنيا يقل كثيره ... وينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا كان كالخير كله ... ولكن شيطان الحديث مريد
ولابن معين في الرجال مقالة ... سيسئل عنها والمليك شهيد
فان يك حقا فهي في الحكم غيبة ... وان يك زورا فالقصاص شديد

قلت فلما وقفت على هذه الابيات انشأت ابياتا رادعا صاحبها وموريها هنا لتعلم الفرق بين الغيبة و
النصحة عند السلف وان صحة الاسناد لا يعرف الا بما عابه هذا العايب كما لا يعرف زيف الدراهم
الا بالناقد فقلت في ذلك طلبا من الله جزيل جزائه انتصارا لاولياء

تنقص بالمغرور قوما حماهم ... مليك على مجدهم ويزيد
هم القوم اهل العلم والدين والتقى ... وانت خدا في الفلا طريد
بهم يدفع الشيطان عن دين ربهم ... الله على كل العباد شهيد
وانت كما الشيطان ترمي بشهبهم ... محسن رشين الدقتين بعيد
فتح في باغية الخبث راكس ... خبيث فما للخبث فيك مزيد
فانك هيهات العلا لك هالك ... غويا وللشيطان فيك مفيد
فلو قلت جنبا كل منكر ايت ما ... تحسن بالوحيين منك بديد
فحافظ وحي الله شهب من السما ... وفي الارض حفاظ الرجال بحيد
فهيهات حتى اجهد النفس وارتقا ... مراقي كعبة النوم فيك بعيده
فمالي في حفاظ الدين ويحك غيبة ... كما لك في نقد النقود نقيد

وما احسن ما قال بعض الفضلاء

عليك باصحاب الحديث فانهم ... على نهج للدين ما زال معلما

وما النور

وما الثوري الا في الحديث واهله ... اذا ما دجى الليل البهيم واظلما
واعلم ابرار بامن الى الشر اعينا ... واعمى ابرار بامن الى البدع انتمى
ومن ترك الآثار ضل سعيه ... وهل يترك الآثار من كان مسلما

وبهذا تعلم ان الاسناد هو الذي يعتمد في الحديث عليه وعليه صحة الحديث وضعفه مع ان كلام النووي المتقدم في المقدمة ولذلك قال الامام احمد يعني الاسناد فعلى هذا السند والاسناد بمعنى بمعنى الاعتماد وقيل ان احدهما اخص من الآخر وحاصل الاسناد التصحيح على ما ذكره عماد الدين بن كثير في مختصر علم الحديث لابن الصلاح وغيره انه المتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم او الى منتهاه من صحابي او من دونه وان لا يكون شاذا ولا معللا بعلة قادحة فعجب الامام احمد يعني انكاره على الدين يعرض صحة ذلك الاسناد المتصل الى النبي صلى الله عليه وسلم على الصفة المذكورة في حكم صريح محكم فيدعونه

قال ابو طالب في روايته عن احمد الى رأي سفيان الثوري وغيره وهو سفيان بن سعيد الكوفي الثوري الربائي كان قد صنف كتابا يسمى الجامع سماه بالموطأ فقيل انه هو الكتاب العالم الرباني المصري من ثور بن عبد مناة بن ادبن طابخة بن الياس وفيه يلتقي نسبه ونسب النبي صلى الله عليه وسلم كان رحمه الله اماما لمذهب اجمع الناس على دينه وورعه وزهده وفقهه وهو احد المجتهدين المغفور لهم اجتهادهم قال ابو العرب بن الجوزي سيرة السلف كلهم فاروق ان استخرج منهم من جمع بين العلم حتى صار من المجتهدين وبين العمل حتى صار قدوة للعاملين فلم ار اكثر من ثلاثة الحسن البصري وسفيان الثوري واحمد بن حنبل قال ولا انكد على من ربعهم سعيد بن المسيب وقال سفيان بن عيينة ما رأيت رجلا اعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري وقال عبد الرحمن بن مهدي ما عاشرت احدا من سفيان الثوري وقال بن مهدي ايضا ائمة الناس اربعة الثوري بالكوفة ومالك بالحجاز وحماد بن زيد بالبصرة والاوزاعي بالشام وعن ابراهيم الحربي قال سعيد بن المسيب في زمانه وسفيان الثوري في زمانه واحمد بن حنبل في زمانه وقال عبد الله بن المبارك كتبت عن الف ومئة شيخ ما فيهم افضل من سفيان الثوري وقال شعبة ويحيى بن معين وغيرهما سفيان الثوري امير المؤمنين في الحديث وقال عبد الرحمن بن مهدي ايضا سفيان الثوري امام في الحديث وليس بامام في السنة وقد روى عنه انه قال ما اودعت قلبي شيئا فخانني وقال الامام احمد لا يتقدم سفيان الثوري في قلبي احد وقال يحيى بن سعيد القطان ما رأيت احدا احفظ من سفيان الثوري وهو فوق مالك في كل شيء وقال ابو اسحق في الطبقات قال عبد الله بن المبارك لا نعلم على وجه الارض اعلم من سفيان الثوري قال وقال علي بن المديني سئلت يحيى بن سعيد فقلت ايما احب اليك رأي مالك او رأي سفيان فقال سفيان لا اشك في هذا ثم قال يحيى سفيان فوق مالك في كل شيء وكان سفيان كثير الحط على المنصور فلما ولي ما ولي من مكة وسفيان فيها اقسم سفيان الثوري على ربه في الملتزم لا يدظلها ما قامت المنصورية حارجها ولم يدخلها ذكره بن جرير وغيره ولما قال له المهدي ايسفيان تغرهنا وهنا وتظن ان لوارد ناكن بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الان فما عسى ان نحكم فيك هو انا فقال سفيان ان احكم فيك ملك قادر عادل يفرق في حكمه بين الحق والباطل فاراد الربيع بن يونس وكان واقفا على رأس المهدي بالسيف قتله فقال له المهدي ويلك وهل يريد هذا وامثاله الا ان نقتلهم فنستريح منهم فاكتبوا عهده على قضاء الكوفة فكتب فخرج به فر به في دجلة وهرب فطلب فلم يوجد وولي قضاءها شريك بن عبد الله النخعي فقال الشاعر

تحير سفيان وفرديه ... وامسى شريك يرصد الدراهم

وقد اخذ العلم عن ابي اسحق السبيعي والاعمش ومن في طبقتهما وسمع منه الاوزاعي وبن جريج ومالك وابن اسحق وابن عيينة وغيرهم توفي بالبصرة سنة احدى وسبعين ومئة وهو متوار عن السلطان ولم يعقب اكرم العلم وهم ابيين لكرم جلالة سفيان وعلو قدره ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعظم في جانبه شيء عند السلف والائمة ولهذا قال عالم قريش الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي الحائط وكان امام دار الهجرة مالك بن انس يبالغ في تعظيم السنة حتى قيل انه لا يحدث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء وكذا ما روي عن الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى من تعظيم ذلك وكان سعيد بن الحاج امير المؤمنين في الحديث لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قاعد قبله لذلك فضلا عن كونه على غير وضوء فاذا ضجر امسك حتى

يستجيب ويفرغ قلبه فروى الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي عن روح بن عبادة قال كنا عند شعبة بن الحجاج
وضجر من الحديث فرمى بطرفه فرأى ابا يزيد سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري في اخريات الناس فقال يا ابا زيد

استعجمت دار مي ما تكلمنا ... والدار لو كلمتنا ذات اخبار

الى يا ابا زيد فجاءه فجعل ينشد ابيات الاشعار يقول بعضها اصحابا لحديث يا ابا بسطام قطع الله ظهور الابل لمن
منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عنا وتقبل على الاشعار قال فرأيت شعبة قد عض على اصبعه السبابة
قال يا هناه انا اعلم بالحلال لي انا والله الذي لا اله الا هو في هذا اسلم مني في ذاك وبهذا وباشباهه احق هعلا ان
يكون الدين ايمة يقتدى بهم ويروى عن الامام احمد في هذا المعنى ضروب وعن غيره من السلف والعلماء المعتبرين
قال ابن الجوزي بعد ذكره لنصوص من الكتاب والسنة وهذه النصوص ظاهرة البرهان لا يهول
على الفهم القول معارض النفس او لطغام وقد قال رجل لعلي رضي الله عنه انظر انا نقاتلهم ان طلحة والزبير على الخطأ و
انت على الصواب فقال انه ملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله وقال رجل للامام احمد ان ابن المبارك قال كذا
فقال ان ابن المبارك لم يكن من السماء وقال ابن الجوزي ايضا لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بعثه على
اقوم منهاج وحسن الاداب فكان اصحابه على طريقته وجمهور التابعين دخلت افات وبدع فاكثر السلاطين
يعملون باهوائهم وارائهم لا بالعلم ويسمونه ذلك سياسة والسياسة في الشريعة فان ارحم الخلق بالامة النبي صلى
الله عليه وسلم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله تعالى رحيم بعباده فالواجب اتباع طريقة الرحمة قال ابو الجوزي والتجار
يدخلون في الربا ولا يعلمون وقد يعلمون ولا يبالون وصار جمهور العلماء في تخليط عظيم وقال التقليد للكبار افسد
العقايد قال ولا ينبغي ان يناظر باسماء الرجال انما ينبغي تتبع الدليل فان احمد بن حنبل احد في الجد يقول زيد وخالف
ابا بكر الصديق رضي الله عنهما وقال سريح ان السنة قد سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع فانك لن تضل ما اخذت بالاثر
قال الشعبي انما الرأي بمنزلة الميتة اذا اضطررت اليها اكلتها وهي الكفر وفرح السنة وقال عبد الله بن الامام احمد
كان ابي يكره جامع سفيان الثوري وينكره قال عبد الله وسألت ابي عن الرجل يكون عنده الكتب المصنفة فيها قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم واختلاف الصحابة والتابعين وليس للرجل بصر بالحديث والاسناد القوي من الضعيف أيجوز له ان يعمل
بما شاء او يختار ما اجد فيقضي به ويعمل قال لا حتى يسأل ما وجد به ويعمل على امر صحيح يسأل عن ذلك اهل العلم وروى
الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي رحمهما الله تعالى في كتاب مناقب الشافعي رضي الله عنه قال حدثني ابي سمعت
حرملة بن يحيى التجيبي يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما صح حديث النبي صلى
الله عليه وسلم اولى ولا تقلدوني قال وكذا روى الربيع والمزني عن احمد بن حنبل عن الشافعي قال وقال موسى ابن
الوليد بن ابي الجارود عن الشافعي اذا صح الحديث وقلت قولا فانا راجع عن قولي وقائل بذلك وهذا من سيادة ومامة و
هذا نفس قول الائمة من الاعلام رحمهم الله تعالى وقد قال الامام احمد لا احد بن الحسن الرازي يقال للرجل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا يقنع وقال فلان فيقنع وقال ابو داود الرجل يسأل الرجل على انسان يسأله قال اذا كان يقنع
بأيش لا يعجبني رأي احمد وقال ابو الحارث عن الامام احمد وعليك بالاثر وقال الفضل بن زياد لا تقلد دينك
الرجال فانهم لن يسلموا ان يغلطوا وقد روى ابن الجوزي عن عبد الوهاب الوراق قال ما رأيت مثل احمد بن حنبل قال ابو الدرداء
شيء بان لك من فضله وعلمه على غيره ما رأيت قال رجل سئل عن سبعة الف مسئلة فاجاب فيها بلسان قال حدثنا واخبرنا قال
بن مفلح ومن العجب ما رواه البيهقي في كتاب الخلال عن المروذي قال احمد اذا سئلت عن مسئلة لا اعرف فيها خبرا قلت فيها
بقول الشافعي لانه امام عالم من قريش وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش يملأ الارض علما وذكر في الخبر ان
الله يقيض في راس كل مئة سنة رجلا يعلم الناس دينهم فكان على المئة الاولى عمر بن عبد العزيز وفي الثانية الشافعي قال
وهذه الحكاية في اسنادها احمد بن محمد الادريسي قال الدارقطني سمعت اهل بلده يطعنون فيه ويضعونه ولم ار صنعته ولم اعرفهم
به عبد الله بن حاتم ابو اسحق الهروي نزيل بغداد وقد تكلم فيه بسبب القراءة وقال الدارقطني فيه كذا و
ابي بن الاول رواه البيهقي من حديث سعد وباسناد لا يحتج به قاله الدارقطني وغيرهم قال وقد روي عن ابن عباس
وعلي وابي هريرة مرفوعا وفي اسنادها ضعف واخبر الثالث رواه ابو داود عن سليمان بن داود المهري عن ابن وهب
عن سعيد بن ابي ايوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن ابي علقمة عن ابي هريرة فيما اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله

بعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها قال ابو داود ورواه عبد الرحمن بن شريح الاسكندراني
لم يجز به شرحبيل وكلام ثقاة ورواه الحاكم والبيهقي بإضافة المعرفة بإسناد صحيح والتجديد في قوله من يجدد لها دينها يعم في هذا
اللفظ الواحد والجماعة قال السبكي كثير وقد ادعى كل قوم في امامهم ان المراد بهذا الحديث والظاهر حمله على العلماء لكل
طائفة وهكذا قال غيره من اهل الاوصاف وليس في هذا الحديث اذا قيل بصحته ما يوجب التقليد فظهر بما سبق انه لا يجوز
ان يدع الانسان ما عنده من الشرع لقول احدهم او رأس الامام احمد القول في ذلك مستند لا على ما انجر منه انكاره له فقال

اي يخالفون امره وعن صلة قالوا وقيل معناه ويعرضون عن امره او ينصرفون
عن بغداد به كما كان يفعل المنافقون يوم الخندق فمن انصرافهم يعبر استيذان والصحيح ان الامر لا يدل في الحقيقة او للرسول صلى
الله عليه وسلم فانه المقصود بالذكر ومن المعلوم ان من رد قول الرسول صلى الله عليه وسلم او خالفه فقد خالف قول الله سبحانه
وتعالى في قوله تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يقف معه الا ذم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله على قراءة الفتح وقال في وصف الملائكة عليهم السلام لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
فصار من خالف الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت حكم الآية الشريفة في قوله تعالى قال

مجاهد بلاء في الدنيا وعذاب وجيع في الاخرة وقيل فتنة اي كفر قال الامام احمد المذكورة

وفي لفظ لابي طالب عنه الفتنة الكفر يدل على ان المبتدع فيه نوع من الشرك قوله تعالى الخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله الآية وقوله اقرأت من اتخذ الهه هواه الا وعند الامام احمد والطبراني في الكبير وابي يعلى وابن
ابي شيبة وعبد بن حميد والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على
من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو منهم وهذا حديث مشهور تلقته العلماء بالقبول والشاهد من قوله وجعل
الذل والصغار على من خالف امري كما ان الذل والصغار مضروب على من خالف امر الله عز وجل لاهل طاعته ومنا بعثه قال
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وعلى قدر متابعته تكون العزة والكفاية والفلاح في الدنيا والاخرة وقد ذكر الخلال
هذا الحديث في صحيحه تعليقا وهو عند الامام احمد بسند كلهم ثقات الا ان في عبد الرحمن بن ثوبان بن ثابت وقد وثقه
علي بن المديني وابو حاتم وضعفه الامام احمد ويروى ذلك الحديث من طريق عن ابي هريرة رضي الله عنه وغيره

اي قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم على القول الآخر

في دينه وذلك ان ترك محكما صحيحا محكما فصار من الذين قال الله فيهم فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله يقول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي عدول عن الحق الى الباطل كالمبتدعة
فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما لا يطابق المحكم او يحملونه على ما يخالف المحكم من الباطل ويتبعون ابتغاء الفتنة
اي طلب افتتان الناس واضلالهم في دينهم بالتشكيك والتلبيس ومقتضى الحكم بالمتشابه وطلب ان يقولوا على الله ما لا يعلمون
من الاباطيل من عند انفسهم وغيرهم وهو يحتمل كما قال العلماء رحمهم الله تعالى ان يكون الداعي الى الابتغاء مجموع الطلبتين او
كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وتأويل الشيء بما يؤول اليه قال جرير ولكل منزل

اية تأويل وقال تاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري الشافعي المعروف بابن الفركاح رحمه الله تعالى في قوله
ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله هما منصوبان على الحال والعامل فيهما يتبعون وذو الحال صيغة الفاعل الراجع الى الذين في
قلوبهم زيغ فكان كل واحد من الامرين صفة لازمة للذين في قلوبهم زيغ قال ولما وصف الله الذين في
قلوبهم زيغ بابتغاء الفتنة دل على الشقاق عطف بابتغاء تأويله فدل على الوقوف المؤدي بالشك حتى يتطرق
الى ليس في قلبه زيغ ولا وصف الراسخين بعقولهم امنا به كل من عند ربنا ايذانا بانقيادهم وتقبلهم برهان عدل
على سلامتهم من الانقياد الى التأويل الذي ذم به اهل الزيغ وكلام الامام احمد هذا الذي ذكره المصنف عن الله تعالى
مشهور عنه رواه عنه جماعة من اصحابه منهم ابو طالب كما قدمناه عنه فاشتهر عنه وسار في الاقطار وسطر في الاسطار
حتى صار طلب الاسناد له عبثا ومن كلامه لبعض اصحابه لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا ان فعي
وحدث كما احدثنا او كما قال رضي الله عنه ومن العجائب الواقعة بالمخالفة اصلى الله عليه وسلم ما في مسلم عن سلمة بن الاكوع
رضي الله عنه ان رجلا اكل عند النبي صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه

نحن ضربناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

الا اكله فما دفعها الى فيه وعند مسلم ايضا عن ابن مسعود قال اتانا الليلة جمعة في المسجد اذ جاء رجل من الانصار فقال لوان رجلا وجد مع امراته يعني رجلا فقتلتموه او سكت سكت على غيظ فقال اللهم افتح فجعل يدعو فانزلت اية اللعان وفيه فابتلي به ذلك الرجل بين الناس مجاء هو وامراته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاعنا الحديث وروى الامام احمد وابو داود وغيرهما ان رجلا من بني سعد بن ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على احماء له اتان وهو يصلي فقال فقطع علينا صلاتنا قطع الله اثره فاضعد وقد ذكر الحافظ ابو موسى ان رجلا ذكر عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدري اين باتت يده فقال هو يدري اين باتت معه في الفراش فنام فاحسن وضوءه ثم دخل في وبره يعوذ بالله من معاودة لكن ويلبسه بالباطل وبما امر صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بالخرز لها وكان فيها فقال لا يخرج منكم احد الليلة الا ومعه صاحب له ففعل الناس ما امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته وخرج الاخر في طلب بعير له فخنق الذي ذهب لحاجته على مذهبه واما الاخر فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انهكم ان يخرج منكم احد الا ومعه صاحبه فدعا بالذي اصيب فشفي والاخر اهدته طي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقيل فاداه روى ذلك ابن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن عباس بن سهل الساعدي وقال عبد الله قد سمي لي العباس الرجلين وكنى اسم وجه ابا هما في عبد الله بن لهيعة عن ابي الاسود عند البزار ومن طريق قتادة قال حدث ابن سيرين بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل قال فلان كذا وكذا فقال ابن سيرين احدثك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقول قال فلان كذا وكذا وعند من طريق ابي المخارق قال ذكر عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى عن درهم بدرهم فقال فلان ما ارى بهذا باسا يا ابا الوليد فقال عبادة اقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول لا ارى به باسا والله لا اطيعك ولا اباك سقف ولما قال صلى الله عليه وسلم في صبيان عباس لا تطرقوا النساء ليلا واقبل صلى الله عليه وسلم فاذا فاساق رجلان الى اهليهما وكلاهما وجد مع امراته رجلا وهو في الصحيحين وقد قال الامام احمد في مسنده حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم ثنا الهيثم بن ناضح الطاطري ثنا ابو يحيى رجل من اهل مكة عن عمرو مولى عثمان ان عمرو هو مولى اسيد المؤمنة خرج مع المجذوم في طعام منثور فقال ما هذا الطعام فقالوا طعام جلب انيا قال بارك الله فيه وفيمن جلبه قيل يا امير المؤمنين انه قد احتكر قال ومن احتكره قالوا فرخ مولى عثمان وفلان وفلان مولى عمر فارسل اليهما فقال ما حملكما على احتكار طعام المسلمين قالوا يا امير المؤمنين نشتري بأموالنا ونبيع فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس او بجذام فقال فرخ عند ذلك اعاهد الله الا اعود في طعام ابدا وامولى عمر فقال ان تر بأموالنا ونبيع قال ابو يحيى فلقد رايت مولى عمر مجذوما وروى ابن ماجة من حديث الهيثم بن رافع ولفظه من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس والجذام وقال الدارمي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن الزهري عن سالم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا استاذن احدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها فقال فلان بن عبد الله اذا والله لمنعها فاقبل عليه ابن عمر فشتمه شتما ما رأيته شتمه احدا قبله ثم قال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول اذا والله لمنعها وفي ذلك حجاه بن سعيد الغفاري الذي تنازع هو وسنان بن وبرة قبل بن تيم لهبي يوم الرسيع فقال حجاه يا للمهاجرين وقال سنان يا للانصار فقال صلى الله عليه وسلم حين سمعهما كما في الصحيح دعوها فانها منتنة وذكر ان الله اهلكه وفي الحديث ان قال لما تنادعا بذكر ما تداعوا به في الجاهلية وانا بين اظهركم فكان حجاه كما روى ابن ابي شيبة والبزار حين قتل عثمان رضي الله عنه انتزع عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب بها من يد عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة وكان من المعينين عليه فكسرها على ركبته فاخذت الاكلة في ركبته فمات منها نعوذ بالله من الاهوج المضله وقال الدارمي حدثنا ابو المغيرة حدثنا الاوزاعي ثنا عبد الله بن عبد الله بن رحيلة قال حدثني رجل ان سعيد بن المسيب ودع رجلا حين اراد الخروج او عمرة فقال له لا تخرج حتى تصلي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج بعد النداء من المسجد الا منافق الا رجل خرج لحاجته وهو يريد الرجعة الى المسجد فقال ان صاحبي باليمن قال فخرج قال فلم ير سعيد يوطد ذكره حتى اخبر انه وقع من راحلته فانكسرت فخذه وذكر ايضا ابن عبد البر عن مالك وفيه فقال سعيد قد بلغني ان من خرج بين الاذان والاقامة لغير وضوء انه يصاب وروى ابو سليمان الخطابي من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال كان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ارتحلوا قالوا لسجاح الذي سحر انا هذا وما كنا لنفترق فقال وكان قيام رجل على ناقة لرأس يعني لا تتحرك هذا

فقال

فقال اما انا فاني لهذا مقر فمضى فقصر عنقه وقرب عنقه والمزين للشئ المطيق له وقال ابو الفرج بالحديث قال لنا
عبد المجيد بن عبد العزيز رأيت رجلا كان يأتي امرأته حائضا فاض فلما كثر الامر به نابل الله تعالى فانقطع عنه الحيض وقال ١٥٢
الفضل بن زياد سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة والاخبار في
ذلك عن السلف كثير وهذا وشباهه في الكبريات وفي الكليات اهلك الله برد امره تعنتا وجحودا الامم فعوقبوا بامره من ذلك و
ما كان مرسوما ذلك فمسألة التوفيق والهداية والعصمة من الزلل الطاعي المسؤول بالكرم

ووقت السلامة وقدم ذكر

وقد مر الكلام عليها في باب الدعا الى شهادة الا اله الا الله اول الكتاب وسنزيده توضيحا
ان شاء الله تعالى عند

وكان قد تنصر وشيخ الكتب في الجاهلية
رسول الله
صلى الله عليه وسلم محبيا له
صلى الله عليه وسلم
لكم

لما كانت هذه الامة الطاعة على غير امر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كانت في الحقيقة عبادة للمطاع اذ اصل
العبادة في اللغة الطاعة والانقياد مع التذلل وفي الشرع لا تسمى عبادة مع ذلك الا بالمحبة والخضوع باطنا وظاهرا
وكذلك الدين الباطن
هذا
فيفهم من هذا ان من اطاع احدا في دين الله
مما لم يأذن الله به من تحليل او تحريم او ايجاب او استحباب فقد اتخذه من هذا الوجه ربا وصار بذلك نصيب
ويلحق الذم من تبين له الحق فتركه او قصر في طلبه حيث لم يتبين له او عرض عن طلب معرفته لهوى او شغل او نحو ذلك فان الله تعالى
عاب على المشركين شيئين احدهما انهم اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا والثاني تحريمهم ما لم يحرمه عليهم ونبيه النبي صلى الله عليه
وسلم وقد روى احمد عن عياض بن حمار رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن
دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا ورواه الترمذي بمعناه وفي الصحيحين قال تعالى يقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء يجعلون المشيئة الكونية القدرية التي لا يخلو منها شيء
عبادة لم يأذن الله بها فان المشركين يزعمون ان عبادتهم اما واجبة او مستحبة وان
من عبد غيره ويتقرب بعبادته اياه الى الله ومنهم من يبتدع دينا عبد به
المحدثة وكذلك هذه الامة احدثت في دينها الاحداث ولهذا كان
عليه ان اعمال الخلق تنقسم الى عبادات يتخذونها دينا يتقربون به
فالاصل في العبادات الا يشرع منها الا ما شرعه الله و
يشبه من امر الله والله تعالى اعلم بالموفق ولما ذكر المصنف
ورسوله صلى الله عليه وسلم اعقبه بهذه الترجمة ليعلم
الدعوى بالفعل لا بالكلام فيجتنب لان اذ دعوى القول لم تنفع المنافقين حيث اضمروا خلاف
قولهم فيجتنب كون القائل قد قال بلسانه ما ليس في قلبه فيكون بذلك مخادعا لله تعالى ومن يخدع الله يخدع وهذا قال المصنف
رحمه الله تعالى منبها على ذلك لخلق الذميم الذي لا يسلم الا اهل الخلافة والمخادعة

الباب

التأمن والتلاعن

هذا

انكار من الله عز وجل على من يدعي الايمان بما انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء الاقدمين وهو مع ذلك يريد ان
يتحاكم في فصل الخصومات الى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما ذكر في سبب نزول هذه الاية انها في رجل من
الانصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك كعب بن الاشرف وهذا قال الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وظاهره الخطاب لاهل الكتاب وان كان المراد به العموم وقوله يزعمون مصدر الزعم مثلث الفا
قال الكسائي هو قول مقرون باعتقاد صحة او قال الجوهري هو قول مع علم وقال ابن الانباري يزعمون يستعمل في القول من
غير صحة ويقوي هذا قوله في حديث المزعوم كما عند الامام احمد وابي داود عن حذيفة رضي الله عنه الا ان في انقطاع صهيب مطيب
الرجل نعم روى عبد الله بن زيد الكرمي عن حذيفة وهو يسمع منه ومعناه ان هذا اللفظ مركب الكذب وقيل نزلت في جلاس
من المنافقين اراد ان يتحاكموا الى احكام الجاهلية وقيل غير ذلك كله والاية اعم من ذلك كله فانها هي والتي بعدها في الكتاب
والسنة وتحاكم الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا وقد سبق بيانه وتوضيحه عبارة وابين بيان و
هو من الطغيان والارتفاع فوق القدر وركوب الاعجاز وما افسد به كما افسد طغيان الماء قوم نوح قال جرير يخاطب
يا ابن المغيرة اذ غدرت ربيعة وبسقامها لطاغية دعا بشرا طغاها والطغام السفلة من الناس

والله المستعان وعليه التكلان ... هذا معطوف
على انكذبوه اي لم عذابها اليم بسبب ذلك التكذيب وانكار الافساد وادعاء الاصلاح الكاذب وجاز على البعد ان يكون معطوفا
على امنا والتقدير ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض والفساد حروج الشيء عن حالة استقامته وكونه منتفعا به
على حد الاصلاح الذي هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ولا شك ان هيجان الحروب والفتن يوجب فساد الارض
فبسبب اشتغال الناس حينئذ عن الزراعة والغراس والبنا والمنافع الدينية واظهار الكفر والعمل بالمعصية واغراء المنافقين
الكفار على المسلمين بافنا ذراريهم لو كان ذلك يوجب هيج الفتن والحروب المؤدية لفساد الارض وعلى كان ذلك
من صنعهم قيل لهم لا تفسدوا او قيل لهم اقدموا على ما يوجب قتل نفسه والقاها في النار لا تقتلوا نفسكم بسيفكم والقائها في
التهلكة ولبالغتهم في الانكار قالوا بجملة انما المفيدة لقصركم على الشيء انهم على صفة المصلحين بحالة المتمحضة من
غير شايبة ورد الله تعالى عليهم ما ادعوه من الانتظام البليغ الرد بجملة الا التنبيهية المركبة من حرف الاستفهام والنفي المفيدة
تحقيق ما بعدها كقوله اليس ذلك بقادر وبجملة ان وضمير الفصل وتعريف الخبر واستانف الجملة ورد عنهم بتجاهلهم
من قبيل العجماوات في عدم شعورهم بلزوم الفاسد من فعلهم وتفاقهم معه وان ذلك اللزوم من قبيل المحسوسات لظهوره وعدم
الشعور في الجهالة اقوى من عدم العلم واسناد قيل انما هو الى لفظ لا تفسدوا والمعنى ان المنافقين بكرهم وحيلهم وجنتهم
يهيجون الفتنة بين اهل الاسلام وتلك الفتنة توجب فساد الارض ومن جملة اشتغالهم بالحرب حينئذ عن الزراعة
والغراس والبنا والتي هي صلاحها مع النفي بعد فاذا قيل لهم يا اهل النفاق لا تهيجوا فتنا توجب فساد الارض من الفتنة والتهيج
للحرب قالوا على سبيل الخداع والمكر بل نحن المصلحون انما نبغي الاتيان بما يصلح الارض من الامور المنفعة لها قال الشارع من الامر
والنهي ولكن مع ان حالهم السيئة تشعر تعريضا بخلاف ما يظهر عليهم من صلاح النفاق المفسد للارض واهلها
لما ارشد سبحانه عباده الى ادعائه الذي هو صلاحهم في دينهم ودنياهم بالتذلل والاستكانة
له واخبر انه لا يحب المعتدين بهم عن الافساد في الارض وهو ضد ما امرهم به في قوله ادعوا ربكم تذللا واستكانة وسر ذلك قوله و
اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة دون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين فذكر سبحانه سبب صلاح الارض
وامر به واعقبه ببيان ما يوجب فسادها ونهى عنه قال الحسن البصري بعد دعوة الربوبية ودعوة العلانية بعد دعوة السر
قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل
ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعر به ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا بينهم وبين ربهم و
ذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال عز من قائل اذ نادى ربه نداء
خفيا وبهذا قال انه لا يحب المعتدين قال ربح من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء والصياح وكانوا
يؤمرون بالتضرع والاستكانة وفي مسند الامام احمد ان عبد الله بن مغفل سمع ابنا له يدعو اللهم اسئلك القصر الابيض
عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال اي بني اسئل الله الجنة واستعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم
يعتدون في الدعا والطهور رواه ابو داود وابن ماجة عن باسناد حسان لاباس بها وفي الصحيحين عن ابي موسى
رضي الله عنه قال رفع الناس اصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون
اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا فكل هذا من الاعتداء قال تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي لا تفسدوا
في الارض بالشرك والمعاصي بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل بالتوحيد والامر بالطاعة والنهي عن المعصية فقال
عطية معناه لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث والنسل بمعاصيكم وذلك فسادها والله لا يحب الفساد ولا يامر
بدعائه المقرون بالخوف والرجا فقال وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين قدر ان الاحسان لا يتم الا
بالخوف والرجا فحيث يكون تعالى قريبا من المنصف بذلك قال ابن الحوزي واما قول زهير لان المراد بها الثواب وطمعا قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا ارض ابقل ابقالها

فذكر ان الارض المراد بها ارض الموضع والمكان وعن النضر بن شميل انه قال الرحمة مصدر ومن حق المصادر
التذكير كقوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى قال الشاعر

ان السماحة والمروة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

ولم يقل ضمنتا لانهما مصدران قلت من سياق الآيات الكثيرة ان صلاح الارض التوحيد والطاعة وتقديم الرسل عليهم
الصلاة والسلام وانباعهم فيها وفسادها بالشرك وغلبة اهله واهل النفاق والمعاصي فيها على اهل الخير والدعوة الى

قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال كعب بن اسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن
دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود وساداتهم وان اتبعناك اتبعنا يهود وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك
فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل فيهم وان احكم بينهم بما انزل الله ولا
تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان
كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ورواه جرير وابن ماجة ابو حاتم وعند البيهقي في
الدلائل عن ابي هريرة الحصين قال اخبر عمر الخطاب رضي الله عنه بان اهل العراق قد حصوا اصحابهم فخرج غضبان فصاعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انهم قد لبسوا علي فلبس عليهم وعجل عليهم بالعلم التقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا
يتجاوز عن مسيئهم قال ابن الصيقة وما ولد الحجاج يومئذ فقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون استفهام على جهة التوبيخ والانكار لعدول من حكم الله العليم بكل شيء القادر على كل شيء الرحيم بخلقه
الذي وسع كل شيء رحمة وعلما الى حكم غيره من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها
الرجال بلا مستند من شريعة الله تعالى كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ومن فعل شيئا من ذلك كما فعل
جنكز خان حيث وضع للتتار كتابا سماه الياسق عبارة عن احكام اقتبسها من ملل شتى غالبها اخذه عن مجرد نظره فصار في بنيه شرعا
يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة فمن فعل ذلك منهم فانه كافر يجب قتاله كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وغيره حتى
يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ان هذا مضاهاة لله ورسوله قال تعالى افحكم الجاهلية
يبغون اي يريدون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي ومن اعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وامن واتقى وعلم
ان الله تعالى احكم الحاكمين وارحم بخلقه من الوالدة بولدها العليم بمصالح العالم بكل شيء القادر على كل شيء ومن
اعظم الجور ان يجعل تعالى احكام احد من الناس في واحد من الجور في حيز واحد فان هذا هو صلاح الارض واهلها وضده
فسادها وروى ابن ابي حاتم عن ابي عبيدة الباجي قال سمعت الحسن البصري يقول من حكم بغير حكم الله فهو من حكم الجاهلية
يبقى ثم روى عن ابي ابي نجيح قال كان طاوس اذا سئل هل افضل ان يولد يتحيل قرأ افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بعض الناس الى الله ثلاثة ملحد في الحرم و
مبتغ في الاسلام سنة الجاهلية ومطلب بالتشديد دم امرئ بغير حق ليهريق دمه رواه الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعا و
لفظه ابغض الناس الى الله عز وجل ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه

اسلم مع ابيه وهاجر قبله واستصغر يوم احد وله نحو من اثنتي عشرة سنة وكان مراهقا الوزع والزهد شديد التحري واسع الخيال
في الفتوى ومناقبه كثيرة وله قتل الوحي سنة ونوح بمكة ثلاث وسبعين بعد قتل عبد الله بن الزبير بثلاثة اشهر وله
سبع وثمانون سنة رضي الله عنه

للشيخ ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق وكتابه
هذا هو كتاب الحجة على تارك المحجة يتضمن ذكر اصول الدين على قواعد اهل الحديث والسنة اخرج هذا الحديث فيه مع
كلام فيه ورواه البغوي في شرح السنة ومعنى الحديث ان الانسان لا يكون مؤمنا كامل الايمان الواجب حتى يكون محبته تابعة
لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيحب ما امر به ويكره ما نهى عنه ويعلم ان مثل هذا في
غير ما موضع قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما و
قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ويذم سبحانه من كره ما احبه الله
او اوجب ما كرهه الله فقال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم وقال ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مؤمن ان يحب ما احبه الله محبة توجب له الاتيان بما وجب عليه منه فان زادت المحبة حتى اتى
بما ندب اليه من ذلك فضلا وفي الصحيحين مرفوعا لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده والناس اجمعين وقد سبق ولا يكون الانسان مؤمنا كاملا حتى يكون كذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى في
هذا الهوى المختار انه ميل الطبع الى ما يلائمه وهذا الميل مخلوق في الانسان فاما ان يكون الى الحق كما هنا واما ان يكون الى
الباطل كما في قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك الآية وقوله افرأيت من اتخذ الهه هواه فالهوى مطلق الميل والمحبة فلو امل
الانسان الى الطعم طاعة كالاكل والشرب وكذا المنكح وجميع ما يميل اليه فالهوى متعلق له ما يفيد كما ان الغضب دافع عنه ما
يؤذي فلا يصح ذم الهوى حينئذ على الاطلاق وانما يذم منه ما يزيد على جلب المصالح ودفع المفاسد ولا يفرق بين الهوائين

الا بعقل يبين الله من يشاء من عباده وقد عذر من فطره الله التي فطر عليها عباده المؤمنين فمطلق الهوى يدعو الى اللذة
الحاضرة من غير فكر في عاقبة ما جاءت به الشريعة وقد ذم الله سبحانه مخالفة الهوى بقوله ونهى النفس عن الهوى وحذر عن اتباعه
من اضاعة بقوله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى وبقوله تعالى واتبع هواه وكان امره فرطا وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه رواه ابو الشيخ في التوبيخ
وابو نعيم والبيهقي والطبراني في الاوسط قال الحافظ العراقي وفيه ضعف وعن الفضيل بن عياض
انه قال من استحوذ عليه الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق وعن ابي عمر الكيساني قال لقي عالم من العلماء
راهبا من الرهبان فقال له كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويقرب المنية قال
له فاي الاصحاب ابر قال العمل الصالح قال فاي شيء اضر قال النفس والهوى وعن علي بن سهل قال العقل والهوى
يتنازعان فقرن العقل التوفيق وقرن الهوى الخذلان والنفس واقفة بينهما فايهما ظفر كانت في حيزه فبهذا ان البلاء
كله في هواك واشفاؤه كله في مخالفتك اياه ولهذا قال الاحنف بن قيس المشهور بالعقل وكان العرب تقول
الصبر على الهوى صحة من الكلم وقد انشد بعضهم في ذم الهوى

ان الهوان هو الهوى قلب اسمه ... فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وسئل بن المقفع عن الهوى فقال هو ان تسرق نومة فنظمه بعضهم فقال

نوم الهوى من اعين الهوى مسروقة ... فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وروي عن عبد الرحمن بن مهدي قال رايت سفيان الثوري في المنام فقلت ما فعل الله بك قال لم يحاسبني الا ان وضعت
في اللحد حتى وقفت بين يدي الله تعالى فحاسبني بها يسيرا ثم امر بي الى الجنة فبينا انا ادور بها اتجاراها واتجارها
والا سمعها واراها اذ سمعت قايلا يقول سفيان بن سعيد قلت سفيان بن سعيد قال تحفظ انك اثرت
الله على هواك يوما قال قلت اي والله فاخذتني اصواي النثار من جميع الجنة ذكره ابن ابي الدنيا قال ابن
الجوزي وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءه صفر ونكير حذب بذوابته هذا وذوابته هذا وقال من
ربك وعلا انقباض صوابحه عن الهوى لما انبسطت يده اليها فينبغي للانسان ان يتفكر في عواقب الهوى المردي فكم
افات من فضيلة وكم اوقع في رذيلة وكم من مطعم اوقع في وضر عار وصاحب الهوى لا يرى الا الهوى فاقرب
شيء به من في المدبغة فانه لا يجد ريحا حتى يخرج فليعلم اين كان فالينصور العاقل لقضاء غرضه من هواه المخالف
لهديه ثم يتصور الاذى الحاصل عقب اللذة الحاصلة به فانه يرى الاذى يزيد على الهوى اضعافا فتري واذا تفكر فيما
ينال من لذات الهوى المخالفة للهدى واستحضر العقل السليم اخبره ان ذلك ليس بشيء وانما عين الهوى عمياء في
الحديث قال عن بن مسعود رضي الله عنه في لذات الشهوات التي يدعو اليها الهوى قال اذا اعجبت احدكم امرأة
فليذكر مناتنها ام في مخالفة الهوى من اكتساب الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض ومرضاة الرب جل وعلا والاجر
في الاخرة والقرب من الله سبحانه والانس به ما يدعو العاقل الى مخالفته والهوى يسري بصاحبه في فنون فقد يكون في
الشهوة ويكون في العلم فيخرج بصاحبه الى ضد ما امر به العلم فيكون مخالفا لله ورسوله ويكون في الزهد فيخرج به الى الرياء
هذا اذا ادعى المتابعة فكيف بمن سرى به الهوى الى المخالفة وقد روي ان عبد الله بن حسن كان يطوف بالبيت فنظر
الى امرأة جميلة فمشى الى جانبها ثم قال

اهوى هوى الدين والدنيا تحببني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت له دع احدهما تنل الاخر فلا ينال المحظوظ الا بترك المامور ولما كانت النفس مجبولة على حب الهوى فكانت
بالطبع تسعى في طلبه افتقرت الى حبسها عما يؤدي اليه الهوى اذ مطلق الهوى كما مر يعطي اللذة الحاضرة من غير فكر
في عاقبة ما جاءت به الشريعة المطهرة وبحث على نيل الشهوات عاجلا وان كان سببا للالم والاذى ويمنع لذات
الاجل والعقل السليم الذي قد تبع الفطرة السليمة والشريعة القويمة بنهي عن لذة تعقب الما وشهوة تورث
ندما وكفى بهذا القدر مدحا للعقل الموصوف بما ذكرنا وذما للهوى الذي لم يتابع الفطرة والشريعة بميله اليها واشد بعضهم

وافضل الناس من لم يكن سببا ... حتى يميز ما تخفي عواقبه

وعن الحارث المحاسبي انه قال لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل والصبر قال اتم ابن صبغي حيلة من
لا حيلة له الصبر واستشد بن مصروق في ذلك

اذا طلعت الكرة فكن بالصبر واد ... والا فهبك اجرا فلا هذا ولا هذا

وقالت الخنساء رضي الله عنها

بين النفوس وهون النفس ... عند الكريهة ان في لها

ينبغي للانسان ان يستعين على هواه المردي وصرفه ان يميله المتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر ولهذا ورد في الاثر الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد الا ترى ان لا ايمان لمن لا صبر له قال ابن الجوزي وقد حث الله على الصبر وامر به ومدح اهله في اكثر من تسعين موضعا من القرآن وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وقد قال سفيان بن عيينة ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر انما العاقل من يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه رواه ابن ابي الدنيا قال في الحكم

الحسن بن البغوي ... هو عامر بن شراحيل قال علي لو لم ار بت افقر منه

بضم الراء ما يدفع للحاكم من المال ليحوز له الحكم والصحيح انها مثلثة الراء وذكر ابن مالك وعبده واحد قال في رعاية اللبن غيب الرشوة ما اعطاه بعد طلبه والهدية ابتداء وقد قال عمر بن عبد العزيز كانت الهدية فيما مضى هدية واما اليوم فرشوة ولهذا قال ابن عمر

اذا اتتك الهدية دار قوم ... فطاير ثوب الامانة من كواها

وقال منصور الفقيه

اذا رشوة من باب بيت تقحمت ... لتدخل فيه والامانة فيه

سعت نحوها من دولت كانها ... حليم تحامى عن جواب سفيه

ويجيء في الحكم تقدم ان الرشوة مثلثة الراء وهي رشى ورشى بضم الراء وكسرها وجدها بعضهم بما يتوصل به الى الممنوع حقا كان ممنوعا او باطلا فالاثم عليهما واصلها من الرشا الذي يتوصل به الى الماء قاله البعلي

جهينة بضم الجيم وفتح الهاء وبالنون ثم هاء قبيلة من ولد جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير ويقال قضاعة ابن لعد على قول ويشهد للقول الاول قول شاعرهم

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر ... قضاعة بن مالك بن حمير

والقول الاخر قول الاحر منهم

ابونا معد كان يكنى ببكره ... فضاعة ما فينا به من تعجم

الطاغوت اسم وصف عام يطلق على كل من طغا عن الحق فعدل عنه الى الباطل كاينما من كان ومن شيطان او ذي ضلالة او عبد من دون الله برضى منه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى

قال جابر بن عبد الله كانت الطواغيت التي يتحاكمون اليها واحد في جهينة وواحد في اسلم وفي كل حي واحد كهان

قال الكلبي عن ابي صالح وابن عباس ... رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي حصومة

وهو اليهودي ... وهو الطاغوت

وهو من اشراف يهود في دينهم واصله من العرب من طي ثم من بني نبهان بطن من طي واحد من بني النضير من يهود وهو المسمى بالطاغوت فابى اليهودي ان يحاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق يطلب منه المخاصمة يعني عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فنازعا فقال المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو

عند ذلك ... عمر

وهو اليهودي ... وهو المنافق

هو فقال اليهودي عمر وبكاحتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج عمر وفي رواية فضربه بالسيف حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله

فنزلت هذه الآية فقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق ذكره ابن لهيعة وروى ابن مردويه وابن ابي حاتم
عن ابي الاسود قال اختصم رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما فقال الذي قضي عليه ردونا الى عمر فقال اكذلك قال نعم
فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردونا الى عمر فقتله وادبر الآخر فقال يا رسول
الله قتل عمر صاحبي فقال ما كنت اظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية
فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم الرجل وبرئ عمر من قتله وتقدم وصلبن رواية الكلبي عن ابي صالح وابن عباس وقال
السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من
بني النضير قتل به او اخذ ديته مئة وسق تمرا واذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستون
وسقا وكانت النضير وهم حلفاء الاوس اشرف والكثر من قريظة وهم حلفاء الخزرج فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي
صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقالت بنو النضير كنا واياكم قد اصطلحنا
على ان تقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتكم ستون وسقا ودياتنا مئة وسق فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا بيّن لكم
فعلمتم في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فغرمونا ونحن اليوم احق ودياتنا وديتكم واحد فلا افضل لكم علينا فقال المنافقون
منهم انطلق ايانا الى ابي برزة الكاهن الاسلمي وقال الملوص من الفريقين لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى
المنافقون وانطلق الى ابي برزة ليحكم بينهم فقال لهم اعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا الكر عشرة اوسق قال لا بل مئة
وسق ديتي فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله ايات القصاص وهذه الآية الم تر الى الذين يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الآية المنقدمة يعني بالطاغوت الكاهن او كعب الاشرف وروى ابن ابي
حاتم عن سعيد بن جبير نحوه فهلك افادة الباطل يكونون سببا لتغيير الاديان كما قال عبد الله بن المبارك
وهل افسد الدين الا الملوك ... واحبار سوء ورهبانها والله سبحانه وتعالى اعلم

ولما ذكر رحمه الله تعالى باب التحاكم الى الطاغوت اعقبه بباب من محدثاتنا من الاسماء والصفات ليعلم بذلك ان التحاكم في جميع
الاسماء من شرعه وما وصف به من الاسماء والصفات انما يأتيه الرجل وعلا فيما اخبر به في كتابه او على لسان رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم لا الى ما سخ من الآراء والاهواء فقال

الباب التاسع والثلاثون باب من عجل شيئا من الاسماء والصفات

الاسماء هي الموضوعة للذات الكريمة المتبعة لسائر الصفات الواجبة له سبحانه المستحيل عليه نقائضها كما سمى الله تعالى والصفات منها
صفات الذات كالعلم والحياة والقدرة والارادة وصفات الافعال كالمغم وسماء الصفات كالرؤف والرحيم والعليم والسميع
والبصير والحليم والقدير ونحو ذلك وفي اسماء وصفات ايضا والقول في الاسماء والصفات كالقول في الذات فانه
قد جل سبحانه عن الشبيه والنظير فلا تمثله العقول بالتفكير ولا توهمه القلوب بالتصوير ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير له الاسماء الحسنى والصفات العلا الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى احاط بكل شيء علما وقهر كل مخلوق عزة وحكما ووسع كل شيء رحمة وعلما يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم فكل ما جاء
في القرآن او صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن لا نجحد بل نجب الايمان به وتلقي بالتسليم والقبول والاذعان و
يجب ترك التعرض لها بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل والنكران وما اشكل من ذلك وجب اثباته لفظا وترك التعرض
لمعناه ورد علمه الى قائله ويجعل عدم العلم عندنا فائدة انا عالطريق الراسخين الذين اثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا ثم ذم متبغي التأويل لمتشابه تنزيله فقال فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ ومدحه بانتفاء
الفتنة في الدين بحجبهم عما استأثر به عن علمهم عما قصد وصفه بقوله سبحانه وما يعلم تأويله الا الله وقوله تعالى
اي في هذا بضمير الاختصاص الذي هو

قال قتادة ومقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين اراد ان يكتب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن اكتب باسمك اللهم وقيل
نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن نسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا
والمعنى في الآية قل لهم يا محمد ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو رب لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وصالهم

انهم

انهم يكرهون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمه فلم يشكروا المنعم عليهم بارسال اكرم وانزال القرآن
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية وفي البخاري وغيره من حديث اسامة بن زيد رضي الله عنه ورفوعا حين دعته احدى بناته
صلى الله عليه وسلم عند موت ابنها وفيه ففاضت عيناه فقال له سعد بن عبادة ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله
في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وفي الزهد لابن حماد بسنده حماد بن حميد وقال عن سعد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي
الله عنهما مرفوعا خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شئ قدير قال ابن العربي ليس في دعاء عرفة حديث يعول عليه الا هذا فقوله وحده تاكيد لتوحيد الذات والصفات
وقوله لا شريك له تاكيد لتوحيد الافعال وفيه رد على الجهمية والكرامية القائلين بحدوث الصفات وذكر البيهقي وغيره وقوله لا شريك له تاكيد لتوحيد الافعال
ففيه رد على المعتزلة القائلين بخلق العبد لفعل نفسه وقوله له الملك اختار تعالى اثبات ملكه ان يوصف بضده بعد نفي
ما لا يجوز عليه قاله السهيلي وغيره وقدم الملك على الحمد لان ملكه فحمده في مملكته ثم ختم بقوله وهو على كل شئ قدير ليعم معنى
الحمد اذ الحمد المحقق حقيقة حتى يعلم انه لو شاء لم ينعم وان كان قادرا على المنعم عليه وكان جائزا ان يمنع وان يضع فلما علم ان له الكمال
في الامرين استحق الحمد على الكمال وفي هذا رد على المعتزلة القائلين انه يجب عليه تعالى اصلاح لخليقه وانكار قريش الرحمن انما
هو انكار مجحود اذ العرب تعرفه وقد ذكر في اشعارها قال هاتم الطائي فيما ذكر عنه الزبير بن بكار في اخباره في قصيدة لحاتم
حيث يقول

لمن يعذله في الجود

كلوا اليوم مرزوقا وابشروا فان على الرحمن رزقكم غدا

وقاله من بيت لوان صاحبه ادرك الاسلام لرجي له بالخير فهذا باب عقده الشيخ رحمه الله تعالى لذكر الاسماء والصفات
واثباتها وعدم انكارها بتاويل او تاويل ولهذا قال تعالى ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى قال العجاج جوابا
لبعض الكفار حين سمعه المدحه يذكر ربنا الرحمن فقالوا اليوم محمد يقول ادعو الناس الى عبادة واحد فما بال اصحابه يدعون
الهين اثنين احدهما الله والثاني الرحمن فانزل الله هذه الآية قاله ابن عباس وغيره واحد من السلف وفي هذا دليل ان الرحمن
هو وصفة ايضا كما بيناه في اول هذا الشرح عند الكلام على البسملة وقوله اياما تدعوا قالوا في ما هنا شرط ودون لما
حذف جوابها هو مضاف اليه والتقدير اي الاسمين ذكرتموه فهو حسن فله الاسماء الحسنى واسماء اخر زايدة عنهما كلها احسنى كقوله
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الى قوله له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم وقوله تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى الى قوله له الاسماء الحسنى وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون واصل الالحاد في كلام العرب العدول عن القصد
الميل والانحراف ويجوز ومنه اللحد في القبر لانحرافه الى القبلة عن قصد الحافر وذكر الحافظ ابو بكر بن العربي احد ائمة المالكية رحمه الله
في الاحوذي ان بعض اهل العلم جمع من الكتاب والسنة من اسماء الله تعالى الف اسم قال القاسمي وهذا العدد حقق فوجد اكثر من ذلك
اكثر من تسعة وتسعين اسما كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يدل على هذا الحديث الصحيح الذي رواه الاسماء
احد وغيره وفيه اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم
الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الحديث وهو حسن وقد صح من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ورواه عنه ابن ابي حاتم وابن حبان بطوله وقال ابو سليمان الخطابي وغيره هذا يدل على ان لله اسماء
اسماء استاثر بها وان من اسمائه ما هو في كتابه فخص بعض خلقه دون بعض وهذا واضح ولله الحمد والمنة ثم ان احدا
من اسماء الله او صفة من صفاته فقد هدم اساس الاسلام والايمان والاحسان فصلا عن ان يكون جاحدا ومنكرا لذلك
من اهل العرفان فان معرفة ذلك والايمان به هو اساس الاسلام وقاعدة الايمان وثمرة شجرة الاحسان وقد جعل الله سبحانه
منكر صفاته مسيئ الظن به ونوعده بما لم يتوعد به غيره من اهل الشرك والكبائر فقال وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
فاصبحتم من الخاسرين فاخبر سبحانه ان انكارهم هذه الصفة من سوء ظنهم به وهو الذي اهلكهم وارداهم
وقال في الظانين به ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وامثال هذا
هذا الوعيد في غير سوء الظن بمجحد صفاته وانكارها وتاسايه حل وعلا من اعظم ظن السوء به ولما كان انكارها
وجحدها من اعظم الالحاد والكفر والمعطل شر من المشرك فانه لا يسئ انكار صفة الملك وحقيقة ملكه والطعن في
اوصاف هو اعظم لها المشرك بينه وبين غيره فلو لم تعطل كماله او بعضه وظن السوء به طاشر به قال امام الحنفاء

واعلم ان توحيد لقوم افكا الهادون الله يريدون فما ظنكم برب العالمين قال ـــــ موفق الدين ابن قدامة رحمه الله
قال ـــــ اي امام احمد رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الى السماء الدنيا وان الله يرى في القيامة وما اشبه
هذه الاحاديث مؤمن بها ومصدق بها ولا يرد منها شيئا قال ـــــ ونعلم ان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق ولا نرد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا احد ولا غاية ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نقول
كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا نبلغ صفة الواصفين ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا
نزيل عنه صفة من صفات الله شاء من شاء وابى من ابى ونثبت القرآن والحديث ولا نعلم كنه ذلك الا بتصديق الرسول صلى الله
عليه وسلم ونثبت القرآن قال ـــــ وقال الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه امنت بالله
وما جاء عن الله على مراد الله وامنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا درج اسلافه
وائمة الخلف كلامهم متفقون على الاقرار واثبات ما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله و
قد امرنا باقتفاء اثارهم والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات واخبرنا ان شر الامور محدثاتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وقال ـــــ ابو عمر والاوزاعي رحمه الله عليك باثار من سلف وان رفضك الناس واياك وارا الرجال وان زخرفوه بالقول و
ما جاء في ايات الصفات قوله تعالى ويبقى وجه ربك وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وقوله عن المسيح عليه السلام انك
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله تجري باعيننا وقوله ولتصنع على عيني وقوله وجاء ربك وقوله هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله يحبهم ويحبونه وقوله في الكفار
غضب الله عليهم وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله كره الله انبعاثهم ومن السنة النزول وقوله
يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقوله يضحك ربك وفي لفظ الله الى رجلين قتل احدهما الاخر ثم يدخلان الجنة وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ابن عمر الذي في البخاري وغيره في ذكر الدجال ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور واشار بيده الى عينه وان
المسيح الدجال اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية وفي حديث انس عن الدجال انه اعور وان ربكم ليس باعور
وقوله في حديث ابن مسعود عند البخاري مرفوعا ما من احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش وما احد احب اليه المدح
من الله وقد ثبت من حديث ابي هريرة في حديث القدسي وان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث قال تعالى ويحذركم الله
نفسه وفي البخاري وغيره قوله خلقت بيدي الله عنه

وذلك في ذات الاله وان يشأ ... يبارك على اوصال شلو ممزع

وفي البخاري ايضا عن المغيرة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله ومن
اجل ذلك وعد الجنة وعند مسلم من حديث ابي هريرة الصفة احداهما الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فربي في كف الرحمن و
هذا الحديث اصله عند الجماعة كلهم وفي الموطا وغيره وقد قال الترمذي في جامعه قال اهل العلم من اهل السنة و
الجماعة نؤمن بهذه الاحاديث ولا نتوهم فيها تشبيها ولا نقول كيف هي هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك
وغيرهم وانكرت الجهمية هذه الروايات قلت فهذا وما اشبهه مما صح سنده وعدلت رواته نؤمن به ولا
نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين ونعلم ان الله سبحانه
لا شبيه له ولا نظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكما يحل في الذهن او خطر بالبال فالله تعالى خلافه لو من ذلك
العلو والاستواء كما ورد به الكتاب والسنة واجمع عليه سلف الامة وفي حديث الصحيح المشهور ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لجاعة سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال تدعو الهتك وعبدك
قال الذي في السماء قال صلى الله عليه وسلم فارى السبة واعبد الذي في السماء وانا اعلمه عوتبن فاسلم وعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقول الهام المسمى رشدي وفي نفسي وفي كتاب السنة لعبد بن الامام قال سمعت بعض
المشايخ يقول سئلوا وكيعا عن احاديث الرؤية نحدث بها قال نعم الجهمية بهذه الاحاديث مرتين تهذا ونحوه مما
اجمع المسلمون رحمهم الله تعالى على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لرده ولا تاويله ولا تشبيهه ولا تمثيله ومن صفاته جل وعلا انه

سكلم

متكلم بكلام قديم غير مخلوق قال تعالى وكلم الله موسى تكليما وقال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقالوا يريدون ان يبدلوا كلام الله وقال سبحانه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى منهم من كلم الله وقال عز من قائل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وقال تعالى انا انا ربك وقال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وغير جائز ان يقول هذا غير الله سبحانه ومن كلامه تعالى هذا القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فهو كتاب المبين وحبل المتين ونور رب العالمين تنزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق من بدأ واليه يعود وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف مقطعات وكلمات من قرأه فاعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات لا اقول الم حرف واحد ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف مكتوب بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتشابه وفيه ناسخ ومنسوخ وخاص وعام وامر وزجر وآياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن ذلك ان الله تبارك وتعالى قال تعالى وناديناه ربك موسى وقال وناديناه من جانب الطور الايمن وقال وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وناداه ربه ومناداة سبحانه لعباده في الآخرة وكلامه مع جبريل عليه السلام ونداء الملائكة في احاديث صحاح كثيرة مشهورة يطول عدها كما في الصحيحين عن ابي هريرة رفعه واذا احب الله عبدا نادى جبريل الحديث وفيهما عن ابي سعيد الخدري مرفوعا يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار وقال انما امره اذا اراد ان يقول له كن فيكون وقال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وعند الامام احمد والبخاري في الادب والطبراني في الاوسط والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن انيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد او قال الناس عراة غرلا بهما قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان الحديث والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وكل ما يتعلق بمسائل الصفات والقدر هو من اعظم مطالب الدين واشرف علوم الاولين والآخرين وادقها على عقول اكثر العالمين ثم ان اشتهرت عليه المالك فاياك وسلوك طرق الهالكين وعليك بطريق المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان في سائر الامصار والاعصار وسابين لك مع ما تقدم طريقهم مجملا فاعلم ان طريق اهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى وما يجب له وما يمتنع عليه وما يجوز في حقه هو طريق السلف الصالح الذي اتفق عليه العقلاء والعلماء العاملين اثبات اسماء الله الحسنى وصفاته العلا كما جاءت من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال الامام المرتضى عالم قريش محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه فاليوقن الانسان كل الايقان بقول اهل الايمان والاحسان بان ما جاء به الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما جاءت به الآثار النبوية حق ظاهرها وباطنها وان قصر عن علمه ولم يبلغ عقله فوق السماوات والارض انه حق مثل ما انكم تنطقون فايأك مما خالف التقديس والتنزيه ونوع التمثيل والتشبيه ولعمر الله ان هذا الصراط المستقيم الذي هو احد من السيف وادق من الشعر ومما يجهل الله لذوي الجلال من فوق فلا وجه لتكلف الدعوى علينا وعليكم الله عليه عن العباد وكيف يحكم العقل على خالقه فيما وصف به نفسه والسلام منه رد علمه الى قائله قال الله تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون فمن ادعى علم ما وصف الله به نفسه بجمل لفظا على غير مقتضاه فقد كذب او خالف لانه اما يعرف لله الامثال عند تصحيح معناه او يدعي علم الاحاطة بصفات الله تعالى فالاول يلزم منه المخالفة والثاني يلزم منه التكذيب ولا ريب ان في قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله وقول مخالفة للمنصوص لان التأويل الذي هو جعل اللفظ على غير معناه الذي لا يفهم منه بدون التأويل وهو مخالف لاجماع السلف الصالح قال صاحب شرح السنة في ترك التأويل وعلى هذا مضى سلف الامة وعلماء السنة نقلوها اي آيات الصفات واحاديثها جميعا بالايمان والقبول وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل وعلموا العلم فيها الى الله تعالى كما اخبر عن الراسخين في العلم فقال والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا قال الوليد بن مسلم سألت الاوزاعي وسفيان بن عيينة ومالك بن انس عن هذه الاحاديث في الصفات والرؤية فقالوا امروها كما جاءت بلا كيف وقال الزهري من الله البيان وعلى الرسول الصلاة وعلينا التسليم وسأل رجل الامام مالك بن انس امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا اراك الا صالا وامر به ان يخرج من المجلس وقال سفيان بن عيينة ايضا كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت

عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وحق قال الامام ابن السبكي ان الشافعي واحمد وقال بعض السلف قدم
الاسلام لاتثبت الا على فطرة السلم والاحاديث والآثار في هذا الباب اكثر من ان يحصرها مختصر وكلها متفقة الدلالة
متسقة العبارة مطلقة الحكم فالقطر من اثار الاجرام عن التاويل وحاذر الاقدام على التعطيل ورهب التجرؤ بالتشبيه و
التمثيل ورغب في ترك ما لا يعنيه فان الفقيه من حاذر والسفيه من خاطر والارب في ان الله سبحانه لم يكلم عن نبيه صلى
الله عليه وسلم من العلم ما يوصله الى احد بعده وقد قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فدل على انه لم
يفوض اليه من القول في معاني التنزيل الا ما وقع لنا علمه من جهته صلى الله عليه وسلم وهو مكلف بتبيينه لنا
ثم فان الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما امره به ربه فقد اتهم بخيانة امته ومخالفة ربه ومن زعم انه يتوصل برايه الى العالم
بربه بغير الله ورسوله بالنسبة الى ذوي جاهل ولا ضلال بعد من ذلك قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وانما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه
والاظهر نصحيح لامته ولان ما اوحي كاف فان قيل فقد قال ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فنص على علم المستنبطين له قيل وهل التعويل الا على ذلك ولا اتبع الا ما هنالك فان قد تقدم ان بيان ذلك مفوض
الى صلى الله عليه وسلم فيكون المستنبط من المتمسي بيانه من جهته السنة لا من الخوض بالراي وهذا اقدم الرد الى الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم عطف باولي الامر وهم الذين قاموا بامره وانما يقوم بامره من علم شرايع سنته وعرف باحكم من المتشابه و
لهذا قال عمر انه سياتي اناس يجادلونكم بشبهة القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله فلا ينسب من
جهل سنة النبي صلى الله عليه وسلم الى استنباط وصلاحية الولاية بدليل ما تقرر من ضلال من ترك السنة للراي ثم يقال اعلم
الناس اهل الامة بسنة نبيهم ولاة الامر وهم اصحابه صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وامراؤه وقد نصوا كلهم مع تابعيهم على
الراي عن الخوض في التاويل وكان ما وراء اتفاقهم ضلالا لا هدى وجهلا لا علما وقد احسن بعضهم اذ قال وهو
عمر بن عبد العزيز كما ذكره موفق الدين ابن قدامة ومحمد بن وضاح في كتاب البدع والحوادث لقف حيث وقف القوم فانهم
عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا اقوى وبالفضل لو كان فيها احرى ولقد تكلموا منها بما يكفي ووصفوا
منها ما يشفي فما دونهم مقصر وما فوق قهم محسر لقد قصر عنهم قوم فجفوا وطمح اخرون فغلوا وانهم فيما بين ذلك لعلى هدى
مستقيم وفيما سبق كفاية لطالب الهدى وما رائد هواه فلا سبيل لهداه ولقد ابان الذين وثق الكتاب
بكلامه ما ينبغي ان يتبعوا فبئس للظالمين الذين وصفت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وان يروا اية لا
يؤمنوا بها والله الموفق للهداية

بصيغة الامر اي كلموهم اي يعاملوهم وتدبر عقولهم ورواه ابو نعيم في المستخرج له وزاد وعجبا
ممن ينكرون اي يستبعد عليهم فهمه بهمزة الاستفهام الانكاري ولفظ البخاري اتحبون بالمثناة الفوقية
بفتح الذال المعجمة المشددة لان السامع لما لا يفهم يعتقد استحالته فلا يصدق بوجوده فيلزم التكذيب
اذ الانسان عدو ما جهل وفي المثل من جهل شيئا انكره وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ما من محدث
قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان على بعضهم فتنة ولهذا قال ابن الجوزي من المخاطرات العظيمة تحديث العوام
بما لا يحتمله علومهم قال
(بولوفا بن عقيل حرسه الله يحرم القاء علم لا يحتمله السايل قال ابن الجوزي
لا ينبغي هذا اذا كان جوابا للسؤال وقد قال القايل

ومن البلية عذل من لا يرعوي ... عن غيه وخطاب من لا يفهم

وقد قيل الناس ثلاثة رجل يدري ويدري انه يدري فذاك العالم فاسئلوه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك
الجاهل فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذاك الاحمق فاتركوه قال
لكافظ ابن العربي المالكي
ما عصي الله باعظم من الجهل والجهل بالجهل اشد من الجهل وفي مثله انشد بعض الحكماء

اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي ... يسايل من يدري فكيف اذا تدري

ومن عجب الايام انك لا تدري ... وانك لا تدري بانك لا تدري

وقد خص الله تعالى بالعلم قوما دون قوم وامر من لم يعلم ان يسال من علم والعلم المطلوب علم ما دل عليه في كتاب الله
تعالى واصله العلم بامره وصفاته وسننه واحكامه وشرايعه قال وصفة الرب تبارك وتعالى هي التي تنتمي عنها
كل فعل وليس في قول علي رضي الله عنه هذا ما يمتد الرافضة فهم من كذبهم وافترائهم بما هو اهم منه لكونه نص
ما احتمل اللفظ فرغبت ان النبي صلى الله عليه وسلم خص علما بعلوم لا يحتملها غيره فكتمها عن الناس قاتلهم الله اني يؤفكون

او هو صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما ارسل به البلاغ المبين وعلمه كل شيء فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم حتى الخراءة كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم كيف وقد قال له مرسله تبارك وتعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ثم قوله جانبه وبعض حاشيته بقوله والله يعصمك من الناس وهذا الاثر الذي رواه البخاري عن علي رضي الله عنه موقوفا فقد اخرجه الديلمي في الفردوس عن عمر مرفوعا الا ان الموقوف اصح لاعراض البخاري وحافظ الامة عن رفعه وقد اسلفنا من كلام علي رضي الله عنه على الكلام على علم الرمل في هذا الشرح ما يكذبهم في مقالتهم هذه والحديث الذي ذكرناه هناك عنه في صحيح البخاري وغيره وقال حدثنا الامام احمد قال حدثنا ابو خيثمة زهير بن حرب قال حدثنا عبد الله بن نمير عن عبيدة عن مطرف عن الشعبي قال اخبرني ابو جحيفة قال قلت لعلي هل عندكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ليس في كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا شيء سوى كتاب الله الا ان يؤتي الله رجلا فهما في هذا القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير ولا يقتل مسلم بكافر قال وحدثني ابي قثم هشيم نا مطرف عن الشعبي ان ابي جحيفة قال قلت لعلي يا امير المؤمنين هل عندكم سوى ما في بيضاء ليس في كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمنا الا فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير ولا يقتل مسلم بكافر قال وحدثني ابي نا محمد بن جعفر سمعت القاسم بن ابي بزة يحدث عن ابي الطفيل قال قيل لعلي هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال ما خصنا بشيء لم يعم به الناس كافة الا ما كان في قراب سيفي هذا فاخرج صحيفة مكتوب فيها لعن الله من لعن والده ولعن الله من اوى محدثا ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الارض قال وحدثني ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو خالد الاحمر عن مسعر عن حسان عن ابي الطفيل قال قلنا لعلي اخبرنا بشيء اسره اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما اسر الي شيئا كتمه الناس ولكني سمعته يقول لعن الله من ذبح لغير الله فذكر الحديث قال وحدثني ابي نا عبد الرحمن بن مهدي عن سعير عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال ما عندنا شيء الا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرم ما بين عير الى ثور الحديث قال وحدثني ابي نا محمد بن جعفر نا شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال قيل لعلي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخصكم بشيء دون الناس عامة قال ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس عامة وذكر الحديث الا ان شعبة قال الحارث بن سويد واحسبه اياما هو عن ابراهيم التيمي عن ابيه وهو الصواب ان شاء الله تعالى قال وحدثني ابي وابو خيثمة قالا حدثنا ابو معاوية نا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال خطبنا علي فقال من زعم عندنا شيئا نقرأه الا كتاب الله وهذه الصحيفة فقد كذب وذكر ما تقدم قال وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني نا حفص يعني بن غياث عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال خطبنا علي فذكر نحو ما تقدم فقد علمت بهذه الاسانيد الصحاح وما تقدم في الصحيح كذب الرافضة وان مصنوع قولهم فيحكم الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ البلاغ المبين وانه كتم شيئا من الوحي اوصى به علي رضي الله عنه فاتلهم الله انى يؤفكون ما الذي منعه صلى الله عليه وسلم من اظهار ذلك واقبله للطعن من طاعنهم فالحاصل ان قول علي رضي الله عنه المذكور في الآثار انما كان لان المتشابه لا ينبغي ذكره عند العامة فينبغي للمدرس ان يكلم كل طالب على قدر فهمه وعقله فيجيبه بما تحمله حاله وقد قال بعض المحققين من شرح لي حقايق العلم لم يبرع فيها تولدت له البلهة وكثرت عليه حتى تصيبه لجرة فيصير بذلك ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر قيد بعض العلماء ما ورد من نصف فقيها ومتكلما وقد كان السلف رضي الله عنهم يأخذون الناس في العلوم بالتدريج كالاطباء [illegible] رضي الله عنه مرسلا عند الدولابي وقد كان مولاهم ابو بكر الصنعاني الثقة الحافظ المصنف الشهير جد البيه الامام احمد ويحيى بن معين على ارجحيا من بغداد الى صنعاء ونزوله الامام احمد نابر وقبلها منه وعظم خطره وجدنه باحاديث معمر عن الزهري وسعيد بن المسيب وللامام احمد في رواية ابنه عبد الله قصة نحو عبد الرزاق باسمه فيها قال عبد الله فكان ابي اذا ذكر ان عبد الرزاق قد تفرد باسمه بكا عمر رحمه الله اخرجه جعفر وكان يشيع [illegible] مات وله خمس وثمانون سنة اخرج له عن معمر بن راشد الازدي مولاهم ابو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل الا ان في روايته عن ثابت والاعمش وهشام بن عروة شيئا وكذا فيما حدث به في البصرة قال الامام احمد ليس يقدم معمر احد في حديث الزهري على احد هما من سمع منه باليمن الا وجدته فوقه وهو اول من ارتحل في طلب الحديث الى اليمن فلقي بها هماما بن منبه اليماني وسمع من الزهري وهشام بن عروة وارتحل اليه الثوري وابن عيينة وابن المبارك وغندر وهشام بن يوسف قاضي صنعاء واخذ عنه عبد الرزاق وفقيه اليمن ومحدث صنعاء والجامع لمشايخه وهو اقدم من الموطا لمالك

قيل المليكي وهو صحيح البصر وسمع منه بعد ما ذهب [illegible] وكان موصوفا بالحفظ وسئل احمد عنه فقال روى احاديث [illegible] والعيانة والاحزاني وما كان [illegible]

ابي محمد عبد الله [illegible] الثقة العابد الفاضل روى له الجماعة عن طاوس بن كيسان اليماني عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما [illegible] الفرق والاضطراب يعرف [illegible] الحكم من الكتاب والسنة هو واضح الدلالة
الذي قد احكمت عبارته وحفظت من الاجمال وباي لفظ الحكم على معنى السلامة من العيب وفساد المعنى وركاكة اللفظ
فيعم كقوله كتاب احكمت اياته [illegible] سماع منه [illegible] وهو المحتمل الاجمال في او المخالف ظاهره فقد لا يتضح
المقصود به فيرد الى المحكم بحيث يعلم انه لا يخالفه فيؤمن به ادا الكل من عند الله وقد ذكر رضي الله عنه هؤلاء انهم يهلكون
عند منشابهه وذلك لعدم الفرقان واليقين المثبت لهم على الايمان بان المتشابه لا يخالف المحكم وان لم يحيطوا
علما وعاد اعليهم لو امنوا بما امن به الراسخون في العلم ولم يضربوا كتاب الله بعضه ببعض وكذبوا سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان ذلك يخرج من مشكاة واحدة فقد قال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء
وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقد قال تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب فوصف
سبحانه المبتغين تاويل المتشابه بالزيغ وان الفتنة تعرف بذلك الابتغاء ومدح الراسخين في العلم بانهم يقولون امنا به
كل من عند ربنا وهو لا يخالف بعضه بعضا ولا ينافيه بل يوافقه ويصدقه فبين من هذا الوجه ويصدق
لان الكل من عند الله جل وعلا واما من لم يثق بقول الله تعالى ورسوله واعتمد على نظره فانه قد ضل عن هداه وظل يخبط في
ظلمات عماه ومن ذلك [illegible] رسول الله صلى الله [illegible] فاما الذين [illegible] فاحذرهم [illegible] هو الذي انزل عليك الكتاب [illegible]

وقد تقدم الكلام على ما في هذه الآية اول الكتاب فاغنى عن اعادتها هنا وقال عبد الله بن الامام احمد حدثني ابي قال حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن
عمر رضي الله عنه قال اذا جلس الرجل على كرسيه فاقشعر جل ساءه عند ابي وكيع فغضب وكيع وقال اذا رأيتم الاعمش وسفيان يحدثون
بهذه الاحاديث لا تنكروها وهذا الرجل الذي اقشعر وساءه وكيع هو زكريا بن عدي بن الصلت اليتيم مولاهم ابو يحيى الكوفي
نزيل بغداد ثقة جليل وقد بينه في ابطال التاويل المقابض ابي يعلى قال عبد الله وسالت ابي عن قوم يقولون ان الله عز وجل لم يكلم موسى عليه
السلام لم يتكلم بصوت فقال ابي بلى تكلم بصوت هذه الاحاديث نرويها كما جاءت وقال ابي حدثنا سعيد قال
تكلم الله سمع له صوت بجر السلسلة على الصفوان قال وهذه الجهمية تنكره وهؤلاء كفار يريدون ان يثبتوا على الناس
من زعم ان الله لم يتكلم وهو كافر الا ان نروي هذه الاحاديث كما جاءت قال عبد الله ايضا وسمعت ابا معمر الهذلي يقول من
زعم ان الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغضب ولا يرضى وذكر اشياء من هذه الصفات وهو كافر بالله ان رأيتم يصلي
بيرا فقوفا فاقتلوه فيها بهذا دين الله لانهم كفار قال عبد الله وحدثني زياد ابو هاشم قال سمعت
ابا العوام المستملي يقول قال لي مروان بن معاوية الفزاري يا ابا العوام كم كنت جهم بن صفوان اربعين صباحا لا يصلي
قال لا ادري كيف ربي وكان سبب ضلاله انه كان صاحب خصومات وكان من اهل ترمذ من خراسان فالقي عليه السمنية
قوم كفار سبخة لما عرفوه بالخصومات فتحير اربعين يوما لا يصلي ثم استدرك حجتهم زنادقة البصارى فظل بها واضل
بها بشرا كثيرا وقد ذكرنا من ذلك الامام احمد رضي الله عنه قلت وجهم هذا هو جهم بن صفوان مولى راسب بطن
الجهمية قتل سنة ثمان وعشرين ومائة في حرب نصر بن سيار الاسدي المضري مع الحارث بن شريح والكرماني اليماني في
خراسان ايام اختلاف الدولتين في ايام ولاية نصر بن سيار لخراسان قال عبد الله وحدثني محمد بن حرب الطبري صاحب
التفسير في تاريخه فاسر يومئذ جهم بن صفوان صاحب الجهمية فقال لسلم راحوز صاحب شرطة نصر بن سيار ان لي ورقة
اريد حاجة قال ما كان ينبغي لاسير ان يفعل ولو فعل ما امسك ولو ملكني هذه الملاءة كواحب وانزلت الى عيسى بن مريم
ما جوت والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى اقتله والله لاقومن عليه مع اليمانية اكرههم وسلم بن احوز التميمي
عبد بني سبيس فقتله فقال الناس قتل التوحيد وكان جهم يكنى ابا محرز وهو من اهل الالحاد والتعطيل و
اما ما يتعلق بذلك من اهل التشبيه والتمثيل والتكييف والتجسيم من مذهبهم في ذلك الحديث الصحيح الذي عند الامام احمد و
البخاري في صحيحه وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم على صورته وفي لفظ
لا تقولوا قبح الله وجهه وفي لفظ لا تقبحوا الوجه وفي لفظ اذا قاتل احدكم فليجتنب الوجه فان الله خلق ادم على صورته
فليس هذا من باب الصفات في شيء وقد اخرج ابو حاتم هذا الحديث بلفظ الصحيح الذي عند ابي هريرة في صحيحه وقال هذا
الخبر تعلق به من لم يحكم صناعة العلم واخذ يجان يشنع على اهل الحديث الذين يتحلون ان الله يتكلم ويتكلم عنها

ويسمع

هذا الحديث من طرق أخر مرفوعا وإلى قائل هذا الكلام محمد هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني البصري الثقة العابد الثبت
وقال عبد الله أيضا حدثني أبو معمر ثنا عباد بن العوام قال قدم علينا شريك فسألناه عن الحديث أن الله ينزل ليلة النصف
من شعبان قلنا إن قوما ينكرونه وهذه الأحاديث قال فما يقول لو قلنا يطعنون فيها فقال إن الذين رووا
بهذه الأحاديث هم الذين رووا إباحة الفرات وبأن الصلاة عشر وفي البيت وبصوم رمضان فما نعرف والله الإبهذه الأحاديث يا أحمق
وحديث إسرائيل الذي حدث به وكيع الإمام أحمد واقشعر عند ذكر نزوله عند ذكر رواه الإمام أحمد من طريق أخرجه قال
حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال إذا جلس الله على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد وقفه سفيان الثوري ورفعه إسرائيل كما عند المروذي
والخلال وصاحبه وكذا الحكم بن معبد الخزاعي في كتاب الرد على الجهمية والعارقطني في كتاب الصفات له من طريق إسرائيل
عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة قال فعظم الرب فقال وسع كرسيه السموات والأرض وإنه ليقعد عليه وذكر
كلمة أخرى هكذا رواه سفيان الثوري موقوفا وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق مرفوعا عن أبي إسحاق قال شيخ
الإسلام بن تيمية قدس الله روحه وله طرق كثيرة ثابتة إلى سفيان وإسرائيل وغيرهما وقد ضعف بوكحل بن
الراعوني جزءا في جمع طرقه والكلام عليه بما ينفي عن الله النقص والحدوث وقال هذا الحديث تلقته عامة أئمة
الحديث في كتبهم التي قصدوا فيها نقل الأخبار الصحيحة وتكلموا على ثقة رجاله وتصحيح طرقه ومن هذا مارواه
الحاكم الحكم بن معبد أيضا قال حدثنا موسى بن عبد الرحمن المروزي حدثنا روح بن عبادة عن حماد بن سلمة عن عطاء السائب
عن الشعبي عن عبد الله في قوله الرحمن على العرش استوى قال جلس وذكر كلاما آخر وقال الحاكم أيضا حدثنا محمد بن حاتم
ثنا الفضل بن عباس ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن يزيد بن هارون عن عباد بن منصور قال سألت الحسن وعكرمة عن قول
الرحمن على العرش استوى قالا جلس ورواه أبو عبد الله بن منده والحكم بن معبد أيضا وغيرهما من حديث الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الرحمن على العرش استوى قال قعد لكن إسناد الكلبي هذا لا يحتج به في هذا ولا في غيره
وإنما ذكرناه ليعرف ومن ذلك حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه
النبي صلى الله عليه وسلم فلما نظر جعفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يعظما ما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث إلى
أن قال حدثني عن بعض عجائب أرض الحبشة قال نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله بينا نحن سائرون في بعض طرقها إذا نحن بعجوز على
رأسها مكتل فمر بشاب فأرسل إحدى يديه بين كتفي فوجها فألقاها على وجهها وألقى المكتل الذي على رأسها فاستوت قائمة وانبعثت
البصر وهي تقول له الويل لك عند إذا جلس الملك على كرسيه فاقتص للمظلوم من الظالم قال جابر رضي الله عنه فنظرت إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن دموعه على لحيته مثل لحمان ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا تأخذ
للمظلوم حقه من الظالم وهو غير متتعتع قال شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه هذا حديث محفوظ
عن أبي الزبير عن جابر من طرق كلها صحاح ورواه ابن ماجه في سننه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية
عن أبي الزبير عن جابر قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثوني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة
قال فتية منهم بلى يا رسول الله وذكر قصة العجوز وفيها من معنى ما تقدم بلفظ الجلوس وله عدة طرق في التوحيد لابن خزيمة
وإبطال التأويل للقاضي وغيرهما وقد تحامل بعض الناس شيخ الإسلام في الجلوس والقعود لفظا هو بريء منه وإنما هو قول
مفتر قائل لا يعرف عليه وقد قرر رحمه الله أن الصفات سمعية فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه
به رسوله لا يتجاوز في ذلك القرآن والحديث وذكر أن طائفة أنكرت لفظ الجلوس والقعود بناء على أن هذا اللفظ فيه من
إيهام المحذور ما ليس في غيره وهذا هو الغالب على متكلمي أهل الكلام وأما الحنابلة أطلقت ذلك بناء على أنه قد جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أعيان الأسلاف وهذا هو الغالب على محدثي أهل الكلام قال
وليس بين الطائفتين خلاف معنوي فإن من أطلقه إنما أتبع في ذلك الأثر وأراد أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته
ولا في صفاته ولا في أفعاله واتفاق اللفظين لا يوجب اتفاق الحقيقتين كما في سائر ألفاظ الصفات من النزول و
المجيء والفرح والضحك وغير ذلك فتبين بهذا أن ما نقل عن شيخ الإسلام غير هذا وسيأتي أن الله سبحانه موارد أمثاله
من المفترين فإنه قد علم أن شيخ الإسلام المذكور لا أخذه في دين الله لومة لائم ولا هو ممن يتقي بمذهبه بل يصرح به ويودعه في
مصنفاته ويشيره بين الصحابة ولم يوجد شيء من كلام المفترين عليه في شيء من مصنفاته وقد طبقت مارين الخافقين ولا نقله أحد
من أصحابه ولا من العلماء المعروفين المقبولين فصح أنه كذب عليه وافتراه والله يجزي المفترين ولهذا قال أبو عبد الرحمن عبد الله بن

بن الامام احمد حدثنا ابي ثنا اسحق الصاغاني ثنا سالم بن نوح ثنا عيسى بن داود قال قال لي عباد بن العوام قدم علينا
شريك بن عبد الله من نحو خمسين سنة قال فقلت له يا ابا عبد الله ان عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث
قال فحدثني بنحو من عشرة احاديث في هذا وقال اما نحن فقد اخذنا ديننا هذا عن التابعين عن اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن اخذوا وهذا لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وفيما ذكرناه في هذا
الباب كفاية لمن استبصر والله الموفق لما ذكره الله باب الاسماء والصفات وعلم ان من صفاته المنع فهو الذي امنع
عباده جل وعلا ظاهرا وباطنا بينة بهذه الترجمة بان من كفر بعد ان عرفه الله بعد معرفته فقد تطرق بذلك الانكار
صفة من صفاته وجحدها فاعقبه بهذا الباب وكذا ما بعده من الابواب فان فيها اشارة الى نفي الالحاد عن اسمائه
وصفاته جل وعلا

الباب الاربعون بعد المائة

قيل هذه حيث يعرفون بها ويقرون بانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها تبارك وتعالى ام انها شفعاؤنا
عنده وقيل انكارهم باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها
عنادا ومعنى ثم في هذا الموضع استبعاد الانكار بعد المعرفة وقوله واكثرهم الكافرون اي الجاحدون عنادا وذكر الاكثر
لان بعضهم لا يعرف لبعض لنقصان العقل او لقصوره في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما
لانه يقام الاكثر مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون وقالوا في المعرفة والعلم انهما متغايران ان كل واحد منهما
واعم من وجه اخر اي علم مستحدث وقيل هي انكشاف بعد لبس ومتطلق على مطلق التصور فتقابل العلم وفرق
بينهما الآمدي وغيره بان العلم يتعلق بالنسبة نحو علمت زيدا قائما ولهذا يتعدد المفعولين والمعرفة تتعلق
بالمفرد فتتعدى الى واحد نحو عرفت زيدا وبان المعرفة لا تقال لله تعالى لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم
قالوا وخبر تعرف الله في الرجاء يعرفه في الشدة ونحوه من مجاز المشاكلة ومما يشير الى الفرق بينهما ما قيل لهم بعد تعريف بعضهم
العلم بانه معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا قلت عرفت زيدا فالمراد تشخصه واذا قلت علمت زيدا اردت العلم
باحواله من فضل ونقص وقال القاضي ابو يعلى وابو اسحق الاسفرائني من السافعية هما مترادفان
وقالت الكرامية يوصف تعالى بالمعرفة وقال شمس الدين بن قيم الجوزية لفظ العلم اوسع اطلاقا من
المعرفة يعني في الكتاب والسنة ولسان العرب قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال وقل رب زدني علما وقال
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فذكر الفرق اللفظي كما ذكر الآمدي والمعنى منه ان المعرفة تتعلق بذات
الشيء والعلم باحواله كعرفت اباك وعلمت صالحا قال واذا وقع العلم على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة كقوله
واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وكذلك جاء الامر في القرآن بالعلم دون المعرفة كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وقوله اعلموا
ان الله شديد العقاب فالمعرفة حضور صورة الشيء وسماته العلمي في النفس والعلم حضور احواله وصفاته ونسبتها اليه
فالمعرفة تشبه التصور والعلم يشبه التصديق والمعرفة تكون في الغالب لما غاب عن القلب بعد ادراكه فاذا ادركه
قيل عرفه او تكون لما وصفه له بصفات قامت بنفسه فاذا رآه وعلم انه الموصوف بها قيل عرفه كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من النهار يتعارفون بينهم وقال تعرفهم وهم له منكرون وقال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فالمعرفة تشبه الذكر النفسي وهو حضور ما كان غائبا عن الذكر وبهذا كان ضد المعرفة الانكار
وضد العلم الجهل كما في آيات الباب يقال عرف الحق فاقر به وعرفه فانكره وقال العلم ادراك المعلوم على ما هو به
الشيء بخصائصه عما سواه بخلاف العلم فانه قد يتعلق بالشيء مجملا فعلى هذا لا يتصور ان يعرف الله بالكلية فان
الله تعالى لا يحاط به علما ولا معرفة ولا رؤية فهو اكبر من ذلك واعظم واجل قال تعالى ولا يحيطون به علما وحقيقة
هذا الحد انتفاء تعلق المعرفة بكنه المخلوقات حتى باطنها كالنفس والروح في نفس الانسان لا يحيط بها معرفة فاطلاقها
على الله سبحانه مجاز اذا كانت بمعنى العلم قال ابن عقيل والمشهور في اصول الدين عند اصحابنا ان معرفة
الله وجبت شرعا وقيل عقلا قال وهي اول واجب على المكلف ويجب قبلها النظر لتوقفها عليه فهو اول واجب لغيره ولا
يقال ضرورة وقيل بلى وفي الصحيح كل مولود يولد على الفطرة وفسرها الامام احمد بالتي فطر الناس عليها من
شقي وسعيد قال القاضي ابو يعلى المراد بها دين الاسلام قال وفسر احمد هذا في غير

موضع وذكر الاثرم معناه على الاقرار بالوحدانية حين اخذهم من صلب ادم عليه السلام واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى وبان كل صانع ومدبر دون عبد شيئا غيره وسماه بغير اسمه وانه ليس المراد على الاسلام لان اليهودي
يربيه ولده الطفل اجماعا وقيل للامام احمد في رواية الميموني هي التي فطر الله الناس عليها الفطرة الاولى قال نعم قال ابن
حامد اختلف قوله في تعذيب اطفال المشركين والكلام مبني على هذا المعنى وتفسير الفطرة ثم ذكر هذه الروايات
وقد تقدم وتاتي الفطرة بمعنى الخلقة كقوله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قال ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي
المالكي هي ههنا عبارة عن الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة اقذار ثم تطرا عليه فامر بالتنظف منها وقد
تقدم ان اول واجب على الانسان واخره عبادة الله وحد ذلك الذي هو مضمون شهادة ان لا اله الا الله ودليل هذا الاصل
فعند الامام احمد ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي
احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اهل النار قال في
شرح مسلم خص اليهود والنصارى بعد عام الامة للتنبيه لان لهم كتابا يعتنى بعلمه ان غيرهم اذا كانوا كذلك وهم اهل الكتاب
من باب الاولى والاحرى وفي مفهومه ان من لم تبلغه دعوة الاسلام وهو معذور قال وهذا جار على ما تقرر
في الاصول لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وقال القاضي ابو يعلى في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا في هذا دليل على ان معرفة الله لا تجب عقلا وانما تجب بالشرع وهو بعثة الرسل وانه لو مات الانسان قبل ذلك
لم يقطع عليه بالنار قال وقيل معناه انه لا يعذب فيما طريقه السمع الا بقيام الحجة بالسمع من جهة الرسول صلى الله عليه
وسلم وهذا قالوا لو ان بعض اهل الحرب في دارهم ولم يسمع بالصلاة ونحوها لم يلزم قضاء شيء منها لانها لم تلزمه الا
بعد قيام حجة السمع والاصل فيه قصة اهل قباء حين استداروا الى الكعبة ولم يستانفوا بخلاف لو سلم في دار الاسلام
لانه يراى الناس يصلون في المساجد باذان واقامة وذلك داع اليها وذكر ذلك ابن الجوزي ولم يرد عليه فدل على انه عاف عفته
وهكذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه فدل على ان قيام الحجة يلزم بالرسالة
بالرهان فاول واجب عبادة الله وحده الذي اولها واصلها وليها عمل القلب كما قال عن الحمد والزهد وقد خرج بنا
لفظ المعرفة الى شوارد يتعلق بها فوائد قال محمد بن جرير بفتح الجيم وسكون الراء وحدة ابو الحجاج المخزومي مولاهم
المكي الفقه كان اماما في التفسير والعلم فاضلا فقال في الاي المتقدمة [illegible] اذا الرواية بالمعنى جائزة عند الجمهور
اذا لم يغير معنى اللفظ [illegible] كقول الابرص والاقرع لما اتاهما الملك وقد عرفا نعمة الله
عليهما بالعافية بعد المادبة والغنى بعد الفقر [illegible] عبنة بن عبد الله بن صعصعة ابو عبد الله الهذلي
الكوفي الفقيه العابد الثبت قرئ في قبل ستة عشرين وعليه في هذه الاية [illegible] فلم يفردوا التكوين
لله تبارك وتعالى كما افرده فادة الموحدين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان كما ذكر البخاري و
غيره عن عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه في قوله

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الاولى قد بغوا علينا ... وان اراد وا فتنة ابينا

قال ابن قتيبة اللغوي وهو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي صاحب كتاب المعارف وادب
الكاتب وغيرهما كان فاضلا ثقة ثبتا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق بن راهويه وابراهيم بن سعيد وتلك
الطبقة وابي حاتم السجستاني واقام بالدينور مدة قاضيا وتوفي سنة ست وقيل سبع وسبعين ومئتين رحمه
الله يقولون [illegible] فغيرها ابن قتيبة بالشرك الاكبر وهو ظاهرها وقد ذكر الله تبارك وتعالى
عليهم ذلك في كتابه العزيز وابطله واخبر ان لا شفاعة لها ولا ولية لا ينفع احدا عبدها الا بعد ان ياذن ويرضى وهم
اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء اذ هم احق بالشفاعة التي اثبتها الله ورسوله واهلها وهو
في الصادرة عن اذن الله لمن وحده تبارك وتعالى والتي نفاها في الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين
المتخذين من دون الله شفعاء فعلى هذا ينقيض قصدهم من نفي شفاعة عزم وفاز بها الموحدون ومن
تامل قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه وقد سالة كما في البخاري وغيره من اسعد الناس بشفاعتك

يارسول الله قال اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه علم ان تجريد التوحيد من اعظم الاسباب التي تنال
بها شفاعته صلى الله عليه وسلم عكس ما عليه المشركون وقدم الكلام على هذا حتى فاق موضعه ولله الحمد والمنة

شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام [illegible] بن تيمية قدس الله روحه لما [illegible]

الحبي الصحابي المشهور [illegible] ذكره في المتن [illegible] بعلمه اي شيخ الاسلام
المذكور المعنى [illegible] قال تعالى [illegible] قال تعالى

مبارحة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور وقال تعالى وحملوه من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين وقال تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي
القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما احسن
الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندي وقال [illegible]
الكلام على ذلك [illegible] التي قد صير الله بها سفينتهم [illegible] بحيث يتسببون الطيب الى الريح لا الى الذي
اجراها بها وليس قول هذا القائل اخلالا في قوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة اذ الالفاظ تختلف بالمقاصد والاضافة
وايضا الباء في قوله بريح طيبة باء السبب والاسباب مثبتة عند اهل السنة والجماعة قد اثبتها الله في كتابه كما في
قوله تعالى ايانا نعبد وايانا نستعين وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها الى قوله وهي
تجري بهم في موج كالجبال والريح عاصفة الحاذق العارف بالبحر والمتقن له والملاح هو صاحب السفينة المتعنى بامرها
فهو بمنزلة الدليل في البر فهو يسيرها بدلالته ويعتني بالاتها وما تحتاج اليه في سيرها قال الاخطل يصف ما اعترى

يقص بالملاح حتى يشفه الحذار وان كان الشيخ المهود

والشيخ الحاذق العارف للتكمش والمهود الذي عاود ذكره بعد مرة وقال طرفة بن العبد

عدولية او سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي

وهذا قال اهل اللغة الملاح هو صاحب السفينة وقاله ابو هريرة وغيره وهو الاولى بمن ذكر خاصا فهذا القايل سرعة سير
السفينة الى الاسباب ولم ينظر الى فعل الله تعالى المستقل بتسييرها حيث يشاء جل وعلا مخبرا عن نفسه في كتابه
العزيز الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه وقوله ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص وقوله هو الذي يسيركم
في البر والبحر وقال هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم وقال [illegible] هذه السورة
وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ولهذا قال في الآية المتقدمة ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون فبين ان اعقبوا المعرفة
الانكار ففي هذا دلالة ان توحيد الالوهية من لوازم توحيد الربوبية وان ما ذكر من الاختلاف في معنى الآية انما هو
اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد والآية الكريمة تحتمل ذلك كله والله تعالى الموفق للباب

الحادي والاربعون باب [illegible]

[illegible] الانداد جمع ند
بكسر النون وهو المثل وقد تقدم الاستشهاد على ذلك والعلم ادراك الشيء على ما هو عليه وانما ذكر الانداد التي هي الاصنام
بلفظ الجمع تنبيها على زيادة سفاهتهم لانهم مع علمهم بامتناع ان يكون لله ند واحد جعلوا له انداد وهم وان كانوا
لا يعتقدون الندية لحقيقة في الخالق والرازق لكن تعظيمهم اياها على ما اوقعهم فيه الشيطان بالندية والمثلية هو
عاملهم على انتفاء الندية ما قبل هذه الآية التي انتزع في سياقه من قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن ابي بكر عن عكرمة او سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ان لا شريك له غيره من الانداد التي لا تنفع ولا تضر وانتم
تعلمون ان ذلك لا يكون من فعلكم غيره وقد علمتم ان الذي يدعوكم اليه الرسول من توحيد الله هو الحق لا شك فيه و
هكذا قال قتادة وقال ابو العالية فلا تجعلوا لله اندادا انه عدل لا شريك له وهكذا قال الربيع بن انس وقتادة والسدي

ابو عبد الله

وابو مالك واسمعيل بن ابي خالد والمعنى ان الذي خلق بني آدم متمكنين من العبادة وجعل لهم الارض فراشا وبساطا ومهادا والسماء بناء ومستقر الرزق وانزل منها ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لهم فلا تجعلوا لله اندادا جمع ندّ وهو المثل الذي يناوئ ضده ليكون ذلك وسيلة الى التوصل الى التوحيد بالفكر العقلي في خلق الانفس والآفاق وما في قبة السماء من الافلاك وما تحتها من طبقات الارض وما فيها من انواع الحيوانات والوان المخلوقات وفي ان كلا منها مخلوق لله سبحانه وان المخلوق لا يصح ان يكون ند الخالق ولا صنوه اذا حصل لكم العلم بتوحيده على الوجه المرضي تعين عليكم عبادته وترفع الشرك والاشتغال بكل ما اراد منكم من الفعل والترك لما ظهر لكم من البراهين الساطعة والحجج الباهرة فاذا حصل لكم العلم بدقائق الامور وغوامض الاصول والاصابة في التدابير والوصلة فلا تجعلوها الا على صفة سوغ لكم بها اجتهاد في جانب الله تعالى لا تضروا او تنفعوا بجهات اخر لا تطلع وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث اي وكان الله تعالى وحده خلقك فكيف لك باتخاذ شريك معه وجعل عبادتك مقسومة بينهما وفي هذا الخطاب من الآية والحديث اشارة الى ان الشرك من العالم اقبح منه من غيره

ترجمان القرآن حبر هذه الامة عبد الله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

اي تعلمون بما ركز في عقولكم من ادلة توحيده وفي الحديث المرفوع احوف ما اخاف على امتي الشرك الاصغر فسئل عنه فقال الرياء ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في صفة هنا الاسود المعروف بالصفر حالة كونه يمشي دلسا وهي اشد ما يكون من الليل ظلمة فاضاف الظلمة الى الليل لشدة المبالغة في وصف الظلمة فلا شيء يعبر به عن الحس في السمع والبصر في حق المخلوق اصح مما مثل به ترجمان القرآن وحبر الامة الفقه في الدين المعلم للتاويل فكيف السلامة من شرك هذا خفاؤه نسئل الله تعالى التوفيق والحماية من ذلك وهكذا روي عن الامام ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعا فعند الحاكم وقال صحيح الاسناد عنها رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشرك اخفى من دبيب النمل على الصفاة في الليلة الظلماء وتاه ان يجب الانسان على شيء من الخير ويبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم ان عباس من ذلك بما علم ان لا يلقى الله اكثر الناس بالا اولا يظن انه من الشرك الذي هو اكبر من الكبائر التي هي كبائر الذنوب وان كان بالنسبة الى اسم الشرك صغيرا فقال وهو يعني المكلف بكسر الكاف على خطاب التانيث وفتحها على خطاب التذكير والمعنى بحيث لا يقتصر على القسم باسم تعالى بل يعطف عليه قوله وحياتك هكذا بالتانيث في خط الشيخ بيده ولكن العرف اذا قصد الكناية عنا يعقل وعما لا يعقل حتى عن الجمادات انثت خصوصا اذا لم تقصد ان تعبر عن شيء بعينه وفي الاصل فلان بالتذكير وهو واضح الا انها بالتانيث اعم لفظا وان كان المقصود في التذكير ايضا العموم يعني المتكلم بان يحلف بحياته ومقصود ابن عباس رضي الله عنه بان يقتصر الحالف على الحلف بالله سبحانه لانه لما كان الحلف يعني اسم تعظيما للمحلوف به شبه تعظيم الرب وعلا كم شركا يعني في التعظيم منع منه مانع وكان الانسان الحالف بالتصغير في خط الشيخ وفي الاصل كلبة وهو جرو نص مشتق من اللصوص واللص هو السارق قال الشاعر

واخارب الدص يجب اخاربا يعني اللص الفاسد يجب اللص الفاسد وهذا قال بعد

وتلك قرى مثل ان تناسا ونشبه الضرايبا الضرايبا

بفتح الموحدة وتشديد الطاء المهملة وهو ظبي معروف ابيض من طيور الماء معلما فيصيد اذا رأى من يكره والدار في اللغة كل منزل من الارض ولو لم يكن فيه بناء وذلك معلوم عند العرب من اشعارها واشعارها قال امرؤ القيس

ديار لسلمى عافيات بذي الخال اجح عليها كل اسحم هطال

والشاهد على ذلك اشهر من ان تذكر وفي خط الشيخ لانا وهكذا الحكم في كل ما يشعر بهذا اللفظ في كلام المتكلم بان القضاء والقدر ممتنع على الله عز وجل الا بوجود ذلك السبب لاجعل ذلك الشيء من الاسباب سببا لوقوع شيء او عدمه اذ الاسباب من ايجاد الله جل وعلا وتقديرها وتكوينها اذ هو الغالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا مانع لما قضى ولا راد لما منع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومعنى لولا هنا هو امتناع الشيء لوجود غيره لانها شرطية داخلة في جملة اسمية الا انها لا تجزم وهي في المضارعة تخصيص وفي الماضية للنفي بحرف والعرض وقد تدل للنفي

كقول القائل لولا علي لهلك عمر وكما في البخاري عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك وقال صلى الله عليه وسلم هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار رواه في صحيحه مسندا في قصة ابي طالب وهذا كقول ابن ام الحكم يزيد بن الحكم بن عم الحجاج بن يوسف حيث يقول

ومنزلة لولاي طحت كما هوى ... باجرامه من قلة النيق منهوى

وقال العرجي عبد الله بن عمرو بن ابان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه

تقول لي من داخل الهودجي ... لولاك هذا العام لم احجج

وقول الاخر

وترحرحت بك هضبة العز التي ... لولاك بعد الله لم تترحرح

قال اهل اللغة فلولا هنا ان داخلة على اسم مبتدا فان كان ظاهرا فقد رفع جمهور النحويين رفعه وورد عن العرب نصبه بفعل محذوف كقول حريث بن الخطفى يا بن الزرقاء لولا الكمي المقنعا ... بني ضوضراه لولا الكمي المقنعا

تعدونه عمر النسب افضل مجدكم ... لولا عديتم الكمي المقنعا

يقول لولا عددتم الكمي المقنعا يعني ان ذلك ليس فيكم وهو المجد الذي تعدون وان كان مضمرا فقال سيبويه والكسائي وغيرهما هو مجرور في الحكم ومحله الرفع بالابتداء والخبر محذوف وقد سد مسده جواب لولا وهي الجملة التي بعدها وخالفهم الاخفش والفراء فحكما عليه بالرفع على اصله حكاه عنهم ابو الفرج الاصبهاني في محالس وهذا معنى كلام الفراء في لولا ولو لا ليس على اطلاقه في المنع فقد قال تعالى عن نبيه لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي وقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة وقال في وقت العشاء الاخرة انه للوقت لولا ان اشق على امتي وقال لعائشة لولا ان قومك حديث عهدهم بالجاهلية الحديث وقال لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وقال لو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها وقال لولا ما في البيوت من النساء والذرية بعد لاضرمت على من فيها بيوتهم نار فتخلفت عن الجماعة بيوتهم بالنار وقال للاعرابي لولا ما سبق من كتاب الله لكان لي ولهما شان وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وفي لفظ عند كل صلاة وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لو كان في الارض ملائكة الاية وهذا عموم جمع مما في الكتاب والسنة فالممنوع اذا من ذلك ما كان قادحا في التوحيد بحيث يسند ويضاف المنع مجردا الى غير الله جل وعلا لاجعل الغير سببا من الاسباب التي جعلها سببا تبارك وتعالى سببا في ذلك او علة في لكم اذا احكام معللة عند اهل السنة والجماعة والله سبحانه جاعل العلة والحكمة في اوامره ونواهيه وخلقه وان كانت قد تخفى علينا فتامل ما ذكرنا يظهر لك الصواب وبهذا قال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث في وجوه الكفار حصنة التراب ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فاثبت السبب له صلى الله عليه وسلم وجعل الحقيقة لله سبحانه ونفاها عن غيره لانه سبحانه هو الموصل لذلك بقدرته وهو ايضا جعل القوة في رسوله صلى الله عليه وسلم وارشد الى ذلك ومن انواع الشرك ايضا قول الرجل والمراد به قول الانسان بلسان حاله او مقاله عاقل من الناس ولجان حال المخاطبة لما جاء ما شاء الله وشئت بفتح التاء المثناة الفوقية بان يعطف جملة بواو مطلق الجمع وهي واو التشريك والتسوية فان ذلك ونحوه لا يجوز الا ان يعطف بثم التي هي للتعقيب والمهلة ليخرج بذلك من المحذور القادح في التوحيد وكذا

بالرفع على الكتابة ونقل رفع على النيابة عن الفاعل على رواية من رواه بالياء التحتانية يقول لا تجعل فوق ذلك ما شاء الله وفوق ذلك لولاك ونحو ذلك فاقتض المقام ذكره والباعث به هنا للظرف فيه ويحتمل ان تكون لصاحبه فالجبت الانسان التلفظ بذلك وان لم يقصد التسوية والتشريك تاديبا مع الله تعالى عن مضاهات المشركين في الالفاظ وان اللفظ بالاطلاق يقتضي ذلك رواه الامام الحافظ الثبت الثقة الرحلة العابد الزاهد ابو محمد عبد الرحمن بن بشر بن الحكم في تفسيره حيث قال حدثنا احمد بن عمرو بن ابي عاصم نا ابي عمرو نا الضحاك بن مخلد ابو عاصم شبيب بن بشر نا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل فلا تجعلوا لله انداد اقال

الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل فذكره وقد قال مجاهد في قوله تعالى فلا تجعلوا لله انداد وانتم تعلمون قال
تقولون انه الله واحد وحلف بالشي واللات والعزى وعند الامام احمد والترمذي حديث في معنى هذه الآية الشريفة حيث
قال الامام احمد ساقه ابو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البلاء سمع ابا كثير عن زيد بن سلام عن
جده مطهر عن الحارث الاشعري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل امر يحيى بن زكريا عليهما السلام
بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن وكان يبطئ فقال له عيسى عليه السلام انك قد امرت بخمس
كلمات ان تعمل بهن وتامر بني اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان تبلغهن واما ان ابلغهن فقال يا اخي اني اخشى ان
سبقتني ان اعذب او يخسف بي قال فجمع يحيى بني اسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الرف
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرني بخمس كلمات ان اعمل بهن وامركم ان تعملوا بهن فاول اه ان تعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويؤدي
الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وهذا ان هذه من
هذا الحديث وايراده قال علي الهم وامركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فاذا صليتم
فلا تلتفتوا وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وان خلوف
فم الصائم اطيب عند الله عز وجل من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فشدوا يديه الى عنقه
وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم هل لكم ان افتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم وامركم بذكر الله كثيرا
وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في اثره فاتى حصنا حصينا فتحصن فيه وان احصن ما للعبد من الشيطان
اذا كان في ذكر الله عز وجل ولفظ الترمذي بعد قوله فتحصن فيه وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله
عز وجل قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا امركم بخمس الله امرني بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد
في سبيل الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يرجع ومن ادعى دعوة
جاهلية فهو من جثى جهنم قالوا يا رسول الله وان صام وصلى قال وان صام وصلى وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين
باسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قال الترمذي بعد تخريجه له وهذا حديث
حسن صحيح قال شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح العظيم
ان الذي ينبغي لكل مسلم حفظه وتلقيه لان فيه ما يحترز به من الشيطان وما تحصل للعبد به من الفوز والنجاة
في الدنيا والاخرة مثل الموحد والمشرك فالموحد كمثل عبد سيده في داره وادى الى سيده ما استعمل فيه والمشرك
كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله الى غير سيده فهكذا المشرك يعمل لغير الله في دار الله
ويتقرب الى عدو الله بنعمة الله عليه ومعلوم ان العبد من بني ادم لو كان له مملوك كذلك لكان ابعد الخلق
عنده وكان اشد شيء عصيانا عليه وطرده ابعادا وهو مخلوق مثله كلاهما في نعمة عينها فكيف برب العالمين
الذي يتكرم على العباد كل نعمة فمنه وحده لا شريك له ولا ياتي بالحسنات الا هو ولا يدفع السيئات الا هو
وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته له وتدبيره ورزقه ومعافاته وقضاء حوائجه فكيف يليق به مع هذا
ان يعدل به عنه في الحب والخوف والرجاء والحلف والنذر والمعاملة وجميع العبادة من الاقوال والافعال
وانما ذلك لله وحده
امير المؤمنين ثاني الخلفاء الراشدين القوي في الدين العدي
القرشي الذي فرق الله به الحق والباطل فسمي بالفاروق
تعالى
نكد الراوي وفي لفظ فقد كفر واشرك والعطف فيكون من عطف الخاص على العام اذ الشرك
نوع من الكفر وقد تقدم الكلام في ذلك عن السلف باوضح عبارة والله الموفق وهذا الحديث عزاه المزي للخطاب
رضي الله عنه وهم ولعل الشيخ رحمه الله وجده معزوا كذلك فنقله كما وجده والا فالحديث عن ابن عبد الله بن عمر
هو في خطا الشيخ بعده عن عمرو ورواه الحاكم ابو عبد الله في مستدركه ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
بن موسى بن الضحاك السلمي يكنى بابي عيسى نسبة بنسب النبي صلى الله عليه وسلم في مضر بن نزار وهو احد الحفاظ الاعلام
له مناقب جمة وتصانيف كثيرة في الحديث منها جامعه وهو احسن الكتب واكثرها فائدة واحسنها ترتيبا
افقها لذكر ما فيه من الفقه والاستدلال ما ليس في غيره ومن الصحيح والحسن والتقريب كذلك وفيه

جرح وتعديل وفي آخره كتاب العلل فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها قال الترمذي ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم توفي ليلة الاثنين ثامن عشر رجب سنة تسع وسبعين ومئتين قلت ويأتي هذا الحديث عن عبد الله بن عمر موقوفا ولفظها ان ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال له لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك بالكسر الترمذي هذا [illegible] في مستدركه ابو عبد الله فقال صحيح على شرطهما ورواه ايضا ماجه في سننه وقد اكثر الترمذي رحمه الله تعالى في جامعه التحسين والتصحيح والتغريب والتضعيف لما رواه من الاحاديث واختلفت عبارات المحدثين في حد هذه الالفاظ قال الترمذي في كتاب العلل وما ذكرت في هذا حديث حسن فاسناده عندي حسن وما ذكرت حديث غريب فهو اسناده ادنى شيء وما قلت حسن غريب فاسناده جيد والحديث غريب والصحيح شيء مما روي وما كان ضعيفا فقد بينت علله وقال ابو محمد الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي في الخلاصة لكن جنح كالصحيح وان كان دونه ولذلك ادرج بعضهم فيه ولم يفرده عنه وهو ظاهر كلام الحاكم في تصرفاته قال وقولهم حسن الاسناد دون قولهم حديث صحيح او حسن اذ قد يصح اسناده او يحسن دون متنه لشذوذ او علة قال فان قال قائل حافظ معتمد لم يقدح فيه فالظاهر منه حكمه بصحة المتن او حسنه وقال عماد الدين بن كثير لكن هو في الاحتجاج به كالصحيح عند الجمهور قال وهذا النوع على ما كانوا وضعوا به الصحيح والضعيف في نظر الناظر لا في نفس الامر عسر التعبير عنه وضبطه على كثير من اهل هذه الصناعة وذلك لامر نسبي وشيء يقدح عند حافظ ربما لم يقدح عند آخر ربما قصر عبارة الحاكم عنه وقد تجشم كثير منهم حده قال الخطابي هو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله قال وعليه مدار اكثر الحديث وهو الذي يقبله اكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء واعترض في ذلك عماد الدين بن كثير بقوله ان كان المعرف هو قوله ما عرف مخرجه واشتهر رجاله فالحديث الصحيح بل والضعيف كذلك وان كان بقية الكلام من تمام الحد فليس هذا الذي ذكره هو الذي يقبله اكثر العلماء ويستعمله عامة الفقهاء قال ابن الصلاح وروينا عن الترمذي انه يريد بكون الحديث حسنا ان لا يكون راويه متهما بالكذب ولا الحديث شاذا وانكر ابن كثير ان يكون ذلك الذي ذكره ابن الصلاح مرويا عن الترمذي وقال ان كان مروي عن الترمذي ان قاله فهو في اي كتاب له وابن اسناده عنه قلت وذكر بعضهم انه في كتاب العلل له فطالعته فلم اجد فيه الا ما ذكرته عنه اول الكلام في هذه المادة قال ابن كثير وان كان فهمه ابن الصلاح من اصطلاح له في كتابه الجامع فليس كل حديث صحيح فانه يقول في كثير من الاحاديث هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن الصلاح وما قاله الترمذي من هذا حديث حسن صحيح فمحمل ان الجمع بينهما في حديث واحد كما لو تعدد رجاله فمنهم من قال ذلك باعتبار اسنادين حسن وصحيح قال ابن كثير وهذا يرده انه يقول في بعض الاحاديث هذا حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ومنهم من يقول حسن باعتبار المتن صحيح باعتبار الاسناد قال ابن كثير وفي هذا نظر فانه يقول ذلك في احاديث هو فرد في صفة تحملهم وفي الحدود والقصاص ونحو ذلك قال والذي يظهر انه يشوب لكم بالصحة على الحديث بكون كان يشوب له الحسن بالصحة فعلى هذا يكون ما يقول فيه حسن صحيح لاعلا رتبة عنده من حسن وهو الصحيح ويكون حكمه على الحديث بالصحة اقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن قلت ولا يمكن ان يركب ضميم في جامعه الاعلى ما قاله عماد الدين بن كثير رحمه الله وهنا قال الطيبي والفرق بين حدي الصحيح والحسن ان شرائط الصحيح معتبرة في الحسن لكن الضبط الذي في الصحيح ينبغي ان يكون ظاهرا والاتقان كاملا وليس ذلك شرطا في الحسن فالحسن قاصر عن الصحيح بحيث لا تنشرط فيه رجاله بل اذا كان فيهم من لم يتهم بالكذب ورويت روايته من وجه آخر كان حسنا لما تقدمت الاشارة اليه فعلم ان غير المتهم اعم من ان يكون ثقة او مستورا فان المستور غير مقبول عند الجمهور كما في الشهادة قال ابن الصلاح وغيره من اهل الحديث من لا يوثق بحفظه وضبطه يجعل حديثه في انواع الصحيح لاندراجه في انواع ما يحتج به قال وهو الظاهر من كلام ابي عبد الله الحاكم في تصرفاته قال ثم من سمى الحسن صحيحا لا ينكر انه دون الصحيح المقدم بيانه قال ابن كثير ان كان بالنسبة الى المراتب في نفس الامر فليس الا صحيح او ضعيف او كذب وان كان بالنسبة الى اصطلاح المحدثين فهو منقسم الى الثلاثة ذكره قال الطيبي لو قيل يعني في حد الحسن هو مسند من قرب درجة الثقة او مرسل ثقة او مروي كلاهما من غير وجه ولم يسلم عن شذوذ وعلة لكان اجمع وابعد عن التعقيد وعند ابي داود مسند بسند صحيح عن بريدة

رضي الله

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير في ركب يحلف بابيه فقال الا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم
من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقال ابو داود وحدثنا احمد بن حنبل قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا
معمر عن الزهري عن سالم عن ابيه عن عمر قال سمعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول وابي فقال ان الله ينهاكم ان
تحلفوا بابائكم قال عمر فوالله ما حلفت بها بعد اذا كرا ولا اثرا ورواه البخاري في المتابعات وقال مجاهد في قوله
والاثر الواثارة من علم يأثر علما وقال الخطابي في اثر يأثر يأثر عن غيره من قولك أثرت الحديث اذا رويته عن
غيرك يقول ما حلفت ذاكرا عن نفسي ولا مخبرا عن غيري ومنه قوله تعالى ان هو الا سحر يؤثر وسمعت الاثار اثارا
لانها تروى عن الغير ويخبر بها وينقلها البعض عن البعض قال الاعشى

لنا بينة منطق قانع ... ومتسق السامع والاثر

قال ابو داود وحدثنا سليمان بن داود العتكي نا اسمعيل بن جعفر المدني عن ابي سهيل نافع بن مالك بن ابي عامر عن ابيه
انه سمع طلحة بن عبيد الله في حديث قصة الاعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح وابيه ان صدق وقد اختلف
العلماء في حديث الاعرابي الاخير وما يروى في حديث ابي العشراء وفي بعض الفاظه وابيك لو طعنت في فخذها اجزاك بعد
اجماعهم على تحريم الحلف بغير الله تعالى كما حكاه ابن عبد البر وغيره فقال ابن عبد البر في قوله في حديث الاعرابي افلح وابيه
ان صدق هذه اللفظة غير محفوظة من وجه صحيح وحديث ابي العشراء قال احمد لو كان يثبت يعني انه لم يثبت وهذا
جواب لا يعرج عليه ولا يشتفي محب دليلا ولو ورد ذلك من وجه صحيح كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى قال
صاحب مختصر النهاية في قوله افلح وابيه ان صدق وهذه كلمة جارية على ألسن العرب كثيرة وقد يراد بها القسم وتارة يراد
التوكيد كقول الشاعر

لعمر ابي الواشين لا عمر غيرهم ... لقد كلفتني خطة لا ارتديها

فهذا توكيد لا قسم لان لا يقصد ان يحلف بابي الواشين اذ هم اعداؤه وقال النووي وتبعه جماعة ذلك
في حديث الاعرابي هذا مما جرت به عاداتهم ان سال سائل عن شيء فمنع قوله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله و
قوله ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم ذلك ليس هو حلفا انما هو كلمة جرت عادة العرب ان تذكرها في كلامها غير قاصدة
بها حقيقة الحلف وانما اورد النهي فيه قصد حقيقة الحلف لما فيه من تعظيم المحلوف به وعظمته بالله سبحانه وتعالى انتهى
فهذا ارضى جواب في هذه المسئلة فان رب كلمة ترك اصلها واستعملت كالمثل في غيرها وصنعت له اول مرة بلفظ القسم
هذا في غير موضع امر ونهي واما في موضع امر او انجيا او استعطافا ما امرهما قال صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي الذي تقدم من رواية
اسمعيل بن جعفر افلح وابيه ان صدق ومحال ان يقصد عليه السلام القسم بغير الله تعالى لاسيما رجل بادئ على الكفر وانما هو تعجب من
قول الاعرابي والمتعجب منه مستعظم ولفظ القسم في اصل موضوعه عندهم فيمن يعظم فاتسع في اللفظ حتى قيل على هذا الوجه
قال الشاعر

فان تك ليلى استودعتني امانة ... فلا وابي اعدارها لا اضيعها

فهو لم يرد ان يقسم بابي اعذارها ولكنه ضرب من التعجب ومن نقل الالفاظ عن اصولها اتساعا واللفظ افلح صلى الله عليه وسلم
لمعاذ بن جبل تحلئك امك يا معاذ فان هذه كلمة لا تقصد الحلف بمعناها وما كان صلى الله عليه وسلم ليدع على من هو متحنثا صالحا،
الذابة عنه باللسان واليد فان في اصل موضوعها معناها فقد تكلم صلى الله عليه وسلم فاظهر بذات الدين
تربت يداك فان اصل الدعاء معناه واصل موضوعه افتقرا او لصقتا بالتراب من شدة الفقر والمراد بها في هذا الموضع
للتعجب وتعظيم الامر وكثرة عائدات الدين وبها فارق نحو هذا ما صلى الله عليه وسلم مخرج الدعاء وحاشاه كيف وخلقه
للعباد منه كما وصفه ربه تعالى في قوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولم يصح العلماء
المحققون رحمهم الله تعالى قول من ذهب من المتكلمين الى النسخ اذ لا نسخ في قوله صلى الله عليه وسلم لا يثبت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان حلف قبل التسخ بغير الله وتقسم بقدر كفارة وما بعد هذا من شيم صلى الله عليه وسلم تأمله ما فعل هذا قط ولا
كان له صلى الله عليه وسلم بخلق وما اقرأ على كبيرة من الكبائر فيقر على اصغر قبيحة هي اعظم منه ذلك وقال قوم رواية اسمعيل
بن جعفر صحيحة وانما هو افلح وابيه ان صدق قلت وهذا ايضا منكر من القول واعتراض على الاثبات العدول فيما حفظوه
وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة عن ابي صالح السماني ان رجلا سأله اي الصدقة افضل فقال ان اصلا قال وابيك لتنبأن بها
اخرجه في كتاب البر والصلة قوله صلى الله عليه وسلم لرجل ايم الله لقد احسن الا سي بان ابرأ وقال ان اصلا قال وابيك لتنبأن بها
اكرم اباك ادناك فادناك وعند مالك في الموطأ عبد الرحمن بن محمد بن المنكدر سمع ابيه ان رجلا امر اهل ابيه اقطع

اليد والرجل قدم يعني المدينة فنزل على ابي بكر الصديق فشكى اليه عامل اليمن قد ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول ابو بكر رضي الله
عنه ويك ما ليلك بليل سارق ثم انهم فقدوا عقدا لاسماء بنت عميس امرأة ابي بكر الصديق فجعل الرجل يطوف معهم ويقول
اللهم عليك بمن بيت اهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلي عند صايغ زعم ان الاقطع جاء به فاعترف به الاقطع وشهد عليه
فامر به ابو بكر فقطعت يده اليسرى فقال ابو بكر والله لدعاؤك على نفسك اشد عندي من سرقتي وهذا حديث صحيح وما كان
ابو بكر رضي الله عنه ليحلف بغير الله تعالى وهو من الصديقين بعد الانبياء بالمنزلة العليا والان يحمل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك وانما اتى بما ذكرناه من التعجب فقد قال التميمي يخاطب قريشا

لعمري ابى الاعداء بيني وبينها ... لقد صادفوا اذ ان سمع تجيبها

وقد قال في هذه الاحاديث كما ترى وابيك فلم يات اسمعيل بن جعفر رحمه الله اذ في روايته بشيء منكر ولا يقول بدع وقد
غفل من حمل عليه ما حمل في روايته وغفل عن هذين الحديثين اللذين تقدم ذكرهما وقد خرجهما مسلم بن الحجاج في صحيحه وفي
سياق ابي داود للحديثين اللذين رواهما على نسق ما تقدم ما يدل على ان كان حمد الله يذهب الى طريق النسخ فيفهم ان القسم
بالاباء كان جايزا في اول الاسلام ثم نسخ وقد فهمت ما قدمناه وذكرناه ان هذا ليس من باب تحلف باباك ولا قال في الحديث
وابي وانما قال وابيه او ابيك بالاضافة الى ضمير المخاطب والغايب وهذا الشرط يخرج عنه معنى الحلف الى معنى التعجب
الذي ذكرناه فليس من باب الحلف باباء كما سبق بيانه وبالله التوفيق وعد النحوي كافة العلماء من اخو اليمين ج
المحققين من اتباع السلف وهذا لم يجعل لله سبحانه اليمين في حقه باسم اكتسبه بينا منعقدة فحذف الفاعل فجعلها
من اللغو الذي لا حكم له حيث لم يقصد الحالف عقدها فقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان وقد ذكر صاحب نتايج افكار ان الفزدق بن غالب ذات يوم في حلقة الحسن البصري رحمه الله
فقال رجل يا ابا سعيد ما تقول في الرجل يحلف على غير يقين ثم يعلم ان طلقت امراتي واعتقت عبدي والله له في ذلك
فقال الفزدق يا ابا سعيد قد قلت انا في ذلك قال وما قلت يا ابا فراس فليس على هذا قول يوخذ به قال قلت

وليست بماخوذ بشيء قوله ... اذا لم تعقد عاقدات العزايم

فقال الحسن البصري صدق ابو فراس العقود ما قال اذا علمت ذلك فقد تقدم لك ذكره الاجماع على تحريم الحلف بغير الله
مطلقا وليس لاحد ان يستدل بما ذكرناه على جواز الحلف بغير الله بتجويز اذ العزايم طرايق في لغتها وقد انقطعت طرايقها
في جنس ذلك بانقطاع لغتها المركبة على الاعراب ولم يبق احد يحلف بغير الله الا قصد ايمين وهو اذا من اعظم الشرك
ومن ذهب ليستظهر من ذلك دليلا على جوازه فقد بارز الله ورسوله باستظهاره وابرازه وبالله التوفيق وفي
مصنف ابن ابي شيبة مرفوعا لواحد كم يحلف بالمسيح هلك والمسيح خير منه ايا كم وقد ذكر بعقيل في الحلف
بالنبي صلى الله عليه وسلم عن الامام احمد روايتين وطرده في سايرالانبياء عليهم السلام ولم يوافقه على ذلك احد من العلماء الا
ما يروى عن عبد السلام من اتباعه وانما بينا صلى الله عليه وسلم فجعل شيخ الاسلام ابن تيمية مسئلة اليمين به والتوسل
في اليمين ج
به الله مسئلة واحدة في المنع وبجواز والصحيح في هذا الباب المنع كما مشى عليه في الاقناع مع التحريم وهو ظاهر ما جزم به
في المنتهى وصاحب التنقيح في تنقيحه لانه كما قال صاحب الاقناع شرك في تعظيم الله سوى اضافة الى الله تعالى او لم يضعفه
ويدل على ذلك ويوضحه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر المتقدم من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك قال ابن عبد
البر لا يجوز الحلف بغير الله بالاجماع وقال في موضع اخر اجمع العلماء على ان اليمين بغير الله مكروهة منهيا عنها لا يجوز لاحد
الحلف بها قال عبد الله
الهذلي بن ابرام عبد رضي الله عنه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه وجماعة من السلف وذلك لان صغيرة الشرك اكبر من كبيرة
الكباير فان اليمين الغموس من اكبر الكباير والحلف بغير الله صادقا اكبر من اليمين الغموس هذا معنى ما ذكروه وذلك لان تحقيق
التوحيد اعظم من حفظ الصدق وبيت الكذب اسهل من بيت الشرك بل ان الكذب من افتح المحرمات والحس العيني والاجماع
منعقد على تحريمه مع النصوص المتظاهرة من الكتاب والسنة قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات
الله واولئك هم الكاذبون وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب من علامات المنافقين كما في الصحيحين وغيرهما وهو
عند البزار وابي يعلى مرفوعا باسناد صحيح يطبع المؤمن على كل خلة غير الكذب والخيانة وفي حاشية مرفوعا ما كان من خلق
ابغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجل يكذب عنده الكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم انه قد احدث فيها توبة رواه احمد
وابن حبان وقال صحيح الاسناد وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بوا والتشريد والعقوبة ... فان بهم العقيبة فارشدهم

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه مجردة عن الشوايب وليس من ذلك ما صح عنه
صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال في مرض موته في حديث عائشة يا بى الله والمؤمنون الا ابا بكر ولفظه عند الامام احمد ١٦٤
بى الله والمؤمنون ابوا قال الحافظ ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن
نيار عن حنظلة رضى الله عنه يرفعه وهذا حديث عدي بن حاتم رضى الله عنه الذي رواه ابو داود وحيث قال حدثنا
مسدد ثنا يحيى عن سفيان ثنا سعيد حدثني عبد العزيز بن رفيع عن تميم الطائي عن عدي بن حاتم رضى الله عنه ان رجلا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال صلى الله عليه وسلم
قم او قال اذهب فبئس الخطيب انت قد رد صلى الله عليه وسلم الجمع بينه الاسمين تحت حرف الكناية في قوله ومن يعصهما
فيه من السوءة قاله الخطابي وغيره وورد ذكر نحو ذلك في حديث الابرص والاقرع الآتي في قول الملك فلا بلاغ
لي اليوم الا بالله ثم بك الحديث وزيد بن قيس بن الاسود ابو عمر الله الكوفي العابد الثقة الثبت فقيه حافظ
الا انه ارسل الاحاديث كثيرا مات سنة ست وستين ومائة وهو ابن خمسين كذا وكذا المرة الاولى
هذا اللفظ في هذا المقام وان اتى بلفظ الرجل بعينه بعضائه كره العطف بواو الجمع والتسوية الى ابرهيم
النخعي الانسان اعوذ بتمام التعقيبية وقد تقدم ان الاستعاذة لا تجوز بمخلوق و
كلام الامام احمد على قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامة الحديث صريح في ذلك ومعنى الاستعاذة الالتجاء والاعتصام
ومنه قوله لقد عذت بمعاذ اي لجأت الى ملجأ فالمعاذ المصدر والمكان والزمان ويدل على ان الاستعاذة الالتجاء والاعتصام
والاستجارة قول اسامة رضى الله عنه في قتل الذي قال لا اله الا الله لما قال له صلى الله عليه وسلم اقتلته بعد ان قالها انما قالها تعوذا
اي انما اوقعها لاجيا اليها ومستجيرا ومعتصما بالدفع عني بالقتل وقد صح في صحيح مسلم وغيره استعاذة غلام ابي سعيد
البدري رضى الله عنه ملاصقه ابو سعيد بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمع فلم ينكر عليه اذ ذاك بمعنى الاستجارة فعند ذلك لم عنه
رضى الله عنه في حديث شعبة انه كان يضرب غلامه فجعل يقول اعوذ بالله فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لقد عذت عبدك مني عليه قال فاعتقه يعني بزعمهم اي الرجل لتعقيب
فلان بتم التعقيبية قال بواو التشريك والتسوية المقتضية لذلك عند اطلاق اذهب فطلق تجمع
وذلك لما فيه من تجريد اضافة الامور الى الاسباب وتعليق الحوادث بها او فسرها ويدها دون تسليط القضاء عليها وتغليب
المقادير فيها بحيث تجعل الاسباب سببا لتلك الكوائن لا موجبات لها او تشريكا في الايجاب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويمنع من
هذا حماية لحمى التوحيد وسدا للذريعة ولو لم يقصد معناه والله تعالى المعطي الباب

الثاني والاربعون

عبد الله بن الخطاب
رضى الله عنهما تعالى
هذا كالذي تقدم في الذي قبله عن الحلف بغير الله تعالى وهو
مجمع على تحريمه كما مر عن العلماء رحمهم الله تعالى قال تعالى او ناويا عقد يمينه او مستحلفا ما في الحديث الصحيح
يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك رواه مسلم عن ابي هريرة في يمينه
ونفي بهذا اللفظ زجرا عن ذلك العز وبني وحقوقه ومن لم
يرض اي بالحلف بالله تعالى او بان يحلف له بالله تعالى فيطلب ان يحلف له بغير الله تعالى من الاباء والانداد الذين يدعى من دون الله سبحانه ومن
يحابيها ويرجوها كالمقامات ومن جعلت له فليس ذلك الطالب الذي لم يرض في اليمين الا ان يحلف له بغيره من الله تعالى في شيء
وقد قضى ان سبا هو نكر الكراف وهو او عيد شديد وتهديد اكيد وفي هذا موعد ما سنورده دليل ان اليمين لا تنعقد الا
باسم الله تعالى او بصفة من صفاته واما اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال بعض العلماء منهم ابو المعالي بن عقيل انها
تنعقد وجعلها رواية عن الامام احمد وصححها غيره قال في الفروع واختاره الاكثر قال والتزم ابن عقيل بنبي غيره صورة وذلك
شيخ الاسلام بن تيمية وجعلها والتوسل بذاته من باب واحد فالصحيح كما قدمنا يحرم ان يحلف الانسان بذات غير الله
او صفته كما جزم به صاحب الاقناع وهو ظاهر ما في على صاحب المنتهى وصاحب التنقيح وتنقيح الصحيح لما في الصحيحين
من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فلا يحلف الا بالله وكانت قريش تحلف بآبائها فقال لا تحلفوا
بآبائكم وفي حديث عمر الذي تقدم في الصحيح ايضا عنه مرفوعا من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت ففي هذا دليل قاطع ان
اليمين المأذون بها مقصورة على الحلف بالله تعالى ومن الحلف باسمائه محظور وقد تقدم على ذكر رواه النسائي بسند صحيح عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وانتم صادقون وفي عن الحلف بغير الله كما ذامه

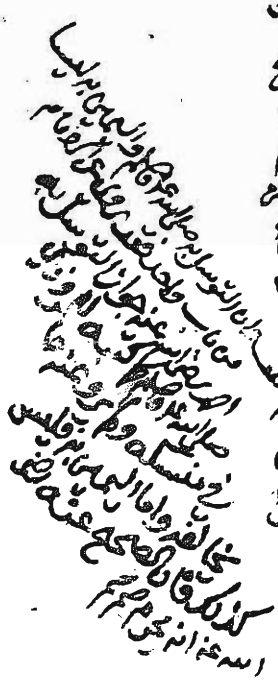

كان ومخالفة الرأي حرام فيكون محرما وفي سنن ابي داود بسند صحيح عن زيد مرفوعا من حلف بالامانة ليس منا وقد استدل
بعض اهل العلم على تحريم الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم بما في البخاري في قصة اضياف ابي بكر حيث قال لزوجته ما اراك
واته يزيد بكل اضيافه يا اخت بني فراس ما هذا قالت لا وقرة عيني لهي الان اكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات واكثر تعني لحفنة
قال الداودي اراد ت النبي صلى الله عليه وسلم فاقسمت به ورده القرطبي وغيره وقال اقسمت لمارات من قرة عينها من بركة
الطعام بكرامة الله لزوجها قال اقر الله عينه اعطاه حتى تقر عينه فلا ينظر الا ما هو فوق ذلك وقاله الجوهري وغيره
فيكون كالحلف بصفة من صفات افعاله تعالى كما هو معلوم كما قاله الداودي ومن تابعه على ذلك اذا تقرر ذلك فقد امر
صلى الله عليه وسلم الحالف بالله بالصدق في يمينه فان لم يصدق وابى اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الاثم الذي يوجب
له النار وعضب الجبار وهو حقيق بان يورده موارد امثالها وفي الصحيح من اقتطع حق امرئ بيمينه لقي الله وهو عليه
غضبان وفي البخاري وغيره عن ابن مسعود مرفوعا من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان
فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية وليكلمنه الله ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فدخل الاشعث بن قيس فقال ما حدثكم ابو عبد الرحمن فقالوا كذا وكذا قال في انزلت كانت لي بئر في ارض ابن عم لي فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينتك او يمينه فقلت اذا يحلف
عليها يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيمة
وهو عليه غضبان الباب الثالث والاربعون

بالقطع والاضافة الى جملة بضم المخاطب بضم القاف وصغرها هي بنت صيفي لحميته وقيل الانصاري وكانت من المهاجرات الاول روى عنها عبد الله بن سيار

بسكون الشين المعجمة ويروى بفتحها وتشديد الراء المهملة وفسره بقوله وهي عطف جملة الى جملة مسببة المخلوق على مسببة الخالق سواء وقيل مطلق الجمع الى هي للتشريك والتسوية فاذا عطف بها التي للتعقيب والمهملة لزم المحذور الشرك وهذا حلف بغير الله وهو شرك لكن اصغر وهو اعظم عند الله من الكبائر فانظر كيف فهم اليهودي ما دق من الشرك فعيد دليل ان الله لم يبعث في دين الرسل من الشرك شيئا وان دق وان هذا اليهودي لما كان له هوى في العيب والتعيير كيف اخرج ذلك بالطف عبارة للتحصيل فصدع فصار منحة للعالمين فقد يكون عدو كسيا لستر عورتك عكس قصده بهتكها وانه ينبغي ان يقبل الحق ممن جاء به ولو لم يات به في جمهة النصيحة عند ذلك لما كان الحلف بغير الله تعالى وصفته تعظيما للمخلوق به ايضا هي تعظم الله تعالى وانهم انما حلفوا بالكعبة تعظيما لها اخر اهم صلى الله عليه وسلم من المحذور الى ما لا محذور فيه الا تعظيم حرمات الله باضافتها اليه فامرهم ان يقولوا ورب الكعبة بان ابقى الكعبة مضافة اليه تعالى في اليمين فحصل المقصود وهو عدم الحلف بغير الله تعالى وحصل ايضا المقصود من تعظيم حرمات الله باضافة الكعبة اليه فاتسق الامر وترابط على وجهه الجميل المرضي لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والله الموفق ايضا في الاول

لكن في الاصل وصحيح وقد رواه الامام احمد في مسنده عن قتيلة قال عبد الله بن الامام احمد
حدثني ابي ثنا يحيى بن سعيد ثنا المعرور بن سعيد حدثني معبد بن خالد عن عبد الله بن بسار عن قتيلة بنت صيفي الكهنية قالت اتى
حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد نعم القوم لولا انكم تشركون قال سبحان الله وما ذاك قال تقولون
اذا حلفتم والكعبة قالت فامهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انه قد قال من حلف منكم فليحلف برب الكعبة
قال يا مهلا نعم القوم لولا انكم تجعلون لله ندا قال سبحان الله وما ذاك قال تقولون لولا ما شاء الله وشئت قال فامهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انه قد قال من قال ما شاء الله فليفصل بينهما ثم شئت وابي النسائي وكذا ابن ماجه
من حديث عيسى بن يونس عن الاجلح بن عبد الله الكندي عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس وكذا ابن مردويه من طريق سفيان بن
سعيد الثوري عن الاجلح به واللفظ للنسائي عن عبد الله
صلى الله عليه وسلم وجعله اياه ندا حيث عطف مشيئة المخلوق وهي
الجملة مع الفاعل على مشيئة الخالق بواو التشريك والكلام على معنى الدين وفي لفظ ابن ماجه اجعلتني لله ندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه اجعلتني
والله عدلا بل ما شاء الله وحده وعدلا بفتح العين المهملة وكسرها المثل وقيل بالفتح ما عادله من جنسه وبالكسر

ما ليس من جنسه

ما ليس من جنسه وقيل بالعكس واما الواو في قوله والله عدلا فقال شيخنا ابو الحسن المسدي في شرح
مسند الامام احمد رحمه الله تعالى يحتمل ان تكون للعطف واراد عدلا لكونه مصدرا في الاصل وان تكون للقسم ومتعلق
عدلا مقدر اي والله وفي بعض الروايات جعلتني لله عدلا والمراد بهذا الكلام وهو المساواة فلا ينبغي التكلم به بل ايما ارشد
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس منه هذا قوله في حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي في الصحيحين لما بعث النبي صلى الله عليه و
سلم عمر على الصدقة فقيل ان بن جميل وخالد بن الوليد والعباس بن عبد المطلب الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينقم بن
جميل الا انه كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما خالد فانكم تظلمون خالدا قد احتبس ادراعه واعتده وفي لفظ واعتدنا
في سبيل الله واما العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي علي ومثلها معها فانما عطف صلى الله عليه وسلم نفسه بالواو على
الله تكون سببا لاسلامه وصيرورته غنيا بما باعده الله من الغنايم فليس مما نحن فيه

ام المؤمنين رضي الله عنها ام رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية توفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذي الحجة سنة ست من الهجرة وقيل تسع وقيل خمس قاله عبد البر وغيره ونزل صلى الله عليه وسلم قبرها واستغفر لها وروي انه
قال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى ام رومان وكانت تحت الصديق بعد عبد الله بن سنجرة
الازدي فتوفي عنها بعد ما ولدت له الطفيل وخلفه عليها ابو بكر الصديق رضي الله عنه فولدت له عائشة وعبد الرحمن
وهما اخوا الطفيل لامه الطفيل في المنام جمع انفار يقع على جماعة الرجال خاصة ما بين
الثلاثين الى العشرة لهم فاجابوه بان
لهم
اي في منامي

قال تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده
وقال ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلام الله يوم القيمة فردا فلما قال ذلك
مجيبا لهم ايها المسلمون

في هذا الحديث دليل على ان الرؤيا الصالحة من اقسام الوحي كما في الحديث الصحيح في البخاري عن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه مرفوعا رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ورواه ايضا عن ابي هريرة وانس وابي سعيد كلهم
بطرق بهذا اللفظ وفيه ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات
قال الرؤيا الصالحة فثبت بهذا ان رؤيا المؤمن جزء من اجزاء النبوة وقد كان شرف بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سببا لشرع الاذان كما مر رؤيا عبد الله
بن زيد وكما في هذا الحديث وفيه ايضا انه اذا عطف مثل ذلك بواو التشريك والتسوية فهو نوع من الشرك وان المنكر قد
يمنع من انكاره خوفا مما هو اكبر منه فيقع اعلا المفسدتين بادناهما حتى تنجلي او تضعف المانع والله اعلم

الباب الرابع والاربعون

السرمد بفتح السين والباء في اللغة الشئ بالكلام القبيح وما يليق والدهر الزمان ممدود بقاؤه قال الشاعر

هل الدهر الا ليلة او نهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها

ويقال الدهر الابد يقول تعالى وقالوا اي
المشركون عبدة الاوثان ما هي اي ما حياة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها
ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى بقيامنا اولادنا او نموت بعضنا ونحيى بعض او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس
وراء ذلك حياة ويحتمل انهم اردوا بقولهم النتاسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان ولهذا قالوا وما يهلكنا الا الدهر
ان الامر والزمان بمرور وهو في الاصل مدة بقاء العالم مشتق من دهر اذا غلب يعني بسنهم الجاري
الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستدلال او انكار البعث او كليهما على اختلاف عبارات المفسرين رحمهم الله تعالى
اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما يحسونه بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستقنين وقال في الاية الاخرى ان ينظنون الا الظن وما تهوى الانفس لما اخبرهم به الهدى الذي بعثا الله به
رسوله لم يبق عندهم الا الظن وهوى النفوس فذلك اصل دين اهل الجاهلية واما ما يروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه

في خطبته حيث قال ابو سليمان الخطابي احمد بن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد يعني بن مسلم
حدثنا الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في خطبته ايها الذين كانوا يعطونه الغلبة
في مواطن الحروب قد تصعصع بهم الدهر فكانوا كاللبن والمعنى في تصعصعهم الدهر بدورهم وشتت شملهم قال الشاعر
يا رب تصعصع بالدهنا ظاعنونا فاناشب التفرق والتبدد الى الدهر على معنى ان وقوعها كان في ايام الدهر يقول
انف في الرجل اذا طال عمره وقد كمل عليه الدهر وضربته ايام الدهر اطويلا ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار
اي مكركم في الليل والنهار ومثله قولهم ليل نايم اي منوم فيه قال الشاعر وهو جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم

فهذا وامثاله مما روي عن السلف ليس مما نحن فيه حتى نعلم ذلك لان ورد عنا وبل ما ذكرناه اورد الشيخ رحمه الله تعالى
ما ذكر عند البخاري وغيره

مجعل سبحانه صرفهم تدبيره في مخلوقاته الى ما هو مكون مدبر بسبب الدهر اذ لا سبيل الى ذلك وفي الحديث
الصحيح لا احد اصبر على اذى سمعه من الله قال ابن الجوزي ما رايت عيني مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سبهم للزمان وعيبهم للدهر
قال وفي معنى الحديث انتم ايانا قال ابو عبيد للدهر شبوون من فرق شملكم وافات اهاليكم وتنسبونه الى الدهر والله سبحانه هو الفاعل
لذلك ولهذا قال تعالى وانا الدهر وقد تقدم ان السب والسبا هو الشتم بالكلام القبيح قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

لنا في كل يوم من معد سباب او قتال او هجاء

ثم قال

هريرة بسند صحيح مرفوعا قال الله يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار متفق
ابو سليمان الخطابي تاويل هذا الكلام ان العرب انما كانوا يسبون الدهر على انه الفاعل لها في المصايب والمكاره ويضيفون
الفعل فيها اليه فاذا هم سبوه فاعلها فيكون سبهم مرجعا الى الله تعالى اذ هو الفاعل لها فقيل له لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لهذه الامور التي تضيفونها الى الدهر قال وكان ابو داود يذكر رواية اصحاب
الحديث هذا الحرف مضمومة الراء ويقول لو كان الدهر كان اسما معدودا من اسماء الله تعالى وكان بريد وانا الدهر اقلب
الليل والنهار مفتوحة الراء على الظرف يقول انا طول الدهر والزمان اقلب الليل والنهار والمعنى الاول هو وجه الحديث
وروى هذا الحديث ابو عبيد القاسم بن سلام صاحب الامام احمد وقريبه مرفوعا ولفظه لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
قال ابو عبيد حدثنيه يزيد بن هرون عن سفين عن عبد العزيز بن رفيع عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه عن النبي صلى
الله عليه وسلم مثله وقال في قوله فان الله هو الدهر هذا مما لا ينبغي لاحد من اهل الاسلام ان يحمل وجهه وذلك ان اهل
التعطيل يحتجون بهذا على الملحدة قال ابو عبيد وقد رايت بعض من يتهم بالزندقة او الدهرية يحتج بهذا
الحديث ويقول الا تراه يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب الله عز وجل في اباد الدهر فقال الاعشى في الجاهلية الجهلاء

اساءت الله بالوفاء وبالحمد وقد لامه الرجلا

وانا اوبله عندي والله اعلم ان العرب كان شانها ان تذم الدهر وتسبه عند المصايب التي تنزل بهم من موت او هرم او
تلف او غير ذلك فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وتاتي على ارام الدهر فيجعلونه الذي يفعل ذلك فنبهوا عليه وقد ذكروه
في اشعارهم قال الاعشى يذكر قوما هلكوا

فاساء ثم الدهر العداة بهم والدهر من مبني ومارمي
يا دهر قد كررت فجعتنا بسرانا ووقرت في العظم
وسلبتنا ما لست تعقبنا يا دهر ما انصفت في الكم

وقال عمرو بن قميئة

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس يرام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنه رام بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصى ثم ثلثا بعد ذاك قيامي

فاخبر ان الدهر فعل به ذلك يصف الدهر وقد اخبر الله تبارك وتعالى عنهم في كتابه عن قولهم في قولهم فقال وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر قال تعالى وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وقال النبي صلى الله

عليه وسلم لا تسبوا الدهر على تاويل لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الاشيا ويصيبكم بهذه المصائب فانكم اذا فعلتم سببتم فاعلها
فانما يقع السب على الله تعالى لانه الفاعل لها لا الدهر فهذا وجه الحديث ان شاء الله ولا اعلم له وجها غيره فيهذا
يعلم ان جميع الحادثات كلها حاصلة من الله تعالى وانه لا يقدر على الايجاد احد الا هو وهذا الاصل فرض على كل احد فهذا الاعدام والايجاد
شرط الايمان ومن لم يعتقده كافر وهو معنى قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين والناس في هذا الاعتقاد درجات فيسكن قلب علمه وهو
فيسكن قلبه بهذا الاعتقاد ويتزعزع اخرون في السكون والانزعاج ايضا درجات بزيادة ايمانهم ونقصانه قال
١٦٦ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى وفي سب الدهر ثلاث مفاسد احدها سب من ليس باهل ان يسب الثانية ان سبه متضمن للشرك
فانه انما سبه لظنه انه يضر وينفع وانه ظالم الثالثة ان السب انما يقع على من فعل هذه الافعال التي لو اتبع
الحق اهواءهم فيها لفسدت السموات والارض ومن فيهن واذا وافقت اهواءهم حمدوا الدهر واثنوا عليه فلهذا قال صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا يقول احدكم يا خيبة
الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ له عنه مرفوعا قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم
يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما والله الموفق وفي هذا كفاية لمن ابصر واقتدى واما من
عمي عن الهدى فلن تجد له من دون الله وليا مرشدا

الباب الخامس والاربعون

فيما هو مقاس على المنهي عنه في حديث الباب كسلطان السلاطين [illegible]
وبلي ذلك سيد الناس لان ذلك ليس لاحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل عليه ما للبخاري حيث قال حدثنا علي بن
عبد الله ثنا سفيان عن ابي الزناد عن الاعرج [illegible] وقال
سفيان غير مرة اخنع الاسماء عند الله اي اوضعها واقلها لصاحبه واهلكها له عند الله يوم القيامة فعيد بانه يوم كشف
الحقائق اي اسم رجل واراد بالاسم المسمى مجازا [illegible] اوما في معناه اذ لا حكم لغيره تعالى على الحقيقة
تعالى وحده وما لكه الغير مستردة الى ملك الملوك فمن تسمى بذلك فقد نازع الله في رداء كبريائه واستنكف ان يكون عبدا لله اذ
لا مالك للخلق الا هو ففي البخاري وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه ثم
يقول انا الملك اين ملوك الارض ولهذا قال عز وجل له الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة الاية ومنع القاضي
ابو يعلى بهذا من كل اسم فيه تفخيم او تعظيم واحتج به على منع التسمي بالملك واجاب بان الله تعالى انما ذكره اخبارا عن
الغير او للتعريف فانه كان معروفا عندهم به ولان الملك من اسماء الله المختص بخلاف حاكم الحكام وقاضي القضاة لعدم التوقيف
وبخلاف الاوصاف لانه يكون في الخير والشر ولان الملك هو المستحق للملك حقيقة فاما التصرف الدائم ولا يستحق الا الله سبحانه ويحكى
ذلك قال ابو عبد الله الصيمري الحنفي وابو الطيب وابو الحسن التميمي الحنبلي والماوردي من الشافعية وحرم النووي الاعدام
التسمي به في شرح مسلم وقال ابن الجوزي قول اكثر القياس اذا اريد ملوك الدنيا وقول الماوردي
ومن تبعه اولى بالحجة قلت واما ما يستدل به بعض الناس على جواز ذلك بالحديث المروي في ذلك انه صلى الله عليه وسلم
قال ولدت في زمن الملك العادل يعني كسرى انوشروان فقد قال الحاكم ابو عبد الله على تساهله في الحديث الحديث الذي
يرويه العامة ولدت في زمن الملك العادل باطل ليس له اصل باسناد صحيح ولا سقيم ذكره في تاريخه وقاله البيهقي عن
شيوخه والسيوطي رحمه الله مع تساهله وفي الغنية للشيخ عبد القادر يكره ما يوافق اسماء الله كملك الملوك وشاه
لانه عادة الفرس وما لا يليق الا بالله تعالى كالقدوس والبر والخالق والرحمان وصحح غيره انه محرم قال ابن قيم
الجوزية رحمه الله تعالى وكان جماعة من اهل الدين يتورعون عن اطلاق قاضي القضاة وحاكم الحكام قال وهذا محض
القياس قال وكذلك تحرم تسميته بسيد الناس وسيد الكل كما يحرم بسيد ولد ادم وذلك انه علم للنبي صلى الله عليه وسلم
علي بن المديني [illegible] يعني ابن عيينة يقول غيره تفسيره [illegible] ورواه ابو عبيد القاسم بن سلام
في الغريب من حديث ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان اخنع الاسماء عند الله ان يتسمى الرجل باسم ملك
الاملاك قال وبعضهم يرويه ان اخنع الاسماء قال فمن رواه اخنع اراد اقتل الاسماء واهلكها له والخنع
هو القتل الشديد وهو ان يجوز بالذبح الى النخاع قال وقال غير سفيان بل هو ان يتسمى الرجل باسماء الله كالرحمن
والجبار والعزيز قال وكلا القولين له وجه ورواه ايضا البخاري من طريق اخر فقال حدثنا ابو اليمان انا شعيب
انا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخنى الاسماء يوم القيمة عند الله
رجل تسمى ملك الاملاك ورواه ابو داود فقال حدثنا احمد بن حنبل ثنا سفيان بن عيينة عن ابي الزناد عن الاعرج عن
ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ان اخنع اسم عند الله يوم القيمة رجل تسمى بملك الاملاك قال ابو سليمان

الخطابي على هذا الحديث اي او صفه واذله عنده تعالى والخانع الذليل فالخنوع الذل والاستكانة وقال في قوله في الحديث الذي اوردناه احنأ الاسماء اي اخسها يوم القيمة عند الله قال الفرزدق يرثي الحسن

يا رغم الله انفا انت حامله ... يا ذا الخنا وقال الزور والخطل

وصح عن الاصمعي انه قال سمعت اعرابيا يدعو ويقول اللهم اني اعوذ بك من الخنوع والقنوع وحايفضي طرفه الخ وبغيره بلفظ الناس قال فالخنوع الذل والقنوع المسئلة ... لم رجل تسم بملك الاملاك وعند الامام احمد في مسنده مرفوعا اشد غضب الله على رجل كان يسمى بملك الاملاك لا مالك الا الله ويدخل في ذلك مجرد التلفظ به ولو لم يعتقد المتلفظ به معناه اجل الاعظم الله جل وعلا عن مضاهاة آحاد خلقه اسمائه وصفاته ولهذا قال في الحديث لا مالك الا الله اذ هو المالك حقيقة لكل ما سواه وعلم بهذا ان الانكار التسمي باسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام و قد جاء الترخيص بجوازه في مسند الامام احمد من حديث وهب الجشمي مرفوعا تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة وسيأتي قريبا ما يتعلق بذكره وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم مرفوعا تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وعند البخاري عن صدقة بن الفضل وعبد الله بن محمد وايضا عند مسلم عن عمرو الناقد ومحمد بن عبد الله بن نمير اربعتهم عن سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر انه سمع جابرا رضي الله عنهما يقول ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم فقلنا لا نكنيك ابا القاسم ولا ننعمك عينا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني انما جعلت قاسما اقسم بينكم وعند ابي داود بسند على شرط مسلم عن ابي الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يسمى باسمي وهذا يشعر ان المنع محذور من التسوية بينه وبين صاحبه صلى الله عليه وسلم في هذا الاسم عند الدعاء به وقال ابن عبد البر قال ابن قاسم قال مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من اهل بيت فيهم اسم محمد الا رقوا ورزقوا خيرا والله سبحانه الهادي للموفق للصواب

الباب السادس والاربعون

وفي خط غير الشيخ ... اي لاجل احترامها وقد عد صلى الله عليه وسلم اسماء ارضا وانا سمي ايضا الغبراء كما مر وغير اسم رغب بنت حجش واسم ابيها وكان اسم برة بفتح الباء الموحدة واسم ابيها برة بضمها فقالت يا رسول الله لو عدت باسم ابي فان البرة صغيرة فقال لو كان ابوك ملا السمية باسم من اسمانا اهل البيت ولكني قد سميته محسنا والمحسن مرة البرة رواه الدار قطني مسندا في المؤتلف والمختلف وتغيره لاسمها كان كره التزكية وعند ابي نعيم عن انس ان امة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لها اسم من اسماء العجم فسماها عمر جميلة فابت فقال عمر بيني وبينك النبي صلى الله عليه وسلم فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال انت جميلة فقال عمر خلني اراعي الكبير اختلف في اسمه فقيل حويلد بن عمرو وقيل علسة وقيل كعب بن عمرو وقيل غير ذلك اسلم قبل الفتح وكان يحمل احمر الوبرة التي لعب رعاية يوم الفتح وكان رضي الله عنه من عقلاء الرجال وكان يقول اذا رايتموني ابتغي من انكحة او انكحت الي الا تفعلوا فاعلموا اني مجنون ومن وجد لاتي سريع سمنا او لبنا او جدابة فهوله فاياكله وشربه وهو الذي انكر على عمرو بن سعيد حين بعث البعوث الى مكة ترمي ابن الزبير في الصحيحين عن ابي شريح رضي الله عنه انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته اذناي ووعاه قلبي وابصرته عيناي حين تكلم به حمد الله واثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له ان الله قد اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما اذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب فقيل لابي شريح ما قال لك عمرو قال انا اعلم بذلك منك يا ابا شريح ان الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة قال ابو عبد الله الخربة الجناية قال رضي الله عنه مخبرا عن نفسه ... بضم المثناة التحتية واسكان الكاف وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وحاء مهملة ... الكنى في العرب حيث غلبت الاسماء وكذا الالقاب كابي طالب وهاشم بن عبد مناف وقصي بن كلاب والكنية واللقب تجمعها العلم بالتحديد وتتغايران في الاصل فاللقب ما اشعر بمدح او ذم والكنية ما صدرت باب او ام وما عدا ذلك هو الاسم فالكنية واضح الكنى من قولك كنيت عن الامر اذا واريت عنه بغيره

... هو الحكم قلت نعم انه اتبع حكما وهو الذي انزل اليك الكتاب مفصلا والله الحكم قال تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه والحكم ايضا في الحقيقة له كما قال تعالى فالحكم لله العلي الكبير فليس لاحد ان يعمل او يأمر الا بما شرعه

انزل

الامام رضي الله عنه في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يحكم بينهم اذا رجعوا اليه بحكمه وعلمه تعالى فيهم جميع الخلايق وان
حاز فهم عن حكمه الشرعي من حرج فهم لا يخرجون عن حكمه الكوني وهو سبحانه لا معقب لحكمه
النبي صلى الله عليه وسلم
بنصب احسن على النعت المدح

فهم النسائي في سننه ولفظه
عنه رضي الله عنه انه لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في قومه سمعهم يكنونه بابي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان الله هو الحكم واليه الحكم فلم تكنى ابا الحكم قال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما احسن هذا فما لك من الولد قال شريح ومسلم وعبد الله قال من اكبرهم قلت شريح قال انت
ابو شريح ففي الحديث حضه على احترام اسماء الله تعالى وصفاته وتغيير الاسم المضاهي لها وجواز الصلح اذا لم يحرم حلالا او
يحلل حراما وكان صدوقا عن تراض من الخصمين وفي ان من حكمه الخصمان عن تراض منهما وهو يصلح للقضاء فحكم بينهما نفذ
حكمه وهذا عنده صلى الله عليه وسلم بلفظ التعجب وافعل التفضيل انما انكر التكني بما يضاهي اسماء الله تعالى وصفاته
وكنا بما هو اللائق بعبقه وفيه جواز التكني بالاولاد وان اولى ما يكنى به الاكبر منهم وان كان اسم الاصغر احب الى الله تعالى
مع قطع النظر عن ان لا يجوز الا بابه او انه لا يجوز الا لكنى الا من له ولد فانه صلى الله عليه وسلم قد كنا ابا هريرة وهو بكر وجده
عجلا كما صح بذلك الخبر وان كان قد روي انه كنى بها قبل ان يسلم كناه بها اهله وقد كنى النبي صلى الله عليه وسلم غير واحد
رضي الله عنهم بابي عبد الله وفيه حديث رواه ابن السني انها اسقطت سقطا منه صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله ولا يصح اسناده
قال الحفاظ من اهل الحديث منهم النووي رحمه الله بل انما كناها بابن اختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كما في سنن
ابي داود وابي على صبي يلعب بنغير له وهو اخو حادمه انس بن مالك الانصاري رضي الله عنه فقال له وقد مر به وليس معه
نغيره ذلك يا ابا عمير ما فعل النغير وحديث في الصحيح كنيا ابراهيم حتى يتطول فكان صلى الله عليه وسلم يريد ان يستعمل اللفظ
الشايع في حق من ليس كذلك وان يستعمل اللفظ المكروه في حق من ليس من اهله وكان ابعد الناس عن الفاظ اهل الجفا والفحش
فانه لم يكن فحاشا ولا متفحشا ولا فظا ولا غليظا ولا سخابا في الاسواق الصباغين

قال موفق
السابق والاولون
الدين من حيث اتى به اي استهزاء به او بآياته او رسله او كتبه كفر سواء كان مازحا او جادا وذكره غير واحد اجماعا وسياتي كلام
ابي الوفاء بن عقيل ومعناه لشيخ الاسلام بن تيمية في الباب قريبا ان الله تعالى
قال ابن الجوزي روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الانصاري العدوي مولى
عمر بن الخطاب المدني العالم الثقة روى عنه عمامة بن قتادة السدوسي وابو الخطاب البصري الثقة الثبت
يقال بطن
رغيب اي واسع ويقال ايضا اناء رغيب ومكان رغيب اي واسع فالحاصل ان الرغيب الاكول الواسع الجوف
قال حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه يصف قطا سايرا

تبادر اطفالا كأن دوينها فلأما تخطاه العيون رغيب

اي واسع
للعدو
فوصفهم هذا
المنافق بصفات اخبث من المنافقين الذين هم احق بها واهلها وهي الشر فان المنافق قد ينصف بالخط الاوفر من
ذلك وبالكذب وهم اهله قال تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ويأبى وهو وصفهم اللازم قال تعالى لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وقال يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال يراؤون الناس ولا يذكرون الله
الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية قد اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم
اشحة على الخير الاشجع الصحابي المشهور من سلمة الفتح لذلك الرجل المنافق في مقالته
هذه الحق هو من يظهر خلاف ما يبطن قال حريز بن الخطيم

يسرك البغضاء كل منافق كما كل ذي دين عليك شفيق

فهذا الصحابي قد علم رضي الله عنه ان مقالته هذه لا يقولها الا منافق معروف اذ هو مريض قلبه قال
ابو عبيد القاسم بن سلام انما سمي المنافق منافقا لانه نافق كاليربوع ونافقاؤه مقاله قد نفق ونافق
وهو يخرج وله مخرج اخر يقال له القاصعاء فاذا طلب قصع فخرج من القاصعاء ويدخل في النافقاء ويخرج
من القاصعاء ويدخل من القاصعاء فيخرج من النافقاء ويقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الاسلام ثم يخرج منه

من غير الوجه الذي دخل فيه والمراد من هذا النفاق هو نفاق من اظهر الاسلام واسر الكفر كعبد الله بن ابي بن سلول وان
اظهر انه قائم بالواجب وفي قلبه ان لا يفعل فنفاق ايضا كقوله في تعليقه ومنهم من عاهد الله الآية ولكن في كفر هذا الثاني قولا
للعلماء كما ذكرهما القاضي وشيخ الاسلام ابن تيمية وجه كفره انه نفاق الله ورسوله وردّ رسول الله صلى الله عليه
فكفر قلت اصل ان ما كان من النفاق في الاعمال وهو النفاق العملي لا يكفر صاحبه قال الامام احمد لما سئل عمن لا يخاف
النفاق على نفسه ومن يأمن من النفاق فيبان انه يكون في غالب الاحوال الانسان ولا يطلق عليه كفره وفي معنى النفاق الرياء
ومن اطلق الكفر على هذا القسم الاخير فمراده غير ما قال عن الملة كقول الامام احمد كفر دون كفر اذ ظاهر كلامه وكلام
الاصحاب انه لا يكفر الا من اسر الكفر واظهر الايمان كما مر قال له عوف بن مالك رضي الله عنه
يعني بقوله وفيه دليل ان رفع مثل هذا الولي الامر لا يعد نعمة بل هو للمسلمين عين النصيحة لئلا
يفسد عليهم من ليس من مصالح دينهم ودنياهم وهم لا يعلمون وانما النعمة والغنيمة رفع عيوب المسلم اذا زال وهذا
والمطلوب من احبائي ان يقبل عثرة بعضهم مع الستر الا ان يجاهر بالمعصية ويدعو بالانكار عليه جهارا
رسوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافق و
سيأتي اسمه يعتذر من مقالة التي نقلها عوف عنه فوجده
اي بالغا في الحديث وخوض التخليط في الكلام وغيره من خاض الشيء
اذا خلطه ثم قال ونلعب بشير انهم دخلوا في ذلك الكلام من غير قصد والحاصل ان صدق هذا المنافق فانما سبحتهم الخوض
في اغراض المسلمين واللعب بها دائما وهذا كل الامن مرض فقد عظم في قلوبهم لا يستطيعون كتمه فلا بد ان يظهر ذلك
على صفحات وجوههم وفلتات السنتهم ثم قال في عذره ونحن هذا دليل على ان
الجهاد في سبيل الله لا تألف نفوسهم ولا تستأنس به قلوبهم فلا يعدونه عبادة فهم لا يروحون نفوسهم من هذا المكروه
عندهم الا بما يجبون وتألفه قلوبهم وهو الاستهزاء باهل الاسلام وقادته يتفكهون بذلك لا يملون مع لذاذته قطع
الطريق المكروه عندهم فقلوبهم لا تصل اليها هدى ولا تخلص اليها خير فلا تهدي ولا تهتدي فهم في ريبهم يترددون
وهم مع ذلك تعجبك اجسامهم اذا رأيتهم لهم اشكال حسنة وفصاحة والسنة اذا سمعتهم لسامع تصغي الى قولهم لبلاغتهم
ولهذا قال تعالى وصفهم واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور
والهلع والجزع كما قال تعالى عنهم يحسبون كل صيحة عليهم وقال تعالى اشحة عليكم فاذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد
اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم الآية فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا قال هم العدو فاحذرهم
وعند الامام احمد في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للمنافق علامات يعرفون بها بخيلهم لحمهم وطعامهم نهبهم وغنيمتهم غلول ولا يهربون المساجد الا هجرا ولا يأتون الصلاة الا
دبرا مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار فقال مرة ضجر بالنهار وعاتم الليل فهو يرتاح
للمكان الذي يجد به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادات اتباعه كيف وهذه الغزوة قد جمعتهم جمعا مستوفرا فلم يتخلف
عنه صلى الله عليه وسلم فيها الا من كان معلوما بالنفاق او من عذره القرآن الا ماكان من الثلاثة كعب بن مالك
وصاحبيه فتاب الله عليهم رضي الله عنهم
اي يحقب
عند ذلك وهي متعلقة بمقدر لا بالعقل له
تقدم بخاطر استهزاء بهم لا يصلح الاستهزاء به والزما للحجة عليهم اذ لا يعباء باعتذارهم
الكاذب فانما يوهم اعتذارهم بانهم لم يقصدوا الهزء فلذلك بهم القرآن وقد جزم ابو الوفاء بن عقيل بان من وجد
منه ذلك بان القرآن او حمص مثلا او طعنا فقصده او دعوى انه مختلف او معدود على سفه او سقطا لحق منه
كل من تبلغ كفره فيقتل بعد ان تبت وقال غيره من الاصحاب قال الامام احمد من قال القرآن مخلوق
على اطلاقه وكل الله منه قد ذهب كفر بل هو معجزة نفسه والعجز عن الخلق وكذا من ظهر منه الاستهزاء به كما قال الحوفي
قال عبد الحميد بن عبد العزيز كان عندنا بخراسان رجل كتب مصحفا في ثلاثة ايام فلقيه رجل فقال في كم كتبت هذا فقال
واومى بالسبابة والوسطى والابهام وقال في ثلاث وما مسناه من لغوب فجحف اضابعه الثلاث فلم ينتفع بها

فيما بعد

فيما بعد قال وخطر لبعض الفصحاء ان يقدر ان يقول مثل القران فصعد الغرفة ليفرغ فيها وقال حلوني ثلاثا فصعد واليه بعد الثلاث ويده قد يبست على القلم وهو ميت ولهذا قال تعالى وهكذا ينبغي لولاة الامر ان يقولوا لهذا الجنس اذا تحققوا بطلان عذرهم لم يندفعوا عن اذى المسلمين والقدح في دينهم قال محمد بن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت اخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من اشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشن بن حمير يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك قال بعضهم لبعض اتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير والله لوددت اني اقاضي على ان نضرب كل رجل منا مائة جلدة وانا ننفلت مخافة ان ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر ادرك القوم فقد احترقوا فسلهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار بن ياسر فقال لهم ذلك فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو اخذ بحقبها يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تبارك وتعالى فيهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال مخشن بن حمير يا رسول الله قعد بي اسمي واسم ابي فكان الذي عفي عنه في هذه الاية مخشن بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله ان يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له اثر وفي رواية ان مخشن بن حمير الاشجعي انكر عليهم بعض ما سمع ولم يمالهم عليه وجعل يسير مجانبا لهم فلما نزلت هذه الاية تاب وبرأ من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقرأ عني بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا كفنت انا غسلت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما قتل احد من المسلمين الا وقد وجد وعرف مصرعه غيره ثم قال تعالى اي قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستهزاء والطعن بعد اظهاركم الايمان واقراركم به هكذا قال جمهور المفسرين وفي هذا دليل واضح ان من اتى بقول او فعل صريح في الاستهزاء بالدين انه يكفر كما صرح بذلك صاحب الترغيب من اصحابنا وغيره كشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ثم قال تعالى لتوبتهم واخلاصهم كمخشن لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء اي مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء بالمؤمنين وفيه جواز العفو عن المجرم في الاسلام للمصلحة وان العفو عن بعض من اجرم قد يكون سببا لجرأة واستهانتهم بالمسلمين وردعه بالعقوبة اصلح واكف لتطلع من مثل جرمه خصوصا اهل النفاق والريب ومرض القلوب فانهم ليسوا من الاسلام واهله في شيء ولهذا قال تعالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا امر مطلق ليس فيه ثنيا ولهذا لم يعف عمن حضر تلك المقالة الا عن مخشن رضي الله عنه لانه قد دخل الايمان في قلبه ولهذا قاده ما خامر قلبه من الايمان الى الخير لغلبته مادة الاباء وقوته على ضده والله الموفق

الباب الثامن والاربعون

اي بعد الشدة اي الانسان يعني اصابته عافية وغنى

اي انا اهل لهذا ومستحقه ويقال انا احق بهذا التي اصابته

ترجمان القرآن عبد الله ولهذا انكر البعث فقال وما اظن الساعة قايمة اي كائنة ثم قال ولئن رجعت الى ربي يعني يوم القيامة بزعمكم ان لكلاتي رجوعي اليه بعد موتي ان لي عنده للحسنى والمعنى ان كان يوم القيمة كما يقول محمد انكم مبعوثون ومجزيون فلي عند ربي الجنة وانما اله عنده كما قال في هذا السياق فلننبئن الذين كفروا اي لنخبرنهم بما عملوا من اعمالهم الخبيثة ولنذيقنهم من عذاب غليظ جزاء لهم على اعمالهم الخبيثة لا ما يظنون من قياسهم الفاسد على امر الدنيا عند الله حقيرة مهينة لحجبها عن اوليائه من رسله وانبيائه واتباعهم على منهاجهم ويعطيها الكفرة الفجرة والجبابرة من اعدائه بخلاف دار البقا كما قال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقال عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون فمن ظن ان الله يساوي بين الفريقين فضلا من ان يظن انه يفضل المجرمين على المؤمنين فقد ظن بالله ظن السوء فعليه دائرة السوء وغضب الله عليه ولعنه وسيورده من العذاب موارد امثاله وقوله قال

في قوله وهذا كقوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا ثم

اذا حولناه نعد ما قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون وقومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ثم قال اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والمعنى ان يقول انما اوتيته على علم عندي فضلت به الناس واستوجبت به التفوق عليهم قال بعض المفسرين وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان قارون اعلم اهل زمانه بها يحفظها على ظهر قلبه قيل انه لم يحفظها من بني اسرائيل على ظهر قلبه بعد العزير عليه السلام الا قارون وقيل علمني بذلك علم الكيمياء وقيل كنوز يوسف عليه السلام وقيل علم التجارة والله اعلم وهي الزراعة وسائر المكاسب كما تقدم قال الزجاج طريق الاول اشبه لان علم الكيمياء لا حقيقة له قال شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه في الكيمياء والقول بان قارون صنعها باطل لا اصل له وبه قال محققوا علماء الشريعة لان علم الكيمياء في نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر احد عليها الا الله عز وجل قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الاية وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة وهذا في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة والتكميل فكيف بمن يدعي ان بجيل ماهية هذه الذات الى ماهية ذات اخرى هذا زور ومحال وجهل وضلال وانما يقدرون على الصنع في الصورة الظاهرة وهي كذب وزغل وتمويه وتلبيس ليس بصحيح في نفس الامر وليس كذلك لانها محالة ولم يثبت بطريق شرعي ان شخصا من الناس من هذه الطريقة التي يتعاناها هؤلاء الفسقة الافاكون فاما ما يجريه الله من خرق العوائد على يدي بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهبا او فضة او اكسيرا ونحو ذلك فهذا لا ينكره مسلم ولا يرده مؤمن ولكن ليس هو من قبيل الصناعات وانما هو من مشيئة الله تعالى واختياره واكرامه من يشاء بذلك من عباده وقد يرى مما اجراه الله سبحانه من ذلك على يدي اوليائه ضروب يكثر عددها ويخرج بنا عن المقصود ايرادها والله الموفق ثم اعقب ذلك سبحانه بقوله لهذا القايل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا فهذا التعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذم ذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من محفوظ التواريخ عن الرسل عليهم الصلاة والسلام او هو توبيخ للدعاية العلم وتعظيمه به بنفي هذا العلم الذي ادعاه عنه والمعنى عندي مثل هذا العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقيء به هو نفسه مصانع الهالكين وهذا قال والسؤال عن ذنوبهم المجزوم به اي سؤال استعلام او معاتبة بل يعذبون بها عتوا كما سبحانه ظاهر هذا القايل بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان لم يكن مهملا ما يحصرهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين فكلهم يعاقبهم عليها لا محالة هكذا وجهه بعض المفسرين وقال محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير في ذنوبهم عائد على من اهلك من القرون اي اهلكوا ولم يسئل عنهم بعد عن ذنوبهم اي كل احد انما يحاسب ويعاقب بحسب ما يخصه وقال قتادة ايضا ومجاهد معناه ان الملايكة لا تسئل عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه ونحو ذلك وقد قال بعض العلماء رحمهم الله ان مدار الكبر والتجبر والفخر والحمد من ثلاث كلمات ان اولى هذه الكلمات هي القادة في ذلك منها قول ابليس المتصف باللعنة انا خير منه وثانيها قول فرعون ليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وثالثها قول قارون انما اوتيته على علم عندي نسال الله الكريم الحماية ومن هذه صفاته لا حظ له في الاخرة الا النار نعوذ بالله منها قال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين

اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم الصلاة والسلام خلف يعقوب عليه السلام اثني عشر ولدا اسباطا كلهم اعقب ذرية ومن نسلهم عليهم الصلاة والسلام كانت الانبياء والرسل في بني اسرائيل وترتيب اسرائيل كترتيب جبريل واسرافيل ثم ذكر صفة للاله فقال وهو معبر الجلد ببياض ناصع وهو عيب في احد الزوجين سواء احدثه قبل العقد او بعده ولو بعد الدخول عندنا وعند الشافعي في الصحيح قال جوهري البرص داء وهو بياض انتهى وهو بفتح الباء والراء مصدر برص بكسر الراء اذا ابيض جلده وقيل او اسود يعلوه وهو داء في الراس يزيل بنات الشعر وهذا ايضا من العيوب التي يفسخ بها النكاح عندنا اذا كان قديما راجيا منه البرء البصر

وفي البخاري بدا لله ان يبتليهم وهو بمعنى اراد لا بمعنى ظهر لانه سبحانه لا يبدو له شيء كان غايبا عنه والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت ذلك الجهلة من الرافضة واليهود فانكروه لما توهموا لك

وليس كما توهموا وانما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره الله وعلمه في سابق علمه فبداء في حق الله تعالى من المحال الذي
لا يسبق اليه الا ملائكة علام الغيوب ولا دان صاحب الشرع كما هنا مما اعتقد انه بمعنى اراد في حقه تعالى والا تبلا يقع في الخير و
الشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة تبارك وتعالى من الملائكة قيل جبريل وقيل غيره اولا
له من الاشياء اي احب الاشياء الي فطلب حسن اللون
زيادة على سلامة الجلد من البرص هذا دليل على ما قاله الفقهاء رحمهم الله تعالى من ان
البرص عيب في احد الزوجين يفسخ به النكاح لا يستقذر في نفوس الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الملك
وهو برص الذي كان يقذر الناس به ما طلب وبهذا يعلم ان صدر الحسن القبيح
وهو مؤذن باثبات البرص عيبا ثم قال اي الملك
الحديث فقد قال البخاري في سنده له حدثني محمد ثنا عبد الله بن رجاء اخبرنا همام عن اسحق بن عبد الله قال حدثني عبد الرحمن بن ابي
عمرة ان ابا هريرة رضي الله عنه حدثه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره هذا دليل ان عالم البرص
اسحق في الشد انها الابل اي الملك لما بعطي العشرا ويح هذا ايضا موضح دليل للعلماء رحمهم الله
تعالى حيث جعلوا القرع شديد الرائحة في احد الزوجين عيبا كما تقدم ولم يقل الاعمى ذلك لان الطبيعة البشرية لا تنفر من الجلد
قال اي الملك اي قرعه الذي قد قذرهم اي الملك

ادعمة البصر عظيمة على البصر وينبغي ان يكفر شكر الله عما حرم عليه
بتشديد اللام وفتحها اعطيه من الغنم تقول العرب ولدت الشاة
بتشديد اللام اذا انثيت عند ولادتها ولدت اي ولادها واشد في ذلك

اذا ما ولدوا يوما تادوا احدى بحت شاتي غلام

وقد قال الزمخشري فيما تتكلم به العرب على اسم البهائم تقول الضائنة اذا ولدت عمدا او خطا ولا ترى العين
مثلا بالاولاد الكثير من الصوف فجعل في هذا التنبيه للابل والبقر والتوليد للغنم وليس هذا باختصاص في اللغة
وانما هو تغليب اذ التنبيه يكون في جميع الانعام وكذا التوليد قال الشاعر اكل عام نعم تحوونه يلقحونه
قوم وتنتجونه اربابه نوكى فلا يحمونه يقال نعم وانعام ومن جعل النعم والانعام خاصا بالابل فقد اخطأ قال تعالى
ومن الانعام حمولة وفرشا الى قوله تعالى ثمانية ازواج الآية ويطلق التوليد على الابل ايضا وكذا البقر ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم لمن جاءه ليحمله اني حاملك على ولد الناقة قالوا وما يصنع ولد الناقة يا رسول الله قال وهل تلد الابل الا النوق
فعلم بهذا ان التسمية بذلك فيما هنا انما هي تغليب والله الموفق اي الابرص يعني الاقرع
الضمير راجع الى اقرب مذكور والمعنى
ان الملك اتى الابرص في صورة حالة البرص والفقر لكي يعرف ما هو فيه اولا فيشكر المنعم وفي غير خطاب
وبسبيل وليست في البخاري وهي الاسباب الموصلة الى البغية بلغت بغيتي
عطف بثم التعقيبية لنزول المحذور من العطف بواو التسوية والتشريك فاستكمل الحقوق ولم ينظر الى فضل الله وسعة حيث
اغناه بعد فقره حسن جلده ولونه في مدة قريبة ومن عادة البخلاء الاعتلال لبخلهم بكثرة الحقوق عليهم اي
الملك له اي بكاف التشبيه للاستظهار وهذا من كمال العقل وحسن الادب ثم استفهمه استفهام توبيخ وتقريع
وتقرير فقال فما بدلك الله من الجلد واللون ما تري
فحسد بجحد نعمة المنعم عليه في البدن والمال كما تراه كثيرا فيجمع بين انكار نعم الله وكفرها والكذب
وتغليب فيه جانب المراد بقوله ورثت هذا المال كابرا عن كابر كما قال تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اي الملك
في مقالتك هذه فيما مضى في الزمن الماضي قبل حالك هذه من البرص والفقر
قرعا وسئلته فقل وهو في هذه الصورة والهيئة له وصف نعم بصفتين يسحق
باحداهما ان يرفد فكيف اذا جمعا وزادها بالغة بقوله وترغب اي الاسباب في سعيه الذي انا متلبس
به فيه الاباء اعطاء الشيء بعد القرع الذي قذرك الناس به بعد

الفقر الذي كان بك [illegible] هذا فقال [illegible] عقل عما اعتل له الابرص لان الارواح جنود مجندة و
الداعي الى الحق ونعمة الله واحد وهو الشيطان [illegible] ايها الملك [illegible] فاعطاك الله شعرا حسنا
الم تكن فقيرا [illegible] ما يبدو من المال ذكره ذلك ليشكر نعمة الله حيث عافاه واغناه فلم يفعل [illegible]
[illegible] ايها الملك مستفتحا عليه كما استفتح على صاحبه قبل [illegible] فما لك هذه [illegible]
مد حالتك الاولى التي تعلم وفيها تقدم جواز السؤال مع الحاجة وان اعطاء السائل اذا كان محتاجا صدقة وهو كفاية
كما هو المذهب عندنا واختيار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه حيث عوقب على ترك ما تعين عليه بتعيين
السائل له اذ الملك لا يأتي الا بصورة ما هو مشروع وقد مر ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه لعموم الايات في
ذلك منها قوله فبهداهم اقتده وان غير السؤال المعين لا يلزمه البذل وان في المال حقا سوى الزكاة كما قاله الاجري
قال وهو قول جماعة من العلماء حرام استعالى من نحو مواساة قريب وصلة اخوان واعطاء سائل واعارة محتاج
لولدها وركوب ظهرها واطراق فحلها وسقي متقطع حضرها وذكر القاضي عياض من المالكية ان الجمهور قالوا ان
الحق في الاية وهو قوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم المراد به الزكاة وكذا قوله تعالى وفي اموالهم حق
معلوم والذ ليس في المال حق سوى الزكاة وما جاء غيره على الندب ومكارم الاخلاق وقيل هي منسوخة قال و
ذهب جماعة منهم الشعبي والحسن وطاوس وعطاء وقتادة وغيرهم الى انها محكمة وان في المال حقا سوى الزكاة فالحاصل
انه يجب كما قال الاجري وغيره ان يعلم الانسان حال المسئلة وعدمه وبه يحل وهذا معنى كلام الامام احمد رضي الله عنه
في ان تعلم الانسان ما يحتاج اليه من العلم لنفسه فرض وهو ايضا معنى قول الاصحاب انه لا يجوز ان يقدم احد على ما لا
يعلم جوازه من الاحكام كلها هذا مع نظام الادلة والعقول في الجملة على كراهة هذا السؤال الا فيما لا بد منه وفي
ذلك حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه المرفوع وفيه ان الصدقة لا تحل الا لاحد ثلاثة رجل تحمل حمالة
له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل اصابته جايحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش
او قال سدادا من عيش ورجل اصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه لقد اصابت فلانا فاقة فحلت له
المسئلة حتى يصيب قواما من عيش او قال سدادا من عيش وما سواهن من المسئلة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها
سحتا اخرجه مسلم والسداد بكسر السين المهملة ما يسد به الشيء قال العرجي

ضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقد قال صلى الله عليه وسلم مرشدا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي مر ذكره اذا سألت فاسئل الله وفي
الاثر ما فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن قيس بن عاصم سيد
بني تميم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا سيد اهل الوبر انه قال لبنيه لما احتضر اياكم والمسئلة فانها
آخر كسب المرء وكما روى ابو سليمان الخطابي في غريبه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال مكسبة فيها بعض الريبة خير
من المسئلة ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية رضي الله عنه فقال له معاوية رضي الله عنه ما يقول الشعر
فاسدي الي شيأ من شعرك قال حضرني ثلاثة ابيات قال ها هنا قال علي ان تهب لي ثلاثمائة الف درهم قال
قال معاوية رضي الله عنه لعلت جدا فقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كل الذي قال اسد ولك ذلك فقال رضي الله عنه

بلوت الناس قرنا بعد قرن فما شيء بأفضل من نوال
وقد مر برة الاشياء طرا فما طعم امر من السؤال
ولم ار في الخطوب اشد هولا واصعب من معاداة الرجال

فوصله معاوية رضي الله عنه بثلاثمائة الف درهم فقرقها عبد الله بينه وبين اخيه ودخل منزله وليس معه منها شيء وكان مصعب
بن الشخير رحمه الله تعالى يقول من ساءه ان يرد دعاءه فليسئل حاجة قال فيها رفعة ولا يواخيني بها فاني اكره ان يرى عليه ذل المسئلة
وكذا روى عن يحيى بن خالد البرمكي وقد مثل بقول الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا وان نال العنا بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال

واما سؤال الدعاء وطلبه من اهل الخير والصلاح فذاك غير مكروه عندهم ففي الصحيحين ان ام انس رضي الله عنها قالت يا رسول الله
ادع لابني وفي لفظ اخادمك قال انس فدعا علي بكل خير فكان في آخر ما دعا اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وصح في
البخاري عن عمر رضي الله عنه انه قال دفعت لصبي لما قدم الحاج البصرة سبعة وسبعين درهما قال ابن قتيبة ثلاثة من
اهل البصرة لم يتواطئوا على كلمة واحد منهم ميتة ذكر من صبيان انس بن مالك وابو بكرة وخليفة بن بدر ذكره في المعارف

وكان

وكان لانس رضي الله عنه بستان بالبصرة يحمل في السنة فوتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك وذكر هو والمدائني ان بنات
لانس حججن الحجاج الذي في زمن ابن الزبير سنة فسح وستين الذي مات فيه في ثلاثة ايام في كل يوم سبعون الفا من البصرة تلام
ويتامون ابا وماتت لعبد الله بن ابي بكرة اربعون ابنا قال ـــــ فشرح فلم فيه طلب الدعاء اهل الخير وجواز
الدعا بكثرة المال والعلم والبركة فيها وما قال صلى الله عليه وسلم لام حبيبة لما سئلت ان يمتعها الله بزوجها عليه الصلاة
والسلام وابنها واخيها انك سالت الله تعالى لاجال مضروبة وآثار موطوءة وارزاق مقسومة لا يتعجل منها شيء قبل حله ولا
يؤخر منها شيء بعد حله قلو سالت الله ان يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيرا رواه مسلم فلم ينهه ولم يقل ان
الدعا لا تزيد في زيادة العمر انما ارشد الى الافضل لان عبادة فان عند احمد وابن ماجة من حديث ثوبان لا يرد القدر الا الدعا
ولا يزيد في العمر الا البر واسناده ثقات ورواه الترمذي من حديث سلمان باسناد جيد وقال حسن غريب ورواه الحاكم في
صحيحه وقال صحيح على شرط الشيخين وابن حبان ايضا في صحيحه وزاد وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه ولما ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال عد اويس القرني فمن لقيه منكم فليستغفر لكم وفي لفظ ان قال لعمر ان استطعت ان يستغفر لك
فافعل ثم قال في شرح فلم عند ذلك فيه طلب الدعا والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل منهم
قال ـــــ شيخ الاسلام ابن تيمية في الفتاوى المصرية لا باس بطلب الناس بعضهم من بعض ذلك كان من اهل العلم
والفضل ينفعون بذلك اذا دعا لهم كان له من الاجر اعظم من اجره لدعا لنفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم يا عمر
عم في دعايك فان فضل العموم على الخصوص كفضل السما على الارض وقوله لعمر لا تنسانا يا اخي من دعايك قال ـــــ عما
زال اصحاب يسالون الدعا لهم رجعنا الى الحديث اذ قد طال بنا المدى ولم نخرج عن المعنى ـــــ اي النبي صلى الله عليه وسلم
اي الملك ـــــ فقرا ـــــ عا
في سفري ـــــ بعد ان كنت اعمى ـــــ اي الاعمى مجيبا
له ـــــ شكر النعم ـــــ من مالي الذي ترى ـــــ فاز من الله وله ـــــ اي
الذي رد علي بصري واغناني بعد فقري ـــــ اي لا اشق عليه واثر كل فيما اصابه من الحميد الذي تشكوا من حالك ـــــ
تعافا فقد حصر قصده سبحانه وحده هذا من القوادح في الاخلاص فقوله ـــــ اي الملك عند ذلك ـــــ اي مالك
الذي يذلله لا امرا مرجا بالبخل والشح فان ذلك خلق مذموم لانا مرهم الملايكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وسياتي الكلام على هذا المقام قريبا ان شا الله تعالى لتعلقه بذلك وانما اخبره بحقيقة ذلك فانما هو ابتلا من الله تعالى لهم
فقال ـــــ ايها الملاك والابتلا الاختبار يا تي في الخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم اخبره
بجزا فعله فقال ـــــ اي يقولك وعزتك على الفعل ورضاك عن ربك ومعرفتك به وشكرك لنعمته
وانك له وبه واليه ـــــ يكثرها الله عليها ـــــ في صحيحه وبهذا يعلم ان الفلاح مقرون بوقاية
الله العبد شح نفسه وبه يعرف فضيلة الافضال والايثار وقبح نتيجة الشح الذي هو غاية البخل وشدته الذي منه فعل
هذين وقد اشد ابو العتاهية في استقباح من اتصف بذلك فقال

انك لو تستشفي الشحيحا ـــــ وجدته اشقى شيء ريحا

ولذلك قال تعالى في سياق تنفيرهم بفضل الانصار رضي الله عنهم ورضاهم وجعلنا ممن سلك هديهم وولاهم ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فاذا ذكر منهم الايثار على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وذلك انهم وقوا شح انفسهم دل
على ان المانع عن الايثار هو الشح الذي هو غاية البخل وشدته وقد ذكر سبحانه في سياق الانفاق في قوله وانفقوا خيرا
لانفسكم ممن اخلا لفظ الشح عن البخل قادرا معناه ولا ورد بالفضل معناه اذ الحريص على جمع المال ولو من غير
حله لا يسمى بذلك وحده شحيحا البتة حتى يكون مع ذلك بخيلا يوضح ذلك قوله تعالى اشحة عليكم يدل انهم لا يطلبون الخير ولا
انهم مع حرصهم على الغنيمة بخلا وعليها فدل بهذا ان الشح هو شدة البخل وقوله اشحة عليكم يدل انهم لا يطلبون الخير ولا
يحرصون عليه بالمعاونة للمسلمين فيما ينوبهم من جهاد وغيره فهم قد وصلوا من الغاية البخل وهو الشح ولهذا وصفهم
الله سبحانه بذلك ومع الشح كالصادر من الارض والاقرب في محملها ان يحمد افضال المنعم جل وعلا وحرقة العادة لها بتصحيح
حديثها في كظة مع انعطافها على الغنائم الاول جلية واضافا الثاني الى قوة السبب في تحصيله وقطع النظر عما عاد لذلك
مع كذبها فيه وفي الطبراني عن خالد بن زيد بن عمارة الانصاري رضي الله عنه مرفوعا الا ان من كرم فيه وفي شح

نفسه من ادى الزكاة وقرا الضيف واعطى في النايبة وهذه الكلمة الاخيرة كلمة جامعة عامة لها اداء بالوسع وتقريبها
انه ما يتوجب الانسان من واجب وتفضل ومندوب ورواية هذا الحديث مختلف في صحبته قال الذهبي قيل في حاله بن
زيد وقيل بن يزيد وعده البخاري وابن حبان في التابعين قال ابن حجر في الاصابة اسناده حسن وقال غيره
في ابراهيم بن اسمعيل بن مجمع ضعيف واقول اهو الله ان يصلح للاستشهاد على ما ذكرناه في الشيخ وادق صح من واضح حديث
الصحابي في قصة هند رضي الله عنها في قولها ان ابا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي الا ما اخذت منه
وهو لا يعلم فقال صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف وهو قريب مما مر من حديث عائشة رضي الله عنها في السخاء
من حقيقة التوحيد والتوكل والتعلم بالله تعالى وبوعده وصار للرزق فان هذه هي اعظام التوحيد والبخل والشح
يشاد من الشرك وهو الوقوف مع الاسباب دون مسببها وينشئ ايضا ذكر معاند بالوعد ومن شرق السخا
والجود ان الله قرن اسمه بالايمان فوصف اهله بالفلاح والفلاح اجمع سعادة الدارين اذا المفلحون هم المنجحون الذين ادركوا
ما طلبوا ونجوا مما عنه هربوا وحق الجود ان يقرن بالايمان اذ لا شيء اخص منه به ولا اشد مجانبة منه من صفة المؤمن
انشراح الصدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وهما من صفات
بخلوا والبخل لان الجواد يوصف بسعة الصدر والبخيل بضيقه فالسخاء هبة في الانسان داعية الى بذل المقتنيات
حصل بعد البذل ام لا وقابله الشح والجود هو بذل العطيات والمقتنيات وقابله البخل هذا هو الاصل وقد
يستعمل كل منهما محل الاخر وقال بعضهم السخاء من الجود والبخل وضد البخل وضد السخاء والشح والجود والبخل
يتطرق اليهما الاكتساب عادة بخلاف ذينك فانهما من ضرورياتها الغريزة وكل سخي جواد والعكس والجود يتطرق
اليه الرياء ويمكن تطبعه بخلاف السخاء الدال على كرم نفس صاحبه وتصديق ايمانه بالاعتماد في الخلق على ما ضمن
الرزق وهو على كل شيء قدير فمن اخذ بهذا الاصل وعقد طويته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى واجاذبه الى دار
الابرار والبخل والشح يدلان على ضعف الايمان وعدم الوثوق بضمان الرحمن وذلك جالب الخسران وقائدهما الى الهوان
والحرمان فعند الامام احمد ومسلم والبخاري في الادب عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الظلم فان الظلم
ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم وحملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وهذا دليل على انه
يعقل التحلي سجية الا اذا كان مع جبلة حريصا كما قاله التغلبي وقد قال الشاعر يرثي بعبد الله بن الزبير وكان رضي الله عنه بخيلا

قدري من نصر لخبيب بن قد ... ليس الامام بالشحيح الملحد

يعني بالخبيب بن عبد الله واخاه مصعبا وكانا يسميان بذلك وروى القاضي ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني باسناد
فيه ابو العباس محمد بن يزيد المبرد عن ابي عبيدة قال لما بلغ حاتما طي قول المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

وحفظ المال خير من فناه ... وطوف في البلاد بغير زاد

قال ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل فهلا قال

فالجود يفني المال قبل فنائه ... والبخل في مال الشحيح يزيد

فالفلس ما لا نهيس مفتر ... لكل عذر رزق بعد جديد

الم تر ان المال غاد ورايح ... وان الذي يعطيك غير بعيد

وقد احسن حاتم في قوله وان الذي يعطيك غير بعيد ولو كان مسلما الرجي له بما اتى به من هذا ما يرتبط به في معاده وقد
اتى كذلك في هذا المعنى بما يحرز الخلق عن مساواته في قوله وسئلوا الله من فضله وقوله واذا سئلك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني الاية وقد قال حاتم ايضا فيما رواه الزبير بن بكار في اخباره مما
يجانس ما تقدم عنه جوابا لعذالة في الانفاق والجود

يقولون لي اهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت لولا ما يقولون مفسدا

كلوا اليوم من رزق العباد وابشروا ... فان على الرحمن رزقكم غدا

وقد جعل هذا الجواد الجود مقابلا بالشح الذي هو ضد البخل حيث قال فيما رواه الزبير بن بكار في اخباره

اذا ما البخيل الكب عرت كلابه ... وشق على الضيف الغريب عقورها

فان جبان الكلب يعتي موطنا اجود اذا ما النفس شح صميمها

ومن هذا قوله تعالى بعد ذكر الزوجية وان الصلح بينهما خير من الفرقة والشقاق واحضرت الانفس الشح اى جبلت على الشح وهو شدة البخل فكأنها حاضرة لا تغيب عنه والمعنى ان المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه اذا احب غيرها فما تمضي بما ذكرنا ان الشح شدة البخل فقد قيل ان من رفع البخل ان صاحبه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء فالبخل جلباب المسكنة وفي الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا قال غريب السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل رواه ابن وهب عن جابر رضي الله عنه والطبراني في الاوسط عن عائشة وفي سنده عندهم جميعا سعيد بن محمد الوراق قال الذهبي ضعيف وقال ابن حبان كان كثير الحديث غريبه وقال البيهقي تفرد به سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف وهذا لا يوجب الحكم بوضعه كما ظنه ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله والمراد بالجاهل في الحديث هو الجاهل بما يعني وتعذر على الناس من العلم اجمال ما لا بد منه من العلم في عمل الانسان واعتقاده والا فالعالم علما لا بد منه متصفا بالبخل حرمه سخي جاهل بما لا بد من علمه ولو لم يكن في الانفاق الا ما في الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم تصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وفيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق يا ابن ادم انفق عليك وفيهما عن اسماء رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك وفيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول وقد يحتمل ان سجاية العبد بالدنيا ليست بكفر في ذلك المقام السامي عند الامتحان بكرم المنان وبرهان فالاكرام اعلام من اكرام الله العبد على شكره والاهانة اوضح منها تماما على الكفر قال تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فالله من مكرم فنعوذ بالله من الخذلان والكفران وطاعة الشيطان وغضب الرحمن نسأله التوفيق والتسديد والهداية لما يحب ويرضى ان كريم منان فلا يعز الانسان سعة فضل الله عليه اذا لم يستعمل ذلك في طاعته ومراضيه فقد قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فينبغي للانسان ان يشكر مولاه على ما انعم به عليه في ماله وبدنه ليستوجب بذلك الرضى منه والاكرام والله الموفق للباب

الناسع والاربعون

هذا الباب فيه مناسبة لما قبله في الاسناد ابو محمد علي بن احمد بن سعيد لخرجي الاندلسي

الظاهري المشهور في المغرب بالعلم والفهم والحفظ والاتقان كان شديدا في متابعته للكتاب والسنة وفضائله كثيرة جمة وله تصانيف كثيرة نافعة حكاية منه عن اتفاق اهل العلم المعتد باتفاقهم في ذلك على استحسان الاسماء المضافة الى الله كعبد الله وعبد الرحمن وما اشبه ذلك واتفقوا ايضا تسمية العزى وعبد هبل وكعبد البني وكعبد الكعبة وكعبد من كل اسم اضيف لغير الله تعالى كجرعبد المطلب اذ هذا على الصحيح عند اهل اللسان العربي حرف جر واستثنى وبه قطع سيبويه وغيره ومعناها تبرئة المستثنى عما نسب الى المستثنى منه كما قال الشاعر

طربا على الملحات والشيم حاشا ابي ثوبان ان به

والمعنى انزه اباه عن خصال ذميمة واخبر ان به انبساطا عاما مخالطه بالملحات وهو الكلام القبيح والشتم تقول ملحة وملحات وهو عندهم من الاضداد واحتار المبرد في حاشا الفعلية من حاشا التي اذا جانبه ومنه حاشا بالقمر كما في غزوة موتة حين حاشا بهم خالد بن الوليد وكما قال النابغة الذبياني

ولا ارى فاعلا في الناس يشبهه وما احاشي من الاقوام من احد

فالاستثناء حرام رحمه الله وكذا عدم من اهل العلم عبد المطلب من التحريم لان اصل تسمية بذلك ليست للتعبد من دون الله تعالى اذ لم يقصد في موضوعها الشركية في التسمية انما سمي شيبة كما قاله ابن اسحق وغيره وقيل عامر قاله ابن قتيبة والصحيح الاول قال الشاعر وقد حيث استسقى لقريش على ابي قيس وهو راقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على اغائقه وهو غلام قد ايفع ودعا ستوسد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا فقال الشاعر

المذكور بشيبة الحمد اسقا الله بلدتنا وهو خبر طويل رواه ابو سليمان الخطابي بسنده الى المخرمي قول
رضي الله عنه عن امه رقيقة بنت ابي صيفي ترك ذكره حشية الاطالة وسبب تسميته بعبد المطلب ان كان مع امه
سلمى النجارية عند اخوالها في المدينة فلما شب وترعرع اخبره عمه المطلب عنه فركب اليه واخذه من عند امه في قصة
طويلة رواها ابن اسحق وغيره فاستوفى خبره عما بعيد فلما قدم به مكة وكان فيه دهمة من اصحابه بعد مخالطتهم بالنسب
اكسبه مع قوام الارد وسيما ظاهرة وبراعة قرشي خلف عنه ظنت انه مملوك له فقالوا عنده لابد عبد المطلب
فيقول المطلب ويحكم انما هو ابن اخي هاشم فصار يذكر اسماءه لا يعرف ولا يدعى الا بها فلذلك استثنى و
لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ولم يقصد بذلك الانشاء وانما اراد
الاخبار بالاسم الذي عرف به جده عبد المطلب وباب الاخبار اوسع من باب الانشاء وقد ذكرت ذلك الاصوليون و
لم يقصد ايضا بذلك الفخر فانه كان يكرهه ولا العصبية فانه كان يدعها فنسب اليه لشهرته به للتعريف لان
اباه مات وهو صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده وللتذكير بما اخبرهم به الكهنة من ميلاده الذي قدر ان يظهر من بني
عبد المطلب نبي فذكرهم به الاشهاد ذلك عند العرب وعد بعضهم هذا من الشعر لموافقته الوزن وليس كذلك فانه
لم يقصد للا يسمى شعرا ويصدق ما قلناه في دهمة الانصار رضي الله عنهم قول حسان يمدح من الازد غسان
بيض الوجوه من الطراز الاول
تلق منه ما تلق احمل عالبا من الاذى او تحمل احقيقا وهو التطفل على من جعل المحمول فاستمرت بالحمل وقافته به
فطلب منها الشركة في الطاعة استحبابا على ذلك
بالتخويف بعد الطلب وبهذا يعرف ان الشيطان لا يقدر في ابن ادم طمع فقلبي في تخويفه اهل
الابل بتشديد المثناة التحتية مفتوحة مع ضم الهمزة وكسرها ذكره ابو البقاء وبكسر الهمزة مع كسر المثناة المشددة
وبفتح الهمزة ايضا مع كسر المثناة المشددة وهو ذكر الاوعال قيل انه يعلو بالكلاء وربما السعة فسالت دموعه الى
تقرنين تحت محاجر عينيه فتصير كالشيح فيؤخذ بالاصبع ويرمى فانه يشفي الحياة وهو البازهر لحيواني فالابل من
اسماء الوعول
الطاعة بان يعبد الا اسم فان يطيعها في ذلك منها بامر الله تعالى تاما مرة اخرى فانا
بتسمية عبد الحارث
انه معصية وشرك في التسمية ولهذا اسند اليهما الجعل في قوله جعلا له شركا فيما اتاهما بان يسميا ولدهما عبد الحارث
فانظر كيف لم يطيعاه عند تخويفه لهما على انفسهما فلما رأيا موت الاولاد تركاها فحملهما ان شركاه في الطاعة
بتسمية عبد الحارث وهذا مصداق لقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة فالحذر العاقل من فتنة هذين فان
منها مدخل على الشيطان وليلزم في هذا المقام قوله في مخاطبة المؤمنين جل وعلا يا ايها الذين امنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وليحذر الانسان من الشيطان فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه ان من فقه الرجل
ان يعلم من اين يأتيه الشيطان وليعلم انه ليس بافضل من ابي بكر ولا اعلم منهما ولا اعرف للشيطان وقد قال
سيد ولدهما على الاطلاق لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقد اخرجهما من الجحر بتسويله حيث غرهما بدعوى النصح بيمينه
كما ذكر الله عنه في قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور وعند الامام احمد وابي داود من رواية مجالد
عن عامر عن مسروق ان عمر رضي الله عنه قال له مرات قال مسروق بن الاجدع فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الاجدع شيطان ولكنك مسروق بن عبد الرحمن قال عامر فرأيته في الديوان مسروق
بن عبد الرحمن فقلت ما هذا قال هذا ما سماني به عمر رواه الامام العالم الحجة الحافظ الثقة البت ابو محمد عبد
الرحمن بن ابي حاتم وله سند صحيح عن قتادة قال جعلا له شركا في طاعته ولم يجعلا له شركا في عبادته وقوله ابن ابي حاتم
عن الحسن

وكانت امه تخدم ام سلمة ام المؤمنين فان غابت فتعطيه ام سلمة ثديها فيدر عليه فكانوا يقولون فصاحته من
بركة ذلك وهو من كبار التابعين
الاية قال العلماء رحمهم الله بالآثار منهم ابن الجوزي وغيره وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس رضي الله عنه
جماعة من اصحاب مجاهد وسعيد بن المسيب وابن جبير وعكرمة ومن الطبقة الاخرى قتادة والسدي وغيرهم من
السلف والخلف وممن المفسرين جماعة لا يحصون كثرة قالوا وهذه الآثار يظهر عليها والله اعلم انها من آثار
اهل الكتاب فاخبارهم بذلك اقسام منها ما علمت صحته مما عندنا مما يشهد له ما عندنا ومنها ما علم كذبه بما
دل على خلافه احدهما ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه
حدثوا عن اهل الكتاب ولا حرج وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وهذا الاثر هل هو من القسم الثاني او الثالث فيه نظر للعلماء رحمهم الله ممن حدث به من صحابي او تابعي فانه يراه
من القسم الثالث ومن طعن فيه فعلى مذهب الحسن البصري فيما صح عنه في هذا ليس المراد من هذا الساوي
ادم وحواء وانما المراد من ذلك المشركون وهذا قال بعض المفسرين المراد بهذه الاية هو الذي خلق كل
واحد منكم من ذكر وانثى من جنسه ثم بعد ذكر صار من الخطاب العام الى وصف المشركين منهم بكلمة الغيبة كما
قال تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر ثم قال وجرين بهم اي بكم من اذا تفسا امرأة حملت وقالا
وصنعا كذا وكذا ويروى عن الحسن وقتادة ان المراد بالنفس وزوجها كل كافر وكافرة وعلى هذا قوله لئن اتيتنا
صالحا اي من يصلح لنا ولمعاشنا فان الكافر لا يطلب صلاح الدين ويدل على هذا المعنى قوله فتعالى الله عما يشركون
ولم يقل عما يشركان وقيل تقدير الاية فلما اتاهما صالحا جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف ويحتمل ان
الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان لهما زوج من جنسهما يدعى بقريش وطلبا من الله
الولد فاعطاهما اربعة بنين فسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولعقبهما المقتدين بهما والله تعالى اعلم بمراده في كتابه

الباب الخمسون

يخبر تعالى ان لله الاسماء الحسنى الدالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الاسماء وقيل الصفات
وامر عباده ان يدعوه بها امر ترك الذين يلحدون فيها ومجازاتهم اقوالهم وافعالهم فان الله تعالى مجازيهم على سوء
افعالهم واقوالهم قال البخاري في صحيحه سمي الملحد لانه في ناحية وكل جائر ملحد سواء كان ذلك بالجحود او التكذيب
او بالتسوية والتحريف قال تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا والالحاد في اسمائه نوعان احدهما الحاد
المشركين باطلا واضافتها الى الاصنام التي يعبدونها من دون الله واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى
من العزيز ونحو ذلك وقد ذكره المصنف والالحاد في اللغة الميل عن القصد النوع الثاني الحاد اهل التعطيل
والتشبيه الذين يعطلونها عن معانيها او ينفونها بالكلية او يشبهونه بخلقه تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقد ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره
فالشرك من اعظم الالحاد وقد قال تعالى في كتابه العزيز قل هو الله احد الله الصمد السورة فمن جعل معه شريكا
فقد الحد في اسمه وصفته فلم يجعله احدا بل جعله اثنين ومنهم من ينكر المعاني بيد معه جل وعلا فيجعله
ثالث ثلاثة وكلا الامرين والحاد في اسمائه تعالى وتعلم انه سبحانه حكيم ثم تراه يدل اعداءه على اوليائه وعكسهم منهم
بالقتل والتشريد كقتل بني اسرائيل لانبيائهم بغير حق وتشريد سيدنا البشر صلى الله عليه وسلم من قومه حتى اخنفهم
في الغار عنهم ثم غزوه فسبحوا وجهه وكسروا رباعيته وقتلوا من قتلوا من اصحابه وعمه وكذلك وعوده الحق
الكليم من بلاده فقومها هاربا على وجهه وهو بالعراء ولا راحلة معه فقوته وعون وغناه ثم تراه
سبحانه يوم الاستفتاح [illegible] وهو امام البشر [illegible] ومن ذلك العقل ان يعتقد
سبحانه الله تعالى اصله وانه لابد لادم من اكل الشجرة وقدرها له سبحانه قبل الاكل وبعده بقوله وعصى ادم ربه
فغوى ثم تعرض على الله سبحانه بحكمه وحكمته وقدره في هذه الاسباب فحجوا الى الكفر ولو فتشوا

لعلموا ان ذلك تكليف للعقل بالتسليم لكلمة احكم الحاكمين وارحم الراحمين ولهذا قال تعالى لرسوله في كتابه وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
وسماه من الشاذ فعبدوهم من دون الله تعالى فاشركوا به ما لم ينزل به عليهم سلطانا وهذا
النوع من الالحاد هو الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله الا بالتوبة وهذا الذي قال الله في صاحبه انه قد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وسليمان بن مهران الاسدي الكاهلي ابو محمد الكوفي الحافظ الثقة
العارف الورع المجمع على جلالته وديانته قال وهذا القول عام في النوع عند المتقدمين
فان المشركين والمشبهة قد دخلوا فيها ما ليس منها وانما ضعا البان وانما الفرق في التكفير وان تشابهت
اقوالهم فان عامة المبتدعين لا يكفرهم اهل السنة والجماعة لانهم قد يعرفون فيهم بين الداعية وغيره في الانكار
وبين النوع والعين في التكفير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وقد فرق جمهور
الائمة بين الداعية لبدعته وغير الداعية فان الداعية اظهر المنكر فاستحق الانكار عليه وزجره عن ذلك بخلاف
الساكت فانه بمنزلة من اسر الذنب فهذا لا ينكر عليه في الظاهر فانه لم يعلن بخطيئته وهذا كان المنافقون
تقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم الى الله ومن اظهر الكفر فان كان داعية منع من ولاية وامامته وشهادته و
روايته لما في ذلك من النهي عن المنكر فان لم يحصل صرفه عن ذلك الا بنحو اعظم ضررا من ضرر ما اظهره من المنكر
لم يجز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا يرفع اخف الضررين بحصول اعظمهما فان اكثر الجهاد ات تحصل
المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان ومطلوبها ترجيح خير الخيرين اذا لم يجتمعا جميعا و
دفع شر الشرين اذا لم يندفعا جميعا فاذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور الا بضرر زائد على ذلك لم يجز لكن قال
وحقيقة الامر في ذلك ان القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن
الشخص المعين الذي قال لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما هو في نصوص الوعيد فان
الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا فهذا ونحوه من نصوص الوعيد
حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد لمعين من اهل القبلة بالنار لجواز ان لا تلحقه الوعيد لفوات
شرط او ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه وقد يتوب من فعل المحرم ويحو ذلك وهكذا الاقوال التي يكفر قايلها
قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق او لم تثبت عنده او لم يتمكن من فهمها او شبه عرضت له يعذر
الله بها من كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق واخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل
النظرية او العملية هذا الذي عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير ائمة الاسلام قال شيخ الاسلام واما
التفريق بين نوع ونوع وتسمية مسائل الاصول وبين نوع اخر وتسمية مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له اصل لا في
الصحابة ولا التابعين ولا ائمة الاسلام وانما هذا ماخوذ عن المعتزلة ونحوهم من اهل البدع وعنهم تلقاه
من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو فرق متناقض فانه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الاصول
التي يكفر المخطئ فيها وما الفرق بينها وبين مسائل الفروع فان قال مسائل الاصول هي مسائل
الاعتقاد والفروع مسائل العمل قيل له تنازع الناس في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ام لا وفي ان عثمان
افضل من علي ام علي افضل وفي كثير من معاني القرآن وتصحيح بعض الاحاديث في المسائل الاعتقادية العلمية
والاكفر فيها بالاتفاق ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل علمية ومنكرها
كافر بالاتفاق وان قيل الاصول هي المسائل القطعية قيل له كثير من مسائل العمل قطعية وكثير من مسائل النظر ليست
قطعية وكون المسائل قطعية او ظنية هو من الامور الاضافية وقد تكون المسئلة عند رجل قطعية لظهور
الدليل القاطع الذي سمع النصوص من النبي صلى الله عليه وسلم وتيقن مراده وعند رجل لا تكون ظنية فضلا عن
ان تكون قطعية لعدم بلوغ النص اياه او لعدم ثبوته عنده او لعدم تمكنه من العلم بدلالته وقد ثبت في
الصحيح عن [illegible] الذي قال [illegible] ان قدر الله علي ليعذبني عذابا ما يعذب به احدا من العالمين فاذا انا مت فحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله
منه وقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب فغفر الله له فهذا شك في قدرة الله تعالى في المعاد جهلا
ظن انه لا يعود وانه لا يقدر عليه اذا فعل ذلك فغفر له والمقصود ان مذاهب الائمة مبنية على هذا التفصيل

بين النوع والعين فلهذا حكى طائفة منهم الخلاف في ذلك ولم يفهموا عن غيرهم فطائفة تحكي عن احمد في تكفير اهل
البدع روايتين مطلقا حتى جعلت الخلاف في تكفير المرجئة والشيعة المفضلة لعلي وربما حكت التكفير والتخليد
وليس هذا مذهب الامام احمد ولا غيره من الائمة ولا يختلف قوله ان لا يكفر المرجئة الذين يقولون الايمان قول بلا عمل ولا
يكفر من فضل عليا بل ونصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم من سائر اهل البدع والاهواء قال
الخطابي اجمع علماء المسلمين على ان الخوارج مع ضلالهم فرقة من فرق المسلمين وانما افترقوا بقتالهم كقتالهم قطاع الطريق قال ابن
بطال ذهب جمهور العلماء الى ان الخوارج غير خارجين من جملة المسلمين لانه ثبت له عقد الاسلام بيقين لا يخرج
عنه الا بيقين وذكر قول علي رضي الله عنه لما سئل عنهم فقال من الكفر فروا وقال في المفهم باب التكفير خطر والاعدل
السلامة بتي في جواب شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه قال فيمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلام فقد
خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين مع ان حديث الثنتين والسبعين ليس في الصحيحين
وقد ضعفه ابن حزم وغيره كما حسنه غيره او صححه كالحاكم وقد رواه اهل السنن وروي من طرق قال و
ليس قوله صلى الله عليه وسلم ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة باعظم من قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ومعلوم ان كلا من هذا لا يشهد لفاعل ذلك بالنار لامكان انه تاب او كانت
له حسنات محت سيئاته او كفر الله عنه بمصايب وكقوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما الاية وامثال ذلك من النصوص
الصريحة بدخول من فعل مثل ذلك النار لامكان ما ذكرناه قال ومن عيوب اهل البدع تكفير بعضهم بعضا
ومن مادح اهل العلم انهم يخطئون ولا يكفرون وسبب ذلك ان احدهم يظن ما ليس بكفر كفرا وقد يكون كفرا لان تبين
له انه تكذيب للرسول وسب للخالق والآخر لم يتبين له ذلك فلا يلزم اذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ان يكفر من
لم يعلم بحاله قال المفهم في اصوله ولا يكفر مبتدع غير خارج عن رواية احتمالها القاضي وابن عقيل وابن
الجوزي والموفق والشيخ وا صحابه تقدم في الاصح عند احمد واصحابه وغيرهم ولا يفسقان قاله ابن عقيل وغيره
قال ولا يكفر من لم يكفر من كفرناه على الاصح ولا يفسق ونقل عدم كفر من لم يكفر من كفرناه عن الامام
احمد جماعة من اصحابه منهم المروذي وابو طالب ويعقوب وغيرهم قاله ابن حامد وابن عقيل وغيرهما قال
شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وانما كان يعني الامام احمد رضي الله عنه يكفر الجهمية المنكرين لاسماء الله تعالى وصفاته
لان مناقضة اقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة والحقيقة قولهم بتعطيل الخالق وكان رضي الله عنه
قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة اقوالهم وامرهم وانه يدور على التعطيل وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والائمة لكن ما
كان يكفر اعيانهم فان الذي يدعو الى القول اعظم من الذي يدعو لقوله والذي يعاقب مخالفه اعظم من الذي يدعو
فقط والذي يكفر مخالفه واعظم ممن لا يكفره ومع هذا قالوا كانوا من ولاة الامور يقولون بقول الجهمية
ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك من تعطيل اسمائه وصفاته تعالى ويدعوه الناس الى ذلك ويمتحنونهم
ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ويكفرونه من لم يجبهم حتى انهم كانوا اذا قيدوا الاسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية ان
القرآن مخلوق ولا يولون متولي ولا يرزقونه من بيت المال الا من يقول ذلك ومع هذا فالامام احمد ترحم عليهم و
استغفر لهم لعلمه انهم لم يتبين لهم انهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم ولا جاحدون لما جاء به ولكن تاولوا فاخطأوا وقد
قد حوسب من قال ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق
كفرت بالله العظيم فبين بذلك ان هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك لانه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها ولو
اعتقد انه مرتد لسعى في قتله وقد صرح بكفر بعض من يقول شهادة اهل الاهواء والصلاة خلفهم وكذلك قال
الامام مالك والشافعي واحمد في القدرية ان جحد علم الله كفر ولفظ بعضهم ناظروا القدرية بالعلم فان اقروا به خصموا
وان جحدوه كفروا وسئل الامام احمد عن القدرية هل يكفرون فقال ان جحد العلم كفر وحينئذ فجاحده مرتد بخلاف
الجهمية واما قتل الداعية للبدع فقد يقتل لكف ضرره عن الناس كما يقتل المحارب وان لم يستحل كما في نفس الامر كما قال ابليس
كل معاصي بني آدم اتيتها بشبهة غير انني لم استحل [illegible] وقد يكون على
هذا الوجه قتل [illegible] وهذا الموضع مما ينبغي التفطن له فان كثيرا من الناس يستبصر انتهى
كلام شيخ الاسلام من الالحاد في اسماء الله وصفاته كما قالت المعتزلة من انكار الصفات والرؤية والقول بخلق

القرآن وانكارهم ان الله مريد للكائنات وخالق لافعال العباد وغير ذلك من اصولهم واصول الجهمية الفاسدة
فاصول المعتزلة خمسة يسمونها التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ومعنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ولهذا سمي بذلك عمرو بن عبيد واصحابه الموحدين وهذا غاية الحادة
اسماء الله وآياته ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر وهو خلق افعال العباد وارادة الكائنات والقدرة
على كل شيء واما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم ان الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا فهو في
منزلة بين منزلتين وهي عندهم هذه المنزلة كما في وصفنا وانفاذ الوعيد عندهم معناه ان فساق الملة يخلدون
في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا لغير ذلك كما تقوله الخوارج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم
جواز الخروج على الائمة وقتالهم بالسيف ونحو هذه الاقوال فالحاصل انه كما يجب تقديس الذات وتنزيهها
عن النقائص وكل ما لا يليق بجلال الله وعلا يجب تقديس اسمائه وصفاته لان الذات مع الاسماء والصفات
متلازمان في الوجود والعدم بالتحقيق لان انتفاء تقديس الاسماء والصفات يستلزم انتفاء تقديس
الذات لانها قائمة بالذات ومقتضياتها واذا حصل الاعتقاد والاعتراف بانه سبحانه منزه عن جميع النقائص
وما لا ينبغي ان ينسب اليه ثبتت الكمالات ضرورة التزاما وحصل توحيد الربوبية وثبت التقديس
في كل كمال عن المشابهة والمماثلة والشركة وكل ما لا يليق فثبت ان الرب على الاطلاق للافق والآفاق وهو
المستحق لان يشكر ويعبد بكمل ما يمكن على الانفراد بالحق والحقيقة وتوحيد الربوبية حجة ملزمة وبرهان
موجب لتوحيد الالوهية فقول القائل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم يتضمن اثبات التوحيدين واثبات
الكمالين في الذات والصفات وهذان الامران اثباتا في ضمنهما كل مدح ممكن فيما يرجع الى الله سبحانه ولهذا ختم
البخاري بهذا التسبيح صحيحه آخر كتاب التوحيد والمقصود ان الله تعالى موصوف بصفات كمال لازمة لذاته
قديمة ازلية واجبة بقدم الموصوف ووجوبه وهو فوق خلقه فوق سمواته عال على عرشه بائن من مخلوقاته
يحب ويرضى ويسمع ويرى ويعلم ما في البر والبحر وما تحت الثرى وما في السموات العلى لا يخفى عليه خافية قد احاط
بكل شيء قدرة وعلما بعث الرسول الى عباده ليعرفوا بما اتاهم به في كتابه فيصدقوه ويطيعوه لكي ينالوا
السعادة بذلك في الدنيا والآخرة قال تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن
ربهم الى صراط العزيز الحميد فالله سبحانه بعث الرسل بما يقتضي الكمال من اثبات اسمائه وصفاته المقدسة فهو موصوف
بغاية الكمال التي لا غاية فوقها منزه عن النقص بكل وجه ممتنع ان يكون له مثل في شيء من صفاته فاثبت في
ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجب الايمان به وما لم يثبت عنه فلا يجب الحكم فيه بنفي ولا اثبات حتى يعلم مراد
المتكلم ويعلم صحة نفيه فيها واثباته ولهذا قال ابو جعفر الهمداني لابي المعالي الجويني رحمهما الله
وعفى عنه الذي ذكرناه عنه في اول هذا الكتاب وانه رجع من حيرته التي اخبرنا عنه هذه الضرورة ما قال عارف قط
بالله الا قبل ان ينطق يجد في قلبه معنى يطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة فهل عند كل منهما حيلة في دفع هذه
الضرورة عنا بيدان دليلك على نفي الفوقية نظري فكيف تعارض ضرورة الفطرة وتواتر النصوص فصاح ابو
المعالي عند ذلك باعلا صوته اخبرك الخبر حيري الهمداني وقد استدركه الله بلطفه كما قدمناه عنه
وكان عالما بانه لا سبيل الى هدى ورعاية ولكن ليس معصوما وانما يدل هذا ان محمدا رسول الله هو المعصوم فيما بلغ
فاياك والعدول عن الكتاب والسنة وطريقة سلف الامة فتقع في الحيرة فتورد الهلكة واسأل الله لي
ولك التوفيق والهداية

الباب الحادي والخمسون

ان الله هو السلام ومنه السلام قال شيخنا ابو الحسن السندي
في شرحه مسند الامام احمد والمعنى ان الله هو معطي السلامة فلا يحتاج الى ان يدعى له بانه السلامة وربنا تعالى هو
السلام عن كل عيب ونقص والسلام عليه واجب فلا يجوز عليه ما لا يليق به من الصفات والافعال والاسماء
وكل ما لا يمكن له عروضه من الآفات فلا يناسب
جلاله سلام عليه تبارك وتعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا اذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قلنا
وارضاها هذا جبريل يقرئك السلام من ربك السلام اجابة بان قال ان الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل
السلام فعلمت بفقهها رضي الله عنها ان الله تعالى لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوق لان السلام دعاء بالسلامة و

كان

وكان معنى قولها الله السلام فكيف اقول عليه السلام والسلام منه يسأل ومنه يأتي ولكن على اجعل السلام فالذي تحصل
من هذا الكلام من الفقه ان لا يليق باسم سبحانه الا الثناء عليه فجعلت مكان الدعاء التحية على الله ثناء عليه كما علموا
في التشهد الاتي في المتن قال السهيلي في قولها رضي الله عنها ومنه السلام ان كانت اراد بالسلام ١٧٤
التحية وهو خبر يراد به الشكر كما تقول هذه النعمة من الله وان كانت اراد بالسلام السلامة من كل سوء فهو خبر
يراد به المسألة كما تقول يسلم منك وذهب اكثر اهل اللغة الى ان السلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع و
الرضاعة قال ولو تاملوا كلام العرب وما تقطيه هاء التانيث من التحديد لرأوا ان بينهما فرقا عظيما وان الكلا
اعم من الحالة بكثير وان اللداد ابلغ من اللدادة وان الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة والرضاع اكثر من ذلك
فكذلك السلام والسلامة وقس هذا على تمرة وتمر وعاهة وعاه وحرية وحرب الى غير ذلك عبد الله

وفي البخاري عنه رضي الله عنه كنا اذا
صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم قلنا السلام على الله السلام على جبريل وميكائيل
فلان فسمي سبحانه بالسلام لما شمل جميع
الخليقة وعمهم من السلام تبارك وتعالى من التفاوت والاختلال اذ الكل خارج على نظام الحكمة ولذلك سلم العقلاء
من جور وظلم ان يأتيهم من قبله سبحانه فان الكل صدر لفضل او عدل اما الكافر فلا يجني عليه الا عدله واما المؤمن
فيغمره فضله فهو سبحانه في جميع افعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال اذ هذه الاشياء انما
تعرض الناقص وهو مقدس عن النقايص وقد ذكر بعض المفسرين لهذا الاسم انه يسلم به السلامة من الافات
والعيوب وعلى هذا اجراه شمس الدين ابن القيم حيث قال

وهو السلام على الحقيقة سالم ... من كل نقص او زوال ومن فنا

وقال فالسلام مصدر وصف به سبحانه للمبالغة لانه تعالى سالم من كل نقص ومنه تطلب السلامة من
كل مكروه قال وحقيقة السلام البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب وعلى هذا المعنى مدار تصاريفه
نحو قوله سلمك الله وسلم فلان من الشر ومنه دعاء المؤمنين على الصراط رب سلم سلم ومنه سلم الشيء لفلان اي خلص له وجه
لا يملكه معه غيره ومنه السلم صد الحرب قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان كلا من المتحاربين يخلص ويسلم من
اذى الاخر ومنه القلب السليم وهو النقي من الغل والدغل وحقيقته الذي قد سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله
ودغل الذنوب قال ومنه اخذ الاسلام لانه الاستسلام والانقياد لله والتخلص من شوب الشرك فلم لربه وخلص
له فهو قد سلم لمولاه وسلم ليس فيه شركة متشاكسون الى ان قال فتضمن لفظ السلام معنيين احدهما
ذكرناه والثاني طلب السلامة للمسلم عليه وهو مقصود المسلم فقد تضمن اسما من اسماء الله وطلب السلامة
منه سبحانه وعند البخاري في الادب المفرد باسناد حسن عن انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا ولفظ ان السلام
اسم من اسماء الله تعالى وضع في الارض فافشوا السلام بينكم وقد اعترض في هذا السهيلي وجماعة وقال
انما السلام سلمنا منه والسالم من سلم من غيره واستشهد بقوله كوني بردا وسلاما وقوله سلام هي قال ولا يقال
ايضا في الجاهل سلام من العي ولا في الجاهل انه سالم من الزكام او من السعال انما يقول لو سالم فيمن يجوز عليه الافات
يتوقعها سلم منها والقدوس سبحانه وتعالى متعال عن توقع الافات منزه عن جواز النقايص ومن هذا
صفته لا يقال سلم منها ولا يتسمى بسالم وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم ثم ذكر الفرق بين السلام والسلامة
بمثل ما ذكراه اول الباب قال وهو معنى قول اكثر السلف قال والسلامة خصلة واحدة من
خصال السلام والله اعلم والمقصود انه صلى الله عليه وسلم ارشدهم بان يثنوا على الله بما يصلح له من التحية كما في
البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا في الحديث الذي مر رواه وفيه ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات
فسر بعض اهل العلم التحيات بالملك وبعضهم بالبقاء وبعضهم بالسلام وقال ابن عباس رضي الله عنه التحية العظمة
وعن القتيبي ان الجمع في لفظ التحيات لما كان كل ما يحيون به الملوك بانيته مختلفة كقولهم انعم صباحا وانعم
ابيت اللعن وعلى كل اسم فاخبر ان استحقاق الاشتقة كلها لله تعالى وقيل المعنى هو ان التحيات بالاسماء
الحسنى لله تعالى والذي تحصل من هذا الكلام من الفقه ان لا يليق باسم عز وجل الا الثناء عليه وطلب السلامة

منه تعالى فعرفهم صلى الله عليه وسلم بما لا يستحقه الا الخالق سبحانه وتعالى وبين لهم حق المخلوق وهو ما يرشدهم اليه بقوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ليعطوا كل ذي حق حقه ولا ينزلوا المخلوق منزلة الخالق تبارك وتعالى فالسلام كما هو تحية اهل الاسلام فهو تحية اهل الجنة فعند الوفد وغيره بسند صحيح في قصة عروة بن مسعود رضي الله عنه انه لما اسلم وانصرف الى قومه عشاء ودخل منزله فانكر قومه دخوله منزله قبل ان يأتي الربة بعيوه الصنم قالوا السفر وخضده فجاؤا منزله فجعوه تحية الشرك فقال عليكم بتحية اهل الجنة السلام والخضد كسر الشيء اللين فتبين بهذا ان السلام تحية وان الله لا يحيا وانما يطلب منه ذلك وبما ذكر من قصدهم تحية جبريل وميكائيل جمع لهم ما هو اوسع من ذلك في كلمة واحدة اذا قالوها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض وهي قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهو صلى الله عليه وسلم قد اعطي من جوامع الكلم ما بهر به البشر رزقنا الله والمسلمين اتباعه وكرمه والله الهادي الموفق

الباب الثاني والخمسون

[ادب السؤال]

اوردت في الصحيحين للبخاري

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الكلام في حق الله لانه لا يقال الا لمن ليس له ملكوت كل شيء كالمخلوق فانه قد يغلب على امره كان واحدا مما سئل منه حتى قد يغلبه نفسه بالبخل فان لم يكن واحد اغلبه العدم وعلى كل حال لا بد له من تحرف في الاعطاء مع البذل لما سئل والباري جل وعلا وتقدس غني كريم ماجد واجد لا يعجزه شيء ولا مكره له ولا مستعظم ما يسئل انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فاعطاؤه كلام ومنعه كلام ولا ينقص خزائنه جميع ما يعطي خلقه او تبلغ امانيهم منقال ذرة ولا يزيدها ما يمنع وهو الغني الحميد فالسؤال له تبارك وتعالى بلفظ ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم قد قدح في التوحيد لما ذكرناه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم سبحانه مع كونه بيده ملكوت كل شيء وله خزائن السموات والارض قال العلماء وليفتتح سؤاله بالحمد والثناء على الله سبحانه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وختمه بذلك وقاله شيخ الاسلام ابن تيمية وان يكون سؤاله باسماء الله وصفاته بدعاء جامع مأثور لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب لجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك رواه ابو داود بسند جيد وان يكون ذلك بتأدب وخضوع وخشوع بعزم ورغبة وحضور قلب ورجاء وفي الحديث لا يستجاب الدعاء من قلب غافل رواه الامام احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الترمذي عن ابي هريرة وفيها ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة قال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسئلة الا ليعطي افضل العبادة انتظار الفرج ومن شروط ذلك الاخلاص قال الاجري واجتناب المحرم وظاهر كلام ابن بجوزي وغيره انه من الادب قال ابن مفلح قال شيخنا تتعذر اجابة الاضطرار او مظلوما في صحيح الرغبة والرغبة الطمع فيما عندهم فامر صلى الله عليه وسلم الانسان اذا سال ربه ان يعظم طلبته ومسالته هكذا في البخاري لا يتعاظمه شيء اعطاه فعول لا يتعاظمه شيء هو من باب الفاعل وشيء فوع وفي رواية لا يتعاظم شيئا وهو ظاهر وفي الصحيحين عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعزم المسئلة ولا يقولن اللهم ان شئت فاعطني فانه لا مستكره له

الباب الثالث والخمسون

[ادب المملوك]

الانسان لمملوكه العبد اشتقاقه من التعبد بالعبادة والامة بمعناه يقال عبد الله وامة الله قال تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم فالامة تجمع على اماء وايم وامات كما قالوا عبد وعبيد وعباد وعبدان قال جرير بن الخطفى يا حبذا الغرير دق بامة قفيرة وهي الام فعول توفي في الغرير دق سبع ايم بمعنى توفي في سبع اوبات له كلهن اماء قد ملكن وتعبدن فان ام للبخاري

مكان اطعم مولاك

بكسر الصاد للنجمة اي اجعل مولاك ذا وضوء مكان اسق مولاك ولا تقل احدكم ربي وهذا يصرح عن استعمال الاسم الرب في مواضع استعمال السيد والمولى لان الرب هو المالك المعبود والانسان مربوب متعبد فكره ذلك الاسم لهذا حذرا عن المضاهاة ولهذا لم يمنع اضافته الى ما لا تعبد له كما ياتي ولان يقول سيدي

ان من جمع

لان موجب السيادة الى الرياسة على ما تحت يده ولهذا قال ... اي المملوك

وفي رواية لم لا يقول احدكم لا يقول لسيده ربي وليقل سيدي ومولاي وفي رواية له لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نساءكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وفي رواية له ايضا ولا مولاي فان مولاكم الله قيل انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول السيد عبدي لان فيه تعظيما لنفسه ولان العبد في الحقيقة انما هو لسيد واحد وقيل انما كره اذا قاله على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشانه والا فقد جاء القرآن قال تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم وظاهر النهي التحريم وقد يحمل انه للكراهة وجزم به غير واحد من العلماء كما في شرح مسلم وغيره وقد روى ابو داود وهذا الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا باسناد صحيح مفصلا ولفظه لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولا يقول المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فانكم المملوكون والرب الله عز وجل ورواه ايضا موقفا على ابي هريرة باسناد ايضا صحيح قالوا فان اعترض معترض على قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي بقوله يوم حنين انا ابن عبد المطلب قيل ليس هذا من باب انشاء التسمية وانما هو من باب الاخبار بالاسم الذي عرف به المسمى وباب الاخبار اوسع من باب الانشاء

اذا علمت ذلك فالرب يطلق على المالك والسيد والصاحب والمصلح والمولى ولا يقال معرفا الا لله سبحانه والسيد يطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضب وعلى الكريم وعلى المالك وعلى الرئيس وورد احاديث باطلاقه على اهل الفضل لا تحصى كقوله الا ان يفتوا ان يقال للمنافق سيد لما في سنن ابي داود وغيره عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدا فانه ان يكن سيدا فقد اسخطتم ربكم عز وجل وسيأتي باقي الكلام في ذلك في الباب الخامس والعشرين ان شاء الله تعالى ببسط من هذا قال النووي قال العلماء الرب لا يطلق بالالف واللام الا على الله تعالى خاصة فاما اضافة فيقال رب المال ورب الدار ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في ضالة الابل دعها حتى يلقاها ربها وفي الحديث الصحيح ايضا حتى يأتي ربها المال من يقبل صدقته وقول عمر في الصحيح رب الصريمة والغنيمة ونظائر ذلك في الحديث كثيرة شهيرة واستعمال الشرع جار ذلك امر مشهور معروف قال العلماء وانما كره للمملوك ان يقول لمالكه ربي لان لفظ مشاركة لله سبحانه في اسم الربوبية واما حديث حتى يلقاها ربها ورب الصريمة والغنيمة وما في معناه لك فانما استعمل فيها لانها غير مكلفة نهي كالدار والمال ولا شك ان لا كراهة في قوله رب الدار والمال واما قول يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك فقيل جوابان احدهما انه خاطبه بما يعرفه وجاز هذا الاستعمال للضرورة كما قال موسى للسامري وانظر الى الهك الذي اتخذته الها من دون الله ولهذا لم يأت في مضافا الى المتكلم وانما اضافه الى ضمير المخاطب والغيبة وبهذا قال ابن عبد السلام باصحابنا السبعي ارباب متفرقون فقوله حتى امام الواحد القهار وهذا مزيد يحمل على المنع والثاني ان هذا شرع لمن قبلنا وشرع من قبلنا لا يكون شرعا لنا اذا ورد شرعنا بخلافه وهذا لا خلاف فيه وانما اختلف اصحاب الاصول في شرع من قبلنا اذا لم يرد شرعنا بموافقته ولا بمخالفته هل يكون شرعا لنا ام لا فاختار القاضي والجد وجمع من اصحاب الشافعي منهم سيف الاسلام وموفق الدين بعد امه ان شرع من قبلنا لنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وظاهر النهي هنا التحريم وقد يحمل على الكراهة وجزم به غير واحد من العلماء كما في شرح مسلم وغيره وقوله في اشراط الساعة سيقدم التحريم في الصحيحين ان تلد الامة ربتها يقتضي ذلك فقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته الى تجريد التوحيد والاخلاص في الاقوال والاعمال حتى في لفظ الاسماء كما ترى فاجاز قول سيدي ومولاي ومنع منه اضافة لفظ رب لما يعقل وكذا قول عبدي وامتي وبين علتها في حديث مسلم الذي اوردناه في اوائل الباب الرابع والخمسون

ولهذا لما دخل صلى الله عليه وسلم باسماء بنت ابي بكر وقيل اسمها امية وقيل عمرة ومعها اسعاد بابنه منه فقال لها لقد عنت بهذا وفي رواية بعظيم وقع بالها وقد ذكر ذلك البخاري وابن عبد البر وابن منده وغيرهم في اسماء الصحابة رضي الله عنهم مع اختلاف في اسلامها وذلك له صلى الله عليه وسلم مع صحبة وقوعه قيل انها سبيه من بني العنبر من بني عمرو بن تميم جميلة مخلف نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان تعلمه عليه فقالت لها انه يعجبه ان يقال له تعوذ بالله منك وذكر تمام ما تقدم في فراقها قاله ابن الاثير وقال ابو عبيدة كلتاهما عاذتا بالله منه صلى الله عليه وسلم قال البخاري

حدثنا الحميدي نا الوليد نا الاوزاعي قال سئلت الزهري عن ايذاء ازواج النبي صلى الله عليه وسلم استعاذت منه قال اخبرني عروة
عن عائشة رضي الله عنها ان ابنة الجون لما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنا منها فقالت اعوذ بالله منك قال لقد
عذت بعظيم الحق باهلك وقال البخاري ايضا حدثنا ابو نعيم نا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن ابي اسيد عن
ابي اسيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا الى حائط فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اجلسوا
ها هنا فدخل وقد اتى بالجونية قال ابو نعيم في بيت من نخل ومعها دايتها حاضنة لها فلما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم قال
هبي لي نفسك قالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة قال فاهوى بيده يضعها عليها لتسكن قالت اعوذ بالله
منك فقال عذت بمعاذ ثم خرج من عندها فقال يا اسيد اكسها رازقيتين والحقها باهلها وقد سماها البخاري
امية فهذا قوله وعمله صلى الله عليه وسلم يفيد لزوم الانسان ان يعيذ المستعيذ بالله من نفسه ومن غيره ممن اراد
ظلمه اذ لو استجار بكم مستجير لاجرتموه ومنعتموه فمن اراده فكيف من يتعرض لمن قد استعاذ بالله الذي ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها فالاستعاذة بالله عبادة فلا تكون بمخلوق فمن استعاذ بغير الله فقد اشرك الا ان يكون ذلك بمعنى الاستجارة
كما في صحيح مسلم وغيره من حديث شعبة عن ابي مسعود البدري رضي الله عنه انه كان يضرب غلاما له فجعل يقول اعوذ بالله
فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لله اقدر عليك منك عليه قال فاعتقه
زاد غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لو لم تفعل للفحتك النار او لمستك النار

ارشد صلى الله عليه وسلم السائل بالله تعظيما لله تبارك وتعالى حيث سأله فاعطاه
السائل بذلك من اجل العبادة لله سبحانه اذ هي من مقام التعظيم لله جل وعلا واجابة الداعي من حقوق اخوة الاسلام و
المطلوب من المجيب ان يجيبها بالله تعالى حيث امر بها رسوله صلى الله عليه وسلم واجبها وحض عليها اذ هي من المصالح التي يسعد
الانسان بالجامعة للقلوب على محبة الله ورسوله والاجتماع على كلمة التقوى وعند الامام احمد والنسائي والترمذي
وقال حسن غريب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا الا اخبركم ببشر الناس قلنا نعم يا رسول الله قال الذي يسأل بالله ولا
يعطى به روى من طريقين احدهما ان لهيعة والاخر جيد ورواه البخاري في تاريخه مرفوعا عن ابن عباس رضي الله عنهما
باسناد صحيح ولفظه شر الناس الذي يسأل بالله ثم لا يعطي وظاهره وجوب الاجابة على المعنى وهو احتيار شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه قال انما يجب على معين فلا يجب اجابة سائل يقبح على الناس حكاه عنه ابن مفلح بعد قوله ولا يلزم
اجابة فقير في الاصح كاجابة سؤال بالله وعند ابي داود من حديث ابن عباس ايضا مرفوعا باسناد جيد من سألكم بالله فاعطوه
ومن استعاذكم بالله فاعيذوه وفي الدعوة واجابتها ووجوب ما يجب من اجابتها وما ليس اوسع تفصيلا في
كتب الفقه ليس هذا موضعه المعروف ما عرفه الشرع من مندوب وواجب يقول قل اولى اليكم شيئا
من المعروف تفضلا منه عليكم فكافوه بما يساوي معروفه اذا المكافآت المساواة من جنس معروفه
والمتفضل الذي بيده خزائن السموات والارض ان يجازيهم عنكم ويكافيه بما هو اهله اذ هو صاحب الكرم والجود وهذا
الدعاء ايضا من العبادة لله جل وعلا فجعل ذلك الدعاء مكافاة له اذ هو قد يكون اعظم من المكافاة
بجنس معروف وفي الاثر ان يعقوب عليه السلام لما جاءه البشير بيوسف قال له مالي ما اكافيك به على بشارتك الا الدعاء
هو لك عليه سدرات الموت واهوال القبر اخرجه ابن ابي حاتم لكن في سنده ضعف لحد الله تعالى وفي هذا رد على من انكر
الاسباب وقيد ان دعاء المؤمنين متيقن الاجابة حيث قال حتى تروا انكم قد كوفيتموه وفي الحديث الصحيح ادعوا الله
وانتم موقنون بالاجابة اذ حسن الظن بالله من خصال اهل الايمان الحسنى لاسباب عضيمة تبارك وتعالى

ورواه الامام احمد في مسنده بسند صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد الباب الخامس والخمسون

عن عبد الله بن حرام الانصاري رضي الله عنهما

وعند ابي داود ايضا عن ابن عباس بسند جيد مرفوعا من سألكم بوجه الله
فاعطوه وحديث جابر هذا الذي ذكره المصنف رحمه الله من رواية سليمان بن معاذ بن رافع هو ابو معاذ البصري
الذي ضعيف ضعفه احمد وابن معين وغير واحد وقال النسائي في كتاب الضعفاء طعنت عليه وعند الطبراني
في معجمه الكبير عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه مرفوعا ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه ابيه
متى سأله ما لم يسأل هجرا وسنده لا بأس به وروى ايضا حديث ابن عباس عبد الله بن الامام احمد فقال حدثني ابي
عبد الله بن عمر القواريري نا خالد يعني ابن الحارث نا سعيد عن قتادة عن ابي رهيك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من استعاذكم بالله فاعيذوه ومن سألكم بوجه الله فاعطوه ورواه ايضا ابنه الامام احمد في

مسنده بسند صحيح عن ابن عباس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سئل بوجه الله فاعطوه فالوجه في هذا صفة من صفات الله جل وعلا وقد نهى صلى الله عليه وسلم ان يسئل بها ادنى المطالب واسئ الرغائب وهي الجنة فكيف لا تسأل الا برضى الله تعالى ولهذا قال الا برضى من جل وعلا من عمل لوجه الكريم كما الصديق رضي الله عنه حيث قال تبارك وتعالى وجهه على الصحيح من قول المفسرين وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وقد انكر هذه الصفة اهل البدع وطلبوا لها التاويلات الفاسدة التي لم يفهمها احد من سلف الامة بل التسليم ومذهب السلف في ذلك وفي سائر ما جاء به صلى الله عليه وسلم من اخبار الصفات بعد ما ردوا عليه افحش الرد لما دعاهم الى الله تعالى فاعرضوا به سوءا بهم حتى رجموه بالحجارة في قصة طويلة ليس هذا موضعها فانصرف عنهم كئيبا حزينا صلى الله عليه وسلم فدعا بدعاء المشهور وفيه اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان يحل بي غضبك او ينزل بي سخطك فاذا سلم الارض من نزول غضب الله به وحلول سخطه فقد سلم من جميع المكاره وفاز برضا الله وحصل له غاية ما يتمناه من اوفر الحظ في ذلك ومحال في ذات الله تعالى كما قال حبيب رضي الله عنه وارضاه كما في البخاري

ولست ابالي حين اقتل مسلما ... على اي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا ... يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما اعتقل في القلعة ما يفعل اعدائي ان قتلوني فشهادة وان حبسوني فعبادة وان اخرجوني فسياحة وهذه حال المتقين الذين يبتغون وجه الله تعالى ويعملون على رسم العبودية الخالصة لمولاهم لا يريدون الا وجهه كما عاتب الله تعالى رسوله وحبيبه وخليله وامينه على وحيه محمد صلى الله عليه وسلم اذا قال لقصر نظرهم عما من هذه صفته فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه الا ربنا الله الكريم الهداية ونعوذ به من العمى بعد الهداية انه جواد كريم

الباب السادس والخمسون

قد ذكر الله تعالى قبل هذه الاية عن هؤلاء الاعراب حيث قال عز وجل عنهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا فقد بان في القسم حملتهم حاملة هموم في كيفية الحيل والمكر لاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه ظانين به ظنا باطلا كظن اهل الجاهلية بان دين محمد يزول ولا يدوم بعده فاثبته وليس لنا من امر الله شئ من النصر والغلبة فقال تعالى قل لهم يا محمد ان الامر كله لله تعالى في الحقيقة لا غيره هم يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا فرد عليهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ومصارعهم فهذا اثبات القدر ولو كان ذلك لم ينفعهم وما حصل لهم من الرد عليهم بقوله قل ان الامر كله لله ولهذا قال عز وجل عن بعض السلف ان ظنهم هنا التكذيب بالقدر وان الامر لو كان الينا ما اصابنا القتل فاكذبهم الله بقوله قل ان الامر كله لله فلا يكون الا ما سبق به قضاؤه فلو كتب القتل على من كان في بيته لخرج الى مضجعه ولا يدفع الاسباب عن وقوعها الحفظ الالهي والقدر ولهذا قال تعالى قل يا محمد لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ومصارعهم في احد وقتلوا فيها لاستحالة الخلف في تقادير الله تعالى

يقول تعالى قل يا محمد للذين قالوا من المنافقين لاجل اخوانهم جبنا او نسبا ودارا حال قعودهم عن القتال لو اطاعونا في امرنا لهم بالقعود عنا ما قتلوا في القتال كما لم نقتل نحن من جهة قعودنا عنه قد فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين في قدرتكم على دفع الاسباب عن وقوعها فيما زعمتم في وقوع عن انفسكم بدفع اسبابه والقعود الذي جعلتم دافعا قد يكون سببا للموت

للبخاري

ايضا قال تعالى وما اظن يا نفسي بالموت في ارض تموت ان الله عليم جبير ليس هذا من الحرص المذموم فان هذا مقيد بقيد ابن الشرع فهو من الممدوح والمذموم ما حجر عن ذكر فاعل هذا على هذا القانون لا سيما حرصا بالحار ما عاقلا فان الله سبحانه حض الانسان بالقوة الا لذات الشهوة والغضب والفكر ليسعى في المكاسب فان فضيلة القوى الشهوية نطالبه

بالمكاسب التي تنميه وفضيلة القوى الغضبية تطالبه بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوى الفكرية تطالبه بالعلوم التي
تدنيه فحقه ان يتامل قوته فيتحرى بحسبها فاذا كانت قوته من جهة الكسب الحلال من حله لم يسم حريصا وهذا من باب
قوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله اعبده وتوكل عليه وهذا قال صلى الله عليه وسلم فاعمل
الله صلى الله عليه وسلم بفعل الاسباب ثم ارشد الى الاستعانة بالله تعالى وهو قوله تعالى اعبده وتوكل عليه نخرج من مشكاة
واحدة وقد مر ذكر الخبر بتمامه ثم قال والخير تركه ما كان واجبا او مندوبا من امور الدنيا والدين وقد روى ابن
ماجه بسند صحيح حيث قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر غندر قال سمعت شعبة
ح وحدثنا احمد بن سعيد الرازي قال انا النضر بن شميل قال انا شعبة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصاري
قال سمعت عمي يحدث رجلا مناب سيرها ما يحدث الناس ان سعد بن زرارة وهو جد محمد من قبل ابيه
اخذ وجع في حلقه يقال له الذبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بلغنه او ليبلغن في ابي امامة عند رأس الكوكب بيده
فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم ميتة سوء والمراد يقولونه افلا دفع عن صاحبه وما املكه ولا لنفسي شيئا
قال ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني ابن عجلان قال سمعت
الفضل بن مروان يقول كان ابن المقفع يقول اذا نزل بك امر مهم فانظر فان كان مما لا حيلة فلا تجزع وان كان مما
لا حيلة فيه فلا تجزع **قلت** بهذا ان التوكل من المفوضات ومهما دخل فيه من قادح فهو قادح في توحيد
المتوكل وبها صلى الله عليه وسلم عن الرقى لان من فائدة ان يحمل صاحبه على معارضة اقدار الله سبحانه ويقع على صاحبه ايضا
بركة الاسباب عمل الشيطان ثم قال صلى الله عليه وسلم مرشدا الى التسليم لاقدار الله تعالى السابقة الغالبة بعد بذل
العبد وسعه وفعله الاسباب الماموربها فان ذلك زيادة حسرة
في قلب العبد لا تغني عنه شيئا وانما هو القاء من الشيطان في قلبه وبهذا ارشد صلى الله عليه وسلم الى ما يستدرك به العبد
نفسه عند ما يرد عليه من ذلك فقال
استعمله في جنس هذا الموضع
وهو معارضة الله في امر القدري كان ابليس لعنه الله على
الله في امر الشرعي بامتناعه عن السجود لادم عليه الصلاة والسلام وفي امره الكوني بان قال انا خير منه وفي علم الله وامره
الكوني والشرعي خلاف ما قال اللعين وهذا الذم في التكلم بلو ليس على اطلاقه وانما الذم في التكلم بها اذا كان ذلك
فيه معارضة لقضاء الله وقدره والا فقد قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما في الصحيحين وغيرهما من رواية
الاسلام عن جابر بن عبد الله لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة وفي لفظ في الصحيح
في حديث ابن عباس لو رحمت اصلعة بينة لرحمة هدي وقوله مخاطبا له صلى الله عليه وسلم قل لو كنت تعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء قال قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق و
الايات والاحاديث في هذا كثيرة جدا وانما المحذور منها ما ذكرناه وهو صحيح في باب المعرض عن الاربعة بالخالق
هناك والله الهادي للحق

الباب السابع والخمسون

الانصاري الخزرجي ابو المنذر سيد القراء الصحابي المشهور رضي الله عنه
فان الله تعالى هو المرسل لها وهي مدبرة بامر ربها الذي قال للسموات وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين فكيف بنا نحن وهي لا فعل لها في الحقيقة وهي ترسل بالرحمة تارة وبالعذاب تارة قال تعالى وارسلنا الرياح
لواقح وارسلنا الرياح مبشرات وقال وارسلنا عليهم الريح العقيم وقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام
نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون وروي ان الله امر خزنة الريح
ان يفتحوا على عاد منها قدر حلقة الخاتم ولو فتحوا قدر منخر الثور لاهلكت الدنيا وروي انها كانت ترفع العير باوقارها
فتطير بها حتى تطرحها في البحر قال جماعة من المفسرين والصرصر صفة الريح باردة كانت او سموما من صرصر اذا صوت
صوتا يشبه الصاد والراء وفي مسند الامام احمد في حديث منقطع عن رجل انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفقر فقال لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك تسب الريح قال لا قال فان الله لا يبعث لاحدان تسب الريح فانها خلق
لله مطيع وجند من اجناده يجعلها رحمة ونقمة اذا شاء سبحانه فهذا رشدهم صلى الله عليه وسلم في ذلك لما يفقههم و
نهاهم عما يضرهم فقال لعبد لبيه عن سبها فاذا رأيتم ما تكرهون اي في الريح فقولوا اللهم انا نسالك من خير هذه الريح
فاضاف اولا الخير والشر الى الله

في هذا الحديث

في الحديث اضافة تسبيب لا استقلال به لان الله سبحانه جعلها سببا لذلك الخير والشر الذي امر به ثم جعلها ظرفا لذلك لان الله جعله فيها تحلله الى حيث امرت ثم قال فيها وما امرت به فجعل صلى الله عليه وسلم الامر في السوال كله لله تعالى واثبت الاسباب التي اثنتها امرسله تبارك وتعالى قال تعالى ارسل المبشرات ونقمات فهو تعالى يرسلها بما يريده الانسان ويجلب فاذا كان الامر كذلك فالسؤال العبد يسلها من خيرها وخير ما ارسلت به ويتعوذ به من شرها وشر ما ارسلت به وحيث علم انها امور لا يليق بها بال السوء ثم لم يأمر فيما اصابه بعد ذلك وروى ابو داود وابن ماجة باسناد حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسئلوا الله تعالى خيرها واستعيذوا بالله من شرها ورواه النسائي في اليوم والليلة عن ابي هريرة وابن عباس وقال الحاكم وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي على ذلك والروح بفتح الراء قال الخطابي وغيره يعني به الرحمة الله بعباده وقيل من تنفيسه وتفريجه والكل متقارب لان ذلك من رحمته وقد قال الامام احمد ثنا بن يزيد بن هرون انا العوام يعني ابن حوشب عن سليمان بن ابي سليمان عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الحديد قال نعم النار قالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من النار قال نعم الماء قالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الريح قال نعم ابن ادم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله وقد رواه هذا الحديث من غير هذا الوجه وقال احمد ايضا نا يزيد بن هارون الواسطي نا حميد الطويل عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السموات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن الى الماء الى الريح الصفاقة كل ذلك مخلوق ما خلا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق وهذا الحديث من غرائب ما يروى به الامام احمد فان بينه وبين انس صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال يزيد وحميد وانس رضي الله عنه ولهذا لم يخرجوه في الصحيح ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب الستة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به وروى البزار عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الريح يقول اللهم لقحا لا عقيما قال النووي لقحا اي حاملا للماء كالناقة من الابل والعقيم التي لا ماء فيها والعقيم من الحيوانات الذي لا يولد قال جرير بن الخطفى

مطاعيم الشتاء اذا استحنت ... وفي العراء كل صا عقيم

يريد مطاعيم الشتاء والعراء الكرد الشديد والرعد واستحنان الشمال هبوبها والعقيم التي لا مطر فيها قال تعالى واسلنا عليهم الريح العقيم وقد قال ابو بكر بن عياش لا تقطر من السماء قطرة حتى تعمل فيها اربع رياح فالصبا تجيء والشمال تجمد والجنوب تذيبه والدبور تفرقه كذا قال ابو عبيدة وفسره وقد قال عبيد بن عمير بعث الله المثيرة فتقم الارض قائم بعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم بعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم بعث الله اللواقح فتلقح السحاب ثم تلا وارسلنا الرياح لواقح ورواه عبد بن ابي حاتم وابن جرير وقال ابو عبيد الانصاري وتقول العرب لريح الدبور محوة لانها تمحو السحاب قال الشاعر

قد بكرت محوة بالعجاج ... قد مرن بقبة الرجاج

والرجاج صعاف الناس والهوائي ومن لا طايل عنده وقال غير ابي زيد هي الشمال وقول عبيد الله بن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ومن اياته الباهرة هذا الهواء اللطيف المحسوس بين السماء والارض وهو المسمى بالجو لطيف محله ساعة باجنحتها في امواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جلبته وامواجه عند هيجانه كاضطراب امواج البحر ويدرك حسه من لمس عند هبوبه ولا يرى شخصه فاذا اراد سبحانه وتعالى احركه بحكمة الرحمة حركه لطيفة فتحمله رخاء طيبة تسر من يهب عليه وان اراد تحريكه بالغضب حركه بما يليق به من الريح العقيم والصرصر والعاصف والقاصف والزمهرير والسموم والحاصب والنشر والمبشرات والمرسلات والرخاء واللواقح ورياح العذاب تسمى العاصف والقاصف وهما في البحر والعقيم والصرصر وهما في البر وهما في عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع نا هشيم عن يعلى بن عطاء عن ابيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال الرياح ثمانية اربعة منها رحمة واربعة منها عذاب فاما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات واما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر وعند الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه من طريق عمرو بن دينار

وهو عند الترمذي وقال حديث غريب

ان لم يكن فيه ادراج

قوم عاد الزبير موقوفا على الريح تبعث عذابا لقوم وصححه الاخرى ورواه الديلمي ايضا في الفردوس من هذا الوجه وقال الذهبي في ذيل ميزان الزبير متفق على ضعفه فاذا شاء الله حرك هذا الريح بحركة العذاب فجعله عقيما او دعه عذابا اليما وجعله نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصرا وخسفا وعاثما وقد امر الله عز وجل على ما يشاء من خلقه في هوائها صبا وهو ريح مشرقية وجنوب وشمال وفي منفعتها وتاثيرها باسمائها اعظم اختلاف فريح ليست رطبة تعدي النبات والابدان لكيوفاتها واخرى بالعكس وتعطيه واخرى تشده وتصليه واخرى فوقهما وتضعفه ولهذا يخبر سبحانه عن رياح الجنة بصيغة الجمع لاختلاف منافعها وما يحدث فيها فريح فتيق السحاب وريح تلقحه وريح تحمله وريح تدره وريح تحبوه وريح تعدي النبات قال ولما كانت مختلفة في هبوبها وطبايعها جعل لكل ريح ريحا تقابلها تكسر سورتها وحدتها وتبقي لينها ورحمتها

فالرياح اربعة ريح الصبا وتقابلها الدبور والشمال وتقابلهما الجنوب فعند ابي الدنيا وابن مردويه وابن جرير الطبري وابي الشيخ بن حبان في العظمة بسند حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا عاريح الجنوب من الجنة وهي الرياح اللواقح التي ذكرت في كتابه فيها منافع للناس والشمال من النار تخرج قمرا بلجنة فيصيبها نفحة منها فما مر هامن ذلك وفي الحديث الصحيح المرفوع نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفي البخاري عن النعمان بن مقرن قال شهدت القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل اول النهار انتظر حتى تهب الارواح وتحضر الصلاة ورواه ابو داود وعنده ولفظه انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح ورواه الترمذي بمعناه وقال قال قتادة كان يقال عند ذلك يعني زوال الشمس وحضور الصلاة تهيج رياح النصر وتطيب الموقوت بجنودها في صلاتهم وقد قيل ان الصبا هي التي سخرت لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وذكر ابن فجويه في المنتقى عن ابي الحسن الغوراني قال قالت النملة لسليمان بن داود عليه السلام ايذن لي لما سخرت لك الريح من بين الانبياء قال لا اعلم قالت لعلك انما اتاك من الملك الذي وكله عند كسرة الريح فلا تغتر به وتلك الرياح المذكورة اربع ايضا قال ابن الاعرابي في نوادره الكتب من الرياح اربع فنكباء الصبا والجنوب مهاب ملواح مياس للبقل وهي التي تجيء بين ريحين ونكباء الشمال تجاح مصرة وامطر باذن الله تعالى فيها ولا خير فيها عقيم ونكباء الشمال والدبور قرة وربما كان فيها باذن الله تعالى مطر قليل ونكباء الدبور والجنوب ريح حارة كما قال غيلان ذو الرمة

وصوح البقل ناج تجي به ... هيف بانية في مرهاتكب

ولما ذكر غيلان النكب الاربع في كلام له قال

حيته الفتاح القاريات العواشيا ... محت بها النكب السوافي فاكرت

فوصف كل واحدة حيث تقابلت بحيث الفتاح اليتي لا ترد الماء الا عشرا والنكب هي اشد ما يكون لعشر الزراب وفيه من الارض قال والجنوب ريح حارة والدبور من رياح القيظ لا تكون الا فيه وهي مهياف والجنوب تكون في الصيف والقيظ والشتاء والصبا شقية مباركة طيبة ليست بالرد قليلة الفجاج وهي القبول سميت بذلك لان النفس تقبلها وتميل لان العرب تجعل ابواب بيوتها لمطلع الشمس شرقا فصارت تقابلهم فسميت بذلك وقيل لانها تقابل باب بيت الله تعالى والدبور بالعكس فالصبا ريح طيبة لطيفة تحمل السحاب فيها اذى وهي اطيب الارياح عذبا وللارواح والابدان لما اودع الله تعالى فيها الكريم المنان من الخير والعرف والملكوت والسلطان الذي لا يخرج احد عن تدبيره من المنافع والمصالح ما لا يعلمه الا الذي ارسلها وهي تجري في البر والبحر وتكون بامره وهي جند من جنود الله تعالى يهلك بها عادا التي لم يخلق مثلها في البلاد ونصر بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب حين ارسلها عليهم رب الارباب كما ذكر ذلك في محكم الكتاب فصارت لذلك نصرا ورحمة للمؤمنين وعذابا ونقمة على الكافرين فلم يستقر لهم خباء ولا قدر ولم يثبت لهم على الارض قدم حتى ارتحلوا خايبين قال تعالى حاكيا عن المؤمنين نعمة بان يذكروها ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ثم ذكر المنافقين واريجاهم وذلك لخلوهم من اليقين بالله ومعرفة عظمته وجلاله وكبريائه وما في صدورهم من تعظيمه فلم قدروا الله حق قدره ولم يعلموا ان الله سبحانه يكفي عباده المؤمنين بما شاء من جنده قال ابن عباس رضي الله عنه كان الذي جاءهم من فوقهم بنو قريظة ومن اسفل منهم قريش وغطفان ثم حذل بينهم نعيم بن مسعود رضي الله عنه كما سلم في قصة طويلة معلومة حتى بعث الله عليهم الريح فقام

ابو سفيان

ابو سفيان فقال يا معشر قريش والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفنا بغاثا وقطيعا وليقيمن مرثد الربح ما
مانعون فارتحلوا فاني مرتحل فتحملت قريش لان الريح لتقلعهم عن بعض امتعتهم وسمع غطفان بما فعلت قريش ١٧٨
فانصرفوا راجعين الى بلادهم وذكر التجار ان الملائكة اتبعوا الاحزاب حتى بلغوا الروحاء يكمنونهم في ادبارهم فرجعوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وقد قال قتادة وعن يزيد عن قوله وتذهب ريحكم هي
ريح النصر لا يكون نصر قط الا بريح يبعثها الله عز وجل تقرب وجوه العدو وذكر البغوي عنها وعن سيف بن عمر عن سهل بن يوسف
عن القاسم وهشام عن عروة وابي يعقوب قالوا لما وجه ابو بكر خالد تقدم اليه وقال فيما يقول له لا تلقين بالملئ
الا في النصف الاخير من النهار وان نازلتم العدو صباحا فاركبوا الارض واستظلوا بالحيطان الى ان تميل الشمس فاذا ساعة
الظهر وحين الصلاة وتهب فيها رياح القطر وتدنو من الليل فالحاصل ان من الرياح ما يكون عذابا ومنها ما يكون
رحمة وريح الرحمة متعددة واما ريح العذاب فانها ريح واحدة ترسل من وجه واحد لاهلاك ما ترسل لاهلاكه فلا
تقوم لها ريح تقابلها وتكسر سورتها وحدتها بل تكون كالجيش العظيم الذي لا يقاومه شيء تمر على كل شيء اتت عليه بامر ربها
فانظر الى جلالة القرآن وفصاحته كيف اطرد فيه الجمع في البركام وما في البحر فجاءت ريح الرحمة فيه بلفظ الواحد كقوله تعالى
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من
كل مكان الآية فان السفن انما تسير بالريح الواحدة التي تاتي من جهة واحدة فاذا اختلفت الرياح على السفن وتقابلت لم
يتم سيرها فالمقصود من هيج البحر خلاف المقصود منها في البر اذ المقصود في البحر ان تكون واحدة طيبة لا يعارضها شيء فاخرج بها
هنا وجعت في البر وقد قال ابن جرير الطبري في شرح الحميرية اصول الرياح اربعة كما تقدم وهي الصبا حارة
رطبة ومهبها من مطلع الشمس الى كرسي بنات نعش والشمال باردة يابسة ومهبها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس و
الدبور باردة رطبة ومهبها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل والجنوب حارة رطبة ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس
ولها فروع وهي النكباء بين الصبا والجنوب والازيب بين الصبا والشمال والجربيا بين الشمال والدبور والهيف
بين الدبور والجنوب وقدم ان الاربع تسمى نكباء كلها وقد ذكرنا الشاهد على ذلك من كلام غيلان ذي الرمة قال ق
الشمال تخرج من النار وعزيانجة تستكف بردها وبردها وحكمة ذلك معا للقوة النارية والقوة البردية لان من شان
الاولى كثرة الحركة وشدة الانضاج ومن شان الثانية ملاءمة النفس وازالة الكدر وهي ملح الارض ولولا الشمال لما
انبتت الارض ومن الاربع الرياح تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش وانها تهب فتقع بعجلة الشمس فتقع
الملائكة على اجرامها ثم تهب من عجلة الشمس فتقع في البحر ثم تهب من البحر فتقع برؤس الجبال فتقع في البر قلت وقد روى
ابن ابي عاصم في هذا حديثا حيث قال حدثنا عبيد الله بن اخي وهب ثنا عمي ثنا عبد الله بن عياش حدثني عبد الله بن سلمان عن
دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح تخرج من الثانية يعني
من الارض الثانية فلما اراد الله ان يهلك عادا امر خازن الريح ان يهلك عادا فقال يا رب ارسل عليهم قدر منخر الثور قال انه
اكبار تبارك وتعالى لا اذا يكفي الارض ومن عليها ولكن ارسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال اصرع كانهم اعجاز نخل خاوية
عليه الاجعلته كالرميم ولكن هذا الحديث فيه غرابة ورفعه منكر والظاهر والله اعلم انه من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه وعند ابن ابي حاتم ايضا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله على عاد من الريح
التي هلكوا بها الا مثل موضع الخاتم مرت باهل البادية فحملتهم وعواشيهم واموالهم فحملتهم بين السماء والارض فلما رات اهل
الحاضرة ما عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فالفت اهل البادية بعواشيهم على اهل الحاضرة وهي البغوي
ان عجوزا منهم دخلت سربا فقتلتها الريح في اليوم الثامن فسميت الايام التي تجوز واوردناها
الفصل في هذا الباب وما فيه من التنبيه على حكم احكمين لينتفع السامع وليعلم ان الامر كله بفعل مالك و
وبحكم ما يريد فان الريح مدبرة ليس عندها علم فالسبب لها مقدر قدره على سبب مرسلها ومدبرها جل وعلا و
ذلك قادح في التوحيد في الرياح منافع ومصالح للعباد والبلاد لا يحصيها ويحيط بعلمها الا الذي خلقها وذرأها
الريح الساكنة بين السماء والارض تمر الطير فيها سابحة باجنحتها كالجاديف للسفن في بحر الماء وكل من البحرين له
ساكن لا يعيش في الاخر عذاب روح وذلك الساكن من بحر وفاد اخرج ساكن بحر الماء لبحر الهواء هلك وبالعكس انظر
ايضا في مصالح بحر الهواء كيف يجذب ناضح الماء اذا اراد ان ينضخ بها من ذلك البحر فيه ثم ينضحها فتنشف وتتحدر كذلك الحداد يرفع
منافيخه حتى تمتلئ كما يلاد صاحب الدلو دلوه من بحر الماء ثم يرفع بها الكبير حتى يطير شررها وما يحصل بها من التنشيف وحمل

الصوت والاطياب والرواح من غيرها فاذا كانت برخاوة فهي ابعد للشم والصوت بحيث ان الاقرب قد يسد بها وانظر الى السابح في بحر الماء وهو لا يحسن العوم كيف يأخذ قربة فيجد في قرابها فيه من جو الهواء السكن حتى يمتلي ثم يجعلها في وسطه فتطفي به على الماء لما فيها من الهوا المحبوس فيها فيسير بها على ظهر الماء فلو انفكت وكاوها او انخرقت لخرجت الهوا وسقط السابح في البحر فغرق الى غير ذلك من المصالح التي لا تحصى وبعضها يعرف بالحس وذلك تقدير العزيز الحكيم والله تعالى الموفق

الباب الثامن والخمسون

[illegible]

والظن على ما شك يعرض لكذب الشيء فتحققه وتحكم به وهو ظن السوء دون مبادي الظنون التي لا تملك وخواطر القلوب التي لا تدفع قال محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي الاصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين ابو عبد الله بن القيم قيم الجوزية ولد رحمه الله تعالى في سابع صفر سنة احدى وتسعين وستمائة سمع من شهاب الدين النابلسي العابر والقاضي تقي الدين سليمان بن ابي بكر بن عبد الدائم وابي نصر الشيرازي وجماعة ولازم شيخ الاسلام بن تيمية واخذ عنه الفقه والفرائض والاصلين وقرا العربية على المجد التونسي وابن ابي الفتح البعلي وكذا الاصلين على الصفي الهندي وتفنن في علوم الاسلام وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه وباصول الدين واليه فيها المنتهى وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط وكان لا يلحق في ذلك وله اليد الطولى بعلم الكلام والسلوك وكلام اهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى وتاله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والانابة والافتقار الى الله سبحانه والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته قال ابن رجب لم اشاهد مثله في ذلك ولا رايت اوسع علما منه ولا اعرف بمعاني الكتاب والسنة وحقائق الايمان منه وقد امتحن مرات واوذي وحبس مع شيخ الاسلام بن تيمية بالقلعة في المرة الاخيرة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ وفتح عليه في الحبس فتوحا عظيمة وجاور بمكة وكان اهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة امرا يتعجب منه واخذ عنه العلم خلق كثير وكان فضلاء وقته يعظمونه كابن عبد الهادي وغيره وقال القاضي برهان الدين الزرعي ما تحت اديم السماء اوسع علما منه ودرس بالصدرية وام بالجوزية مدة طويلة وطبقت تصانيفه ما بين الخافقين من نفائسها توفي في وقت عشاء الاخرة ليلة الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ودفن بمقبرة باب الصغير ذكره ابن رجب وغيره

[illegible]

هو ظن السوء وظن الجاهلية

ولا يليق بصفاته واسمائه وعن [illegible] وتفرده بالربوبية والالوهية

[illegible] لا يتم امر رسوله و [illegible]

اصحابه لا يقام بعده فقد ظن به ظن السوء ونسبه سبحانه الى خلاف ما يليق بكماله وصفاته

فما عرفه حينئذ ولا عرف ملكه [illegible] السابق في علمه

في ذلك

وفي الصحيحين من حديث ابي معمر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فهو يسمع اذا اخفينا فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية

[illegible]

وحقيقة الحكمة عند العرب هي ما صدرت عن علم وصواب برفق ولين دون ان يكون فيها تعسف ولا

تعبر

ولا تغير ولا انحلال فان الخلق ينبغي لهم ان يعلموا حكم صفات الباري تعالى واسمائه كما جاء في كتابه وسنة رسوله كما قال تعالى ادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه وقال ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقد قال ابن ابي نجيح عن مجاهد على هذه الآية ان الحكمة الاصابة في القول يعني هذا ما عند الجماعة بطرق متعددة عن ابن مسعود مرفوعا الا حد الاخوين صلاتا ما الا فسطاط على هلكته في الحق وعلى اتباعه الحكمة فيما يقضي بها ويعلمها وهذا يدخل فيه قول من قال الحكمة القرآن ومن قال هي السنن ومن قال الفهم ومن قال الفقه في الدين ومن قال هي النبوة

ومن قنط من رحمته فقد ظن به ظن السوء ومن جوز عليه ان يعذب المحسن ويثيب المسيء ويسوي بينهما وبين عدوه فقد ظن به ذلك ومن ظن انه يترك خلقه سدى عن الامر والنهي فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه اخبر عن نفسه سبحانه وصفاته وافعاله بما ظاهره باطل وتركه الحق الذي لم يخبر الا بضد ذلك وضد ما اخبر به من الباطل وارد من خلقه ان يتقولوا في تحريف كلامه واهماله في معرفة اسمائه وصفاته على ما لم يدل عليه كتابه بل اراد ان لا يخلوا كلامه عما لا يعرفونه من لغته مع قدرته على التصريح بالحق وازالة الالفاظ التي توقع في الاعتقاد الباطل وظن ان رسوله عبر عن الحق دون الرسول ورسوله وان الهدى في كلام غيرهم لا في كلامه وكلام رسوله فهذا ظن به ظن السوء فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانية غير الحق ظن الجاهلية ومن ظن ان لله بيتا في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر عليه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن ان كان معطلا صالا زال الى الابد عن الفعل الذي صار قادرا عليه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن ان الارادة لا والكلام يقوم به ولم يتكلم ابدا ولا يامر ولا ينهى يقوم به فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه ليس فوق سمواته على عرشه وان الامكنة بالنسبة اليه سواء بل هو في جوف كل شيء وان من قال سبحان ربي الاسفل كما قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن به اقبح الظن ومن ظن به انه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب من احد ولا يقرب منه احد فقد ظن به ظن السوء وكذلك من ظن انه يساوي بين المتضادين او فرق بين المتساويين من كل وجه او يحبط طاعات الابد بكبيرة تخلد في الجحيم وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه او وصفه به رسله او عطله من ذلك او ظن ان له شريكا او شفيعا بدون اذنه او ان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون اليه حوائجهم اليه او ان ما عند ينال بالمعصية كما ينال بالطاعة او انه اذا ترك لاجله شيئا لم يعوضه خيرا منه او انه يعاقب بعض المشيئة بغير سبب من العبد او انه اذا صدقه في الرغبة والرهبة انه يخيبه فقد ظن به ظن السوء

والقول في هذا الموضع كل وقت

عليه في صحيح البخاري وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين والكلام على قوله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

ومن فتش نفسه رآه فيها كامنا كمن النار في الزناد فاقدح زناد من شئت يبد شرارة عاجلا زناده

ثم قوله ويعذب المنافقين والمنافقات قال المفسرون ولكن يعذب المنافقين من اهل المدينة والمنافقات والمشركين من اهل مكة والمشركات الذين اقاموا على عبادة الاصنام الظانين بالله ظن السوء وهو ترك التصديق بالله ورسوله مخافة ان يصير محمد صلى الله عليه وسلم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا الآية وهذا قال عليهم دائرة السوء يعني عاقبة العذاب والهزيمة الى قوله وساءت مصيرا اي بئس المصير الذي صاروا اليه ثم قال ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا اي بالنقمة لمن مات على نفاقه وكفره حكيما في امره وقضائه لا معقب لحكمه ولا راد لفضله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ومن ضاد الله في قدره وقضائه فقد اتهمه في حكمه وضاد توحيده جل وعلا والله الموفق

الباب الخامس والخمسون

هذا الباب من حيث الجملة قد زلت فيه اقدام وناهت فيه احلام وافهام ولم يسلم من ذلك الا من اهتدى بكتاب الله العلام واقتدى بهدي سيد الانام محمد عليه افضل الصلاة وسلام وهم اهل الصراط المستقيم المقتدون بالدين القويم الذين لم يسلكوا سبيل طرفي الغلو والتقصير طرف الذم والقدح وجهلوا

انفاقهم ابدا لاعتقادهم لانهم غلب عليهم ذكر ما انكروه فنسبوا اليه وطرفوا اخر غلوا في اثبات القدر زيادة عما اخبر الله به ورسوله وهم الجبرية وكانوا اولى بتسميتهم القدرية لغلوهم في ذلك وتعمد بعضهم الجحد لكن صار الامر بالنسبة على العكس فسمي الجبرية لان عمدتهم ان العباد مجبورون على ما يصدر منهم لا قدرة لهم فيه ولا اختيار وهذا خلاف القرآن والسنة والاجماع والفقه واللغة والنظر الصحيح فقد صرح القرآن بان للانسان سعيا وقدرة واستطاعة وطاقة وتمكنا وارادة ومشيئة واختيارا وردّ على من ادعى الاجبار والتكذيب بغير حق ودعوى بغير علم وحرص حيث به عاد مثل كذب فقال تعالى في الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها وفي القدرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم وفي الطاقة وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين وفي التمكن ولقد مكناكم في الارض وفي الارادة من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وفي المشيئة اعلموا ما شئتم انه بما تعملون بصير وفي الاختيار واختار موسى قومه سبعين رجلا وفي الرضى رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف وقال في دعوى الابطال عن المشركين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وقال عنهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ولقد قص تعالى علينا طاعة الكفار للكفار وعجب منها بخبرهم به فقال قتل الانسان ما اكفره فما اصبرهم على النار وانكر تخلفهم عن الايمان وجعله من جهتهم لا من جهته عليه وقرعهم كما قالت الجن وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وقال عنهم لو اهدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الاخر وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وقال عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا اي لا مانع لهم من الايمان سوى انكارهم بعث رسول البشر وابلغ من ذلك ان جعل ما يصيب به عباده بتبيجة كسبهم موقوفا عليهم فقال عن قائل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وانكر على من تجاهل عن ذلك فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم وتظاهر هذا في القرآن كثير واما السنة فكثيرة فيكفي منها ما تضمنه الحديث الصحيح اللهم ان الخير كله بيديك والشر ليس اليك وانما ورد الفعل المجرد المبني والاحتراز منه والمعنى ان الخير بارادتك وفضلا عن غير سبب حتى عم العباد في اصلاب الاباء وارحام الامهات حيث لا حراك بهم ولا سعي لهم ولا علم حتى اذا صلحي التكليف بلغوا عن الاشد للقدرة وحصول الرشد للاختيار سعوا للموجبات الشر واسبابه فكان وقوعه منسوبا الى كسبهم كما قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وقال ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وتحقيق هذا قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والمعنى ان الله فطر العباد على السلامة من الكفر فاذا ولد احدهم تولاه ابواه فكسباه كفرا لم يكن من فطرة الله التي فطره الله عليها قالوا ولا برد على هذا ما ورد في القدر بان الله قضى بما سبق به علمه ما سيكون من عباده اذ لا تعارض بينهم وبين ما مكنهم فيه من القدرة والاختيار بعد ما فطرهم عليه من الكفر بين ما ابداهم به وما رضوه لانفسهم فكان ما ورد في ذكر قضائه وقدره والاعلام كالسلطان يجب الايمان بسابق علمه فيهم لا يسقط اعتبار افعال العباد بقدرتهم واختيارهم فان ذلك ينبغي تعلق الجزاء بها وهذا خلاف الاجماع فالحاصل ان في قول صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك للعلماء رحمهم الله تعالى ثم اقوال احدها ان معناه لا يتقرب به اليك قاله الخليل بن احمد والنظر بن شميل واسحق بن راهويه ويحيى بن معين وابو بكر بن خزيمة والازهري وغيرهم القول الثاني معناه والشر لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الطيب والعمل الصالح الثالث معناه والشر ليس بالنسبة اليك فانك خلقته بحكمة بالغة وانما هو بالنسبة الى المخلوق في الرابع ما حكاه الخطابي ان تقول فلان ابني فلان اذا كان عداده فيهم او صنيع الهم الخامس ما حكاه ابو حامد عن المزني وغيره معناه لا يضاف اليك على انفراده لا يقال يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ونحو هذا وان كان هو خالق كل شيء ورب كل شيء وحسنه بعض الشيوخ والعموم واعلم وقد ذكر انعقاد الاجماع غير واحد من السلف على ان العباد لهم قدرة واختيار ثابت في جميع الامم فقد اقرت كل امة برسولها خارقا يات لخوارق انما تعتبر بقدرة العباد فما امكن تعلق قدرتهم به اسند فعله اليهم وما لا يكن اسند فعله الى الله تعالى وتثبت به دعوى النبوة واما الاختيار فجميع الامم لا تنفك عن اسناد الفعل الى العباد ووصف الفاعل منهم بمقتضى فعله من المدح والذم فدعوى كون الطبع لا قدرة لهم ولا اختيار مخالف لما اتفقت عليه جميع الامم واما الفقه فلم يكن بين الفقهاء خلاف ان من اكره على شيء واجبر عليه لم يلزمه اثم ولا اقرار ولا عقد فعل معاوضة ولا ارادة الا فعل النفس لانه يقدر بها نفسه ومضمون قول من قال ابطال الاحكام الشرعية من الامر والنهي قال شيخ الاسلام ابن تيمية

قدس الله روحه وهذا الاصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمة الدين ومخالف لصريح المعقول
والمشاهد وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اسقاط الاسباب نظرا الى القدر فرد ذلك والزم القيام بالاسباب كما في الصحيح
عنه انه قال ما منكم من احد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب
فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد قال الامام احمد في مسنده ثنا ابو عبد الرحمن ثنا حيوة وابن لهيعة قالا انا ابو هاني
الخولاني انه سمع ابا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة
بن شريح ونافع بن يزيد ثلاثتهم عن ابي هاني به وزاد ابن وهب وكان عرشه على الماء ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وانما
قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور وهذه الاية العظيمة الكريمة من ادل دليل على القدرية نفاة
العلم السابق قبحهم الله تعالى وما جاؤا به من مضادة الله ورسوله فانهم بذلك كفار نعوذ بالله من الخذلان و
تسويل الشيطان قال ابن العربي في قول ادم لموسى عليهما السلام اتلومني على امر قد قدر علي قبل ان يخلقني ما سبق
من القضاء والقدر يرفع الملامة عن البشر ولكن معناه قد تاب علي وتبت منه والعاصي التائب لا يلام وهذا معنى قول الباجي
المالكي والاحاديث في هذا كثيرة كما ذكر بعضها في الباب وقد قال تعالى في السحاب فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل
الثمرات وقال فاحيا به الارض بعد موتها وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال بما كنتم تعملون بما
كنتم تكسبون ذلك بما قدمت يداك والقران مملوء من ترتيب احكامه الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الاسباب بطرق
متنوعة فياتي بباء السببية تارة وباللام تارة وباذ تارة وبكي تارة ويذكر صريح التعليل تارة كقوله ذلك
بانهم فعلوا كذا وكذا ويذكر الجزاء تارة كقوله وذلك جزاء الكافرين وهل نجازي الا الكفور ويذكر المقتضي للحكم والمانع
منه كقوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وعند منكري الاسباب والحكم لم يمنع الا محض مشيئته
ليس الا ذلك وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم وقال كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وقال كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وقال
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وبالجملة فالقران من اوله الى اخره مبطل
هذا المذهب ويرده كما يبطله الفطرة والعقول والحس اذا علمت ذلك واحكمت الفرق بين الجبرية والقدرية وان
الصراط المستقيم بينهما فالنورد ما ذكر الشيخ رحمه الله على ترجمة الباب حيث قال

باب ما جاء في منكري القدر الجبل المعروف في المدينة المنورة داخل في حدود حرمها لان حد الحرم من جهته

جبل خلفه مدور صغير يقال له ثور وهذا الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن انس رضي الله عنه لما بدا له
هذا جبل يحبنا ونحبه وفي رواية لاحمد والطبراني عن سويد بن سعد بسند صحيح قال لما بدا له في رجوعه من خيبر قال الله
اكبر جبل يحبنا ونحبه الا ان في سنده عقبة بن سويد ليس من رجال الصحيح وروي عنه مثل ذلك في رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك
والحج قال السهيلي رحمه الله في هذا المقام ما معناه انه قد كان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن واشتقاق هذا الجبل من الاحدية
وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم مشاكلة لمعناه اذ اهله نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد حتى استقر وبهاء القلوب وعلا
على جميع الاديان وحركات حروف اسم هذا الجبل كلها مرفوعة وذلك يشعر بارتفاع دين الاحد سبحانه جل وعلا وعلوه فتعلق
الحب من النبي صلى الله عليه وسلم به اسما ومسمى فخص من بين الجبال بان يكون في الجنة اذا نسفت الجبال نسفا وقد روى الزبير بن
بكار بسند مرفوع في فضل المدينة ان قبر هارون عليه السلام فيه وذكر انه من هذا الجبل على جانب او مشرف عليها
الصلاة والسلام فمات فقبر فيه ذكر الزبير معناه والله اعلم ورواه ابن شيبة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا
وعند الامام احمد مرفوعا احد جبل يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة ومن اخرج الحديث على ظاهره ايضا الحافظ ابن حجر والطحاوي
والمنذري وقد جاء انه طارق جبل الذي تجلى الله له رواه ابن شيبة عن انس بن مالك مرفوعا ورواه والطبراني وابو يعلى
حديث احد المتقدم [illegible] من وجه اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا اذا علمت هذا فقال ابن عمر رضي الله عنهما لكيلا يأتي لو
كان لاحدهم مثل احد [illegible] وذلك لتخلف الا ان
عن العمل الصالح ولعل هذا القول من ابن عمر رضي الله عنه فيمن يجحد العلم من القدرية كعمرو بن عبيد فانه قد قيل انه يجحد العلم وكذا
معبد الجهني روى هذا الكلام عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البخاري ومسلم وغيرهما في صحيحهما عند

ذلك بن عمر بحديث ابيه عمر رضي الله عنهما وهو حديث جبريل بان قال كما في البخاري حيث قال ابن عمر حدثني ابي الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الحديث بطوله وقع في مسند الا

قال بن عمر هذا جواب ليحيى بن يعمر كما قال البخاري ايضا حدثنا عبيد الله بن معاذ نا ابي نا كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال كان اول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن حاجين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر فقلت له يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون ان لا قدر وان الامر انف قال اذا لقيت اولئك فاخبرهم اني بريء منهم وهم برآء مني ثم ذكر قوله والذي يحلف به نفس عبد الله بن عمر بيده الحديث بنحو ما تقدم وقوله يتقفرون العلم بتقديم القاف على الفاء معناه يطلبونه ويتبعونه اثره والتقفر تتبع اثر الشيء قاله الخطابي وابن الاثير والسيوطي وغيرهم وقوله الامر انف معناه مستأنف لم يتقدم فيه شيء من قدر او مشيئة يقال كلام انف اذا كان وافيا لم يتقدم منه شيء اور وضة انف بعناه قال عمر بن ابي ربيعة

في روضة انف يتمنا رها ... مستأنف ابقه بعيد سما ك

وفي قول ابن عمر رضي الله عنه اذا لقيت اولئك فاخبرهم اني منهم برآء دلالة على ان الخلاف اذا وقع في اصول الدين وكان مما يتعلق بمعتقدات الايمان اوجب البراءة وليس كسائر ما يقع فيه الخلاف من اصول الاحكام وفروعها التي يوجبها العمل فانها لا توجب البراءة ولا توقع الوحشة بين المختلفين بخلاف ما يتعلق بمعتقدات الايمان قاله ابو سليمان الخطابي

وعند ابي داود في سننه وغيره بسند صحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل والجهاد ماض من وقت بعثني الله الى ان يقاتل آخر امتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار وقد قال الامام احمد نا عبد الرحمن يعني بن مهدي نا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن عمر بن الخطاب قال قال عمر يا رسول الله ارايت ما نعمل فيه اشيء قد فرغ او مبتدأ او مبتدع قال فيما قد فرغ فيه فاعمل يا بن الخطاب فان كلا ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة واما من كان من اهل الشقاوة فانه يعمل للشقاوة ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن بن مهدي به وقال حسن صحيح وهو كما قال ومعناه في الصحيحين عن علي رضي الله عنه وعند مسلم وابي داود عن جابر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله نعمل لامر قد فرغ منه او لامر نستأنفه فقال لا امر قد فرغ منه فقال سراقة ففيما العمل اذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عامل ميسر لعمله وروى معناه الامام احمد في مسنده بسند حسن عن ابي الدرداء رضي الله عنه مرفوعا وقال يزيد بن هارون نا سفين عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير كعب العدوي قال سئل علماؤنا عن شابان النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله نعمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او في شيء نستأنفه فقال لا فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل اذا قال اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له قالا نحمد ونعمل وقد مر الكلام على الايمان جملة بما فيه كفاية

وقد ثبت ان للايمان طعما لا يجد الا من آمن بالقدر ثم قال مستدلا على ذلك بعقله

ان الله جل وعلا لما خلق ابا القلم

هذا امر لا يسعه الا قلب المؤمن بالله وكتابه وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه وتمرة من عباده الذي هو احق الناس به في النصيحة

رواه ابو داود وهو المترجم به بعينه هذا اللفظ وصحح وفيه يا بني اتق الله واعلم انك لن تبلغ حقيقة التقوى بالله ويقن من بالقدر خيره وشره وقد قال الامام احمد نا الحسن بن سوار نا ليث عن معاوية بن ابي يحيى عن بن ابي زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني ابي قال دخلت على عبادة وهو من بعض اتجاعيل في الموت فقلت يا ابتاه اوصني واجتهد لي فقال اجلسوني فلما اجلسوه قال يا بني انك لن تطعم الايمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا ابتاه وكيف لي ان اعلم خير القدر وشره قال تعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيمة يا بني ان مت وليست على ذلك دخلت النار

ص رواه احمد وابن ابي شيبة عن حيي بن موسى البلخي عن ابي داود الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن ابي رباح عن
الوليد بن عبادة عن ابيه به وقال حسن صحيح

ابو محمد بحر احد الاعلام ولد في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين ومئة روى عن مالك والسفيانين وغيرهم قال
ابن عدي كان من جلة الناس وثقاتهم لا اعلم له حديثا منكرا اتفقه مالك والليث وقال ابن يونس جمع
بين الفقه والرواية والعبادة وله تصانيف كثيرة منها الجامع وكان مالك يكتب اليه الى عبد الله بن وهب فقيه مصر
قال احمد بن صالح ما رأيت اكثر حديثا من حديث من الحديث وفي على كتابه في احوال الفقهاء فرغ منها على
لم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ايام ولد سنة ثمان سبع وسبعين ومئة

وعند مسلم في صحيحه عن ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران حصين رضي الله
عنه ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت
الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقواها وقد سبق كلام الفاروق عمر رضي الله عنه لابي موسى ولعمرو بن العاص رضي الله عنهما
في الفصل الاول من كتاب التوحيد اول الكتاب فاغنى عن اعادته هنا وعند الدارقطني في السنة عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال جاء رجل الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقال ارأيت الزنا مقدر قال نعم قال فان الله قدره علي ثم يعذبني به قال
نعم يا بن اللخناء اما والله لو كان عندي انسان لامرته ان يجأ انفك وعند البزار عن زيد بن ارقم قال والله ما قالت
القدرية به كما قال الله تعالى ولا كما قالت الملائكة ولا كما قال الانبياء ولا كما قال اهل الجنة ولا كما قال اهل النار ولا كما قال
ابليس قال الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال
شعيب وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وقال اصحاب الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله وقال اصحاب النار ربنا غلبت علينا شقوتنا وقال ابليس رب بما اغويتني لاه

وروى الخطابي
في غريبه ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه انك في هذا البلاغة والفصاحة والرأي الفاضل كنت تأتي حجرا
فتعبده فقال له عمرو والله لقد كنت اجالس اقواما تزين حلومهم لجبال الرواسي ولكن ما هو لك في عقولكم كادها
لقهارية منها حالها قال ابو العباس احمد بن يحيى عن سلمة عن الفراء عن الكلبي

هو عبد الله اخو الضحاك بن فيروز الديلمي اليمني الذي قتل ابوه فيروز الاسود العنسي بصنعاء كان عبد الله هذا من
من كبار التابعين وممن ذكر في الصحابة رضي الله عنهم وقد اخبره بقتل راس الاسود العنسي للنبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة قبل موته وهو من الابناء اهل اليمن من الفرس الذين قدموا اليمن ابان ارياط

وقد روى هذا عبد الله بن الامام احمد في السنة بأبسط من هذا فقال حدثني ابي ثنا
اسحق بن سليمان الرازي سمعت ابا سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال وقع في نفسي شيء من هذا القدر
فاتيت ابي بن كعب فقلت يا ابا المنذر وقع في نفسي من هذا القدر حتى ايت ان يكون في هلاك ديني وامري فحدثني
ذلك بشيء لعل الله ينفعني به فقال لو ان الله عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت
رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو كان لك جبل احد او مثل جبل احد ذهبا انفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى
تؤمن بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وانك ان مت على غير هذا
دخلت النار ولا عليك ان تاتي عبد الله بن مسعود فسأله فاتيت عبد الله فسأله فقال مثل ذلك وكان ابو سنان يقص

الحديث قال ولا عليك ان تاتي اخي حذيفة بن اليماني فتساله فاتيت حذيفة فساله فقال لي مثل ذلك وقال ائت
زيد بن ثابت فاسأله فاتيت زيد بن ثابت فساله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عذب
اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم ولو كان لك مثل
احد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك
لم يكن ليصيبك وانك ان مت على غير هذا دخلت النار قال وحدثني ابي حدثنا انس بن عياض حدثني ابو حازم
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره
وقال ابو حازم لعن الله دينا انا اكبره يعني التكذيب بالقدر وذكر بسنده فيه ابوه عن وكيع عن سفيان
عن عمرو بن محمد بن زيد عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد وكذب
بالقدر فقد نقض التوحيد وروى بسند صحيح عن ابن عمر انه قال من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن
وعنده ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من زعم ان مع الله بارئا او قاصبا او رازقا او يحدث لنفسه ضرا او نفعا
او موتا او حياة او نشورا بعث الله يوم القيمة فارس لسانه واعمى بصره وجعل على يديه مسئولا وقطع به الاسباب
وكبه على وجهه في النار قال على هذا كانت وسلف الامة والايمان بالقدر على درجتين احدهما
الايمان بان الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وايجادهم ومن هو منهم
من اهل الجنة ومن اهل النار واعدادهم للثواب والعقاب جزاء لاعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم وانه كتب ذلك
عنده واحصاه وان اعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابته الدرجة الثانية ان الله تعالى خلق افعال
عباده كلها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان وساقها اليها فهذه الدرجة اثبتها اهل السنة والجماعة
وانكرها القدرية والدرجة الاولى اثبتها مع اهل السنة كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني
الذي اخذ عن ابن عمر رضي الله عنه عن مقالته وكعمرو بن عبيد وغيره فانهم قد قالوا انه يتجدد العلم وقد قال كثير من
السلف منهم الامام احمد كما قدمنا وعمن عبد العزيز بن ماطر والقدرية بالعلم فان اقروا به حصموا وان جحدوه
كفروا ويدعون ان من انكر العلم القديم السابق بافعال العباد وان الله قسمهم قبل خلقهم الى شقي وسعيد وعلى
ورشيد وكتب ذلك عنده وفوق العرش في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك وان اقر بذلك وانكر ان الله خلق
افعال العباد وسكناتها واراداتها كونية قدرية فقد حصموا لان ما اقروا به حجة عليهم فيما انكروه وفي تكفير
هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء وقد ذكرنا عن شيخ الاسلام فيما تقدم عدم تكفيرهم فيما اذا اقروا بالعلم واما من
انكر العلم القديم فقد نص سلف الامة والايمة كالشافعي واحمد وغيرهما من ائمة الاسلام على تكفيره وقال عبد الله
بن الامام احمد سمعت ابي وسأله علي بن الهيثم عمن قال بالقدر ايكون كافرا قال اذا جحد العلم اذا قال ان الله لم يكن عالما حتى
خلق علما فعلم فجحد علم الله تعالى فهو كافر قال عبد الله وحدثت عن حوثرة بن اشرس قال سمعت سلاما غير مرة
وهو يقول سلوهم عن العلم هل علم او لم يعلم فان قالوا علم فليس في ايديهم شيء وان قالوا لم يعلم فقد جلت دعواهم قال
حوثرة وحدثنا حماد بن سلمة عمن ابي جعفر الخطمي قال قيل لعمر بن عبد العزيز ان غيلان يقول في القدر كذا وكذا قال
عمر به فقال اخبرني عن العلم قال سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هي عامله والى ما هي صائرة فقال عمر بن عبد العزيز والذي
نفسي بيده لو قلت غير هذا عند الضربة عنقك اذهب الان فاجهد جهدك وفي رواية له عن ابي جعفر ابسط من هذه
تركتها اختصارا وفيها قال غيلان يعني لعمر واني اعاهد الله ان لا اتكلم في شيء ما كنت اتكلم به ابدا قال اذهب
فلما ولي قال عمر اللهم ان كان كاذبا فيما قال فاقدر له على الاسلام فما تكلم بشيء منه فلما كان يزيد بن عبد الملك احب
لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه قال فتكلم غيلان فلما ولي هشام ارسل اليه قال ليس قد عاهدت الله لعمر ان لا تتكلم في شيء
من هذا الامر ابدا قال اقلني عاهدك لا اعود قال لا اقالني الله ان اقتلك بقتل عمر فاخذ الكتاب قال نعم قال فاقرأ وقرأ الحمد
لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال قف على ما استعنته على امر يسير لا
تستطيع الا به اوعلى امر هو في يدك وبيدك اذهب فاقطع يديه ورجليه واصرعه واعنقه واصلبه قال
عبد الله حدثني سوار بن عبد الله ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون قال انا رأيت غيلان قد صلب بباب دمشق ثم
روى بسنده قال حدثنا عبد الله بن نمير القواريري حدثني الحكم بن عبد الرحمن بن العرجان الحماني عن ابن عون عن
ثابت البناني قال رأيت عمر بن عبيد وهو يحك المصحف فقلت ما تصنع فقال ثبت مكان حرف قال

وحدثني

وحدثني احمد بن ابراهيم الدورقي نا سعيد يعني بن عامر عن سلام يعني بن ابي مطيع قال كنت اعشي في جنازة وبين ايدينا
ثلاثة رهط كاموا مع عمرو بن عبيد في الاعتزال فتركوا ذلك فقارقهم قال فقال لي ايوب ما عيدها بالدلا يجمع
قلوبهم الى ما كانت عليه وروى باسناد صحيح عن ايوب قال ما عدت عمرو بن عبيد عاقلا قط والاثار في هذا كثيرة
بما عن حد الاحصاء وقبيح هذا المذهب يناد بفساده وقد حذر السلف عنه وعن مجالسة اهل البدع قال
ابو عبد الرحمن بن الامام احمد حدثني ابي نا مرحوم بن عبد العزيز العطار سمعت ابي وعمي يقولان سمعنا الحسن وهو يقول
عن مجالسة معبد الجهني يقول لا تجالسوه قال وقال خالد مضل قال مرحوم قال ابي ولا اعلم احدا تكلم في القدر
غير معبد ورجلين من الاساورة يقال له سيسويه قال وحدثني ابي حدثنا ابو سعيد يعني بن كلثوم عن ابيه قال قال
اصحاب علم بن يسار كان علم بن يسار يقعد الى هذه الساربة فقال ان معبدا يقول يقول النصارى ثم روى
بسنده عن الشعبي انه قال ارجي الامور الى الله ولا تكن مرجئا وامر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تكن حروريا واعلم ان الخير من الله ولا تكن قدريا قال وانبئت صلاح بن هاشم ولا تكن سبيعيا قال تاج الدين الفزاري
الشافعي المعروف بابن الفركاح زعمت المرجئة ان الله تعالى قبل كل شيء ولا يقال له شيء وان علم الله مخلوق وانما يفعل الله
افعال العبد اذا علمها انتهى فهذا اصل قولهم الذي تفرقوا عنه فانهم افترقوا فرقا ومن اتى الهام الشيعة كما قال
الفضيل بن عياض علمهم ان الايمان قول بلا عمل واول من تكلم في ذلك عمرو بن عبيد وروى عبد الله بن الامام احمد عن سلمة بن
كهيل قال وصف لي رجل الارجاء وهو اول من تكلم فيه ثم قال اني اخاف ان يتخذ هذا دينا فما انتهى الكيس من الاقاق
قال فسمعته يقول في هل امر عمر هذا وروى ايضا عن ابي الحاف قال قال سعيد بن جبير لزياد ما ارى كل
يوم تجدد دينا ثم روى عن ابي المختار قال سئل سعيد بن جبير عن ابي البختري الطائي فقال ما رأيت فسلت
عليه فلم يرد علي فقال ابو البختري لسعيد بن جبير فقال سعيد ان هذا يجدد كل يوم دينا لا واسه لا اكلمه ابدا وفي رواية
له ايضا قال اتى رجل الهدابي سعيد بن جبير في حاجة فقال سعيد لا حتى تخبرني على اي دين انت اليوم عليه
الا ستحي من دينك اكرمك ثم روى عن الحسن بن عبيد الله قال سمعت ابراهيم يقول لدرويك ما ذا رضا هذا الذي
جئت به قال ورما هو الا راي رايته قال الحسن ثم سمعت درويك يقول ان دين الله الذي بعث به نوحا عليه السلام ثم
روى بسند فيه مجهول عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صنفان من هذه الامة ليس لهم في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية
ورواه المرعشي في جامعه بسند حسن ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ايضا البخاري في تاريخه عن ابن عباس بهذا
اللفظ وابن ماجه عنه وعن جابر رضي الله عنهما والخطيب عن ابن عمر والطبراني في الاوسط عن الحسن بن علي رضي الله عنهم وعن الامام احمد و
ابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ورفعا القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم قال
الخطابي انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور
والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله عز وجل والشر الى غيره وهم تعالى خالق الخير و
الشر جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته وارادته قال البيهقي وقد يحتج كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما
قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن قديم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكساب العبد
واعماله وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها وقد مر التنبيه على مذهب الحبشة في اصل هذا الشرح
وعند ابي داود ايضا عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر
من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم الدجال وعند
مسلم في صحيحه المرفوع منه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما سرى بي عرجوا بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء صنف
في القدر فنزلت هذه الآية يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وفيه
عنه ايضا رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه فكانما
فقئ في وجنتيه حب الرمان فقال افبهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في
هذا الامر عزمت عليكم ان لا تنازعوا فيه ورواه غيره بمعناه وفي هذا كفاية لمن رزق الهداية ومن يضلل الله فما له
من هاد فنسأله ان يهدينا لطريقه الصراط المستقيم انه جواد كريم

باب الاستوى

باب الصحابة رضي الله عنهم الذين يدعى لهم خلق الله تعالى الدوري خادم رسول الله

صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... ان لا احد اظلم منه
فان كان لا بد ففي ذلك صادقا او مشابها بما خلقه تعالى ... من خلقه تعالى ... او ليكونوا ما دها من اعضائها فيها
ما لا روح فيه ... فتحد اسجاد المصورين اولا عافي الروح من اصغر خلقه ثم بما لا
روح فيه من صافي صغير ثم النبات ثم بالاصغا في خلقه ثم به كالشعر واقتصر في تحديهم على حي واحد وذرة
واحدة وهكذا تحدى من دعا من دونه الهة اخرى في عجز الهتهم حيث قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره
وفي الحديث دليل على تحريم التصوير على ما يشبه خلق الله تعالى فاما ما كان فيه روح فظاهر من عموم هذا الحديث و
اما ما لا روح فيه ففيه خلاف لابن عباس وغيره وفهم هذا الحديث القديمي العربي فيما يشبه خلق الله ...
في الصحيحين ... فيها من ... ام المؤمنين
ان من اشدهم عذابا يوم القيامة المراد بالقيامة هنا ما بعد البعث الى ما لا نهاية له وقبل بعد الموت من عذاب القبر كم
بعد البعث الى ما لا نهاية له لان من مات فقد قامت قيامته وقيل بعد البعث الى ان ينقض الموقف والله اعلم فالغية
مصدر قام يقوم دخل التاء فيه للمبالغة على عادة العرب وهي عبارة عن الانتصاب عن الجلوس او الاضطجاع
قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد ينسب الفعل اليها فيقال قامت الغية قائمة تجد اعمى شكوفها ونحو ما
اخلع الساعة قائمة وذلك على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرها مما يكون منه الفعل تقول لهم
ليلنا نائم ونهارنا صائم فسميت باسم ما فيها كانه زمان كمي باسم فعلا وفيها فان وجدت وقامت فيه ...
اي يشابهون ... خلق الله من ذوات الارواح على قول ابن عباس وفي القول الاخر
ان التحريم عام وسبب هذا الحديث ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر
وقد سترت بقراما لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هتكه وقال فذكر الحديث المتقدم
قالت فجعلناه وسادة او وسادتين وفي هذا دليل ان ذلك اذا استمر له بالوطي او الامتهان زال المحذور وكذا اذا
قطع منه ما يزول مع قطعه الحياة ولها ايضا في صحيحهما عن ترجمان القرآن عبد الله بن عم النبي صلى الله عليه وسلم
... عبد المطلب رضي الله عنهما قال سمعت ... صلى الله عليه وسلم ... بكسر الواو الذي
يصنع التماثيل او مكان او مستقر في المار ... فيها ... في الدنيا ... حقيقة او كما يصور
هو ... فقوله يكلف كل مصور صورها هذا يعم جميع ما يصور اذ كل هنا هو الكلي المجموع من جميع الصور
وهو بمنزلة الجنس من كل ما صور سواء كان مما يشبه ذوات الارواح ام لا ولكن قوله في الخبر الصحيح
من جنس العمل وان ذلك خاص بما صور عليه الله نفس من مخلوقات الله تعالى يدل على الحديث الاتي وله اولة خاصة
عن الباب يطول الكلام بذكرها وهذا الحديث يفيد دوام العذاب فيجعل ان يستحق ذلك اذا فعله للتعبد او
مستحلا او كافرا او ان المعنى يعذب بها في جهنم مدة لبثه فيها ... ايضا في صحيحهما عنه اي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ... الى النبي صلى الله عليه وسلم ... صور ... يكلف يوم القيمة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ
وهذا وعيد شديد في تكليف ما لا طاقة له به جزاء وفاقا على ما صنع حيث تلبس في الدنيا بما لا يستطيع صنعه
فكيف حال هذا المكلف بهذا التكليف مع ما هو فيه من العذاب على تحصيل ذلك المحال عليه نسأل الله العفو
والعافية مما يوجب الخزي والوبال في الدنيا والاخرة ... في صحيحه ... حيان بن حصين
الاسدي الكوفي الثقة ... قال علي بن ابي طالب ... ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من اسلم من
الصبيان وهو احد العشرة رضي الله عنه مات في رمضان سنة اربعين وهو يومئذ افضل الاحياء من بني
ادم باجماع اهل السنة والجماعة وله ثلاث وستون سنة على ارجح الاقوال في مدة عمره رضي الله عنه روى
ابن ابي الدنيا بسنده الى عبد الواحد بن ابي عمرو الاسدي ان معاوية ... قال لرجل من كنانة سماه عبد ابن
ابي الدنيا صر ان اصف لي عليا قال لا اعفني قال ما اذا لابد فاه كان والله بعيد المدى شديد القوى
يقول فصلا ويحكم عدلا ينفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويأنس من الليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر
ومن الطعام ما خشن كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدينا اذا ابتدأناه ويلبينا اذا دعوناه ونحن و
الله

واسوء تقريبه لنا وقربه منا لا انكله هيبة ولا ابتدئ بتعظيمنا فان تسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم اهل الدين ويجب
الملك لكن لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رايته في بعض مواقفه وقد اخذ الليل
سرباله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكاني الان اسمع
وهو يقول يا دنيا يا دنيا الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد بتتك فلا رجعة لي فيك
فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فبكا معاوية رضي الله عنه و
بكا القوم ثم قال رحم الله اباك لقد كان كذلك فكيف حزنك عليه قال حزن من ذبح ولدها فلا ترقا عبرتها ولا تسكن
من حجرها فلا عبرتها ترقا ولا حزنها يسكن قال وحدثني يوسف بن موسى الحربي عن وكيع قال لما جاء معاوية
رضي الله عنه نعي علي رضي الله عنه وهو قايل مع امراته بنت قرظة في يوم صايف قال انا لله وانا اليه راجعون ماذا
فقد من العلم والخير والفضل والفقه قالت امراته بالامس تطعن في عينيه وتسترجع اليوم عليه قال ويلك لاندرين
ما فقدوا من علمه وفضله وسوابقه ومن قضايا له بعد صلى الله عليه وسلم بسراة مع ابي بكر الصديق رضي الله عنهم عودا
عنه وصح في الصحيح عن صلى الله عليه وسلم انه قال استخلفني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وبعد صلى الله عليه وسلم الى
اليمن فوصل الى نجران ووافاه بمكة في حجة الوداع واشركه في هديه وهذا قال ابو الهياج المذكور

وفي بعض النسخ تمثالا بدل صلبة الطمس مسح الشيء
او اذهابه بالكلية قال ابن هشام حدثني بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فراى
فيه صور الملايكة وغيرهم ورأى ابراهيم عليه السلام مصورا في يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا
يستقسم بالازلام ما شان ابراهيم والازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
ثم امر بتلك الصور فطمست وروي بفتح الراء مع التشديد وبكسرها مع التخفيف عن نشر بفتح
العين وكسر الشين المشددة ورواه ابو نعيم مسطح بفتح عبد الله بن وهب صاحب الجامع قال ابو داود وهب حدثني عمرو بن الحارث عن بكير
بن الاشج عن كريب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت وجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم
فقال اما لهم قد سمعوا ان الملايكة لا تدخل بيتا فيه صورة وهذا ابراهيم مصورا فما له يستقسم قال وهو غريب من
حديث بكير وعمرو تفرد به وهب قلت وابن وهب ثقة فلا يضره تفرده به وقد اخرجه البخاري بهذا اللفظ في صحيح
عن ابن عباس بهذا السند حيث قال حدثني يحيى بن سليمان قال حدثني ابن وهب فذكره مثله وسنده ثم رواه من طريق عكرمة
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى امر بها فمحيت ورأى ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام بايديهما الازلام فقال قاتلهم الله والله ان استقسما بالازلام قط وروي بفتح الراء مع التشديد
وبكسرها مع التخفيف عن نشر بفتح الراء مع التشديد او عن اشراف على التخفيف بحيث تجعل على الوجه
المرضي لله ورسوله وهو المشروع من تسنيمه كما هو مذهب الجمهور او تسطيحه كما هو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه حيث
لا يخرج به عن الامر المجاز في الشريعة المحمدية والملة الابراهيمية الى الملة الجاهلية من تعظيم القبور بالبناء عليها كما تفعل
النصارى وقد لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد روى هذا الحديث ايضا عن ابي الهياج مرفوعا الامام احمد و
ابو داود وغيرهما وقال القاضي في الخلاف هذا قول على القبور التي عليها البناء والجص ونحوه قال العلماء
ويكره رفعها بالتسنيم فوق شبر وصرح الاصحاب ان الشبر مسنون قال البخاري في صحيحه وقال خارجة بن يزيد رايتني
وانا شبان في زمن عثمان رضي الله عنه ونحن اشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه وبوب على ذلك
المهلب عنه تعليما بالحجة كما علم صلى الله عليه وسلم ابا قرعة عثمان بن مظعون رضي الله عنه كما صح في الصحيحين وغيرهما عنهم
ومن افتى بكسر الاعلام يهدم الناس اليوم بالنصايب فقد اخطا خطاء فاحشا اذ ليس لنا في ذلك مستند الا فعل
السنة وهي اعلام لاهل الميت عليهم وبعدهم لهامة المسلمين عليها كي تصان ولا تهان وتعرف بانها مقابر فيسلم عليها
ويدعى لاهلها بما شرع لهم من ذلك وقال القرطبي على شرح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم و
لا قبرا مشرفا الا سويته ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وان لا تكون لاطئة بالارض وقد قال به بعض اهل
العلم وذهبوا الى ان هذا الاتفاق المامور به انما هو التسنيم ولا ما يعرف به القبر وانما هو الارتفاع
الكثير الذي كانت الجاهلية تفعله فانها كانت تعلي عليها وتبني فوقها تفخيما لها وتعظيما واما تسنيم فذلك
صفة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر على ما ذكر في الموطا وتسنيمها اشار اكثر العلماء انه مختص

ورفي صحيح البخاري عن سفيان التمار اني رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما زاد ابو نعيم في مسجده وقبر ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما كذلك ورواه ابن سعد عنه بلفظ رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر مسنمة وهكذا رواه يحيى بن البخار عن
عبد الله بن الحسين المدني قال رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما في زمن الوليد بن هشام وسفيان التمار المذكور
في رواية البخاري عنه ذكروا ولادته في زمن معاوية رضي الله عنه وقال الحاكم وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه عن
القاسم بن محمد قال دخلت على عائشة فقلت يا ام المؤمنين اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فكشفت
لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء وهو عند ابي داود بهذا اللفظ وفي اسناده عمر
بن عثمان بن هاني لم يخرجاه في الصحيحين شيئا وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
ان يقعد على القبر وان يقصص او يبنى عليه ورواه الامام احمد وابو داود والنسائي وفي لفظ ابدل وان يقصص وان
يجصص وهما بمعنى وعند مسلم في صحيحه من رواية هارون بن سعيد الايلي ان ثمامة بن شفي وهو ابو علي —
الهمداني حدثه قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم فتوفي صاحب لنا فامر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وقد كره العلماء رحمهم الله تعالى الزيادة على تراب القبر من غير الان يحتاج
اليه وهذا مع نهيه صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور وتقصيصها وتصويرها كما تقدم موذن بتحريم تعظيمها فان اصل
حدوث الشرك ما شاء من تعظيم القبور وتصويرها وجعلها انما نيل حتى حال عليها الامد فعبدت من دون
الله تعالى نسأل الله الحماية وبالله الهادي الموفق لا رب سواه ولا نعبد الا اياه

الحادي والستون باب

باب تعالى

بان تطلق بها ولا تبذلوها لكل امر وقيل بان تبروها ما استطعتم ولم يعقبها حنثا وقيل بان تكفروها اذا حنثتم
والا تحتمل ذلك كله اذ هذا كله من حفظها

اي مثل ذلك البيان

اي اعلام شرايعه

نعمة التعليم او نعمة الوحي شكرها فان مثل هذا البيان يسهل لكم الخروج منه

وفي لفظ لمسلم اليمين قال الزركشي على البخاري وهي اوضح وفي رواية للامام احمد اليمين
الكاذبة وهي اصرح

الانفاق عند الكساد يقال انفق السلعة ونفقها جعلها نافقة وفي الحديث الاخر
والمنفق بالتشديد اي المروج سلعتي بالحلف الكاذب اي الفاجر والسلعة المتاع وكل مبيع سلعة قاله الجوهري و
غيره وفي لفظ عندهما في الصحيحين وابي داود وابن ماجة محقة للبركة والمحق الاذهاب وحكى
عياض ضم اول محقة مع كسر الحاء اسم فاعل وقال الزركشي لكن الرواية الفتح لا والله وبلى والله

واسند الفعل الى الحلف اسنادا مجازيا لانه سبب لرواج السلعة ونفاقها وانث محقة اما لتاويل الحلف بالية او
ان الهاء للمبالغة وهذا كقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات فهذه الزيادة تدل على حصلت في ثمن السلعة بالحلف
محقة لبركتها ادخلتم كان الربا وان كثر فعاقبته الى قل فكما كان صاحب السلعة يزيد بحلفه الكاذب في ثمنها
زيادة كاذبة يذهب وقد يحصل ذلك بعينها عوقب بنقيض قصده من محق الكسب في صحيح مسلم عن ابي
قتادة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم وكثرة الحلف في البيع فانه ينفق ثم يمحق وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لاخذها
بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان اعطاه منها وفى وان لم يعطه منها لم يف
وروى ابو داود هذا الوجه الامام احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي وقال صحيح وعند الشيخين
ايضا من طريق الاعمش عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم رجل حلف على
سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم
ورجل منع فضل ماء فيقول الله اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك فصاحب هذا
اليمين يراعي غبطة بقه وهضم صاحبه وغشه بالبيه هذا من باب المخادعة لاخيه المسلم وهي من
صفات ابليس واتباعه من بني ادم وهذا خلاف قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما
يحب لنفسه وقال من غشنا فليس منا فلا مؤمن يعمي الانسان مع التعمد بطرح ما هو النفس في جميع
الاقوال والافعال من جميع اهل الدنيا لا يخرج عما شرع على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه في
الصحيحين وعن ابي الغادية الغفاري كان من اسمائها قبل الاسلام فلما اسلم قال الله سماه المحسن فلم يزل يستقل من النصرانية

الى الملة

م الى الملة الحنيفية الابراهيمية حتى وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تولاه الروم كتاب واعانه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بتسرع
حصل بذلك معجزة ان له صلى الله عليه وسلم فوق الذهب وجعل الودي الذي عرس بيده صلى الله عليه وسلم موفيا ذلك حتى قال
بعده لك صلى الله عليه وسلم وحتى سلمان منا اهل البيت وفضائله جمة لا تحصى فيقال له سلمان الخير واصله من اصبهان
وقيل من رام هرمز شهد الخندق وبعد ما خرج من الرق وما بعدها وفاته ست اربع وثلاثين ويقال بلغ مائتين وقيل مائتي سنة
الى النبي صلى الله عليه وسلم اي قال ولفظ الطبراني لا ينظر الله اليهم يوم القيامة اي
استهانة بهم وغضبا عليهم بما تهكموا من حرمها وخالفوا من اوامره لكونهم لم يروا احكامه جارية وقالوا ان
البر من جنس العمل ولهم حتى يعرفوا به ما جهلوا من عظمته جل وعلا وما اجترحوا من حرمته
السمط الشيب قيل هو فقير ذو عيال ولا يقدر على تحصيل مؤنتهم ولا يطلب من بيت المال المنكر فهو
اثم لايصال الضرر الى عيال بترك الطلب وقيل الراجع منه ذلك والمعنى ان كبرة مع فقره سبب الكبر وهو المال و
الجاه من حسب او منصب يدل على كونه مطبوعا على الكبر قد استحكم فيه وفي الاثر ان الكبر باي الرجل على العباة قال
الخطابي عن ابي عمرو عن ابي العباس ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال هو من عال يعول فهو عائل بمعنى كثر
عياله فصيح سمعت من العرب قال واما عامة اهل اللغة فانهم يجعلون الاعالة بمعنى كثرة العيال قالوا العائل
الرجل اذا كثر عياله وهو معتل وعال يعيل اذا افتقر كقول ابن الخراج

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

فالكبر قبيح وهو من الفقير العايل اقبح قال ابو الدرداء حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال كان الاحنف بن قيس يجلس
مع مصعب بن الزبير على سرير فجاء يعلو مصعبا درجة فلم يقبضها فقعد الاحنف وكان سيد بني تميم في
زمانه فرحم بعض الرحم فرد ذلك فيه فقال الاحنف عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ويقال عال يعول ايضا
اذا جار في الحكم قال الشاعر موازين عدل كلها غير عايل وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته
النار وفي رواية قذفته في النار نعوذ بالله من اليم عذابه وفظيع عقابه اي يخاف الناس
في بيعه وشرائه بالايمان الكاذبة ليكتسب بها فهو الا شيئا وهذا لا
يكون الا من ضعف الايمان واليقين وقوة الجهل بعظمة الله تعالى وكبريائه جل وعلا وذلك قدح في التوحيد وسوء ادب
مع العبيد فحقيق بالمسلم ان يتحاشى من الاستعانة باليمين حتى في الحق وان يتحقق قدر المقسم به تبارك وتعالى و
يعلم ان الاعراض الدنيوية احقر من ان يقرع فيها الى الحلف بالله تعالى فانه اذا قال والله انه لكذا فقد برء ان ذلك
حق كان وجود الله المحلوف به حق وهذا الكلام يتحاشاه من في قلبه قدر حبة خردل من تعظيم الله سبحانه قال تعالى ان
الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم رواه البيهقي في شعب
الايمان وقال الهيثمي بعد ما عزاه للطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح وعند الطبراني في الكبير عن سمرة
بن مالك رضي الله عنه مرفوعا قال الله لا ينظر الله اليهم عند شيخ زان ورجل يتخذ الايمان بضاعة يحلف في كل حق وباطل
وفقير مختال حسبه هو للبخاري

هكذا في خط الشيخ بيد صرامتي وهو في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند مسلم وفي بعض نسخ التوحيد بغير
خط الشيخ خير القرون اي عصري من الاقران في الامر الذي يجمعهم يعني اصحابي ومن رآني او من كان حيا في عهدي
ثم بعدهم قرن الانسان جيله الذي هو فيه وهو كل طبقة مقترنة في وقت بسمى قرنا لا يقرن امة
بامة وعالما بعالم مصدر قرنت جعل اسما للوقت او لاهله ومن هذا تقول كعب بن مالك رضي الله عنه يمدح الانصار

اذا مر قرن كفانسله ويورثه بعده آخرينا

وفي مقدار هذا القرن اقوال قيل ثمانون وقيل سبعون قال الزجاج الذي عندي ان القرن كل مدة كان فيها بين اق
طبقة من اهل العلم سواء قلت السنون او كثرت وقيل ان مدة وفاة صلى الله عليه وسلم من البعثة ستون او عشرون
سنة وقال الزمخشري القرن الامة من الناس سميت قرنا لتقدمها على الامة التي بعدها
اي يقرنون بهم وهم النابغة قال بعض العلماء وهم من نحو مائة الى تسعين اتباع
ان بعثة وهم الى حدود العشرين ومائتين ثم ظهرت البدع بحيث فشت وفاحذر اهلها واطلقت المعتزلة

السنة او رفعت الفلاسفة رؤسها وامحى اهل العلم بحلوان وعظم البلاء ولم يزل الامر يخرج نقص الى الان وهذا
من معجزات رسوله صلى الله عليه وسلم قد اتفق
الشيخان على ثلاثة القرون في حديث عمران من غير هذا الوجه وكذا عند الترمذي والحاكم عنه ولفظها خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يسمنون ويحبون السمن وفي لفظ السمانة يعطون الشهادة قبل
ان يسألوها اي بعد الثلاثة هذا اصح ما في الخبر ش
الشهود من شهد قبل ان يستشهد وهذا الذم لا حق لمن عنده شهادة يعلم بها صاحب الحق فيشهد بها قبل طلبها
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا يعجبكم من الرجل طنطنته ولكن من ادى الامانة وكف عن اعراض الناس فهو
الرجل رواه ابن المبارك والبيهقي وعند عبد الرزاق وابن ابي شيبة وسنة والحرائطي في مكارم الاخلاق والبيهقي
عنه ايضا رضي الله عنه قال لا يغرنك صلاة رجل ولا صيامه من شاء صام ومن شاء صلى ولكن لا دين لمن لا امانة
له وعنه ايضا رضي الله عنه قال لا تنظروا الى صلاة احد ولا الى صيامه ولكن انظروا الى من اذا حدث صدق واذا ائتمن
ادى واذا استغنى ورع رواه مالك في الموطا وابن المبارك وعبد الرزاق وحمد وسنة والبيهقي وامام عند شهادة
لا يعلمها صاحبه فيريد ان يقيم بها لانها بمنزلة الحق الواجب قبل طلبها فذاك خير الشهود لاداية الامانة
بضم الدال المعجمة وكسرها البدو وثم وقد جمع ش بعض هذا كتاب العين الخوفين بالنذر وعدم الوفاء بهم ترك
المحمود وخرج الذم بقوله
يعني انهم يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي اسباب السمن او يتعاطون التسمن
او ينكرون بما ليس فيهم ويدعون بما ليس لهم من الشرف وظاهر الخبر ان صحبي صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عليهم افضل من
جميع من جاء بعدهم وعاد الكثير من اهل العلم لكن ذهب جمع منهم ابن عبد البر انه يمكن ان يكون فيمن بعدهم افضل من بعضهم
للخبر احسن بل قيل الصحبي مثل امتي مثل المطر الذي لا يدرى اخره خير ام اوله رواه الترمذي عن انس وابن حبان عن عمار بن
ياسر وابو يعلى الموصلي من رواية يوسف الصفار عن ثابت عن انس مرفوعا قال النووي ويوسف ضعيف باتفاق
المحدثين كثير الوهم منكر الحديث ورواه البزار عن عمران بن حصين بسند حسن وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد احسن
من هذا ورواه ايضا الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنه واقل احواله ان يكون حسنا كما قال ابن عبد البر واما النووي
فضعفه وبعد القطع بافضلية اخر امتي جلف لم يحصل له الاجر الوفير ويخالط علماء الصحابة رضي الله عنهم على مثل
الاية الاربعة والسفيانين والبخاري ومسلم واضرابهم قال ابن حجر والذي يظهر ان من قاتل مع النبي صلى الله
عليه وسلم او في زمنه بادر او انفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله في الفضل احد بعده كائنا من كان وامامن لم يقع له ذلك
فهو محل البحث ومن وقف على سر القرآن الاول علم ان تفاوتهم لا يحيق قال الحبر البصري المجمع على جلالته وامامن
لقد ادركنا اقواما يعني الصحابة رضي الله عنهم اهل القرن الاول كنا في حبهم لصوصا وقال ادركنا الناس وهم بنا ما
هم بنسائهم على ساق واحدة عشرين سنة يكون حتى تنقل الوسادة من دفوفهم لا يشتهون ما هم بذلك وقال ذهبت
المعارف وبقيت ومن بقي اليوم من المسلمين فهو معدوم وكان ينشد كثيرا

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الاحياء

وقال الربيع بن خيثم لعن الله اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لعنا الا ان من مقوت بيوم تحاسبهم حير القرد ومعلمي
من فضيلة ورفعة منزلة الا واصحاب رسول الله احق بها اسبق وبها احق وفي قوله لا تدانى ولا تلحق واما من طعن ان
ذلك لسوء حظ الزمان فقد اخطأ فانما سبقوا في الفضائل حيث سبقوا ولا ترى ان زمانهم آخر الازمنة وهو خيرها فليس
للزمان في ذلك حظ والذي جاء بعدهم اخطأ فنهما فاتهم من مرتبتهم وكذلك الذي يضعف حتى يذهب ويحول حتى
يبعد وعلم من ذلك ان كل قول احدث بعد القرون المفضلة مخالفا لهم عليه غير معتبر لان صاحبه ليس له منهم
سلف واذا استدرج خارج يذكر عن السلف الذين هم على الصراط المستقيم بنص اصدق القائلين محمد سيد المرسلين
عليه الصلاة والسلام الى يوم الدين

قوم وفي لفظ اقوام جمع قوم

في حالة واحدة لا دور قال البيضاوي والكرماني هم قوم حراص على الشهادة مشغوفون بتزويجها يحلفون
على ما يشهدون بتاء ويحلفون قبل ان يشهدوا تارة وفي مثل هذا قالت الحكماء العاقل اذا تكلم اتبع كلامه ندما
والاحمق اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وعلامة الكاذب جودة يمينه كما قال الشاعر

وفي

وفي اليمين على ما مات واعده ... ما دل لك في المعاد منهم

واجتنب بهذا ما ترى كثيرا من حلف معها والجمهور على خلاف ذلك والحديث يقتضي ان كلا من الوفين للذاهب افضل مما بعده لكن هل الافضلية بالنظر للافراد او المجموع فيه خلاف كما تقدم اخرج هذا الحديث احمد وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة في الاحكام وقال فيه السيوطي طريقه ان يكون الحديث يعني الوارد في التفضيل متواترا

ويروى معنى ذلك عن جابر رضي الله عنه فينبغي ان يلزم الانسان صبيانه بالفطرة وان يحرص اشد الحرص على كل ما يغيرهم من الالفاظ القبيحة كما يحرص على تمرينهم على اصلاح دينهم لان كل قبيل وكل امر جار على ما تعود اولا وقد قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى المنزاع من المعصية وهو ان يكون محذور الوقوع في الشر فمن رأى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريقه ويمنعه وكذلك عليه ان يمنعه من الزنا انتهى وقال المرودي لاحمد في الطنبور الصغير يكون مع الصبي قال يكسره وقال اذا كان فكسوفا فاكسره وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على حديث ابن عمر رضي الله عنه في سماع زمارة الراعي قال اعلم ان الرقيق كان بالغا ولعله كان صغيرا دون البلوغ والصبيان يرخص لهم من اللعب ما لا يرخص فيه لكبار

الباب الثاني والستون

في قواعد علم الباب

العهد الامان واليمين والذمة والحفاظ ورعاية الحرمة ومنه الحديث حسن العهد من الايمان يريد الحفاظ ورعاية الحرمة قال تميم بن مقبل يمدح بني العجلان

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقال الحطيئة في العهد يمدح بني سعد نميم

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ... وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

ومن ذلك الرعاية والتي لها الوصية وقد عهد اليه اوصاه قال الجوهري ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة بكتبه مولية وقوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قال ابن الجوزي اي قلتم حين حلفتم الله كفيلا ان افعل لان الناس كثيرا ما يحلفون بالله تعالى على هذا السبيل وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من حلف على شيء من المعاصي ليكثرها الله تعالى او على شيء يكون الخيرة والصلاح له في خلافه استحب الحالف ان لا يفعل ما حلف عليه بل يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه قال الزجاج امرهم الله تعالى في هذه الآية بان يوفوا بايمانهم اذا كانوا حلفوا على امر كان مرضيا قوي ان الآية نزلت في معاهدتهم ان يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجاهدة المشركين ولا يخذلوه وان كان حكمها عاما فيما يضاهي ذلك وقيل معنى قوله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي بالثواب والجنة عند الوفاء بالعهد فقد بين يا ايها الذين هادوا عاهدوا الله بعاهدتهم رسوله وبيعتهم له وحلفوا له بالله تعالى لينصرنه لا تنقضوا عهدكم ولا تحنثوا في ايمانكم الموكدة بذكر الله تعالى وحاكم في هذه المعاهدة والايمان بن جعلتم الله عليكم كفيلا اي تكفل الله لكم بالجنة اذا وفيتم فيكون الخطاب للانصار وحكمه عام في جميع الناس فقد تبين لك ان العهد عين الوعد وان يكون بمعنى اليمين والامان والذمة والحفاظ والرعاية والوصية وعد ذلك في حديث سيد الاستغفار وانا على عهدك ووعدك ما استطعت فقارن بينهما والمعنى انا مقيم على ما عاهدتك عليه من الايمان بك والاقرار بوجدانيتك قال ابن الجوزي قال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به الذي يحمد فعله والوعد من العهد وقال في قوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد عام فيما بينه وبين ربه وبين الناس ثم قال الوفاء كلما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد قال شيخ الاسلام ابن تيمية العهود والعقود متقاربة المعنى او متفقة فاذا قال اعاهد الله او اعقد لله او حج العام فهو نذر وعهد وعقد وان قال لا افعل كذا فهو يمين وعهد لا نذر فالايمان ان تضمنت معنى النذر وهو ان يلتزم لله قربة لزم له قربة لان من الوفاء بما عاهد عليه لانه التزم لله ما يطلبه منه وان تضمنت معنى العقود التي بين الناس وهو ان يلتزم لهم ما يحبونه وهي عقد وعهد ومعاهدة فهو لازم لله فقا عليه فعاقدة ومعاهدة يلزم الوفاء بها ان كان العقد لازما لم يجز نقضه كالعقد من المتعاقدين للاخر بما اتفقا عليه والا فلا يلزم الوفاء بها لان الآخر والا كفارة في ذلك لعطفه ونقل عبد الله ابن الامام احمد عن ابيه قال الله اوجب بالعقود والعهود وذكر عمه ابو طالب العهد شديد في عشرة مواضع من كتاب الله وقالوا في قوله ولا تنقضوا الايمان انه يدخل العهود

عن عمر رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الصدقة وتعفف عن المسألة فقال اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي السائلة فقال يا رسول الله اقبل الله عز وجل فقال من كان عنده اوقية او عدلها فقد سأل الحافا قال فقلت ناقتي الياقوتة خير من اوقية فرجعت ولم اعطه شيئا ثم قال يا عمر اقبل فاني لا اقبل شيئا ترك لله عز وجل

والمواثيق قالوا هي كقوله واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا بالعقود قالوا والعهد يجب الوفاء به اجماعا حكاه الموفق وغيره ومع اليمين اولى قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومن جنس العهد والعقد لفظ الذمة وقولهم هذا في ذمة فلان اصله من هذا اي فيما لزمه بعهده وعقده وعند الامام احمد وابن حبان بسند صحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له قال ابو الوفاء في الفنون الذمم هي العهود والامانات وفي الواضح ومنه اهل الذمة وذمة فلان

ثم قفل يسير — مصغرا هو ابو سهل السلمي صحابي

قال ابو السعادات السرية قطعة من الجيش يبلغ اقصاها اربع مئة يبعث الى العدو وجمعها سرايا سموا بذلك لانهم خلاصة النفس وخيارهم من السري وهو النفيس يقفون سرا وخفية وقيل لانها تسري بالليل فعيلة بمعنى فاعله وعند الترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف قال ابن القطان هذا الحديث يروى مسندا ومرسلا ومعضلا ولكن ليس هذا بعلة والاقرب صحته وذكر الترمذي ما يحسنه لانه غريب

اي الامير — خاصة الرجل الذي يختص بخدمته وصحبته فهم اولى بان يوصى فيهم

فان التقوى هو ايجاد الوقاية بالعبادة وهي التوحيد بالقلب وافراد الله تعالى بالقصد والاستسلام للحكم والاعتراف بالنبوة وقال بعضهم الوقاية هي التحرز عن الحصول في الجند في اداء الطاعات ومقابلة الواجبات بالخشوع و الاستكانة والتجافي عن منازل الكسل والاستهانة وكذا

بان يستوصي بهم

ارشدهم بهذا الى الاستعانة بالله تعالى وقد تكون الباء هنا للمصاحبة ولهذا قال

في جميع الاعمال والاقوال وبهذا وصف الله المؤمنين فقال الذين اذا قاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص

موافقة لامر ربهم ورسله في مخاطبته للمؤمنين بقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين اوصاهم صلى الله عليه وسلم وخصص امرهم بالتقوى ليكون الله معهم اذا رعوا التقوى فمن كان الله معه فمن يحيد واما استفاق الكفر فقال ابو عبيد القاسم بن سلام انما سمي الكافر كافرا لانه متكفر به كالمتكفر بالسلاح وهو الذي قد لبس السلاح حتى غطى كل شيء منه ولذلك غطى الكفر قلب الكافر ولهذا قيل لليل كافر لانه لبس كل شيء بظلمته قال لبيد يذكر الشمس اذا غربت

حتى اذا ألقت يدا في كافر ... واجن عورات الثغور ظلامها

وقال ايضا

يعلو طريقة متنها ... ظلم الكواكب مزبد

المعنى انه يعلو طريقة متنها من غير الماء ... مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم قال ابو عبيد ويقال في الكافر سمي بذلك لتجنه ... وان حتى اذا اجدع انهى فلما امرهم صلى الله عليه وسلم بما هو سبب نصرهم وفلاحهم في الدنيا والاخرة نهاهم عما هو سبب كسرهم وخذلانهم وهو تنازعهم في الدنيا والاخرة فقال

العلو في هذه الحياة في المغنم ... ممن اعطيته عهدا وميثاقا

باسم فعالى اذا قتلتم فاحسنوا القتلة ولاداء التمثيل بهم يدعوهم الوعد بالملة

وهو الذي لم يثبت جمعه ولدان ثم عدل ... عليه وسلم الى مخاطبة الوالي بما يخصه اذ هو من ناقش فلا يفتات عليه بالامرة فقال

للمعنى واحد

هاهنا اصله ... الظاهر ان هؤلاء المطلوب منهم ثلاث اخصال اهل الكتاب او ملحقون بهم كالمجوس فان مشركي العرب لا يوجد منهم الجزية الا نصارى بني تغلب بعد ما الذين رضيه الله لعباده في قوله ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ان الذين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة هو الذي دعت اليه الرسل امم قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وهذا دليل على ان الدعوة واجبة لعموم لجهاد وعند الامام احمد وسلم عن ابي هريرة مرفوعا والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت

به الاكان

به الاكان من اهل النار قال في شرح مسلم خص اليهود والنصارى للتنبيه لان لم كتابا قال وفي
معهوم ان من لم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور قال وهذا جار على القرر في الاصول لاحكم قبل ورود الشرع على ١٨٦
الصحيح قال القاضي ابو يعلى في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا في هذا دليل على ان معرفة
الله لا يجب عقلا وانما يجب بالشرع وبعثة الرسل وانه لو مات الانسان قبل ذلك لم يقطع عليه بالنار قال وقيل معناه
انه لا يعذب فيما طريقه السمع الا بقيام حجة السمع من جهة الرسول ولهذا قالوا لو اسلم بعض اهل الحرب في دار الحرب ولم يسمع
بالصلاة والزكاة ونحوهما لم يلزمه قضاء شيء منها لانها لا تلزم الا بعد قيام حجة السمع والاصل فيه قصة اهل قباء حين
استداروا الى الكعبة ولم يستانفوا ولو اسلم في دار الاسلام ولم يعلم بفرض الصلاة قالوا على القضاء لان قد ترى الناس
يصلون في المساجد بادان واقامة وذلك معتاد اشهاد كذلك لان الجهل لا يعذر عليه قال صاحب الفروع
وقد ذكر ذلك غير واحد وقد ذكرنا فيما مر
وقيل عقلا اقله وهي اول واجب النفس ويجب قبلها النظر ليتوقف عليه وهي اول واجب لغيره والايقان ضروري
وقيل يلي وقد مر الكلام على اول واجب في هذا الشرح وسر الجمع بينهما قد مضى الكلام في الاسلام والايمان بما
فيه كفاية مع كلام السلف رضي الله عنهم فان اجابوا الى ذلك
الذين هاجروا لاظهار دينهم ونصرة نبيهم صلى الله عليه وسلم في دار المنعة التي هي دار
الاسلام التي لا يقدرون على ذلك الا فيها فكانت الهجرة لاحد ذلك واجبة اليها قال في الفروع ومن عجز عن اظهار دينه
بدار حرب يغلب فيها حكم الكفر او بعضهم او بلد بغاة او بدعة كرفض واعتزال وطاق الهجرة لزمته وهنا اذا لم يقدر على
اظهار دينه وتوابعه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والا فقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه
قد يكون مقام الرجل في ارض الكفر والفسق من انواع البدع والفجور افضل اذا كان مجاهدا في سبيل الله بيده او لسانه
امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر بحيث لو انتقل عنها الى ارض الايمان والطاعة لفعلت حسنات وان كان روح قلبها قال
وكذلك اذا عدم الخير الذي كان يفعله في اماكن الفجور والبدع وانما كان المقام في الثغور بنية المرابطة في سبيل الله
افضل من المجاورة في المساجد الثلاثة باتفاق العلماء قلت ومفهوم هذا الحديث يدل على ذلك بل وظاهره قال
الشيخ وهذا لو كان عاجزا عن الهجرة والانتقال الى المكان الافضل التي لو انتقل اليها لكانت الطاعة عليه
اهون وطاعة الله ورسوله في الموضعين واحدة لكنها هناك اشق عليه فانه اذا استوت الطاعتان فاشقهما افضلها
وبهذا ناظر مهاجر الحبشة المقيم ببلد الكفار لمن زعم انه افضل منهم فقالوا كنا عند البعض البعد وانتم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلم جاهلكم ويطعم جائعكم وذكر في ذات الله سبحانه الى ان قال وسدا قام الله مجتمعين على اهل الارض
كخاتم سليمان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وجب على اهل الارض الايمان به وطاعته واتباع شرعته ومنهاجه فافضل
الخلق اعلمهم واتبعهم لما جاء به علما وحالا وقولا وعملا وهم اتقى الخلق واي مكان ومحل كان اعون للشخص على هذا
المقصود كان افضل في حقه وان كان الافضل في حق غيره شيء آخر فالعبرة بفضل الانسان في ايمانه وعمله الصالح
والكلم الطيب وكلام شيخ الاسلام هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ومن تامله حق التامل خرج به من الجهل وشبه
اهل الدين لا يعلمون مدارك الكتاب والسنة والله تعالى الموفق وهذا قال
اي عاجزا فتمكنوا من اداء ما وجب عليهم من ادى الفرائض ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاد عدو الله و
عدوهم اقام الظاهر مقام المضمر زيادة توضيح
اي من دارهم فقد رضوا او لا يمكنهم فيها التمكن من اداء ما افترض عليهم من ادى الفرائض والنصرة وجهاد العدو
فيجب ابو ذلك وهذا دليل ان القرى لا يطلق عليه اسم المهاجر حقيقة حتى
يفعل ما وجب عليه ويجر ما نهى الله عنه ومن حديث الصحيح والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وبهذا قال صلى الله عليه وسلم فا
حرم ايجاب حيث لم يتمكنوا من ذلك انهم يكونون كاعراب المسلمين
في دارهم فيجب صلى الله عليه وسلم من ابى ان يتحول الى دار المكنه بالاعراب لنقص ايمانهم حيث قصر الله جملة الاعراب عن وصفهم بمطلق
الايمان في قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان كان منهم من
قال الله فيهم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة
لم فالاية خارجة مخرج الغالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتخلفهم عما يحصل لهم بفعل الايمان المطلق فلما كان مسمى

الاسلام اوسع من مسمى مطلق الايمان بسبهم بالاعراب واضاف الاعراب الى المسلمين بحيث ان المضاف داخل في مسمى المضاف اليه في الجملة وقصر مطلق الايمان على المهاجرين فقال سيجزي عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين يعني المتمكنين من اداء ما افترض عليهم من الفرائض ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاد العدو فان هؤلاء هم المتصفون بالايمان المطلق وكذا من دخل فيما دخلوا فيه وفعل فعلهم ومن اتى عن ذلك موجبا بتركه للاسلام فحكمه حكم الاعراب لكن لا يدان يغلب على بلادهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين في بلادهم بلاد الهجرة فيستلمون احكام الكفر في بلادهم لان الغنيمة لمن شهد الوقعة ولم يكونوا في الغنيمة ولمن اوجف عليه الخيل والركاب فتركه لمخافة ذلك ولم يكن منهم شيء من ذلك فليس لهم في ذلك حق الا ان يشاء المسلمون لما كان مسمى الاسلام اوسع من مسمى مطلق الايمان فانه اذا افرد الاسلام دخل فيه الايمان قطعا اورده هنا لعمومه لمن يجاهد مع رسوله صلى الله عليه وسلم من الاعراب عن الدخول في الاسلام ان يعطوا عن يد وهم صاغرون اي لا عطاء الجزية ذلك عن ان يعطوها ويستعلي عليهم وتحذه ناصرا ولا تتكل على قوتك وكثرتك فان العبد بابعده وعدده وانما ذلك بسبب وطاعة الله تعالى ثم قال اي على اكرههم ممتثلا الامر الله ورسوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ان لم يقبلوا الاسلام قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين الاية وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال محاطبا ولياته المؤمنين ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها الاية والايات في هذا كثيرة جدا فمن دخل على الله تعالى من باب الطاعة والاستعانة بنصره وان قل جنده وان كثر عدد من حصون اعدائه اهل الكتاب اذلا حصون لغيرهم من المشركين معان لكم في هذا عام الاكا الجزية وعقد الذمة عليها فانا لا يجوز ان يقر بها عبدة الاوثان على عبادتها وثانيهم ومعاذ الله ان يقول بهذا احد وانه نقل عن واحد من السلف بان يكف عابد وثن من عبادته او من عمل صنم بجزية الا اهل الكتاب او المجوس فمن جوز الشرع اخذ الجزية منهم واقرارهم على دينهم على الشروط العمرية المعلومة محمد صلى الله عليه وسلم الذمة في اللغة العهد والميثاق وشرعا وصف يصير به المكلف اهلا للالزام والالتزام واهلية الاستيفاء ذمة من احرج واما يملك احد الثلاثة فيها وقال ابو عبيدة الذمة الامان في قوله يسعى بذمتهم ادناهم والذمة الضمان والعهد ايضا والامان صلى الخوف ولما كان اخفار ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم اعظم خطرا من اخفار ذمة غيرهما ارشد امته صلى الله عليه وسلم بتجنب اخطر العظيم فقال وكفى بعقل بينهم ان العلة في ذلك فقال ولهم النقض للعهد عليكم عقبى بترخ الدنيا والاخرة فمن عدا توعى اعظم الخطرين بادناهما خطرا وعند الترمذي بسند حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يتبعنكم الله من ذمته بشيء فيدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم رواه الطبراني في الكبير بمعناه عن والد ابي مالك الاشجعي وبن عمر من طريقين باسناد حسن فيهما وعند البخاري عن انس رضي الله عنه مرفوعا من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته الحديث فاضاف الذمة الى الله تعالى فلا منزلة المضمر توضيحا وتاكيدا للنهي ولكن ايهام ظاهر فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم اجعل لهم ذمتك وذمة اصحابك مما كان ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم ومن ادناهم المرأة وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لام هاني هذا ابن ابي طالب رضي الله عنها قد اجرنا من اجرت يا ام هاني في قصة مضى ذكرها قاله هذا واما في حكم فوحد الامر الى وليه لئلا يفتات عليه فيفوت شيء من الاختلاف والتنازع فقال ولكن انزل لهم على حكمك ولم يقل وحكم اصحابك الا ان يجعلوا له الى حلم من اصحابه كما جعله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة ثم ارشد صلى الله عليه وسلم الى تعريفهم المحذور في امر الهم على حكم الله فقال وفيه دليل ان الاحكام لا يعتد منها باطنا الا ما وافق حكم الله وانها تنفذ ظاهرا اذا لم تعلم مخالفتها الكتاب والسنة وان الاجتهاد معفو عنه مطلقا حيث ارشدهم الى الاجتهاد وانه لو انزلهم على حكم الله كان عاصيا مخالفا للنهي ولكن يجتهد على ان يوافق حكم الله من الكتاب والسنة وهو في ذلك على خطر عظيم وتوفي لخطره حينئذ اولى لانه لا يخلو السلامة منفي وفي ايضا انه لا يقال في حكم الحاكم هذا حكم الله الا ان يكون حكما ظاهرا حكما نطق به القرآن المجيد لا يقبل التاويل وانه لا يعتد بعمل او حكم بما

قاله ع

ادى اليه

بما ادى اليه اجتهاده من النص ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يصلين احدكم العصر الا في بني قريظة فاخذت طائفة بظاهر
الحديث وطائفة صلت قبل ان تغرب الشمس وقالت لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم احراجها عن وقتها فما عنف احدا من الفريقين
وقد قال تعالى في حكم سليمان وداود في نفش الغنم الزرع ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما ولا يستحيل ان
يكون النبي صلى الله عليه وسلم قضى بحق انسان خطأ في حق غيره لا الى من يحكم في نازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد هكذا ذكره
جماعة من المحققين كالسهيلي وغيره والله اعلم وقال في الفروع وان سألوا ان يؤمهم على حكم الله لزمه ان لم يخبر كالاسير وكره في الواضح ومنعه في الفائق المباح عملا بالحديث في صحيح وقد حصل في اصل الشيخ رحمه الله
تعالى في هذا الحديث بعض الاضطراب عند المقابلة بهذه النسخة فاخذته من الاصل والله الموفق للهداية .....

الباب الثالث والستون

تعالى هذه الترجمة بعيدة الغور متسعة النواحي اذ جملة تحتها تفاصيل فاقسام الانسان على غيره منه ما يكون بدون منه
جبر تعظيم المقسم بالمقسم به وهذا هو الذي جاء به الحديث الصحيح من ابرار القسم وكقوله لكل الصديق في حديث الرؤيا اقسمت
عليك فقال صلى الله عليه وسلم لا تقسم كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وفي مثل هذا قال ان من عباد الله
من لو اقسم على الله لابره ودلك ما روى الترمذي وحسنه عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ورواه البخاري في الادب المفرد ورواه ايضا المقدسي
في المختارة وقوله لا يؤبه له اي لا يبالي ولا يلتفت اليه لحقارته يقال وبهته بفتح الباء اوسرها وبالكسر وقد
افقح وعن انس قال ما ذكرت الربيع وهي عمة انس بن مالك ثنية جارية من الانصار فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بالقصاص
فقال انس بن النضر عم انس بن مالك والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله وفي رواية والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا انس كتاب الله القصاص فرضي القوم وعفوا الارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم
على الله لابره متفق عليه وفي لفظ لمسلم ان القابل والمقول ام الربيع رضي الله عنها والد انس بن مالك هذا رضي الله عنه كما قال
شيخ الاسلام ابن تيمية كان اذا اقسم على الله ابره قسمه فكان لحرب اذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون يا برا اقسم على ربك فيقول
يا رب اقسمت عليك بالمنحنا اكتافهم فيهزم العدو فلما كان يوم اليمامة قال يا رب اقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم و
جعلتني اول شهيد فحمي اكتافهم وقتل البراء رضي الله عنه شهيدا ذكره في الفرقان وكان رضي الله عنه على ما ذكر سيف بن عمر
اول من اقتحم على بني حنيفة الحديقة فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين فاعلق الباب عليه وعليهم حتى رمي بالمفتاح من
فوق الحديقة واستشهد رضي الله عنه ذلك اليوم وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا كم اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له
لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وعند مسلم والنسائي احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رب اشعث مدفوع
طمرين لو اقسم على الله لابره وعند الحاكم وقال صحيح واقره الذهبي عليه عن ابي هريرة ايضا مرفوعا رب اشعث اغبر
ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره ورواه ابو نعيم وفي سنده له محمد بن زيد ضعفه النسائي وقبله
غيره وروى ابن ابي الدنيا بسناده ان النعمان بن قوقل قال يوم احد اللهم اني اقسم عليك ان اقتل اليوم فتدخل الجنة فاستشهد
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النعمان اقسم على الله فابره وقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على اهل الارض
فاغرقهم الله جميعا بدعوته وقد ذكر الحسن البصري ان خصاصا احترقت بالبصرة في زمن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وبقي في
وسطها خص لم يحترق فقال ابو موسى لصاحب الخص ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على ربي الا يحرقه فقال ابو
موسى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في امتي رجال طلس رؤسهم دنس ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم ذكره
زين الدين بن رجب قال وكان حصن بن اشيم في سرية فذهبت بغلتها وارتحل الناس فقام يصلي وقال
اللهم اني اقسمت عليك ان ترد بغلتي وثقلها فجاءت حتى قامت بين يديه وفي الطبراني من حديث سالم بن ابي الجعد عن
ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي من لو جاء احدكم يسأله دينارا لم يعطه ولو سأله درهما لم يعطه
ولو سأله فلسا لم يعطه قلو سأل الله الجنة لاعطاه اياها ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ورواه غيره من حديث
سالم مرسلا قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه وهذا يشبه ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد
به الحض او المنع قال وهذه الاقسام السؤال للسؤول بما عنده من محبة المسؤل به وتعظيمه ورعايته حقه فان ذلك مما
يقتضي حصول مقصود السائل حسن السؤال للانسان بالرحم ومن هذا سؤال الامم بالاعمال الصالحة وبدعاء انبيائه
شفاعتهم واما محبة الانبياء والصالحين ومحبة الله تعالى لهم ورعايته لحقوقهم التي انعم بها عليهم فليس فيها ما

كسؤال مخلوق

يوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم اما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك واما دعاؤهم له فيستجيب
الله شفاعتهم فيه فالتوسل بالانبياء يكون بامرين اما طاعتهم واتباعهم فيما امروا به واما دعاؤهم وشفاعتهم فيذكر ذلك واما
دعاؤهم من غير طاعة منهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وان عظم جاه احدهم عند الله فالحاصل انه لا يجوز ان
يقسم على الله تعالى بمخلوق البتة وهذا هو الصواب عند سلف الامة واتباع الائمة قال شيخ الاسلام
قدس الله روحه واما الاقسام على الله بنبيه صلى الله عليه وسلم فهو معنى ما جوز اليمين به وقد قدمنا منعها وعدم
انعقادها عند الجماهير من السلف وهو الصحيح من مذهب الامام احمد في احد الروايتين المقطوع بها وان ذلك المنع
على التحريم قال وقد نقل عن الامام احمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في منسك المروذي ما يناسب قوله بانعقاد
اليمين به لكن الصحيح انه لا ينعقد اليمين به هكذا ذكر هذا الشيخ يعني الاقسام به قال واما غيره فما علمت بين الائمة فيه
نزاعا بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك وقال ايضا قدس الله روحه وما زلت ابحث واكشف ما امكنني من كلام
السلف والائمة والعلماء هل جوز احدهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك احد منهم ثم وقفت على فتيا
للفقيه ابي محمد بن عبد السلام افتى بانه لا يجوز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم واما بالنبي صلى الله عليه وسلم فجوز التوسل به
لحديث الاعمى فقد جعل الشيخ ابن تيمية رحمه الله مسئلة التوسل به صلى الله عليه وسلم مسئلة اليمين به يعني في المنع و
الجواز واما غيره من الانبياء فلم يطرده احد من العلماء الا ما ذكره ابن عقيل في الوفاء عن ابي الوفاء ابن عقيل في اليمين في هذا الشرح و
الله الموفق قال واتفقوا على ان الله تعالى يسئل ويقسم عليه باسمائه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك كما ورد في
الحديث المعروف في السنن كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك بان لك الحمد انت الله المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال
والاكرام ومنها اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقوله اسالك بكل
اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك وغيرها من الادعية
المشهورة ونحوها مما نص على انعقاد اليمين به جماعة من العلماء وكره ابو حنيفة رحمه الله تعالى اسالك
بحق العرش وبحق خلقك وقد ذكر ابو يوسف في غير واحد من السلف في الاثر فيه ذكره عن ابي يوسف وكذا كره وبحق خلقك وقال
ابو يوسف بحق العرش عرشك هو اهون فلا اكره هذا وكره بحق خلقك وبحق فلان وبحق الانبياء وبحق السائلين وبحق البيت
الحرام قالوا جميعا فالمسئلة بخلقه تعالى لا يجوز لان الحق للمخلوق على الخالق فلا يجوز ان يسئل بما ليس بمستحق و
لكن بحق العرش عرشك هل هو سؤال بمخلوق او بالخالق فيه نزاع بينهم فلذلك تنازعوا فيه وابو يوسف بلغه
الاثر فيه فجوزه لذلك وقد تنازع في هذا بعض الناس وقالوا في حديث ابي سعيد الذي رواه ابن ماجة
سرفوعا اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا الحديث ومن هذا الاثر الذي رواه الحاكم وصححه من طريق
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة -
قال يا رب اسالك بحق محمد لما غفرت لي فقال يا ادم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يا رب انك لما خلقتني بيدك
ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى
اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله صدقت يا ادم انه لاحب الخلق الي ادع بي بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما
خلقتك ورواه الطبراني وزاد وهو اخر الانبياء من ذريتك فان هي لك وقوله وبحق السائلين عليك
ولكن قال الامام احمد عبد الرحمن بن زيد ضعيف وقال ابن معين ليس حديثه بشيء وقال ابن عبد
الحكم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لمالك حديثا فقال من حدثك فذكر استادا له منقطع فقال اذهب الى عبد الرحمن بن
زيد يحدثك عن ابيه عن نوح عليه السلام وقال ابو داود والنسائي زيد بن اسلم كلام ضعيف وضعف زيدا النسائي
وقال علي بن المديني ضعيف جدا وهكذا قال ابو زرعة وقال ابو حاتم كان في نفسه صالحا
في الحديث واهيا وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد
الموقوف فاستحق الترك وقال ابن سعد كان كثير الحديث ضعيف جدا وقال ابن خزيمة ليس هو ممن
يحتج اهل العلم بحديثه وقال الحاكم وابو نعيم روى عن ابيه احاديث موضوعة فقد انفرد بهذا الحديث
وهو مجموع على ضعفه فلا يحتج به واما قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام كما يقول تسالك بالله
والرحم على قراءة حمزة وغيره ممن خفض والارحام فقالوا التفسير هكذا اي تساءلون به وبالارحام كما يقول تسالك
بالله وبالرحم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ومن زعم من النحاة انه لا يجوز العطف على
الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما قاله لما راى غالب الكلام باعادة الجار والا فقد سمع في الكلام العربي نثره

ونظمه

ونظم العطف بدون ذلك كما علي سيبويه ما فيها غيره وفرسه والاصوره هنا كما يدعي مثل ذلك في الشعر قال الشاعر

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والايام من عجب

ولا قد ثبت في الصحيح ان عمر قال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وسياتي باقي الجواب عن هذا المقام قريبا ان شاء الله تعالى مقرونا بما وضح بيان وفي النسائي والترمذي وغيرهما حديث الاعمى وصححه الترمذي انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يدعو الله ان يرد بصره فامره ان يتوضا ويصلي ركعتين ويقول اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضيها اللهم فشفعه في وقد عاد الله وقد عليه بصره وهذا ليس اقساما به صلى الله عليه وسلم بل توجها به وايضا انما توجه بدعائه وشفاعته فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدعا وقال في اخره اللهم فشفعه في فعلم انه يشفع له فتقبل شفاعته لابد انه محدث الاعمى هذا رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب عن عثمان بن حنيف وليس عند في صلاة الركعتين انما قال فقام ان يتوضا فيحسن الوضوء ثم يدعو بهذا الدعاء وذكره وعند النسائي واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان اعمى اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يكشف عن بصري قال او ادعك قال يا رسول الله انه قد شق علي ذهاب بصري قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي بكان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي قال ترمذي وقد كشف الله عن بصره وهو عند الطبراني الكبير في اوله وقصره وقال بعد ذكر طرقه والحديث صحيح ولفظ ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك اليه فقال له عثمان بن حنيف ايت الميضاة فتوضا ثم ايت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي فتقضي حاجتي وتذكر حاجتك ورح الي حتى اروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم اتى باب عثمان فجاء البواب حتى اخذ بيده فادخله على عثمان بن عفان فاجلسه معه على الطنفسة وقضى حاجته ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة وقال وما كانت لك من حاجة فاتنا ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت لي حتى كلمته في فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايت الميضاة فتوضا ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضر قط هكذا رواه الطبراني بطرق كما ذكره عنه وقال انه صحيح ورواه البيهقي من طريقين بنحو هذا اللفظ وصححه وسياتي مزيد كلام وبيان على حديث الاعمى ان شاء الله تعالى ولكن يقال لا ريب في مثل هذا ان الله سبحانه جعل على نفسه حقا لعباده كما قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة وفي الصحيحين عن معاذ اتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله الحديث فهذا حق وجب بكلام الله ووعده الصادق وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بالوعد الصدق وتنازعوا هل يجب بحكم نفسه على قولين ومن حجة من احتج بقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وبالحديث الصحيح اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما

واما الاحتجاج عليه سبحانه بالتحريم بالقياس فهذا قول القدرية وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول قال شيخ الاسلام ابو العباس قدس الله روحه هذا مما اتفق عليه سلف الامة واهل السنة المتفقون على ان الله تعالى خالق كل شيء ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وان العباد لا يحبون على شيا وهذا كان من قال من اهل السنة بالوجوب يقول انه كتب على نفسه وحرم على نفسه لان العبد يستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق فان الله تعالى هو المنعم على عباده بكل خير وهو الخالق لهم وهو المرسل اليهم وهو الميسر لهم الايمان والعمل الصالح ومن توهم من القدرية المعتزلة انهم يستحقون عليه تعالى من جنس ما يستحقه الاجير على من استاجره فهو جاهل في ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والحديث في الصحيح قال فاذا كان الامر كذلك لم تكن الوسيلة

الطبراني ايضا وعند الطبراني عن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا ان لله تعالى الف خلق من الملائكة خلق منهم سبعين الفا كلهم يدعون الله تعالى لمن اكثر من الصلاة علي بالليل والنهار وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام رواه النسائي والحاكم بلفظ ان لله ملائكة فضلهم الله على سائر الملائكة كفضل الامير على اعوانه يطوفون في الطرق يلتمسون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك الجنة قال وهل رأوا جنتي قالوا لا قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومما يستجيروني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فاعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون ربنا فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم فغفرت له قال هم القوم لا يشقى جليسهم وعند ابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان لله ملائكة سياحين فضلا عن كتبة الحفظة يتتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك الجنة قال وهل رأوا جنتي قالوا لا قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومما يستجيروني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فاعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون ربنا فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم فغفرت له قال هم القوم لا يشقى جليسهم وعند ابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ان لله ملائكة سياحين فضلا عن كتبة الحفظة يتتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك الجنة قال وهل رأوا جنتي قالوا لا قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومما يستجيروني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فاعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون ربنا فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم فغفرت له قال هم القوم لا يشقى جليسهم

عند الامام احمد وابي داود والنسائي بلفظ ان لله ملائكة فضلوا على ملائكته كفضل الامير على اعوانه يطوفون في الطرق يلتمسون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بهم من اين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك الجنة قال وهل رأوا جنتي قالوا لا قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومما يستجيروني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فاعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون ربنا فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم فغفرت له قال هم القوم لا يشقى جليسهم

الخرج ابن ماجه

لابن ماجه

اجابة الدعوة بكمال الطاعة بالوهيته وبصحة الايمان بربوبيته فمن استجاب لربه بامتثال امره ونهيه حصل مقصوده
من الدعاء واجيب دعاءه كما قال ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اي يعجب لهم ما قال
استجابه ويستجاب له فمن دعاه موقنا انه يجيبه اذا دعاه اجابه سبحانه وقد يكون مشركا فاسقا فان سبحانه هو
القائل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه و
هو القائل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وهو القائل
قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء وتنسون ما تشركون فكل هؤلاء الذين يستجاب لهم لاقرارهم كما قال شيخ الاسلام بربوبيته
وانه يجيب دعاء المضطر اذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسله كان ما يطيعهم به دعائهم
متاعا في الحيوة الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق كما قال من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وما دعا الخليل بالرزق لاهل الايمان
فقال وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر و
الفاجر وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم في الدنيا وما لهم في الاخرة من خلاق وقد ذكروا ان بعض الكفار من
النصارى حاصر مدينة للمسلمين فنفد ماؤهم العذب فطلبوا من المسلمين ان يرحلوهم بما عذب لهم جعوا
عنهم فاشتوروا فلا ما مر المسلمين وقالوا نرحلهم حتى يضعفهم العطش حتى اخذهم فقاموا وليكر فاستسقوا و
عوا الله فسقاهم فاضطرب بعض العامة فقال الملك لبعض العارفين ادرك الناس فانه قد نصب منبرا وقال
اللهم انا نعلم ان هؤلاء من الذين تكفلت بارزاقهم كما قلت في كتابك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد
هؤلاء مضطرين وانت تجيب دعوة المضطر اذا دعاك فاسقهم لما تكفلت من رزقهم لما دعوك مضطرين لا لانك
تحبهم ولا تحب دينهم والا فتريد ان تريناياه تهم تثبت بها الايمان في قلوب عبادك المؤمنين فارسل الله عليهم ريحا
فاهلكتهم وهذا قال تعالى الجنس من هذه خالدا يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال لما ذكروا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وقال ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي
لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين فقد يجيب الله دعاء المشرك والكافر املاء له بذلك والاملاء
اطالة العمر وما في ضمنه من رزق ونصر قال تعالى قد يرى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين والمقصود هنا ان دعاء الله قد يكون دعاء عباده فيثاب العبد عليه
في الاخرة مع ما يحصل له في الدنيا وقد يكون دعاء مسئلة يقضي بها حاجته ثم قد يثاب عليه اذا كان محبا لله
الله وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة وقد يكون سببا لضرره فيعاقب على ما ضيع من حقوق الله وما تعداه
من حدوده فالوسيلة التي امر الله بابتغائها هي الوسيلة في عبادته وفي سؤله فالتوسل اليه بالاعمال الصالحة
التي امر بها وبدعاء الانبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته كما كان الصحابة
رضي الله عنهم يستسقون ويتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته كما صح ذكر عن العباس رضي
الله عنهم في الصحيحين وغيرهما وليس المراد بهذا انهم رضي الله عنهم يقسمون عليه بمخلوقاته ولا بعبادته او بما يجري
هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس اسئلك بجاه فلان عندك ويقولون نتوسل
الى الله بانبيائه ويروون حديثا موضوعا اذا سالتم الله فاسالوه بجاهي فان جاهي عند الله عظيم وقد كان هذا
هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا الى عمه وعلموهم بان السؤال
به والاقسام اعظم من العباس فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكروه وهو ما يفعل بالاحياء دون الاموات
انه هو التوسل بدعائهم وشفاعتهم فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره وكذلك حديث
الاعمى كما مر فانه طلب منه صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله له وعلمه صلى الله عليه وسلم دعاء امره فيه ان يسال
الله بنبيه ويتوسل بشفاعته فيه فدل ذلك انه صلى الله عليه وسلم شفع فيه وامره ان يسال الله قبول شفاعته بنبيه
وان قوله اسالك واتوجه اليك بنبيك اي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا
فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فلفظ التوسل والتوجه في الحديث بمعنى واحد ثم قال
يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللهم فشفعه في فطلب منه ما امره ان يسال فيه

منبه وقوله يا محمد يا نبي الله قال شيخ الاسلام هذا ونحوه نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب
المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره ١٩٠
في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب كما قال حسان رضي الله عنه في مراثيه صلى الله عليه وسلم

يا افضل الناس اني كنت في سنة ... افردت كمثل المفرد الصادي

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به قد يراد به اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود المصلي رضي الله
عنهم فهو يريد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا ويكون الداعي محبا له مطيعا لامره معتقدا به فيكون التسبب
اما لمحبة السائل له واما لدعائه الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل
لا بشيء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي يكرهه وهو الذي وكد لفظ
السؤال قد يراد به المعنى الاول والتسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ومن الاول حديث الثلاثة
الذين اووا الى الغار فاطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح اعمالهم وهو مشهور في الصحيحين وغيرهما وهذا اعظم
وافضل ما يتوسل به العبد الى الله فانهم دعوا سبحانه بعبادة وفعل ما امر به من العمل الصالح وسؤاله والتضرع اليه
وما ذكر عن الفضيل بن عياض انه اصابه عسر البول فقال حتى لكد الارجعن عني فرج عنه وكما قاله الملوسع به ربنا
انا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الاية فسؤال الله بالتوسل اليه بامتثال امره
واجتناب نهيه وفعل ما يحبه والعبودية له والطاعة لله هو حبس فعل لكم رجاء الرحمة وخوف فامن عذابه وكسؤال
الله باسمائه وصفاته كما مر وقد يتضمن ذلك معنى الاقسام عليه سبحانه باسمائه وصفاته واما حديث ابي سعيد اسالك
بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فرواه عطية العوفي وفيه ضعف لكن على تقدير ثبوته هو من هذا الباب
فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين ان يثيبهم فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته
واثابته وهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ولو اقسم عليه لكان قسما بما هو من صفاته لان اجابته و
اثابته من افعاله واقواله وقضاء هذا كقوله في الحديث الصحيح اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
الحديث والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره كما مر وورد بعض الناس لفظ المعافاة
فقال جمهور اهل السنة المعافات من الافعال وجمهور الخلف من اهل السنة وغيرهم يقولون ان افعال الله
قائمة به وان الخلق ليس هو المخلوق وعلى هذا جمهور اصحاب الامام احمد والشافعي ومالك وهو قول اصحاب ابي حنيفة
وقول عامة اهل الحديث والصوفية وطوائف اهل الكلام والفلسفة هكذا قرر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس
الله روحه وبهذا يحصل الجواب عما اورده المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا فان اهل الاثبات من اهل الحديث و
عامة المتكلمين الصفاتية من الكلابية والاشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق فان
الصفة اذا قامت بمحل علم بها ذلك المحل لا غير وانصف بها ذلك المحل لا غير فاذا خلق الله لمحل علما او قدرة
او حركة او نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ولم يجز ان يقال ان الرب المتحرك بتلك الحركة والعالم
القادر بالعلم والقدرة المخلوق فنبي بل بما قام به من العلم والقدرة قالوا فلو كان قد خلق كلاما في غيره كالشجرة
التي نادى منها موسى عليه السلام لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام القائلة لموسى انني انا الله ولكان ملخلقه
الله من انطاق الجلود والايدي وتسبيح الحصى وتاويب الجبال وغير ذلك كلاما لكلام القرآن والتوراة والانجيل ولكان
كل كلام في الوجود كلامه لانه خالق كل شيء وهذا قد التزمه صاحب الفصوص واماثاله من الجهمية الحلولية والاتحادية
فاورث المعتزلة لصفات الافعال كالعدل والاحسان فانه يقال انه عادل محسن بعد ان لم يكن خلقه في غيره وحاء
خلقه في غيره قال شيخ الاسلام فان كلا ذكر على من يقول ان فعل قائم به بل فعله هو المفعول المنفصل
عنه وليس خلقه الا مخلوقا وامام طرد القاعدة وقال ايضا الافعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي
المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فالخلق دليل واستقام يعني التفريق به لخلق والمخلوق فالجعل اذا فعلم
عنه مفعول له فعله حيث كله واما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر وهذا لما كان الشر مخلوقا فانفصاله غير قائم
بالرب سبحانه وتعالى قال صلى الله عليه وسلم في دعائه والشر ليس اليك فهو لا يضاف اليه سبحانه بهذا الاعتبار اذ
هو لم يفعل صلى الله عليه وسلم وانت لا تخلق الشر وانما نفي اضافته اليه وصفا وفعلا واسما اذ الشر ليس الا المخلوق
ومن صفاتها وفي افعال العبد هو انها مخلوقة لله سبحانه وقد يكون الخلق بمعنى المخلوق كقوله تعالى هذا خلق الله والرجع

ايضا قد تستعمل بمعنى المخلوق كقوله الجنة انت رحمتي والمقصود هنا ان استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته مع انه لا يستعاذ بمخلوق كسؤال الله باجابته وان كان لا يسئل بمخلوق ومن قال من العلماء لا يسئل الا به تعالى لا بنبي في السؤال بصفاته كما ان الحالف لا يشرع الا بالله كما ثبت ذلك مما تقدم في بابه ومع هذا فالحالف يعظم المحلوف به ويحرم ذلك كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله لان لفظ الغير قد يراد به المباين المنفصل وهذا هو المطلق في اطلاق السلف وسائر الائمة على القرآن وسائر صفات الله انها غيره ولم يطلقوا عليها انها ليست غيره لان لفظ الغير فيه اجمال قد يراد به المباين المنفصل فلا تكون صفة الموصوف او بعضه داخلا في لفظ الغير وقد يراد به ما يمكن تصوره دون تصور ما هو غيره له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح قال شيخ الاسلام عند كلامه على هذا النزاع اهل النظر في مسمى الغير والبين اعم في ذلك لفظا لكن بسبب ذلك حصلت في مسائل الصفات من الشبهات ما لا يحصل الا بمعرفة ما وقع في الالفاظ المشتركة والالهامات ولهذا فرق بين قول القائل الصفات غير الذات وبين قوله صفات الله غير الله فان الثاني باطل لان مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات فانه لا يدخل فيه الصفات ولهذا لا يقال صفات الله زائدة عليه بحال وان قيل الصفات زائدة على الذات لان المراد انها هي زائدة على ما اثبته المثبتون من الذات المجردة والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة فليس اسم الله مسماه ذات مجردة عن الصفات اصلا ولا يمكن وجود ذلك ولهذا قال احمد في مناظرته للجهمية لا نقول الله وعلمه الله وقدرته الله ونفسه ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونفسه هو الله واحد وانما قول الناس سالك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ تسالون به والارحام فهو من باب التسمين بها فان الرحم توجب الصلة وتقتضي ان يصل الانسان قرابته فسؤال السائل بالرحم لغيره يتوسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما وهو ليس ايضا من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالتوسل بدعاء الانبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم ومن هذا الباب ما يروه عن عبد الله بن جعفر قال كنت اذا سالت عليا شيئا فلم يعطني قلت له يا عم جعفرا لما اعطيتني فيعطينيه او كما قال قال شيخ الاسلام به تيمية فظن بعض الناس ان هذا من باب الاقسام على بجعفر وكذلك قولهم اسالك بحق انبيائك وليس كذلك بل جعفر هو احق علي وعبد الله هو ابن جعفر وله على علي حق الصلة فصلة عبد الله صلة لابيه كما في الحديث ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي وكقوله ان من ابر هما بعد موتهما الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة رحم التي لا رحم لك الا من قبلهما ولو كان هذا من باب الاقسام على الله تعالى كما ظنه من ظنه لكان سؤاله لعلي رضي الله عنه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم الخليل ونحوهما اولى من سؤاله بحق جعفر ولكان علا الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحسين واجابة السائل به اظهر منه الى اجابة السائل بغيره ولكن بين المعنيين فرق فان السائل بالنبي صلى الله عليه وسلم طالب بسبب به فاذا لم يكن في ذلك السبب ما يقتضي حصول مطلوبه فقد لا يكون مما يقسم به كان باطلا واقسام الانسان على غيره بنبي يكون من باب تعظيم المقسم به للمقسم به كما مر وهذا هو الذي ورد به الحديث باب ابر القسم قال شيخ الاسلام فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لما يفضي ذلك الى نوع من الشرك بهم فكيف اذا وجد ما هو نوع من الشرك من الرغبة اليهم سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات او طلب منهم ان يطلبوا ذلك من الله بل لو اقسم على الله ببعض خلقه من الانبياء والملائكة فغيرهم لنهي عن ذلك ولو لم يكن عنده فرق بين الاقسام بهم كما لا يقسم بمخلوق مطلقا وهذا القسم منهي عنه غير منعقد باتفاق الائمة وهل هو نهي تحريم او تنزيه على قولين هما انه نهي تحريم كما مر قال وليس في النزاع بين العلماء الا الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وان فيه قولين في مذهب احمد وبعض اصحابه كابن عقيل طرد الخلاف في سائر الانبياء لكن القول الذي عليه جمهور الائمة كالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم انه لا ينعقد اليمين بمخلوق قالوا لانه كما مر تقريره في باب ولا يقسم بمخلوق لانه وهو الصواب والاقسام على الله بنبيه منهي عنه على هذا الوصف [illegible] عن السلف ان السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه اذا قرغ من السلام واراد ان يدعو استقبل القبلة اما منحرفا عن القبر لبيان ان الصلاة عليه وسلم كما يقوله الامام احمد والجمهور واما ان يستدبره ويدعو كما يروى ذلك عن امام دار الهجرة مالك بن انس وهو المنقول عن سائر الائمة ليس في جميع الملة من استحب

للمرء ان يستقبل قبره صلى الله عليه وسلم في الدعاء **حكاية** ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالك بن انس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم اقواما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فلم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية **فهذه** حكاية قال وفيها شيخ الاسلام اما ان تكون ضعيفة او معرضة واما ان تفسر بما يوافق مذهبها وقد بينا من مذهبها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من اصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على انه لا يقف عند الدعاء مطلقا وذكر طائفة من اصحابه انه يدعو من القبر وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو استقبل القبلة وولى ظهره وقيل عنه لا يولي ظهره فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله اعلم ان يكون مالك سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو سيد الدعاء فانه قد كان من فقهاء العراق من يرى انه عند السلام عليه يستقبل القبلة ايضا ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال وكما قال في رواية ابن وهب عنه اذا سلم عليه صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويسلم ويدعو وارى امر القبر يسيرا وفي رواية اخرى عنه يصلي عليه ويدعو له ومعلوم ان الصلاة عليه والدعاء له صلى الله عليه وسلم توجب شفاعته للعبد يوم القيمة كما في حديث اجابة المؤذن المشهور فقول الامام مالك رحمه الله ان كان ثابتا لخ هذه الحكاية عنه معناه انه اذا استقبله وصلى عليه وسلم عليه وسالت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيمة وكذلك كانوا يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيمة كسؤال الله له الوسيلة ونحو ذلك وكذلك ما نقل من رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو وليس قال شيخ الاسلام يعني دعاء للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه **فهذا** هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند رؤيته قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فانه احق الناس ان يصلى عليه ويدعى له **وهذا** متفق قال مالك ويفرق بين الدعاء الذي احبه والدعاء الذي كرهه وذكر انه بدعة **فاما الحكاية** في تلاوة مالك هذه الاية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الاية **فهذا** لم اعلم باطلا قال فان هذا لم يذكره احد من الائمة فيما اعلم قلت وقد ذكر هذه الحكاية المطري في تاريخ المدينة ولم يذكر تلاوة الاية ولا اورد لها في الحكاية ذكرا قال شيخ الاسلام رحمه الله ولم يذكر احد منهم انه يستحب ان يسئل بعد الموت الاستغفار ونحوه وهذا كلامه المنصوص عنه وعن امثاله في هذا وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متاخري الفقهاء عن اعرابي انه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الاية وانشد بيتين وهما

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متاخري الفقهاء ومن اصحاب الشافعي واحمد مثل ذلك واحسن هذه الحكايات التي لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا الامر الذي لو كان مشروعا مستحبا لكان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون اعلم به واعمل له من غيرهم بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابي وامثاله لها اسباب غير هذا وليس كل ما قضيت حاجتهم بسبب يقتضي ان يكون ذلك السبب مشروعا مامورا به فان عامة العبادات المبتدعة قد نفعها بعض الناس وحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على مشروعيتها بل لو لم يكن مفسدتها اغلب من مصلحتها لما نهى عنها الشارع ولا يكون الفاعل قد بلغ من العلم والدين ما يكون مجتهدا فيه او مقلدا فيغفر له خطاؤه وينبغي على ما يعلم مما جنس المشروع المامور به بعد الشروع كالمجتهد المخطئ او المقصود انه قد علم ان مالكا امام الناس رحمه الله بمثل هذا الامور فانه مقيم في المدينة يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم وسمع ما ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم واكابر التابعين وهو يرى عن الوقوف عند القبر للدعاء ويذكر انه لم يفعله السلف وقد احدث الناس على عهد عمر رضي الله عنه فاستسقى بالعباس كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته اي فيدعو لهم ويدعون معه كما امر

والمأمور من غير أن يكون بالقسم بغير الله بمخلوق كالسؤال أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق وهذا لكل الكرامات صلى الله عليه وسلم توسلوا بالعباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين والصلاح والأفضل أن يكونوا من أهل البيت وقد استسقى معاوية رضي الله عنه بيزيد بن الأسود الجرشي فقال اللهم إنا نستسقي بيزيد بن الأسود يا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى أمطروا ولم يذهب أحد من الصحابة رضي الله عنهم إلى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به ولا أقسم به على الله تعالى البتة وليس هذا باستنقاص للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو تجريد للتوحيد الذي بعث به صلى الله عليه وسلم أولا وأيضا هو من حقه فإن حقه صدق ما بعثه صلى الله عليه وسلم وإنه لفوق مدح المادح صلى الله عليه وسلم كما قال شاعره حسان رضي الله عنه يرثيه

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرا بها واراه في الترب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجن تسعد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد

يدل على الرحمن من يقتدي به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد

فما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد

أقول ولا يلفى لقولي عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد

وليس هواي نازعا عن ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

ومن قوله رضي الله عنه وأرضاه

آليت ما في جميع الناس مجتهدا ... مني ألية بر غير أفناد

بالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبي الأمة الهادي

وقد جعله الله تبارك وتعالى خير الأمة [illegible] ورحمة لهم حيا وميتا فعند البزار بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ومر في الباب الحادي والعشرين فوائد بعد موته صلى الله عليه وسلم لا تعد ولا تحصى ومن فوائد موته أنه فرط لنا على الحوض كما صح به كما علم بالخبر ومنها عرض صلاة من صلى عليه وكذا أعمال الناس عليه ومنها الإنابة بأخذ عبرة وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار والتأسي به كما قال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية ومنها الرحمة الناشئة من اختلاف الأمة وارتفاع الشدائد في التوفيق وغير ذلك رزقنا الله والمسلمين التمسك بسنته والاهتداء بهديه إنه كريم وهاب الباب

الرابع والستون

الاستشفاع طلب السؤال من المشفوع عنده وهي الشفاعة والخلق هنا بمعنى المخلوق وقد يستعمل ذلك في التجاوز وحصول المطلوب والخلق هنا خلق الله وأما على الإطلاق فالخلق عند جمهور أهل السنة والجماعة غير المخلوق كما قد الشرع كقوله تعالى هذا خلق الله وهكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على أهل البدع أن الخلق غير المخلوق وقالوا نبهنا عليه في هذا الشرح وهكذا قال الأعلام من علماء السنة قال أبو داود في سننه حدثنا الأعلام حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحق يحدث عن يعقوب بن عتبة

بن محمد

والتوسل به

عن ابن جهيد عن ابيه عن جده

وفي الاصل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي والاعرابي بطلق على من يسكن البادية والعرب من سكن البادية والعرب من العرب الى

الاصل جهيد

لهذه المبالغة في اخلاء السنين ومنه هلكت الناقة حلبا اذا لم يبق فيها شيء فالهد المبالغة في كل

شيء يقال لكهد بالفتح غاية الشفقة وهو المراد هنا فالفظان متقاربان وما الجهد بالضم فهو الوسع والطاقة

ليس مراد هنا

وفي الاصل وضاع

وفي الاصل وهلكت الاموال وهلكت الانعام

الاستسقاء هو طلب السقيا من الله سبحانه وذلك ان هذا الاعرابي لما علم ان اسقيا انما هي من الله

تعالى وانه المرجع عند ما ينزل بالعبد وعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين وان ربه هو الذي ينزل الغيث

على عباده ويلاده طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الاعرابي ان يستسقي لهم ربه وفي قوله استسق لنا ربك من حيث هذه

الاضافة لطيفة سر لطيف ونبوه منيف فكان هذا المتكلم بكلامه يشير الى التوسل الى الله سبحانه بالوهيته وربوبيته

ومن الالوهية الاشارة بالانقياد لرسله والاذعان بالطاعة وبها يحصل العمل الصالح حيث لم يتقدم عليه بالاستسقي

بل سأله ان يستسقي لهم وهذا من جنس توسل الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم وصالح اصحابه كما قال الفاروق عمر بن الخطاب

اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون وكما توسل معاوية رضي الله

عنه بالاسود يجيئ يقدمونه بين ايديهم متوسلين بدعائهم وهذا من السنة التي عليها السلف الصالح حيث

يقتدون في امورهم بأفضلهم ومن هذا سؤال الرجل النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين وغيرهما عن انس ان رجلا دخل

المسجد يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ان يستسقي لهم فاستسقى على المنبر فسقوا سبتا حتى سئلوه ان يسئل

الله سبحانه ان يقلعها عنهم في احاديث ليس هذا موضع ايرادها وفي بعض الفاظها انهم لما سقوا وهو على المنبر قال صلى الله عليه وسلم لو

حطر ابو طالب لهذا اليوم فقال علي بن ابي طالب وكان تحت المنبر كما ذكر يا رسول الله يعني قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل وفي البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال رباح ذكرت قول الشاعر وانا

انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال وهو قول ابي طالب ولكن السائل في هذا الحديث لحظ الادب مع ربه جل وعلا حيث قال

حتى ارشد سيد البشر صلى الله عليه وسلم عالما بين له من عظمة الله وكبريائه جل وعلا حيث قال

علم يقينا ان من هذا جلاله وكبريائه وعظمته لا يستشفع به على خلقه اذ القائل لهذا الكلام لم يقصد بقوله هذا مخالفة

الله ورسوله كما زعم القائل يوم حنين اجعل لنا ذات انواط يقصد المضادة لما بعث به صلى الله عليه وسلم بحيث انهم كفوا عن

قولهم ارشدهم حيث اعظم قالتهم

وفي الاصل فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك وفي قوله و

يستشفع بالله

على الله دليل على تقديم اهل الخير والصلاح وخصوصا اهل المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ليه عن البدع في سؤال الله تعالى

بجاه استسقاء وان للانسان ان يسئل الدعاء صلى الله عليه وسلم لم يكن طلب الاستشفاع به وانما انكر واستعظم

استشفاعهم بالله تعالى عليه وكثيرا ما يسئل اصحابه الدعاء كما سئلته ام انس بن مالك ان يدعو له وكما سئلته المرأة

ان يدعو الزوجها وقال لبعض الانصار يا اخي من دعا يعقوب اصبيانهم ليبرك عليهم ويدعو لهم ودعا لاصحابه

في بركة ازوادهم غير مرة وكدعائه للماء حين صب اصابعه الشريفة ونبعت في الصحيحين وغيرهما ان اصحابه

صلى الله عليه وسلم كانوا يقبلون يده تبركا به ومن طلب الدعاء استسقاء الفاروق عمر بن الخطاب بعم العباس بن عبد

المطلب وكذا معاوية بالاسود وقد ثبت ذلك عنهما في الصحيحين وغيرهما وذكر ابن قتيبة في كتابه ان عمر رضي الله عنه

خرج بالعباس يستسقي به فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وقفيه وانك تقول واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في

المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فحفظهما لصلاح ابيهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد لوينا به اليك

فنستشفعه ومعنى لوينا اي ادلينا ومتنا به اليك ونستشفعنا به وهو العرب ايضا والمقصود بعائد

ليقبل سبحانه منه والا لم يكن ذا عائد لدعا النبي صلى الله عليه وسلم اليه لو كان المقصود مجرد الذات وهذا امر مجمع عليه

عند كل

خاصة لا ينكره الا مكابر او جاهل بالسنة واحوال السلف رضي الله عنهم

ومن العجب انكار هذا القايل سبحانه وسبحان منصوب بسبحان الله سبحانا وتسبيحا ومعنى منصوب على الحال والمعنى

سبحان الله وعن الخليل وسيبويه ان معنى سبحان الله براءة الله اي تنزيه عن السقايص فقسرها بالبراءة التي هي

مصدر لان عنهما انه مصدر لم يستعمل فعله ولو استعمل لقيل سبح سبحانا كغفر غفرانا وكذا قال الخطابي ان معناه التنزيه
والتقريب بالكمال والتبرية عن النقائص قلت قد ورد استعمال العرب بتصريفه قال زيد بن عمرو بن نفيل وهو من
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له ... وقبلنا سبح الجودي والجمد
والجودي والجمد جبلان بالجزيرة وتسبيحهما دلالتهما على الله سبحانه ولم تستعمل العرب الا منصوبا مضافا وقد جرى عن
مضاف فتركت صرفه تقول الاعشى
اقول لما جاني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر
قاله متعجبا تعجب انكار على علقمة بن علاثة حيث طلب الفخر على عامر بن الطفيل وعلى ذلك في علقمة الخطة واعلم ان
الاعشى لا معرفة ولا في آخره الف ونون زيدتا كما في آخر مجوي الاعلام سفين وصفاه وانتصابه انتصاب المصادر للقائمة
مقام افعالها من حيث لا يذكر معها افعالها التي تنصبها واذا قال القائل سبحان الله فكما قال سبح الله سبحانا وهو
من الله تعليم ان يبرؤه وينزهوه عن كل عيب ونقص وهو تسبيح المتيقظين وتمرة فكر المنتبهين حيث يوهب
ذلك الفكر حياة للباطن وقلقا للقلب وندما للنفس فيلزمهم ان يقولوا الفاعل والقايل ما لا يجوز استغفروا واذا تنبه
بالتسبيح لعظمة الله سبحانه وكبريائه فهذا هو التسبيح والاستغفار والغافلون يقولون ذلك عادة فشتان بين
الفريقين استعظاما منهم لما استعظمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهذا دليل على شدة متابعتهم وبسعظامهم لما عظم الله ورسوله وان طريقتهم التسليم فيما جاء
عن الله ورسوله من صفات الباري جل وعلا وعليها صلى الله عليه وسلم وهي كلمة جمع و
ترحيل وقرقر وهلكع منصوبة على المصدر هذا استفهام وتنبيه على عظمة دائم سبحانه وجلال صفاته
ولهذا قال لسان الخطب والامر والحاجم شؤن يعني تعالى عن الذي ذكرت ان
يفعل التفضيل مبالغة لله لعظمة الله تعالى على عادة العرب لانها علامة عندهم في البناء والمدح للمفضل واعظم الله
اكبره وهو عظيم جل وعلا عن ان يستشفع به على احد فلا تحد العقول ولا تتصور الاحاطة بكنهه وهو العظيم الذي
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فاحاط بخلق قائمة قدرة وعلما ولا يحيطون به علما
فلعظمته وجلاله وكبريائه وارتفاعه قال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لهذا القايل تعظيما لربه تبارك
وتعالى وفي اصل ابي داود فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويحك اتدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال انه لا يستغفر
باسم احد من خلقه سبحان الله اعظم من ذلك ثم قال ويحك اتدري ما سبحان الله هكذا وقال باصابعه
مثل القبة عليه وانه ليئط اطيط الرحل بالراكب قال ابو سليمان الخطابي وقوله ما انه ليئط معناه انه ليعجز
جلاله وعظمته عن ان يحاط به اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه ولعجزه عن احتماله فقد
عنده من عظمة الله وجلاله وارتفاع عرشه على خلقه ليعلم ان الموصوف بعلق الشأن في ارتفاع الذات وجلال
القدر وفخامة الذكر لا يجعل شفيعا الى من هو دونه في القدر واسفل منه في الدرجة وهو يتعالى سبحانه ان يكون مشبها
بشيء ومكيفا بصفة خلق او مدركا بحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقد ذكر البخاري هذا الحديث في
كتاب التوحيد من رواية جبير بن محمد بن جبير عن ابيه ولم يخرجه في الجامع الصحيح وقد ذكرنا كلام امام دار الهجرة مالك بن انس
في مسئلة الاستواء بما اغنى عن اعادته وقال عبد الله بن الامام احمد حدثني ابي نا عبد الرحمن بن سعيد عن ابي اسحق
عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اذا جلس الرب على الكرسي سمع له اطيط كاطيط الرحل الجديد
قال وحدثني ابي نا وكيع بحديث اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اذا
جلس الرب فاقشعر قل شعاه ابي عند وكيع فغضب وكيع وقال اذا ذكرنا الاعشى وسفين يحدثونه بهذه الاحاديث لا
يكذبونها قال عبد الله ايضا وحدثني احمد بن ابراهيم نا علي بن الحسن سالت عبد الله بن المبارك كيف ينبغي لنا ان نعرف ربنا
قال على السماء السابعة على عرشه ولا نقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض قال ايضا حدثني ابي نا وكيع
عن سفين عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكرسي موضع القدمين
والعرش لا يقدر احد قدره روي من حديث ابي سنان عن ابي موسى رضي الله عنه قال الكرسي موضع القدمين
وله اطيط كاطيط الرحل وقد سئل شيخ الاسلام قدس الله روحه عن هذه الاحاديث فاجاب بنحو ما ذكره
السلف

السلف رضي الله عنهم الخ وهكذا قال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه وقد سئل عن الأحاديث التي جاءت في الرؤية والنظر إلى الكلام في هذا الباب الإيمان والتسليم مع قطع النظر عن التشبيه والتعطيل بالتأويل فقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال هو الله أحد الصمد وأما الكلام على الاستشفاع فقد مضى بيانه وتوضيحه فيما سبق واستشفاعه الموقوف ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسد طرق الشرك حوله حمايته وهو مصدر حمى يحمي بفتح الثانية التحمية وضد حماية وهو المنع والمصطفى هو المختار من الشيء والمصنف عنه قال تعالى والله يعصمك من الناس وقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وفي صلى الله عليه وسلم صفوة الرسل وأفضل أولي العزم وقد ذكر شيخ الإسلام قدس الله روحه تفضيله على الملائكة في جواب له وحمى اسم للمصدر الواقع على الفعل وأضيف إلى التوحيد إضافة الشيء إلى جملته وسد مصدر أيضا وهو اسم فعل أضيف إلى الفاعل وطرق الشرك مناهجه وقد يقال إن الشيخ رحمه الله ذكر هذا الباب حيث قال في ترجمة الباب الحادي والعشرين باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك وليس كذلك فإن تلك الترجمة أعم وأبلغ في التحذير من عدم المقاربة وهذه الترجمة أخص فهناك ترجم على حماية جناب التوحيد والجناب كما تقدم في اللغة الناحية وقال هنا حمى التوحيد فهذا اللفظ أخص وذاك أعم في التحذير بعدم المقاربة وقال هناك وسد كل طريق يوصل إلى الشرك وقال هنا وسد طرق الشرك وهذا اللفظ أخص من هناك فتأمله فإنه ظاهر للمتأمل وهذا مع دقة فهمه وفطنته رحمه الله فكان الأمر بحماية نواحي الحمى وحذر عن قربانها في تلك الترجمة أتم خصص بالحض على حماية الحمى نفسه الذي حمت النواحي لأجله فكذلك إذا وصل الحمى المزور وهو المعظم وهذا أقدم رحمه الله التحذير عن الشرك الأصغر على الأكبر أتم وأوكد رحمه الله حديثا يوهم التكرير فيكون أورد الأول للتمرين على عادة المتقدمين ثم أورد هذا تقريرا وتنبيها على حفظ المقام مع أن الترجمة لا تقطع التكرير وإنما تقطع مستدل القائل وطرق به عبد الله عن أبيه عبد الله بالتخفيف بكسر الشين المعجمة وتشديد الخاء المعجمة قال الخطابي في وفد بني عامر به صعصعة وهم قومه إذ هو عبد الله بن الشخير يعرف به كعب به وقد أتى به معاوية الحرشي به كعب بن ربيعة بن عامر به صعصعة الحرشي من مسلمة الفتح رضي الله عنه وأخو مطرف أبو العلاء عبد الله به الشخير كان شريفا فقيرا لو خذ عنه الأئمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله وفي رواية السيد هو الله مزيد تأكيد وإفادة للحصر وصيغة في تعظيم ربه تبارك وتعالى وتواضع لنفسه فحول الأمر فيه إلى الحقيقي ومراعاة لآداب الشريعة والطريقة والمعنى أنه سبحانه هو الذي يملك نواصي الخلق ويتولى أمورهم وسيسوسهم إذ له الخلق والأمر وإليه مرجع الأمر كله وهذا لا ينافي مساغ المجازية الإضافية المخصوصة بأفراد الإنسانية حيث قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لا أقول ذلك افتخارا بل تحدثا بنعمة الله تعالى وإخبارا لتعظيم أمره وأكرمني به وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر الله عنه كان أبو بكر يقول أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتق سيدنا يعني بلالا وهو بالنسبة إلى بلال تواضع وفي الترمذي عن عمر قال أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن الأثير في مقالة صلى الله عليه وسلم السيد الله أي الذي يحق له السيادة كما نرى أن يحق في

وجهه واحب ان يتواضع قال ابو جعفر النحاس وينبغي ان الايرضى احد ان يخاطب بالسيد ولا
ان ينكر ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا وافضلنا فضلا ابن فريه وربته واعظمنا
طولا ابن عطاء للاحياء وعلما على الاعداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مجيبا لم فقولوا قولكم
ابن مجمع ما قلتم او بعض قولكم هذا مبالغة منه صلى الله عليه وسلم في التواضع في قوله او بعض قولكم
وهذا بظاهره يرد قول النحاس وقيل المعنى قولوا قولكم المعتاد المستعمل فيه بالسجية دون
للاطراء والتكلف لمزيد الثناء وحاصله لا تبالغوا في مدحي فضلا عن غيري ولا يستجرينكم
الشيطان ابن لا يتخذنكم جريا بفتح الجيم وكسر الراء المهملة وتشديد المثناة التحتية ابن كثير الجري
في طريقه ومتابعة خطواته وقيل هو من الجرأة بالمد ابن لا يجعلنكم ذوي شجاعة على
التكلم بالايجوز وعلى المعنى الاول لا يغلبنكم فيتخذكم جريا ابن رسولا ووكيلا وذلك انهم
مدحوه صلى الله عليه وسلم فكره لهم المبالغة في المدح فنزاهم عنه وامرهم ان يتكلموا بما يحضرهم
من القول على المعنى الثاني ولا يتكلفوا خصيصا وا كانهم عجم وكلا ان رسله ينطقون
على لسانه لعلمه صلى الله عليه وسلم ان اديان الرسل تتفق الامن جهة الفاظ حذرا ان يصيبهم
من ذلك ما اصاب الامم مع انه قضاء الله واقع ولكن تبليغا لما حمل تبليغه وقال الحليمي
الخطاب بقوله صلى الله عليه وسلم قولوا بقول اهل دينكم وملتكم واد عون نبيا و
رسولا كما سمان الله تعالى كتابه ولا تسموني سيدا كما تسمون ساداتكم وعظماءكم الذين
لست كاحدهم لان سودهم اياكم في امر الدنيا وانا اسودكم فيما هو سبب فلاحكم في الدنيا و
الاخرة ومعنى السودد في اللغة والحقيقة هو الذي بلغ الغاية في الفضائل وفاق الاقران
في انتظار في خصال الكمال وقد قال كعب بن زهير بن ابي سلمى

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

عنى بذلك الذين اصلحا بين عبس وذبيان في حرب داحس حتى وضعت
عنهما الحرب اوزارها وذلك لا يصيد من الا عن حلم ونائل وشجاعة فاستحقا السيادة
بذلك واذا حاصل ان السيد بالحقيقة الكامل هو الله سبحانه وتعالى الذي لا مثل له والنبي صلى الله
عليه وسلم سيد ولد ادم لانه فضلهم في المراتب والفضائل وهذا ظاهر وبهذا اجاب
صلى الله عليه وسلم على المعنى الاول فقولوا قولكم او بعض قولكم قاله لما اقر انعني
السيادة في حقه صلى الله عليه وسلم وقد قال هو فيما صح عنه وثبت انا سيد ولد ادم
ولا فخر ولما نزلت قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء سعد فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار قوموا الى سيدكم فاثبت
له المنزلة على جميعهم وحكم له بانه افضلهم فسعد بن معاذ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل الانصار ولا اعلم لاحد منهم فضلهم بعد موته قال الحافظ ابن العربي فصار السيد
مطلقا في العرف على من يرجع اليه في الاراء وينفذ قوله في الامور على الجمهور

وما فيه من

ويروى ان سلم بن قتيبة سيد بني كنانة وثب رجل من قومه على ولده وابن اخيه فجرحهما فجيئ بالرجل
اليه فقال ما امنعك من انتقامي قال له الرجل ما سودناك على الا لتكظم الغيظ عنا وتحلم عن الجاهل ١٩٤
وتحتمل المكروه فخلا عنه فقال فيه الشاعر يسود اقواما وليس بسادة بل السيد الصنديد سلم بن قتيبة
قال السودد عند العرب انما يتصف به من جميع الخصال المحمودة من جمعها وقد قال اسد بن عبد الله لرجل
من بني شيبان بلغني ان السودد فيكم رخيص فقال اما نحن فلا نسود الا من يعطينا رحله ويفرش لنا
عرضه ويخدمنا نفسه ويبذل لنا ماله فقال انه اذا فيكم لعزيز وله قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود المعروف بالمسعودي سافرت نفسي التي خولت واوثرت نفسي على الورى ابادر افاق مستهدفا مالي وطيب العيش
وقال يا قوت في معجم الجمهرة قال عطاء وفدت بلقين من قضاعة على معاوية رضي الله عنه فقال احاكم قطبة بن الخضر
فيكم قالوا يا امير المؤمنين سادنا يوما الى الليل ولم يدع فينا ولدا قال فاخبروني عن صخر بن ابي غير وقالوا كان
اذا غاب شتمناه واذا حضر اطعناه قال هذا والله السودد يعني تهابونه اذا حضر وتحمدونه اذا غاب وقال الزبير
ابن بكار حدثني ابو الحسن المدائني قال سأل معاوية عرابة الاوسي فقال يا شيخ بم سدتم قومكم قال احلم
عن جاهلهم واعطي سائلهم واعفهم فمن حسد عجزهم فمن زاد على هذا فهو خير مني ومن زدت عليه فانا خير منه ومن سواي
فهو مثلي وعنه ابو ابي الدنيا ان مروان بن الحكم قال لوهب النقفي ولوهب الاسود ما المروءة فيكم قال العفاف واصلاح
المال فقال مروان على بعبيد الملك وعبد العزيز فلما انتا قال اسمعا ما يقول عمكما قال فما السودد قال الحلم والتأول قال
فما السمعة قال وقال عبد الملك بن مروان لرجل من قريش انا كنا نعد الحلم واعطاء المال سودد او نعد القيام على المال
واصلاحه مروءة قال وحدثني محمد بن الحارث بن المبارك عن شيخ من قريش قال دخل على الاحنف سيد بني تميم
وهو يجريد شاة فقال ادخل ما هذا من عمل السيد فقال الاحنف ان اصلاح المال صعب على القوي وليس القوي فوقص
عنق بعير بعد والحاصل صح

على الجماهير ولما فيه من الخصال الحميدة المحمودة ولذلك قال الشاعر

الا بكر الناعي بخير بني اسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

بيت شعر

قال ابن هشام قال هذين البيتين بنت مضلة تبكي عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة عميها الاسديين اللذين قتلهما النعمان بن
المنذر وبنى عليهما الغريين بالكوفة وهو سبحانه هو الذي يصمد اليه في الامور ويقصد فيها بكل معنى كما تقدم بيانه وقد قال
تعالى في معرض المدح ليحيى بن زكريا عليهما السلام وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فهذا في سيادة النبوة ويسمى
الزوج سيدا قال والفيا سيدها لدى الباب وتقدم في المتن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين في المملوك
١٩٥ وليقل سيدي ومولاي ومنه الحديث الذي رواه ابو داود باسناده عن طلحة بن عبد الله بن كريز قال اخبرتني ام الدرداء
قالت حدثني سيدي ابو الدرداء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قالت الملائكة
امين ولك بمثل ذلك قال ابو سليمان الخطابي السيد هنا معنيان احدهما ان يكون بمعنى الرئيس وان تكون
ارادت هذا القول تسويده رضي الله عنه وتعظيمه وقد كان رضي الله عنه فقيها عاقلا حليما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينه وبين سلمان الفارسي قاله في اسد الغابة في اسماء الصحابة وقال صلى الله عليه وسلم عويمر حكيم امتي ورواه الحارث بن ابي
اسامة عن ابي المثنى المليكي مرسلا فبهذا يستحق المدح والسيادة ولهذا قال ابن عيينة قال ابن ابي حسين
كان ابو الدرداء رضي الله عنه من العلماء الحكماء الذين يشفون الداء وقال مكحول كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون اتبعنا للعلم بالعمل ابو الدرداء وفي حديث ابي كريب عن ابي بكر بن عياش عن الاعمش عن سالم بن ابي الجعد
عن ابي الدرداء انه قال سلوني فوالذي نفسي بيده لئن فقدتموني لتفقدن رجلا عظيما من امة محمد صلى الله عليه وسلم يريد انه
من كثرة ما جمع من العلم واحرزه منه كالحمل العظيم من المتاع المحزوم المرحول للرحل فلهذا اسمته سيدا والوجه الاخر وهو
اخصهما ان يكون بمعنى الزوج فقاله ابن الاعرابي وقاله غير واحد في قوله تعالى والفيا سيدها لدى الباب قال الاعشى

وسيد نعم ومستادها ... ويقال استاد الرجل في بني فلان اذا نكح في ساداتهم قال الشاعر

اراد ابن كوز والسفاهة كاسمها ... ليستاد منا ان شتونا لياليا

وقد نهى ولد ذلك حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه الخطابي عن ابن الاعرابي قال حدثنا ابو سعيد الحارثي حدثنا
يحيى بن سعيد القطان حدثنا رجل يقال له محمد الرمام قال حدثتني كريمة بنت همام قالت كنت عند عائشة فسالتها امراة عن
الخضاب فقالت كان سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ريحه وليس بحرام عليكن احواتي ان تختضبن قال [illegible] الوجه
ان تكون ارادت زوجي لان الاضافة بالاسم الخاص يدل على معنى خاص وقد كان صلى الله عليه وسلم سيد السلمين كافة
بالخلف كافة وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه بعثت من خير قرون بني ادم قرنا
فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعند مسلم في صحيحه عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه مرفوعا ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وعند الترمذي عنه صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة وعند مسلم ايضا في صحيحه عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع قلت
هذه الاحاديث قد تحدث من قد ضاق بالجهل عطنه ولم تسرح في رياض العلم فطنه من يتحاشى في حقه صلى الله عليه وسلم
ان يقول سيد [illegible] ان يقول سيدنا وان كان هو كذلك اذ هو كما اخبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم فيا حج
به وثبت انه قال ادم فمن دونه تحت لوائي ولكن قال من تواضعه لما قيل له يا خير البرية ذاك ابرهيم وقبل ان قيل ان
يفضل [illegible] ولا يكسفه عن مرتبته ومنه قوله لا تفضلوني على موسى وكذا قال في يونس بن متى عليهما افضل
الصلاة والسلام ولما ذكر كليم الرحمن موسى بن عمران عنده صلى الله عليه وسلم في قصة اليهودي والمسلم في الاصطفاء ذكر صلى الله عليه وسلم
مبحث سيد فضيلة موسى واخذه بقوائم العرش وهذا المتحاشي عن التلفظ بسيادة سيد البشر صلى الله عليه وسلم لدى سماحة
نفسه بسيادته صلى الله عليه وسلم رب العالمين عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام الى يوم الدين قد اتى بذلك امرا عظيما
ولو درى حقيقة ما يؤول اليه امره فانه اما متزهد بذلك عن رسل رب العالمين الذين منهم اولو العزم ابرهيم وموسى و
عيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام او ممتنع عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم والخضوع لما جاء به من رب العالمين من الامر
الذي يقع ملاك [illegible] ما اقبح الجهل باهله فاياك ان تغتر بمن يتمسك بالجهل وهو
لا يدري ما يؤول اليه [illegible] فليتحاشى عن ان يقول سيد المرسلين او لمن يتحاشى ان يقول سيدنا مع انه صلى الله عليه وسلم
لم يتحاش عن قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر فلم يتحاش صلى الله عليه وسلم في ذكر الامر المحزن الا ترفعا عن منزلته التي ازلها

من رحمته وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم او انما اجلكم في اجل من خلا قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى
غروب الشمس ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت
اليهود واعطي اهل التوراة التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل قال
ابن دينار فقال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر فعملت النصارى الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم
اوتينا القرآن قال من يعمل لي من العصر الى ان تغيب الشمس على قيراطين فعملتم حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين
فغضب اليهود والنصارى وقالوا ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا اكثر
عملا واقل عطاء قال الله تبارك وتعالى هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء واستكملوا
اجر الفريقين فهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويعذب من
يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ان عذب الخلق اجمعين فبعدله وان رحمهم اجمعين فبفضله اذ هم خلقه و
عبيده وان نوعهم فبحكمته وحكمه وكان من امره جل وعلا ان فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق فاشاع فضله
وذكره في الصحف الاولى وفي كتابه العزيز المبين بالبيان الاوفى وادناه جل وعلا منه حتى كان قاب قوسين او ادنى
وحدث صلى الله عليه وسلم منته بفضله ورفعته واكرام الله له في المقام المحمود لاهل الموقف بشفاعته ولما قال له عمه
العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه كما رواه ابن اسحق وابن عبد البر وابن منده وابن سعد وابو نعيم وغيرهم من حفاظ الاسلام
يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل قال فانشد بين يديه يقول

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء دونها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض	وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور	وسبل الرشاد نخترق

وهذه الابيات على هذا الوجه مشهورة تلقتها الامة بالقبول واشتهرت حتى صار طلب الاسناد لها كالعبث
فلقد كان صلى الله عليه وسلم طيبا في الاصل طيبا في الفناء طيبا في المطلع طيبا في المسكن طيبا في المعيشة طيبا
في الوفاة طيبا في المدفن طيبا في الاخرة فالاصل من معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن الشخير
في الباب بعد ما جرى بنا لتقدم في فضل سيد البشر ومعنى سيادته في الشرع واللغة ام يقول اني لست كاحد من
رؤسائكم اذ كانوا يسودونكم في اسباب الدنيا وانا اسودكم بالرسالة والنبوة فسموني رسولا نبيا لانها المنزلة التي لا
منزلة وراءها لاحد من البشر فنسبته الى ما دونها ممنوع منزلته صلى الله عليه وسلم ولما قال له رجل اخر كما في
جامع ابن وهب وغيره انت اشرفنا حسبا واكرمنا اما وابا فقال له كم دون لسانك من طبق قال اربعة اطباق فقال
ما كان فيها ما يغني عنك عن ذرب لسانك ورواه الامام احمد بسند صحيح حيث قال ثنا
حجاج ثنا شعبة قال سمعت قتادة سمعت مطرف بن الشخير يحدث عن ابيه فذكر نحو حديث ابي داود وهذا اسناد
صحيح متصل بالحديث متصل بالتحديث بالسماع ثم رواه من طريق اخر بلفظ ابي داود وزاد فيه وانت الجفنة الغراء ورواه النسائي في
اليوم والليلة من طرق عن انس بن مالك الانصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا خيرنا وابن خيرنا فقال يا خيرنا وابن خيرنا هذا دليل
انا محمد عبد الله ورسوله ما
انه قد استفاض عند هم ان عنصره صلى الله عليه وسلم خير العرب وانه خيار من خيار لا ما يقوله الملحدون من الشعوبية
من ان العرب لم تفضل غيرهم الا بكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم يتطرقوا الى تضعيف فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم ودم
قبيلته بذلك اذ الامر كما قال عمر الفاروق رضي الله عنه ما مدح من ذمت قبيلته ولما قال الشاعر في جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه مادحا
لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة
قوله صلى الله عليه وسلم قولوا بقولكم لانهم لم يقولوا الا حقا ولمطاف عليهم ان يستهوينهم الشيطان كما استهوى

ومنهج الملك

عبد الله بن عمرو

النصارى في المسيح بن مريم عليه السلام حتى جعلوه وامه الهين من دون الله وامثال هذا قال هنا انما محمد عبد الله ورسوله فاين النصارى
قالوا المسيح ابن الله وانا رفعوه ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله الى تعالى العلو والاطراء المذموم الذي كما طراه
النصارى للمسيح عليه السلام وارشدهم الى ان اعلا المنازل للعبد منزلة العبودية فكيف اذا كان معها مع ذلك الرسالة
والنبوة وقد اكمل الله سبحانه له هذين المقامين ووقع ذكره برهما في كتابه العزيز لان ذلك اشرف مراتبه عند ربه تعالى
فقال هل وعلا سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وقال الحمد لله
الذي انزل على عبده الكتاب وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال انه لما قام عبد الله
يدعوه الاية وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فهذان مقامان هما اشرف المقامات له صلى الله عليه
وسلم وايضا فانهما لا يطرق اليهما الغلو ولا يتوهم بهما الشيطان جنده والله سبحانه الموفق للصواب

في اليوم والليلة المبارك السادس والعشرون من شهر

خاتمة الكتاب

قال تعالى وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته ولا وصفوه حق صفته فمن هذه صفته ذاته وافعاله
يجب ان يكون له شبيها او شريكا او ضدا او ندا او هو يتعالى عن ذلك علوا كبيرا فكان الخالق وحده فهو المعبود
وحده وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا
تتكلمون قالوا نتفكر في الله وقال تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره رواه ابو الشيخ الاصبهاني
في كتاب العظمة وعند هو والديلمي في الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات
الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعين الاف نور وهو فوق ذلك وعند ابي الشيخ ايضا عن ابي ذر الغفاري
رضي الله عنه مرفوعا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا وعند هو والطبراني في الاوسط وابن عدي و
البيهقي عن ابن عمر مرفوعا تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وقال البيهقي في اسناده نظر قال الحافظ العراقي فيه
الوازع بن نافع متروك وقال ابو حاتم في الجرح والتعديل الوازع بن نافع هو العقيلي صاحب المدينة سكن
بغرس يروي عن سالم بن عبد الله وابي سلمة بن عبد الرحمن وروى عن اهل بخرس وكان ممن يروي الموضوعات عن الثقات
على قلة روايته ويشبه انه لم يكن المتعمد لذلك بل وقع ذلك في روايته كثرت وحده فبطل الاحتجاج به لما انفرد به
عن الثقات بما ليس من احاديثهم وقال حدها الحنبلي قال قال احمد بن زهير عن يحيى بن معين قال الوازع بن نافع
ليس بثقة لم نقل عنه احاديث تكلم في اسناد بعضها بانه موضوع او معلوب وقال الحاكم فيه انه روى احاديث
موضوعة وقال ابن عدي احاديثه كلها غير محفوظة ورواه ايضا ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرفوعا ولفظه تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله وذكر الهيثمي ان فيه وازعا وهو متروك وقال شيخه
العراقي سنده ضعيف جدا قال ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه اصح منه هذا وقال
السخاوي وهذه الاحاديث اسانيدها كلها ضعيفة لكن اجتماعها يكسبها قوة وعند البخاري ومسلم وغيرهما عن
ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك
فاذا بلغه فليستعذ بالله وليته وفي لفظ لهما لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن
خلق الله فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسوله وفي لفظ لابي هريرة عند مسلم قال جاء ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم
به قال اوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الايمان وعند مسلم من حديث هشيم عن ابراهيم علقمة عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال تلك صريح الايمان اذا
علمت ذلك فالطريق الواضح القويم في هذا المقام والصراط المستقيم انما هو الايمان و
التسليم وان يجتنب ما كان بخلاف ذلك وايراد على طريقة السلف رضي الله عنهم فيكون عنده بالعدل وسلوك
التعمق بحيث يعلم ان كل ممكن محدث اذ الامكان ولا يجوز ان يتصف بما هو العقل من الاول والاخر
قال شيخ الاسلام ابن تيمية حقق ما قالته الفلاسفة كارسطو واتباعه بحيث [illegible] الاسلام ان الخلق حادث
مفتقر الى الخالق سبحانه وان العقل وصف لازم لها دائما لا تزال مفتقرة اليه والامكان والحدوث لازمان على الاختصار
لان هذين جعلا الشيء مفتقرا بل الاشياء مفتقرة الى خالقها فقرا لازما لها لا يحتاج الى علة كان غنى لازم

لذاته

لانه جل وعلا لا يفتقر باضافه الغنا الى علة وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة بل هو فقير لذاته

لانكون ذلك الا لفقره فقر لازما لها لا تستغني الاباسه في جميع امورها قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله ١٩٧
والله هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وهذا الذي ذكرناه هو معنى الصمد
وهو الذي يفتقر اليه كل شي ويستغني عن كل شي بل الاشيا مفتقرة اليه من جهة ربوبيته ومن جهة الهيته فما
لا يكون منه لا يكون وما لا يكون الا بصلح ولا ينفع ولا يدوم وهذا تحقيق ايا كونه ويا كونه فلو
نخلق جل وعلا اشيا بمشيته وقدرته لم يوجد شي وكذا الاعمال ان لم تكن لاجله فليكون هو المعبود المقصود الحمد
ازالته والا كانت اعمالا فاسدة فاذا اردت ان تنظر الى عظمة الله سبحانه فانظر الى هذا الفلك الدوار وارتفاع هذا
السقف المرفوع بغير عمد ومجاري هذه البحار والانهار وارتباط الليل والنهار فاذا تحققت ذلك علمت ان لها
صانعا ومدبرا لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وانظر الى زينة هذه الكواكب واجل قدرها
في جملة هذه العجايب متفكرا في قدرة مقدرها ومدبر في حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين
النظر واترك التفكر في الخالق لها فان كل ما يخطر بالبال فهو بخلافه فانك لا تقدر قدره لما له من الاحاطة بصفات
الكمال واجلها عليه من النقص وانما استدل على عظمته وجلاله وكبريائه وعلوه وارتفاعه بخلوقاته
التي يعرف العباد اصلها جملة لا تفصيلا من السموات بكواكبها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها وكالارض بما فيها من
جبالها وصخورها وانهارها ومجاريها وحيوانها ونباتها وما بينهما وهو المحيط بغيوبه واطلاعه وبرقه و
صواعقه وما اشبه ذلك فلا تتحرك منه حركة الا وسره فيها الوقوف على الحكمة شاهدة له بالوحدانية دالة على عظمته
وكبريائه والتفكر هو المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق قال القاضي عياض وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول
وفضل اهله وفي كل شي له اية تدل على انه واحد الا ترى الى بسيط السماء ذات الطرائق ورفع الفلك
فوق رؤوسنا والخلائق واجراية الماء بلا سايق وارساله الريح بحرى بلا اعايق فالسموات تدل على بعثه والارض جميعا يوم
القيمة بقبضته والسموات مطويات بيمينه ولذلك قال تعالى في الاستدلال اولم ينظروا الى ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شي اذ المراد بالشي ما يقع عليه اسم الاجناس التي لا يمكن حصرها لبد لهم ذلك على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم ما يدعوهم اليه من توحيده واخلاص الدين له ونعته
باوصاف الكمال ولهذا قال تعالى خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمومنين فالفلك دليل على حسن صنعته
والارض تدل على تمام حكمته فهذا لا يصح ان يجتمع الخلق والخالق في وجه الا من حيث الذات لان التفكر في
ذات الله وصفاته قد منع منه الشرع كما مرت الاشارة الى ذلك لان الخلق لا يقدرونه قدره فلم يبق الا النظر في الاثار التي
دلت على العرش وجميع الموجودات من اثار قدرته ومن اعجب اثاره جل وعلا الادمي فانك اذا افكرت في نفسك كفى و
اذا نظرت في خلقه شفا ليس قد فعل في قطرة ماء ما لو تقضت الاعمار في شرح حكمته ما وفت كانت النطفة
صافية ثم دم الحيض ونقاوة القدر بشق السرة والبصر خلق منها ثلثمية وستين عظما وعضلة وتسعا وعشرين
عضله كل شي من ذلك تحته حكمة فالعين على صغرها صعد العالم مع اتساعها وخالف بين بنيان الكل
لو تقصت منها واحدة لاختل الامر واظهر في سواد العين على صغرها صعد السماء مع اتساعها وخالف بين الكل
الخارج في الاصوات وسخا المعدة لانضاج الغذاء والكبد لاحالته الى الدم والطحال لجذب السوداء والمرارة
لتناول الصفراء والعروق كالخدم للكبد تنفذ معها الدماء الى اطراف البدن فاذا كنت لا تقف من نفسك الا ان
تجوع وتاكل وتنام وتتلمظ وتقضي وتخاصم فبماذا تميزت عن البهايم ثم ارفع بصر فكرك الى عجايب السموات
فتصح الشمس كل يوم في مدار فاذا انخفضت برد الهوا وجاء الشتاء واذا ارتفعت ترى الحر وادا كانت بين المدارين
اعتدل الزمان وقد قيل ان الشمس مثل الارض مية وبيضاوي فاعتبر في مناكبها وتفكر في سيرها بعد جدها بالناس القطر ونلحق روح
بحركة الارض ترى فجاجا مدللة مسخرة فاعتبر في اختلاف الصور والطعوم والالوان بنحج وانظر كيف نزول القطر الى عرق النبات
النبات يرقل في الوانها ويجري في تجاويفها بعروق يصعد معها لا يقدر الى الكلفة وقد يكون لاحظ للعاقل في
ذلك الا سماع الرعد بادنه ورويه المطر والنبات بعينه ولو فتح بصيرته لقرا في كل قطرة ورقة خطا بقلم

وفي لفظ انا الجبار وهذا اللفظ في البخاري ايضا وفيه دليل على ان الاسم هو المسمى لا التسمية
وكل هذه الالفاظ في رواية ابي بكر
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الخطاب رضي الله عنهما مرفوعا
هو الذي يقابل الشر وقدم استفاقه والله شهيد عليه في الشرة وكذا تقدم الكلام على العلم والقيمة وحقيقتها في حديث
الرقاني
وكلتا يديه يمين
لم في صحيح عهم
وفي لفظ بيده الاخرى وفي لفظ
اخر في الصحيح
ان الله يطوي السموات بيمينه وما ضد الارض بيده الاخرى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وصح في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم وكلتا يديه يمين وليس بين ذلك تناف عند العلماء رحمهم الله
تعالى وذكر اشارة لنفي مشاركة خلقه ما لا يكون من ذات الله فاضل ومفضول جل وعلا عن الشبيه والنظير وانما جاء
بذلك للمدح ونفي الذم ومنه قول بلال بن جرير كانت كاذبة وهي كاذبة اسطها

١٩٨

كاني اكاد او هي الله بطشها ترى اشمالا ليست لها بيمين

هذا اللفظ الاخير قد اتفق عليه الشيخان في صحيحهما عن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما وعند البخاري عن ابي هريرة مرفوعا يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول
انا الملك اين ملوك الارض وفيه ايضا عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يمين الله ملاى لا يغيضها نفقة
سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى
الغيض والقبض يرفع ويخفض وفي هذه احاديث ابي موسى رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم وهو في
سفر ارفعوا على اصواتهم بالتكبير ايها الناس ارفعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا بصيرا قريبا
ثم قال ان الذي تدعون اقرب الى احدكم من عنق راحلته يا عبد الله بن قيس الا اعلمك كنزا من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا
بالله وقال ابن ماجه في سننه ثنا هشام بن عمار ومحمد بن الصباح قالا ثنا عبد العزيز بن ابي حازم ثنا ابي عن عبد الله بن
مقسم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يا خذ الجبار سماواته
بيده وقبض صلى الله عليه وسلم بيده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول انا الجبار اين الجبارون اين المتكبرون وذكر قال و
يتميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن يساره حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط
هو برسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب رضي الله عنه وولده عبد الله بن الامام
احمد حيث قال حدثني ابي ثنا معاذ بن هشام حدثني ابي عن عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
ومافيه مد في يد الله تعالى قال عبد الله ايضا وحدثني ابي
ثنا ابن مهدي وابو سفين يعني العمري عن سفين عن ليث عن مجاهد قال ما السموات والارض في الكرسي الا كحلقة
في ارض فلاة وقال ابو بكر بن مردويه ثنا سليمان بن احمد ثنا عبد الله بن وهب الحرقي ثنا محمد بن الفضل العقيلي
انا محمد بن عبد الله التميمي عن القاسم بن محمد انتفى عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر رضي الله عنه انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا
كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة
الامام المفسر الحافظ
الثبت الثقة الفاضل المجتهد محمد الطبري
ابو محمد المصري الفقيه الحافظ الثبت الثقة العابد صاحب الامام مالك بن انس روى عنه وعن الليث بن سعد وكان احد
الاعلام واحد في ذي العقد سنة سبع عشرة ومئة قال ابن عبد البر كان من جلة الناس وثقاتهم لا اعلم له حديثا منكرا فقط
مالك والليث بن سعد وقال ابن يونس جمع بين الفقه والرواية والعبادة وله تصانيف كثيرة وكان مرادا وعلما قاضيا
فقيها وقال مالك فيه ابن وهب عالم وابن القاسم فقيه وقال احمد بن صالح ما رايت اكثر حديثا من حديث ابن وهب
ورثى جلده كتابه هو الفقيه حقا فقد شغلها عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ايام وذكر في شعبان سنة سبع وتسعين
ومئة رحمه الله تعالى وذكره ابو نعيم في الحلية وقال سنة تسع وتسعين ومئة واشار مصنفاته جامع في الحديث
ابي بن وهب عبد الرحمن بن اسلم العدوي مولاهم وكان عبد الرحمن هذا ضعيف في الحديث
مزيد بن اسلم مولى عمر بها الخطاب رضي الله عنه المدني الثقة العالم الثبت كان رسل الحديث وهذا الحديث
من مراسيل يحيى بن سعيد

ما يتر س برفع الحرب وهو المجن ايضا يعني زيد بن اسلم عن ابيه [illegible] يعني الغفاري الصحابي رضي الله عنه
القيت هكذا في خطا الشيخ
رحمه الله والصحيح ظهراي زيدت الالف والنون المفتوحة تاكيدا في ظهري والمعنى ما ذكر في العرش من سعة
الا كخلقة من حديد ملقاة بين جوانب فلاة من الارض والفلاة هي ما اتسع من الارض وسقي مع البعد بلا ماء
معنى ما ذكره اهل اللغة وهذا قال بين ظهري [illegible] وقد زعم بعض متكلمي علما الاسلام على علم الهيئة
ان الكرسي هو الفلك الثامن وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع الذي يقال له الفلك الاطلس الذي يدير
الافلاك جميعا قسرا في كل يوم وليلة مرة وهو مخالف لسير هذه الكرة وجهة اذ سيرها من المشرق الى المغرب وسير
من المغرب الى المشرق مع اختلافها في السرعة والعجلة كما يشاهد لكل ورده احرون وقد قال عبد الله بن الامام احمد
حدثني ابي نا يحيى بن ادم نا شريك عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله جل وعلا ان بوركت
في النار قال الله ومن حولها قال الملايكة ورواه الضياء وجماعة بلفظ وقال الضحاك عن ابن عباس لولا ان السموات
السبع والارضين السبع بسطن ثم وصل بعضهن ببعض لم يكن في سعة الكرسي الا بمنزلة الحلقة في المفازة
جرير وابن ابي حاتم وهذا بيان لما قلنا اولا وعند ابن ابي حاتم في قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض بسنده
ابن عباس قال علمه وكذا رواه ابن جرير بسنده عن وعن سعيد بن جبير مثله قال ابن جرير وقال اخرون الكرسي
موضع القدمين ثم روى عن ابي موسى والسدي والضحاك ومسلم البطين وقال شجاع بن مخلد في تفسيره نا ابو خالد
عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل وكذا
رواه الحافظ ابن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره ورواه وكيع بن الجراح في تفسيره فقال نا سفيان
عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر احد
وقد روى الحاكم في مستدركه عن ابي العباس محمد بن احمد المحبوبي عن محمد بن معاذ عن ابي عاصم عن سفيان وهو الثوري
باسناده المتقدم عن ابن عباس موقوفا مثله وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت الصحيح وقفه على ابن عباس
وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي وهو متروك عن السدي عن ابيه عن ابي هريرة مرفوعا
ولا يصح رفعه ايضا وقال السدي عن ابي مالك الكرسي تحت العرش وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده
نا هدبة نا ابو بكر نا اسرائيل عن ابي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال استاذنت ام سلمة رسول الله صلى
عليه وسلم فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة قال فعظم الرب تبارك وتعالى وقال ان كرسيه وسع السموات والارض وهو
له اطيط كاطيط الرحل الجديد من ثقله وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور عن عبد بن حميد وابن جرير
وابن ابي حاتم والطبراني وابن ابي عاصم في كتابي السنة لهما وعبد الله ابن الامام احمد في كتاب السنة له والحافظ الضياء
في كتابه المختارة من حديث ابي اسحق السبيعي عن عبد الله بن خليفة قال بعضهم وليس بذاك المشهور رفع سماعه
عمر نظر قلت هو عبد الله بن خليفة الهمداني من كبار التابعين [illegible] قال الحافظ ابن حجر وهو مقبول ثم منهم من
عنه عن عمر موقوفا ومنهم من رويه عنه مرسلا ومنهم من يزيد في متنه زيادة على بعض ومنهم من عكس فرفعها وما ذكرناه هو
احسن الفاظ متنه وقد ذكر الفظه وابتدا ابو عبد الرحمن الحافظ عبد الله بن الامام احمد في باب الصفات وقال عن
ايضا حدثني ابي نا وكيع عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكرسي
موضع قدميه والعرش لا يقدر احد قدره قال وحدثني ابي نا محمد بن جعفر نا شعبة عن
سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن ابي موسى رضي الله عنه قال الكرسي موضع القدمين وله اطيط كاطيط الرحل
عبد الله الهذلي ابو عبد الرحمن رضي الله عنه في حديث له عند ابي داود وغيره [illegible] فيه [illegible] الى السماء
[illegible] مسيرة [illegible] ما بين كل سماء [illegible] مسيرة [illegible] مسيرة [illegible] وبين
تليها مسيرة [illegible] مسيرة [illegible] وبين
الذي قاله عبد الله بن رواحة في قصة زوجته المشهورة

وعرش الله فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

مسيرة [illegible] ذلك [illegible] جل ثناؤه وعز سلطانه [illegible] بلا كيف وهو جل

باب ما جاء في خلقه ... وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا قريبا كما قال جل ثناؤه الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهذا يدل على عظم شأنه وعلو سلطانه وارتفاع مجده وشدة بطشه وهو العلي الكبير القاهر على كل شيء الكبير على كل شيء الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يعجزه شيء من الأشياء كلها حقيرها بين يديه متى صغيرة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة إليه وهو الغني الحميد المتعال المجيد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو القاهر فوق عباده وهو العليم الخبير لا إله غيره ولا رب لنا سواه وقد قال الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا علي بن الحسين بن شقيق عن ابن المبارك إن قيل له كيف نعرف ربنا جل وعلا قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه فرجع الله بن المبارك لقد ذاق أصل المعرفة التي لا يصل لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه إلا وهو المباينة لخلقه جل وعلا وأن العلو على العرش

باب

وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهلوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وبهذا قال تعالى في كتابه العزيز ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه وقال إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال أأمنتم من في السماء الآيتين وقال فروعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وقال يخافون ربهم من فوقهم وقال وهو القاهر فوق عباده وقال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وتظاهرت هذه الآيات القرآن بطلوع عدها ومدها السنة حديث الجارية في الصحيحة وحديث الذهبية التي قدم بها عليه زيد الخيل والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعلقمة بن علاثة وعامر الطفيل العامري كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري ومسلم وغيرهما فوجدت بعض الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساء وصاحا حديث ثم يرحم من في الأرض ثم يرحم من في الأرض ثم يرحم من في السماء وهو في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وحديث عروج الروح في الإسراء عن جابر وأبي هريرة وغيرهما في قصة عبد الله بن رواحة مع امرأته في الصحيحين وقول الشاهد وقضى حكم سعد في بني قريظة في الصحيحين وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات وفي لفظ من فوق سبعة أرقعة وحديث ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وهو في السنن وحديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها وعند الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد بهذا اللفظ ورواه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه وعند ابن أبي حاتم عن عائشة سبحان الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما الآية قال وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته وإذا ذهب عنه قربها وقد قال الله فيما أنزل من الكفارة والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الآية وهكذا رواه هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وهكذا رواه قتادة وغير واحد عن عائشة رضي الله عنها قالت تبارك الذي وسع سمعه الأصوات إن خولة بنت ثعلبة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت فقالت يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما الآية قال وزوجها أوس بن الصامت وكان به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر منها فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وهكذا رواه هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية وهكذا رواه قتادة وغير واحد عن عائشة فذكرت نحو سياق هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فذكر مثله ولم يسم وهذا لما استفتى عمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته قبل عنها فقال هذه امرأة سمع الله تجادلها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها الآن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها رواه ابن أبي حاتم من طريق وعند عثمان الدارمي من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال ويل لملك الأرض من ملك السماء فقال عمر الآن حاسبت نفسه فقال كعب والذي نفسي بيده إنها في التوراة لفظها بعينها فخر عمر رضي الله عنه ساجدا والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة لا تحصر كلها تشير إلى إثبات الفوقية لله جل وعلا وأنه أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يعلم السر واخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور اقرب الى احدنا من حبل الوريد لا اله الا هو خالق كل شيء وهو الواحد القهار لا تكيف ولا تمثل لا تحيط به الافكار ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد وصف نفسه في اعظم آية في كتابه حيث يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم وقال في الآية الاخرى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال ذو العرش المجيد فعال لما يريد

اي الحديث المتقدم عبد الرحمن [illegible] بحسان العنبري البصري التميمي مولاهم ابو سعيد البصري الحافظ الثقة الثبت العارف بالرجال والحديث قال اكثر عنه سمعت محمد بن عمرو بن بهتان الصفواني النقفي البصري يقول سمعت علي بن المديني يقول لو حلفت بين الركن والمقام حلفت اني لم ار احدا اعلم من عبد الرحمن بن مهدي وذكر الترمذي ايضا عن الامام احمد انه قال عبد الرحمن بن مهدي امام توفي سنة ثلاث وتسعين ومئة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة [illegible] هو ابن دينار البصري ابو سلمة الفقيه العابد ثابت الناسخ ثابت البناني تغمر حمد الله اخره توفي سنة سبع وستين ومئة قال عبد الرحمن بن مهدي لو قيل لحماد بن سلمة انك تموت غدا ما قدر ان يزيد في عمله شيئا وكان يسيء وقته [illegible] هو بصلة ابن ابي الجعد الاسدي مولاهم ابو بكر الكوفي المقرئ صدوق قيل له وهام محة القرآن روى له في الصحيحين وغيرهما بكسر الزاي المعجمة في اوله وتشديد ثانيه [illegible] عمرو بن سلمة هو حدة مصغرا ابن حباب بضم المهملة بعدها موحدة ثم معجمة اسدي كوفي بكنى ابا مريم فقيه جليل المقدر مخضرم [illegible] هو ابن سعد الصحابي رضي الله عنه واخرجه ايضا بمعناه ابو سعيد احمد بن محمد بن زياد الاعرابي في كتاب العظمة اخبرنا عبد الملك بن احمد بن عبد الله عن ابي اسحق القراري عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به وهذا اسناد صحيح

وهو عبد الرحمن بن عبد بن مسعود رضي الله عنه الكوفي قال ابو حاتم الرازي كان اعلم اهل زمانه بحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قيل انه اختلط اخر عمره ومن سمع منه ببغداد فقبل الاختلاط [illegible] بن بهدلة المذكور هو سفيق بن سلمة الاسدي التابعي الجليل صاحب عبد الله بن مسعود المحضرم [illegible] بن مسعود رضي الله عنه عن ابيه وقد رواه بمعناه بن حبان بسند صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه [illegible] الامام العالم العلامة مورخ الشام ومحدثها وعالمها ومسندها ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قيماز الذهبي التركماني الفارقي الاصل الدمشقي المعروف بابن [illegible] الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة في سنة اثنتين وسبعين وستمئة وتوفي سنة ثمان واربعين وسبعمئة قال في كتاب العلو له اي الحديث المتقدم [illegible] يشير بذلك الى ثبوته لتعدد طرقه [illegible] عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث له وفيه [illegible] العباس رضي الله عنه [illegible] اي لاصحابه او بعضهم رضي الله عنهم ممن حضر القول مستفهما لهم [illegible] هو من الدراية وهي العلم والمعنى هل تعلمون [illegible] يعني مسافة ذلك قالوا الله ورسوله اعلم [illegible] وهذا من تأدبهم رضي الله عنهم حيث وكلوا العلم الى عالمه ومن هذا قول الملائكة عليهم السلام لربهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا الآية وقد حرم الله القول على الله بلا علم فقال وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فينبغي ان يقول الانسان فيما لا يعلم الله اعلم او كلمة نحوها حتى يكون مقتديا بالمام من اتباعه صلى الله عليه وسلم [illegible] وفي غير خط الشيخ وبينه [illegible] المسافة [illegible] الكثف جمع كثيف وهو الغليظ [illegible] وفي لفظ وفوق السماء الرابعة [illegible] المسافة المذكورة فيما تقدم [illegible] وذلك العلو والمباينة لمخلوق [illegible] فلا يقرب عن مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر هو سميع بصير يرى ويعلم ما في الارض وما في السماء وما بينهما وما تحت الثرى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قال ابو علي احمد بنا احمد الوليد بن شجاع بن مخلد وهب اخبرني اسامة بن زيد الليثي ان نافعا حدثه قال كان ابن

رواحه امراة وكان ينفقها وكانت له جارية ترقع عليها وفرقت ان يكون فعل قال سبحان الله قالت اقراعلى اذا قائد حبب وكانت لا عرف القرآن فقال
شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من علي
وان اباجي وعي كلاهما له عمل في دينه متقبل

وهو في الصحيحين بلفظ اخر ذكرناه وهذا الشاهد اذا فهمت ذلك علمت ان من جعل نعته سبحانه الهة اخرى فما قدره حق قدره وكذا من لم يصفه بصفات الكمال فما قدره حق قدره وكذا من نفاعنه سبحانه صفات كماله وكمال تسليم لعقده وقضايه فما قدره حق قدره ومن لم يحكم كتابه ورسوله الامين وسلم لهما ورضي فما قدره حق قدره

في سننه ومنهم ابو جعفر محمد بن عثمان بن ابي شيبة في كتاب العرش باسناد حسن عن بعض اللفظ
ورواه ايضا هناد بن السري بسند صحيح عن ابي ذر رضي الله عنه من طريق الاعمش عن زيد بن وهب عن ابي ذر مرفوعا
وذكر مثله ورواه الترمذي وابن ماجه وابو داود وبغير هذا اللفظ قال ابو داود وابن ماجه واللفظ لهما متنا واسنادا
حدثنا محمد بن الصباح نا الوليد بن ابي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال
كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد ما بين
السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان او ثلاث وسبعون سنة والسماء التي فوقها
كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين اصلاقرنهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك وقال ابن ابي حاتم نا ابي قال كتب الي احمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني ابي نا ابراهيم بن طهمان
عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدثكم عن ملك من
حملة العرش ان بعد ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وهذا اسناد كما ترى جيد رجاله كلهم ثقات ورواه
ابو داود في سننه فقال حدثنا احمد بن حفص بن عبد الله نا ابي نا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملكا من ملائكة الله تعالى من
حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام هذا لفظ ابي داود ورواه ابن ابي حاتم باسناد صحيح
الى سعيد بن جبير انه قال في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة قال
وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه الكروبيون ثمانية
اجزاء كل جزء منهم بعدد الانس والجن والشياطين والملائكة وعند البخاري ومسلم عن ابي هريرة مرفوعا يتعاقبون
فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم كيف
تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وعند هما عن ابي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش ومن ذلك
حديث النزول من الاحاديث المتواترة وهو في الصحيحين وغيرهما وعند ابي داود باسناد على شرط الصحيح عن ابي سعيد رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سميع بصير فوضع اصبعيه الدعاء وابهامه على عينيه وانفيه وعند البخاري وغيره في
الصحيح عن جبير بن مطعم في حديث له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وسمواته
فوق ارضه مثل القبة واشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال
اتى عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فدخل ناس من
اهل اليمن فقالوا اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن
اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شئ
ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك قد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها
قد ذهبت ولم اقم وفي حديث ابي رزين العقيلي عند الترمذي وغيره قال قلت يا رسول الله اين ربنا قبل ان يخلق
خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء قال ابن [illegible] وروى العماء
ليس معه شئ وهكذا قال الامام احمد فيما ذكره الترمذي عنه قال [illegible] لخطابي رواه بعض المحدثين في عما مقصور

على وزن عصا وقفا يريد انه في عام على الخلق قال وليس بهذا شيء وانما هو ممدود وهكذا رواه ابو عبيد وغيره من العلماء ممدودا
قال ابو عبيد والعماء والسحاب وقال غيره الرقيق من السحاب قال ورواه بعضهم في غمام و
ليس بمحفوظ وانما هو في عماء ممدود وقاله الاصمعي وغيره قال الحارث بن حلزة

وكان المنون تردي بنا ... اذ غرحونا يحاذ عنه العماء

يقول من اراد نا بالمنون فكانما يريد ذلك الجبل الاغر الاسود الذي يشق عنه العماء وهو السحاب من طوله واغلاقه جرير

واذا اعلم القذاة طلبته ... عمق الغجاج منطق بعماء

قال ابو عبيد القاسم بن سلام واما ولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عندهم ولا ندري كيف كان
ذلك العماء وما مبلغه والله اعلم بذلك واما العمى في البصر فانه مقصور وليس هو من معنى هذا الحديث في شيء وقد روي
نحو ما تقدم الترمذي والامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ
اتى عليهم سحاب فقال نبي الله هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها
الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف
محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة عام
ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءان بعد ما بينهما خمسمائة سنة ثم قال كذلك حتى عد سبع
سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان فوق ذلك
العرش بينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم
قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع
ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله
ثم قرأ هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قال الترمذي عبد الله قرأها ابو نعيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاية تدل على ان الله محيط علما بالاشياء كلها وقدرته وسلطانه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو
على العرش كما وصف نفسه في كتابه وقد قال عبد الله بن الامام احمد حدثني ابو بكر بن ابو الاسود والقعنبي
ابن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عبد الرحمن بن الحسن حبيب عن ابي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الاية التي في خاتمة النور وهو جاعل اصابعه تحت عينيه يقول بكل ما يصيبه عند
ابن جرير وعبد الله بن الامام احمد وحديث حماد بن سلمة قال اخبرنا ثابت عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا ووضع الابهام على مفصل الخنصر الايمن فقال حميد لثابت
اتحدث بمثل هذا فضرب ثابت في صدر حميد ضربة شديدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث به ورواه الحاكم في صحيحه وقال هو على شرط مسلم قالوا وهو كما قال ومثله وقال محمد
ابن جرير الطبري حدثنا القاسم ثنا الحسين ثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن ابي حازم عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنه قال ما بسط الله عز وجل جبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب من النور والظلمة
ويصوت في تلك الظلمة صوت تبلغ له لحناجر وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص ولعله من
الزاملتين اللتين وجدهما من اخبار اهل الكتاب والله اعلم وقال عبد الله بن الامام احمد
ايضا عن ابيه قال سئل عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحمل السموات على اصبع وما اشبه
ذلك من الاحاديث فاومأ حديث بن سعود فقال حدثني ابي قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد حدثني
منصور سليمان عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه ان حبرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد ان الله يحمل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والخلائق على اصبع ثم
يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال وما قدروا الله حق قدره
قال عبد الله قال ابي قال يحيى قال فضيل بن عياض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعجبا وتصديقا له قال عبد الله وسمعت ابي يقول حدثنا يحيى بن سعيد بحديث سفيان عن الاعمش

ومنصور

ومنصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يمسك السموات على اصبع قال
ابي وجعل حبر يشير باصابعه وارى كيف جعل حبر يشير باصابعه يضع اصبعا اصبعا حتى انتهى الى اخرها ثم او
رده بحق وهو احد كلها صحاح على شرط الشيخين واورده عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد كرهنا
الاطالة بايرادها قال عبد الله وحدثني احمد بن ابراهيم قال سمعت وكيعا يقول لم هذه الاحاديث
حاوت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا يعني مثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان الله يحمل السموات على اصبع والجبال على اصبع
الحديث وحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن وبحوهما من الاحاديث
وعند مسلم والامام احمد عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه مرفوعا ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط
يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعند مسلم ايضا وابن ماجة عن ابي رضي الله عنه ان الله لا ينام
ولا ينبغي ان ينام كيف قط ويرفعه اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو
كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره بهذا ما انتهى اليه بصري من طرقه وهكذا رواه ابن ماجة ورواه معه طريقا آخر صحيح الى ابي
عبيدة عن ابي موسى رضي الله عنه مرفوعا فذكره وقال في آخره سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره
ثم قرأ ابو عبيدة ان بطش ربك لشديد من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين وهذا قال علي وهو الله لا اله الا هو
الاشهد بالحد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فقد علمت بهذا ان الاحد الفرد الصمد الذي
لا يخرج عن حكمه احد ولا يجد احد من دونه ملتحدا القادر القاهر على كل نفس الذي الجبابرة تحت بطشه وسطوته
السموات والارض تحت تصرفه وفي قبضته ويمينه مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون اول لا اول وله واخر لا آخر
له فهو الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده فله
العزة والجبروت والملك والملكوت لا يستطيع احد بوصف وكيف وسيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم قد
اعترف في ذلك بالتقصير فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد قال تعالى لرسوله
في كتابه العزيز ان يقول وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
انتهى ما كان لوجهه قصدنا وانا نرجو بذلك من الزيادة وبكتبه

ووقع تبييضه على يد كاتبه ومصنفه وجامعه الفقير الى رحمة ربه العفو عثمان بن
عبد الله بن منصور الناصري ثم العمري التميمي حنبلي مذهبا ومعتقدا النجدي تمارا الخيس
خامس عشر شهر رمضان المبارك سنة احدى وخمسين ومئتين والف من الهجرة النبوية على مهاجرها افضل صلاة
وازكى سلام الى يوم الدين وسأل الله الرؤف كما قال عبد الرؤف العفو عما طغى به القلم فاني اسأله
من ذلك الالم واحرج على من عثر على هفوة او كبوة ان يرفع خرقه ويفتق رتقه ويصلح خلله ويستر الله
من تجنب الانصاف ونظر بعين الاعتراف وطلب عيبا وجده وان اقتفد زلة اخ بعين الزلل فقد
فرح امرا غلب هواه وعمل بالانصاف وعذرني في خطاء ان كان مني او صدر عني فالكمال لمحال لغير ذي
الجلال والمرء غير معصوم والنسيان في الانسان غير معدوم وقد عولت فيما ذكرت في هذا الشرح على
كلام العلماء الراسخين المعروفين بالتقدم في العلم باليقين من الصحابة والتابعين واتباع الائمة الاربعة
ائمة الدين نسأل الله ان يعفنا واياهم بعفوه واحسانه وان يمن علينا بما جوده وامتنانه انه على ما يشاء
قدير وبالاجابة جدير ان ليس لنا في وضع ذلك من غرض في عيب او سباب وانما الغرض هنا الذب عن
دين رب الارباب اوجبنا ولمن قبلنا من علماء الملة الاسلامية كصاحب متن هذا الكتاب
النصح في هذا الباب بصحة الله ورسوله وكتابه وائمة المسلمين وعامتهم مع محبتنا الصلاح لنا
المسلمين والمحبة الشاملة حتى نكون من اصحاب اليمين ولا نحب بحول الله الا الوجيه الاعم من العباد و
ما لناح شيء احد من الناس مكروه بغية او مراد والله الموفق لسبيل الرشاد وقد
نقل شيخ الاسلام ابن تيمية فيما نقل عن عبد الله التستري انه قال ليس بين الله وبين العبد
حجاب اغلظ من الدعوى ولا طريق اقرب اليه من الافتقار فاذا استقامة الاصبع الابهر الدعوى

وقال ابو الوفاء بن عقيل اعتبرت الاخلاق فاذا اشدها وبالا الحقد وقال
ان الجزاء الانسان مجبول على حب الترفع على جنسه فسأل الله من ذلك العفو والعافية والمعافاة ان كريم
جواد رحيم بالعباد وقد عزمت ان اختم بتتمة من كلام حسان الذي شرحته واسأل الله ابي زكريا يحيى بن يوسف الصرصري
يكون على الكتاب وسيلة للاعتقاد فاجزته قوله قصيدته التي ذكر فيها رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد
ابدل في ابيات منها من قولي وبيت ذلك عند قولي الناظم رحمه الله تعالى وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال
قبلت فاه صلى الله عليه وسلم وقلت اشهد ان هذا الفم الذي انزل عليه الوحي قال فقال لي عليه السلام
انا اشهد انك مت على الكتاب والسنة قد ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم موت على الكتاب والسنة بلفظ المضارع تحقيقا
لكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يسميه بما فيه من التوسل بالذات حسان السنة اراد
الله قد عن لي افضل قوله قولي عند ختمي لهذا الشرح فاردت ان اذكره ههنا قبل ان اذكر
حسان السنة ما ذكرت ان املحق بكم هذا الشرح فمن قولي في ليلة تمام

الحمد لله اكمالا لبغيتنا ... ملأ السماء وملأ الارض لو زادا
انت المهيمن انعاما ومغفرة ... والفقر لي لازم جمع حالاتي
فارزق بجودك ربي انت ملجأنا ... والمستغاث على همي وحاجاتي
عفوا تجود به عني وعن ولدي ... يمحو الخطيات من ذنبي وحوباتي
وارحم لعبدك ذا المسكين ان له ... ما قد علمت ووفق قلبه العاني
فهما الشرع يهديه ويرشده ... طرق الرشاد ونور بالهدى ذاتي
شكرا الذي منه فهو الهنى ... شهدا حلوت به عن غربيات
عرائس العلم احلوها محمدة ... كانها انجم من بدر غيمات
من الغواص في التوحيد على ... من عليه هذا الشرح نهلاتي
فاقبل بفضلك ربي ما قصدت به ... انت العليم باعمالي ونياتي
اسم الكتاب ومنك الفتح نرسلنا ... فتح الحميد ولم فتح لك آتي
فهو الرياض بغير الوحي ضمنها ... يشفي الصدور احاديثا وايات
بكل نوع من الازهار اودعها ... روض عميم ربيع للمسرات
اقتفى اثار شيخ الدين سيدنا ... بحر العلوم وشمس في الدجيات
حبر القران جمال الدين كاشفها ... بعبي النحو يكشف للضلالات
شمس المعارف مفتاح العلوم بنا ... منه المنال بوصف الدين مرآته
يعلو الرجال افضالا ومعرفة ... وفي الشجاعة ليث يهزم غابات
وفي السياسة لا يحذى به احد ... على اثر نفذ يعلو العلى العالي
من نور رسول الله الذي خلقت ... شمس تعشق للحقا منا
منه على مدار الدين كله ... ودور جدي على قطب السموات
وهو النسيب لصلب الناسبة ... بنهى العدد اليه بالكرامات
تم الكتاب بعون الله خالقنا ... به استعنت على حاجي وهماتي
فاغفر لشارحه ربي ومالكه ... وكل من سعيه له كل الخطيات

اشهد على نفسه انه كتب هذا الشرح بيده وهذا كلامه بلسانه وقلمه
فانه كاتب الاحرف عبد الله بن محمد بن عثمان على الاسلام والمسلمين
امين يا ارحم الراحمين

مالي عذير ودا عي الخير بلغني ... الا بفضلك فراج الجليلات
اوان تشفع خير الخلق فضلنا ... وفضلا باذنك تشريفا بسيماتي
ثم الصلاة على طاهر ونا بعه ... محمد خير مبعوث باياتي
مثل التراب عددا او بريبوما ... غنى الحمام على بان وسمرات
فهو الرسول علينا في محبته ... حق عظيم مناف للمحبات
وهو المقدم في سري وفي علني ... فاجعله لي شفيعي في مقاماتي
واختم وفاتي على التوحيد يا املي ... انت الجواد وبرحمي للمملمات

وقال حماه الله ابو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري رحمه الله تعالى

تواضع لرب العرش جل وترفع ... لقد فاز عبد للمهيمن يخضع
وداو بذكر الله قلبك انه ... لاعلا دواء للقلوب وانفع
وخذ من تقى الرحمن امنا وعدة ... ليوم به غير التقي مروع
وبالسنة المثلى فكن متمسكا ... فتلك طريق للسلامة مهيع
هي العروة الوثقى وحجة مفتد ... بها سبب من هو مستمسك
مرائي رسول الله انصح مرشد ... وانجح داع جاء كي يتشفع
واصدق رويا المرء رويا انها ... من الله لا الشيطان تحمى وتمنع
فقبلت فاه العذب تقبيل عاشق ... وما كنت في تقبيل مثلاه اطمع
وقلت له هذا الفم الصادق الذي ... يوحى اليه العرش كان يمتع
وبشرني خير الانام بعينه ... على ستة بيضاء للحق تشرع
فها انا مصدق بما الرويا به ثابت ... عليها بحمد الله لا اتتزعزع
معتقد البت الامام ابن حنبل ... اذين فانهى الناقل المتورع
لان لم اتابع زهده وثقاته ... فاي له في صحة العقد اتبع
امر احاديث الصفات كما اتت ... على رغم عمر يعتدي ويشنع
فلا يلج التعطيل قلبي ولا الى ... زخارف ذي التاويل ما عشت ارجع
اقر بان الله جل ثناؤه ... القديم قاهر مترفع
سميع بصير ماله في صفاته ... شبيه يرى من فوق سبع ويسمع
وخلق الطباق السبع والارض سبعا ... وكرسيه في الخلق منها اوسع
وما هن والكرسي الا كحلقة ... الى العرش والرحمن اعلا وارفع
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخل في الارض موضع
ولم يخف عنه مثقال ذرة ... تضمنها بحر وبيداء بلقع

ومن قال ان الله جل بذاته ... بكل مكان جاهل متسرع

اليه الكلام الطيب الصدق صاعد ... وفاعل كل الخلق خص ورفع

يضل ويهدي والقضاء بامره ... مضى نافذا فيما يضر وينفع

فما لم يشأه الله ليس بكائن ... وما شاءه في خلقه ليس يدفع

والشر والخير المريد خالق ... وابليس من اراه يخلق الشر اوضع

ولكنه للشر احبث محدث ... بوسوسة في موبق الاثم يوقع

على الملك او كفو على العيب يطلع ... علا عن معين ربنا ومظاهر

بلا عدة فيما يسوي ويصنع ... لقد برأ الخلق ابتدا من اليرا

فقالوا ابى منهم عصى وطيع ... وقال لهم ذرا ائتمت بربكم

حفاة عراة في المعاد فيسمع ... وسيف منادي يوم حبها اذا اتوا

فيوم سماع القول صرعى وخضع ... ويسمع سكان السموات وحيه

بتوكيد بالمصدر الخصم يقطع ... وكلم موسى والكلام حقيقة

قديم كريم في المصاحف مودع ... ومعتقدي ان القران كلامه

اذا جاءت الاشراط منها سيرفع ... وقد سبق الوعد الصدق انه

لبا لعين مرئي وبالاذن يسمع ... واودع حفظا في الصدور وانه

بحرف وصوت ظل من يبتدع ... بالسنة القراء يتلى وانه

وايات صدق للمنيبين تنفع ... هو النور الهادي الى الحق نورها

على قلب عبد كان بالحق يصدع ... به نزل الروح الامين مصدقا

ذكرت له في الناس بالكفر يقطع ... وليس بمخلوق ومن قال عكس ما

حديث لمعناه اسوق وارصع ... ولا محدث قد جاء عن سيد الورى

وعيسى ايضا والملايك تسمع ... لقد قراء الرحمن طه جميعها

يشير اليه بالعبارة افظع ... وقولهم خلق فطبع وقول من

فذلك واللفظي كل مبدع ... ومن كان فيه واقفيا محيرا

اقول بهذا القول لا اتقنع ... وفي كتب الله القديمة كلها

وان حار في قول غوى متنعتع ... ومعتقدي ان الحروف قديمة

نجل عن التاويل ان كنت تتبع ... تبارك ذي ذي الجلال صفاته

عن المثل يعطى من يشاء ويمنع ... يداها مبسوطتان نعالنا

مواعظ تشفي من يتيب ويخشع ... والواح موسى خطها بيمينه

يمينا الى خير البرية يرفع ... وكان يدا لله جل عن مثله

كما جاء في الاخبار والناس هجع ... وينزل في الاسحار في كل ليلة

ينادي اولي الحاجات والقوم طالبا ... فيا راهب اورا غب منضرع
ومن قال انا فانا الصفات شاعة ... فجانبه اذ عارض النص اشنع
وينظره الابرار يوم معادهم ... ويحجب عنه من الى النار يرجع
كما ينظرون الشمس لا غيم دونها ... لقد خاب محجوب هناك ممنع
ولم يره في الدنيا من الناس ربه ... بعينيه الا هاشمي المشفع
محمد المخصوص بالرؤية التي ... غدا الطور اجلا لانها يقطع
وان نعيم القبر يشمل عبده ... لحق فمسرور به ومروع
يخالف صنفا بينه اضل من طغى ... ونفسح فيه للتقي ويوسع
وسال فيه الميت الملكان عن ... هداه فمرحوم واخر يفزع
ويعرف في القبر من زاره وان ... يسلم على الاموات في القبر يسمع
ومن يقرا القرآن للميت مهديا ... يصله وبالاطعام والبر ينفع
وقد ينال الاموات من ماء بعدهم ... من الاهل من مصر ومقلع
وربي احيا خلقهم ويميتهم ... ويبعثهم بعد الممات ويجمع
وينفخ اسرافيل في الصور نفخة ... فكل من الاجداث للحشر مهطع
وينصب للناس الصراط فعابر ... يذب ودو بطء واخر مسرع
ويدعى البرايا للحساب جميعهم ... فلا ظلم والميزان للعدل يوضع
وذلك يوم فيه نور نبينا ... يرفرف لواء الحمد يعلو فيسطع
ويظهر فيه جاهه بشفاعة ... اليها الكرب الموقف الخلق يارع
وينقذ في يوم القيمة من لظى ... بها الله للعاصين اذ هو يشفع

وقد ابدلت من في اوله في هذا البيت من قولي يا اول الشطر الثاني

وينصب فيه حوضه كاشف الصدى ... وذلك حوض بالروى المعذب مترع
وان له فيه مقاما مقربا ... ومقعد صدق نورهم يتشعشع
ويسبق كل العالمين مبادرا ... لحلقة باب المنزل الرحب يفزع
فيدخل والاشعث الخماص كانما ... وجوههم شمس الضحى حين تطلع
ويترك اسد الوسيلة ربه ... له ليس فيها للذي لا فيطمع
وقد خلق الله الجنان معده ... لاربابها فيها ظلال ومرتع
وحور حسان ناعمات كواعب ... بها كل اواب حفيظ ممنع
وقد خلق الله الجحيم لاهلها ... لباس اذا هاعنهم ليس ينزع
لهم ظلل منها عليهم ومنهم ... لاعمارهم شرب الحميم يقطع
وبعد انقضاء يذبح الموت بينهم ... فمستبشر راض واخر جزع

واعتقد الايمان قول واعتقاد ... وعمل صدوق في الصحايف تودع
وايماننا بضع وسبعون شعبة ... حديث صحيح النقل لا يتضعضع
يزيد بفعل الخير من كل موقن ... وينقص بالعصيان فهو ممنع
واني ما قلت اني صوت من ... ولا شك عندي بالمشيئة اتبع
وليس كبير الذنب محلوما ... بنار بلى فيه النبي شفيع
ولست ارى الحق ارجح بل اذا ... رعى امرنا والطيب واسمع
وان جهاد المسلمين عندهم ... لفرض وقرن الشمس في الغرب يطلع
وامسح فوق الخف والمسح سنة ... الى مدة معلومة ثم اخلع
وناتي وضوء لكن للذكر جاحد ... بتحريم بوهى اللبيب ويصرع
وللسحر تاثير ولا باس بالرقا ... بام الكتاب او دعاء يدفع
ولست بملك الملهم بشاهد ... ايسغ رحيقا ام حميما يجرع
بلى ان نحي للحسنة سلامة ... واحثي على من يعتدي ويضيع
ولا ريب عندي في ثبوت كرامة ... الولي ولو اسى على الماء يسرع
وبالحمد لله افتتاح صلاتنا ... لما صح منه نقل الحفيد اتبع
ولم ار في الخبر الصحيح ولا الرى ... على ذا اذا ثبت اني ارجع
وان مر في شعبان عشرون ليلة ... وشيع وعم البرح بالصوم اقطع
ومذهبنا الوسطى في القصر فاستفد ... مسايل خمسة من فروع ثمرع
ولست لمن فيها يخالف مانعا ... ولكن خلاف في الاصول ممنع
وما ساغ فيها من خلاف فسلم ... فاني لمن يقفي به لا ابدع
واشهد ان الانبيا جميعهم ... ومعجزهم حق وذلك يقنع
وان رسول الله احمد خيرهم ... وافصحهم عند البلاغ واسرع
على عرشه خط اسمه قبل ادم ... كما ذاك في الآثار واللوح مودع

وهذا البيت ابدلت منه من قولي قبل ادم الى آخر البيت وصرفا ادم للضرورة

وكان صفي الله ادم طينة ... وفيه لاقمار النبوة مطلع
واودعت النورانية غير صفاته ... فمن لغة الاحبار امن تتبع
واودعت الرهبان سلمان وصفه ... فكان الى اخباره يتطلع
فابصر برهان العلامات عنده ... فاضحى بجلباب الهدى يتلفع
وقد كان حلو الجباه مبيره ... بدوسمت انواره وهو مرصع
تنكست الاصنام عند ولاده ... كانكسها منه في الفتح اصبع
وشب شبابا للنواظر ناضرا ... وفيه لسر المجد مرآة ومسمع
لقد شرحت منه للذاكر صدره ... وكان من ابرك العرار يرتع
وكان ابو حمزى الغمام تظله ... وفي الغور نور الشرح في الصدر يلمع
وفي الكمر والعرج ساقا حراجا ... بمال رزان للمفاوز يقطع

رآه بحر والغمامة فوقه ... ويسرة والبر للوجه يسفع
وقد كان ابصرت الكلاب فتاخو بلد ... ومن فوقه ظل الغمام مرفع
الى ان رته الاربعا ماشدع ... فاضح بسربال الهدى يتدرع
والمتجلى للهدى للنبوة وانتهى ... الى ستوعنه الملائك تنزع
اتى وعلى عطفيه اخمر حلة ... وتاج بيدر المكرمات مرصع
راى ليلة المعراج امرا محققا ... وبكر هذا الامر يجفى ويرفع
وفيها قبيل الرفع اكمل صدره ... بشرح منير نشره متضوع
به اظهر الله المهيمن دينه ... فاصبح وجه الدين لا يتبرقع
واحكامه في الامر والنهي والقرى ... وفي البيع بغي ولجال تصدع
ومعجزة القرآن ظلت تحفه ... وترتيله في خلقه لحن يخضع
وللثغر المنشق نصفين معجز ... عزيز على من راحم متمنع
ونادى فلبتم بكة دوحة ... تحد اليه الارض حدا وتسرع
وما ذاق منه سرقة طالبا ... على فرس كادت لها الارض تبلع
فعاد بسنا منها فاجاره ... واطلعها حتى غدت تتقلع
وحن اليه الجذع عند فراقه ... كما حن صب الغرب فجع
وحز له الباب المهدد ساجدا ... واجفا خوفا من الخر تدفع
واطلقه من اهله فبجاهه ... نجا من اليم الذبح هذا الجلنفع
فكيف بان نحن طلبنا شفاعة ... من الله فينادا النبي يشفع

وهذا البيت قد ابدلت فيه من قولي طلبنا شفاعة الى اخر البيت وابدلت بيت ثاني الاتين بعده ونادت

وحز له سائي الاباعر ساجدا ... وكاد شرودا فاتني وهو جلبع
ونادت به ريم فذلت اسادها ... فمرت على الكشفين تحنو وترضع
ومديديه والربا مقشعرة ... تمارم الاوالسحايب تهمع
فقام لكيا شبعا فمد لكفها ... يدا ثمرت جوا فظلت تقشع
ودرت له في الحدب ضحا حليل ... وبكر على بزوله تمنع
وقد كان من مد من التمر او من ... الشعير يجوع لحفل الجم يشبع
ومن لبنة في القعب اشبع كل من ... حوت صفة الاسلام والقوم جوع
واضحى بوهر وقد كان ايبسا ... من الري وهو الشارب المتصلع
وما استقبل اليوم الحديبية الصدى ... غدا الماء من بين الاصابع ينبع
ورد وسقى الفا وطهر وانه ... وهم الف نفس والمياه قارع
وقد اصبح الملح الاجاج بريقه ... يروي غليل الظامية وينفع
وساحت به بئر وقلت حيدر ... شفاها فلم يرمدها الدهر منفع
باذن الخلق لا شئ غيره ... يدبر فينا ما يشاء ويصنع

وقد استدرك بهذا البيت الاخير ما قولي وهو باذن الخلق ح

وكلمه الصم الصوانت صلما ... يكلمه بادي الفصاحة منصلع
وكان على شهر الرعب ناصرا ... وريح الصبا للنصر هوجاء زعزع
وان رجت مداخلا قد ذكر بعضها ... فتلك من المسك العنبر اصوع
انته مقاليدا لكنوز فردها ... فقال اجوع اليوم والغد اشبع
وعلم من دامنه اغنى واقنع ... الم يعف عنه للسمام بجرع
وفي لحلم ما جازى مسيا بفعله ... اذاه فلم يجزه بما كان يصنع
وعن ساحر حر بان رام بكيده ... راوه فقروا آل ارفدة ارجعوا
وقال لقوم عند ركلة لهم ... لنعلم اعداء الهدى ان دينا
وبيتنا الاشعار مستحسنا الا ... هو لحق فيه الامر سهل موسع
ولابن ابي سلمى اجاز وقد دعى ... وقد كان حسان للمدح يسمع
على المدح للعباس نعم المشرع ... حباه بها الرحمن لا يتضيع
فغي بيته قد كان يخصف نعله ... وكان اذا ما انهج الثوب يرقع
ويجلس فوق الارض لا عرش يحجبه ... ومطعمه ايضا على الارض يوضع
دعاه يهود يا اجاب دعاءه ... وعن دعوة المملوك لا يتمنع
وفي بجوذ فاسئل عن حبا يمينه ... ايمة اهل النقل يا مستتبع
الم يهب الشاء الكثير عدادها ... لعافي اناه يعتريه ويقنع
اما فضة سبعين الفا يجلس ... فلم يبق عنها درهم يتوقع
وفي اليماس فاسئلوا عن يمينه ... اما انهزموا وهو الكمي المدرع
وما التقت الاقران يوم كريهة ... على الطعن الا وهو اقوى واشجع
لهم مثل يوم السلم شرع وسنة ... وفي الحرب نصر والاسنة تشرع
وامته خير القرون وخيرهم ... صحابته ان كي الانام واورع
وهم الصديق اذ هو منهم ... الى السبق في الاسلام والبر اسرع
وفي ليلة الغار افتداه بنفسه ... حذارا عليه من ارقم تلسع
ووقاه من الرمض الهوي برجله ... فبات بعاني السم والطرف يدمع
واتحفه بالبكر عائشة التي ... برتاج سور المكرمات تمنع
وكان اصهارا وصلى وراءه ... النبي صلاة الصبح والصبح اجمع
ورد وريق الردة الزاغ الذي ... لفرض زكاة المال اصبح يمنع
الى ان اقام الدين بعد اعوجاجه ... واصح حمى التقوى بروهو ممرع
رضينا به بعد النبي خليفة ... على عقده كل الصحابة اجمعوا
وعن بعده الفاروق مظهر ديننا ... باسلامه والامر خاف مرقع
هو العدوي العبقري المفخم المبصر ... والباب الحديد الممنع
خلافته صحت بعقد خليفة ... على فضله حرب الصحابة مجمع
ورويا النبي المصطفى انه على ... قليب عزيز الماء بالغرس يزرع
وتاويل هذا ما سمعت فتوحه ... وعدله بين الانام موزع

له العلم

الحلم والحلم الشديد وصحة
وعشرة وقاسل حمل الثقيل
ومن بعد عثمان من كان في الحجا
يرتل في ركعة وهو الذي
وروجها الهادي ابنته كرامة
واعطاه سهما يوم بدر ولم يكن
وشهد اما وها بيعة الصدق
وممتصه الرحمن ثوب خلافة
ومن بعد الهادي علي بفضله
اذا ذكر الزهاد وقت صحبة
اخا ابن المختار وهو ابن عمه
واعطاه العباس اشرف رايه
وليث من ليوث السبوت اذ له
امام بعلم في العلوم وفضله
ومن بعدهم حسنة
فذكر منهم طلحة التابع
ويعرف بالفياض اذ جود كفه
فكم مائتي الف على الناس فضلا
وسماه يوم احد شلك لدفعه
وان الزبير الفائك الشهم منهم
وفارس بدر وابن عمة سيد
حواري وهو الذي باختياره
ومنهم امير الحرب سعد بن مالك
ونالت ارباب الهدى ودعائه
وكان اخا لاواه لين رمى
ومنهم سعيد خصم سيد الورى
بسهم واجر يوم بدر فقد غدا
وابن عوف منهم المنفق الذي
ومنهم امين الامة الليث عامر
وابطال بدر فضلهم غير منكر
وفي بيعة الرضوان فضل لاهلها
وازواجه في جنة الخلد عندنا
والفضل ايضا في معاوية اعتقد
هو الكاتب الوحي الحليم واخته
وكل صحابي رآه ففضله
ولا ابتغي التفتيش في ذكر ما جرى
فما طالما ارض الحجاز اذا انطوى
تجاول ابطال الفلا في طلابه
اذا ابلقت سلغا مطايا كمي غدوه
فذاك هو اولوا العلم والحلم والهدى

التوكل وصف واتقى والورع
خطيبا عليهم والازار مرفوع
يرتل ايات الكتاب ويركع
له كان في رق المصاحف يجمع
ولو كن عشرا او لم يكن بعد يمنع
وبايع عنه نائبا حين يسعى
وجهز جيشا وهو بالعسر مدفع
بوعد النبي المصطفى ليس يخلع
الكديد اذا ما استكل الامر يقطع
يكون له فيهم حصائص اربع
وستة اهل والزهراء افضل موقع
فكان له بالفتح والنصر مرجع
على كتف الهادي البشير ترفع
من الشك والشرك الكفي لا ترتع
لهم باحتمال المصطفى كان يقطع
برغم لغير طلحة الخير اشيع
اعم من البحر الخضم وانقع
عليهم بما في الصالحات يوسع
بما عين الله لا يتزعزع
اشد رجال الحرب بأسا وامنع
لورع والجود المنفق المتطوع
لرايته العليا في الفتح يرفع
وافضل ما نالوا من القرب ينزع
اليه من الله الاجابة تسرع
بسهم له في عصبة الشرك موقع
واخرى عدته عن الفر وبمنع
لمن هو في بدر كمن مد ربع
بانفس مال لم يزل يتبرع
فما لقيا فيه غناء ومقنع
بما خرق في الجهاد تدرعوا
وتنفيل اهل البيت ما ليس يدفع
بهم مع الجور الحاله يمنع
رداقته تفضيلها لا يضيع
مع المصطفى في جنة الخلد ترفع
على غيره في سبله ليس يطمع
لاصحابه حاب القوي المشيع
له اجرع منها بقرض اجرع
فتوجف في البيداء اركانها وضع
ولاح لها من ارض طيبة مربع
وفيه المكنوه الحقائق مبدع

فبلغ بخير الخلق مني تحيه ... عشاه بإذن الله في الدين يشفع

ابدلت هذا البيت مقولي كله ... وبدلت أول البيت الذي بعده ٥

بألسنة الملي عرفنا وأنكرت ... فلوب عليها بالغباوة يطبع

بشليثاتها وبيتها وفرقة ... الهوى قدروا فيها العقول فلم تسع

عسى ربنا الرحمن الإله لنا ... عن السنة الملي يقينا ويشفع

نبينا سلام الله ما هبت الصبا ... عليه يضوع العالمين ما دام يسطع

ابدلت هذه قولي هذا البيت الأخير بهذا بسلام الله ومن أجل ذلك قلت عسى ربنا الرحمن ومن
أجل أن الشفاعة في ولي وفينا يشفع فنسأل الله لنا وله والمسلمين أن
يغفر ذنبنا ويتقبل فينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن يعلي مقامه عندنا وأن لا يحرمنا خيرها
عند سبعها عندنا إنه كريم رحيم غفور شكور وهاب سبحانه ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

٢٠٦

وقد سلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلقت
التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه
يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر
من يوم الجمعة في آخر الخلق وآخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل وقد قال
أهل العلم الا في رفع هذا الحديث نظر والله تعالى أعلم وقال العلماء هذا الحديث من غرائب
مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغيرهما من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب الأحبار
وكعب أبا هريرة إنما سمعه منه وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله من مرفوعاته والله
البيهقي وبين مخالفته للقرآن العظيم في صفة الخلق والله أعلم